

تنزيه القرآن عن التهم والشبهات

إعداد محمد أحمد صبرة

توطئة

سبب الكتاب :

تناثر عبر الشبكة العنكبوتية في مواقع التواصل الاجتماعي شبهات وتهم مستفزة ، حول آي القرآن الحكيم ، ممتلئة سموما وفهما سقيماً ، سايره ضعف في فهم لغة القرآن ولغة العرب من أبنائه ، مما أدى لجهل فاضح في معرفة بنية تلك الشبهات وما تحمله في ثناياها من أخطاء وغباء أو تغابي مقصود ، تبعه تصديق كثير من تلك الشبهات من قبل طبقة تدعي العقلانية والفهم ، وهي بعيدة كل البعد عن فهم الحقيقة وما تشير له تلك الآيات ، فتوقد في ذهني جمع لمعظم تلك الشبه والرد عليها وشرح لغة العرب وأساليبهم وأساليب القرآن في النظم والسرد ، فتولد منها هذا الكتاب ، أسأل الله أن يجعله مقبولاً ومفيداً .

كلمة عتاب لأهل الكتاب: كنا ننتظر منهم ونحن وهم أبناء أسرة الديانات السماوية والتشريعات الإلهية ، وكتابنا وكتابهم تنزل من مكان واحد وأبونا وأبوهم واحد (ابراهيم ﷺ) أن يكونوا عوناً لنا ضد الوثنيات والديانات الأرضية والإلحاد ، كنا ننتظر منهم -وهم إخوة لنا في الدين والنسب -إذا ناقشوا أو جادلوا أهل الإسلام في شيء أن يكون ذلك بروح المودة والمحبة والتفاهم المخلص والرغبة الصادقة في الوصول للحقيقة لكنهم كانوا علينا لا لنا وحرماً ضدنا لا معنا ، فطعنوا في كتابنا بروح العنف والشدة ، والحقد والضغينة ، وهاجمونا بدافع البغض والكراهية والبغي والعدوان ، وطعنونا ظلماً وجوراً في صميم عقيدتنا وأصولنا : فرموا الإسلام بالإكراه في الدين والتعصب والدعوة إلى الفجور وأنه سبب تخلف الشعوب ، وقاموا بحرب تشكيك في القرآن ونبي الإسلام ، وبيذل المبشرون غاية جهدهم لإخراج المسلمين من دينهم وتغييرهم منه وقالوا أن الإسلام منح النصراري وظيفة الإفتاء في الدين الإسلامي كما قال الأنبا شنودة في رسالته (القرآن والمسيحية ) ( ص ٤ ) وقال : لم يقتصر القرآن على الأمر بحسن مجادلة أهل الكتاب بل وضع القرآن النصراري في مركز الإفتاء في الدين وساق الآيات التي تؤيد زعمه ، وأن النصراري ناجين وإن لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وكتابه بزعمه كما يقول القرآن .!!.

## فهرس الموضوعات

### المقدمة : تتضمن

- أعداء القرآن اجتمعوا قديما وحديثا على هدم القرآن وإلقاء نفس الشبه عليه .!
- العاقبة للقرآن في كل جولة ، ما السبب؟!
- الإنفرادات الفطرية الثمانية للقرآن .!
- المسالك الأربعة التي يتبعها الاستشراق والتنصير والمجادلون في إثارة الأباطيل حول القرآن .
- (أ). الكذب في اختراع الأبطولة ، (ب) . تحريف معاني النصوص وتفسيرها بمعان مشككة ، (ج) . بتر النصوص واخراجها عن سياقها ، (د) . محاكمة القرآن لمصادر غير موثوقة .
- هذه الموسوعة غرضها موضوعاتها ترتيبها .

### الفصل الأول : القرآن بين الطاعنين به والمذهولين به .

من ص ٢٩ - ١٣٨ ، يتضمن أربعة مباحث هي

- المبحث الأول : الطعون والغارات التنصيرية والإستشراقية على القرآن الكريم ... ص ٢٩
- المبحث الثاني : آراء المستشرقين المستقلين والمعتدلين للقرآن الكريم.....ص ٥١
- المبحث الثالث : أثر القرآن وسحره في نفوس و أرواح البشر جميعا .....ص ٧٧
- المبحث الرابع : أسباب الاختلاف في القرآن والحكمة من المتشابه .....ص ١١٤

### الفصل الثاني : الشبهات والتهم التي رُميَ بها القرآن وهدمها

ص ١٤٠ - ٥١٦ ، يتضمن ستة مباحث هي

المبحث الأول : الأباطيل والشبهات والتوهّمات في ذات الله وصفاته وأفعاله خلال فهمهم لآيات الكتاب الحكيم .

ص ١٤١ - ١٩٦ ..... ويتضمّن الرد على ١٧ شبهة وتهمّة في ١٧ مطلب .

المبحث الثاني : الأباطيل والشبهات والتوهّمات في النبيين والمرسلين كما توهموها عن أي القرآن الحكيم .

ص ١٩٧ - ٢٤٨ ..... ويتضمّن الرد على ٢٢ شبهة وتهمّة في اثنين وعشرين مطلب.

**المبحث الثالث :** الأباطيل والشبهات والتوهّمات في عيسى بن مريم والمسيحية كما توهموها في آيات الكتاب الحكيم .

ص ٢٤٩ - ٣١٠ ..... ويتضمّن الرد على ١٥ شبهة وتهمّة في خمسة عشر مطلباً .

**المبحث الرابع:** الأباطيل والشبهات والتوهّمات في شخص خاتم النبيين كما توهموها في آيات الكتاب الحكيم .

ص ٣١٠ - ٤١١ ..... ويتضمّن الرد على ٣١ شبهة وتهمّة في ثلاثين مطلباً .

**المبحث الخامس :** أخطاء مزعومة في القرآن الكريم، واتهام القرآن بمعارضة الحقائق الدينية والتاريخية والكونية والتجريبية وغيرها .

ص ٤١١ - ٤٦٧ ..... ويتضمّن الرد على ٣٦ شبهة وتهمّة في ثلاث وثلاثين مطلباً .

**المبحث السادس :** زعمهم تناقض بعض الآيات . "آيات متناقضة كما فهموا " .

ص ٤٦٨ - ٥١٦ ..... ويتضمّن الرد على ٣٦ شبهة وتهمّة في ستة وثلاثون مطلباً .

**الخاتمة والتوصيات :** ص ٥١٧

**مقدمة الكتاب**

القرآن كتاب الله الأخير، وهو مصدق ومكمل لما أوحاه الله في كتب الأنبياء السابقين، كما أنه مهيمن عليها "مصحح لأخطائها" قال تعالى: {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه} [المائدة: ٤٨] وحتى تبقى كلمة الله شاهدة على خلقه إلى يوم القيامة تكفل بحفظ كتابه الأخير {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [الحجر: ٩] في حين أن الله وُكِّل حفظ الكتب السابقة إلى أصحابها {بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء} [المائدة: ٤٤] ، فحرفوها وأضاعوا منها ما أضاعوا: [المائدة: ١٣]، بل وزادوا عليها ما لم يوح به الله ولم يقله: {يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا} [البقرة: ٧٩].

أقبل المسلمون في كل عصر وحين على مائدة القرآن ينهلون منها بحفظه وتدبره وتعلمه، فخصوه بعناية ومدارسة لم تكن لكتاب قبله، حفظه الملايين من أطفالهم في كل عصر؛ على اختلاف ألسنتهم ولهجاتهم، يتلونونه آناء الليل وأطراف النهار، يتغنون فيه موعود الله ورسوله ﷺ لأهل القرآن: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»<sup>(١)</sup> فعمد علماء الإسلام إلى ترسيخ علومه وفنونه وتفسيره وبيان أحكامه وهديه، فألفت في خدمة القرآن آلاف الكتب التي تزخر بها المكتبة الإسلامية.<sup>(٢)</sup>

تيقن أعداء الإسلام أن مصدر عزة هذا الدين وأهله ، وسرّ تجددده في نفوس المسلمين "القرآن العظيم" ، فأغلقوا دونه القلوب ، وصدوا عن سبيله صدا ، واعترضوه بالألسنة ردًا، وأبرقوا وأرعدوا حتى سال بهم وبصاحبهم السيل وأثاروا الكثير من الأباطيل والافتراءات ضد القرآن الكريم وعصمته ، { وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون } [فصلت/ ٢٦] ، بيد أن القرآن الكريم ظل هو المعجزة العظمى ، والحجة البالغة أبد الدهر لرسول البشرية محمد ﷺ أحكمه الله تبارك وتعالى فأتقن إحكامه ، وفصله فأحسن تفصيله: { كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير } [هود: ١] فلا يتطرق لساحته نقد ولا إبطال ولا اختلاف { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه } [فصلت ٤٢: ] ، فقريش وقد جاءهم نبينا ﷺ بالقرآن وتجاهم به وهو من قبيل صنعتهم التي برعوا بها

(١) - (الترمذي ح (٢٩١٤)، وأحمد ح (٦٧٦٠).) حكم الألباني حسن صحيح وأحمد (٤٠٤/١١). قال صحيح لغيره و وابن حبان (٧٦٦)

(٢) - منقذ بن محمود السقار ، تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين ، ص : ٨ ، الناشر: رابطة العالم الإسلامي ، ط ١ بدون تاريخ .

كانوا حريصين أشد الحرص على الطعن به والغمز فيه إبطالا لرسالة نبيه وتشويهها لدينه فلو وجدوا تناقضا بين آياته واختلافا لتعلقوا به ، وأشاعوه في الناس قصدا إلى الظهور عليه ﷺ وإبطال أمره ، ولكنهم لم يفعلوا فدل ذلك على سلامته من التناقض وبرأته من الاختلاف في ذاته .

وما أدركه أعداء القرآن في القديم أدركه الأعداء الجدد، يقول حاخام إسرائيل الأكبر مردخاي الياهو: "هذا الكتاب الذي يسمونه القرآن هو عدونا الأكبر والأوحد، هذا العدو لا تستطيع وسائلنا العسكرية مواجهته، كيف يمكن تحقيق السلام في وقت يقدر العرب والمسلمون فيه كتابا يتحدث عنا بكل هذه السلبية؟! " (١). ويقول الحاكم الفرنسي للجزائر إبان الاستعمار الفرنسي: "إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية" (٢). ويقول وليم جيفور بالكراف: "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابه" (٣) ومقصود بالكراف بالحضارة الغربية : ما نشاهده في الغرب اليوم من تحلل أخلاقي وتفكك اجتماعي ومظاهر سلبية استعصت على الإحصاء والإحاطة ، وما أعظمه من كتاب ذاك الذي يتصدى لهكذا حضارة! ويقول اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني في مصر: "جئت لأخو ثلاثا: القرآن والكعبة والأزهر" (٤). وأما المبشر جون تاكلي فيقول: "يجب أن نستخدم القرآن - وهو أمضى سلاح - ضد الإسلام نفسه، بأن نعلم هؤلاء الناس (يعني المسلمين) أن الصحيح في القرآن ليس جديدا، وأن الجديد ليس صحيحا " (٥). وهكذا توجهت هم القوم الشريرة إلى إبعاد الأمة المسلمة عن القرآن عبر صنوف من الافتراءات والأكاذيب التي بلغت من كثرتها الألوف من الكتب كما نقل ادوارد سعيد في مقال له في مجلة " التايم " في إبريل ١٩٧٩م بقوله: " إن أكثر من ستين ألفا من الكتب ألفت ضد الإسلام بواسطة المسيحيين الغربيين (٦)، فكم تراه ألف بواسطة الشرقيين!!

(١) - مجلة البيان، العدد: ١٥٩، بتاريخ ذو القعدة ١٤٢١هـ، وجريدة البلاد (السعودية) : ٣٠ رجب ١٤٢١هـ.

(٢) - قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أيدوا أهله، جلال العالم، ص (٣١). مكتبة الصحابة جدة. مكتبة التابعين، القاهرة. ١٩٩٤م.

(٣) - محمد جمعة عبد الله ، رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم، ص (٢٧٨). ط ١، ١٤٠٥هـ.

(٤) - أنور الجندي، الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون، ص (٢٩) ، دار الاعتصام، سلسلة دائرة الضوء.

(٥) - محمد جمعة، رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم ص (٢٦٣). مرجع سابق . مجلة مجمع الفقه الإسلامي (ص: ٢٢٩) ، الدورة السابعة،

العدد ٧، الجزء الرابع لعام ١٩٩٢، واجب المسلمين في نشر الإسلام للأستاذ زيد الفيض (ص: ١٩) .

(٦) - خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس، أحمد ديدات ص (٢٠) ، عن تنزيه القرآن للسقار ص ٨ ، مرجع سابق

يلاحظ الباحث والمتتبع للشبهات المثارة أنها تكررًا ممجوجًا - في الغالب - لأباطيل قديمة أجاب على معظمها السابقون مثل: الجاحظ (ت ٢٥٥) في "الرد على ابن الراوندي" ، وابن قتيبة (ت ٢٧٦) في "مشكل القرآن" ، والإمام الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) في كتابيه "التمهيد ، اعجاز القرآن" ، والقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥) في "تنزيه القرآن عن المطاعن" ، والفراء (ت ٢٠٧) في معاني القرآن ، والزجاج (ت ٣١١) في "معاني القرآن واعرابه" ، والعكبري (ت ٦١٨) في "التبيان في اعراب القرآن" .

وأكثر المطاعن التي توجه للقرآن اليوم مأخوذة من هذه الكتب ونحوها ، غاية ما في الأمر أنهم أخذوا الشبهة وأغفلوا الرد عنها مع المبالغة في التنوع في عرض الشبهة حتى تتعد الشبهة الواحدة في عشرات الصياغات ، فیهياً لك أنك أمام عشرات الشبهات ولست أمام شبهة واحدة . مع كيل التهم للقرآن وللنبي ﷺ . والإعراض عن التهم خير دواء لها والتهم غير الشبهات .

إن الحرب على القرآن الكريم قديمة حديثة، بدأت منذ البواكير الأولى لنزول القرآن الكريم، واندلعت نارها مع أول مجابهة مع الوثنية والشرك، وسجّل القرآن الكريم الجولة الأولى من هذه الحرب على القرآن الكريم وقت نزوله. واستمرت المعركة تشتد حيناً وتهدأ حيناً آخر، ومن الهجمات الشرسة التي تعرّض لها القرآن الكريم زمن الحروب الصليبية تأليف بعض المستشرقين كتاباً بعنوان: دحض القرآن الكريم، كما قاموا بترجمة ألفاظ القرآن الكريم (وليس معانيه) إلى اللغة اللاتينية كمدخل إلى التحريف والتشويه. وماتت كل هذه الجهود وبقى القرآن الكريم مصوناً محفوظاً عن كل سوء.

والهجمة المعاصرة على القرآن الكريم أشدّ ضراوةً من كلّ ما سبق؛ اتخذت في سبيل تحقيق غرضها وسائل متعددة ما بين كتب مؤلفة وقنوات فضائية متخصصة بالطعن، ومواقع على شبكة الإنترنت، وندوات ومؤتمرات يصرح المنتصرون برغبتهم في إقصاء الإسلام؛ فالمنتصر حسب يود أن يمحو الإسلام من العالم، ويصرح غيره بأن الغاية من عملهم هي: ((القضاء على الأديان غير النصرانية)) (١)، بل قامت أمريكا بتأليف قرآن مزعوم تحت عنوان "الفرقان الحق"، والمدهش في كل ما ذكر أن القرآن الكريم هو المنتصر فكراً ، لأن البون شاسع بين

(١) - د. فروخ - الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، ص ٣٦ ، ٤٥، المكتبة العصرية. بيروت ١٩٨٦م.

كلام الله الذي جعله الله هداية ورحمة وطمأنينة لمن لاذ به وآمن به ، وبين تحاريف البشر وزيفهم ، وسيظل الصراع دائر بين الخير والشر بين الحق والباطل وتلك سنة الله في خلقه .<sup>(١)</sup>

ولم تنجح أمريكا في الترويج للقرآن المزيف الذى لفقته، وسقط هذا الزيف وبقى القرآن الكريم ولجأوا إلى فكرة بديلة مأكرة . بدمج وخلط نصوص من الكتب الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن؛ تحت عنوان: مثلث التوحيد . وسقط أيضًا هذا الزيف . . وبقى القرآن الكريم، ثم لجأوا إلى المرأة .. لتفسر القرآن تفسيراً يتفق مع مشروعهم ضد القرآن . « التفسير النسوي للقرآن الكريم ». يحاولون أن يفرضوا افتراءاتهم بالقانون وأن يجعلوها «ثقافة مجتمع وسياسة أمة» لكن الجماهير المسلمة ترفض كل هذه المشاريع التخريبية للمجتمع المسلم. وما أكثر الكتبة المأجورين وعدد المواقع (الغربية والعربية) لا من أجل مهاجمة وشيطنة الإسلام والمسلمين فحسب، ولكن خاصة من أجل إدانة القرآن الكريم ومحاوله تفنيده. فالخلية الفاتيكانية التي لا تكل ولا تهدأ من تقديم كتبه جدد لمواصلة هذه الحرب، القائمة على عدم أمانة لا مثيل لها، من أجل استبعاد الإسلام والمسلمين ومحاوله المساس بمصداقية القرآن الكريم وتحميله كافة مآخذ ونواقص الكتاب المقدس، تعمل بلا هوادة.. والمعادلة جد ساحرة بما أننا حيال كتاب مقدس تم تحريفه، ملئ بالمفاسد والتبديل والتحريف والحذف إلى درجة اختفت معها النصوص الأصلية تحت ذلك الزخم،. ومن ناحية أخرى نجد نصاً منزلاً، لم يخضع لأي عملية من عمليات التحريف: نص متفرد، لا يمكن محاكاته، مبهر ومعجز في آن واحد. فقد تم توثيق القرآن الكريم بدقة متناهية تفوق التصور، بحيث من المحال أن يناله أي تلاعب. إذ أننا نعلم أن عدد السور ١١٤؛ والآيات ٦٢٣٦؛ وكلماته ٧٧٤٣٩. وإن كان العدد يختلف وفقاً للقراءات؛ وعدد الجذور ١٧٩٠. <sup>(٢)</sup>

لذلك لم يقل موريس بوكاي من فراغ، في مقدمة كتابه "الكتاب المقدس والقرآن والعلم": "إن القرآن يحتوي على كلام الله دون أي تدخل من البشر. ووجود نسخ من القرن الأول للإسلام يثبت مصداقية النص الحالي". وفي حديثه عن القرآن والعلم الحديث يوضح

(١) - (موسوعة بيان الإسلام : الرد على الافتراءات والشبهات (ج ١ ص ٤٥) نخبه من كبار العلماء . دار تحفة مصر للنشر ، ط١/يناير ٢٠١٢

(٢) - أ.د. زينب عبد العزيز مقال باسم منشور على صفحتها وعلى صفحة صيد الفوائد بإسم : " القرآن : إعجاز علمي " . و راجع د. محمد عمارة، استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، ص ٢٨، مركز دراسات العالم الإسلامي. مالطة، ط١، ١٩٩٢م. و د. فروخ الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، ص ٣٩ المكتبة العصرية. بيروت ١٩٨٦م.

خمسة نقاط أساسية يحيطنا بها علما ذلك النص الإلهي فيما يتعلق بالخلقة : "وجود ستة مراحل للخلق إجمالاً ؛ تداخل مراحل خلق السماوات وخلق الأرض ؛ خلق الكون ابتداء من كتلة مبدئية واحدة تكون كتلة ستنقسم بعد ذلك ؛ تعدد السماوات والأرض ؛ وجود خلقة وسط بين السماوات والأرض" (١). ثم يؤكد في الخاتمة "إن كافة معطيات الكتاب المقدس لا يمكنها الثبات أمام العلم، بينما كافة ما ورد بالقرآن من معطيات مختلفة قد أثبتتها العلم. وبالفعل، إن القرآن الكريم لا يتضمن أي تناقض بالنسبة للعلم، ولا يترك مكاناً للأفكار الأسطورية الخاطئة أيام فترة التنزيل، ويتضمن معطيات لم يكتشفها العلم إلا في العصور الحديثة. وما من آية من آيات القرآن التي تصف ظواهر الطبيعة تناقض ما تم اكتشافه فعلاً في العصر الحديث وتعلمناه بكل يقين". (٢)

### المعارك الخاسرة ضد القرآن ، لمن كانت العاقبة في كل جولة؟!

إن الحرب الإعلامية المستعرة ضد القرآن دفعت الشعوب الغربية إلى قراءة القرآن لترى ما وعدهم به الإعلام الغربي من فضائح وسوءات ونقائص وعنف وإرهاب؛ لكن ربانية هذا الكتاب المَحْمَل بالهداية الربانية مَسَّتْ قلب كل قارئ للقرآن ومطلع عليه ، والمدهش حقاً أنه على الرغم من هزائم المسلمين المتلاحقة إلا أن القرآن الكريم هو الذي انتصر فكرياً؛ لأن البَوْن شاسع بين كلام الله الذي جعله الله هداية ورحمة لمن لاذ وآمن ، وبين تخريف البشر وزيفهم ، وهكذا كانت ولا زالت العاقبة والنصر للقرآن في كل المعارك التي خاضها القرآن . والسؤال لماذا يخرج القرآن منتصراً في كل المعارك التي قامت ضده؟

الجواب طويل الذيل : فإذا تجاوزنا سحره الروحي وتأثيره النفسي وبيانه الساطع ونقاشه العقلي والمنطقي فالقرآن الكريم يملك ما لا تملكه الكتب الأخرى. ويكفي أن نتدبر التالي :  
الإنفرادات الفطرية ، وعدالة أحكامه وقضايها ، التي انفرد بها القرآن. وأهمها :

١ - القرآن وحده هو الذى بَرَأَ المرأةَ من خطيئة إخراج آدم من الجنة. {فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى} [طه : ١٢٠] ، ففي القرآن الشيطان هو سبب الخطيئة هو الذى وسوس لآدم وأغراه بالخلود وأغواه بالملك. فى الكتاب المقدس المرأة سبب الخطيئة الأولى : ( فَرَأَتْ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ ، وَأَنَّهَا

(١) - د. موريس بوكاي (دراسة القرآن المقدسة والقرآن والعلم الحديث) ، نقلا عن مقال الدكتورة زينب عبد العزيز .

(٢) - المصدر نفسه ص ١٤٤ .

بِحَجَّةٍ لِلْعُيُونِ ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ . فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ ) [التكوين ٣ : ١ - ١٦] المرأة في الكتاب المقدس شر: (وَإِذَا بِامْرَأَةٍ جَالِسَةٍ فِي دَاخِلِ الْمِكْيَالِ . فَقَالَ لِي : «هَذِهِ هِيَ رَمُزُ الشَّرِّ» ) ، [زكريا ٥ / ٥ - ٨ ] ، (فَوَجَدْتُ أَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي قَلْبُهَا أَشْرَاكٌ وَشِبَاكٌ ، وَيَدَاهَا فُيُودٌ ، هِيَ أَمْرٌ مِنَ الْمَوْتِ ، وَمَنْ يُرْضِي اللَّهَ يَهْرُبُ مِنْهَا ، أَمَّا الْحَاطِي فَيَقَعُ فِي أَشْرَاكِهَا) . [الجامعة ٧ / ٢٥ : ٢٨] .

أضف أن العلاقة التي تجمع بين الرجل والمرأة في القرآن الكريم تقوم العلاقة على المودة والرحمة قال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً } [الروم : ٢١] ، أما الكتاب المقدس يأمر المرأة بالخضوع للرجل: ( أَيْتُهَا الزَّوْجَاتُ ، اخْضَعْنَ لِأَزْوَاجِكُنَّ ، كَمَا لِلرَّبِّ . فَإِنَّ الزَّوْجَ هُوَ رَأْسُ الزَّوْجَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا هُوَ رَأْسُ الْكَنِيسَةِ ( جَسَدِهِ ) . وَهُوَ نَفْسُهُ مُخَلَّصُ الْجَسَدِ . فَكَمَا أَنَّ الْكَنِيسَةَ قَدْ أُخْضِعَتْ لِلْمَسِيحِ ، فَكَذَلِكَ الزَّوْجَاتُ أَيْضًا لِأَزْوَاجِهِنَّ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ ) . [الرسالة إلى مؤمني أفسس ٥ : ٢٢ - ٣٣] .

٢- ومن انفردات القرآن: أن القرآن الكريم هو الذي وصف الإله بما يليق به من كمالات . فالله عظيم القدرة، على كل شيء قدير، ليس كمثلته شيء ، واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وهو الحليم اللطيف الخبير .. الكبير المتعالي وهو الجبار المتكبر .. قال الله تعالى: { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) } [الحشر: ٢٢ - ٢٤] . في الكتاب المقدس إساءات بالغة إلى الله، من ذلك: الشيطان يسيطر على الرب الإله أربعين يوماً !! ويوم يتركه ، يتركه إلى حين؟ [لوقا ٤ : ١ - ١٣] . كما أن الرب يندم في الكتاب المقدس: ( فَمَلَأَ قَلْبُهُ الْأَسْفُ وَالْحُزْنَ لِأَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ . وَقَالَ الرَّبُّ: " أَتَحُو الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالزَّوْاحِفِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ ، لِأَنِّي حَزِنْتُ أُنِّي خَلَقْتُهُ ) . [التكوين ٦ : ٦ - ٧] . الرب شاة سيقت للذبح في الكتاب المقدس: [أعمال الرسل ٨ : ٣٢] وأحيانا غير ذلك كمثل: ( لِهَذَا أَكُونُ لَهُمْ كَأَسَدٍ ،

وَأَكْمُنُ كَنَمِرٍ لَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ. وَأَنْفَعُ عَلَيْهِمْ كَذِبَةَ تَاكِلٍ، وَأَمْزِقُ قُلُوبَهُمْ أَشْلَاءَ وَأَفْتَرِسُهُمْ هُنَاكَ كَلْبُوءَةٍ، وَوَحْشٍ الْبَرِّ يُقَطِّعُهُمْ إِرْبًا إِرْبًا " (هوشع ١٣ : ٤-٨]. كما أنه يجب المحارق ورائحة اللحم المشوي جدا ولا يرضى عنهم حتى يشمها .

٣- من أهم انفرادات القرآن الكريم أنه الكتاب الوحيد الذى أعطى العصمة للأنبياء ووصفهم بأكمال الأخلاق والصفات لأهم أسوة وقدوة. قال تعالى: - {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يُشْرِكُونَ} [ النمل: ٥٩]. - {وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ} [ ص: ٤٧]. توضح هاتان الآيتان أن عصمة الأنبياء عليهم السلام إرادة إلهية يمتنع معها وقوعهم فى المعصية . فى الكتاب المقدس إساءات بالغة للأنبياء، من ذلك: نبي الله لوط سكر وزنى بابنتيه: [تكوين ١٩ : ٣٠ / ٣٨]. و نبي الله رآوبين زنى بزوجة أبيه بلهة. [ تكوين ٣٥ : ٢٢]. و يعبدون غير الله: نبي الله هارون عبد العجل ودعا لعبادته: [الخروج: ٣٢ / ١-٦]. نبي الله سليمان يعبد آلهة أخرى غير الرب: ملوك الأول [ ١١ : ٩-١٠] ، الصراع مع الرب: نبي الله يعقوب صارع الرب وهزمه: تكوين [ ٣٢ : ٢٢-٣٠]. الانتحار: نبي الله شاول انتحر: [ صموئيل الثاني ١ : ٤-١١]. القتل: نبي الله أبشالوم قتل أخيه أمنون: [ صموئيل الثاني ١٣ : ١-٢٩].

ولنا أن نتساءل بعد نسبة الكتاب المقدس للأنبياء هذه السوءات: الزنا، القتل، الانتحار، الصراع مع الرب، وعبادة غير الله. و كلها صفات شنيعة لا تليق برجل صالح عادى فأين الأسوة والقدوة للأنبياء؟! وما الحكمة من إرسالهم إلى البشر إن كانوا يمارسون الخطايا؟! وكيف يحاسب الرب عباده إذا كان صفوة خلقه عصاة!؟

٤- من انفرادات القرآن الكريم أنه دين التسامح، دين أنصف الآخر المغاير فكريا له وجعله جزءًا من نسيجه، فالبر والمودة عنون تعامله مع الآخر : {إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [ الممتحنة: ٨]. أحل القرآن ذبائح أهل الكتاب، وأجاز الزواج من نسائهم ، ومن فرائضه العدل مع الخصوم وإيجاب الحكم بالعدل مع الأعداء والمخاصمين : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ } [ المائدة: ٨].

أما القتال في الإسلام والسماح به فهو لمن ظلم دفاعاً عن العقيدة والنفس والمال. {أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)} [الحج: ٣٩] ومشروط بعدم العدوان: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)} [البقرة: ١٩٠] وإن رغب الخصوم في الصلح فالموافقة السريعة: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١)} [الأنفال: ٦١]. والمدهش والغريب أن أكذوبة انتشار الإسلام بالسيف فإننا لا نجد كلمة السيف في القرآن أبداً ولا مرة واحدة في حين . أن المدهش حقاً . أن كلمة السيف ورد في الكتاب المقدس (عدد نتائج البحث ١٦٩٧ حسب موقع الأنبا تكلا هيمانوت ) كما أن لفظ القتل ومشتقاته في الكتاب المقدس (٢٠٨٤ حسب نفس الموقع) مرة في مقابل [٩٨] مرة في القرآن. وفي العدوان على الآخر اسمع معي إلى هذا النص من سفر التثنية: (وَحِينَ تَتَقَدَّمُونَ لِمُحَارَبَةِ مَدِينَةٍ فَادْعُوهَا لِلصُّلْحِ أَوَّلًا. فَإِنْ أَجَابَتْكُمْ إِلَى الصُّلْحِ وَاسْتَسَلَمَتْ لَكُمْ، فَكُلُّ الشَّعْبِ السَّاكِنِ فِيهَا يُصْبِحُ عَبِيدًا لَكُمْ. وَإِنْ أَبَتِ الصُّلْحَ وَحَارَبَتْكُمْ فَحَاصِرُوهَا فَإِذَا أَسْقَطَهَا الرَّبُّ إِلَيْكُمْ فِي أَيِّدِيكُمْ، فَاقْتُلُوا جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السِّيفِ. وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالبَهَائِمُ، وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ أَسْلَابٍ، فَاعْتَمُوهَا لِأَنفُسِكُمْ، وَتَمَتَّعُوا بِعَنَائِمِ أَعْدَائِكُمْ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ الْأُمَمِ الْقَاطِنَةِ هُنَا. أَمَّا مُدُنُ الشُّعُوبِ الَّتِي يَهَبُهَا الرَّبُّ إِلَيْكُمْ لَكُمْ مِيرَاثًا فَلَا تَسْتَبِقُوا فِيهَا نَسَمَةً حَيَّةً، بَلْ دَمِّرُوهَا عَنْ بَكَرَةِ أَبِيهَا، كَمُدُنِ الْحِثِّيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنَعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحُوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ كَمَا أَمَرَكُمُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ، لِكَيْ لَا يُعَلِّمُوكُمْ رَجَاسَاتِهِمُ الَّتِي مَارَسُوهَا فِي عِبَادَةِ آلِهَتِهِمْ، فَتَعُوُوا وَرَاءَهُمْ وَتُحْطِطُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهُكُمْ). [سفر التثنية: ٢٠ / ١٠-١٨].

٥- من انفرادات القرآن وضوح العقيدة وصفواؤها وفطرتها فلا لبس فيها ولا خفاء وأسرار: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤). فالإله واحد أحد في مقابل أن الإله في الكتاب المقدس ثلاثة في واحد ... وأسئلة يحار العقل في إيجاد إجابة مقنعة لها بشأن عقيدة الصلب : من الذى صلب الإله؟! لا بد أنه أقوى من الإله. ومن الذى حكم العالم وأدار شئونه ساعة أن كان الإله مصلوباً؟! ومن الذى أحيا الإله بعد موته؟! ... وألا يستحق أن يكون هو الإله لأنه هو الذى أحيا؟! وكذلك أسلوب معالجة الخطيئة: فالقرآن جعل الاستغفار والتوبة سبيلاً نحو الخطايا وتكفير

الذنوب وهو أمر بين العبد وربّه. قال تعالى: { وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠) } [النساء: ١١٠] والمذنب هو الذى يستغفر، والعقوبة لمن لم يتب يستحقها المذنب نفسه. أما فى الكتاب المقدس فإن معالجة الخطيئة أمر صادم للعقل فصلب المسيح يعلل بأنه فداء للبشرية عن خطيئة آدم ، آدم أخطأ فعوقب عيسى عليه السلام؟ هل يُقبل عقلاً أن يعاقب غير المخطئ عند البشر فى القانون ، المسألة لا تحتاج إلى هذا التعسف فى التفسير. إن مسألة الخطيئة أوجد لها الإسلام الحل المثالى الاستغفار والتوبة .

٦- انفراد القرآن باللغة الراقية والأخلاق الرفيعة: القرآن يدعو لقيم العدالة والخلق الحسن والأمانة ولا تجد فى القرآن كلمات خادشة للحياء . . حتى فى أخص الأمور التى تعبر عن اللقاء الخاص بين الرجل وزوجته . فيعبر عنه بالنكاح . . وبالملاسة أما فى الكتاب المقدس نص نشيد الإنشاد كلام جارح ومثير جنسيًا: وتساءل نفسك هل يمكن أن يكون هذا الكلام الجارح من كلام الرب؟! هل يمكن أن يكتب الرب كتابات مثيرة جنسيًا؟! ومن أمثلة ذلك : ( ١ دَوَائِرُ فَخْدَيْكَ مِثْلُ الحَلِيِّ صَنَعَةَ يَدَيِّ صَنَاعِ . ٢ سُرَّتِكَ كَأَنَّ مُدَوَّرَةً لَا يُعَوِّزُهَا شَرَابٌ مَمْزُجٌ . بَطْنُكَ صُبْرَةٌ حِنْطَةٌ مُسَيِّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ . ٣ تَدْيَاكَ كَحِشْفَتَيْنِ تَوَامِي ظَبْيَةٍ . ٤ ٦ مَا أَجْمَلُكَ وَمَا أَحْلَاكَ أَيُّهَا الحَبِيبَةُ بِاللَّدَاتِ ! ٧ قَامَتْكَ هَذِهِ شَيْهَةٌ بِالنَّخْلَةِ وَتَدْيَاكَ بِالعَنَاقِيدِ . ٨ قُلْتُ وَتَكُونُ تَدْيَاكَ كَعَنَاقِيدِ الكَرَمِ وَرَائِحَةُ أَنْفِكَ كَالثَّقَاحِ ) [نشيد الإنشاد ٧ : ١-٨ ، ] ، ( ١ لَيْتَكَ كَأَخٍ لِي الرَّاضِعِ نَدْيِي ِ أُمِّي فَأَجْدَكَ فِي الحَارِجِ وَأَقْبَلَكَ وَلَا يُخْزُونِي . ٢ وَأَقْوُدُكَ وَأَدْخُلُ بِكَ بَيْتَ أُمِّي وَهِيَ تُعَلِّمُنِي فَأَسْقِيكَ مِنَ الحُمْرِ المَمْزُوجَةِ مِنْ سُلَافِ رُمَانِي . ) [نشيد الإنشاد ٨ : ١-٤] .

٧- من انفرادات القرآن الكريم أنه الكتاب الوحيد الذى حفظ حفظاً أليماً من التحريف أو أن تعبت به يد البشر. قال تعالى: - { إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) } [الحجر: ٩] . { وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) } [يونس: ٣٧] . وحتى القراءات القرآنية التى يطنطون حولها بالشبهات هى قرآن من عند الله بلّغه النبي محمد صلي الله عليه وسلم، فى حين أن علماء الكتاب المقدس يُقرون بما وقع فيه من تحريف وتغيير

وإضافة وحذف بأيدي البشر ... وعلماء الكتاب المقدس ( كما ذكر روبرت كيل تسلر )  
أقروا جملة من الحقائق المذهلة بشأن تحريف الكتاب المقدس : س ١ : أين الأسفار المفقودة  
والتي جاء ذكر عنها في الكتاب المقدس وبأنها ليست أقل من عشرين ؟ س ٢ : ماذا عن  
عدم وجود مخطوطة أصلية للكتاب المقدس . توجد مخطوطات مختلفة ، وتحتوي على أكثر من  
٥٠٠٠٠ خطأ ؟ س ٣ : ماذا عن الإضافة والحذف الذي يتم حتى اليوم مع كل طباعة  
جديدة ؟ !

٨- ومن انفرادات القرآن الكريم : ونترك المجال لها لعالم فرنسي معاصر (موريس  
بوكاي) يذكر لنا هذه الملاحظة والتي هي خلاصة دراسة علمية قام بها وفريق علمي تحت  
إشرافه بعنوان: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم وترجم الكتاب إلى الإنجليزية والعربية وغير ذلك  
من اللغات .(١) يقول د. موريس بوكاي: « إن العهد القديم ( التوراة ) يتكون من حشد  
من الكتابات التي صاغها أفراد من البشر مثلهم مثل الأفراد الذين يصوغون أيّ كتابات  
أدبية وفقاً لثقافتهم على الصياغة والإنشاء اللغوي والكتابة في شتى الموضوعات الأدبية  
literary works وذلك على مدار حوالى تسعمائة سنة. إن أجزاء وأسفار العهد القديم  
تشبه قطعاً من أحجار الفسيفساء كثيراً ما قام البشر على توالى القرون بالتغيير فيها وتبديلها  
« ، ولقد كان الهدف من صياغة الأناجيل صياغة كتابية هو أن يعرف الناس من خلال  
أقوال وأفعال المسيح التعاليم teachings التي كان يرغب المسيح في أن يتركها للناس  
لإكمال رسالته، ولسوء الحظ لم يكن مؤلفو الأناجيل شهود عيان للمعلومات التي كتبوها  
وقاموا بتسجيلها كتابةً... لقد كانوا ببساطة ووضوح مجرد متحدثين رسميين spokesmen  
يعبرون عن معلومات كانت مودعة ثانياً وفي غمار التراث الشفهي للجماعات اليهودية /  
المسيحية بشأن حياة المسيح بوجه عام كما استقرت المعلومات عنها وتم تناقلها وتداولها في  
ثانياً التراث الشفهي أو في ثانياً بعض النصوص المكتوبة التي لم تعد موجودة الآن إذ هي  
مفقودة.

<sup>١</sup> - عن صفحة موقع "بيان الإسلام" دراسة منشورة على الموقع باسم "المعارك الخاسرة ضد القرآن لمن كانت العاقبة في كل جولة؟! بتصرف شديد . الرابط :  
<http://bayanelislam.net/Section.aspx?ID=346&Section=%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B1%D9%83%20%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%B3%D8%B1%D8%A9%20%D8%B6%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-D9%85%D9%82%D8%B1%D9%88%D8%A1%D8%A9>

هكذا يلزم أن ننظر اليوم إلى تلك النصوص اليهودية / المسيحية، ولو شئنا أن نكون موضوعيين ملتزمين بالاعتراف بالحقائق وحدها فمن الضروري أن نتخلى عن محاولات التفسير والتبرير الكلاسيكية التي تحاول أن ترقى بهذه النصوص إلى مرتبة الوحي الإلهي باعتبار أنها كلام الله وحده لم يخالطه كلام البشر ، ولقد كانت النتيجة الحتمية لتعدد المصادر في أناجيل العهد الجديد هي وجود كثير من التناقض التي أعطينا أمثلة عديدة لها. إن التناقضات والمعلومات الخاطئة من وجهة النظر العلمية في العصر الحديث في نصوص الأناجيل قد غدت واضحة تمام الوضوح ويستحيل الدفاع عنها دفاعًا مجديًا مقبولًا.

لكننا نجد لنصوص القرآن الكريم شأنًا آخر وطريقة أخرى في التدوين وطبيعة أخرى في محتوى النصوص ومضمونها ومدى اتساقها التام وانعدام تناقضها مع حقائق العلم الحديث، لقد امتد بالفعل تنزيل القرآن الكريم مُنَجَّمًا ينزل الله عددًا قليلًا من الآيات ثم عددًا آخر على امتداد حوالي ثلاثة وعشرين عامًا، وهي مدة كافية لاستيعاب وحفظ أي قدر من نصوص القرآن الكريم كل نص في حينه أولًا بأول حتى تم حفظ نصوص القرآن الكريم كاملة في ذاكرة جمِّ غفير من المسلمين الأوائل فضلًا عن تدوين وتسجيل عدد من آيات القرآن الكريم كتابة في حياة النبي وتحت إشرافه وبمراجعته.

إن القرآن الكريم يتمتع بميزتين هامتين هما خُلُوهُ التام من التناقض بأي حال من الأحوال، والتناقض هو الآفة التي أصابت روايات التوراة والأناجيل بما لا يدع مجالًا للشك، وكذلك تمتاز نصوص القرآن الكريم بالاتساق وعدم التعارض مع حقائق العلم الحديث. التي تم الكشف عنها في العصر الحديث ، وإجراء مقارنة بين كثير من روايات التوراة لأحداث ووقائع مُعَيَّنَة مع روايات نفس الموضوعات والأحداث والوقائع في القرآن الكريم تُظهِرُ لنا بوضوح الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علميًا ولا منطقيًا وبين رواية القرآن الكريم لنفس الموضوعات رواية تتفق مع النظرة العلمية وتتسق مع المعقولة دون إعطاء أي تفاصيل يمكن دحضها وإثبات أي تناقض فيها بعكس التوراة التي تعطى تفاصيل كثيرة غير صحيحة وغير معقولة وغير مقبولة. «(١)

(١) - د. موريس بوكاي ، دراسة الكتب المقدسة والقرآن والعلم الحديث ،دراسة مقارنة ، انظر مقدمة الكتاب وخاتمته . منقول عن صفحة بيان الإسلام السابقة المذكورة في التعليق السابق .

القرآن هو الكتاب المتفرد : وحده هو الذى برأ المرأة من خطيئة إخراج آدم من الجنة. وحده الذى وصف الإله بما يليق به من كمالات. وحده الذى أثبت العصمة للأنبياء لأنهم أسوة للبشرية وحده هو الذى أنصف الآخر وجعله جزءاً من نسيجه. وحده المتفرد في وضوح العقيدة فلا لبس فيها . وحده المنفرد باللغة الراقية والأخلاق الرفيعة . وحده الذى حُفظ حفظاً إلهياً من التحريف أو أن تعبت به يد البشر. وحده هو الذى توافقت مع حقائق العلم الحديث. لهذا كله كانت ولا تزال كل المعارك التي ضد القرآن خاسرة .. لماذا؟ .. الجواب في كلمة واحدة .. لأنه كلمة الله.

يظهر مما سبق أن دوافع الهجوم على القرآن منها "نفسى" ومنها "معرفى" فالأول يعتمد تزيف الحقائق وتحريفها تعبيرا عن الإخفاق والعجز عن مواجهتها ، فالعجز عن مواجهة الخصم يتحول في الأعم الأغلب إلى الافتراء عليه . كما أن التلبس بالصفات السلبية دافع لوصف الآخرين بما درءاً للاتهام ، وهو ما يعرف عند علماء النفس بـ "الإسقاط" حيث أن الإسقاط حيلة من الحيل الدفاعية التي يلجأ إليها الفرد للتخلص من تأثير التوتر الناشئ في داخله ، ومن هنا كان إخفاق الغرب على المستوى الفكرى والمعرفى - على الرغم من تفوقه سياسيا واقتصاديا وعسكريا-دافعا إلى الخروج عن العقلانية والحوار المنصف ، واللجوء إلى القوة وإلى التشويه والإفساد ظلما وعدوانا . أما الدافع المعرفى وهو إخفاق الغرب في مواجهة الإسلام فكريا على الرغم من هزيمة المسلمين سياسيا واقتصاديا وعسكريا في الوقت المعاصر ولا يزال الغرب يمارس فكرة إقصاء ونبد الآخر بمواصلة الطعن في القرآن وفي نبوة محمد ﷺ في الوقت نفسه ينعت الإسلام بأنه هو الذى يمارس إقصاء الآخر . (١)

### الفكر الإستشراقى والهجمة على القرآن :

لعل من الإنصاف الذى ارساه القرآن أن نعلن أن المستشرقين ليسوا سواء ، فمنهم من وقف مع الحق وأنصفه ومنهم من أساء واعتدى وكذب وظلم. سنتناول الصنفين بتوسع في الفصلين التاليين ، ومن الفكر الإستشراقى الحديث الذى هاجم القرآن الكريم وظهر عندهم العدا والاعتداء : ١- كتاب تيودور نولدكة: (تاريخ القرآن) من أهم الكتب التى ألفها

(١) - موسوعة " بيان الاسلام " بقلم كبار العلماء ، ج ١ ص ٤٦ وما بعدها . مرجع سابق

المستشرقون في تاريخ القرآن وتأثر به وبتأثره من جاء بعده وبنوا عليه وأسسوا دراساتهم اعتماد عليه وأصبح هذا الكتاب انجيل المستشرقين في مرجعية الدراسات القرآنية ( ترجم الكتاب للعربية) .

٢- كتاب جولدتسيهر بعنوان ( مذاهب التفسير القرآني ) ترجمه للعربية د. عبد الحليم النجار .

٣- كتاب جون وانسبرو بعنوان (دراسات قرآنية :مصادر الكتب المقدسة وطرق تفسيرها) .ويعد هذا الكتاب من أخطر كتبه ،حيث تأثر به جانب كبير ممن جاؤوا بعده في البحث القرآني ،علما أن مزاعم وانسبرو تماوت أمام الدراسة العلمية التي قام بها الباحث : سعد بن عبد العزيز الرشيد بعنوان : (كتابات إسلامية من مكة المكرمة) ، حيث برهن الباحث أن النقوش القرآنية التي وجدت مكتوبة على الصخور بمكة المكرمة تثبت بشكل قطعي فساد نظرية وانسبرو التي تزعم أن القرآن الكريم لم ينتج بمكة .

٤- كتاب دون ريتشاردسون بعنوان : (أسرار القرآن) وهو يخلط بين الدراسات القرآنية والسياسة .

٥- كتاب نيل روبنسون بعنوان : ( اكتشاف القرآن: مقارنة عصرية لنص محجب) .

٦- كتاب كريستوف لوكسنبرج بعنوان : ( قراءة سريانية-آرامية للقرآن : مساهمة في تحليل لغة القرآن ) ، وكريستوف هنا في الأعم الأغلب اسم مستعار أو وهمي وهي ظاهرة شاعت في السنوات الأخيرة في الهجوم على القرآن .

٧- كتاب ابن الوراق بعنوان : ( لماذا أنا لست مسلما؟ ) ،يقدم الكتاب نقدا لاذعا قويا ضد الاسلام في منهجية علمية في العرض خالية من الصدق في المضمون . (١)

وهذا غيظ من فيض من حجم الهجمة الشرسة على القرآن والإسلام وصف العلامة محمود شاكر هذه الهجمة أبلغ وأصدق وصف فقال : " لم يكن غرض العدو أن يقارع ثقافة بثقافة ، أو ينزل ضلال بهدى ، أو أن يصارع باطلا بحق ، أو أن يمحو أسباب ضعف بأسباب قوة ، بل كان غرضه الأول والأخير أن يترك في ميدان الثقافة في العالم الإسلامي

(١) - موسوعة بيان الإسلام المجلد الأول ص ٤٧ - ٤٨ ، مرجع سابق، وانظر د. عبد الراضي محمد عبد المحسن ، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ص (١ - ١٥) . أ. ل شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامي، ص ٩، مرجع سابق، نشرة محب الدين الخطيب. بيروت، د. ت.

جرحى وصرعى لا تقوم لهم قائمة ، وينصب في عقولا لا تدرك إلا ما يريد لها أن هو تعرف ، فكانت جرائمه في تحطيم أعظم ثقافة إنسانية عرفت إلى اليوم ، كجرائمه في تحطيم الدول وإعجازها مثلا بمثل " (١).

## الأساليب والمسالك الأربعة التي يتبعونها في إثارة الأباطيل عن القرآن(٢)

١- الكذب في اختراع التهمة : وهو مسلك درج في ظلماته مثيرو الشبهات والأباطيل حول القرآن الكريم حين أعتبهم الحيل أن يجدوا في القرآن مطعنا ، فلما علموا أن الكذب بضاعة ينطلي باطلها على الكثيرين من الدهماء والعامه الذين لن يتيسر لهم اكتشاف هذه الأكاذيب؛ أشرعوا فيه سفنهم، فما زالوا يكذبون، حتى إخالهم لكثرتهم صدقوا أنفسهم فيما يدعون.

وصور كذبهم كثيرة، أكتفي بالتمثيل لها مبتدئا بما قاله وهيب خليل في سياق حديثه عن معجزات المسيح المذكورة في القرآن: "وإن كان بعض المفسرين يحاولون أن يقللوا من شأن السيد المسيح في المقدره قائلين : إنه يصنع هذا بأمر الله، فنجد أن الإسلام يشهد أن هذه المقدره هي لله فقط" (٣). ومن المعلوم عند كل مسلم أو غيره مطلع على القرآن الكريم أن الذي أحال معجزات المسيح إلى قدرة الله وإذنه هو القرآن الكريم، وليس مفسروه {وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني} [المائدة: ١١٠] .

ومن الكذب زعم مؤلفي كتاب شهير؛ اختص بإثارة الأكاذيب على القرآن "التعليقات على القرآن" أن حفاظ القرآن الأربعة ماتوا قبل جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه: "أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد .. فإن هؤلاء الأربعة ماتوا قبل جمع القرآن .. ولما رأى أبو بكر هذا الحال جزع من ضياع القرآن" (٤) .

وقولهم هذا كذب صراح ولا ريب، لأن هؤلاء الأربعة أدركوا جميعا عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، أي أدركوا جمع أبي بكر فأبو الدرداء ولي قضاء دمشق في عهد عمر ، ومات قبل موت عثمان بسنتين. ومعاذ بن جبل مات في خلافة عمر في طاعون عمواس

(٢) - عن مقدمة كتاب ( الظاهرة القرآنية ) مالك بن نبي ص ٢١ . ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر. دمشق ١٤٠٢هـ . ١٩٨١م.

(١) - عن كتاب تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين ، د. منقذ السقار ص ١١-٢٢ ، مرجع سابق

(٢) - استحالة تحريف الكتاب المقدس، وهيب خليل، ص (١٣٣)، والقس وهيب خليل هو الاسم الحقيقي للقمص مرقس عزيز الذي يجد حاليا في الطعن بالإسلام والكذب عليه في قناته الفضائية.

(٤) - (تعليقات على القرآن، ص (٢٩). نقلا عن كتاب منقذ السقار تنزيه القرآن ص ١٢ ، مرجع سابق

سنة ١٧هـ. وأما ثالثهم زيد بن ثابت فهو من جمع القرآن في عهد الصديق ثم عثمان، ومات سنة ٤٥ هـ، أي في زمن معاوية رضي الله عن الجميع. ورابعهم أبو زيد سعد بن عبيد الأنصاري، وقد قتل يوم القادسية في زمن الخليفة عمر بن الخطاب .

ومن صور الكذب أيضا طعن القس العربي الفلسطيني أنيس شروش في عربية القرآن أمام جمهور من الأعاجم الذين لا يعرفون العربية، بقوله: "لكن محمدا استعمل كثيرا من الكلمات والجمل الأجنبية في القرآن ... في كتاب ادعى أن الله أوحاه بالعربية (١)، ومن المؤكد أن القارئ العربي يعرف أنه لا يوجد في القرآن جملة واحدة غير عربية، فقد نزل بلسان عربي مبين، لكن الدكتور شروش يهذي بهذا أمام أعاجم، ولا يستحي من الكذب عليهم. ولما أراد القبطي الأرثوذكسي ثروت سعيد تزكية المسيحيين واعتبارهم مؤمنين بشهادة القرآن الكريم قال في كتابه "حقيقة التجسد"، الذي قدمه وراجع له كل من الأنبا الكاثوليكي يؤانس زكريا والقس البرتستنتي الدكتور منيس عبد النور: "إذا كان اعتقاد القرآن بشرك النصراني؛ فلماذا يصرح في آياته بحلال الزواج من أهل الكتاب .. كما أن نبي الإسلام تزوج من اليهوديات والمسيحيات، وهن: مريم القبطية، وأنجب منها إبراهيم (المسيحية)، وربحانة بنت شمعون النضيرية (اليهودية)، وصفية بنت حبي بن أخطب القريظية (اليهودية)، وجويرية بنت الحارث المصطلقية (اليهودية) (٢).

وقوله بزواج النبي ﷺ من يهوديات ومسيحية كذب صراح، فإنما تزوجهن رسول الله ﷺ بعد دخولهن في الإسلام . ويكفي في بيانه أن نقل بعضا من الحوار الذي جرى بين النبي ﷺ وصفية حين أراد الزواج بها، فقد قال لها: «اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك». فقالت صفية: يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك، وما لي في اليهودية أرب، وما لي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي (٣) . فتزوجها رسول الله وهي مسلمة.

وأما ربحانة فتكذب دعوى المبطلين، وتذكر أن رسول الله تزوجها بعد أن أسلمت،

(١) (مناظرة: القرآن الكريم والكتاب المقدس. أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات وأنيس شروش، ص (١١٥ - ١١٦)).

(٢) - " (حقيقة التجسد، ثروت سعيد رزق الله، ص (١٩٢ - ١٩٣). عن تنزيه القرآن للسقار ص ١٣

(٣) - (أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٢٣)، . الناشر: دار صادر بيروت، تحقيق احسان عباس، ط ١/ ١٩٦٨

وتقول: إني أختار الله ورسوله، فلما أسلمت أعتقني رسول الله وتزوجني، وأصدقني اثنتي عشرة أوقية<sup>(١)</sup>. ويواصل ثروت سعيد الكذب فيزعم أن قوله تعالى: {وإن منكم إلا واردة} [مریم: ٧١] ينبئ بدخول النار والإحراق فيها لكل بني آدم، وينقل عن "جلال الدين يفسر كلمة {واردها} بالدخول والاحتراق"<sup>(٢)</sup>، وقد كذب في نسبة الإحراق إلى السيوطي، فهو غير موجود في شيء من كتبه.

ثم يمضي المبطل فيستشهد لكذبه وباطله بقول النبي ﷺ: «الورود الدخول، ولا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها»، والحديث الذي يستشهد به ضعيف لا يصح نسبه إلى النبي ﷺ وهو أمر قد يجهله فيعفى عنه في ذلك، لكن شيئاً لن يبرر نقله من الحديث ما يروق له، وإعراضه عن تمامه، لمناقضته قوله ودحضه كذبه، فالحديث بتمامه: «الورود الدخول، ولا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار - أو قال: لجهنم - ضحيجاً من بردهم {ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً} [مریم: ٧٢]»<sup>(٣)</sup>، فخاتمة الحديث تثبت نجاة المؤمنين من الإحراق، لكن الكذب والتدليس حيلة من لا حيلة عنده.

## ب. تحريف معاني النصوص وتفسيرها بمعان مشكولة:

يلجأ الطاعنون في القرآن إلى تحريف ألفاظ النصوص الإسلامية وتفسيرها بمعان مشكولة لا يوافق عليها عالم من علماء المسلمين، ومن ذلك قول البابا شنودة: "ولم يقتصر القرآن على الأمر بحسن مجادلة أهل الكتاب، بل أكثر من هذا، وضع القرآن النصارى في مركز الإفتاء في الدين، فقال: {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك} [يونس: ٩٤]، وقال أيضاً: {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} [النحل: ٤٣]»<sup>(٤)</sup>. ومثله في تحريف معاني النص القرآني قول مؤلفي كتاب "تعليقات على القرآن" في تعليقهم على قوله تعالى: {ما فرطنا في الكتاب من شيء} [الأنعام: ٣٨]: "ولا شك أن القرآن لا يشتمل على أكثر

(١) - (أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٣٠). الناشر: دار صادر بيروت، تحقيق احسان عباس، ط١/ ١٩٦٨

(٢) - (حقيقة التجسد، ثروت سعيد رزق الله، (٣٥). عن السقار مرجع سابق .

(٣) - (أخرجه أحمد في المسند ح (١٤٥٦٠)، والحاكم في المستدرک (٤/ ٦٣٠)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ح (٤٧٦١).

(٤) - (بين القرآن والمسيحية، البابا شنودة، ص (٤)، وسيأتي دفع هذه الأبطولة . عن السقار ص ١٤ .

العلوم من المسائل الأصولية والطبيعية والرياضية والطبية، ولا على الحوادث اليومية، بل ولا على ذات قصص الأنبياء؛ فإذا لا يكون كلامه هذا مطابقاً للواقع" (١)، فقد جهلوا أو تجاهلوا أن آية سورة الأنعام لا تتعلق بالقرآن، بل باللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير كل شيء، قال الطبري: "فألم يضيع حفظ أعمال البهائم والدواب في الأرض، والطير في الهواء، حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها، وأثبت ذلك منها في أم الكتاب، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء؛ أخرى أن لا يضيع أعمالكم، ولا يفرط في حفظ أفعالكم التي تجرحونها". (٢)

والآية بمنطوقها واضحة في الدلالة على هذا المعنى الذي ذكره الطبري: {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون} [الأنعام: ٣٨]، ومثلها قول الله: {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين} [هود: ٦] ، فالكتاب الذي حوى مقادير الخلائق وأرزاقها هو اللوح المحفوظ؛ لا القرآن الكريم.

ثم لو فرضنا أن القرآن هو مقصود قوله تعالى: {ما فرطنا في الكتاب من شيء} فإن هذا العموم يفهم منه العقلاء معنى مخصوصاً يفهم من السياق، إذ من السخف بل والخبل أن يظن ظان أن النبي ﷺ حين قرأ هذه الآية قصد أن القرآن يحوي أسماء رجال قريش أو أطعمة فارس أو أسماء البهائم التي خلقها الله، فهذا لا يخطر ببال عاقل ولو كفر بالقرآن وجحدته، لأنه سيحمل العموم في قوله {من شيء} على المعنى المخصوص اللائق به ككتاب ديني، أي ما فرطنا في الكتاب من شيء يصلح حياة الإنسان في دنياه وأخراه، فالقرآن حوى كل ما تحتاجه البشرية مما تختص بذكره النبوات. (٣)

ومن صور التحريف للمعاني ما صنعه القس أنيس شروش مع مستمعيه الإنجليز بقوله: "أنتم معشر المسلمين تعتقدون أن المسيح ما زال على قيد الحياة .. لكننا إذا قارنا

(١) - (تعليقات على القرآن، ص (٢٠).) عن تنزيه القرآن للسقار ص ١٥ .

(٢) - (جامع البيان (١١ / ٣٤٥)، الناشر مؤسسة الرسالة بتحقيق أحمد شاكر، ط ١/ ٢٠٠٠.

(٣) - (وأمثال هذا العموم - الذي يرد به خصوص يفهمه العقلاء - كثير في القرآن وفي كلام العرب وحديث العقلاء، كقوله تعالى عن ملكة سبأ: {وأوتيت من كل شيء} (النمل: ٢٣)، فلم يفهم منه سليمان عليه السلام - ولا العقلاء من بعده - أن ملكة سبأ أوتيت الطائرات والصواريخ والأقمار الصناعية، بل معناه عند جميع العقلاء أنها أوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك عادة، ومثله أيضاً في كلام الناس - اليوم - كثير، كقول الأستاذ: لم ينجح أحد من الطلاب، ومقصوده - ولا ريب - الحديث عن طلاب مادته أو فصله أو مدرسته فحسب، فهو عموم يرد به معنى مخصوص.) تنزيه القرآن ص ١٦ .

هذا بما جاء في القرآن؛ فإننا سنجد تناقضا، فإن القرآن يقول: {والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا} [ مريم: ٣٣ ] "قرأها بالعربية صحيحة، ثم ترجمها لمستمعيه: "وسلام علي يوم ولدت، ويوم مت، ويوم أبعث حيا" (١) ، فحول الأفعال المضارعة - التي يراد منها المستقبل - إلى أفعال ماضية؛ مستغلا جهل مستمعيه بلغة العرب.

ومن تحريف المعاني زعم القمص زكريا بطرس في برنامجه في قناة الحياة أن في القرآن كلمة يستحي القمص من قولها أمام المشاهدين، وهي كلمة (النكاح) التي يفهمها - عقله الكليل - بمعنى الجماع ( ويأتي جواب هذه الأبطولة في الردود ).

### ج. بتر النصوص وإخراجها عن مساقها:

ويعمد مثيرو الأباطيل - وهم يستشهدون بالمصادر الإسلامية - إلى بتر النصوص واجترائها، فيختارون من النص ما يعجبهم، ويدعون ما لا يوافق هواهم وباطلهم، ومن ذلك ما صنعه القمص زكريا بطرس وهو يستدل لعقيدة التثليث بقوله تعالى: {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} [النساء: ١٧١]، فقد تعامى عن أول الآية وتامها؛ لما فيهما من تنديد بالتثليث ووعيد لأهله { ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا } [النساء: ١٧١ - ١٧٢].

وهذا البتر للنصوص عادة للقمص زكريا بطرس لا يمل من معاودتها في برامجه الفضائية، فحين أراد الاستدلال على صحة كتابه المقدس زعم أن القرآن لا يقول بالتحريف اللفظي للتوراة والإنجيل، بل يقول بوقوع التحريف المعنوي فقط، واستدل لذلك بما جاء في تفسير البيضاوي بعد اجتراء كلام البيضاوي وبتره، فيقول القمص: يقول البيضاوي: " {أفتطمعون أن يؤمنوا لكم} يعني اليهود، {وقد كان فريق منهم} طائفة من أسلافهم {يسمعون كلام الله} يعني التوراة، {ثم يحرفونه} أي تأويله فيفسرونه بما يشتهون"، ثم عقب على كلام البيضاوي بالقول: (مش [لم] يغيروا الألفاظ والكلام). وقد تعمد القمص بتر كلام البيضاوي الذي تحدث عن نوعين من التحريف: أولهما تحريف الألفاظ، والآخر تحريف المعاني الذي

(١) - (القرآن والكرام والكتاب المقدس. أيهما كلمة الله؟ أحمد ديدات، ص (٤٥). بدون بيانات .

ذكره القمص، وعبارة البيضاوي بتمامها: " {ثم يحرفونه} كنعنت محمد ﷺ، وآية الرجم. أو تأويله فيفسرونه بما يشتهون (١)، فحذف من عبارة البيضاوي قوله: "كنعنت محمد ﷺ وآية الرجم" لما فيها من إشارة إلى تحريف الألفاظ.

وأعاد القمص هذا الصنيع ثانية، وهو ينقل قول البيضاوي في تفسير قول الله تعالى: {من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه}، فنقل عن البيضاوي أنه قال بالتحريف المعنوي دون اللفظي، فقال: قال البيضاوي: " {يحرفون الكلم} أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها؛ أي يؤولونه على ما يشتهون، فيميلونه عما أنزل الله فيه".

وقد بتر منه ما يخالف مقصده ويفند استدلاله، فعبارة البيضاوي بتمامها: " {يحرفون الكلم} أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها؛ بإزالته عنها وإثبات غيره فيها. أو يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه". (٢)

ومن صور البتر والتحريف ما رأيت عند عدد من كتاب النصارى وقسسهم (٣)، فقد زعموا أن الرازي كان يستشكل القول بنجاة المسيح من الصلب ووقوع الشبه على غيره، ونقلوا عنه قوله: "بالجملة فكيفما كان، ففي إلقاء شبهه على الغير إشكالات: الإشكال الأول: إنا لو جوزنا إلقاء شبه إنسان على إنسان آخر لزم السفسطة .."، ثم يسوقون كلاما طويلا للرازي ملخصه أن القول بصلب غير المسيح بدلا عنه فيه ست إشكالات، نقل هذه الإشكالات عنه ثروت سعيد، وعقب عليها بالقول: "انتهى للإمام فخر الدين الرازي، ولا تعليق"، وهو يوهم قراءه أن هذه الإشكالات يستشكلها الرازي، فيقول: "ولهذا لم يكن بد لعالم نزيه كالإمام العلامة فخر الدين الرازي أن يفند قصة الشبه تنفيذاً محكما". (٤)

والحق أن الرازي رحمه الله ذكر الإشكالات الستة التي يستشكلها النصارى وغيرهم على قول القرآن بنجاة المسيح، ثم لما انتهى من سردها شرع في الرد عليها جميعا، فقال: "فهذا جملة ما في الموضوع من السؤالات: والجواب عن الأول ... والجواب عن الثاني ...".

(١) - أنوار التنزيل، البيضاوي (٨٩/١). الناشر: دار احياء التراث العربي بيروت، تحقيق محمد المرعشلي، ط ١٤١٨/١

(٢) - المصدر السابق (٧٧/٢). مرجع سابق

(٣) - انظر: حقيقة التجسد، ثروت سعيد، ص (٣٢٥)، وقد صنعه القس أسعد وهبة في مناظرته لي حول مسألة "صلب المسيح في العهد الجديد"، وهي منشورة على الشبكة العنكبوتية.

(٤) - حقيقة التجسد، ثروت سعيد، ص (٣٢٤ - ٣٢٦). عن تنزيه القرآن للسفار ص ١٩

وبعد أن رد عليها واحدا واحدا؛ ختم بنتيجة شافية كافية فقال: "وبالجمله فالأسئلة التي ذكروها أمور تتطرق الاحتمالات إليها من بعض الوجوه، ولما ثبت بالمعجز القاطع صدق محمد - صلى الله عليه وسلم - في كل ما أخبر عنه؛ امتنع صيرورة هذه الأسئلة المحتملة معارضة للنص القاطع" (١)، فتعامى ثروت سعيد وغيره من المبطلين عن إتمام قول الرازي، ووقعوا في التدليس المشين حين نسبوا إليه قول النصارى الذي كان يرد عليه.

#### د. محاكمة القرآن إلى مصادر ومعلومات غير موثوقة:

ويلجأ الطاعنون في القرآن من النصارى في إلقاء شبهاتهم إلى محاكمة القرآن إلى مصادر مرفوضة ومطعون في موثوقيتها كالكتاب المقدس الذي يرى المسلمون والمحققون من أهل الكتاب أنه أسفار تاريخية كتبها مجهولون، ونسبت إلى الأنبياء بلا سند يوثقها، وعليه فهذه الكتب مجروح في شهادتها، ولا اعتداد ولا موثوقية في أخبارها، التي يحاكم الطاعنون القرآن بموجبها، فيعرضونها وكأنها مستندات ووثائق تاريخية متفق على صحتها، ثم يخطئون القرآن حين يخالفها ويناقضها، أما إذا رأوه موافقا لها فإنهم لا يحجلون من الزعم بأنه نقل منها، فلا يسلم منهم القرآن حال الموافقة ولا المخالفة.

ومن ذلك تكذيبهم القرآن حين خالفهم في تسمية والد إبراهيم عليه السلام بـ "آزر" [انظر الأنعام: ٧٤]، وحثهم أن التوراة سمته "تارح" [انظر التكوين ١١ / ٢٧]. وكذلك كذبوا القرآن الكريم حين تحدث عن كفالة زوجة فرعون لموسى [انظر القصص: ٩]، لأن التوراة تقول: إن الذي كفله ابنة فرعون [انظر الخروج ٢ / ٥ - ٧].

وكذلك كذبوا أن يكون لون بقرة بني إسرائيل الصفار الفاقع [انظر البقرة: ٦٩]، لأن التوراة تقول تجعلها حمراء اللون [انظر العدد ١٩ / ١ - ٤]، وكل هذه الأخبار التوراتية خاطئة، لا اعتداد بها، وهي أضعف من أن تكون حجة على إخباري أو مؤرخ؛ فضلا عن القرآن العظيم.

كما يولع الطاعنون في القرآن بالغرائب الموجودة في كتب بعض المفسرين، وهي في جملتها منقولة من مرويات وأخبار أهل الكتاب، فيخلطون بينها وبين القرآن، ويجعلون معانيها المنكرة حجة عليه، وفي هذا مجافاة للموضوعية؛ فإن كتب الرجال يحتج لها بالقرآن،

ولا يحتج بها عليه ، ولعل من أهم صور ذلك قصة الغرائق التي أطبق على ذكرها الطاعنون في القرآن، وقد بين علماء الإسلام بطلانها؛ وإن أوردوا مفسرون ومؤرخون وصفهم القاضي عياض بأنهم "المولعون بكل غريب، المتلقون من الصحف كل صحيح وسقيم" (١) ، فلولعهم بذكر الغرائب أثقلت مؤلفاتهم العظيمة بالإسرائيليات وسخيف مقولات الأمم التي تروي ما ترويه بلا زمام ولا قيد؛ فنقل الطاعنون هذه المروييات، ولبسوا على عوام المسلمين حين أوهموهم بصحة هذه الأقوال المنقولة في بعض كتب التفسير، ولا ينسى الخبثاء - في مثل هذه الحال - ذكر أرقام الصفحات التي نقلوا عنها؛ يرومون بذكر هذه التفاصيل مزيدا من الخداع لعوام المسلمين لإيهامهم بصحة ووثاقة المعاني المستقبحة الموجودة في تلك الروايات التي نقلها المسلمون الأقدمون في كتبهم عملا بالقاعدة المشهورة عندهم "من أسند لك فقد أحالك".

ومن ذلك ما نقله الطاعنون عن بعض كتب التفسير لقوله تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب﴾ [ص: ٢١]، فقد أوردوا قصة مزعومة باطلة، وملخصها أن داود عليه السلام رأى امرأة جاره تستحم، فأولع بها، فأرسل زوجها للقتل في الحرب، ثم تزوجها، وأن الله عاتبه على فعله، فبكى أربعين يوما حتى نبت العشب من دموع عينيه<sup>٢</sup>، فهذه القصة الخرافية المستنكرة في معانيها منحولة في أصلها من أسفار التوراة [انظر: صموئيل (٢) ١١ / ١ - ٢٦]، ولم ترد في كتب المسلمين مرفوعة إلى النبي ﷺ بإسناد صحيح أو ضعيف.

ومثله استشهاد الطاعنين في القرآن بما روي عن بعض السلف أنهم قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿ق والقرآن المجيد﴾ [ق: ١ - ٢]: "ق، جبل محيط بجميع الأرض، يقال له جبل قاف"، وعقب ابن كثير على هذا القول الغريب: "وكأن هذا - والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب. وعندني أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم" (٣). ومثله الاستشهاد بما ذكره المفسرون في تفسير قول الله: ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب﴾ [ص: ٣٤]، فذكروا قصة عجيبة، ملخصها أن شيطانا

(١) - الشفا (٢ / ٢٩٠)، الناشر: دار الفيحاء عمان، ط٢/١٤٠٧، وسيأتي بيان هذه الأبطولة.

(٢) - انظر: جامع البيان، الطبري (٢١ / ١٨٤). مرجع سابق

(٣) - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧ / ٣٩٤). الناشر دار طيبة للنشر ط٢/١٩٩٩، تحقيق سامي سلامة .

ألقى عليه شبه سليمان، فكان يأتي نساءه . (١)

قال أبو حيان الأندلسي: "نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالا يجب براءة الأنبياء منها، يوقف عليها في كتبهم، وهي مما لا يحل نقلها، وإنما هي من أوضاع اليهود والزنادقة، ولم يبين الله الفتنة ما هي، ولا الجسد الذي ألقاه على كرسي سليمان، وأقرب ما قيل فيه: إن المراد بالفتنة كونه لم يستثن في الحديث الذي قال: «لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن، فلم تحمل إلا امرأة واحدة، وجاءته بشق رجل» (٢). فهذه المنقولات وأمثالها في كتب التفسير، والكثير منها لا ينسب إلى النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف، ولا يحل أن تعتبر تفسيرا لآيات القرآن، فإن فيها ما يصد عن القرآن، ويفسح المجال لأصحاب الأباطيل للطعن في القرآن الكريم والتلبس على الناس بهذه المرويات الفاسدة.

### القرآن يزداد تألقاً وقوة في وجه الافتراءات :

عند استعراض تاريخ الهجمة على القرآن نجد من خصائص هذا الكتاب التي تصل حد الإعجاز : أنه كلما اشتد الهجوم عليه من معارضيهِ ومنكريهِ ازداد تألقاً وقوة فحقائق القرآن الخالدة تدحض الزيف والافتراء ، فأياته تقوم على إقناع العقل وطمأنينة القلب وفضح الزيف حتى لا يبقى أمام المتمرد إلا أن يؤمن عن بيّنة أو يكفر عن بيّنة . والقرآن وحده القادر على محاربة المتمرد فهو خطاب الخالق للمخلوق { ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير } [ الملك / ١٤ ] . وإنا على يقين أن الهجمة المعاصرة على القرآن ستعود لصالحه كما كانت الغلبة للقرآن في كل الهجمات السابقة فهي :

١- تلفت الإنتباه إلى القرآن الكريم فتدفع العقول الرشيدة إلى البحث والتأمل وكلما بحثت وتأمّلت ازدادت قربا من القرآن لأنه الحق والصدق ، فلقد أتوا إلى القرآن متشككين وما لبثوا أن مست الهداية قلوبهم فعادوا مؤمنين .

٢- توقظ المسلمين من غفلتهم أن ينصفوا القرآن من أنفسهم بعد أن هجروا القرآن عملا وسلوكا وأخلاقا ، فإحساس المسلمين بالخطر جعلهم يلوذون بالله

(١) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٥/ ٢٠٠). الناشر: دار الكتب المصرية القاهرة، ط٢/١٩٦٤، تحقيق احمد البردوني

(٢) - البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٩/ ١٥٥)، دار الفكر بيروت، ط١٤٢٠ ، والحديث مروى في الصحيحين، أخرجه البخاري ح (٣٤٢٤)، ومسلم ح

ويزدادون تمسكا بالقرآن ورجوعا لأحكامه وقيمه .

ولعل من المناسب في هذا السياق أن نلفت الانتباه إلى خصوصية من الخصائص التي انفرد بها القرآن أنه الكتاب الوحيد بين الكتب السماوية التي يحفظه أهله في صدورهم عن ظهر قلب ، وهذه النسخة الفريدة المحفوظة في الصدور والتي يتم تناقلها بين المسلمين تلاوة عن طريق التلقي شفاهة لا يمكن أن تمسها يد التحريف والتزييف من الأعداء وهذه النسخة المتفردة في صدور الحفظة تبطل كل الجهود التي تبذل لتحريف نسخة المصحف المكتوبة ، ومعلوم أن السر في حفظ القرآن على هذا النحو المعجز الفريد لا يعود لجهد البشر ولا لمكانة العرب والمسلمين فقد مرت الأمة بأزمات عديدة ومراحل انكسار كالمحنة المعاصرة ، ولو كان حفظ القرآن منوطا ومرتبطا بهم لذهب القرآن من مئات السنين وإنما حفظ القرآن على هذا النحو المعجز الخالد يعود إلى رب العالمين " . ( ١ )

**أما بالنسبة لهذه الموسوعة التي نأمل بظهورها تباعا فهي تتكون من ثلاثة أجزاء وهذا الجزء الأول منها والذي يتحدث حول النص الداخلي للقرآن وتناقضه والأخطاء المزعومة للطاعنين فيه أو الذين أسأؤوا فهمه ، يتعلق بأباطيل وطعون حول الذات الإلهية في القرآن ، وأباطيل وطعون في الأنبياء في نص القرآن ، وأباطيل وطعون حول خاتم النبيين في نص القرآن ، وأباطيل حول المسيح والمسيحية وتأليه المسيح في نص القرآن ، ثم أخطاء وطعون تاريخية وعلمية ودينية وغيرها ، وأخيرا آيات متناقضة وإشكالات متنوعة ، لكن قدمنا للموسوعة بباب طويل من أربعة فصول حول تاريخ الطعون والتهم للمتعبين ثم بآخر يتحدث عن أقوال المنصفين في القرآن وتأثيره فيهم وأتبعناه بفصل حول أثر القرآن الروحي والنفسي وتأثيره في نفس سامعه وقارئه وأخيرا بفصل حول إشكالات حول النص القرآني تتطلب تصويب النبي الكريم ﷺ لها كما احتاج الجيل الثاني من التابعين لتصويبات الصحابة لفهم النص فهناك الكثير من الآيات فهمت على غير مراد الله منها واحتاجت لتصويب العلماء الراسخين في العلم**

جمع هذا المجلد أهم الطعون والأباطيل والإشكالات والتهم المتعلقة بفهم النص القرآني أو تناقض بنية نص مع نص آخر عند الفهم الكلي ، وهناك طعون أخرى صرفنا النظر

( ١ ) - موسوعة بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات " ج ١ ص ٤٧ - ٥١ ، مرجع سابق .

عنها لتعلقها بشبهات تمت دراستها فأصبحت ساقطة ، ويبدو من الشبهات وناشرها أن أصحابها لا يعرفون لغة العرب وسياقاتها وتصاريفها ، ولو أنهم فتحوا قواميس اللغة ودواوين الشعر لعلموا عن المفردات معانيها الصحيحة وأساليب دخولها في الجمل والسياقات ومعانيها المختلفة لكنهم لا يريدون إلا الطعن وتوجيه التهم .

أما بالنسبة للمجلدين القادمين بإذن الله فأحدهما يتعلق بالنقد الأعلى لنص القرآن ، من كاتبه؟! ، ماهي مصادره ورؤاه؟! ، بمن تأثر وأخذ نصوصه؟! ، مدى تأثره بالعهدين السابقين وتراث الأنبياء قبله؟! ، ثم ماهي دقة نقله؟! وكتابته؟! والطعون الموجه لكتابة القرآن؟! ، وهل أصابه تحريف في كتابته وتسجيله؟! الخ...

أما الثالث فهو في الطعون والتهم التي كملت لمفهوم الجهاد والرق في النص القرآني ، وقضايا المرأة ، والأخطاء اللغوية في القرآن بحسب الفهوم الكليّة وغيرها من القضايا . نسأل الله القبول من لدنه ، وأن يبارك في هذا الجهد ، وأن يثينا عليه ، وأن يجعل لهذا الكتاب القبول في الأرض والسماء ، إنه ولي ذلك والقادر عليه . والله من وراء القصد والدفاع عن كتابه العزيز المراد من هذا الجهد .

لمراسلة الكاتب على العنوان التالي :

ن و ه م خ ه ن ن ن ن ق ق د ز ن خ س ي ي ي ل م ج ن ك ه ه ص

[m.s.tartus@gmail.com](mailto:m.s.tartus@gmail.com)

موبايل ٩٨٨٢٨٩٨٩٢/٠٠٩٦٣

## الفصل الأول : القرآن بين الطاعنين به والمذهولين به "سحر القرآن ، والكيد له"

- المبحث الأول: الطعون والغارات التنصيرية والإستشراقية على القرآن الكريم .
- المبحث الثاني: كيف نظر المستشرقون المستقلون والمعتدلون للقرآن الكريم.
- المبحث الثالث : أثر القرآن وسحره في نفوس و أرواح البشر جميعا .
- المبحث الرابع : أسباب الاختلاف في القرآن والحكمة من المتشابه .

## المبحث الأول :

### الطعون والغارات التنصيرية و الاستشراقية على القرآن الكريم

عرف أعداء الله أهمية كتاب الله تعالى في نفوس المسلمين، ومدى تعلقهم به، وعلموا أنه هو باعث نهضتهم، ومحبي همتهم، وموحد كلمتهم، وسبب نجاحهم وقوتهم . يقول الخاخام الأكبر لإسرائيل - سابقًا - مردخاي الياهو، مخاطبًا مجموعة على وشك الالتحاق بالجيش الإسرائيلي: «هذا الكتاب الذي يسمونه القرآن هو عدونا الأكبر والأوحد، هذا العدو لا تستطيع وسائلنا العسكرية مواجهته، كيف يمكن تحقيق السلام في وقت يقدر العرب والمسلمون فيه كتابًا يتحدث عنا بكل هذه السلبية؟! على حكام العرب أن يختاروا ؛ إما القرآن أو السلام معنا». (١)

وفي بدايات هذا القرن كان الجنود الإيطاليون يتغنون بأنشودتهم: «أنا ذاهب إلى ليبيا فرحًا مسرورًا، لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ومحو القرآن، وإذا مت يا أمه فلا تبكي، وإذا سألك أحد عن عدم حداثك فقولي: لقد مات وهو يحارب الإسلام (٢)». أما الحاكم الفرنسي في الجزائر فيقول: «إننا لن نتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية». (٣) أما المبشر وليم موير: ((إن سيف محمد والقرآن هما أكثر أعداء الحضارة والحرية والحقيقة الذين عرفهم العالم عناداً حتى الآن)) (٤). ويقول وليم جيفورد: «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج

(١) - مجلة البيان، العدد: ١٥٩، بتاريخ ذو القعدة ١٤٢١هـ، وجريدة البلاد (السعودية): ٣٠ رجب ١٤٢١هـ.

(٢) - صلاح الأمة في علو الهمة لسيد عفاني (٥٧٥/٦) نقلاً عن التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية للدكتور أحمد شلبي.

(٣) - قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيضوا أهله، لخلال العالم، ص ٣١ مرجع سابق .

(٤) - إدوار سعيد، الاستشراق، ص ١٦٨، بترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت ط ٢: ١٩٨٤ م.

في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه». (١) ويقول اللورد كرومر في مصر: «جئت لأحو ثلاثاً: القرآن، والكعبة، والأزهر». (٢) {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ} [البقرة: ١٠٩] .

وعلى ذلك يكون الصراع ضد الإسلام عملاً يهودياً نصرانياً مشتركاً تنوعت فيه الأدوار وتوزعت التخصصات ما بين: الخبراء، وشركات الأعمال، والمؤسسات، والإرساليات، والجيوش، ووزارات الخارجية، ووكالات الاستخبارات، وأساتذة الجامعات، والمراكز والمعاهد العلمية، والمستشرقين، وصانعي السياسة (٣). وتكمن خطورة الجهد التنصيري في هذا المجال ليس فقط فيما يستهدفه، بل في كثرة المؤسسات والمنظمات التنصيرية التي تقوم به وتنوعها ما بين علمية وثقافية ودينية واجتماعية، فقد أثمر ذلك الجهد الهائل عن نجاح، إن لم يكن في تحقيق المسعى بتحويل المسلمين عن دينهم، فقد تمثل في تنشئة طبقة من المثقفين المتعاطين لمنتجات الفكر التنصيري الثقافية والعقدية

### دوافع الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم

أولاً: - صرف الأنظار بعيداً عن القرآن، وقد كان ذلك هدفاً لمشركي مكة، وهذا ما اعتقده المنصرون تماماً، يقول المنصرّ وليم جيفورد بالكراف: ((متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه)) والمعنى نفسه كرره المبشر وليم موير: ((إن سيف محمد والقرآن هما أكثر أعداء الحضارة والحرية والحقيقة الذين عرفهم العالم عناداً حتى الآن)). (٤)

ولاشك أن المناعة الذاتية الجبارة التي خلقها القرآن في المسلمين قد حالت بينهم وبين الاندحار الحضاري تأكيد غلادستون أحد موطدي دعائم الامبراطورية البريطانية في الشرق الإسلامي: ((مادام هذا القرآن موجوداً فلن تستطع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان)). (٥)

(١) - قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، لخلال العالم، ص ٤٥ مرجع سابق .

(٢) - الخنجر المسموم ص٢٩. مرجع سابق ، مرجع سابق

(٣) - بتصرف من: إدوارد سعيد، الاستشراق، ص ٣٠٠، بترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت ط٢: ١٩٨٤ م.

(٤) - إدوارد سعيد، الاستشراق، ص ١٦٨، مرجع سابق.

(٥) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص ٤١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧ م.

ثانيا : موقف القرآن الكريم من كتب أهل الكتاب ومعتقداتهم، فقد حدد القرآن الكريم بوضوح وجلاء موقفه من الكتب السابقة، متمثلا في: الهيمنة عليها، قال تعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ } [المائدة/٤٨] وأفضليته وكماله، و كشف التحريف والتبديل الواقع فيها: بالإخفاء والكتمان، أو بالنسيان، أو بالوضع، أو بالتغيير المتعمد، ورفض القرآن زعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، وبكثتهم ودم أخلاقهم وفضح خطيئاتهم { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ } [المائدة/١٨] وأنكر عليهم دعواهم صلب المسيح؛ وكفر الذين قالوا ببنوة المسيح وألوهيته: وقد كان هذا الموقف القرآني الدقيق من العهدين القديم والجديد ومعتقداتهما جداراً صلباً أمام نجاح الفكر التنصيري أو ما يرتبط به من رؤى حضارية في اختراق الحياة الروحية،<sup>(١)</sup> فهل من الممكن حقا إقناع المسلم بأن النصارى لم يزوروا الكتاب المقدس؟ أو أنهم ليسوا مشركين؟ وتساؤلات كثيرة غيرها

ثالثا : إبطال المعجزة القرآنية : أدرك المنصرون أن القرآن أقوى أسلحة المسلمين وأمضاها في صراعهم ضد جحافل التنصير، فعملوا جاهدين على إبطال فاعلية هذا السلاح، بتحجيم قيمته، من مضمونه، ونفي أصالته، تمهيداً لمحاولة سلب محمد صلى الله عليه وسلم شرف النبوة بحجة: ((عدم وجود معجزة تؤيد نبوته)). وقد حدد الواعظ التنصيري ((جون تاكلى)) هذا الباعث من الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم، قائلاً: ((يجب أن نستخدم كتابهم وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً. يجب أن ترى الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً وأن الجديد فيه ليس صحيحاً)).<sup>(٢)</sup>

رابعا: فتح باب النزاع والشقاق بين المسلمين على مصراعيه، يقول تعالى: { وَإِنَّ

الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } [البقرة: ١٧٦] . وبالتالي زرع الفتن بين المسلمين كما قال تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ } [آل عمران: ٧] . ليصلوا لهدم الإسلام: قَالَ عُمَرُ: هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِيهِمْ

(١) - د. عبد الراضي محمد عبد المحسن ، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ، ص ١٥ ، الناشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ط١/١٤٢١ .

(٢) - مصطفى خالددي . عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، ص ٤٠ ، مرجع سابق .

الإسلام؟ قَالَ: قُلْتُ لَا. قَالَ: يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ، وَحُكْمُ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ<sup>(١)</sup>. وبهذا يتحقق لهم ما يريدون، ويصبح المسلمون صيدا سهلا، بل قد يصبح المسلمون في صف الكفار وأتباع ملتهم ، {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ... } [البقرة: ١٢٠] .

## تاريخ الجدل التنصيري والاستشراقي ضد أصالة القرآن

بدأ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن - مبكراً جداً- مع أول صدام بين المسلمين والجماعات المسيحية في الأراضي الخاضعة للدولة البيزنطية، وقامت الشام بأكثر الأدوار وأهمها في تاريخ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن وربانيتها ، نظراً لأنه كان نقطة التقاء الإسلام الفاتح بعقائده وكتابه وشرائعه مع المسيحية الشرقية بمذاهبها المختلفة من أرثوذكسية بيزنطية حاكمة، ونسطورية مخالفة، وآريوسية توحيدية. يضاف إلى ذلك العامل اللغوي الذي مكن مجادلي التنصير المشرقين من الاطلاع بيسر وسرعة على القرآن الكريم في لغته العربية<sup>(٢)</sup> .

### ١- أهم رموز وأفكار مرحلة التأسيس :

يوحنا الدمشقي (ت: ٧٥٠م) : أحد أكبر آباء الكنيسة الأرثوذكسية، وبسبب قيمته الدينية الكبرى نال لقبين ذوي شأن، فلُقّب بـ ((القديس يوحنا)) ، ((يوحنا ينبوع الذهب)) ، وبحكم كونه في خط الصراع الأول ضد الإسلام فإنه سارع بالعكوف على القرآن الكريم تفلية ونبشاً، مسخراً إتقانه العربية، وموظفاً إمامه بالبيئة الثقافية الإسلامية التي يعيش في رحابها ويعايش أعلى مستوياتها العلمية والسلطوية حيث كان من كبار موظفي بلاط الخلافة<sup>(٣)</sup> . وقد عُدَّ يوحنا الدمشقي بالنسبة للكنيسة الشرقية مثل توما الإكويني بالنسبة للكنيسة الغربية بسبب استخدامه الدلائل العقلية إلى جانب الدينية في خدمة الإيمان الأرثوذكسي وتسويغه وذلك باستخدامه الفلسفة اليونانية والهللينستية في تفسير الدين والدفاع عنه<sup>(٤)</sup> .

(١) - (سنن الدارمي بتحقيق حسين الداراني ، ح (٢٢٠)، اسناده صحيح ،الناشر دار المغني للنشر ط١/٢٠٠٠ ، و شرح السنة للبغيوي بتحقيق شعيب الأرنؤوط

(١/٣١٧) الناشر المكتب الإسلامي ط٢/١٩٨٣ .

(٢) - الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ، د. عبد الراضي محمد عبد المحسن ص ١٨ . مرجع سابق

(٣) - الأموية ((١)) د. جواد علي، يوحنا الدمشقي، مجلة الرسالة (مصر) ، (عدد ٦١٠) ، ص ٢٤٣ ، ربيع الأول ١٣٦٤ هـ . مارس ١٩٤٥ م .

(٣) - الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ص ١٩ ، مرجع سابق .

انتهى يوحنا الدمشقي إلى عدة آراء جدلية ضد الإسلام والقرآن والرسول، لخصها في كتابه (ينوع المعرفة) وخصص الفصل (١٠٠ / ١٠١) في قسم البدع للجدل ضد الإسلام (فاعتبر الإسلام بدعة نصرانية فاسدة والقرآن مأخوذ من الكتاب المقدس)، وتتلخص رؤية (١). أ. التشكيك في كون الإسلام امتداداً لحنيفية إبراهيم، يصف بالسرازانيين (الذين ابعدهم سارة بالاحتقار) يصف المسلمين بـ ((المفسدين))

ب. يعالج الإسلام على أنه هرطقة مسيحية. د. يجعل الرسول ﷺ أحد أتباع آريوس، كما يجعله على عقيدة المذهب النسطوري، وذلك بسبب تأكيده على أن المسيح مخلوق وإنسان مجرد، وذلك ما قال به آريوس ونسطور.

هـ. يحرص ما جاء به النبي ﷺ في معرفته الضحلة بما قلّت قيمته من أسفار العهدين القديم والجديد اللذين وقع عليهما النبي صلى الله عليه وسلم مصادفة. و. ما أخذه النبي ﷺ عن الراهب الأريوسي (بحيرا). والقرآن نتاج لأحلام اليقظة.

يمكننا القول بأن جدليات يوحنا ضد القرآن هي الأهم في تاريخ الجدل التنصيري ضد القرآن حيث وضع الدمشقي آراءه في قوالب جدلية مكثفة أصبحت ركيزة الجدل التنصيري في كل أدواره ومراحله التالية، فقد ردد جميع المجادلين بعده بعض أو كلّ قوالب الدمشقي: ((الإسلام هرطقة مسيحية. القرآن تلفيق من العهد القديم والعهد الجديد. تعلم النبي ﷺ من بحيرا الراهب. المسلمون سراسنة)). (٢).

وكل من جاء بعده مثل (تيودور أبو قرّة) (ت ٨٢٦م) تلميذه أو (بارشو لوميو الرهاوي) (ت حوالي القرن الثاني عشر الميلادي)، و(عبد المسيح الكندي) (عاش في القرن العاشر الميلادي تقريباً)، و عاملاً في بلاط الخليفة المأمون وكتب ردّاً على رسالة الهاشمي التي يدعوها فيها إلى الإسلام، وقد لقيت رسالة عبد المسيح الكندي عناية كبيرة من دوائر التنصير حيث نشرت أكثر من مرة لخدمة الإرساليات ليتعلموا منها أساليب مجادلة

(١) - للإسلام (جورج عطية، الجدل الديني المسيحي. الإسلامي في العصر الأموي وأثره في نشوء علم الكلام، ص ٤١٥. ٤١٦، كتاب المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام. جامعة البرموك. عمان ١٩٨٩م. و دانييل ساهاس، جدل يوحنا الدمشقي مع الإسلام، ص ١٢٣. ١٢٨، الاجتهاد. بيروت، عدد (٢٨) السنة السابعة (١٩٩٥. ١٩٩٦م).

(٢) - الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ص ٢١. مرجع سابق، ورشا الصباح، الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى، ص ٧٠٦، مجلة عالم الفكر، عدد (٣) المجلد الخامس عشر. وزارة الإعلام، الكويت.

المسلمين حول القرآن والنبي (ﷺ) ، و(بولس الأنطاكي) (عاش في القرن السابع الميلادي تقريباً) فقد عاشوا على ما نشره يوحنا فم الذهب كما سموه وأوجده من جدليات .

أما (ابن كمونة) (ت ١٢٨٤م) : يُعدُّ أول مجادل تنصيري من اليهود ضد القرآن الكريم، وقد ضمّن جدلياته وتهمه ضد القرآن كتابه "تنقيح الأبحاث للملل الثالث" ، فعقد فصلاً للقرآن الكريم أورد فيه خمسة عشر اعتراضاً على القرآن، منها ثلاثة تتعلق بأصالة القرآن الكريم: منها : يحتمل أن محمداً طالع في كتب من تقدمه أو سمعها فانتخب أجودها، وضمّ البعض إلى البعض (أ) ، تعد مرحلة بدايات الجدل التنصيري في المشرق من أهم أدوار الجدل التنصيري وأخطرها، إذ ألّفت قاعدة الجدل والأساس الذي بنى عليه المنصرون جدلياتهم وأغلوطاتهم في مراحل التنصير المعاصرة ، فجدليات بولس الأنطاكي دعا بعض المعاصرين إلى الاكتفاء بها في بيان موقف النصرانية من الإسلام . (ب)

أما أول من كتب من الأوروبيون ضد الاسلام والقرآن فهم البيزنطيون فكان أكبر هجوم جدلي ضد القرآن فهو ما قام به امبراطور بيزنطة جان كنتا كوزين في كتابيه ((ضد تمجيد الملة المحمدية)) ، ((ضد الصلوات والتراتيل المحمدية)) وكان هذا الهجوم باللغة اليونانية ،(ج) ثم كان دور الإسبان فصنفوا جدلية كثيرة ضد الإسلام وتصدى لهم علماء الإسلام رداً وتفنيداً، مثل: ابن حزم والقرطبي وأبو الوليد الباجي إلخ من خلال هذا المعبر انتقلت الجدليات والأغلوطات التنصيرية للغرب وأبرز الأمثلة على ذلك كتاب (نقض الفقهاء) لاحد الاسبان ، كان له تأثير بالغ في ريكولدو دي مونت كروس الحانق على الإسلام، فصنّف منه أشهر كتبه (تفنيد القرآن) الذي عُني به مارتن لوثر وسارع إلى ترجمته للألمانية عام ١٥٤٢ م. (د)

(٣) - أ. ل شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، نشر محب الدين الخطيب ، ص ٣٠، بيروت ،د.ت و توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ١٠٤، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية و .د. قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ص ٥٧، دار الرفاعي - الرياض ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

(١) - سعد بن منصور بن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثالث، ص ٧٠، نشره موسى برلمان، مطبوعات جامعة كاليفورنيا.

(٢) - لويس شيخو، مقالات دينية قديمة، ص ١، مرجع سابق. ، ابن العسال، الصحاح في جواب النصائح، ص ٤٠، القاهرة سنة ١٦٤٣ قبطية.

وكذلك جدل عبد المسيح الكندي في رسالته الشهيرة التي أصبحت عمدة العمل التنصيري في مجال الإرساليات (أ. ل شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ص ٣٠ / مرجع سابق).

(٣) - (عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ص ٥، دار الجليل، ط)

(٤) - (قاسم السامرائي، الاستشراق به الموضوعية والافتعالية، ص ٦١) . مرجع سابق .

إبان مرحلة الحروب الصليبية وخلال عمليات المجازر والإنتقامات رافقها حركة جدل واسعة استهدفت أصالة القرآن الكريم على يد عدد من الجدليين المشهورين في العصور الوسطى، لكن أبرز ما يميز تلك المرحلة هو كونها إرهاباً بظهور التنصير المؤسسي عقب نهاية حرب الفرسان حاملي السيف والصليب، كذلك فإن أهم نتائج هذه المرحلة هو ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية تلك الترجمة التي ستكون محل دراسة موسعة لاحقاً. أهم رموزها بطرس المحترم (١٠٩٢ - ١١٥٦ م) أول جدليّ ضد الإسلام في الكنيسة الغربية كما يقول المنصرّ إديسون (٢)، قام برحلة إلى الأندلس، ألف عقب عودته منها كتاباً في الرد على الإسلام والقرآن عام ١١٤٣ م، وأمر بترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية، و روجر بيكون الراهب الفرنسي سكاني (١٢١٤ - ١٢٩٤ م) وجه رسالة للبابا اكليمنص الرابع سنة ١٢٦٦ ضمّنها وجوب إدخال اللغة العربية في المناهج الدراسات الجامعية للإفادة منها وسيلة للتبشير ضد الإسلام.. ووجوب دراسة أحوال المسلمين للوقوف على الطرق التي يمكن النفاذ منها إلى هدم عقيدتهم وتقويضها.

ثم وليم الطرابلسي (١٢٧٣ م) و ريموند مارتيني (١٢٢٠ - ١٢٨٤ م) راهب مبشر دومينيكاني أسباني، تبخر في دراسة القرآن، واجتهد في الجدل ضده، فألف كتاباً بعنوان: ((الخلاصة ضد القرآن))، وبلغت به رغبته في تفنيد القرآن أن حاول معارضته بعد أن علم أنه معجزة النبي صلى الله عليه وسلم، فوضع سورة غاية في السخافة والسقامة. (٣)

### مرحلة التنصير المؤسسي :

بدأت هذه المرحلة إثر فشل الحروب الصليبية في تدمير الإسلام فبعد فشل السيف انتقلوا إلى طريق التبشير بناء على وصية القديس لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية السابقة التي انتهت بالفشل ووقوع لويس نفسه في الأسر والسجن في مدينة المنصورة بمصر.

وتلقت الوصية الأنظار إلى صعوبة قهر المسلمين عن طريق القوة بسبب روح الجهاد لديهم، وتوصي بتلمس طريق الغزو الفكري الهادف إلى دحض العقائد الإسلامية

(١) - الغارة التنصيرية د. عبد المحسن عبد الراضي ص ٣٠، مرجع سابق .

(٢) - (قاسم السامرائي، مرجع سابق، ص ٧٨).

(٣) - (عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٢١٣ - ٢١٥، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت ١٩٨٩ م).

وتزييفها<sup>(١)</sup> . ويمكن القول بأن بطل هذه المرحلة بلا منازع هو (ريموند لول) وهو مبشر حانق على الإسلام، كان حلم حياته هدم الإسلام، وصرف حياته لمهمة تنصير المسلمين، وسعى جاهداً لتحقيق هدفه من طريقين<sup>(٢)</sup>:

. طريق شخصي بتصنيف الكتب الجدلية ضد الإسلام والقرآن.

. طريق مؤسسي، بإقناع ملك ميورقة بإنشاء كلية الثالث المقدس لإعداد المبشرين للعمل ضد الإسلام، وفي الغرب بتقديم ثلاث عرائض إلى البابا كليمان الخامس لإنشاء كلية لدراسة العربية، وعدد من كراسي تعليم اللغة العربية في الجامعات المختلفة لتكون من أهم وسائل الجدل ضد الإسلام والقرآن وأفضل الوسائل لتنصير المسلمين.

وبالفعل نجحت مساعي ريموند لول المؤسسية، فقد أمر يعقوب الأول ملك ميورقة بإنشاء كلية الثالث المقدس لإعداد المبشرين وقام لول نفسه بإعدادهم فيها ، وقرّر جمع فيينا الكنسي (١٣١١م) إنشاء خمسة كراسي لتعليم اللغة العربية في أكبر خمس جامعات في أوروبا (باريس، أكسفورد . بولونيا . سلمنكا . جامعة الإدارة المركزية البابوية) وعين للتدريس فيها مدرسين كاثوليكين<sup>(٣)</sup>. ويعد هذا القرار الكنسي البداية الرسمية للتنصير المؤسسي، إذ أثمر عن ظهور أكبر مؤسستين تنصيريتين للعمل ضد الإسلام والقرآن حتى اليوم، وهما :

## (التبشير والاستشراق)

### التبشير :

كلية الثالث المقدس القاعدة و أولى لبنات مؤسسة التبشير ضد الإسلام فكان لول أول معلم مارس التبشير وجال في بلاد المسلمين مبشراً وناقش علماءه ،<sup>(٤)</sup> ولما كان الرهبان ورجال الدين النصارى يؤلفون الطبقة المتعلمة في أوروبا؛ كان من الطبيعي أن يقودوا العمل التبشيري ضد الإسلام نظراً لمعرفتهم لغات المسلمين، فأصبحت الكنائس والأديرة مرتكزات وقواعد للعمل التبشيري لتخريج أهل الجدل الذين يجادلون ضد الإسلام والقرآن<sup>(٥)</sup>.

(١) - (علي حريشة . محمد الزبيق، أساليب الغزو الفكري، ص ٢١، ٢٢، دار الاعتماد. مصر.)

(٢) - (ارنست رينان، ابن رشد والرشدية، عادل زعيتر، ص ٢٦٧ القاهرة ١٩٥٧م.)

(٣) - (سعيد عاشور، الحركة الصليبية (٢ / ١٢٧٩)، مكتبة الأنجلو المصرية، ج ١، القاهرة ١٩٦٣م. . يوهانا فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص ٢٦ . ٢٧٠٢١)

(٤) - (أ. ل. شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ص ١٢ . ١٣٠)، (الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ص ٣٤ - ٣٥ مرجع سابق)

(٥) - (نجيب العفيفي، المستشرقون (١ / ١٠٤) .)

ومن المبشرين ضد القرآن الراهب الدومنيكاني (ريكولدو دي مونت كروس) (١٢٤٣ .  
١٣٢٠ م) بعثه البابا نقولا الرابع إلى الشرق، فتجول مبشراً في فلسطين ومجادلاً باللغة العربية  
ضد القرآن، ثم ألف أهم الكتب الجدلية ضد القرآن بعنوان: (الجدل ضد المسلمين والقرآن)  
ثم كتب الكاردينال نيقولا دي كوزا (١٤٠١ . ١٤٦٤) بتوجيه من البابا بيوس الثاني:  
١ . نقد الإسلام وتفنيده، ٢- و غربة القرآن .

وقام عدد من الآباء الدومنيكانيين والجزويت بتصنيف جدليات ضد القرآن منهم (١)  
: . دينيس: (حول الخداع المحمدي) ١٥٣٣ م . . ألفونس سينا: (التحصين الإيماني) ١٤٩١  
م . . جان دي تيريكيماتا: (بحث للرد على الأخطاء الرئيسية الخادعة لمحمد) ١٦٠٦ م . .  
لويس فييف: (الإيمان المسيحي الحقيقي ضد المحمديين) ١٥٤٣ م . . ميشيل نان: (الكنيسة  
الرومانية اليونانية في الشكل والمضمون للدين المسيحي ضد القرآن والقرآنيين دفاعاً وبرهاناً)  
١٦٨٠ م . لودو فيجو مرتشي: (مقدمة في دحض القرآن) ١٦٩٨ م . وبرز من المبشرين  
الجدليين ضد القرآن في العصر الحديث كل من:

١ . هنري لامانس، مبشر يسوعي وراهب متعصب خلف لويس شيخو في إدارة مجلة  
المشرق، وإدارة المجلة التبشيرية (البشير) كتب ضد القرآن في مقاله: ((هل كان محمد أميناً؟))  
، كتابه ((الإسلام: عقائد ونظم)) .

٢ . وليم موير (١٨١٩ . ١٩٠٥ م) ، مبشر إنجليزي ، كتب جدليتين ضد القرآن: .  
((القرآن: تأليفه وتعاليمه)) ١٨٧٧ م . . ((الجدال مع الإسلام)) ١٨٩٧ م .

٣ . ريتشارد بل : صرف سنين كثيرة في دراسة القرآن ، وله في الجدل ضد القرآن عدة كتب  
ومقالات تبرز التأثير المسيحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وأهمها مقدمته لترجمة القرآن  
التي ضمّنها جدليته الأساسية ضد أصالة القرآن الكريم.

٤ . سانت كلير تسدال ، قسيس مبشر في إيران ، صنف أعنف وأخطر جدلية ضد أصالة  
القرآن الكريم: (المصادر الأصلية للقرآن) وكتبها بالألمانية، ثم ترجمها المبشر وليم موير إلى  
الإنجليزية . (٢)

(١) - (عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٢١١ ، عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن، ص ٥٥)

(٢) - الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ص ٣٥-٣٧

٥ . آرثر جيفرى ، من محررى مجلة العالم الإسلامى التبشيرية وأبرز كتّابها وقد بُعث للعمل فى الجامعة الأمريكية فى بيروت ، ثم إلى مدرسة اللغات الشرقية بالقاهرة. وله عدة جدليات ضد القرآن الكريم ونشر بعضها فى كتابه ((مصادر تاريخ القرآن)) ، وأودع بقيتها فى مقدمة تحقيقه لكتاب المصاحف لأبى بكر بن أبى داود .

٦ . آرينز، مبشر، له جدلية بعنوان: ((عناصر نصرانية فى القرآن)) .

٧ . كينث كراج، خليفة زويمر فى توجيه النشاط التبشيرى فى منطقة الشرق الأوسط، ورئيس تحرير مجلة العالم الإسلامى التبشيرية، ورئيس مؤتمر التبشير المنعقد فى أكسفورد عام (١٩٨٦) ، له كتابان ضد أصالة القرآن، طبعتا أكثر من مرة لمساعدة وعاظ التنصير، وهما: ((نداء المئذنة)) ، ((القبة والصخرة)) . (١)

**الخلاصة:** ردد المبشرون القائمون على الكتابة فيما يخص أصالة القرآن الجدليات القديمة نفسها، بإرجاع القرآن إلى الأصول التوراتية والإنجيلية التى وقف عليها النبي ﷺ مستدلين على ذلك بالعناصر المشتركة بين القرآن وكتب العهدين . (٢)

### المؤسسة الثانية: الاستشراق

بدأ الاستشراق بقانون كنسى حدد مهمة المؤسسة الاستشراقية فى التمهيد والإعداد لارتداد العرب إلى المسيحية (٣)، ولذلك نصّ قرار إنشاء كرسي اللغة العربية بجامعة كمبردج عام ١٦٣٦ م . مثلاً . على أن الكرسي أنشئ: ((بهدف توسيع حدود الكنيسة ونشر المسيحية بين المسلمين الذين يعيشون فى الظلمات)) (٤). ولم تقتصر جوانب التنصير فى المؤسسة الاستشراقية على الهدف وسلطة الإنشاء، بل تعدّتها إلى الممارسة والتنظيم. فقد كان الرهبان فى طليعة المستشرقين (٥) ، ولازالت لهم اليد العليا فى العصر الحديث حيث يزيد عددهم على مائة راهب أما التنظيم والإعداد فقد اضطلع به الفاتيكان، واصطنع للمؤسسة الاستشراقية النفوذ لدى السلطات الحاكمة واضطلع بوسائل التمويل (٦). وربما كانت الطبيعة

(١) - العقيقى، المستشرقون (٣ / ٥٣٧) . مرجع سابق .

(٢) - الغارة التنصيرية على أصالة القرآن ص ٣٩ . مرجع سابق .

(٣) - (Francis Dvornik , The Ecumenical Concils , PP. 65 - 66 , Hawthorn Books. New York 1961) .

(٤) - (عبد اللطيف طيباوى، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ص ٤٧٧،)

(٥) - (العقيقى، المستشرقون (٣ / ٢٤٩)) مرجع سابق .

(٦) - (العقيقى، المستشرقون (١ / ١٠٤)) .

التنصيرية الخالصة للمؤسسة الاستشراقية بعناصرها الأربعة: (سلطة الإنشاء، والهدف، والتنظيم، والممارسة) لكن على الرغم من الطبيعة التنصيرية المشتركة بعناصرها الأربعة بين المؤسسة التبشيرية والمؤسسة الاستشراقية، فهناك فوارق بين المؤسستين تتمثل في أداة العمل التنصيري ومجاله، حيث إن: ((الاستشراق أخذ صورة البحث العلمي وادعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمي، أما دعوة التبشير فقد بقيت في حدود مظاهر العقلية العامة، أي العقلية الشعبية، وبينما استخدم الاستشراق الكتاب والمقال في المجالات العلمية وكرسي التدريس في الجامعة، والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامة، سلك التبشير طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ودور الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء، كما سلك سبيل العمل الخيري الظاهري في المستشفيات ودور الضيافة والملاجئ للكبار ودور اليتامى واللقطاء)).<sup>(١)</sup>

وهذا يعني أن مؤسسة التبشير استهدفت تنصير العامة وذوى الحاجات بما يناسبهما من وسائل واختص الاستشراق بتنصير النخبة والمتقنين، بوسائط علمية وفكرية. وهناك فارق آخر يمكن رصده، يتمثل في المشاركة اليهودية في نشاط المؤسستين: حيث شارك اليهود في الاستشراق بنسبة كبيرة وفعالة لا يمكن مقارنتها بالمشاركة الضئيلة في النشاط التبشيري وإن كان الدور التبشيري الخطير الذى مارسه ((زويمر)): حركياً وتنظيمياً وجدلياً لا يمكن إنكاره)). .

أما فيما يخص أصالة القرآن الكريم والتكليف العقدي للإسلام، فإن المؤسستين تتفقان وتتحدان في استلهام التراث التنصيري وتكراره للمراحل السابقة في أطروحاته الأساسية:<sup>٢</sup>

. الإسلام هرطقة مسيحية.

. محمد ﷺ نبي مزيف لا أخلاقي.

. القرآن تلفيق من كتب العهدين القديم والجديد.

لذلك فإنه كما يقول إدوارد سعيد ساخراً: سيكون مستشرقاً بجأته ومختصاً ألمعياً ذلقاً في أيامنا هذه من يشير إلى الإسلام على أنه هرطقة آرية من الدرجة الثانية، وأن محمداً نبي لا أخلاقي، وأنه ألّف كتابه معتمداً على كتب التوراة والإنجيل .

(١) - (محمد البهي، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ص ٢، الفكر الإسلامي الحديث، ص ٤٥٩ . ٤٦٠، ط ٨، )

(٢) - الغارة التنصيرية، د عبد الراضي ص ٤١ مصدر سابق

وقد بلغ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم ذروته في هذه المرحلة بفضل الوسائل والإمكانات التي توفرت للمؤسسة الاستشرافية، ومن أبرز الجدليات الاستشرافية ضد أصالة القرآن الكريم :

### . جدليات ذات نزعة يهودية:

- ١ . (الحاخام) إبراهيم جيغر، ماذا أخذ محمد من النصوص اليهودية؟ ، بون ١٨٣٣م، ط ٢ لبيزج ١٩٠٢ م، إعادة طبع ١٩٦٩ م.
- ٢ . هيرشفيلد:  
. العناصر اليهودية في القرآن، برلين ١٨٧٨م.  
. مقالة في شرح القرآن، لبيزج ١٨٨٦ م.  
. أبحاث جديدة في فهم القرآن وتفسيره، لندن ١٩٠٢ م.
- ٣ . سيدرسكي، أصل الأساطير الإسلامية في القرآن، باريس ١٩٣٢م.
- ٤ . هورفيتز، بحوث قرآنية، برلين . لبيزج ١٩٢٦ م.
- ٥ . إسرائيل شابيرو، الحكايات التوراتية في أجزاء القرآن، برلين ١٩٠٧م.  
. عناصر من الهجادة في قصص القرآن. لبيزج ١٩٠٧ م.
- ٦ . فايل، التوراة في القرآن ١٨٣٥ م.
- ٧ . جولدزيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وزميله، القاهرة (١٩٤٨ م) .
- ٨ . س. د. جويتين، اليهود والعرب: علاقتهم عبر التاريخ. نيويورك (١٩٥٥ م) .
- ٩ . بيرنات هيلر، عناصر يهودية في مصطلحات القرآن الدينية، (١٩٨٢ م) .
- ١٠ . جوزيف هاليفي، السامريون في القرآن (المجلة الآسيوية ١٩٠٨ م) .
- ١١ . ج فانسبرف، المصادر وطرق لتفسير الكتاب المقدس. طبع بتمويل من جامعة لندن عام ١٩٧٢ م.
- ١٢ . ميشائيل كوك، محمد، مطابع جامعة أكسفورد ١٩٨٧ م.

١٣ . رودى بارت، محمد والقرآن: تاريخ النبي العربي ودعوته، نشر دار كول هامر ضمن سلسلة أربان الألمانية عام ١٩٥٧ م. وأعيد طبعه ١٩٦٦ م. (١)

### جدليات ذات توجه مسيحي.

١ . ج. بوستل، توافق القرآن والإنجيل، (١٥٤٣ م) .  
٢ . كراديفو، راهب بحيرا والقرآن، (١٨٩٨ م) .  
٣ . فلهلم رودلف، صلة القرآن باليهودية والمسيحية، بترجمة عصام الدين حفي ناصف، دار الطليعة. بيروت ١٩٧٤ م.

٤ . جون بيرتون، جمع القرآن، جامعة كمبردج ١٩٧٧ م.  
٥ . ريجى بلاشير، القرآن، بترجمة رضا سعادة، وإشراف الأب فريد جبر، دار الطليعة. بيروت ١٩٧٤ م.

٦ . وولكر باسيلى، طابع الإنجيل فى القرآن، (١٩٣١ م) .  
٧ . بوم شتارك، مذهب الطبيعة الواحدة فى القرآن. مجلة المشرق المسيحي ١٩٥٣ م  
٨ . سترشتين، القرآن: الإنجيل المحمدي، (١٩١٨ م) .  
٩ . ريتشارد بيل، أصل القرآن فى بيئته المسيحية، لندن ١٩٢٦ م، وأعيد طبعه عام ١٩٦٨ م.  
١٠ . تور أندريا، أصل الإسلام والمسيحية، أوصلو ١٩٢٦ م. (٢)

ويلاحظ أن مرحلة التنصير المؤسسي كانت أكثر المراحل وأبعدها أثراً فى الجدل ضد أصالة القرآن الكريم، وذلك لطول فترتها الزمنية منذ بدايتها ١٣١١ م حتى اليوم، ولضخامة الجيش العامل فى مؤسستها: التبشير والاستشراق وكذلك عظم الامكانيات المسخرة لعمل المؤسسات.

ويكفى دليلاً على ذلك الطابور الخامس من المثقفين الذين أفرزتهم المرحلة من الباحثين المسلمين (الجالسين تحت أقدام المستشرقين كما وصفهم إدوارد سعيد) ، الذين ردّوا الأطروحات التنصيرية نفسها، وكان لهم أثر بالغ فى محيط ثقافى واسع، مثل: طه حسين بكتابه ((فى الشعر الجاهلى)) ، محمد خلف الله بكتابه ((الفن القصصى فى القرآن الكريم))

(١) - إدوارد سعيد، الاستشراق الاستشراق . نجيب العقيقى، المستشرقون، (٥٣١ . ٥٤١) . عمر رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (١ / ٢٢٠ . (٢٣١) .

(١) - الغارة التنصيرية ، د . عبد الرضاى ص ٤٢-٤٣ .

، محمد أركون ((الفكر العربي)) وبجته المنشور عام ١٩٧٧ : ((مسألة صحة نسبة القرآن إلى الله)) ، نصر أبو زيد بكتابه ((مفهوم النص)). (١)

## مسالك الجدل التنصيري والظعن في أصالة القرآن الكريم

### الطريق الأول: ترجمة القرآن

كانت ترجمة القرآن هي السلاح الذي سلّه مجادلو التنصير لحو القرآن أو منعه من الغلبة أو تفعيل دوره في الحفاظ على الذات الإسلامية.

إذ إن ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية لم تتم بقصد المعرفة الخالصة أو الفهم المجرد، أو التفاعل والتكامل مع الآخرين، بل إنها تمت بقصد معرفة المواطن التي يمكن الوثوب منها عليه، أو البحث عما يمكن أن يكون نقاط ضعف يتم التركيز عليها لقهر ((الآخر)) وهزيمته والسيطرة عليه (عبد الحميد مذكور، الترجمة والحوار مع الآخر، ص ٤٧،).

يقول يوهان فوك في تأريخه للدراسات العربية في أوربا: ((لقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن)) (٢)، ذكر جورج سيل في مقدمة ترجمته للقرآن بأن الهدف منها هو تسليح النصارى البروتستانت في حربهم التنصيرية ضد الإسلام والمسلمين، لأنهم وحدهم قادرون على مهاجمة القرآن بنجاح، وأن العناية الإلهية قد أدخرت لهم مجد إسقاطه (٣).

وقد سُخِّرت ترجمة القرآن في الجدل التنصيري من طرق: الأول: تشويه الترجمة

عمد المترجمون إلى تشويه ترجمة القرآن بإسنادها إلى مترجمين من الدرجة الثانية والثالثة ومعاملة النص القرآني معاملة مؤلفات بشرية، وذلك للحد من إمكان إقبال غربي على هذه الترجمات والإفادة منها، وبذلك تألّف حاجز نفسي عميق بين غير المسلم والقرآن، وكانت هذه الترجمات أحد أسباب سيول الأباطيل والمطاعن والشتائم التي ساقها كتّاب التنصير ضد القرآن الكريم (٤).

ويعدد صالح البنداق وجوه تشويه ترجمات القرآن، فيما (٥) :-

(١) - الغارة التنصيرية ، د. عبد الراضي ص ٤٤ .

(٢) - (يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق ، ص ١٤) بترجمة عمر العالم، ط ١، دار قتيبة، دمشق. بيروت ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م.

(٣) - (أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٣٥، المنتدى الإسلامي، لندن ١٤١١هـ)

(٤) - (قاسم السامرائي الاستشراق به الموضوعية والافتعالية، ٦٧)

(٥) - محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، ص ١٠١. ١٠٨.

١ . إزاحة الآيات من مكانها التوقيفى لتضليل القارئ وإبعاده عن الإحاطة بحقيقة النص القرآنى.

٢ . الترجمة الحرّة وتحاشي الترجمة العلمية إمعاناً فى التحريف والتضليل، مما يترتب عليه تحوير المعانى وتبديلها، وعرض النص القرآنى كما يراه المترجم، لا كما تقتضيه آياته وألفاظه.

٣ . التقديم والتأخير والحذف والإضافة.

مما يمكن معه القول بأن: ((ترجمات القرآن التى يعتمد عليها علماء الإفرنج فى فهم القرآن كلها قاصرة عن أداء معانيه التى تؤدّيها عباراته العليا وأسلوبه المعجز للبشر (١) .

فالتريمة اللاتينية الأولى للقرآن (ترجمة بطرس الموقر) التى تمت عام ١١٤٣ م اضطلعت فقط بتقديم مضمون الفكرة، ولم تكترث بأسلوب الأصل العربى وصياغته، وقام الدافع التنصيرى حائلاً أمام الوفاء بتحقيق هذا الغرض .

وقد كانت هذه التريمة ((المشوّهة)) الأصل الذى نبعت منه التريجات الأخرى؛ فمنها نبعت التريمة الإيطالية الأولى التى أشرف عليها أريفابيني عام ١٥٤٧ م، وفى سنة ١٦١٦ م ترجم سالمون شفايجر إلى الألمانية عن الإيطالية، وعن الألمانية إلى الهولندية فى سنة ١٦٤١ م (٢) .. الثاني: إضافة المقدمات والملاحق على النص المترجم

أضيف إلى نصوص التريجات ((المشوّهة)) للقرآن الكريم مقدمات تفسيرية وملاحق شارحة لا لمضمون النص المترجم، بل جدليات ضد أصالته، وسخرية من محتواه، ومحاولات للحط منه. فقد تضمنت التريمة اللاتينية الأولى ((ترجمة بطرس الموقر)) عدداً من المقدمات والملاحق منها ٢. مجموعة مختصرة من الوثائق الشيطانية المضادة للطائفة الإسلامية الكافرة.

٣ . مقدمة روبرت الرتيني.

٤ . ((تعاليم محمد)) لهرمان الدالماني.

٥ . ((أمة محمد ونشوزها)) لهرمان الدالماني.

٦ . تاريخ المسلمين (أخبار المسلمين المعيبة المضحكة) .

ولما انتهى الكاردينال يوحنا الأشقوبى الإسبانى (ت ١٤٥٦ م) من تريمة القرآن إلى اللاتينية بمساعدة آخرين ألحق بالتريمة جدلية ضد الإسلام بعنوان: ((طعن المسلمين بسيف

(١) - رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص ٢٤،

(٢) - يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص ١٨. مرجع سابق .

الروح))<sup>(١)</sup> . أما ترجمة جورج سيل الإنجليزية التي ظهرت في لندن عام ١٧٣٤ م وأعيد طبعها أكثر من ثلاثين مرة، فقد تضمنت مقدمة جدلية ضد القرآن وصفت في أدبيات التنصير بأنها قيّمة وأنها أفضل وصف موضوعي للإسلام<sup>(٢)</sup> .

الثالث: عنونة ترجمات القرآن : كتب المترجمون على الأغلفة عنوانات من قبيل: (كتاب محمد، قرآن محمد، القرآن العربي، القرآن التركي، مبادئ السراسنة، الشرائع التركية، الكتاب المقدس التركي، تشريعات المسلمين) <sup>(٣)</sup> .

### الطريق الثاني: البحوث التنصيرية حول القرآن

بدأ هذا المسلك مع بداية مرحلة التنصير المؤسسي، حيث عكفت مؤسستا التنصير: التبشير والاستشراق، على إجراء بحوث ودراسات حول القرآن لتقرير إنسانية مصدره، وتطبيق مناهج نقد النصوص الأدبية على القرآن. وقد أسهمت مدرسة النقد التاريخي في الغرب التي أسسها الكاثوليكي ريتشارد سيمون بكتابه ((التاريخ النقدي للعهد القديم)) عام ١٦٧٨ م ، بدور فعّال في هذا المجال حيث تناولت القرآن الكريم ضمن مبحثين من مباحث النقد التاريخي للنصوص، وهما:

#### أ. مصادر القرآن

ولما كان (نولديكه، وفلهاوزن) من رجال مدرسة النقد التاريخي من كبار علماء المؤسسة الثانية من مؤسسات التنصير (الاستشراق) ، فقد وجّها البحث في هذا المجال إلى القرآن الكريم، وذلك لإضفاء ثوب براق من العملية والمنهجية الزائفة على الادعاء التنصيري القديم بأن القرآن تليفق من التوراة والإنجيل.<sup>(٤)</sup>

فأصبح موضوع ((مصادر القرآن)) فرعاً مستقلاً بذاته في دراسات مؤسستي التنصير: الاستشراق والتنصير.

(١) - راجع الغارة التنصيرية ص ٥٠ . مرجع سابق

(٢) - أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق ، ص ٣٥ . ٣٦ . مرجع سابق .

(٣) - عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، الفصل الذي عقده لترجمات القرآن ، مرجع سابق .

(٤) - الغارة التنصيرية ص ٥١ - ٥٤

وقد حرص مجادلو التنصير في هذا المجال على إرجاع كل كبيرة وصغيرة في القرآن إلى مصدر سابق سواء أكان دينياً أم غير ديني، وقد دارت مصادرهم المقترحة للقرآن الكريم حول مصادر ستة (١):

١. الوسط الوثني في شبه جزيرة العرب (معتقدات، عادات، عبادات، أشعار) وعلى الأخص شعر أمية ابن أبي الصلت. ٢. الحنفاء. ٣. الصابئة.
  ٤. الزرادشتية وديانات الهند القديمة. ٥. النصرانية. ٦. اليهودية.
- ومن بين كتب الجدل ضد أصالة القرآن في هذا المجال:
١. المصادر الأصلية للقرآن، للمبشر البورتستانتى سانت كلير تسدال.
  ٢. مصادر القصص الإسلامية في القرآن وقصص الأنبياء، سايدر سكاى، باريس ١٩٣٢م.
  ٤. مصادر القصص الكتابي في القرآن، سباير.
  ٥. مصادر تاريخ القرآن، آرثر جيفري.
  ٦. محمد، ميشائيل كوك، طبع جامعة أكسفورد ١٩٨٧م.
  ٧. القرآن والكتاب، الخوري الحداد، مطبعة حريصا البولسية، لبنان.
  ٨. مصادر الإسلام، المبشر وليم موير، لندن ١٩٠١م.

## ب. تاريخ القرآن

أدرج هذا الموضوع ضمن مباحث منهج النقد التاريخي التي عاجلت كتاب العهد القديم والعهد الجديد معالجة تاريخية، فصنّف مجادلو التنصير من أتباع مدرسة النقد التاريخي عدة مصنفات جدلية ضد أصالة القرآن الكريم تضعه في مصاف الأعمال ذات المراحل التطورية المتعاقبة، بما يعنيه ذلك من دمج له بالبشرية، تصنيفاً، وتحريراً، وتطويراً. ومن هذه المصنفات (٢):

١. تاريخ القرآن، بوتيه (١٨٠٠ - ١٨٨٣م)، باريس ١٩٠٤م.
٢. التطور التاريخي للقرآن، إدوارد سل، مدارس (الهند) ١٨٩٨م.
٣. القرآن، فلهاوزن (١٨٤٤ - ١٩١٨م) مقال بالمجلة الشرقية الألمانية عام ١٩١٣م.
٤. مواد لدراسة تأريخ نص القرآن، آرثر جيفري، ليدن ١٩٣٧م.

(١) - عمر رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (١ / ٢٣٧ - ٣٦٥). محمد الشرفاوي، الاستشراق، ص ٨٤ - ١١٤، مطبعة المدينة. القاهرة. د. ت.

(٢) - (عمر رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره (١ / ٢٢٠ - ٢٣١). محمد خليفة حسن، مرجع سابق، ص ١٠٣ - ١٠٤).

٥ . تاريخ النص القرآني، أحناس جولدتسهر، جوتنجن ١٨٦٠م، وقد أعيد طبعه والتعليق عليه في مجلدين بواسطة ف. شواللي، ليبترج ١٩٠٩م.

٦ . تاريخ النص القرآني، نولديكه.

٧ . تاريخ قراءات القرآن، برجشتراسر.

### المسلك الثالث: إصدار الدوريات والقواميس ودوائر المعارف المتخصصة<sup>١</sup>

من أبرز الدوريات التنصيرية المتخصصة في الجدل ضد القرآن الكريم: مجلة العالم الإسلامي، الحقيقة الواضحة، مجلة الإسلام: الألمانية، والفرنسية، والروسية.

ومن أهم دوائر المعارف التنصيرية في هذا المجال ((دائرة المعارف الإسلامية)).

التي صدرت طبعها الأولى باللغات الثلاث: الإنجليزية والفرنسية والألمانية في الفترة من ١٩١٤م إلى ١٩٤٢م، وتوفر على إصدارها عتاة المستشرقين والمبشرين بإشراف الاتحاد الدولي للمجامع العلمية، ولما نفذت هذه الطبعة بدأ إصدار طبعة جديدة اعتباراً من سنة ١٩٥٤م.

وبدأ صدور الترجمة العربية للطبعة الأولى منذ عام ١٩٣٤م، وفي عام ١٩٩٧م صدرت ترجمة كاملة لدائرة المعارف الإسلامية بالتعاون بين الهيئة المصرية العامة للكتاب ومركز الشارقة للإبداع الفكري. وتعد هذه الدائرة أضخم عمل مرجعي عن الإسلام، كما أنها تتصف بصفة العالمية حيث شارك في تصنيفها قرابة ثلاثة آلاف مؤلف ينتمون إلى مختلف الجنسيات والديانات، مما أعطاها زخماً كبيراً في مجال الجدل ضد أصالة القرآن بما لها من انتشار وقبول. وقد وقرت كل تلك الخصائص للدائرة سمات العمل التنصيري الناجح في تشويه حقائق الإسلام وإثارة الشبهات حول أصالة القرآن.

يقول فريد وجدي: ((إن أكثر كتاب الدائرة قسس مبشرون يهتمهم أن يحيفوا الإسلام لا أن ينصفوه))، لذلك يصف رشيد رضا مباحث الدائرة بما فيها من أغلاط ومطاعن ومخالفة الحقائق، بأنها: ((أضُرُّ من شر كتب دعاة المبشرين وصحفهم)).

ويكفي استعراض ما سطره المبشر الأمريكي ماكدونالد في الدائرة.<sup>(٢)</sup>

### المسلك الرابع: ترويح المزاعم وإثارة الشبهات<sup>(١)</sup>

(١) - د. عبد الراضي عبد المحسن، الغارة التنصيرية ص ٥٦ . مرجع سابق .

(٢) - (أعراب عبد الحميد، دائرة المعارف الإسلامية، ص ٩، ٨-١٥، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي)، والغارة التنصيرية ص ٥٧

منذ أرسى الدمشقي دعائم جدليته الأساسية ((الإسلام هرطقة مسيحية)) ، ولازال الجدل التنصيري يرددها عبر مراحلها المختلفة ففي العصور الوسطى تلقفها توما الإكويني الذي صبغ العصور الوسطى برؤيته، فوصف الإسلام بأنه دين زائف وهرطقة بدعية . وفي العصر الحديث أكد المبشر الأمريكي ماكدونالد، مؤسس مدرسة كينيدي لإعداد الإرساليات التبشيرية، وصاحب الدراسات الواسعة عن الإسلام ومؤلف أكثر من ((مادة)) من مواد دائرة المعارف الإسلامية، أكد فيها على أن ((الإسلام مسيحية مهترقة)) (١). وتجسدت هذه الجدلية في الأعمال الأدبية والفنية التنصيرية ففي ((الكوميديا الإلهية)) لدانتى الذي كان يتبنى الفلسفة اللاهوتية لتوما الإكويني، وهو ما تفرع عنه زعمان وشبهتان رئيستان روجتهما دوائر الجدل التنصيري في جدلياتها ضد أصالة القرآن، وهما:  
أ. القرآن تلفيق من اليهودية والنصرانية.

يقول المستشرق اليهودي إبراهيم جيحر في كتابه ((ماذا اقتبس محمد من اليهودية)): :  
((إن القرآن مأخوذ باللفظ أو بالمعنى من كتب اليهود)) (٢) .  
ويؤكد اليهودي برنارد لويس: ((أن محمداً خضع للتأثيرات اليهودية والمسيحية كما يبدو ذلك واضحاً في القرآن)) (٣) .

ويشرح جولدتسهر قائلاً: ((تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديدة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة... فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعد هذه التعاليم وحياً إلهياً)) (٤).

ويستدل الخوري الحداد المبشر اللبناني في جدليته الضخمة ضد أصالة القرآن (صدرت هذه الجدلية منتصف القرن العشرين في أربع مجلدات طبعتها مطبعة حريصا البولسية في لبنان بعنوان ((دروس قرآنية)) ، مع عنوان خاص لكل كتاب، يجسد فيه مضمون جدليته، وجاءت على النحو التالي: .

(١) - الغارة التنصيرية ص ٥٧ . مرجع سابق .

(٢) - (إدوارد سعيد، الاستشراق، ص ٢٢٠ مرجع سابق).

(٣) - (محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، ص ١٠٨) . مرجع سابق .

(٤) - (غراب، رؤية إسلامية للاستشراق ، ص ١١٢) . مرجع سابق .

(٥) - (جولدتسهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ١٢، بترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة ١٩٤٨ م.)

١ . الإنجيل والقرآن .

٢ القرآن والكتاب .

٣ . القرآن والكتاب وهو تكملة للجزء الثاني .

٤ . نظم القرآن والكتاب .

وقد تصدى له الشيخ محمد عزة دروزه في ردِّ تفصيلي في كتابه ((القرآن والمبشرون)) الصادر عن المكتب الإسلامي بدمشق، ، على صحة مزاعم أسلافه من المنصرين، بقوله: ((فوجود العالم المسيحي ورقة بن نوفل في جوار محمد خمسة عشر عاماً قبل البعثة، وأعواماً بعدها في أوائل الدعوة ووجود هذه الحاشية الكريمة في المدينة مع النبي في كل زمان ومكان حجة قاطعة على أن بيئة النبي والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها، وأن ثقافة محمد والقرآن كتابية في كل مظاهرها، وذلك بمعزل عن الوحي والتنزيل)) (١) .

ب . القرآن تكرر لقصص العهد القديم والجديد

ساق مجادلو التنصير هذا الزعم تخصيصاً لما أجمل في الشبهة السابقة، استناداً إلى العناصر المشتركة بين القصص القرآني وقصص العهدين .

يقول جولدتسهر: ((لقد أفاد محمد من تاريخ العهد القديم وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء ليذكر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم ووقفوا في طريقهم)) (٢) .

أما المستشرق اليهودي فنسك فيخرج بدائرة الإفادة عن حدود العهد القديم، ويربط لنا بوضوح بين هذا الزعم وسابقه والفرضية الأساسية والمنطلق الذي تفرعت عنه هذه الادعاءات قائلا: (النبي كان يبشر بدين مستمد من اليهودية والنصرانية، ومن ثمَّ كان يردد قصص الأنبياء المذكورين في التوراة والإنجيل، لينذر قومه بما حدث لمكذَّبي الرسل قبله، وليثبت أتباعه القليلين من حوله) (٣)

(١) - (الحداد، القرآن والكتاب (٢ / ١٠٦٠) مرجع سابق.)

(٢) - (جولدتسهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ١٥ مرجع سابق، مذاهب التفسير الإسلامي))، ص ٧٥، بترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة ١٩٥٥ م)

(٣) - (غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٩١)، الغارة التنصيرية، د. عبد الراضي ص ٥٧ - ٦٢ .

## الفصل الثاني

### لكن هذا ما قاله مستشرقون آخرون عن القرآن

لن استطيع مهما حاولت، ان اصف الاثر الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكد انتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون، فكانت هذه اول صلاة لي في الاسلام...<sup>(١)</sup> (بريدجت هوني

ان القرآن كتاب تربية وتثقيف، وليس كل ما فيه كلاماً عن الفرائض والشعائر، وان الفضائل التي يحث عليها المسلمين من اجمل الفضائل وارجحها في موازين الاخلاق، وتتجلى هداية الكتاب في نواحيه كما تتجلى في اوامره.. سيدني فيشر<sup>(٢)</sup>

#### قصة غاري ميلر صاحب كتاب "القرآن المذهل"

ليس المسلمون وحدهم من أطلق على القرآن الكريم أنه رائع ومددهش ، ومن هؤلاء: أستاذ اللاهوت وعالم الرياضيات الدكتور "جاري ميلر"<sup>(٣)</sup>

عام ١٩٧٧ قرر المبشر الكندي النشط وأستاذ الرياضيات والمنطق في جامعة تورنتو الدكتور غاري ميلر أن يقدم خدمة جليلة للمسيحية بالكشف عن الأخطاء العلمية والتاريخية في القرآن الكريم، بما يفيد زملاءه المبشرين عند دعوة المسلمين للمسيحية ولكن الرجل

(١) - Ayesha Bridget Honey نشأت في اسرة انكليزية مسيحية، وشغفت بالفلسفة، ثم سافرت إلى كندا لاكمال دراستها، وهناك في الجامعة اتبع لها ان تتعرف على الاسلام، وان تنتهي اليه، وقد عملت مدرسة في مدرسة عليا في نيجيريا عن رجال ونساء اسلموا ١/٥٩ - ٦٠.

(٢) - الدكتور Sydney Fisher: استاذ التاريخ في جامعة اوهايو الامريكية، وصاحب الدراسات المتعددة في شؤون البلاد الشرقية التي يدين الاكثرون من ابناؤها بالاسلام. مؤلف كتاب (الشرق الاوسط في العصر الاسلامي) والذي يناقش فيه العوامل الفعالة التي يرحب اليها تطور الشعوب والحوادث في هذه البلاد اولها الاسلام. (٢) الشرق الاوسط في العصر الاسلامي، عن العقاد: ما يقال عن الاسلام، ص ٥٤.

(٣) - جاري ميلر (بالإنجليزية Gary Miller): من مواليد ١٦ أكتوبر تشرين 1948. (رجل أعمال وسياسي أمريكي، عضو بالكونغرس الأمريكي عن الحزب الجمهوري من ولاية كاليفورنيا منذ عام ١٩٩٩ ، هذا الرابط لتحميل الكتاب باللغة العربية والإنكليزية : [http://hany-](http://hany-mowafy.blogspot.com/2013/10/pdf_10.html)

الذي دخل بمنطق تصيد الأخطاء وفضحها، غلب عليه الإنصاف وخرجت دراسته وتعليقاته أفضل مما يمكن أن يكتبه معظم المسلمين دعاية للكتاب الحكيم. وكان أول ما أذهله: هو صيغة التحدي التي برزت له من في مواضع كثيرة من مثل " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً"، "فأتوا بسوره من مثله"، "عشر آيات"، "آية"، دخل الرجل الحلبة متحدياً وخرج منها منبهاً بما وجده

كان يتوقع أن يجد القرآن كتاباً قديماً مكتوباً منذ ١٤ قرناً يتكلم عن الصحراء وما إلى ذلك، لكنه دُهِش لما وجد فيه، واكتشف أن هذا الكتاب يحتوي على أشياء لا توجد في أيّ كتاب آخر في هذا العالم

ما يلي بعضاً من نتائج تدبره كما جاء في كتابه: "القرآن المذهل":

١- "لا يوجد مؤلف في العالم يمتلك الجرأة ويؤلف كتاباً ثم يقول هذا الكتاب خال من الأخطاء ولكن القرآن على العكس تماماً يقول لك لا يوجد أخطاء بل يتحداك أن تجد فيه أخطاء ولن تجد ، وأكثر ما أثاره قوله { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } ، [النساء: ٨٢]: يقول الدكتور غاري ملير عن هذه الآية : "من المبادئ العلمية المعروفة في الوقت الحاضر هو مبدأ إيجاد الأخطاء، أو تقصّي الأخطاء في النظريات إلى أن تثبت صحتها، والعجيب أن القرآن يدعو المسلمين وغير المسلمين إلى إيجاد الأخطاء فيه، ولن يجدوا.

٢- لا يستعرض القرآن أيضاً من الأحداث العصبية التي مرت بالنبي ﷺ مثل وفاة زوجته خديجة أو وفاة بناته وأولاده. بل الأغرب أن الآيات التي نزلت تعقياً على بعض النكسات في طريق الدعوة، كانت تبشر بالنصر، وتلك التي نزلت تعقياً على الانتصارات كانت تدعو إلى عدم الاغترار والمزيد من التضحيات والعتاء. لو كان أحد يؤرخ لسيرته لعظم من شأن الانتصارات، وبرر الهزائم، ولكن القرآن فعل العكس تماماً، لأنه لا يؤرخ لفترة تاريخية بقدر ما يضع القواعد العامة للعلاقة مع الله والآخرين.

٣- توقف ميلر عند قوله تعالى: { قل إني أعظكم أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تنفكروا } [سبأ: ٤٦] ، مشيراً إلى التجربة التي أجراها أحد الباحثين في جامعة تورنتو عن "فعالية المناقشة الجماعية"، وفيها جمع أعداداً مختلفة من المناقشين، وقارن النتائج فاكتشف أن أقصى

فعالية للنقاش تكون عندما يكون عدد المتحاورين اثنين، وأن الفعالية تقل إذا زاد هذا العدد.  
٤ - هناك سورة كاملة في القرآن تسمى سورة مريم وفيها تشریف لمريم عليها السلام بما لا  
مثيل له في الكتاب المقدس، بينما لا توجد سورة باسم عائشة أو فاطمة. وكذلك فإن عيسى  
عليه السلام ذُكر بالاسم ٢٥ مرة في القرآن في حين أن النبي محمد لم يذكر إلا ٥ مرات  
فقط.

٥ - يرى المنكرون للوحي وللرسالة أن الشياطين هي التي كانت تملي على الرسول ما جاء به،  
والقرآن يتحدى: {وما تنزلت به الشياطين، وما ينبغي لهم وما يستطيعون} [الشعراء: ٢١٢].  
فهل تؤلف الشياطين كتاباً ثم تقول لا أستطيع أن أولفه، بل تقول: إذا قرأت هذا الكتاب  
فتعود مني؟

٦ - لو كنت في موقف الرسول ﷺ هو وأبي بكر محاصرين في الغار، بحيث لو نظر أحد  
المشركين تحت قدميه لرآهما. ألن يكون الرد الطبيعي على خوف أبي بكر: هو من مثل "دعنا  
نبحث عن باب خلفي"، أو "أصمت تماماً كي لا يسمعك أحد"، ولكن الرسول ﷺ قال  
بهدوء: {لا تحزن إن الله معنا} [التوبة: ٤٠]، "الله معنا ولن يضيعنا". هل هذه عقلية كذاب  
أو مخادع، أم عقلية نبي ورسول يثق بعناية الله له؟

٧ - نزلت سورة المسد قبل وفاة أبي لهب بعشر سنوات. وكان أمامه ٣٦٥\*١٠ = ٣٦٥٠  
فرصة لإثبات أن هذا الكتاب وهم، ولكن ما هذا التحدي؟ لم يسلم أبو لهب ولو بالتظاهر،  
وظلت الآيات تتلى حتى اليوم. كيف يكون الرسول واثقاً خلال عشر سنوات أن ما لديه  
حق، لو لم يكن يعلم أنه وحي من الله؟

٨ - وتعليقاً على قوله تعالى {ما كنت تعلمها أنت ولا قومك} [هود: ٥٠]، تعقيباً على  
بعض القصص القرآني، يقول ميلر: "لا يوجد كتاب من الكتب الدينية المقدسة يتكلم بهذا  
الأسلوب، إنه يمد القارئ بالمعلومة ثم يقول له هذه معلومة جديدة!! هذا تحد لا مثيل له؟  
ماذا لو كذبه أهل مكة - ولو بالادعاء - فقالوا: كذبت كنا نعرف هذا من قبل. ماذا لو  
كذبه أحد من الباحثين بعد ذلك مدعياً أن هذه المعلومات كانت معروفة من قبل؟ ولكن  
كل ذلك لم يحدث.

٩ - من الآيات التي وقف الدكتور غاري ملير عندها طويلاً هي الآية: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ

كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } [الأنبياء: ٣٠]

يقول : إن هذه الآية هي بالضبط البحث العلمي الذي حصل على جائزة نوبل عام ١٩٧٣ وكان عن نظرية الانفجار الكبير، وهي تنصُّ أن الكون الموجود هو نتيجة انفجار ، ضخّم حدث منه الكون بما فيه من سموات وكواكب، فالرتق هو الشيء المتماسك في حين أن الفتق هو الشيء المتفكك، فسبحان الله

أما الجزء الأخير من الآية وهو الكلام عن الماء كمصدر للحياة، يقول الدكتور غاري ملير: "إن هذا الأمر من العجائب؛ حيث إن العلم الحديث أثبت مؤخرًا أن الخلية تتكون من السيتوبلازم الذي يمثل ٨٠٪ منها، والسيتوبلازم مكون بشكل أساسي من الماء، فكيف لرجل أمِّي عاش قبل ١٤٠٠ سنة أن يعلم كل هذا لولا أنه متصل بالوحي من السماء؟! و يشير د. ميلر إلى ما ورد في الموسوعة الكاثوليكية الجديدة تحت موضوع "القرآن"، وكيف أنّها ورغم تعدد الدراسات والمحاولات للغمز في صدق الوحي القرآني، (مثل أنه خيالات مريض أو نفث شياطين، أو كان يعلمه بشر، أو أنه وقع على كتاب قديم، ... الخ)، إلا أنّها انتهت إلى: "عبر القرون ظهرت نظريات كثيرة حول مصدر القرآن إلا أن أيّ من هذه النظريات لا يمكن أن يعتد به من رجل عاقل". ويقول د. ميلر إن الكنيسة التي كان بودها أن تتبنى إحدى هذه النظريات التي تنفي صدق الوحي لم يسعها إلا أن ترفض كل هذه النظريات، ولكنها لم تملك الجرأة على الاعتراف بصدق نظرية المسلمين (١).

## جيفري لانغ والصراع من أجل الإيمان

وُلِدَ عالم الرياضيات الأمريكي جيفري<sup>٢</sup> لانج عام ١٩٥٤م. حصل على درجة الدكتوراه من جامعة بوردو، وهو حاليًا أستاذ في قسم الرياضيات في جامعة كنساس. يروي جيفري لانج في كتابه (الصراع من أجل الإيمان) (١) تجرّبه المثيرة ، نشأ في عائلة مسيحية، وعندما كان أستاذ الدين يحاول البرهنة على وجود الله بالرياضيات، انبرى

(١) - محمد عبد الحليم عبد الفتاح: إظهار الحق (قساوسة وعلماء ومستشرقون أشبهوا إسلامهم) ص ١٤-١٦ ، ط ٢٠٠٥ بدون ناشر ، كتاب (عظماء أسلموا)

للدكتور راغب السرجاني. الناشر/ ط ١ - القاهرة: دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى / ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(٢) - البرفسور جيفري لانج في جامعة كانساس - الولايات المتحدة الأمريكية عالم رياضيات قام بتدريسها مدة طويلة تزيد على العشرين سنة. ولد جيفري لانج من عائلة كاثوليكية (٣٠ يناير ١٩٥٤ مدينة برديجورث) درس في مدرسة كاثوليكية، ورغم ذلك ظل طوال سنوات حياته كثير التساؤل والشك.

جيفري لانج الذي كان طالب (ثانوي) يجادله في الأدلة؛ فتضايق منه الأستاذ وطرده من حلقة الدرس مع الإنذار. رجع الشاب إلى بيته، وعندما سمع والداه القصة صُعِقًا، وقال: لقد أهدت يا بُنيّ. وبقي لانج على هذه الحالة من الإحاد عشر سنين . ثم في لحظة وميض جاءت الهداية مفاجأة من القرآن أهده له صديق ، ويصف لانج القرآن قائلاً :

"شعرت أنني أمام أستاذ علم نفس يسلط الأشعة على كل مشاعري المنخبأة،

كنت أحاول مناقشة بعض المشاكل فأجده أمامي بالمرصاد، يغوص في أعماقي فيجعلني عارياً أمام الحقيقة" ، ومن هنا اعتنق الإسلام عام ١٩٨٠م. (٢)

يقول عن نفسه: قبل الإسلام لم أكن أعرف في حياتي معنى للحب ، ولكنني عندما قرأت القرآن شعرت بفيض واسع من الرحمة والعطف يغمري ، وبدأت أشعر بديمومة الحب في قلبي ، فالذي قادني إلى الإسلام هو محبة الله التي لا تقاوم" . وقال : "الإسلام هو الخضوع لإرادة الله ، وطريق يقود إلى ارتقاء لا حدود له ، وإلى درجات لا حدود لها من السلام والطمأنينة إنه المحرك للقدرات الإنسانية جميعها ، إنه التزام طوعي للجسد والعقل والقلب والروح". (٣)

وقال : "القرآن هذا الكتاب الكريم قد أسرني بقوة ، وتملّك قلبي ، وجعلني أستسلم لله ، والقرآن يدفع قارئه إلى اللحظة القصوى ، حيث يتبدّى للقارئ أنه يقف بمفرده أمام خالقه، (٤) وإذا ما اتخذت القرآن بجدية فإنه لا يمكنك قراءته ببساطة ، فهو يحمل عليك ، وكأن له حقوقاً عليك ! وهو يجادلك ، وينتقدك ويُنَجِّلك ويتحداك ... لقد كنت على الطرف الآخر ، وبدا واضحاً أن منزل القرآن كان يعرفني أكثر مما أعرف نفسي ... لقد كان القرآن يسبقني دوماً في تفكيري ، وكان يخاطب تساؤلاتي ... وفي كل ليلة كنت أضغ أسئلتني واعتراضاتي ، ولكنني كنت أكتشف الإجابة في اليوم التالي ... لقد قابلت نفسي وجهاً لوجه في صفحات القرآن..". (٥)

(١) - (الصراع من أجل الإيمان ، انطباعات امريكي اعتنق الإسلام ) ترجمة منذر العيسى الناشر دار الفكر دمشق، الطبعة السادسة، ٢٠٠٩. ص١٦-١٨. رابط

التحميل : [http://mktba22.blogspot.com/2016/03/pdf\\_87.html](http://mktba22.blogspot.com/2016/03/pdf_87.html)

(٢) - جريدة الشرق الأوسط، الجمعة ١٩ جمادى الثاني ١٤٢٥هـ / ٦ أغسطس ٢٠٠٤م، العدد ٩٣٨٣.

(٣) - (حتى الملائكة تسأل) د. جيفري لانج ص (٢١١-٢٨٠) ، ص ٧٥ ، المترجم د. منذر العيسى الناشر دار الفكر دمشق، ط١/٢٠٠١

(٤) - المرجع نفسه ص (٢٠٩) . مرجع سابق

(٥) - (الصراع من أجل الإيمان) ص (٣٤) مرجع سابق .

"بعد أن أسلمت كنت أجهد نفسي في حضور الصلوات كي أسمع صوت القراءة ، على الرغم من أنني كنت أجهل العربية ، ولما سُئلت عن ذلك أجبت : لماذا يسكن الطفل الرضيع ويرتاح لصوت أمه ؟ أتمنى أن أعيش تحت حماية ذلك الصوت إلى الأبد". (١)

"الصلاة هي المقياس الرئيس اليومي لدرجة خضوع المؤمن لربه ، وبها لها من مشاعر رائعة الجمال ، فعندما تسجد بثبات على الأرض تشعر فجأة كأنك رُفعت إلى الجنة، تتنفس من هوائها ، وتشتتمُ تربتها ، وتتنشق شذا عبيرها ، وتشعر وكأنك توشك أن ترفع عن الأرض ، وتوضع بين ذراعي الحب الأسمى والأعظم". (٢)

"وإن صلاة الفجر هي من أكثر العبادات إثارة ، فثمة دافع ما في النهوض فجراً - بينما الجميع نائمون - لتسمع موسيقا القرآن تملأ سكون الليل ، فتشعر وكأنك تغادر هذا العالم وتسافر مع الملائكة لتمجّد الله عند الفجر". (٣)

ونختم الحديث عن د. جيفري لانغ بإحدى نجاواه لله : "يا ربي إذا ما جنحتُ مرة ثانية نحو الكفر بك في حياتي ، اللهم أهلكني قبل ذلك وخلصني من هذه الحياة . اللهم إني لا أطيق العيش ولو ليوم واحد من غير الإيمان بك". (٤)

يقول: "إذا ما اتخذت القرآن بجدية، فإنه لا يمكنك قراءته ببساطة، فإما أن تكون لتوك قد استسلمت له، أو أنك ستقاومه، فهو يحمل عليك وكأن له حقوقاً عليك بشكل مباشر وشخصي، وهو يجادلك وينتقدك ويخجلك ويتحداك، ومن حيث الظاهر، يرسم خطوط المعركة. ولقد كنت على الطرف الآخر في المواجهة، ولم أكن في وضع أحسد عليه، إذ بدا واضحاً أن مبدع القرآن كان يعرفني أكثر مما كنت أعرف نفسي (...). ولكن أي مؤلف يستطيع أن يكتب كتاباً مقدساً يستطيع أن يتوقع حركاتك وسكناتك اليومية؟ لقد كان القرآن يستبقيني دوماً في تفكيري ويزيل الحواجز التي كنت قد بنيتها منذ سنوات، وكان يخاطب تساؤلاتي. وفي كل ليلة كنت أضع أسئلتني واعتراضاتي، ولكنني كنت، إلى حد ما، أكتشف الإجابة في اليوم التالي. ويبدو أن هذا

(١) - المرجع نفسه ص (١٢٠).

(٢) - حتى الملائكة تسأل) ص (٣٦٦). مرجع سابق

(٣) - الصراع من أجل الإيمان) ص (١١١). مرجع سابق .

(٤) - حتى الملائكة تسأل) ص (٢٣٤) مرجع سابق تقدم مراد هوفمان .

المبدع كان يقرأ أفكاره، ويكتب الأسطر المناسبة لحين موعد قراءتي القادمة. لقد قابلت نفسي وجهاً لوجه في صفحات القرآن، وكنت خائفاً مما رأيت. كنت أشعر بالانقياد بحيث أشق طريقي إلى الزاوية التي لم تحتوِ سوى خيارٍ واحد". (١) للإستزادة راجع الرابط (٢)

## مراد هوفمان

ولد ١٩٣١ لأسرة كاثوليكية في أشافينبرج ، ألمانيا ، نال الدكتوراه من جامعة ميونخ ١٩٥٧. حصل على درجة الماجستير في القانون الأمريكي من جامعة هارفارد ١٩٦٠، اعتنق الإسلام عام ١٩٨٠، عمل في الإدارة الخارجية الألمانية وسفير لألمانيا في المغرب من ١٩٩١ - ١٩٩٤. تخصص في وسائل الدفاع النووي .ومن مناصبه، مدير استعلامات الناتو في بروكسل ١٩٨٣ - ١٩٨٧ كما عمل سفيراً لألمانيا في الجزائر من ١٩٨٧ - ١٩٩٠.

من أشهر أقواله : لقد أمضيت ٤ سنوات من عمري مديراً لإعلاميا لحلف الأطلسي، ورأيت كيف يخططون لإبادة الإسلام وتشويه صورته.... ويقول : " إذا ما أراد المسلمون حواراً حقيقياً مع الغرب ، عليهم أن يثبتوا وجودهم وتأثيرهم ، وأن يُحيوا فريضة الاجتهاد ، وأن يكفوا عن الأسلوب الاعتدالي والتبريري عند مخاطبة الغرب ، فالإسلام هو الحل الوحيد للخروج من الهاوية التي تردى الغرب فيها ، وهو الخيار الوحيد للمجتمعات الغربية في القرن الحادي والعشرين .. (٣)

(١) - جيفري لانغ، ص٣٤. الصراع على الإيمان انطباعات امريكي اعتنق الاسلام ط ٦ دار الفكر

(٢) - <https://www.linkedin.com/pulse/%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%A1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D8%B9-%D9%85%D9%86-%D8%A3%D8%AC%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86-%D9%84%D9%80%D9%80-%D8%AC%D9%8A%D9%81%D8%B1%D9%8A-%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AC-safaa-el-zeftawy>

(٣) - مجلة ( الكويت ) العدد ( ١٧٤ ) .

ألف كتابه (الإسلام كبديل)<sup>(١)</sup>، وفيه شهادات كثيرة على إعجاز القرآن وصدقه وصدق النبي صلى الله عليه وسلم، وكمال التشريع وتأثير القرآن وسحره الروحي وأخذه بالقلوب .

ومما قاله عن القرآن وعن التوازن الكامل والدقيق بين المادة والروح في القرآن فيقول :  
"ما الآخرة إلا جزء العمل في الدنيا ، ومن هنا جاء الاهتمام في الدنيا ، فالقرآن يلهم المسلم الدعاء للدنيا ، وليس الآخرة فقط (( رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ))  
وحتى آداب الطعام والزيارة تجد لها نصيباً في الشرع الإسلامي " (... )<sup>(٢)</sup>.

وقال : (يشهد تاريخ العلوم على حقيقة مفادها ان الحقائق العلمية يغير بعضها بعضا بسرعة شديدة؟! كنت بهذه الخطوة قد حسمت يقيني بامكانية، بل بضرورة، الوحي والدين، ولكن اي دين؟ واي عقيدة؟ هل هي اليهودية، او المسيحية او الاسلام.

وجاءتني الاجابة من خلال تجربتي الثالثة التي تتلخص في قراءتي المتكررة للآية ٣٨ من سورة النجم: "لا تزر وازرة وزر اخرى"، ولا بد من ان تصيب هذه الآية بصدمة شديدة كل من يأخذ مبدأ حب الآخر الوارد في المسيحية مأخذ الجد، لانه يدعو في ظاهر الامر الى النقيض. ولكن هذه الآية لا تعبر عن مبدأ اخلاقي، وانما تتضمن مقولتين دينيتين تمثلان اساسا وجوهرا لفكر ديني، هما:

1. انها تنفي وتنكر وراثته الخطيئة.
2. انها تستبعد، بل وتلغي تماما، امكانية تدخل فرد بين الانسان وربه، وتحمل الوزر عنه.
3. والمقولة الثانية هذه تهدد، بل وتنسف مكانة القساوسة وتحرمهم من نفوذهم وسلطانهم الذي يركز على وساطتهم بين الانسان وربه وتطهيرهم الناس من ذنوبهم. والمسلم بذلك هو المؤمن المتحرر من جميع قيود واشكال السلطة الدينية.

اما نفي وراثته الخطيئة وذنوب البشر، فقد شكل لي اهمية قصوى، لانه يفرغ التعاليم المسيحية من عدة عناصر جوهرية، مثل: ضرورة الخلاص، التجسيد، الثالوث، والموت على سبيل التضحية. وبدا لي ان تصور فشل الله في خلقه، وعدم قدرته على تغيير ذلك الا

(١) كتاب (الإسلام كبديل) لسفير المانيا في الرباط مراد هوفمان ، الناشر: مجلة النور الكويتية - مؤسسة بافاريا ط٢ / ١٩٩٧. للتحميل :

<http://waqfeya.com/book.php?bid=2602> ، وله الطريق إلى مكة ، الإسلام كما يراه ألماني ، الرحلة إلى الاسلام.

(٢) - (الإسلام كبديل) مراد هوفمان ص (١١٥-٥٥) ، مرجع سابق .

بإنجاب ابن والتضحية به . اي ان الله يتعذب من اجل الانسانية . امر فظيع ومروع، بل  
وتجديف واهانة بالغة. وبدت لي المسيحية وكأنها تعود لتركز في اصولها على اساطير )  
لقد وجدت في القرآن أصفى وأبسط تصور لله، تصور تقديمي، ولقد بدت لي مقولات  
القرآن الجوهرية ومبادئه ودعوته الاخلاقية منطقية جدا حتى انه لم تعد تساورني ادنى شكوك  
في نبوة محمد....

## ماذا قالوا عن القرآن ♥

(١) المستشرق بلاشير : فرنسي ، استاذاً محاضراً في السوربون (١٩٣٨) ، ، من آثاره: دراسات عديدة عن تاريخ  
الادب العربي في اشهر المجالات الاستشراقية، وكتاب (تاريخ الادب العربي) (باريس ١٩٥٢) ، وترجمة جديدة للقرآن الكريم في  
ثلاثة اجزاء (باريس ١٩٤٧ - ١٩٥٢) ، وغيرها مع العلم أن لبلاشير هذا نظريات عن مصدر القرآن وحول نصه تنبئ عن حقد وبغض  
لكن لا بد من فلتات لسان لسحر القرآن وتمكّنه من النفوس والأرواح وكم حاول طمس الحقيقة ولكنها تظهر ولا بد .

يقول : ("لا جرم في انه إذا كان ثمة شيء تعجز الترجمة عن ادائه فإنما هو الاعجاز  
البياني واللفظي والحرس الايقاعي في الآيات المنزلة في ذلك العهد.. ان خصوم محمد (عليه  
الصلاة والسلام) قد اخطأوا عندما لم يشاؤوا ان يروا في هذا إلا اغاني سحرية وتعوذيده،  
وبالرغم من اننا على علم - استقرائياً فقط - بتنبؤات الكهان، فمن الجائز لنا الاعتقاد مع  
ذلك بخطل هذا الحكم وثمافته، فان للآيات التي اعاد الرسول ﷺ ذكرها في هذه السور  
اندفاعاً وألقاً وجلالةً تخلف وراءها بعيداً اقوال فصحاء البشر كما يمكن استحضارها من  
خلال النصوص الموضوعية التي وصلتنا"). (١)

(".. ان القرآن ليس معجزة بمحتواه وتعليمه فقط، انه ايضاً ويمكنه ان يكون قبل اي  
شيء آخر تحفة ادبية رائعة تسمو على جميع ما اقترته الانسانية وبجلته من التحف.. ان  
الخليفة المقبل عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) المعارض اللفظ في البداية للدين الجديد، قد  
غدا من اشد المتحمسين لنصرة الدين عقب سماعه لمقطع من القرآن. وسنورد الحديث فيما  
بعد عن مقدار الافتتان الشفهي بالنص القرآني بعد ان رتّله المؤمنون") (٢)

♥ - ١ - د. عماد الدين خليل (ص ٤٧ - ٩١) ، قالوا عن الإسلام ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض ، ط١/١٩٩٠ و النقول التالية عن كتاب الدكتور

عماد الدين خليل مع العلم أن القسم (ماذا قالوا عن القرآن ) طبع منفرداً مستقلاً عن الكتاب وضمن الكتاب و ذلك لأهميته .

(١) - تاريخ الادب العربي ٣١/٢ عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٢) - (القرآن الكريم، ص ١٠٢ - ١٠٣) . " عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

.. الاعجاز هو المعجزة المصدقة لدعوة محمد ﷺ الذي لم يرتفع في احاديثه الدنيوية إلى مستوى الجلال القرآني.. (١)

## (٢) ول ديورانت:

مؤلف امريكي معاصر، يعد كتابه (قصة الحضارة) ذو الثلاثين مجلداً، واحداً من اشهر الكتب التي تؤرخ للحضارة البشرية . يقول فيه ، ص ٦٨/١٣ - ٦٩ : .. ظل القرآن اربعة عشر قرناً من الزمان محفوظاً في ذاكرة المسلمين يستثير خيالهم، ويشكل اخلاقهم، ويشحذ قرائح مئات الملايين من الرجال. والقرآن يبعث في النفوس اسهل العقائد، واقلها غموضاً، وابعدها عن التقييد بالمراسم والطقوس، واكثرها تحراً من الوثنية والكهنوتية. وقد كان له اكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الاخلاقي والثقافي، وهو الذي اقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية، وحرصهم على اتباع القواعد الصحية، وحرر عقولهم من كثير من الخرافات والاوهام، ومن الظلم والقسوة، وحسّن احوال الارقاء، وبعث في نفوس الاذلاء الكرامة والعزة، واوجد بين المسلمين.. درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في اية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الابيض.."

## (٣) د. موريس بوكاي :

الطبيب والعالم الفرنسي المعروف. كان كتابه (القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم) من اكثر المؤلفات التي عالجت موضوعاً كهذا، اصالة واستيعاباً وعمقاً. يقول فيه ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٠ :

"لقد قمت اولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون اي فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نصّ القرآن ومعطيات العلم الحديث. وكيف اعرف، قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات، ان القرآن يذكر انواعاً كثيرة من الظواهر الطبيعية ولكن معرفتي كانت وحيزة. وبفضل الدراسة الواعية للنصّ العربي استطعت ان احقق قائمة ادركت بعد الانتهاء منها ان القرآن لا يحتوى على اية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث. وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والاناجيل. اما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى ابعد من الكتاب الاول، اي سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين اكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا. واما بالنسبة للاناجيل ... فاننا نجد نص انجيل متي يناقض بشكل جلي انجيل لوقا "

وان هذا الاخير يقدم لنا صراحة امراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الارض."

"لقد اثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية. فلم اكن اعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقته تماماً للمعارف العلمية الحديثة، ذلك في نص كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً. في البداية لم يكن لي اي ايمان بالاسلام. وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة.."

".. تناولت القرآن منتبها بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظواهر الطبيعية. لقد اذهلني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظواهر وهي تفاصيل لا يمكن ان تدرك الا في النص الاصيلي. اذهلني مطابقتها للمفاهيم التي تملكها اليوم عن نفس هذه الظواهر والتي لم يكن ممكناً لاي انسان في عصر محمد صلى الله عليه وسلم ان يكون عنها ادنى فكرة.."

".. كيف يمكن لانسان - كان في بداية امره امياً - ان يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور اي انسان في ذلك العصر ان يكونها، وذلك دون ان يكشف تصريحه عن اقل خطأ من هذه الوجهة؟"

" يقول أيضاً: "إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه نصوص القرآن لأول مرة، هو ثراء الموضوعات العلمية المعالجة، وعلى حين نجد في التوراة -الحالية- أخطاء علمية ضخمة، لا نكتشف في القرآن أي خطأ، ولو كان قائل القرآن إنساناً، فكيف يستطيع في القرن السابع أن يكتب حقائق لا تنتمي إلى عصره (١) ."

#### (٤) د. فيليب حتي :

ولد عام ١٨٨٦م، لبناني الاصل، امريكي الجنسية ، نال الدكتوراه من جامعة كولومبيا (١٩١٥م) ، وعين معيداً في قسمها الشرقي (١٩١٥ - ١٩١٩) ، واستاذاً مساعداً للاداب السامية في جامعة برنستون (١٩٢٦ - ١٩٢٩م) . من آثاره، (تاريخ العرب) (١٩٢٧م) ، (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين) (١٩٥١م) ، (لبنان في التاريخ) (١٩٦١م) ، وغيرها.

"ان الاسلوب القرآني مختلف عن غيره، ثم انه لا يقبل المقارنة باسلوب آخر، ولا يمكن ان يقلد. وهذا في اساسه، هو إعجاز القرآن.. فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة

(١) - دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة، ص ١٤٥ وقد منحته الأكاديمية الفرنسية عام ١٩٨٨م جائزتها في التاريخ، على كتابه المذكور

الكبرى" <sup>(١)</sup> .. ان إعجاز القرآن لم يحل دون ان يكون اثره ظاهراً على الادب العربي. اما إذا نحن نظرنا إلى النسخة التي نقلت في عهد الملك جيمس من التوراة والانجيل وجدنا ان الاثر الذي تركته على اللغة الانكليزية ضئيل، بالاضافة إلى الاثر الذي تركه القرآن على اللغة العربية. ان القرآن هو الذي حفظ اللغة العربية وصانها من ان تتمزق لهجمات" <sup>(٢)</sup>

#### (٥) الدكتور جوج حنا :

مسيحي من لبنان، ينطلق في تفكيره من رؤية مادية طبيعية صرفة، كما هو واضح في كتابه المعروف (قصة الانسان).

"انه لا بدّ من الاقرار بان القرآن، فضلاً عن كونه كتاب دين وتشريع، فهو ايضاً كتاب لغة عربية فصحة. وللغة القرآن الفضل الكبير في ازدهار اللغة، ولطالما يعود اليه ائمة اللغة، في بلاغة الكلمة وبيانها، سواء كان هؤلاء الائمة مسلمين ام مسيحيين. واذا كان المسلمون يعتبرون ان صوابية لغة القرآن هي نتيجة محتومة لكون القرآن منزلاً ولا تحتمل التخطئة، فالمسيحيون يعترفون ايضاً بهذه الصوابية، بقطع النظر عن كونه منزلاً او موضوعاً، ويرجعون اليه للاستشهاد بلغته الصحيحة، كلما استعصى عليهم امر من امور اللغة" <sup>(٣)</sup>

#### (٦) ديورا بوترا :

ولدت عام ١٩٥٤، بمدينة ترافيرز، في ولاية متشيغان الامريكية، وتخرجت من فرع الصحافة بجامعة متشيغان، اعتنقت الاسلام عام ١٩٨٠،

".. عندما اكملت القرآن الكريم غمرني شعور بان هذا الحق الذي يشتمل على الاجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها. وانه يقدم لنا الاحداث بطريقة منطقية نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية. اما القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع واسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بان هذه هي الحقيقة وان هذا الكلام هو من عند الله لا محالة" <sup>(٤)</sup> .. ان المضمون الالهي للقرآن الكريم هو المسئول عن النهوض بالإنسان وهدايته إلى معرفة الخلق، هذه المعرفة التي تنطبق على كل عصر.. <sup>(٥)</sup> .. كيف استطاع محمد صلى الله عليه وسلم الرجل الامي الذي نشأ في بيئة جاهلية ان يعرف معجزات الكون التي وصفها

(١) - (الاسلام منهج حياة، ص ٦٢) عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٢) - (نفسه، ص ٢٨٧ - ٢٨٨)

(٣) - قصة الإنسان، ص ٧٩ - ٨٠. عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٤) - (رجال ونساء اسلموا ١٠٠٠/٨)

(٥) - (نفسه ١١٣/٨)

القرآن الكريم، والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لا بدّ إذن ان يكون هذا الكلام هو كلام الله عزّ وجلّ" (١)

(٧) د. ميلر بروز:

رئيس قسم لغات الشرق الادنى وآدابه واستاذ الفقه الدينى الانجيلي في جامعة (بييل) وعمل استاذاً بجامعة براون، ومديراً للمدرسة الامريكية للبحوث الشرقية بالقدس، ومن مؤلفاته: **Founders of Great religions, 1931. What Means these Stones** .١٩٤١

قال : هناك آية في القرآن يمكن ان يستنتج منها انه لعل من اهداف خلق المجموعة الشمسية لفت نظر الإنسان لكي يدرس علم الفلك ويستخدمه في حياته: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" (يونس/٥) وكثيراً ما يشير القرآن إلى اخضاع الطبيعة للانسان باعتباره إحدى الايات التي تبعث على الشكر والايان: (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ\* لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ" (الزخرف/١٣) ويذكر القرآن -لا تسخير الحيوان واستخدامه فحسب- ولكن يذكر السفن ايضاً.. فاذا كان الجمل والسفينة من نعم الله العظيمة، أفلا يصدق هذا اكثر على سكة الحديد والسيارة والطائرة؟ " (٢) .. ان اعظم نتائج العلم يمكن ان تستخدم في اغراض هدمية او بنائية. وربما كان هذا هو المقصود بما ورد في القرآن خاصاً باستخدام الحديد: وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" (الحديد/٢٥) . واطهر مثال من هذا الآن بالضرورة هو استخدام النشاط الذرى -الذى نشطت بحوثه- لضرورة حربية.. (٣)

(٨) إبراهيم خليل أحمد:

قس مبشر من مواليد الإسكندرية عام ١٩١٩ ، يحمل شهادات عالية في علم اللاهوت من كلية اللاهوت المصرية، ومن جامعة برنستون الامريكية. عمل استاذاً بكلية اللاهوت باسيوط. كما ارسل عام ١٩٥٤ إلى اسوان سكرتيراً عاماً للإرسالية الالمانية السويسرية. وكانت مهمته الحقيقية التنصير والعمل ضد الاسلام. لكن تعمقه في دراسة الاسلام قاده إلى الايمان بهذا الدين واشهر اسلامه رسمياً عام ١٩٥٩. ابرز كتبه (محمد في التوراة والانجيل والقرآن) قال فيه :

(١) - (نفسه ١٠٩/٨).

(٢) - (الثقافة الاسلامية، ص ٥١) عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٣) - (الثقافة الاسلامية، ص ٥٤)

"يرتبط هذا النبي ﷺ بإعجاز أبد الدهر بما يجبرنا به المسيح (عليه السلام) في قوله عنه: (ويخبركم بامور آتية) ، هذا الإعجاز هو القرآن الكريم معجزة الرسول الباقية ما بقى الزمان. فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه: من طب، وفلك، وجغرافيا، وجيولوجيا، وقانون، واجتماع، وتاريخ.. ففي ايماننا هذه استطاع العلم ان يرى ما سبق اليه القرآن بالبيان والتعريف ... " (١) "اعتقد يقيناً اني لو كنت انساناً وجودياً ... لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية وجاءني نفر من الناس وحدثني بما سبق به القرآن العلم الحديث - في كل مناحيه - لآمنت برب العزة والجبروت، خالق السماوات والارض ولن اشرك به احداً ... " (٢) "في هذا الظلام الدامس - ايها المسيحي - ينزل القرآن الكريم على رسول الله ليكشف لك عن الله عز وجل ... " (٣) "للمسلم ان يعتزّ بقرآنه، فهو كالماء فيه حياة لكل من نهل منه" . (٤)

#### (٩) واشنجتون ايرفنج:

مستشرق امريكي، اولى اهتماماً كبيراً لتاريخ المسلمين في الاندلس. من آثاره: (سيرة النبي العربي)

قال : "كانت التوراة في يوم ما هي مرشد الإنسان واساس سلوكه. حتى إذا ظهر المسيح (عليه السلام) اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حلّ القرآن مكانهما، فقد كان القرآن اكثر شمولاً وتفصيلاً من الكتابين السابقين، كما صحح القرآن ما قد ادخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل. حوى القرآن كل شئ، وحوى جميع القوانين، إذ انه خاتم الكتب السماوية.. " (٥) "يدعو القرآن إلى الرحمة والصفاء والى مذاهب اخلاقية سامية"

#### (١٠) مارسيل بوازار:

مفكر، وقانوني فرنسي معاصر، اول اهتماماً كبيراً لمسألة العلاقات الدولية وحقوق الإنسان وكتب عدداً من الابحاث للمؤتمرات والدوريات المعنية بهاتين المسألتين. أهم كتابه (انسانية الاسلام). قال :

" وهو - أي القرآن - بين الله والانسانية (الوسيط) الذي يجعل اي تنظيم كهنوتي غير ذي جدوى، لانه مرضي به مرجعاً اصلياً، وينبوع إلهام اساسي.. وما زال حتى ايماننا هذه

(١) - (محمد في التوراة والانجيل والقرآن، ص ٤٧ - ٤٨) ، عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٢) - (ص ٤٨)

(٣) - (ص ١٧٢)

(٤) - (ص ٣٢)

(٥) - حياة محمد : ص ٤٢ ، ٣٠٤ ، عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

نموذجاً رفيعاً للادب العربي تستحيل محاكاته. انه لا يمثل النموذج المحتذى للعمل الادبي  
الأمثل وحسب، بل يمثل كذلك مصدر الادب العربي والاسلامي الذي ابدعه..".<sup>(١)</sup>  
"لقد اثبت التنزيل برفضه الفصل بين الروحي والزمني انه دين ونظام اجتماعي.. ومن  
البديهي ان التنزيل والسبيل الذي ظن امكان استخدامه فيه قد طبعاً المجتمع بعمق..".<sup>(٢)</sup>  
".. ان القرآن لم يقدر قط لإصلاح اخلاق عرب الجاهلية، انه على العكس يحمل  
الشريعة الخالدة والكاملة والمطابقة للحقائق البشرية، والحاجات الاجتماعية في كل الازمنة"  
..<sup>(٣)</sup>

".. يخلق الروح القرآني مناخ عيش ينتهي به الامر إلى مناخمة التعبيرات الذهنية  
والمساواة بين العقلية والنظم الاجتماعية بأكثر مما تفترض التصريفات السياسية والطوايع  
الايدولوجية التي تسند إلى الدول. ولا يكفي قط ما يتردد عن درجة تأثير القرآن الكبرى في  
(الذهنية الاسلامية) المعاصرة، فهو ما يزال مصدر الالهام الفردي والجماعي الرئيسي، كما انه  
ملجأ المسلمين وملاذهم الاخير".<sup>(٤)</sup> .. ان الادوات التي يوفرها التنزيل القرآني قادرة ولا ريب  
على بناء مجتمع حديث..".<sup>(٥)</sup>

### (١١) الكونت هنري دي كاستري (١٨٥٠ - ١٩٢٧):

مقدم في الجيش الفرنسي، قضى في الشمال الافريقي رداً من الزمن، من كتبه الاسلام: خواطر وسوانح، قال فيه :

".. ان العقل يحار كيف يتأني ان تصدر تلك الآيات عن رجل... لكن نحن معشر  
الغربيين لا يسعنا ان نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفته لافكارنا ومغايرته لما ربيت عليه  
الامم عندنا، غير انه لا ينبغي ان يكون ذلك سبباً في معارضة تأثيره في عقول العرب، ولقد  
اصاب (جان جاك روسو) حيث يقول: (من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ثم يقرأ القرآن  
ويضحك منه ولو انه سمع محمداً صلى الله عليه وسلم يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى  
الرفيعة وصوته المشبع المقنع الذي يطرب الاذان ويؤثر في القلوب.. لخرّ ساجداً على الارض  
وناداه: ايها النبي رسول الله خذ بيدنا إلى مواقف الشرف والفخار او مواقع التهلكة  
والاخطار فنحن من اجلك نودّ الموت او الانتصار).. وكيف يعقل ان النبي صلى الله عليه

(١) - (انسانية الاسلام، ص ٥٢ - ٥٣). عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٢) - (ص ٢٠٦ - ٢٠٧).

(٣) - (ص ١٠٩).

(٤) - (ص ٣٤٣، ٣٤٥). عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

وسلم ألف هذا الكتاب باللغة الفصحى مع انها في الازمان الوسطى كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها الا القوم العالمون.. ولو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك ان يستولي على الافكار ويأخذ بمجامع القلوب.. " (١) " اتى محمد ﷺ بالقرآن دليلاً على صدق رسالته، وهو لا يزال إلى يومنا هذا سرّاً من الاسرار التي تعذر فك طلاسمها ولن يسبر غور هذا السر المكنون الا من يصدق بانه منزل من الله.. " (٢)

".. قد نرى تشابهاً بين القرآن والتوراة في بعض المواضع، الا ان سببه ميسور المعرفة.. إذا لا حظنا ان القرآن جاء ليتممها، كما ان النبي ﷺ خاتم الانبياء والمرسلين" (٣)

## (١٢) نصري سلهب:

مسيحي من لبنان، عرف بنشاطه الدؤوب لتحقيق التعايش السلمي بين الاسلام والمسيحية في لبنان، من مؤلفاته: (لقاء المسيحية والاسلام) (١٩٧٠)، و (في خطى محمد) (١٩٧٠). قال: "إن الآية التي استطيب ذكرها هي التي تنبع سماحاً إذ تقول: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (العنكبوت/٤٦) ذلك ما يقوله المسلمون للمسيحيين وما يؤمنون به لأنه كلام الله اليهم. انها لعبارات يجدر بنا جميعاً، مسيحيين ومسلمين، ان نردها كل يوم، فهي حجارة الاساس في بناء نريده ان يتعالى حتى السماء، لأنه البناء الذي فيه نلتقي والذي فيه نلقى الله: فحيث تكون المحبة يكون الله، والواقع ان القرآن يذكر صراحة ان الكتب المنزلة واحدة، وان اصلها عند الله، وهذا الاصل يدعى حيناً (ام الكتاب) وحيناً آخر (اللوحة المحفوظة) او (الامام المبين) .." (٤)

".. ان محمداً ﷺ كان امياً لا يقرأ ولا يكتب. فاذا بهذا الامي يهدي الانسانية ابلاغ اثر مكتوب حلمت به الانسانية منذ كانت الانسانية ذاك كان القرآن الكريم، الكتاب الذي انزله الله على رسوله هدى للمتقين.."

(١) - (الاسلام: خواطر وسوانح، ص ١٨ - ٢٠)، عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٢) - (ص ٢٠). عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٣) - (ص ٢٢-٢٣)

(٤) - (لقاء المسيحية والاسلام، ص ٢٢). عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

".. الاسلام ليس بحاجة إلى قلمنا، مهما بلغ قلمنا من البلاغة. ولكن قلمنا بحاجة إلى الاسلام، إلى ما ينطوي عليه من ثروة روحية واخلاقية، إلى قرانه الرائع الذي بوسعنا ان نتعلم منه الكثير". (١)

"لم يقدر لاي سفر، قبل الطباعة، ايا كان نوعه واهميته، ان يحظى بما حظى به القرآن من عناية واهتمام، وان يتوفر له ما توفر للقرآن من وسائل حفظته من الضياع والتحريف، وصانته عما يمكن ان يشوب الاسفار عادة من شوائب". "تلك اللغة التي ارادها الله قمة اللغات، كان القرآن قمتها، فهو قمة القمم، ذلك بانه كلام الله..". (٢)

(١٣) الدكتور احمد نسيم سوسه:

باحث مهندس من العراق، وعضو في المجمع العلمي العراقي، وواحد من ابرز المختصين بتاريخ الري في العراق، كان يهودياً فاعتنق الاسلام متأثراً بالقرآن الكريم، ومن مؤلفاته الشهيرة: (العرب واليهود في التاريخ)، و (في طريقي إلى الاسلام) الذي تحدث فيه عن سيرة حياته.

"يرجع ميلي إلى الاسلام.. حينما شرعت في مطالعة القرآن الكريم للمرة الاولى.. فولعت به ولعاً شديداً.. وكنت اطرب لتلاوة آياته..". (٣)

".. الواقع ان تحوير وتبديل مصاحف اليهود امر اجمع عليه العلماء في عصرنا الحالي نتيجة الدرس والتنقيب وقد جاء ذلك تأييداً علمياً للاقوال الربانية التي اوحيت قبل نيف وثلاثة عشر قرناً على لسان النبي العربي الكريم صلى الله عليه وسلم. اما الفرقان المجيد.. فقد حافظ المسلمون عليه بحرص شديد وامانة صادقة فهو حقاً الكتاب المقدس الفريد الذي اجمع الكل على سلامته وطهارته من التلاعب والتحوير، وما على القارئ الا ان يطالع ما كتبه المستشرقون في هذا الباب.. الذين وصفوا كيفية جمعه وتدوينه، وهؤلاء اجانب غرباء كثيراً ما يصوّبون اسهمهم الناقدة السامة نحو الاسلام. والواقع ان الدلائل التاريخية واضحة بأجلى وضوح مما لا يترك اي شك في ان الفرقان الكريم لم يطرأ عليه اي تحريف او تحوير وقد جاء كلام الله بكامله على لسان نبيه ﷺ دون ان يتغير فيه حرف واحد". (٤)...

"ورد في القرآن انه جاء مهيمناً على ما بين يديه من الكتاب، ويستدل من ذلك ان التعاليم الالهية المقدسة الاصلية قد ضمن القرآن المحافظة عليها بما اوضحه من الحقيقة

(١) - ص ٩٤ ، ١٢١

(٢) - ص ٣٣٧ ، ٣٤٢

(٣) - (في طريقي إلى الاسلام، ٥١/١). عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٤) - (نفسه، ١٨٢/١ - ١٨٣)

بإظهار الصحيح والدخيل في الكتب الرائجة في زمان نزوله، وعليه فيكون بهذا البيان والايضاح قد جاء خير مهيمن على كتب الله الحقيقية وخير حافظ اياها من التلاعب" .. "الواقع انه يتعذر على المرء الذي لم يتقن اللغة العربية ولم يضطلع بأدائها ان يدرك مكانة هذا الفرقان الالهي وسموه وما يتضمنه من المعجزات المبهرة، ولما كان القرآن الكريم قد تناول كل انواع التفكير والتشريع فقد يكون من العسير على انسان واحد ان يحكم في هذه المواضيع كلها، وهل من مناص للمرء من الانجذاب إلى معجزة القرآن بعد تمنعه في امية نبي الاسلام ووقوفه على اسرار حياة الرسول ﷺ.. فقد جعل الله تعالى معجزة القرآن وامية محمد صلى الله عليه وسلم برهاناً على صدق النبوة وصحة انتساب القرآن له.... ان معجزة القرآن الكريم هي اكثر بروزاً في عصرنا الحالي، عصر النور والعلم، مما كانت عليه في الازمنة التي سادها الجهل والخمول.. (١)

(١٤) ايتين دينيه (١٨٦١ - ١٩٢٩):

تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر، واشهر اسلامه وتسمى بناصر الدين (١٩٢٧)، من كتبه و (اشعة خاصة بنور الاسلام). و (الشرق في نظر الغرب)، قال: "لقد حقق القرآن معجزة لا تستطيع اعظم المجامع العلمية ان تقوم بها، ذلك انه مكن للغة العربية في الارض بحيث لو عاد احد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا اليوم لكان ميسوراً له ان يتفاهم تمام التفاهم مع المتعلمين من اهل اللغة العربية، بل لما وجد صعوبة تذكر للتخاطب مع الشعوب الناطقة بالضاد. وذلك عكس ما يجده مثلاً احد معاصري (رابيليه) من اهل القرن الخامس عشر الذي هو اقرب الينا من عصر القرآن، من الصعوبة في مخاطبة العدد الاكبر من فرنسيّ اليوم". (٢) .. احسنّ المشركون، في دخيلة نفوسهم، ان قد غزا قلوبهم ذلك الكلام العجيب الصادر من اعماق قلب الرسول الملهم صلى الله عليه وسلم وكلهم كثيراً ما كانوا على وشك الخضوع لتلك الالفاظ الأخاذة التي ألهمها إيمان سماوي، ولم يمنعهم عن الاسلام الا قوة حبهم لأعراض الدنيا.. (٣)

"ان معجزة الانبياء الذين سبقوا محمداً كانت في الواقع معجزات وقتية وبالتالي معرضة للنسيان السريع. بينما نستطيع ان نسمي معجزة الآيات القرآنية: (المعجزة الخالدة) وذلك ان تأثيرها دائم ومفعولها مستمر، ومن اليسير على المؤمن في كل زمان وفي كل مكان ان يرى

(١) - (١ / ١٨٣ ، ١٨٥) عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٢) - (اشعة خاصة بنور الاسلام، ٣٥). عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٣) - (محمد رسول الله، ص ١٠٦).

هذه المعجزة بمجرد تلاوة في كتاب الله، وفي هذه المعجزة نجد التعليل الشافي للانتشار الهائل الذي احرزته الاسلام، ذلك الانتشار الذي لا يدرك سببه الاوروبيون لانهم يجهلون القرآن، او لانهم لا يعرفونه الا من خلال ترجمات لا تنبض بالحياة فضلاً عن انها غير دقيقة. (١) "ان كان سحر اسلوب القرآن وجمال معانيه، يحدث مثل هذا التأثير في نفوس علماء لا يمتنون إلى العرب ولا إلى المسلمين بصلة، فماذا ترى ان يكون من قوة الحماسة التي تستهوى عرب الحجاز وهم الذين نزلت الآيات بلغتهم الجميلة؟ ... لقد كانوا لا يسمعون القرآن الا وتملك نفوسهم انفعالات هائلة مباغته، فيظنون في مكانهم وكأنهم قد سمروا فيه. أهذه الايات الخارقة تأتي من محمد صلى الله عليه وسلم ذلك الامي الذي لم ينل حظاً من المعرفة؟.. كلا ان هذا القرآن لمستحيل ان يصدر عن محمد، وانه لا مناص من الاعتراف بان الله العلي القدير هو الذي املى تلك الايات البينات.. " (٢)

(١٥) جاك. س. ريسلر: باحث فرنسي معاصر، واستاذ بالمعهد الاسلامي بباريس.

قال: "لما كانت روعة القرآن في اسلوبه فقد انزل ليقراً ويتلى بصوت عال. ولا تستطيع اية ترجمة ان تعبر عن فروقه الدقيقة المشبعة بالحساسية الشرقية. ويجب ان تقرأه في لغته التي كتب بها لتمكن من تذوق جملة وقوته وسمو صياغته. ويخلق نثره الموسيقى والمسجوع سحراً مؤثراً في النفس حيث تزخر الافكار قوة وتتوهج الصور نضارة، فلا يستطيع احد ان ينكر ان سلطانه السحري وسموه الروحي يسهمان في إشعارنا بان محمداً صلى الله عليه وسلم كان ملهماً بجلال الله وعظمته". (٣)

"كان في القرآن فوق انه كتاب ديني خلاصة جميع المعارف.. وظل زمناً طويلاً اول كتاب يتخذ للقراءة إلى الوقت الذي شكل فيه وحدة كتاب المعرفة والتربية. ولا يزال حتى اليوم النص الذي تقوم عليه اسس التعليم في الجامعات الاسلامية. ولا تستطيع الترجمات ان تنقل ثروته اللغوية (اذ يذبل جمال اللغة في الترجمات كأنها زهرة قطفت من جذورها) ولذلك يجب ان يقرأ القرآن في نصه الاصيل". (٤)

(١) - (نفسه، ص ١١٨).

(٢) - (نفسه، ص ١١٩ - ١٢١). عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٣) - الحضارة العربية، ص ٣٠ - ٣١. عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٤) - (ص ٤٥)

" ان القرآن يجد الحلول لجميع القضايا، ويربط ما بين القانون الديني والقانون الاخلاقي، ويسعى إلى خلق النظام، والوحدة الاجتماعية، وإلى تخفيف البؤس والقسوة والخرافات. انه يسعى إلى الاخذ بيد المستضعفين، ويوصي بالبر، ويأمر بالرحمة.. وفي مادة التشريع وضع قواعد لأدق التفاصيل للتعاون اليومي، ونظم العقود والمواريث، وفي ميدان الاسرة حدد سلوك كل فرد تجاه معاملة الاطفال والارقاء والحيوانات والصحة والملبس، الخ..".<sup>(١)</sup>

".. حقاً، لقد ظلت شريعة القرآن راسخة على انها المبدأ الاساسي لحياة المسلم ولم يتعرض ما جاء في القرآن من نظر واخلاق ونظام لأية تغييرات ولا لتبديلات بعيدة الغور".  
"يظل القرآن طيلة القرون الاولى للهجرة من جهة المبدأ مصدر الالهام لكل العقلية الاسلامية فهو يضم بين اطرافه الافكار والاحاسيس الضرورية والكافية لتزويد اعظم الدراسات في الفكر".<sup>(٢)</sup>

(١٦) لويس سيديو (١٨٠٨ - ١٨٧٦):

مستشرق فرنسي شهير ، عين لويس اميناً لمدرسة اللغات الشرقية (١٨٣١) وصنف كتاباً بعنوان (خلاصة تاريخ العرب) فضلاً عن (تاريخ العرب العام) ، وكتب العديد من الابحاث والدراسات في المجالات المعروفة.

قال :

"لا تجد في القرآن آية إلا توحى بمحبة شديدة لله.. وفيه حث كبير على الفضيلة خلا تلك القواعد الخاصة بالسلوك الخلقى.. وفيه دعوة كبيرة إلى تبادل العواطف وحسن المقاصد والصفح عن الشتائم، وفيه مقت للعجب والغضب، وفيه إشارة إلى ان الذنب قد يكون بالفكر والنظر، وفيه حض على الايفاء بالعهود حتى مع الكافرين، وتحريض على خفض الجناح والتواضع، وعلى استغفار الناس لمن يسيئون إليهم، لا لعنهم ويكفى جميع تلك الاقوال الجامعة المملوءة حكمة ورشداً لإثبات صفاء قواعد الاخلاق في القرآن.. إنه أبصر كل شيء..".<sup>(٣)</sup>

".. صلح القرآن ليكون نموذجاً للأسلوب وقواعد النحو.. فأوجب ذلك نشوء علم اللغة، فظهور علم البيان الذي درس فيه تركيب الكلام ومقتضى الحال والبديع وواجه

(١) - (ص ٥١)

(٢) - ص ٧٥ ، ٢١٢

(٣) - (تاريخ العرب العام ، ص ٨٩ ، ٩٨ - ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٧ .)

البلاغة، وضحى لصناعة قراءة القرآن وتفسيره أكثر من مئة فرع، فادى هذا إلى مالا حصر له من التأليف في كل منها، واغتنت اللغة العربية بتعايير جديدة كثيرة بعيدة من الفساد بمخالطة اللغات الأخرى.. " (١) . "مما يجدر ذكره ان يكون القرآن، بين مختلف اللغات التي يتكلم بها مختلف الشعوب الاسلامية في آسيا حتى الهند، وفي افريقية حتى السودان، كتاباً يفهمه الجميع، وان يربط القرآن هذه الشعوب المتباينة الطبائع برابط اللغة والمشاعر.. " (٢)

### ( ١٧ ) هنري سيرويا:

مستشرق فرنسي. من آثاره: (موسى بن ميمون: ترجمته واثاره وفلسفته) (١٩٢١) ، (الصوفية والمسيحية واليهودية) ، (فلسفة الفكر الاسلامي) .

قال : .. القرآن وحي من الله، لا يدانيه اسلوب البشر، وهو في الوقت عينه، ثورة عقيدية، هذه الثورة العقيدية لا تعترف - لا بالبابا ولا اى مجمع لعلماء الكهنوت والقساوسة، حيث لم يشعر الاسلام يوماً بالخشية والهلع من قيام مبدأ التحكيم العقلي والفلسفي. فاذا قارنا الاسلام باليهودية والمسيحية نجد بعض الخطوط المميزة والتي لا تبدو مطابقة تماماً خاصة مع المسيحية.. فالنظام المسيحي اليهودي يخالف الاسلام حيث لا يوجد فراغ بين الخالق والخلق البشري، هذا الفراغ لدى اليهود والمسيحيين ملئ بالواسطة.. ولا شيء من هذا يتفق مع الاسلام. فمحمد صلى الله عليه وسلم مع كونه مبعوثاً ورسولاً من لدن الله لم يتظاهر بإنكار دعوات كل من موسى وعيسى، كل مجهوده انحصر في تنقيتهما على ما جاء في القرآن، الذي وضع في العام الاول مهاجمة مبدأ الثلاثية منبهاً إلى ان عيسى ليس سوى رجل ابن مريم وليس بابن الله والقول بان الله له ولد، هذا شرك كبير تنشق له السماء وتنتفتح له الارض وتنسحق له الجبال. اما روح القدس فما هو الا بمثابة ملاك مثل جبريل دوره هو ان ينقل إلى عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم الدعوة المقدسة، اما مريم فهي مريم العذراء وليست بأُم الله.. " (٣)

### ( ١٨ ) بشير احمد شاد:

(١) - تاريخ العرب العام ، ص ٨٩ ، ٩٨ - ٩٩ .

(٢) - (نفسه، ص ٤٥٨) .

(٣) - (فلسفة الفكر الاسلامي له، ص ٣٢ - ٣٣) عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

ولد عام ١٩٢٨ ، لأسرة نصرانية هندية بقرية ديان جالو الهندية ، كان ابوه ماتياس مبشراً نصرانياً ولذا حرص على تنشئة ابنه على ذات الطريق ، في عام ١٩٤٧ اكمل دراسته وبدأ يعمل مبشراً في لاهور ، لكنه مثل كثيرين غيره ما لبث ان فقد قناعاته - كلياته - بالنصرانية وانتهى به الامر بعد عشرين سنة من البحث والمعاناة إلى اعلان اسلامه ، (حزيران عام ١٩٦٨) .

قال : "... فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يعترف بكافة الكتب السماوية الاخرى ، بينما نجد انها جميعاً يرفض بعضها بعضاً.. وهذه في الحقيقة هي إحدى خصائص ومميزات القرآن الكريم ، آخر الكتب السماوية وخاتمها" ..... ان القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يحفظه عن ظهر قلب الوف مؤلفة من البشر في مختلف بقاع الارض ، بينما نجد ان الكتب المقدسة الاخرى محفوظة بالخط المطبوع فقط. ومن هنا لو حدث لسبب او لآخر ان اختفت الكتب المطبوعة يظل القرآن هو كتاب الله الوحيد المحفوظ في الصدور. وهكذا يحق له ان يتباهى بانه ظل في مأمن من التحريف لم ينقص منه حرف واحد ولم يزد فيه حرف واحد منذ ان نزل به الوحي على رسول الله ﷺ . فليست هناك اية تناقضات ولا اخطاء من اي نوع في القرآن الكريم ، هذا في الوقت الذي تعاني فيه الكتب السماوية الاخرى في نسختها الحالية من الكثير من التغيير والتبديل. وهذا سبب آخر جعلني اؤمن بالاسلام". (١)

### (١٩) لورا فيشيا فاغلييري :

باحثة إيطالية معاصرة انصرفت إلى التاريخ الاسلامي قديماً وحديثاً ، من كتبها (دفاع عن الاسلام) (١٩٥٢) ، والعديد من الدراسات في المجالات الاستشراقية المعروفة.

قال : "ان معجزة الاسلام العظمى هي القرآن الذي تنقل الينا الرواية الراسخة غير المنقطعة ، من خلاله ، انباء تتصف بيقين مطلق. انه كتاب لا سبيل إلى محاكاته. ان كلاً من تعبيراته شامل جامع ، ومع ذلك فهو ذو حجم مناسب ، ليس بالطويل اكثر مما ينبغي ، وليس بالقصير اكثر مما ينبغي. اما اسلوبه فاصيل فريد. وليس ثمة ايما نمط لهذا الاسلوب في الادب العربي تحدر الينا من العصور التي سبقتة. والاثر الذي يحدثه في النفس البشرية انما يتم من غير ايما عون عرضي او اضافي من خلال سموه السليقي. ان آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة ، حتى عندما تعالج موضوعات لا بد ان تؤثر في نفسها وجرسها كموضوع الوصايا والنواهي وما اليها. انه يكرر قصص الانبياء (عليهم السلام) واوصاف بدء العالم ونهايته ، وصفات الله وتفسيرها ، ولكن يكررها على نحو مثير إلى درجة لا تضعف من اثرها. وهو

<sup>١</sup> - (رجال ونساء اسلاموا ، ١٩/٧ - ٢٠) . عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

ينتقل من موضوع إلى موضوع من غير ان يفقد قوته. اننا نقع هنا على العمق والعذوبة معا - وهما صفتان لا تجتمعان عادة - حيث تجد كل صورة بلاغية تطبيقاً كاملاً فكيف يمكن ان يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد صلى الله عليه وسلم، وهو العربي الامي الذي لم ينظم طوال حياته غير بيتين او ثلاثة ابيات لا ينم اي منها عن ادنى موهبة شعرية؟ (١) "لا يزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الالهي في هذه الحقيقة: وهي ان نصه ظل صافياً غير محرف طوال القرون التي تراخت ما بين تنزيله ويوم الناس هذا، وان نصه سوف يظل على حاله تلك من الصفاء وعدم التحريف، باذن الله، مادام الكون". (٢)

"ان هذا الكتاب، الذي يتلى كل يوم في طول العالم الاسلامي وعرضه، لا يوقع في نفس المؤمن ايما حسّ بالملل. على العكس، انه من طريق التلاوة المكرورة يجب نفسه إلى المؤمنين اكثر فاكثر يوماً بعد يوم. انه يوقع في نفس من يتلوه او يصغى اليه حسّاً عميقاً من المهابة والخشية. ان في امكان المرء ان يستظهره في غير عسر، حتى اننا لنجد اليوم، على الرغم من انخسار موجة الايمان، آلافاً من الناس القادرين على ترديده عن ظهر قلب وفي مصر وحدها عدد من الحفاظ اكثر من عدد القادرين على تلاوة الاناجيل في اوروبا كلها".

"ان انتشار الاسلام السريع لم يتم لا عن طريق القوة ولا بجهود المبشرين الموصولة. ان الذي ادى إلى ذلك الانتشار كون الكتاب الذي قدمه المسلمون للشعوب المغلوبة مع تحييرها بين قبوله ورفضه، كتاب الله، كلمة الحق، اعظم معجزة كان في ميسور محمد صلى الله عليه وسلم ان يقدمها إلى المترددين في هذه الارض".

"فيما يتصل بخلق الكون فان القرآن على الرغم من اشارته إلى الحالة الاصلية والى اصل العالم.. لا يقيم ايما حدّ مهما يكن في وجه قوى العقل البشري، ولكنه يتركها طليقة تتخذ السبيل الذي تريد..". (٣)

(٢٠) عبد الله كويليام :

مفكر انكليزي، ولد سنة ١٨٥٦، واسلم سنة ١٨٨٧، وتلقب باسم: (الشيخ عبد الله كويليام). من آثاره: (العقيدة الاسلامية) (١٨٨٩)، و (احسن الاجوبة).

(١) - (دفاع عن الاسلام، ص ٥٦ - ٥٧)، عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٢) - (نفسه، ص ٥٨ - ٥٩)

(٣) - (ص ٥٩، ٦٠)

قال : "احكام القرآن ليست مقتصرة على الفرائض الادبية والدينية.. انه القانون العام للعالم الاسلامي، وهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية والقضائية والجزائية. ثم هو قانون ديني يدار على محوره كل امر من الامور الدينية إلى امور الحياة الدنيوية، ومن حفظ النفس إلى صحة الابدان، ومن حقوق الرعية إلى حقوق كل فرد، ومن منفعة الإنسان الذاتية إلى منفعة الهيئة الاجتماعية، ومن الفضيلة إلى الخطيئة، ومن القصاص في هذه الدنيا إلى القصاص في الآخرة.. وعلى ذلك فالقران يختلف مادياً عن الكتب المسيحية المقدسة التي ليس فيها شئ من الاصول الدينية بل هي في الغالب مركبة من قصص وخرافات واختباط عظيم في الامور التعبدية.. وهي غير معقولة وعديمة التأثير" (١). "لقد عثرت في (دائرة المعارف العامة) Popural Encycropedia: على نبذة نصها كما يأتي (إن لغة القرآن معتبرة بأنها من افصح ما جاء في اللغة العربية فان ما فيه من محاسن الانشاء وجمال البراعة جعله باقياً بلا تقليد ودون مثيل. اما احكامه العقلية فانها نقية زكية إذا تأملها الإنسان بعين البصيرة لعاش عيشة هنية) .." (٢).

"هذا القرآن الذي هو كتاب حكمة فمن اجال طرف اعتباره فيه وامعن النظر في بدائع اساليبه وما فيها من الاعجاز رآه وقد مر عليه من الزمان الف وثلاثمائة وعشرون سنة كانه مقول في هذا العصر اذ هو مع سهولته بليغ ممتنع ومع إيجاز مفيد للمرام بالتمام. وكما انه كان يرى مطابقاً للكلام في زمن ظهوره لهجة واسلوباً كذلك يرى موافقاً لاسلوب الكلام في كل زمن ولهجة، وكلما ترقت صناعة الكتابة قدرت بلاغته وظهرت للعقول مزاياه. وبالجمللة فان فصاحته وبلاغته قد اعجزت مصانع البلغاء وحيرت فصحاء الاولين والآخرين. واذا اعطينا النظر إلى ما فيه من الاحكام وما اشتمل عليه من الحكم الجليلة نجد جامعا لجميع ما يحتاجه البشر في حياته وكمالته وتهذيب اخلاقه.. وكذا نراه ناهياً عما ثبت بالتجارب العديدة خسارته وقبحه من الافعال ومساوي الاخلاق.. وكم فيه ما عدا ذلك ايضاً ما يتعلق بسياسة المدن وعمارة الملك، وما يضمن للرعية الامن والدعة من الاحكام الجليلة التي ظهرت منافعها العظيمة بالفعل والتجربة فضلاً عن القول.." (٣). "ان من ضمن

(١) - العقيدة الاسلامية له ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) - (نفسه ص ١٣٩ - ١٤٠) ، عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٣) - (احسن الاحوبة، ص ٢٣ - ٢٦) ، عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

محاسن القرآن العديدة امرين واضحين جداً احدهما علامة الخشوع والوقار التي تشاهد دائماً على المسلمين عندما يتكلمون عن المولى ويشيرون اليه.. والثاني خلوه من القمص والخرافات وذكر العيوب والسيات والى آخره، والامر الذي يؤسف عليه كثيراً لوقوعه بكثرة فيما يسميه المسيحيون (العهد القديم) ..". (١)

(٢١) روم لاندو . :

نحات وناقد فني انكليزي، وحاضر في عدد من جامعات الولايات المتحدة (١٩٥٢ - ١٩٥٧) ، استاذ الدراسات الاسلامية وشمالى افريقيا في المجمع الامريكى للدراسات الاسيوية في سان فرانسيسكو (١٩٥٣) . له كتب كثيرة

"بسبب من ان مهمة ترجمة القرآن بكامل طاقته الايقاعية، إلى لغة اخرى، تتطلب عناية رجل يجمع الشاعرية إلى العلم، فاننا لم نعرف حتى وقت قريب ترجمة جيدة استطاعت ان تتلقف شيئاً من روح الوحي المحمدي. والواقع ان كثيراً من المترجمين الاوائل لم يعجزوا عن الاحتفاظ بجمال الاصل فحسب، بل كانوا إلى ذلك مفعمين بالحد على الاسلام إلى درجة جعلت ترجماتهم تنوء بالتحامل والغرض ولكن حتى افضل ترجمة ممكنة للقرآن في شكل مكتوب لا تستطيع ان تحتفظ بايقاع السور الموسيقي الاسر، على الوجه الذي يرتلها به المسلم. وليس يستطيع الغربي ان يدرك شيئاً من روعة كلمات القرآن وقوتها الا عندما يسمع مقاطع منه مرتلة بلغته الاصلية" (٢) . .. ان بين آيات قصار السور ترابطاً باهراً له تأثيره الوجداني برغم انه ليس ثمة ايما وزن نظامي. وفي الحق ان سماع السور تتلى في الاصل العربي، كثيراً ما يخلف في نفس المرء تأثيراً بليغاً. لقد اريد بالقرآن.. ان يتلى في صوت جهير. ويتعين على المرء ان يسمعه مرتلاً لكي يحكم عليه حكماً عادلاً ويقدره حق قدره.. وبوصفه كلمة الله الحقيقية، كان معجزاً لا سبيل إلى محاكاته، ولم يكن ثمة، بكل بساطة، ايما شيء من مثله" (٣)

(٢٢) البروفيسور كيث مور Keith Moore

من أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم في عام ١٩٨٤، تسلم الجائزة الأكثر بروزاً في حقل علم التشريح في كندا جي. سي. بي جائزة جرانت من الجمعية الكندية لاختصاص التشريح ، ترأس العديد من الجمعيات الدولية مثل الجمعية الكندية والأمريكية لاختصاصي

(١) - (العقيدة الاسلامية، ص ٣٨) ، عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

(٢) - (الاسلام والعرب، ص ٣٦ - ٣٧).

(٣) - (نفسه، ص ٢٩٦ - ٢٩٧) عن قالوا عن الإسلام ل د. عماد الدين خليل مرجع سابق

التشريح، ومجلس اتحاد العلوم الحيوية. له كتاب يُدرّس في معظم كليات الطب في العالم، وقد تُرجم هذا الكتاب لأكثر من ٢٥ لغة، فهو صاحب الكتاب الشهير (The Developing Human). يقول الدكتور زغلول النجار في كتابه (الذين هدى الله) : أنهم في مؤتمر الإعجاز في موسكو وقف هذا الرجل في وسط ذلك الجمع قائلاً : ((إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكون الجنين في الإنسان لتبلغ من الدقة والشمول ما لم يبلغه العلم الحديث، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا كلام الله، وأن محمدًا رسول الله)) ... ففيل له : هل أنت مسلم؟! قال: لا، ولكني أشهد أن القرآن كلام الله، وأن محمدًا مرسل من عند الله. ففيل له: إذن فأنت مسلم. قال: أنا تحت ضغوط اجتماعية تحول دون إعلان إسلامي الآن، ولكن لا تتعجبوا إذا سمعتم يوماً أن كيث مور قد دخل الإسلام. ولقد وصلنا في العام الماضي أنه قد أعلن إسلامه فعلاً، فله الحمد والمنة...

وفي مؤتمر الإعجاز العلمي الأول للقرآن الكريم والسنة المطهرة والذي عُقد في القاهرة عام ١٩٨٦م، وقف الأستاذ الدكتور كيث مور (Keith Moore) في محاضراته قائلاً: "إنني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار القرآن الكريم ، ولست أعتقد أن محمدًا صلى الله عليه وسلم أو أي شخص آخر يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين؛ لأن هذه التطورات لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين، وأريد أن أوكد على أن كل شيء قرأته في القرآن الكريم عن نشأة الجنين وتطوره في داخل الرحم ينطبق على كل ما أعرفه كعالم من علماء الأجنة البارزين." علمًا أن مراحل خلق الإنسان (بني آدم) التي ذكرها القرآن هي سبع مراحل، قال تعالى : {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا \* ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } [المؤمنون: ١٢-١٤] وقد أثبت علم الأجنة هذه المراحل وصحتها وتطابقها مع المراحل المذكورة في القرآن، وهذه المراحل هي: ١- أصل الإنسان (سلالة من طين). ٢- النطفة. ٣- العلقة. ٤- المضغة. ٥- العظام. ٦- الإكساء باللحم. ٧- النشأة...

علمًا أن الأستاذ الدكتور كيث مور Keith Moore أَلَّفَ كتابًا يعدُّ من أهم المراجع الطبية في هذا الاختصاص (مراحل خلق الإنسان - علم الأجنة السريري )، وضمنه ذكر هذه المراحل المذكورة في القرآن، وربط بين كل فصل من فصول الكتاب التي تتكلم عن تطور خلق الجنين وبين الحقائق العلمية والآيات والأحاديث المتعلقة بها، وشرحها وعلق عليها بالتعاون مع الشيخ الزنداني وزملائه....

كتاب (عادوا إلى الفطرة) إعداد: أبو إسلام أحمد بن علي.

## الفصل الثالث :

### أثر القرآن وسحره في نفوس و قلوب البشر جميعا !

إن في هذا القرآن ، سرًّا يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء ، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها.

إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، وأن هناك عنصراً ما ينسكب في الحسن بمجرد الاستماع لهذا القرآن يدركه بعض الناس واضحاً، ويدركه بعض الناس غامضاً ولكنه على كل حال موجود هذا العنصر الذي ينسكب في الحس يصعب تحديده مصدره: أهو العبارة ذاتها ؟ أهو المعنى

الكامن فيها ؟ أهو الصور والظلال التي تشعّها ؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميّز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللّغة ؟

أهي هذه العناصر كلها مجتمعة ؟ أم إنّها هي وشيء آخر وراءها غير محدود ؟ ذلك سر مودع في كلّ نصّ قرآنيّ، يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداء ثم تأتي وراءه الأسرار المدركة بالتدبّر والنّظر والتّفكير في بناء القرآن كله .<sup>(١)</sup>

إن سرّ تأثير القرآن في النفس البشرية فيه كله، فكلّ جوانب العظمة والسموّ فيه، ألفاظه ومعانيه، وصوره، وظلاله، وإيقاعه، وأسلوبه، وشيء آخر بالإضافة إلى كلّ ذلك.

ويقول سيد قطب رحمه الله للقرآن تأثير عجيب على النفوس وسلطان قويّ على القلوب: ( ويبقى وراء ذلك السرّ المعجز في هذا الكتاب العزيز، يبقى ذلك السلطان الذي له على الفطرة متى خلي بينه وبينها لحظة - وحتى الذين رانت على قلوبهم الحجب وثقل فوقها الركام تنتفض قلوبهم أحياناً وتتململ، وتحت وطأة هذا السلطان وهم يستمعون إلى هذا القرآن. إن الذين يقولون كثيرون، وقد يقولون كلاماً يحتوي على مبادئ ومذاهب وأفكار واتجاهات، ولكن هذا القرآن ينفرد في إيقاعاته على فطرة البشر وقلوبهم فيما يقول: ( إنّّه قاهر غلاب بذلك السلطان الغلاب ) .<sup>(٢)</sup>

إن للقرآن سرّاً خاصّاً على النفوس حتى يبلغ أن يؤثّر بتلاوته المجرّدة على الذين لا يعرفون العربية، وعلى العوام الذين يسمعون إلى تلاوته لا يطرّق عقولهم منه شيء، لكن يطرّق قلوبهم إيقاعه ويظهر على ملاحظهم سره، إن كل آية وكل سورة تنبض بالعنصر المستكن العجيب المعجز في هذا القرآن، وتشي بالقوّة الخفيّة المودعة في هذا الكلام، وإن الكيان الإنساني ليهتّز ويرتجف ولا يملك التماسك أمام هذا القرآن كلّما تفتّح القلب، وصفى الحسّ، وارتفع الإدراك، وارتقت حساسيّة التلقّي والاستجابة، وإنّ هذه الظاهرة لتزداد وضوحاً كلّما اتّسعت ثقافة الإنسان .<sup>(٣)</sup>

(١) - في ظلال القرآن ح ٥ / ٣٣٩٩ ، سيد قطب ، دار الشروق بيروت - القاهرة ، ط ١٧ / ١٤١٢

(٢) - المرجع نفسه ح ٣ / ١٤٢١ ، مرجع سابق .

(٣) - المرجع نفسه ح ٥ / ٢٨٥

قال توماس أرنولد : "إننا نجد حتى من بين المسيحيين مثل الفار (الإسباني) الذي عرف بتعصبه على الإسلام يقرر أن القرآن قد صيغ في مثل هذا الأسلوب البليغ الجميل، حتى إن المسيحيين لم يسعهم إلا قراءته والإعجاب به." (١)

﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] ، ﴿يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور﴾ [يونس : ٥٧] ، ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً﴾ [الإسراء: ٨٢] فالآية القرآنية تثبت أن القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين ولذا يقول الشعراوي في تفسيره: "فساعة تسمع القرآن فهو يشفيك من الداء الذي تعاني منه نفسياً ويُقوي قدرتك على مقاومة الداء؛ ويُفجّر طاقات الشفاء الكامنة في أعماقك، وهو رحمة لك حين تتخذه منهجاً، وتُطبِّقه في حياتك فيمنحك مناعة تحميك من المرض، فهو طبّ علاجيّ وطبّ وقائيّ في آنٍ واحد"

قال الإمام الخطابي متحدثاً عن هذا الأثر النفسي للقرآن : (في إعجاز القرآن وجه آخر ، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن . منظوماً ولا منثوراً . إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه، عادت إليه مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عدواتهم موالاة، وكفرهم إيماناً .

خرج عمر بن الخطاب يريد رسول الله ﷺ ويعمد إلى قتله، فسار إلى دار أخته

(١) - توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية) ، ص ١٦٢ ، توماس أرنولد (١٨٦٤-١٩٣٠): مستشرق إنجليزي التحق بكلية الجدلدية في جامعة كامبردج عام ١٨٨٢م حيث اجتذبه الدراسات الشرقية، وبعد أن أنجز بنجاح دراسته أمضى السنة الرابعة عاكفاً على دراسة الإسلام، واختير لتدريس الفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية في الهند، ف قضى فيها عشر سنوات، كان لها تأثير بالغ في نظره تجاه الإسلام، وكان يدعو إلى التوفيق بين الثقافة الإسلامية والفكر الأوربي، وتولى عدة مناصب، وقبل وفاته بعام دعته الجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن) أستاذاً زائراً. وبعد أن أمضى النصف الثاني من العالم الدراسي ١٩٢٩-١٩٣٠ في التدريس بقسم التاريخ عاد إلى لندن وتوفي فيها في ٣٠ يونيو ١٩٣٠، من مؤلفاته " الدعوة الإسلامية" و "الخلافه" وغيرها.

وهي تقرأ (سورة طه)، فلما وقع في سمعه لم يلبث أن آمن .  
 وبعث الملائكة من قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ ليوقفوه على أمور أرسلوه بها، فقرأ عليه  
 رسول الله ﷺ آيات من {حم السجدة} فلما أقبل عتبة وأبصره الملائكة من قريش قالوا: أقبل  
 أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. ولما قرأ رسول الله ﷺ القرآن في الموسم على النفر الذين  
 حضروه من الأنصار آمنوا، وعادوا إلى المدينة فأظهروا الدين بها، فلم يبق بيت من بيوت  
 الأنصار إلا وفيه قرآن. وقد روي عن بعضهم أنه قال: فتحت الأمصار بالسيوف، وفتحت  
 المدينة بالقرآن . ولما سمعته الجن لم تتمالك أن قالت : { إنا سمعنا قرآناً عجبا \* يهدي إلى  
 الرشاد فآمننا به } [الجن: ١-٢] ، ومصداق ما وصفناه في أمر القرآن في قوله تعالى: {لو  
 أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله} [الحشر: ٢١]، وقوله تعالى  
 { :الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين  
 جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله} [الزمر: ٢٩] ، وغير ذلك في آي ذوات عدد منه، وذلك لمن  
 ألقى السمع وهو شهيد، وهو من عظيم آياته، ودلائل معجزاته . (١)

أمر الله تعالى في كتابه الحرص على إسماع المشركين القرآن الكريم ليكون ذلك عوناً  
 على دعوتهم للإسلام. قال ابن حجر : فلولا أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه  
 ولا يكون حجة إلا وهو معجز (أ). كما ورد في كتب السيرة والتفسير والسنة عن لجوء  
 رسول الله ﷺ لإعجاز القرآن التأثيري كوسيلة أساسية من أسس الدعوة للإسلام وظهور أثر  
 هذه الوسيلة الفعال في كل من استعملت معه. إما قبولاً واعتناقاً للإسلام أو نفوراً وإعراضاً  
 عنه أو إقراراً لإعجاز القرآن في حاله. إن تأثير القرآن الكريم في القلوب قد بلغ مبلغاً عظيماً  
 لم يعرف قبله ولا بعده كلام قط، إذ تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم روعة وخشية وتعزيهم  
 هيبة وتهيمن عليهم عظمتهم، ونرى آثاره على الجاحدين أبلغ وأظهر، إذ يقرّعون عن ضلالهم  
 ويقيم عليهم حججاً لا معقب لها فيستثقلون سماعه ويتولّون عنه بنفور مدبرين كما أخبر الله  
 تعالى عنهم { ولقد صرفنا في هذا القرآن ليدّكروا وما يزيدهم إلا نفوراً } [الإسراء: ٤١]  
 وقال: { وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً } [الإسراء: ٤٦]

(١) - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - رسالة الخطابي / ٧٠ تحقيق محمد خلف الله أحمد - دار المعارف ط٤، وانظر البيان في إعجاز القرآن صلاح الخالدي

/ ٣٥٠، دار عمار ط٣ - ١٩٩٣ .

(٢) - الإنتقان في علوم القرآن / ١١٧ للسيوطي ، مطبعة المشهد الحسيني - ط٢ - ١٩٥١ .

وإن الإقرار بالعجز أمام اختيار آيات قرآنية معينة مؤثرة في النفس البشرية دون سواها من آيات القرآن الكريم أمر لا يعدّ نقصاً في البحث أو الباحث، فقد يتأثر بعضهم بآية تتحدّث عن القدرة الإلهية في الكون والحياة وقد يتأثر الآخر بما ذكره الله في حياته من النعيم والجنان وما أعدّه الله للمؤمنين ويتأثر الثالث بآية تتحدّث عن النار والجحيم والسعير ويتأثر رابع بالحقائق التاريخية الصادقة وخامس يتأثر بالبلاغة المعجزة والكلمة الرقيقة وسادس يتأثر بالأسس الشرعية المحكمة في مجال الحكم والأسرة والمجتمع وغير ذلك.

وهكذا فالقرآن لا يترك نفساً إلا ويتحدّث معها عن ملكة من ملكاتها المتعدّدة، سواء أكانت فكرية عقلية أم وجدانية عاطفية أم سياسية أم عسكرية إلى غير ذلك، ويأخذ هذا التأثير أشكالاً متباينة أحياناً أو منسّقة أحياناً أخرى، فتأثر المشركين والكافرين غالباً نفوراً وإعراضاً، أو إلقاء للحجج الواهية التي يقصدون بها التعجيز لقارئه أو النيل من النصّ القرآني نفسه كما نرى عند اليهود والمنافقين ومن شاكلهم.<sup>(١)</sup>

ولا ننسى أننا نقصد بالإعجاز : عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفر ملكيتهم البيانية وقيام الداعي على ذلك وهو استمرار تحديهم وتقدير عجزهم عن ذلك ، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأنّ العالم كلّه في العجز إنسان واحد ليس له غير مدّته المحدودة بالغة ما بلغت.<sup>(٢)</sup>

أما الإعجاز التأثري للقرآن : فهو وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، ويتمثّل فيما يتركه القرآن الكريم من أثر ظاهر أو باطن على سامعه أو قارئه ولا يستطيع هذا السامع أو القارئ مقاومته ودفعه ولا يقتصر ذلك على المؤمنين به .

أو هو تأثير القرآن الكريم في النفس الإنسانية عندما تسمعه، وتفاعلها معه حتى لو كانت نفساً كافرة.<sup>(٣)</sup>

## تأثير القرآن في نفوس أعدائه .

(١) - بحث قدم إلى مؤتمر كلية الشريعة السابع إعجاز القرآن الكريم ١٨-٢٠ رجب ١٤٢٦هـ - ٢٣ - ٢٥ آب ٢٠٠٥ جامعة الزّرقاء الأهلية الدكتور خالد

محمد القضاة باسم الإعجاز التأثري للقرآن الكريم وهو منشور على <http://www.quran-m.com/?/quran/article/2487>

(٢) - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي / ١٣٩ ، دار الكتاب العربي ط ٩ - ١٩٧٣ ، و البيان في إعجاز القرآن د. صلاح الخالدي / ٢٣ مرجع سابق . وانظر إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الربانيّ صفحة ١٧ ، للخالدي ، دار عمّار ط ٢ - ٢٠٠٤ .

(٣) - التعريفات - الجرجاني / ٩ ، مكتبة لبنان - ١٩٧٨ ، البيان في إعجاز القرآن - الخالدي / ٣٤١-٣٤٢ مرجع سابق .

في مسألة الإعجاز التأثري. ندلل على عجز العرب وغيرهم من غير الناطقين بالعربية أمام القرآن ، من خلال أقوالهم والأمثلة كثيرة:

١- الوليد بن المغيرة : من أعتى المشركين وأشدّهم أذى على رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرأ عليه القرآن، فقرأ عليه قوله تعالى: ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ [النحل: ٩٠] فقال له أعد، فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الوليد بن المغيرة قولته: ( والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر).

فكأنما رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه وقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، فقال: لم ؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله ! قال: علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل في القرآن قولاً: قومك أنك منكرته، قال: وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم أحد ألهم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ثم يقول في وصفه مقالة التأثيرية المفتون بجمال المستسلم لإعجازه ، ( والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه ومغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما هو من قول البشر ) . (١) فإذا كان هذا تأثير القرآن في مشرك حتى يستشعر هذه الطلاوة وتلك الحلاوة فكيف بمسلم عمر قلبه بالإيمان وأشرقت نفسه بنور القرآن. ولقد صدق الوليد بن المغيرة، فأقره جميع المشركين الذين جاؤوا للتداول في أمر رسول الله ﷺ وكيف لا ؟ وجميعهم يشعرون بنفس شعور الوليد، ويحس بأحاسيسه فلم يمنعهم كفرهم ولا كبرهم ولا غرورهم من الاعتراف بهذه الحقيقة التي لا سبيل إلى إنكارها.

٢- عتبة بن ربيعة: من سادة قريش، كان سيّداً حليماً، ترسله قريش إلى محمد صلى الله عليه وسلم ليفاوضوه باسم المشركين وليكون لسانها المعبرّ وعقلها المفكّر، أرسلته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليساوموه على أن يدع ما هو عليه ويترك دعوته على أن يقدموا له ما شاء فيعرض عليه الطيب إن كان ما يأتيه من قبيل الوسوس والجنون.

(١) - د. محمد أبو شهبة ، المدخل لدراسة القرآن ح/١ ٢٩٤/١ دار الجيل ط٢ - ١٩٩٢، وانظر الإعجاز القرآني وجوهره وأسراره صفحة ٤٧ د. عبد الغني محمد سعيد بركة - مكتبة وهبة ط١ - ١٩٨٩، والمعجزة القرآنية /٣٦، الإعجاز العلمي - د.محمد حسن هيثو - مؤسسة الرسالة ط٣ ١٩٩٨، السيرة النبوية لابن هشام ح/١ ٢٩٤، مطبعة محمد علي صبيح ، المعجزة الكبرى القرآن /٦٧ . محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي .

استمع النبي صلى الله عليه وسلم إلى عروضه السخية، حتى إذا فرغ قال له رسول الله ﷺ : (( أوقد فرغت يا أبا الوليد ؟ )) قال: نعم قال: (( فاسمع مني )) قال: أفعل، فقال رسول الله ﷺ : { بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون، بشيراً ونذيراً، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون، وقالوا قلوبنا في أكنه مما يدعوننا إليه، وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون } . [فصلت : ١ - ٣] .

فلما سمعها عتبة أنصت إليه، وألق يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد وسجد معه عتبة ثم قال له: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك. فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض، لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس، قالوا: ما وراءك، قال: ورائي أي سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط، وهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش ! أطيعوني، خلّوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فو الله ليكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم. قالوا: سحرك بلسانه، قال: هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم ) . (١) وهذا اعتراف خطير من الوليد أمام سادة قريش وكبرائهم بإعجاز القرآن الكريم وأثره في النفوس والقلوب والجوارح.

٣- ويروي التاريخ أن الإحساس بتأثير القرآن الكريم كان يجذب رؤساء هؤلاء المعاندين ليلاً لاستماع تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، على ما كان من نهيهم عن سماعه وتواصيهم بذلك. ف أبو جهل وأبو سفيان والأخنس بن شريق كان كل واحد منهم يأتي من ناحية على غير موعد إلى حيث يستمعون من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق وتلاوموا، وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو راكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل

(١) - الموسوعة القرآنية الميسرة ح ١/٥٤ إبراهيم الأبياري - مؤسسة سجل العرب ١٩٩٤، وانظر المعجزة القرآنية / ٣٧. د. محمد حسن هيثو - مؤسسة الرسالة ط ٣ ١٩٩٨، الإعجاز القرآني وجوهره وأسراره / ٥٤٩. عبد الغني محمد سعيد بركة - مكتبة وهبة ط ١ - ١٩٨٩ وانظر من أوجه إعجاز القرآن الكريم / ٥٧. د. نبيل محمد آل إسماعيل - دار ابن حزم ط ١٠٢٠٠٢، المعجزة الكبرى - القرآن / محمد أبو زهرة / ٦٧. دار الفكر العربي

رجل إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أوّل مرّة ثم انصرفوا.

حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل واحد منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد ألاّ نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرّقوا. فلما أصبح الأحنس ذهب إلى أبي سفيان يسأله عما سمع فقال خيراً، ثم خرج حتى أتى أبا جهل فدخل عليه فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منّا نبيّ يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدّقه (١).

٤- ومن أوضح الأمثلة على ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان سبب إسلامه سماعه القرآن الكريم. يقول عن نفسه: كنت للإسلام مباعداً وكارهاً ومحارباً، وكنت صاحب خمر في الجاهلية، أحبها وأحرص على شربها وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش على شربها. فأرقت في ليلة من الليالي وخرجت أريد جلسائي في مجلسهم ذلك، فلم أجد أحداً، فقلت: لو أني جئت فلاناً الخمار لعلّي أجد عنده، فجئته فلم أجد، فقلت لو أني ذهبت إلى الكعبة فظفت بها مسبقاً، فجئت الكعبة لأطوف بها فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي... فقلت حين رأيته لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول. ثم قلت في نفسي: لئن دنوت منه لأرؤّعنه، فابتعدت عنه، وجئت الكعبة من جهة حجر إسماعيل ودخلت تحت ثيابها، وجعلت أمشي رويداً، ورسول الله ﷺ قائم يصلي يقرأ القرآن، حتّى قمت في قبلته مستقبلاً، ما بيني وبينه إلاّ ثياب الكعبة! ثم سمعت القرآن، رقّ له قلبي فبكيت ودفعتني إلى الإسلام، ولم أزل قائماً في مكاني ذلك حتى انصرف رسول الله ﷺ فتبعته وأسلمت (٢). وهناك رواية أخرى لإسلام عمر قال لأخته أعطني هذه الصحيفة التي سمعتم تقرأونها آنفاً، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ووعدنا أن يردها علينا إذا قرأها، فلما طمعت أخته في إسلامه، قالت له: يا أخي إنك نجس، على شركك وإنه لا يمسه إلاّ المطهرون. فقام عمر

(١) - سيرة ابن هشام ١/٣٣٧ إلى ٣٣٨، مطبعة محمد علي صبيح. و الموسوعة القرآنية الميسرة ح ١/صفحة ٨٥ مرجع سابق. الإعجاز القرآني وجوهه وأسرار -

د. عبد الغني محمد سعيد بركة - مكتبة وهبة ط ١ - ١٩٨٩ ص (٤٤)، وانظر إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني د. صلاح الخالدي - دار عمار ط ٢ - ٢٠٠٤ ص (٤٩٣)، و المدخل لدراسة القرآن الكريم محمد أبو شهبة /٣٧٣، دار الجليل ط ٢ - ١٩٩٢.

(٢) - السيرة النبوية لابن هشام ١/٣٧١-٣٧٣، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٦/١٦٣، دار إحياء التراث العربي ١٩٦٠.

واغتسل، فأعطته الصحيفة وفيها: { بسم الله الرحمن الرحيم، طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى، الرحمن على العرش استوى، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى } صدر سورة طه فلما قرأ عمر الآيات المكتوبة في الصحيفة، هدأت ثورته، وذابت حدته، وسطع أمامه نور المعجزة بما لا يستطيع دفعه وقال لما قرأ ذلك: ( ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ).(١)

لقد انفعلت نفس عمر بهذا الكلام، كيف لا ؟ وهو العربي القرشي الذي يتذوق العربية ويتميل لسماعها طرباً، وما كان منه إلا أن قال: ( ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ) وما كان منه إلا أن ذهب إلى رسول الله ﷺ ليعلن إسلامه وليضيف إلى التاريخ حادثاً من أهم الحوادث في تاريخ المعجزة القرآنية. لما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه قلبه للقرآن، دخلت أنواره قلبه وبددت منه ظلمات الكفر فتأثر بالقرآن وخشع، ورق له قلبه، وبكى من التأثر والخشوع وأعلن إسلامه رضي الله عنه.

٥- أثر القرآن في نفس الطفيل بن عمرو الدوسي:

الطفيل بن عمرو الدوسي شاعر شريف لبيب، صفات تجمع بين الذكاء العقلي الحاد والإحساس الوجداني المرهف إضافة إلى شرف المكانة العالية في قبيلته، فجاء مكة مقابلة رجال من مشركي مكة وسادتها وحذروه من السماع من محمد ﷺ وخشية أن يؤمن به، إلا أن النتيجة كانت على عكس ما رموا إليه وأزاده، لأن ما أثر في نفوسهم لا بد أن يؤثر في نفس الطفيل وغيره، من كل من عقل كلام العرب وتذوقه.

يقول الطفيل: كنت رجلاً شاعراً سيداً في قومي، فقدمت مكة فمشيت إلى رجال قريش فقالوا: يا طفيل إنك امرؤ شاعر، وأنا قد خشينا أن يلقاك هذا الرجل فيصيبك ببعض حديثه وإنما حديثه كالسحر فاحذره أن يدخل عليك وعلى قومك ما أدخل علينا، فإنه قد فرق بين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء ودينه، فو الله ما زالوا يحدثنوني في شأنه وينهوني عن أن أسمع منه حتى قلت: والله لا أدخل المسجد إلا وأنا سادّ أذني، فوضع قطناً ساداً أذنيه كي لا يسمع القرآن.

(١) - الموسوعة القرآنية ح/٦٢ إبراهيم الأبياري - مؤسسة سجل العرب ١٩٩٤، سيرة ابن هشام ٣٧٣/١ مرجع سابق، المعجزة القرآنية ٤١ د. محمد حسن هيثو - مؤسسة الرسالة ط ١٩٩٨، بالقرآن أسلم هؤلاء /١٠١-١٠٧ عبد العزيز هاشم الغزولي - دار القلم ط ١ - ٢٠٠١ .

ودخل الطفيل إلى المسجد الحرام، فإذا به يجد رسول الله ﷺ قائماً يصلي عند الكعبة، فاقتربت منه، وأبى الله إلا أن يسمعه بعض قوله، فسمع كلاماً حسناً فقال في نفسه: والله إن هذا للعجز وإني امرؤ ثبت، ورجل شاعر لبيب، ما تخفى عليّ الأمور حسناتها وقيحتها، والله لأتسمعنّ منه فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته. فنزعت الكرس، فلم أسمع كلاماً أحسن من كلام يتكلم به، فقلت يا سبحان الله ما سمعت كالיום لفظاً أحسن ولا أجمل منه.

ثم انصرف محمد ﷺ إلى بيته وتبعه الطفيل حتى دخل بيته ثم قال له: يا محمد! إن قومك جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فأخبرته بما قالوا ثم أبى الله إلا أن أسمعني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنه حقّ فأعرض عليّ دينك، فعرض عليّ الإسلام فأسلمت. (١)

٦- وما قصة إسلام زعيم الأوس أسيد بن حضير وسعد بن معاذ إلا شاهد على ذلك فما أسلما إلا بعد سماع القرآن ومعرفة ما يدعوا له.

٧- كما ورد في الصحيح عن جبير بن مطعم قال: (( سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب سورة الطور فلما بلغ الآية { أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يؤمنون، أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون } [الطور/ ٣٥-٣٧]، كاد قلبي أن يطير للإسلام، وفي رواية أخرى وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي. (٢)

إن تأثير القرآن ونفاذه يستحيل أن تتحصن دونه القلوب، فإنه لو أنزل على قمم الجبال لغلقتها وشققها بما يودعه فيها من هيبة الله وجلاله ألا ترى أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره من العوام من الخشوع والسكينة وزيادة الإيمان ما لا يخفى، وذلك كله من دلائل معجزاته وعظيم آياته الدالة على نبوة سيدنا محمد ﷺ. الفضيل بن عياض، قاطع طريق، يسلب المال ويسفك الدماء، استمع ذات ليلة إلى قارئ يتلو: { ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون } [الحديد: ١٥]، فتاب وحسنت

(١) - السيرة النبوية لابن هشام ٤٢٨/١ مرجع سابق، سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٤٤/٢ مؤسسة الريا ط ١٩٨٣، وانظر المعجزة القرآنية /٤٠ مرجع سابق، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، أسد الغابة (٢/ ٤٦١)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

(٢) - صحيح البخاري ح (٤٨٥٤). وابن ماجه ح (٨٣٢) حكم الالباني صحيح .

توبته حتى أصبح من كبار الصالحين المقتدى بهم، فهل كلام يحدث جميع هذه الآثار يدعو به رجل أمي لا دولة له ولا سلطان، هل يكون إلا كلام رب العالمين. (١)

### حديث سيد قطب في تأثير القرآن الكريم في نفسه :

نموذج آخر لتأثير القرآن الكريم في نفوس المؤمنين، أنه سيد قطب الذي يحدثنا عن تأثير القرآن الكريم في نفسه: يقول رحمه الله عند تفسيره لسورة النجم: ( كنت بين رفقة نسمر حينما طرق أسماعنا صوت قارئ للقرآن من قريب يتلو سورة النجم، فانقطع بيننا الحديث لنستمع وننصت للقرآن الكريم وكان صوت القارئ مؤثراً وهو يرتل القرآن ترتيلاً حسناً.

وشيئاً فشيئاً عشت معه فيما يتلوه، عشت مع قلب محمد ﷺ في رحلته إلى الملاء الأعلى، عشت معه وهو يشهد جبريل عليه السلام، في صورته الملائكية التي خلقه الله عليها. تلك الحادث العجيب المدهش حين يتدبره الإنسان ويحاول تحيِّله ! وعشت معه وهو في رحلته العلوية الطليقة، عند سدرة المنتهى، وجنة المأوى، عشت معه بقدر ما يسعفني خيالي، وتحلّق بي رؤاي، وبقدر ما تطيق مشاعري وأحاسيسي، وتابعته في الإحساس بتهافت أساطير المشركين حول الملائكة وعبادتها وبنوّتها وأنوثتها....!

ووقفت أمام الكائن البشري ينشأ من الأرض وأمام الأجنّة في بطون الأمّهات وعلم الله يتابعها ويحيط بها. وارتجف كياني تحت وقع اللمسات المتتالية في المقطع الأخير من السورة، الغيب المحجوب الذي لا يراه إلا الله، والعمل المكتوب لا يندّ ولا يغيب عن الحساب والجزاء، والمنتهى إلى الله في نهاية كلّ طريق يسلكه العبيد.

والحشود الضاحكة، والحشود الباكية، وحشود الموتى، وحشود الأحياء، والنظفة تهتدي في الظلمات إلى طريقها، وتخطو خطواتها وتبرز أسرارها فإذا هي ذكراً أو أنثى، والنشأة الأخرى ومصارع الغابرين، والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى ! واستمعت إلى صوت النذير الأخير مثل الكارثة الداهية { هذا نذير من النذر الأولى أزفت الأزفة ليس لها من دون الله كاشفة } [النجم: ٥٦-٥٨]. ثم جاءت الصيحة الأخيرة واهترّ كياني كلّ أمام التبيكيت المرعب { أفمن هذا الحديث تعجبون، وتضحكون ولا تبكون وأنتم ساجدون } [خاتمة

القمر]. فلما سمعت الآية { فاسجدوا لله واعبدوا } [آخر آية] كانت الرجفة قد سرت في قلبي حقاً إلى أوصالي، واستحالت رجفة عضلية مادية ذات مظهر مادي، لم أملك مقاومته، فظل جسمي كله يختلج ولا أتمالك تثبيته، ولا أن أكفكف دموعاً هائئة لا أملك احتباسها مع الجهد والمحاولة. وأدركت في هذه اللحظة أن حادث السجود صحيح، وأن تعليقه قريب، إنه كامن في ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن (١).

## الإعجاز التأثري للقرآن على غير الناطقين بالعربية

إن للقرآن الكريم سلطاناً قاهراً على القلوب المؤمنة والقلوب غير المؤمنة على السواء! فما أن يسمع الإنسان آيات من القرآن الكريم تتلى على سمعه، حتى يحس في نفسه وقعاً خاصاً، ويحس لها في وجدانه تأثيراً عجيباً لا يقاوم، بينما هذا الحس لا يجده في غير آيات القرآن الكريم.

وهذه الخاصية التي امتاز بها القرآن تتمثل في نظمه البديع وبلاغته وقوة الحجة فيه حتى إن الجرس الموسيقي للآيات أصبح يؤثر في سامعيه مهما كانت عقائدهم ومستوياتهم الاجتماعية وحتى لغاتهم، وهذا يبرهن على أن الإيمان بالقرآن يكمن في سماعه، لأن من يستمع إليه يتأثر به ومن ثم يؤمن بهذا الدين، ولهذا كانت أول أساليب الدعوة إلى الإسلام هي توصيل هذا القرآن إلى الناس سماعاً، قال تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) [التوبة: ٦].

إن القرآن الكريم يملك سراً خاصاً معجزاً حتى أنه يؤثر بمجرد تلاوته على الذين لا يعرفون من اللغة العربية حرفاً! كما أنه يؤثر في عوام الناس ومثقفهم عندما يستمعون إلى آياته، لأنه يطرق قلوبهم إيقاعه، قبل أن يطرق عقولهم، ويظهر على ملاحظهم علامات هذا التأثير بمجرد السماع لموسيقى القرآن الكريم والتلذذ بنغمة الكلمات والجمل والآيات في سورة المتعددة (٢).

إن أيّ امتداد للإسلام في شتى بقاع المعمورة يُعدّ امتداداً لنور القرآن وتأكيده على أنه الكتاب الحق المُنزَّل من حكيم حميد. كما أن هذا الامتداد الإسلامي اليوم خاصّة في دُول

(١) - في ظلال القرآن ٦ / ٣٤٢٠.

(٢) - في ظلال القرآن، مجلد ٤، ص ٤٢١.

أوروبا والأمريكيتين وأستراليا من أقوى الأدلة على صلاحية هذا الكتاب لكل زمان ومكان  
وقُدْرته على مخاطبة عقول الإنسانية في أزهى عصور تَقَدُّمِهَا.

ويقول صاحب كتاب "مع القرآن" : "وبلغنا أن بعض الأوروبيين - وهم لا يعرفون  
العربية ، ولا يفهمون معنى الآيات - كانوا يطربون لسماع القرآن ، حتى آمن بعضهم بمجرد  
السماع للقرآن من المذيع ، وبعضهم آمن لسماع القرآن من حجرة مجاورة لساكن معهم، أو  
لسماعه من جماعة يصلون في حديقة ... وهكذا نجد أثر القرآن واضحاً جلياً في جذب  
الناس إلى الإسلام وتحويلهم من الكفر إلى الإيمان (١) .

وفيما يلي سأذكر بعض الوقائع التي تشهد بتأثير الجرس الموسيقي للقرآن على سامعيه  
من غير الناطقين للغة العربية .

١- ذكر صاحب "في ظلال القرآن" أن الله سبحانه يسر له ولسته من المسلمين أن يصلوا  
صلاة الجمعة على ظهر السفينة فقام بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة وبعض الركاب الأجانب  
متحلّقون يرقبون صلاتنا ! وبعد الصلاة جاءنا كثيرون يهنئونا على نجاح "القدّاس" أي  
الصلاة - ومن بين هؤلاء سيدة يوغسلافية مسيحية كانت شديدة التأثير والانفعال ، تفيض  
عينها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها ، جاءت تقول : أنها لا تملك نفسها من التأثير العميق  
بصلاتنا وما فيها من خشوع ونظام وروح ! وما سمعته من إيقاع موسيقي عجيب ، وإن  
كنت لم أفهم منها حرفاً ، فقد كانت ترد في أثناء الخطبة فقرات من نوع أكثر موسيقية  
وأعمق إيقاعاً هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث في نفسي رعشة وقشعريرة ! ثم أدركنا أنها  
تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة ، وفي أثناء الصلاة وكانت مفاجأة لنا  
تدعو إلى الدهشة من سيدة لا تفهم مما نقول شيئاً (٢) .

٢- الحقيقة أن قصص أولئك الذين اعتنقوا الإسلام بمجرد سماعهم القرآن في العصر الحديث  
كثيرة منها أن رئيس البعثة الإسلامية الإنجليزية محمد جون ويستر يقول : ولدت في لندن  
ونشأت مسيحياً بروتستانتيّاً وفي سنة ١٩٣٠م في العقد الثاني من عمري واجهتني المشاكل  
التي كثيراً ما يلقاها شاب ذكي يستعمل عقله ، وهي ترتبط أساساً بالملاءمة بين شئون الحياة  
اليومية ومقتضيات الدين . ولا أستطيع أن أعبر في كلمات عن مدى تأثيري بمجرد تلاوتي

(١) د. حيدر قفة ، مع القرآن الكريم دراسات وأحكام ، ص : ٢٨٠ . ط ١٩٨٧ عمان

(٢) انظر : في ظلال القرآن ، مجلد ٤ ، ص ٤٢٢-٤٢٣ بتصرف .

لأول سورة في القرآن الكريم ، سورة الفاتحة بآياتها السبع ، ثم قرأت عن حياة محمد ﷺ وشاء فضل الله أن أكون مسلماً مع أنني لم أكن من قبل قد التقيت بمسلم . وبينما أنا أسير في الطريق إذا ببصري يقع على بناء خلف بناء مرتفع من الطوب الأحمر مكتوب عليه "مسجد المسلمين" فقلت لنفسي على الفور : "أما وقد عرفت الحق فعليك اتباعه على الفور" فأعلنت قولي "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وبذلك أصبحت بفضل الله من المسلمين(١).

٣- إن القرآن هو القرآن بأسلوبه ونظمه وقوة تأثيره على النفوس ، فكما أسلم لسماعه الكثير من الصحابة والتابعين نجد اليوم يسلم لسماعه خلق كثير ممن لا يتحدثون العربية في البلاد الأوروبية وغيرها من دول العالم . يتحدث كات استيفن المغني الإنجليزي السابق الذي أصبح اسمه بعد الإسلام "يوسف إسلام" : لقد عشت فترة طويلة من التيه والضياع والحيرة والقلق فأخذت أقرأ في الأديان كلها من هندوكية إلى بودية إلى كنفوشية وقرأت أيضاً الفلسفات الشرقية بحثاً عن الحقيقة ، وعندما قرأت في القرآن سورة الإخلاص (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) سورة الإخلاص ، وفهمت بالإنجليزية ، إله واحد ليس له أولاد ، ولا زوجة ، ولا يماثله شيء شعرت بالسهولة والوضوح ، وهذا ما كان يخالني قبل ذلك ، إنه كلام واضح عقيدة واضحة حيث إن كل شيء في السابق كان غامضاً مبهماً . ثم يمضي فيقول : كنت أقرأ في سورة يوسف ، وفي وسطها وجدت موقفاً عجيباً فطر قلبي ... عندما دخل إخوة يوسف عليه وهو في مصر وقد فعلوا معه كل شيء سيء ، ثم يتمادون في سوئهم عندما قالوا عن أخيهم الثاني : (قَالُوا إِنَّ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ) يوسف ٧٧ . لم يقل يوسف شيئاً رغم علمه بكذبهم ولكنه ترفع عن هذا المستوى وقال لهم : (قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) يوسف ٩٢ موقف هز مشاعري ، وفطر قلبي وأبكاني ... لم أشعر وأنا أقرأ إلا والدموع تتساقط من عيني(٢) .

(١) انظر : مع القرآن الكريم دراسات واحكام ، حيدر قفة ط/١٩٨٧ ص : ٢٨٣-٢٨٥ عمان بتصرف ، وقد نقل عن كتاب لماذا أسلمنا ، ترجمة مصطفى جبر

ص : ١٢٥-١٢٧

(٢) مع القرآن الكريم ، ص : ٢٨٥ ، ٢٨٦ بتصرف . مرجع سابق .

٤ - تتحدث رئيسة قسم اللغة العربية ببوخارست أنها كانت في جمهورية الجزائر وبدأت تتعلم اللغة العربية بتعلم اللهجة الجزائرية ، وصادفها وهي هناك ، أنت كانت في قرية جهة الصحراء ، وكان الفصل صيفاً قائظاً والهواء ساكناً والذباب منتشرأ ، يزيد من ضيق الناس ، وكان الوقت أصيلاً وقد ارتفع صوت المذيع بتلاوة أحد المقرئين ، فبيل ساعة من مدفع الإفطار في شهر رمضان ولم تلبث أن استقر بها المكان أن زايلها ضيقها وإحساسها بالذباب وبالطقس ، وذكرت أنها لم ترتح نفسها إلا عندما تستمع لصوت المقريء . وتقول لقد لاحظت ذلك على الناس حتى الغنم والماعز التي انتشرت أمام الخيام والمنازل ، فقد استكانت هي أيضاً وبدأت مسترسلة في سعيها مطمئنة وادعة (١) .

٥ - القس إبراهيم خليل فيلبس ( إبراهيم خليل أحمد ) .

ولد في الإسكندرية عام ١٩١٩م نشأ نشأة مسيحية ودرس بمعاهد الإرسالية الأمريكية وحصل على دبلوم اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة وعين قسا راعيا بأسيوط ثم رقي إلى قسيس بعشر الإرسالية السويسرية الألمانية بأسوان .

يقول عن سبب إسلامه : حقيقة القول أنني عندما وصلت إلى الآية الكريمة من القرآن الكريم { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. } الأعراف / ١٥٧ ، قلت لو نظرت إلى أن الرسول محمد ﷺ جاء ذكره في التوراة والإنجيل فسأبلغها للناس وأشهد للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه خاتم النبيين حقا ويقينا. وعكف على دراسة التوراة والأنجيل من عام ١٩٥٥م حتى ١٩٥٩م حتى أتاه اليقين فأعلن إسلامه وجاهد في سبيل الله وله مؤلفات متداولة منها: محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي ، وغيرهما كثير .(٢)

(١) د. محي الدين رمضان ، وجوه من الإعجاز الموسيقي ص : ( ٢٤ ، ٢٥ ) ط ١٤٠٢/١ ، دار الفرقان عمان .

(٢) - . مناظرة بين الإسلام والنصرانية / ١٧ ، ١٨ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ . مناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية المؤلف: مثل الجانب الإسلامي في المناظرة كل من الشيخ الدكتور محمد جميل غازي والأستاذ إبراهيم خليل أحمد واللواء المهندس أحمد عبد الوهاب الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

وهكذا نشاهد ونلمس هذا السلطان العجيب والتأثير الغريب للقرآن الكريم في دفع الناس لاعتماد الإسلام نتيجة لسماع بعض النصوص القرآنية بقلب مفتوح وفطرة سليمة . فهذا لون من إعجاز القرآن الكريم يُثبت للناس جميعاً أن هذا القرآن ليس من صنع البشر يقيناً وإلا فلماذا أثر هذا التأثير البالغ دون الكتب العربية على اختلاف أنماطها ومستوياتها ، قال تعالى : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) البقرة : ٢ .

### **سر تأثير القرآن في النفوس :**

تميّز القرآن الكريم بتأثيره الخاص على النفوس، وهذا التأثير الأخاذ البليغ يدلّ مع غيره من السمات على أنّ القرآن كلام الله. فللقرآن سلطان خاصّ على الفطرة، متى خُلّي بينها وبينه لحظة، وحتى الذين راتب على قلوبهم الحجب، وثقل فوقها الركام، تنتفض قلوبهم أحياناً وتتململ تحت وطأة هذا السلطان وهم يستمعون إلى هذا القرآن. هنالك من يقول الكثير من الكلام الذي يحتوي مبادئ ومذاهب وأفكاراً واتجاهات، ولكن هذا القرآن ينفرد في إيقاعاته على فطرة البشر وقلوبهم فيما يقول: إنه قاهر غلاب بذلك السلطان الغلاب ! من الذي يتأثر بالقرآن أكثر من غيره ؟ إنه المؤمن الذي يفتح للقرآن قلبه وعقله، وكيانه كله، الذي أشرق قلبه، وشفّت روحه وصفت نفسه: إن كل آية وكل سورة تنبض بالعنصر المستكن العجيب المعجز في هذا القرآن، تنشئ بالقوة الخفيّة المودعة في هذا الكلام، وإن الكيان الإنساني ليهتّز ويرتجف ويتزايد ولا يملك التماسك أمام هذا القرآن، كلما تفتح القلب وصفا الحس وارتفع الإدراك، وارتفعت حساسيّة التلقّي والاستجابة. وإن هذه الظاهرة لتزداد وضوحاً كلما استتعت ثقافة الإنسان، ومعرفته بهذا الكون وما فيه ومن فيه، فليست هي مجرد وهلة تأثيرية وجدائيّة غامضة، فهي منخفضة حين يخاطب القلب المجرب والعقل المثقف والذهن الحافل بالعلم والمعلومات (١).

وقد وقف كثير من علماء البلاغة والتفسير في القديم والحديث أمام أسلوب القرآن، ولاحظوا تأثيره البليغ الأخاذ على القلوب والنفوس والأرواح واعتبروا هذا التأثير دليلاً على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى.

### **الشيخ محمد الغزالي رحمه الله ونظرات في القرآن :**

أفرد الشيخ محمد الغزالي في كتابه ( نظرات في القرآن ) فصلاً كاملاً عن الإعجاز في القرآن الكريم، ويرى فيه أن إعجاز القرآن يبرز في وجوه ثلاثة ( الإعجاز النفسي، الإعجاز العلمي، الإعجاز البياني ) ومن خلال حديثه عن الإعجاز النفسي التأثيري، وبعد أن يتحدث عمّا يعرض له القرآن من عقائد دينية وأحكام تشريعية وحقائق علمية يقول:

١- ( قد تجد في القرآن حقيقة مفردة، ولكن هذه الحقيقة تظهر في ألف ثوب، وتتوزع تحت عناوين شتى، كما تذوق السكر في عشرات الطعوم والفواكه وهذا التكرار مقصود، وإن لم ترد به الحقيقة العلميّة في مفهومها، ذلك أن الغرض ليس تقرير الحقيقة فقط، بل بناء الأفكار والمشاعر ونقاط مؤلفه آخر ما تختلقه اللجاجة من شبهات.....، ثم الكثر عليها بالحجج الدامغة حتى تبقى النفس وليس أمامها مفرّ من الخضوع لمفهومها للحق والاستكانة لله وعندى أن قدرًا من إعجاز القرآن الكريم يرجع إلى هذا ) . (١)

تلك هي مكانة الإعجاز التأثيري فإن كان للقرآن الكريم وجوه إعجاز أخرى غير أنها لا تصل في قدرها وأهميتها إلى الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم في نفس الإنسان ولكن هل يتأثر كل إنسان بالقرآن؟ أم يقتصر هذا التأثير على المؤمنين به؟ ويرد أماننا على هذا التساؤل بما يؤكد مكانة الإعجاز التأثيري بين وجوه الإعجاز، وعدم اقتصره على نفس إنسانية دون أخرى فيقول:

٢- ( فما أظن امرأ سليم الفكر والضمير يتلو القرآن ويستمع إليه ثم يزعم أنه لم يتأثر به، قد تقول: ولم يتأثر به؟ والجواب: أنه ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلا ويعرض له القرآن بالهداية وسداد التوجيه، ما أكثر ما يعزّ المرء من نفسه، وما أكثر الذين يمضون في سبل الحياة هائمين على وجوههم، ما تمسكهم بالدنيا إلا ضرورات المادة فحسب. إن القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يردّ الصواب إلى أولئك جميعاً وكأنه عرف ضائقة كل ذي ضيق وزلة كل ذي زلل ثم تكفل بإزاحتها كلّها، كما يعرف الراعي آية تاهت خرافه، فهو يجمعها من هنا وهناك لا يغيب عن بصره ولا عن عطفه واحدة منهم.

وذلك سر التعميم في قوله تعالى { ولقد صرفنا في هذا القرآن من كلّ مثل { الكهف / ٥٤ حتى الذين يكذبون بالقرآن ويرفضون الاعتراف بأنه من عند الله أنهم يقضون منه مثلما يقف

(١) - نظرات في القرآن - محمد الغزالي، ص ١٢٣، دار الكتب المصرية - ط ٥

الماجن أمام أب تاكل، قد لا ينخلع من مجونه الغالب عليه ولكنه يؤخذ فترة ما يصدّ من العاطفة الباكية أو مثلما يقف الخلي أما خطيب يهدر بالصدق ويحدث العميان عن اليقين الذي يريد ولا يرون أنه قد يرجع مستهزئاً، ولكنه يرجع بغير النفس التي جاء بها. والمنكرون من هذا النوع لا يطمعون في التأثير النفساني للقرآن الكريم، كما أن العميان لا يطمعون في قيمة الأشعة ولذا يقول الله عز وجل: { الله نزل أحسن الحديث {الزمر ٢٣/١}

فقد أكد الشيخ رحمه الله على إعجاز القرآن التأثيري في المؤمنين والكافرين به على حد سواء، ثم يبرز الشيخ في بعض أسرار التأثير القرآني في الإنسان فيقول:  
٣- ( إن القرآن يملك على الإنسان نفسه بالوسيلة الوحيدة التي تقهر تفوقه في الجدل أي بتقديم الدليل المفحم لكلّ شبهة، وتسليط البرهان القاهر على كل حجة، فالنكوص عن الإيمان بعد قراءة القرآن يكون كفرةً عن تجاهل لا عن جهل ومن تقصير لا عن قصور، والجدل آفة نفسية وعقلية معاً، فالنشاط الذهني للمجادل يمده حراك نفسي خفي، فلما يهدأ بسهولة... ويستكمل الشيخ بيانه عن وسائل القرآن التي تسبب التأثير في النفس الإنسانية فيقول: ( إن طبيعة هذا القرآن لا تلبث أن تعتبر برودة الإلف وطول المعرفة فتتعري أمام النفوس، وتنسلخ من ثكلتها وتصنعها، وتنزعج من ذهولها وركودها وتجد نفسها أمام الله - جل شأنه - يحيطها ويناقشها، ويعلمها ويؤدبها فما تستطيع أمام صوت الحق المستعلن العميق إلا أن تخشع وتصيح (أ).

ثم يقول :

٣- وكما قهر القرآن نوازع الجدل في الإنسان وسكن لجاحته، تغلب على مشاعر الملل فيه وأمدّه بنشاط لا ينفذ والجدل غير الملل، هذا تحرك ذهني قد يجد الأوهام ويحوّلها إلى حقائق وهذا موات عاطفي قد يجمّد المشاعر فما تكاد تتأثر بأخطر الحقائق وكثير من الناس يصلون في حياتهم العادية إلى هذه المنزلة من الركود العاطفي فنجد لديهم بروداً غريباً بإزاء المثيرات العاصفة، لا عن ثبات وجلادة بل عن موت قلوبهم وشلل حواسهم، والقرآن الكريم في تحدّته للنفس الإنسانية - حارب هذا الملل وأقصاه عنها إقصاء وعمل على تجديد حياتهم بين

(١) - نظرات في القرآن - الشيخ محمد الغزالي ، ص ١٢٤

(٢) - نظرات في القرآن - محمد الغزالي ، ص (١٢٧-١٢٩) ، دار الكتب المصرية - طه

الحين والحين، حتى أنهم ليتمكنها أن تستقبل في كل يوم ميلاداً جديداً ( وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ) [طه/ ١١٣ ] .(١) ومن وسائل القرآن التأثيرية: الترغيب والترهيب، حيث يقول الشيخ ( والشعور بالرغبة والرغبة والرهبة والرقّة تعمرك وأنت تستمع إلى قصص الأولين والآخرين تروى بلسان الحق ثم يتبعها فيض من المواعظ والحكم والمغازي والعبر تقشعرّ منه الجلود .(٢)

**أما الدكتور "عبد الكريم الخطيب"** فيحاول أن يضع أيدينا على السر الذي جعل لكلمات القرآن على من يسمعه من الأثر الواضح ما لا نجد مما نسمعه من كلام آخر، فكلمات القرآن الكريم قد رحلت إلى الملاء الأعلى حيناً من الزمن، أعطتها هذا الرحيل سرّاً يخطف الأبصار، ويغلب الألباب، ويجعل المؤمنين به في شوق دائم لسماعه، وغير المؤمنين في عجب ودهش من أمره. يقول :

(( إن كلمات القرآن التي كانت على فم الناس، كان لها رحلة إلى الملاء من الأرض إلى السماء من أفواه الناس إلى عالم الروح، والحق والنور، وهناك في هذا العالم / عالم الروح والحق والنور / عاشت تلك الكلمات دهرًا طويلاً بين ملائكة، وولدان، وحوار، فنفضت عليها هذه الحياة الجديدة، روحاً من روحها، وجلالاً من جلالها ونوراً من نورها، حتى إذا أذن لها الحكيم الخبير أن تعود أدراجها إلى الأرض وتلقى في أفواه الناس مرة أخرى، وتطرق أسماعهم، وتتصل بعقولهم وقلوبهم، لم ينكروا شيئاً من وجودها، وإن سرى إليهم من هذا الوجود ما يخطف الأبصار ويغلب الألباب، فالمؤمنون في شوق متجدد معه وفي خير متصل منه، وفي عطاء موصول من ثمره، كلما مدّوا أيديهم قطفوا من أدبه أدباً عالياً ومن علمه علماً نافعاً، ومن شريعته ديناً قيماً، وغير المؤمنين في عجب من أمره ودهش. يتناولونه باللسنة حداد، ويرمونهم بسهام مسنونة، وبكيد عظام، فما يصل إليه من كيدهم شيء )) .(٣)

ويقول الدكتور الخطيب معلقاً على كلام الإمام الخطّابي عن الإعجاز التأثري للقرآن: ( وهذا الوجه من وجوه الإعجاز هو - فيما نرى - المعجزة القائمة في القرآن أبداً، الحاضرة في كل حين، وهي التي تسع الناس جميعاً، عالمهم وجاهلهم، عربيهم وأعجميهم، إنسهم

(١) - المصدر السابق / ١٢٧-١٢٩ .

(٢) - المصدر السابق / ١٢٨ .

(٣) - إعجاز القرآن - الإعجاز في دراسات السابقين - د. عبد الكريم الخطيب / ٦٧-٦٨ . دار المعرفة ط ٢ - ١٩٧٥ .

{ قل أوحى إليّ أنّه استمع نفر من الجنّ فقالوا إنّنا سمعنا قرآناً عجباً، يهدي إلى الرشـد فأمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً } (١) [الجن: ٢١] .

ويقول: ( وهذا هو سر الإعجاز وعظـمته كلمات هن من كلام الناس ثم يفعلن هذا الأمر العجيب في النفوس، ويضمن هذا السلطان القاهر على القلوب ) (٢).

(إذ ليس الإعجاز الذي رآه الناس إلا روعة تملكهم، وإلا جلالاً يحيط بهم، وما كان لكلام أن يصور حقيقة الروعة، أو يمسك مواقع الجلال، إنّها معان تدرك، تستشعر، ولا توصف! ولهذا فإن الناس مع القرآن على منازل ودرجات وحظوظ، من خلال ما تقدّم نرى أن حديث الدكتور الخطيب عن الإعجاز يتركز بصورة أساسية على ما يحدثه القرآن من أثر في النفوس كما رأينا ذلك واضحاً في مقارنة بين أثر كلام البشر وكلمات القرآن على النفوس البشرية المؤمنة بالقرآن والمنكرة له على السواء.

إن آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ومواقف الصحابة بل وما في واقع الحياة البشرية في عصرنا الحالي وكلّ ما ذكره الدكتور تثبت وترصد مظاهر هذا الوجه من وجوه الإعجاز في حياة البشر وتؤكد اختياره له .

إن هذا الوجه للإعجاز التأثيري للقرآن الكريم ، هذا الوجه يمتاز عن سائر وجوه الإعجاز بأنّه: ١- المعجزة القائمة في كل حين. ٢- أنّها تسع الناس جميعاً عالمهم وجاهلهم. ٣- أنّها تسع لكل لغاتهم عربيهم وعجميهم. ٤- أنّها لا تقتصر على الإنس وحدهم بل وتسع الجن أيضاً. ٣

**أما القاضي عياض فيقول :** الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعترّيهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافه خطره ، وهي على المكذبين به أعظم.. حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا.. كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكرهتهم له.. ولهذا قال ﷺ «إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم» (٤)

(١) -إعجاز القرآن - الإعجاز في دراسات السابقين /١٩٣ مرجع سابق

(٢) -الإعجاز في دراسات السابقين - د. عبد الكريم الخطيب ص ٣٢١ . دار المعرفة ط ٢ - ١٩٧٥ .

(٣) - المصدر السابق /٥٨-٦٢، و الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم ، الدكتور خالد محمد القضاة ، البحث قدم إلى مؤتمر كلية الشريعة السابعة إعجاز القرآن الكريم ١٨-٢٠ رجب ١٤٢٦هـ - ٢٣ - ٢٥ آب ٢٠٠٥ جامعة الزرقاء الأهلية ، مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية /العدد ٣٦/١٩٩٨ للباحث د. محمد محمد السقا عبد ..

(٤) - (٤) - الدليمي وغيره عن الحكم بن عمير مرفوعا و الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/١٨٩ رقم ١٥٧٣) ، وأوره الذهبي في ميزان الاعتدال (٥/٣٧١)، ترجمة (٥٢٥٢) والمخالف في اللسان (٤/٣٩١)، ترجمة (١١٩٣) كلاهما في ترجمة عيسى بن إبراهيم بن طهمان الهاشمي.

وأما المؤمن.. فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا.. وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه.. وتصديقه به قال الله تعالى: «تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» [الزمر/ ٢٣] . وقال: { لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت حاشعا متصدعا من خشية الله } [الحشر / ٢١] ، ويدخل على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه. ولا يعلم تفاسيره.. كما روي عن نصراني: أنه مر بقارئ فوق ييكي. فقيل له- مما بكيته.. قال: للشجا والنظم.. وهذه الروعة قد اعترف جماعة قبل الإسلام وبعده.. فمنهم من أسلم لها لأول وهلة.. وآمن به. ومنهم من كفر.. فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية {أم خلقوا من غير شيء!! أم هم الخالقون} إلى قوله "المصيطرون" [الطور: ٣٥-٣٧] كاد قلبي أن يطير للإسلام.. وفي رواية: وذلك أول ما قرع الإسلام في قلبي. وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته. أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي: أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ {وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين} [هود: ٤٤] فرجع فمحي ما عمل.. وقال: «أشهد أن هذا لا يعارض.. وما هو من كلام البشر» وكان من أفصح أهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه فحكي: أنه رام شيئا من هذا.. فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثاله.. وينسج بزعمه على منوالها.. قال: فاعترتني منه خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة. (١)

### **يلخص صاحب "مناهل العرفان ويضيف بقلمه الرائع :**

ومعنى هذا أن القرآن بلغ في تأثيره ونجاحه مبلغا خرق به العادة في كل ما عرف من كتب الله والناس، وخرج عن المعهود في سنن الله من التأثير النافع بالكلام وغير الكلام وبيان ذلك أن الإصلاح العام الذي جاء به القرآن والانقلاب العالمي الذي تركه هذا الكتاب ما حدث ولم يكن ليحدث في أي عهد من عهود التاريخ قديمه وحديثه إلا على أساس من الإيمان العميق القائم على وجدان قوي بحيث يكون له من السلطان القاهر على النفوس

(١) - القاضي عياض ، الشفا ١ / ٥٣٢ - ٥٢٩ ، الناشر: دار الفيحاء - عمان ، الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ

والحكم النافذ على العواطف والميول ما يصد الناس عن نهجهم الأول في عقائدهم التي توارثوها وعبادتهم التي ألفوها وأخلاقهم التي نشؤوا عليها وعاداتهم التي امتزجت بدمائهم وما يحملهم على اعتناق هذا الدين الجديد الذي هدم تلك الموروثات فيهم وحارب تلك الأوضاع المألوفة لديهم.

وهذا الأساس الذي لا بد منه تقصر عنه في العادة جميع الكتب التعليمية التي يؤلفها العلماء والمصلحون وتعجز عن إيجاده كافة القوانين البشرية التي يضعها القادة والمشترون لأن قصارى هذه الكتب والقوانين إذا وفقت أن تشرح الحقائق وتبين الواجهات لا أن تحمل على الإيمان والإذعان وتدفع إلى العمل بوحى هذا الإيمان. (١)

**يتابع العلامة الزرقاني :** القرآن الكريم وحده وهو الذي نفخ الإيمان في الكبار والصغار نفخا وبثه روحا عاما وأشعر النفوس بما جاء فيه إشعارا ودفعها إلى التخلي عن موروثاتها ومقدساتها جملة وحملها على التحلي بهدية الكريم علما وعملا .. هذا الأساس الذي وضعه القرآن وحده هو سر نهضته وإن شئت فقل هو نار ثورته بل هو نور هدايته والروح الساري لإحياء العالم بدعوته وذلك عن طريق أسلوبه المعجز الذي هو النفوس والمشاعر وملك القلوب والعقول وكان له من السلطان ما جعل أعداءه منذ نزوله إلى اليوم يخشون بأسه وصولته ويخافون تأثيره وعمله أكثر مما يخافون الجيوش الفاتحة والحرب الجائحة لأن سلطان الجيوش والحروب لا يعدو هياكل الأجسام والأشباح أما سلطان هذا الكتاب فقد امتد إلى حرائر النفوس وكرائم الأرواح بما لم يعهد له نظير في أية نهضة من النهضات! ولقد أشار القرآن نفسه إلى هذه الوجهة من وجوه إعجازه حين سمى الله كتابه روحا من أمره بقوله { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا } وحين سماه نورا بقوله: { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ } وحين وصف بالحياة والنور من آمن به في قوله: { أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا } وفي قوله: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً } وفي قوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } .

(١) - مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) ، ٢ / ٤٠٥ الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة: الطبعة الثالثة

هذا التأثير الخارق أو النجاح الباهر الذي نتحدث فيه أدركه ولا يزال يدركه كل من قرأ القرآن في تدبر وإمعان ونصفه حاذقا لأساليبه العربية ملما بظروفه وأسباب نزوله أما الذين لم يحذقوا لغة العرب ولم يحيطوا بهذه الظروف والأسباب الخاصة فيكفيهم أن يسألوا التاريخ عما حمل هذا الكتاب من قوة محولة غيرت صورة العالم ونقلت حدود الممالك وعن طريق استيلائها على قلوب المخاطبين به لأول مرة استيلاء أشبه بالقهر وما هو بالقهر وأفعل من السحر وما هو بالسحر سواء في ذلك أنصاره وأعدائه ومحالفوه ومخالفوه وما ذاك إلا لأنهم ذاقوا بسلامة فطرتهم العربية بلاغته ولمسوا بحاستهم البيانية إعجازه فوجد تياره الكهربائي موضعاً في نفوسهم لشرارة ناره أو لهطول غيئه وانبلاج أنواره!.  
تأثيره في أعدائه:

أما أعداؤه المشركين فقد ثبت أنه جذبهم إليه بقوته في مظاهر كثيرة نذكر بعضها على سبيل التمثيل: في المدينة هما مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنهما وقد نجح هذان في مهمتهما أكثر نجاح وأحدثا في المدينة ثورة فكرية أو حركة تبشيرية جزع لها سعد بن معاذ سيد قبيلة الأوس حتى قال لابن أخيه أسيد بن حضير ألا تذهب إلى هذين الرجلين اللذين أتيا يسفهان ضعفاءنا فتزجرهما فلما انتهى إليهما أسيد قال لهما ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا ثم هددهما وقال اعتزلا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة رضي الله عن مصعب فقد تغاضى عن هذه التهديد وقال لأسيد في وقار المؤمن وثباته أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كفننا عنك ما تكره ثم قرأ مصعب القرآن وأسيد يسمع فما قام من مجلسه حتى أسلم ثم كر راجعاً إلى سعد فقال له والله ما رأيت بالرجلين بأساً فغضب سعد وذهب هو نفسه نائراً مهتاجاً فاستقبله مصعب بما استقبل به أسيدا وانتهى الأمر بإسلامه أيضاً ثم كر راجعاً فجمع قبيلته وقال لهم ما تعدونني فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا فقال سعد كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا فأسلموا أجمعين!.

### تأثير القرآن في نفوس أوليائه:

تلك مظاهر لفعل القرآن بنفوس شائنيه فهل تدري ماذا فعل بهم بعد أن دانوا له وآمنوا به وأصبحوا من تابعيه ومحبيه لعلك لم تنس ما فعل القرآن بعمر وسعد وأسيد الذين نوهنا

بهم بين يديك ألم يعودوا من خيرة جنود الإسلام ودعائه من يوم أسلموا بل من ساعة أسلموا وهناك مظاهر أربعة لهذا الضرب أيضا.

المظهر الأول تنافسهم في حفظه وقراءته في الصلاة وفي غير الصلاة حتى لقد طاب لهم أن يهجروا لذيد منامهم من أجل تمجدهم به في الأسحار ومناجاتهم العزيز الغفار وما كان هذا حالا نادرا فيهم بل ورد أن المار على بيوت الصحابة بالليل كان يسمع لها دويا كدوي النحل بالقرآن وكان التفاضل بينهم بمقدار ما يحفظ أحدهم من القرآن وكانت المرأة ترضى بل تغتبط أن يكون مهرها سورة يعلمها إياها زوجها من القرآن؟.

المظهر الثاني: عملهم به وتنفيذهم لتعاليمه في كل شأن من شؤونهم تاركين كل ما كانوا عليه مما يخالف تعاليمه ويجافي هداياته طيبة بذلك نفوسهم طيبة أجسامهم سخية أيديهم وأرواحهم حتى صهرهم القرآن في بوتقته وأخرجهم للعالم خلقا آخر مستقيم العقيدة قويم العبادة طاهر العادة كريم الخلق نبيل المطمح!.

المظهر الثالث: استبسالهم في نشر القرآن والدفاع عنه وعن هدايته فأخلصوا له وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه وهو مدافع عنه ومنهم من انتظر حتى أتاه اليقين وهو مجاهد في سبيله مضح بنفسه ونفيسه ولقد بلغ الأمر إلى حد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرد بعض من يتطوع بالجنديّة من الشباب لحدائثة أسنانهم وكان كثير من ذوي الأعدار يؤلمهم التخلف عن الغزو حتى يضطر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتخلف معهم جبرا لحاظهم ويرسل سراياه وبعوثه بعد أن ينظمها ويزودها بما تحتاجه ولا يخرج معهم روى مالك والشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لو ددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل!!".

المظهر الرابع: ذلك النجاح الباهر الذي أحرزه القرآن في هداية العالم فقد وجد قبل النبي ﷺ أنبياء ومصلحون وعلماء ومشرعون وفلاسفة وأخلاقيون وحكام ومتحكمون فما تسنى لأحد من هؤلاء بل ما تسنى لجميعهم أن يحدثوا مثل هذه النهضة الرائعة التي أحدثها محمد في العقائد والأخلاق وفي العبادات والمعاملات وفي السياسة والإدارة وفي كافة نواحي

الإصلاح الإنساني وما كان لمحمد ولا لألف رجل غير محمد أن يأتوا بمثل هذا الدستور الصالح الذي أحيا موات الأمة العربية في أقل من عشرين سنة ثم نفخ فيهم من روحه فهبوا بعد وفاته ينقذون العالم ففتحوا ملك كسر وقيصر ووضعوا رجلا في الشرق ورجلا في الغرب وخفقت رايتهم على نصف المعمور في أقل من قرن ونصف قرن من الزمان.

أفسح هذا؟ أم هو برهان عقلي لمح المنصفون من الباحثين فاكتفوا من محمد ﷺ بهذا النجاح الباهر دليلا على أنه رسول من رب العالمين.

هذا فيلسوف من فلاسفة فرنسا يذكر في كتاب له ما زعمه دعاة النصرانية من أن محمدا لم يأت بأية على نبوته كآيات موسى وعيسى ثم يفند هذا الزعم ويقول إن محمدا كان يقرأ القرآن خاشعا أوها متألها فتفعل قراءته في جذب الناس إلى الإيمان به ما لم تفعله جميع آيات الأنبياء الأولين!

أجل لقد صدق الرجل فإن فعل القرآن في نفوس العرب كان أشد وأرقى وأبلغ مما فعلت معجزات جميع الأنبياء وإن شئت مقارنة بسيطة فهذا موسى عليه السلام قد أتى بني إسرائيل بآيات باهرة من عصا يلقيها فإذا هي ثعبان مبین ومن يد يخرجها فإذا هي بيضاء للناظرين ومن انفلاق البحر فإذا هو طريق يابسة يمشون فيها ناجين آمنين إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في مصر وفي طور سينا مدة التيه فهل تعلم مدى تأثير هذه الهدايات في إيمانهم بالله و وحدانيته وإخلاصهم لدينه ونصرة رسوله إنهم ما كادوا يخرجون من البحر بهذه المعجزة الإلهية الكبرى ويرون بأعينهم عبدة الأصنام والأوثان حتى كان منهم ما حكاه الله في القرآن: { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ بَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ آبْنِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } .

ثم لما ذهب موسى إلى مناجاة ربه واستخلف عليهم أخاه هارون عليهما السلام نسوا الله تعالى وحنوا إلى ما وقر في نفوسهم من الوثنية المصرية وخرافاتهما فعبدوا العجل كما تحدثت سورة الأعراف بذلك: { وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } ولما دعاهم موسى إلى قتال

الجبارين ودخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم أبوا وخالفوا وفضلوا القعود والاستخذاء على الجلاد والنزول إلى ميادين الجهاد { قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا اذْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابُ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } .. هؤلاء أصحاب موسى فانظر إلى أصحاب محمد كيف تأثروه بالقرآن حتى ليحدث التاريخ عنهم أنهم قطعوا شجرة الرضوان وهي تلك الشجرة التاريخية المباركة التي ورد ذكرها في القرآن وما هذا إلا لأن الناس تبركوا بها فخاف عمر إن طال الزمان بالناس أن يعودوا إلى وثنياتهم ويعبدوها فأمر بقطعها ووافقه الصحابة على ذلك!.

وكذلك يذكر التاريخ أن محمدا ﷺ استشار أصحابه حين عزم على قتال المشركين في غزوة بدر فقالوا: والله لو استعرضت بنا هذا البحر يریدون البحر الأحمر فخصته لخصناه معك ما تخلف منا رجل واحد إنا لا نقول لك ما قال قوم موسى لموسى { فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } : ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون هكذا كانوا يفضلون مصافحة المنايا في ميادين الجهاد ويتهافتون على الغزو طمعا في الاستشهاد وهكذا حرصوا على الموت فوهبهم الله الحياة وأتقنوا صناعة الموت فدانت لهم الملوك وعنت الكماة { وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } . { وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } (١).

لا شك أن الوجه الأبرز الذي يشير لعلو القرآن وإعجازه هو روحانيته العالية والروح التي تسري فيه وتترقق على محياه ، والهيبة والروعة التي تحسها قارئه وسامعه مهما كان دينه .. و لا شك أن الإعجاز القلبي للقرآن في نفوس أعدائه وعمله في قلوبهم ، فإن مجرد سماع القرآن له لذة وحلاوة وروعة ومهابة تسيطر على القلب ، وتأخذ السمع والعقل ، ذلك أن القرآن له سلطانه الروحي الخفي على القلوب ، وولايته المطلقة على مدارك الإنس والجن على السواء (٢)

(١) - مناهل العرفان للزقاني ٢ / ٤٠٦ - ٤١٢ مرجع سابق .

(٢) - عبد الكريم الخطيب ، اعجاز القرآن ٢ - ١٣٦ مرجع سابق . و محمد عبد الغني حسن ، القرآن بين الحقيقة والخيال والاعجاز ص ٨٩ ، د. سعد الدين السيد صالح ، المعجزة والاعجاز في القرآن الكريم ١٤٥ .

## التأثير المذهل للقرآن على الإنسان عن موقع عبد الدائم الكحيل (١)

لقد أثبتت عدة دراسات علمية جديدة التأثير المذهل لحفظ القرآن على الصحة النفسية والجسدية لمن يحفظ القرآن ، فقد أكدت دراسة علمية جديدة ومميزة للأستاذ الدكتور صالح بن إبراهيم الصنيع أستاذ علم النفس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بأنه كلما ارتفع مقدار حفظ القرآن الكريم ارتفع مستوى الصحة النفسية. وقد حدد الباحث تعريف الصحة النفسية بأنها: الحالة التي يتم فيها التوافق النفسي للفرد من خلال أربعة أبعاد رئيسة هي: البعد الديني أو الروحي والبعد النفسي والبعد الاجتماعي والبعد الجسمي . وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة موجبة بين ارتفاع مقدار الحفظ وارتفاع مستوى الصحة النفسية لدى مجموعات الطلاب الذين تمت عليهم الدراسة. وأن الطلاب الذين يفوقون نظرائهم في مقدار الحفظ كانوا أعلى منهم في مستوى الصحة النفسية بفروق واضحة . دراسات غربية وإسلامية تثبت تأثير حفظ القرآن هناك أكثر من ٧٠ دراسة أجنبية وإسلامية جميعها تؤكد على أهمية الدين في رفع المستوى النفسي للإنسان واستقراره وضمان الطمأنينة له. كما توصلت دراسات أجريت في السعودية إلى نتيجة تؤكد دور القرآن الكريم في تنمية المهارات الأساسية لدى طلاب المرحلة الابتدائية، والأثر الإيجابي لحفظ القرآن الكريم على التحصيل الدراسي لطلاب الجامعة. وتبين هذه الدراسات بصورة واضحة العلاقة بين التدين بمظاهره المختلفة، ومن أهمها حفظ القرآن الكريم، وآثاره في الصحة النفسية للأفراد وعلى شخصياتهم، وتمتعهم بمستوى عال من الصحة النفسية، وبعدهم عن مظاهر الاختلال النفسي قياساً مع الأفراد الذين لا يلتزمون بتعاليم الدين أو لا يحفظون شيئاً من آيات القرآن الكريم أو يكون حفظهم لعدد يسير من الآيات والسور القصيرة.

أوصت هذه الدراسة بالاهتمام بحفظ القرآن الكريم كاملاً لدى الدارسين والدارسات في مؤسسات التعليم العاليي للأثر الإيجابي له

ذا الحفظ على كثير من مناحي حياتهم وتحصيلهم العلمي، والامتنال لأوامره ونواهيه، وذلك لأنه من أهم أسباب الوصول إلى مستوى عال من الصحة النفسية. كما أوصت بضرورة

(١) - <http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2012-12-04-18-34-25/365-2011-08-08-01-21-00> انظر مراجع

اهتمام المعلمين والمعلمات برفع مقدار الحفظ لدى طلابهم وطالباتهم حتى لو كان خارج إطار المقرر الدراسي بحيث يكون إضافياً لما له من أثر إيجابي على تحصيلهم وصحتهم النفسية.

## من فوائد حفظ القرآن

إن كل من يحفظ شيئاً من كتاب الله ويداوم على الاستماع إلى القرآن يشعر بتغيير كبير في حياته، وأقول: إن حفظ القرآن يؤثر على الصحة الجسدية أيضاً، حيث ثبت لدي من خلال التجربة والمشاهدة أن حفظ القرآن يرفع النظام المناعي لدى الإنسان ويساعده على الوقاية من الأمراض. ويمكن أن أعدد لكم بعض فوائد حفظ القرآن كما رأيتموها وعشتها أنا وغيري ممن حفظوا كتاب الله تعالى:

- 1 - صفاء الذهن.
  - 2- قوة الذاكرة.
  - 3- الطمأنينة والاستقرار النفسي.
  - 4- الفرح والسعادة الغامرة التي لا توصف.
  - 5- التخلص من الخوف والحزن والقلق ...
  - 6- قوة اللغة العربية والمنطق والتمكن من الخطابة.
  - 7- القدرة على بناء علاقات اجتماعية أفضل وكسب ثقة الناي.
  - 8- التخلص من الأمراض المزمنة التي يعاني منها الإنسان.
  - 9- تطوير المدارك والقدرة على الاستيعاب والفهم.
  - 10- الإحساس بالقوة والهدوء النفسي والثبات.
- ولذلك قال تعالى: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) [العنكبوت: ٤٩]. فهذه بعض الفوائد المادية الدنيوية

## تأثير حفظ القرآن على الشخصية

من خلال عدد من الدراسات تبين أن القرآن يؤثر بشكل كبير على شخصية الإنسان عندما تقرأ بعض كتاباً في البرمجة اللغوية العصبية أو في فن إدارة الوقت أو في فن التعامل مع الآخرين، يقول لك المؤلف: إن قراءتك لهذا الكتاب قد تغير حياتك، ومعنى هذا أن أي

كتاب يقرأه الإنسان يؤثر على سلوكه وعلى شخصيته لأن الشخصية هي نتاج ثقافة الإنسان وتجاربه وما يقرأ ويسمع ويرى

طبعاً هذه كتب بشرية يبقى تأثيرها محدوداً جداً، ولكن عندما يكون الحديث عن كتاب الله تعالى الذي خلق الإنسان وهو أعلم بما في نفسه وأعلم بما يصلحه، فإنه من الطبيعي أن نجد في هذا الكتاب العظيم كل المعلومات التي يحتاجها الإنسان في حياته وآخרתه. فهو النور وهو الشفاء وهو الهدى ... وفيه نجد الماضي والمستقبل، وهو الكتاب الذي قال الله عنه: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) ، فصلت: ٤٢ . ويمكنني أن أؤكد لك أخي الحبيب بأن كل آية تقرأها وتدبرها وتحفظها يمكن أن تحدث تغييراً في حياتك! فكيف بمن يقرأ القرآن ويحفظه في صدره؟! بلا شك أن تلاوة الآيات وتدبرها والاستماع إليها بخشوع، يعيد بناء شخصية الإنسان من جديد، حيث إن القرآن يحوي القواعد والأسس الثابتة لبناء الشخصية.

وسوف أذكر تجربة بسيطة عن مدى تأثير القرآن على شخصية الإنسان، بل تأثير آية واحدة منه! فقد قرأت ذات مرة قوله تعالى: (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة: ٢١٦] . وقلت لا بد أن هذه الآية تحوي قانوناً محكماً يجلب السعادة لمن يطبقه في حياته. فقد كنتُ قبل قراءتي لهذه الآية أحزن بسبب حدوث خسارة أو مصيبة ما أو أجد شيئاً من الخوف من المستقبل، لأنني أتوقع أمراً سيئاً قد يحدث، أو أمر بلحظات من القلق نتيجة انتظاري لشيء ما أرغب في تحقيقه... وهكذا مجموعة من المظاهر التي تجعل شخصيتي قلقة أحياناً.

وبعد أن تأملت هذه الآية وتدبرتها جيداً بل طويلاً، وجدتُ بأن الله تعالى قد قدَّر كل شيء، ولن يحدث شيء إلا بأمره، ولن يختار لي إلا الخير لأنه يعلم المستقبل، أما أنا فلا أعلم. وهكذا أصبحتُ أنظر لكل شيء نظرة متفائلة بدلاً من التشاؤم... أصبحتُ أفرح بكل ما يحدث معي حتى ولو كان محزناً في الظاهر، وأصبحتُ أتوقع حدوث الخير دائماً ولو أن الحسابات تخالف ذلك.

فالله تعالى كتب عليّ كل ما سيحدث معي منذ أن كان عمري ٤٢ يوماً، فلماذا

أحزن؟ وما دام الله موجوداً وقريباً ويرى ويسمع ويتحكم في هذا الكون فلم الخوف أو القلق أو الاكتئاب؟؟! وما أن الله قد قدر عليّ هذا الأمر واختاره لي فلا بد أن يكون فيه الخير والنعمة والسعادة... وهكذا تغيرت شخصيتي تغيراً جذرياً، وانقلبت إلى شخصية متفائلة وسعيدة وتخلصت من مشاكل كثيرة كان من المحتمل أن تحدث لولا أن من الله عليّ بتدبير هذه الآية وفهمها وتطبيقها في حياتي العملية.

تصوروا معي حجم التغيير الذي سيحدث فيما لو قرأ الإنسان القرآن كاملاً وتدبره وحفظه إن تغيرات كبيرة جداً ستحدث، بل إن شخصيتك سوف تنقلب .

### التأثير المذهل للاستماع إلى القرآن

تبين للعلماء أن خلايا الدماغ في حالة اهتزاز دائم طيلة فترة حياتها، وتهتز كل خلية بنظام محدد وتتأثر بالخلايا من حولها. إن الأحداث التي يمر بها الإنسان تترك أثرها على خلايا الدماغ، حيث نلاحظ أن أي حدث سيء يؤدي إلى خلل في النظام الاهتزازي للخلايا. لأن آلية عمل الخلايا في معالجة المعلومات هو الاهتزاز وإصدار حقول الكهربية، والتي من خلالها نستطيع التحدث والحركة والقيادة والتفاعل مع الآخرين.

وعندما تتراكم الأحداث السلبية مثل بعض الصدمات التي يتعرض لها الإنسان في حياته، وبعض المواقف المخرجة وبعض المشاكل التي تسبب لخلايا دماغه نوعاً من الفوضى، إن هذه الفوضى متعبة ومرهقة لأن المخ يقوم بعمل إضافي لا يُستفاد منه.

ويؤكد العلماء اليوم أن كل نوع من أنواع السلوك ينتج عن ذبذبة معينة للخلايا، ويؤكدون أيضاً أن تعريض الإنسان إلى ذبذبات صوتية بشكل متكرر يؤدي إلى إحداث تغيير في الطريقة التي تهتز بها الخلايا، وبعبارة أخرى إحداث تغيير في ترددات الذبذبات الخلوية. فهنالك ترددات تجعل خلايا الدماغ تهتز بشكل حيوي ونشط وإيجابي، وتزيد من الطاقة الإيجابية للخلايا، وهنالك ترددات أخرى تجعل الخلايا تتأذى وقد تسبب لها الموت! ولذلك فإن الترددات الصحيحة هي التي تشغل بال العلماء اليوم، كيف يمكنهم معرفة ما يناسب الدماغ من ترددات صوتية؟

يقوم كثير من المعالجين اليوم باستخدام الذبذبات الصوتية لعلاج أمراض السرطان والأمراض المزمنة التي عجز عنها الطب، كذلك وجدوا فوائد كثيرة لعلاج الأمراض النفسية

مثل الفصام والقلق ومشاكل النوم، وكذلك لعلاج العادات السيئة مثل التدخين والإدمان على المخدرات وغير ذلك.

إن صوت القرآن هو عبارة عن أمواج صوتية لها تردد محدد، وطول موجة محدد، وهذه الأمواج تنشر حقولاً اهتزازية تؤثر على خلايا الدماغ وتحقق إعادة التوازن لها، مما يمنحها مناعة كبيرة في مقاومة الأمراض بما فيها السرطان، إذ أن السرطان ما هو إلا خلل في عمل الخلايا، والتأثير بسماع القرآن على هذه الخلايا يعيد برمجتها من جديد، وكأننا أمام كمبيوتر مليء بالفيروسات ثم قمنا بعملية "فرمتة" وإدخال برامج جديدة فيصبح أداؤه عالياً، هذا يتعلق ببرامجنا بنا نحن البشر فكيف بالبرامج التي يحملها كلام خالق البشر سبحانه وتعالى؟ الآيات القرآنية تحمل الشفاء!

يقول العلماء اليوم وفق أحدث الاكتشافات إن أي مرض لا بد أنه يحدث تغيراً في برمجة الخلايا، فكل خلية تسير وفق برنامج محدد منذ أن خلقها الله وحتى تموت، فإذا حدث خلل نفسي أو فيزيائي، فإن هذا الخلل يسبب فوضى في النظام الاهتزازي للخلية، وبالتالي ينشأ عن ذلك خلل في البرنامج الخلوي. ولعلاج ذلك المرض لا بد من تصحيح هذا البرنامج بأي طريقة ممكنة .

يقول تعالى: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لَلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) [الرعد: 31] لو تأملنا هذه الآية بشيء من التعمق يمكن أن نتساءل: كيف يمكن للقرآن أن يسير الجبال، أو يقطع الأرض أي يمزقها، أو يكلم الموتى؟ إذن البيانات التي تخاطب الموتى وتفهم لغتهم موجودة في القرآن إلا أن الأمر لله تعالى ولا يطلع عليه إلا من يشاء من عباده.

الخلايا العصبية تتأثر بكلام الله تعالى!! فخلايا الدماغ في حالة اهتزاز دائم، هذه الخلايا تحوي برنامجاً معقداً تتفاعل من خلاله مع بلايين الخلايا من حولها بتنسيق مذهل يشهد على عظمة الخالق تبارك وتعالى، وإن أي مشكلة نفسية سوف تسبب خللاً في هذا البرنامج مما ينقص مناعة الخلايا وسهولة هجوم المرض عليها. وقد ثبت أن الاستماع إلى القرآن يؤثر على خلايا الدماغ وينشطها ويعيد برمجتها

وخلاصة القول:

إن التمسك بالقرآن والمحافظة على تلاوته يؤثر إيجابياً على شخصية الإنسان، ويرفع النظام المناعي لديه، ويقيه من الأمراض النفسية، ويساعده على النجاح واتخاذ القرارات الصائبة، إن القرآن هو طريقك للإبداع والقيادة والسعادة والنجاح! خاطبنا تعالى فقال: ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ \* قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) يونس: ٥٧ - ٥٨ (١).

كانت نتائج الأبحاث التي أجريت على مجموعة من المتطوعين في الولايات المتحدة عند استماعهم إلى القرآن الكريم مبهرة، فقد تم تسجيل أثر مهدئ لتلاوة القرآن على نسبة بلغت ٩٧% من مجموع الحالات، ورغم وجود نسبة كبيرة من المتطوعين لا يعرفون اللغة العربية؛ إلا أنه تم رصد تغيرات فسيولوجية لا إرادية عديدة حدثت في الأجهزة العصبية لهؤلاء المتطوعين ، مما أدى إلى تخفيف درجة التوتر لديهم بشكل ملحوظ . ليس هذا فقط ، فلقد تمت تجربة دقيقة بعمل رسم تخطيطي للدماغ أثناء الاستماع إلى القرآن الكريم، فوجد أنه مع الاستماع إلى كتاب الله تنتقل الموجات الدماغية من النسق السريع الخاص باليقظة (١٣ - ١٢) موجة / ثانية إلى النسق البطيء (٨ - 18) موجة / ثانية وهي حالة الهدوء العميق داخل النفس، وأيضا شعر غير المتحدثين بالعربية بالطمأنينة والراحة والسكينة أثناء الاستماع لآيات كتاب الله، رغم عدم فهمهم لمعانيه !! وهذا من أسرار القرآن العظيم، وقد أزاح الرسول ﷺ النقاب عن بعضها حين قال: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده" رواه مسلم

لا نظن أن هناك على وجه الأرض من ينكر أن القرآن يزيل أسباب التوتر، ويضفي على النفس السكينة والطمأنينة، فهل ينحصر تأثير القرآن في النفوس فقط؟ إن الله تعالى يقول في سورة الإسراء { ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين } [الإسراء: ] إذن فالقرآن شفاء بشكل عام كما ذكرت الآية، ولكنه شفاء ودواء للمؤمنين المتدبرين لمعاني آيات الله،

(١) - راجع الروابط : <http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2012-12-04-18-34-25/78-2010-02-26-11->

، <http://www.hrdiscussion.com/hr8681.html> ، 31-50

[http://www.khayma.com/ashab/taab\\_alabadat\\_malafat/algoraan-fuwed.htm](http://www.khayma.com/ashab/taab_alabadat_malafat/algoraan-fuwed.htm)

المهتدين بهدى منه سبحانه وتعالى وبسنة النبي صلى الله عليه وسلم، أولئك المؤمنون هم الذين جاء عنهم في سورة الأنفال { إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم} [الآية ٢-٤] وإذا تساءلنا كيف يكون القرآن شفاء للبدن؟ فإنه من المعلوم طبيا بصورة قاطعة أن التوتر والقلق يؤدي إلى نقص في مناعة الجسم ضد كل الأمراض، وأنه كلما كانت الحالة النفسية والعصبية للإنسان غير مستقرة كلما كانت فرص تعرضه لهجمات الأمراض أكثر، وهكذا تتضح لنا الحقيقة جلية، فالقرآن شفاء بدني كما أنه شفاء روحي ونفسي، لأنه يعمل على إعادة توازن الجهاز النفسي والعصبي للمؤمن باستمرار قراءته والاستماع إليه وتدبر معانيه، وبالتالي يزيد من مناعة جسمه ويؤمن دفاعاته الداخلية، فيصبح في أمان مستمر من اختراقات المرض له بإذن الله، ويقاوم بتلك القوى النورانية المتدفقة الميكروبات والجراثيم التي تهاجم في كل لحظة جسمه بضراوة في موجات متتالية لإسقاطه في براثن المرض.<sup>١</sup>

### تجربة عيادات أكبر !! :

قام فريق عمل طبي<sup>(٢)</sup> بأبحاث قرآنية في ( عيادات أكبر ) في مدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا وقدم هذا البحث في المؤتمر العالمي الثالث للطب الإسلامي المنعقد في استنبول، تركيا. وكان هدف المرحلة الأولى من البحث هو إثبات ما إذا كان للقرآن المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس التغيرات الفسيولوجية في عدد من المتطوعين الأصحاء أثناء استماعهم لتلاوة قرآنية. ت تسجيل وقيام أثر القرآن عند عدد من المسلمين المتحدثين بالعربية وغير العربية وكذلك عند عدد من غير المسلمين. بعدما تليت عليهم مقاطع من القرآن الكريم باللغة العربية تم تليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الإنجليزية وقد أجرى البحث على مرحلتين :

(١) - <http://www.hrdiscussion.com/hr8681.html>

، [http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article\\_no=1206](http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1206)

(٢) - <http://www.ejaz.org/index.php/component/content/article/67-Issue-No/560-Acoustic-miracle-of-the-Holy-Quran>

## نتائج

## المرحلة

## الأولية:

أثبتت التجارب المبدئية البحثية وجود أثر مهدئ مؤكد للقرآن في ٩٧% من التجارب التي أجريت ، وهذا الأثر ظهر في شكل تغيرات فسيولوجية تدل على تخفيف درجة توتر الجهاز العصبي ، وتفصيل هذه النتائج المبدئية عرضت على المؤتمر السنوي السابع عشر للجمعية الطبية الإسلامية في أمريكا الشمالية والذي عقد في مدينة سانت لويس بولاية ميزوري أظهر النتائج المبدئية للبحوث القرآنية أن للقرآن أثر إيجابياً مؤكداً لتهدئة التوتر، وأمكن تسجيل هذا الأثر نوعاً وكما. وظهر هذا الأثر على شكل تغيرات في التيار الكهربائي في العضلات وتغيرات في قابلية الجلد للتوصيل الكهربائي، وتغيرات في الدورة الدموية وما يصحب ذلك من تغير في عدد ضربات القلب وكمية الدم الجاري في الجلد ودرجة حرارة الجلد. وفي المجموعة التي كانت تسمع وتفهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين أو كانوا يتحدثون العربية أم غيرها كانت النتائج إيجابية بنسبة ٩٧% وفي مجموعات المرحلة الثانية ثبت أن لسماع تلاوة آيات القرآن الكريم أثراً واضحاً على تهدئة التوتر ولو لم يفهم معناها إذ حقق إيجابية قدرها ٦٥% ، وكل هذا التغيرات تدل على تغير في وظائف الجهاز العصبي التلقائي والذي بدوره يؤثر على أعضاء الجسم الأخرى ووظائفها . واحتمال ذلك عن طريق إفراز الكورتيزول أو غير ذلك من ردود الفعل بين الجهاز العصبي وجهاز الغدد الصماء وجهاز

## المناعة

ولذلك فإنه من المنطق افتراض أن الأثر القرآني المهدئ للتوتر يمكن أن يؤدي إلى تنشيط وظائف المناعة في الجسم والتي بدورها ستحسن من قابلية الجسم لمقاومة المرض أو الشفاء منه كما أن نتائج هذه التجارب المقارنة تشير إلى أن كلمات القرآن بذاتها. وبغض النظر عن مفهوم معناها كان لها أثر فسيولوجي مهدئ للتوتر في الجسم البشري فإذا اقترن سماع القرآن الكريم يفهم معناه كان غير محدود الأثر .

هناك محاولات لفهم سر العلاج بالقرآن وكيف يؤثر في علاج المرضى فمن ضمن الأسباب يقولون إن الجسم يتأثر بالصوت واليوم هنالك علاج لبعض الأمراض بالصوت وهذه محاولة من أحد الباحثين لكشف السر فيقول: "إن تلاوة القرآن هي عبارة عن مجموعة من الترددات الصوتية التي تصل إلى الأذن وتنتقل إلى خلايا الدماغ وتؤثر فيها من خلال

الحقول لكهربائية التي تولدها في الخلايا، فتقوم الخلايا بالتجاوب مع هذه الحقول وتعديل من اهتزازها، هذا التغيير في الاهتزاز هو ما نحس به ونفهمه بعد التجربة والتكرار<sup>(١)</sup>.

### **الخلاصة في إنفاص التوتر العصبي بالقرآن الكريم:**

هذا ما أثبتته إحدى التجارب العلمية إذ أثبت العلم الحديث أن الصوت صورة من صور الطاقة وينتقل على شكل موجات، وعند وصول الصوت إلى الأذن تبدأ إرهاصات الإدراك السمعي والتي تنتهي بالفهم والتخيل والرغبة والرغبة والحب والبغض وكافة المشاعر الإنسانية المرتبطة بالمؤثر الصوتي سواء كان له معنى في ذاته أو أثار في نفسك قصصاً وذكريات وتنشأ عن ذلك الفكرة والنية، والعزيمة والإرادة والفعل وذلك وفقاً لما يمكن أن يحمل الصوت المسموع من معاني ومفاهيم ونغم وهدير مما يكون له تأثيره على النفس والجسد<sup>(٢)</sup>.

وأثبتت تجربة الدكتور أحمد القاضي في عيادات (أكبر)<sup>(٣)</sup> ما إذا كان للقرآن أي أثر على وظائف أعضاء الجسد وقياس هذا الأثر إن وجد، واستعملت أجهزة المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس أي تغيرات فسيولوجية عند عدد من المتطوعين الصم أثناء استماعهم لتلاوة القرآن وقد تم تسجيل وقياس أثر القرآن عند عدد من المسلمين المتحدثين باللغة العربية وبغير العربية وكذلك عند عدد من غير المسلمين المتحدثين بالعربية أو غير المتحدثين بها وتليت عليهم مقاطع من القرآن الكريم كما تليت عليهم ترجمه لهذه المقاطع باللغة الإنجليزية وفي كل هذه المجموعات أثبتت التجارب المبدئية وجود أثر مهدئ مؤكد للقرآن في ٩٧% في التجارب المجراة، وهذا الأثر ظهر في شكل تغيرات فسيولوجية تدل على تخفيف توتر الجهاز العصبي التلقائي وقد ظهر من الدراسات المبدئية أن تأثير القرآن المهدئ للتوتر يمكن أن يعزى إلى عاملين:

١- صوت الكلمات القرآنية بغض النظر عما إذا كان المستمع قد فهمها أم لم يفهمها آمن بها أم لم يؤمن بها.

(١) - <http://www.ejaz.org/index.php/component/content/article/67-Issue-No/560-Acoustic-miracle-of-the-Holy-Quran>

(٢) - موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بعنوان المعجزة الصوتية للقرآن الكريم لدكتور محمود يوسف عبده. رابط الموقع:

<http://www.nooran.org/ShowArticle.aspx?ArtID=97>

(٣) - تمت الإشارة له وكان مدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا وقدم هذا البحث في المؤتمر العالمي الثالث للطب الإسلامي المنعقد في استنبول، تركيا.

٢- معنى المقاطع القرآنية ولو كانت مقتصرة على الترجمة الإنجليزية بدون الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم، ولذلك أجرى بحوث المرحلة الثانية التي تضمنت دراسات مقارنة لمعرفة إذا ما كان أثر القرآن المهدى للتوتر وما يصاحبه من تغيرات فسيولوجية عائداً لتلاوة القرآن وليس لعوامل أخرى مثل الصوت أو رنة القراءة القرآنية العربية أو معرفة السامع بأن ما يقرأ عليه هو جزء من كتاب مقدس أي أن هدف الدراسة تحقيق الافتراض القائل بأن الكلمات القرآنية في حد ذاتها لها تأثير فسيولوجي بغض النظر عما إذا كانت مفهومة لدى السامع وقد أجريت هذه التجارب خلال اثنين وأربعين جلسة علاجية تضمنت كل جلسة خمس تجارب وبلغ المجموع الكلي للتجارب مائتين وعشرة تجربة تليت على المتطوعين فيها قراءات قرآنية خلال خمس وثمانين تجربة، كما تليت عليهم قراءات عربية غير قرآنية باللغة العربية مجودة لتطابق القراءات القرآنية من حيث الصوت واللفظ والوقع على الأذن خلال خمس وثمانين تجربة أخرى ولم يستمع المتطوعين لأي قراءة خلال أربعين تجربة بحيث كانوا جالسين جلسة مريحة وأعينهم مغمضة خلال تجارب الصمت وهي نفس الحالة التي كانوا عليها أثناء التجارب السابقة ولقد ظهر بوضوح أن التجارب الصامتة لم يكن لها أي تأثير مهدى للتوتر، وكانت النتائج إيجابية في ٦٥% من تجارب القراءات القرآنية بينما لم يظهر هذا الأثر إلا في ٣٣% فقط من تجارب القراءات غير القرآنية" (١).

ويقول الشيخ عبد المجيد الزنداني: "وقد ذكر لي أحد كبار المسؤولين في اليمن أنه إذا أوقف من نومه في الليل يأتيه أرق يمنعه من النوم ثانية، فيلجأ إلى سماع القرآن لإذهاب ما أصابه من توتر والعودة إلى النوم، ويمكن لكل شخص يقع في مثل هذه الحالة أن يعالج نفسه بنفس العلاج، وإن كثيراً من المجهدين بالتوتر العصبي إذا استمعوا إلى كلام الله ارتخت أعصابهم ورأيت النعاس يداعب أجفانهم، إن هذه القوة المؤثرة في الأعصاب تدل على مصدرها الإلهي العظيم" (٢).

إن الروحانية التي انبثقت من القرآن ، هي التي أحدثت انقلاباً في النفوس والموازين البشرية ، والتي سمت بأرواحهم حتى أصبح الواحد منهم يشعر أنه يطاول السماء ، ولم

(١) - بينات الرسول ومعجزاته للشيخ عبد المجيد عزيز الزنداني الفصل الثالث التحدي بالقرآن عنوان تجربة في تأثير القرآن على التوتر العصبي في موقع جامعة الإيمان

على هذا الرابط: <http://www.jameataleman.org/book/MOGZAT/MAIN.HTM>

(٢) - المصدر السابق

يستطع بشرا أن يفعل فعلها ولا أن يسموا بالخلق ويغير كينونة نفوسهم ويجعلهم رهبانا في الليل وفرسانا في النهار ، بالقرآن انقلبوا رأسا على عقب ، فروحانية القرآن تخللت الاجساد فغيرت كينونتها وصاغت صياغة جديدة وجذبتها جذبا إلى السماء بعد أن كانت منقادة إلى الأرض ، ولا غربة في هذا فقد ضرب الله مثلا للإنسان أن الجماد التي لا روح فيها يمكن أن تتأثر من روحانية القرآن وتوجل من هيئته ، يخبرنا الله تعالى عن القرآن بقوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

قال الإمام الشوكاني في تفسير هذه الآية: "أي: من شأنه وعظمته وجودة ألفاظه وقوة مبانيه وبلاغته واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب أنه لو أنزل على جبل من الجبال الكائنة في الأرض لرأيت مع كونه في غاية القسوة وشدة الصلابة وضخامة الجرم خاشعا متصدعا أي: متشققا من خشية الله سبحانه حذرا من عقابه وخوفاً من أن لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله وهذا تمثيل وتخيل يقتضي علوا شأن القرآن وقوة تأثيره في القلوب." (١)

وقال أبو السعود (٢): {لو أنزلنا هذا القرآن} العظيم الشأن المنطوي على فنون القوارع {على جبل} من الجبال {لرأيتته} مع كونه علماً في القسوة وعدم التأثير مما يصادمُهُ {خاشعا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} أي متشققاً منها وقُرِيءَ مُصَدِّعًا بالإدغام وهذا تمثيلٌ وتخيلٌ لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى {وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون} أريد به توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه ، بل قد جاء في الأحاديث الصحيحة ما يدل على أن للجبل مشاعر وكذلك الجذع والحجر الأسود ومن كان يتصور ذلك! فقد جاء في الصحيح عن جبل أحد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فأخدمه فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم راجعاً وبدا له أحد قال: هذا جبل يحبنا ونحبه» ، وكحنين الجذع المتواتر خبره عن ابن عمر رضي الله عنهما: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه

(١) - (فتح القدير، ٢ / ٢٩١).

(٢) - تفسير أبو السعود ، ٨ / ٢٣٣

يمسح يده عليه» ، وجاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن» .(١)

### تأثير القرآن على النبات:

رأينا في العنوان السابق أن للجماد تمييزاً -فهو يسلم على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ويحن الجذع لفراق الحبيب محمد ﷺ ، وتأثراً بما كان يسمع من الذكر، ويخبرنا الله أنه لو نزل هذا القرآن على جبل لتأثر ولتصدع من خشية الله، أما هل يتأثر النبات بالقرآن؟ فعندنا الآن بعض الأبحاث العلمية والتي تحتاج إلى توثيق أكبر ولا يوجد مانع من ذلك والله خالق كل شيء وقادر على كل شيء وهذا بحث أشار إليه الدكتور محمد راتب النابلسي بقوله: "فالنباتات كالأجرام السماوية وكمخلوقات الله الأخرى تشعر وتسمع وتستجيب سلباً أو إيجاباً لما حولها من مؤثرات خارجية" (٢).

وأشار الدكتور إلى بحث حول تأثير القرآن على النبات ونتمنى أن يكون هناك أبحاث مشابهة لتأييد ذلك وهذا ملخص البحث:

أجري في هذا البحث تجربة في حديقة كلية العلوم عام ١٩٩٧م فنصب الباحث أربعة بيوت بلاستيكية موحدة في حجمها، وزرع فيها قمحاً من نوع معين واحد، وملاًها بكميات متساوية من التراب، وغرس فيها بذور الحنطة على عمق واحد، وتم تسميدها جميعاً بكميات متساوية من سماد معين، وسقيت جميعاً بذات العدد من السقيا، وبكميات متماثلة من الماء، العجيب أنه أراد التوحيد في كل شيء في الحجم والتربة، ونوع البذور والسقيا-زمن السقيا- ونوع السماد، ثم اختار إحدى طالباته لتقرأ السور القرآنية التالية على أحد البيوت الأول- عندنا أربعة بيوت -وفي البيت الثاني كلف طالبة أن تأتي بنبات وتمزقه أمام بقية النبات وتعذبه وتقطع أوصاله، وتذكر كلمات قاسية ونايبة أمام هذا النبات، مرتين في الأسبوع، وكلف طالبة ثالثة بضرب النبات الثالث، وكيته، وتعريض وريقاته للقص، فهناك نبات عذب أمامه نبات، وهناك نبات تلقى التعذيب مباشرة، وهناك نبات قرأت عليه آيات القرآن الكريم، وأما البيت الرابع فترك ينمو نمواً طبيعياً، وأطلق عليه اسم البيت الضابط،

(١) - الأحاديث الثلاثة على التسلسل ، البخاري ح( ٢٧٣٢ ) ، البخاري ح( ٣٣٩٠ ) ، مسلم ح( ٢٢٧٧ ) .

(٢) - موسوعة النابلسي بعنوان سلوك النبات على هذا الرابط: [http://www.nabulsi.com/index\\_ar.php](http://www.nabulsi.com/index_ar.php)

فماذا كانت النتيجة؟ فالبيت الرابع هو المقياس، والأول سمع القرآن، والثاني لقي التعذيب،  
والثالث رأى التعذيب.

والنتيجة التي عرضها في مؤتمر علمي: أن نبات البيت الذي استمع للقرآن الكريم ازداد  
طوله أربعة وأربعين بالمائة من طول النبات الضابط في البيت الرابع، وازدادت غلته مئة  
وأربعين بالمائة من غلة البيت الرابع الضابط، أما البيت الثاني والثالث اللذان تحملا التعذيب،  
ورؤيته فقد تدنى طول نباتهما خمسة وثلاثين بالمائة، وهبط إنتاجه إلى ثمانين بالمائة، وهذا  
تفسير علمي للبركة، فحينما يزرع المؤمن يقرأ القرآن بنفس طيبة، ويذكر الله دائماً فهذا الذكر  
أمام النبات يزيد في الغلة راجع الرابط -

[http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article\\_no=1206](http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1206)

## الفصل الرابع :

### أسباب الاختلاف في القرآن ، والحكمة من التنبيه

- كانت مهمة الرسول ﷺ أن يبيّن للمسلمين معاني كتاب الله، وأن يوضّح ما غمض عليهم منها، وأن يصوب لهم بعض ما أخطأوا في فهمه، وأن يقدم لهم المعنى الصحيح لكلام الله سبحانه يقول الله: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل: ٤٤] بل وردت آية تقصر مهمة الرسول عليه السلام بأنها بيان معاني كتاب الله للمسلمين، وتجعل الهدف من إنزال القرآن هو بيانه للناس: { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ } [النحل: ٦٤]. ومن الطبيعي أن يفقه صحابة النبي القرآن وفق سليقتهم العربية لكن هنالك أحكام وقضايا لا تفهم فقط من ظاهر النص بل احتاجت للنبي لتبينها وإيضاحها.

صوّب النبي للصحابة ما أخطأوا في فهمه لبعض آيات القرآن، ووضّح لهم ما التبس عليهم من معانيها، فكيف بغيرهم ممن ضعف لسانه عن فقه اللغة العربية وفقه روح القرآن وأساليبه ، ووقوع بعض الصحابة في أخطاء في فهم بعض الآيات، أو في بعض الأحكام التي تؤخذ منها، لم يكن عن سوء نية، أو خبث باعث، كما لم يكن لعدم تمتعهم بالشروط اللازمة للتعامل مع القرآن من علوم ومعارف وآداب، ولم يكن لانحرافهم عن جادة الصواب وطريق الحق ومواصفات طالب العلم. فقد توفر لهم ما ذكره العلماء من شروط وآداب وعلوم ومعارف.<sup>(١)</sup>

هنالك فرق بين خطأ في فهم بعض الآيات، صادر عن مؤهلٍ للنظر فيها، متمتع بالشروط اللازمة له كما حصل من بعض الصحابة، وبين خطأ صادر عن غير المؤهلين

(١) - تصويبات في فهم بعض الآيات ، د صلاح عبد الفتاح الخالدي ص ٣٣- ٣٤ ، الناشر : دار القلم دمشق ، ط١/١٩٨٧ .

لذلك، أو الذين نتج خطؤهم عن سوء نيةٍ أو باعث، كما حصل من بعض المتطفلين على مائدة القرآن، أو الراغبين في تحريف معانيه من أهل هذا الزمان.

ويلاحظ المتتبع للشبهات والطعونات وجدليات التنصير أنها تكررراً ممجوجاً - في الغالب لأباطيل قديمة أجاب عن معظمها الإمام الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) في (اعجاز القرآن) وغيره، والجاحظ في (الرد على ابن الراوندي الملحد)، و القاضي عبد الجبار في (تنزيه القرآن عن المطاعن) وابن قتيبة في (مشكل القرآن) والغزالي في (الرد الجميل) وغيرهم، بل أجاب عن بعضها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه قبل أن تلوكها الألسنة، ومنها ما أجاب عنها ابن عباس وغيره من صحابة النبي ﷺ.

لقد انبرى علماء الإسلام قديماً في التصدي لهذه الأباطيل، وبرعوا في تفنيدها في كتبهم التي خصوها لبيان غريب القرآن وكشف مشكله، كما تعرض المفسرون لكثير من موارد سوء الفهم لآيات القرآن الكريم.

**أمثلة صوّب النبي فهمها لأصحابه وأمثلة أخرى صوّب الصحابة فهمها لغيرهم :**

١- لما نزلت آية وقت الإمساك في الصيام: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ } [البقرة: ١٨٧]. عمدت (عدي بن حاتم الطائي) إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، وجعلت أنظر من الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت له فقال: إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار. (متفق عليه) فقد أخذ الخيطين على ظاهرهما، وفهم من الآية أن المراد هو أن يقدر على أن يميز لون الخيطين، يتساءل متسائل: كيف غابت هذه الاستعارة عن عدي بن حاتم، ولم يفطن لها، وهو العربي الذكي الفصيح البليغ؟؟.

بعض الناس قد يشكك في فطنة عدي وبلاغته وفصاحته، ونعلم أنه فوق هذا التشكيك. ولعل ما يصلح تفسيراً للخطأ في الفهم الذي وقع به عدي بن حاتم رضي الله عنه: أن الآية لم تنص عندما نزلت على أن المراد من الخيطين هو الليل والنهار، وأن كلمة "

من الفجر " لم تنزل مع بقية الآية، وإنما تأخر نزولها، لحين وقوع بعض الصحابة في خطأ في فهم الآية، فكانت توضيحاً قرآنياً للمراد بالخيطين. فقد روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أنزلت: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} ولم ينزل {مِنَ الْفَجْرِ} فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولا يزال يأكل حتى يتبين له رئيئهما، فأنزل الله بعد {مِنَ الْفَجْرِ} فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار. (١)

٢ - لما نزل قول الله تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} [النساء: ١٢٣] " شق ذلك على المسلمين، وبلغت منهم ما شاء الله، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " سدّدوا وقاربوا، فإن في كل ما أصاب المسلم كفارة، حتى الشوكة يُشاكها، والنكبة يُنكبها " (٢)، أما رواية أحمد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله: كيف الصلاح بعد هذه الآية: {لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}، فكلس وء جزينا به؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: غفر الله لك يا أبا بكر: أَلست تَنصَب؟ أَلست تَمْرُض؟ أَلست تَحْزَن؟ أَلست تصيبك اللأواء؟ قال: بلى. قال: فهو ما تُحْزَن به. (٣)

فهذه الآية: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}، تقرر أن من يعمل سوءاً يُجْزى به، وقد خاف الصحابة منها على حياتهم وأعمالهم ولهذا قالوا: كيف الصلاح بعدها؟ وما نفع العمل بعدها؟ فوضّح لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام معنى المجازاة، وبيّن لهم أنها تكون في الدنيا لمن أراد الله به الخير، وتكون على صورة كفارة، تتمثل في الحزن والمرض والهَمّ والغَمّ والنصب والتعب، وكل مصائب الدنيا، وما أكثرها، وما أكثر ما تصيب الإنسان.

(١) - الحديث رواه البخاري ح (١٩١٧) ومسلم ح (١٠٩١) والترمذي والنسائي وأبو داود .

(٢) - أخرجه مسلم جزء منه وهو في الترمذي ح (٣٠٣٨) حكم الالباني صحيح ، وابن حبان ح (٢٩٢٥) حكم الأرنؤوط والالباني صحيح .

(٣) - أخرجه احمد ح (٦٨) وابن حبان ح (٢٩١٠) صححه الحاكم ووافقه الذهبي

ونأخذ من هذه الآية التي هي أخوف آية من كتاب الله - كما قالت عائشة رضي الله عنها - سنة ربانية لا تتخلف: من عمل شيئاً جوزي به، فمن عمل خيراً جوزي به خيراً، من عمل سوءاً جوزي به شراً، وأنه لا محابة عند الله، ولا تبديل لسنته، ولا رادّ لأمره سبحانه<sup>١</sup>.

٣ - لما نزلت: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين وقالوا: أيُّنا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس ذلك، إنما هو الشرك. ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}. (٢)، فالصحابه عليهم الرضوان حملوا الظلم في الآية على المعاصي والذنوب، وكانوا يعلمون أنهم غير معصومين منها، ولهذا قالوا: أيُّنا لا يظلم نفسه؟ يعني أيُّنا لا يذنب ولا يعصي؟ إذن فجميعنا هالكون، فصَحَّح لهم خطأهم في النظر للآية، وصوب لهم فهمهم لمعناها، ووضَّح لهم المراد بالظلم فيها، وبيَّن لهم أنه ليس الذنب والمعصية والتقصير، وإنما هو الشرك بالله. وطالما أنهم موحدون لله عابدون له، بريؤون من الإشراك به، فإنهم في أمان وأمن واطمئنان ويقين. (٣)

٤ - يقول المغيرة بن شعبة: لما قدمتُ بجران سألتُني فقالوا: إنكم تقرؤون ( يَا أُخْتِ هَارُونَ ) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ سألته، فقال: إنهم كانوا يسمُّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم. (٤)، أرادوا أن يثيروا أمامه الشبهات ضد القرآن، وأن يشكِّكوا في الصدق التاريخي لتقريراته فيين هارون ومريم أكثر من ألف سنة، ومنشأ الخطأ عندهم أنهم حملوا اسم هارون على هارون النبي، فوضَّح له من هو هارون، وأزال اللبس والشك الذي أثاره نصارى بجران. فقال له: إنهم كانوا يتسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم.

(١) - تصويبات للخالدي ص ٣٨ - ٤٠، مرجع سابق

(٢) - البخاري ح (٣٣٦٠) ومسلم ح (١٢٤).

(٣) - الخالدي، تصويبات ص ٤١ - ٤٣، مرجع سابق.

(٤) - مسلم ح (٢١٣٥) والترمذي ح (٣١٥٥) حكم الالباني حسن

إذن ليس هو هارون شقيق موسى عليه السلام، بل هو هارون آخر كان معاصراً لمريم، ويبدو أنه كان شقيقاً لها، وعندها تصح نسبة أخوتها له. أو أن المراد أخوتها له في العبادة والتدين، وكأنهم يقصدون بأخت هارون: يا شبيهة هارون في عبادته وتقواه وطهره وفضيلته. وهو الأرجح - والله أعلم - (شبهة تم الرد عليها في التهم).

٥ - عن أم مُبَشَّر الأنصارية - امرأة زيد بن حارثة رضي الله عنهما - أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها. قالت حفصة: بلى يا رسول الله. فانتهرها. فقالت حفصة: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا}، فقال النبي ﷺ: قد قال الله تعالى: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جَنًّا}. [مريم: ٧٢] والحديث حول " بيعة الرضوان " والتي أنزل الله فيها: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}. والرسول ﷺ صوب لحفصة ما فهمت، وأزال اللبس بأن دعاها للنظر في الآية الثانية التي تقرر نجاة المؤمنين من جهنم: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا}. وكأنه يؤسس ﷺ قاعدة في تصويب بعض الأفهام للآيات، بأن يدعو أصحابها للنظر في الآيات الأخرى المشابهة لتلك الآية، حيث توضح المراد وتزيل الإشكال. والمراد بالورود في الآية المرور على الصراط، عندما ينصب على جهنم، فيمر عليه المؤمنون بحسب أعمالهم، ويسقط عنه في جهنم الكافرون والمذنبون بسوء أعمالهم. (٢)

٦ - قال النبي ﷺ: من نوقش الحساب عُذِّب.، فقالت عائشة: أليس يقول الله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا} [الإنشقاق] ، فقال: " إنما ذلك العرض، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك (٣). وفي رواية أخرى لهما: قال رسول الله ﷺ " ليس أحد يحاسب إلا هلك ". قلت: يا

(١) - أخرجه مسلم ح(٢٤٩٦) وأحمد ح(٢٧٣٦٢) والنسائي في "الكبرى" (١١٣٢١)

(٢) - تصويبات الخالدي ص ٤٥ - ٤٦

(٣) - أخرجه البخاري ح(٦٥٣٦) و مسلم (٢٨٠٥) (٥٢) .

رسول الله: جعلني الله فداك. أليس الله تعالى يقول: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا}. قال: " ذلك العرض تعرضون، ومن نوقش الحساب هلك ".  
إن الرسول عليه الصلاة والسلام يقرر أن من نوقش الحساب عُذَّب، ومن حوسب حساباً عسيراً مفصلاً عن أعماله، شاملاً لكل دقائق عمره، هلك. فتعارضت هذه الحقيقة عند عائشة مع آية قرآنية: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا}. فراجعت رسول الله ﷺ تطلب منه الجمع بين المعنيين، وإزالة التعارض بينهما، وحل الإشكال لديها. فبيّن لها أن الآية لا تتحدث عن الحساب، وإنما تتحدث عن العرض يوم القيامة، وهو الحشر والجمع والوقوف في أرض الموقف للحساب والجزاء. فالكل سيُعرضون ويقفون ذلك الموقف، فأما من أراد الله به الخير والنجاة فسيعطيه كتابه بيمينه، ويحاسبه حساباً يسيراً سريعاً. وأما من كان شقيماً بائساً، فسوف يحاسب حساباً عسيراً شديداً دقيقاً مفصلاً، ويناقش فيه مناقشة مطولة، ومن نوقش الحساب هلك وعُذَّب. (١)

### الحصاية بصيرون بعض المفاهيم القرآنية

كانت لصحابة رسول الله ﷺ مواقفهم في حماية الفهم السليم للقرآن، وتصديدهم لأي فهم خاطئ لآياته، أو تفسير باطل لها، أو حمل لها على ما لم تدل عليه، ولا توحى به. كانوا يعلمون المسلمين الجدد معاني القرآن ويصوبون لهم أفهامهم، ويقدمون لهم المفاهيم القرآنية الصائبة، ويراقبون صلتهم بالقرآن، فيصححون هذه النظرة، ويصوبون ما قد يصدر عنها من أفهام وآراء.

١ - عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما، قال: سألت عائشة رضي الله عنها، فقلت لها: أرايت قول الله: {إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} [البقرة: ١٥٨] ، فَو الله ما على أحدٍ جُنَاحَ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا. قالت: بئسما قلت يا ابن أخي - ابن أختها أسماء رضي الله عن الجميع - إِنَّ هذه لو كانت على

(١) - تصويبات للخالدي ص ٤٧- ٤٨ مرجع سابق

ما أولتها كانت: لا جناح عليه ألا يطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلّون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل، وكان من أهلها يتحرّج أن يطوف بالصفاء والمروة.

فلما أسلموا سألو النبي ﷺ عن ذلك، فقالوا: يا رسول الله: إنا كنا نتحرّج أن نطوف بين الصفا والمروة؟ فأنزل الله: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}. قالت عائشة رضي الله عنها: وقد سنّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما.

لقد فهم عروة بن الزبير من الآية أنها ترفع الجناح - وهو الإثم - على من طاف بين الصفا والمروة {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا}، ونفي الإثم على من فعل ذلك يدل على كونه مباحاً يستوي فعله وتركه، فلو كان واجباً لأوجهه الله بالنص وما اكتفى برفع الإثم على من فعله. وهذا فهم خاطئ من عروة، لو قلنا به لكان السعي بين الصفا والمروة مباحاً، وليس ركناً من أركان الحج كما هو معروف. فصوبت عائشة - رضي الله عنها - لعروة فهمه، وبيّنت له أن الآية ساكتة عن الوجوب وعدمه، وإنما تهدف إلى رفع الإثم على من سعى بينهما، وأنها تعالج تحرجاً في نفوس الأنصار. (١)

٢ - عن أسلم أبي عمران قال: كنا بمدينة الروم، فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عُقبة بن عامر، وعلى الجماعة: فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله، يلقي بيديه إلى التهلكة!. فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس لتؤولون هذه الآية هذا التأويل! وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصره، فقال بعضنا لبعض سراً - دون رسول الله ﷺ -: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام، وكثر ناصره، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه، يرد علينا ما قلنا: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى

التَّهْلُكَةُ} [البقرة: ١٩٥]. وكانت التهلكة: الإقامة على الأموال وإصلاحها، وتَرْكُنَا الغزو. فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أن نقيم في أموالنا ونصلحها، وَنَدْعُ الجهاد. فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله، حتى دفن بأرض الروم. (١)

٣- قال رجل لابن عباس: لعن كان كل امرئٍ منا فرح بما أتى، وأحب أن يحمد بما لم يفعل، مُعَذَّباً، لَتُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ. فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ} [آل عمران] وقال: سألهم النبي ﷺ عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أتوا، من كتمانهم إياه ما سألهم عنه. (٢)

فهم الناس الآية أنها تقرر العذاب لكل من فرح بعمله، ولكل من أحب ثناء الناس عليه بشيء ولو لم يفعله. لكن ابن عباس دهم على سبب نزولها، وعلى ملابسة ذلك النزول - ومعرفة السبب تعين على فهم دقيق صحيح للآية - فهي تتحدث عن اليهود في كتمانهم الحق وإجابتهم المزيفة المحرّفة. ولكننا نقول إن الآية ليست في اليهود خاصة، الذين فعلوا الفعل الشائن. لكنها تنطبق على كل من فعل ذلك الفعل اليهودي الماكر، في أي زمان ومكان.

إن كل من كتم العلم والحق، وظنّ أنه ذكي فطن، تشمله الآية في وعيدها له بالعذاب، وإن كل من سئل عن علم فكتمه هرباً من دفع ضريبته، ولم يبيّنه للناس، بل اشترى به ثمناً قليلاً تشمله بالوعيد، وإن كل من أصدر الفتاوى الباطلة، والتصريحات الضالة، ووقف المواقف المشبوهة الجبانية، تشمله الآية بوعيدها، ولو زعم أنه مسلم. (٣)

(١) - الحديث أخرجه (أبو داود ح ٢٥١٢) حكم الالباني صحيح، والترمذي (٢٩٧٢) صحيح، انظر تصويبات ص ٥٢

(٢) - أخرجه البخاري ح (٤٥٦٨) وغيره

(٣) - (تصويبات للخالدي ص ٥٦)

٤ - ناساً شربوا الخمر بالشام، فقال لهم يزيد بن أبي سفيان (الوالي على الشام قبل أخيه معاوية) شربتم الخمر؟ قالوا: نعم. لقول الله: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا} [المائدة: ٩٣]. فكتب فيهم إلى عمر، فكتب عمر إليه: إن أتاك كتابي هذا نهاراً فلا تُنظِرْ بهم إلى الليل، وإن أتاك ليلاً فلا تُنظِرْ بهم إلى النهار، حتى تبعث بهم إلي لا يفتنوا عباد الله، فبعث بهم إلى عمر، فلما قدموا على عمر قال: شربتم الخمر؟ قالوا: نعم. فتلا عليهم: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ...}. فقالوا: اقرأ التي بعدها: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا}. فشاور فيهم الناس. فقال لعلي: ما ترى؟ قال: أرى أنهم شرعوا في دين الله ما لم يأذن الله فيه، فإن زعموا أنها حلال فاقتلهم، فقد أحلوا ما حرّم الله، وإن زعموا أنها حرام، فاجلدهم ثمانين ثمانين، فقد افتروا على الله الكذب، وقد أخبرنا الله بحد ما يفترى به بعضنا على بعض. فجلدهم ثمانين ثمانين<sup>١</sup>. رواها السيوطي في الدر المنثور وغيره .

وحتى نفهم المقصودين بالآية نستحضر سبب نزولها: روى الترمذي عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: مات رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تُحرّم الخمر، فلما حرمت الخمر قال رجال: كيف بأصحابنا وقد ماتوا يشربون الخمر؟ فنزلت: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا}. فهذه الآية تنفي الإثم والجناح عن الذين كانوا يشربون الخمر وماتوا قبل تحريمها، وليس الذين شربوا الخمر بعد تحريمها.<sup>(٢)</sup>

٥ - "قام أبو بكر الصديق، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ، لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا المنكر فلم

(١) - النسائي في السنن الكبرى ح (٥٢٦٩) والدر المنثور للسيوطي (١٧٤/٣) طبعة دار الفكر بيروت

(٢) - (تصويبات للخالدي ص ٥٧) . مرجع سابق

يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب " (١). ، وروى الترمذي وابن ماجه وآخرون عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني، فقلت له: كيف تضع هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قال: قوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ }. قال: أما والله، لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مُطاعاً، وهوىً متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام. فإن من ورائكم أيام الصبر، الصابر فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم. وأخرج ابن مردويه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما ترك قوم الجهاد في سبيل الله، إلا ضربهم الله بذل، ولا أقر قوم المنكر بين أظهرهم إلا عمهم الله بعقاب ". ثم قال أبو بكر: وما بينكم وبين أن يعمكم الله بعقاب من عنده، إلا أن تأولوا هذه الآية، على غير أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ } (٢).

٦- عن مسروق بن الأجدع قال: كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود - وهو مضطجع بيننا - فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن: إن قاصاً عند أبواب كندة يقص، ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام. فقال عبد الله - وجلس وهو غضبان - يا أيها الناس: اتقوا الله، من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم، ومن لا يعلم فليقل الله أعلم، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ }. إن رسول الله ﷺ، لما رأى من الناس إدباراً قال: اللهم سبع كسيع يوسف. (٣)

(١) - أبو داود ح(٤٣٣٨) والترمذي ح(٣٠٥٧) وابن ماجه ح(٤٠٠٥) وأحمد ح(٣٠)، حكم الالباني صحيح .

(٢) - تصويبات للخالدي ص ٥٨ والحديث أصله عند أحمد ح(٣٠) وابو داود ح(٤٣٣٨)

(٣) - روى البخاري ح(١٠٠٧) ومسلم ح(٢٧٩٨) والترمذي وغيرهم

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ لما دعا قريشاً كذبوه، واستعصوا عليه فقال: اللهم أعني عليهم سبع كسبع يوسف. فأخذتهم سنةً حصّت كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر إلى السماء أحدهم، فيرى كهيفة الدخان. فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد. إنك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله عز وجل لهم. قال الله تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَلَيْسَ لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْنُونَ (١٤) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ}. (قال عبد الله: أفيكشف عذاب الآخرة!!). {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ}، فالبطشة يوم بدر.

لقد صحح ابن مسعود أفهام بعضهم، حول الدخان الذي تتحدث عنه الآيات، وبيّن أنه قد مرّ بأهل مكة قبل الهجرة، وليس المراد بها ذلك الذي يأتي قبيل الساعة، لأن دليله في نصوص أخرى.

### نتيجة مهمة: أقسام القرآن من حيث تفسيره

ليس القرآن من حيث تفسيره على درجة واحدة، وليست آياته على مستوى واحد في هذا المجال، وقد تكلم العلماء قديماً عن هذا.

روى ابن جرير الطبري<sup>١</sup> في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: التفسير على أربعة أوجه: ١ - وجه تعرفه العرب من كلامها. ٢ - تفسير لا يُعذر أحد بجهالته.

٣ - تفسير يعلمه العلماء. ٤ - تفسير لا يعلمه إلا الله تعالى.

وقد أعاد الإمام الطبري ترتيب أقسام القرآن من حيث تفسيره، وأشار إلى أنها على ثلاثة أوجه:

(١) - تفسير الطبري ١ / ٧٣ - ٧٥، ط مؤسسة الرسالة تحقيق شاکر سنة ١٤٢٠/٢٠٠٠

١ - قسمٌ لا سبيل إلى الوصول إليه: وهو ما استأثر الله بعلمه، وهو ما سوف يأتي في آخر الزمان. مثل وقت خروج الدابة، ووقت طلوع الشمس من مغربها، ووقت نزول عيسى عليه السلام، ووقت قيام الساعة، وغير ذلك.

٢ - قسمٌ خص الله نبيّه عليه السلام بعلم تأويله، ووجب على الأمة جميعاً الأخذ بهذا التفسير النبوي الكريم، وذلك مثل بيانه العملي للمقصود من آيات الصلاة والصيام والزكاة والحج، وتوضيحه للصحابة ما خفي عليهم من معاني القرآن وأحكامه.

٣ - ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وهم العرب الفصحاء، وهو بيان معاني القرآن ووجوه إعرابه.

فإذا أدرك الناظر في القرآن هذه الأقسام، عرف ما يمكن أن يقوم به في فهم معاني القرآن، وما تُرك من مجالاتٍ فسيحةٍ شاسعةٍ لتدبر آياته، وعرض مفاهيمه، والإشارة إلى معانيه ولطائفه وأحكامه ودلالاته، بحيث لو أمضى كل عمره في هذا، فلن يقف منه إلا على قليلٍ لا يكاد يُذكر، فيبذل أقصى جهده وغاية وسعه.<sup>(١)</sup>

عن عبد الله بن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به، وتفسير تفسره العرب، وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره.<sup>(٢)</sup>

## مبحث الطعن في القرآن

الطعن في القرآن: هو أحد مباحث علوم القرآن، التي تبحث في الرد على من طعن في كتاب الله، أو زعم تناقضه، أو إشكاله، والرد عليها بالأدلة الشرعية، والعقلية، والحسية. (٣)

كما وهناك مصطلحات ترادف مصطلح الطعن، مثل: مختلف القرآن وسماه السيوطي في الإتيان "في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض" ومنها: موهم الاضطراب ومن هذا كتاب دفع "إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" لمحمد الأمين الشنقيطي. وهذا الاسم والذي قبله يتحدث عن نوع واحد من الطعون، وهو التناقض في الآيات، مع أن الطعون لها أنواع

(١) - تصويبات للخالدي ص ٢١-٢٢. مرجع سابق

(٢) - تفسير الطبري ١ / ٧٦ تحقيق شاكر

(٣) - (البرهان في علوم القرآن للزركشي (٥٣/٢) دار احياء الكتب العربية عيسى البابي ط ١/ ١٩٥٧، والإتيان في علوم القرآن للسيوطي (٧٩/٣) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٧٩، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن لبيان الحق النيسابوري (١١٢/١) جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، (رسالة علمية): سعاد بنت صالح بن سعيد باقبي .

آخر، كنفى نسبة القرآن إلى الله، والظعن في لغته وغير ذلك و أحيانا يسمى أسئلة القرآن ، أي الأسئلة التي يطرحها بعض الناس بقصد التشكيك في كتاب الله تعالى؛ ومن هذا: كتاب " البرهان في مسائل القرآن " للجماعيلي المقدسي، و " التبيان في مسائل القرآن " لرضي الدين القزويني، وبعضهم يسميها جوابات القرآن؛ باعتبار الجواب على هذا السؤال، ككتاب " الجوابات في القرآن " لمقاتل بن سليمان، وبعضهم يجمع بين الاسمين مثل " أسئلة القرآن وأجوبتها " لأبي بكر الرازي.

وأكثر الأحيان يسمى مشكل القرآن ككتاب: " تأويل مشكل القرآن " لابن قتيبة وبعضهم يسميه " مشكل القرآن " ، وهو من أوائل الكتب المفردة في هذا الفن و" فوائد في مشكل القرآن " لسلطان العلماء العز بن عبد السلام. و" مشكلات القرآن " لمحمد أنور الكشميري. و" مشكل القرآن " للحكيم الترمذي، وهو أكثر الأسماء تداولاً بين العلماء على هذا الفن. (١)

تكلم القرآن عن طعونات كثيرة ثم كرّ عليها بالرد الواضح البين مثل : بعضهم ادعى أنه يستطيع أن يأتي بمثل القرآن (إذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا. ( [الأنفال: ٣١] ) ؛ فتحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثله فعجزوا ، وقالوا قصص الأولين وأساطير السابقين {وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين} [النحل: ٢٤] ، فرد الله عليهم أنه لا يعرف أن يقرأ ولا يكتب، فكيف ينقلها؟ ولماذا لا تحضرون تلك الكتب التي نقل منها ؟ وقالوا إنه تعلم القرآن من غلام نصراني فقال ردا عليهم: { لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين} [النحل: ١٠٣] . وهكذا كلما قالوا شبهة، رد الله عليهم بحجة واضحة .

وحصل ظعن في القرآن في عصر الصحابة؛ ففي زمن عمر (كان في أجناد عمرو بن العاص (رجل يقال له صبيغ ، كان يسأل عن متشابه القرآن، فكان يقول: ما المرسلات عرفاً، ما العاصفات عصفاً. تشكيكا وتعنتا، فأرسل به عمرو إلى عمر ، فلما علم عمر بقدمه أمر رجلا أن يحضره وقال له: إن فاتك فعلت بك وفعلت. وكان عمر قد جهز له عراجين من نخل، فلما جاءه سأله عن أشياء ثم قال له: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله صبيغ. فقال: وأنا

(١) - دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ، عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ص ٢٨-٣١ دار البشائر الاسلامية بيروت ط١/سنة ٢٠٠٦.



السماء بناها} [النازعات: ٢٧] إلى قوله: ( ... دحاها ) [النازعات: ٣٠] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال: { ... أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين....} [فصلت: ٩] إلى قوله: {طائعين} [فصلت: ١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء؟. وقال: {وكان الله غفورا رحيمًا} [الفتح: ١٤] {عزيزا حكيما} [الفتح: ١٩] {سميعا بصيرا} [النساء: ٥٨] فكأنه كان ثم مضى؟

فقال ابن عباس : {فلا أنساب بينهم} [المؤمنون: ١٠١] في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور (..فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ... )([الزمر: ٦٨] فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة (أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ) .وأما قوله { ... ما كنا مشركين} [الانعام: ٢٣] {ولا يكتُمون الله حديثا} [النساء: ٤٢] فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فقال المشركون: تعالوا نقل لم نكن مشركين، فختم على أفواههم، فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتُم حديثا، وعنده {يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين} [الحجر: ٢] .

وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض؛ ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال، والجمال، والآكام، وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: (دحاها) وقوله: {خلق الأرض في يومين} [فصلت: ٩] فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السموات في يومين. {وكان الله غفورا رحيمًا} [الفرقان: ٧٠] سمى نفسه ذلك، وذلك قوله أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلا من عند الله . (١) وغير ذلك من الآثار، وكلما بعد العهد بعصر النبوة، كلما زادت الإشكالات والطعون في القرآن.

## أسباب الاختلاف في القرآن :

ونشير هنا إلى الأسباب التي كانت وراء ما سمي "موهم الإضطراب" أو "مشكل القرآن"، أو التي دفعت البعض إلى الخوض في قضايا تمس القرآن الكريم، قال الزركشي : وأما دعوى تناقض القرآن فإنها ترجع لخمس أسباب :

(١) - (أخرجه البخاري معلقا (كتاب تفسير القرآن، باب: سورة حم السجدة (فصلت)) ، وقال الحافظ ابن حجر كما في الفتح (٥٥٨/٨) : وصله الطبري وابن أبي حاتم بإسناد على شرط البخاري في الصحة . )

**الأول:** وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى:

كقوله تعالى في خلق آدم إنه {من تراب} [آل عمران: ٥٩] ، ومرة {من حمأ مسنون} [الحجر: ٢٦] ، ومرة {من طين لازب} [الصفات: ١١] ، ومرة {من صلصال كالفخار} [الرحمن: ١٤] ، وهذه الألفاظ مختلفة، ومعانيها في أحوال مختلفة؛ لأن الصلصال غير الحمأ، والحمأ غير التراب، إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر، وهو التراب، ومن التراب تدرجت هذه الأحوال. ومنه قوله تعالى: {فإذا هي ثعبان مبين} [الشعراء: ٣٢] ، وفي موضع {تتتر كأنها جان} [القصص: ٣١] ، والجان الصغير من الحيات، والثعبان الكبير منها؛ وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم واهتزازها وحركاتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته.

**السبب الثاني: اختلاف الموضوع:**

كقوله تعالى: {وقفوههم إنهم مسئولون} [الصفات: ٢٤] ، وقوله: {فلنساءن الذين أرسل إليهم ولنساءن المرسلين} [الأعراف: ٦] ، مع قوله: {فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان} [الرحمن: ٣٦] ؛ قال الحلبي : فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل، والثانية على ما يستلزم الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه. وحمله غيره على اختلاف الأماكن؛ لأن في القيامة مواقف كثيرة، فموضع يسأل ويناقش وموضع آخر يرحم ويلطف به، وموضع آخر يعنف ويوبخ وهم الكفار، وموضع آخر لا يعنف وهم المؤمنون.

وقوله: {ولا يكلمهم الله يوم القيامة} [البقرة: ١٧٤] ، مع قوله: {فوربك لنساءنهم أجمعين عما كانوا يعملون} [الحجر: ٩٢-٩٣] وقيل: المنفي كلام التلطف والإكرام، والمثبت سؤال التوبيخ والإهانة، فلا تنافي، وقيل: إن المنفي كلامهم في النار، والمثبت كلامهم في الحساب. وكقوله: {ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين} [الأنعام: ٢٣] ، مع قوله: {ولا يكتُمون الله حديثا} [النساء: ٤٢] ، فإن الأولى تقتضي أنهم كتموا كفرهم السابق، والجواب من وجهين؛ أحدهما: أن للقيامه مواطن ففي بعضها يقع منهم الكذب، وفي بعضها لا يقع، كما سبق، والثاني: أن الكذب يكون بأقوالهم، والصدق يكون من جوارحهم، فيأمرها الله تعالى بالنطق فتتطرق بالصدق.

ومنه قوله تعالى: { اتقوا الله حق تقاته } [آل عمران: ١٠٢] ، مع قوله: { فاتقوا الله ما استطعتم } [التغابن: ١٦] ، يحكى عن الشيخ العارف أبي الحسن الشاذلي، رحمه الله، أنه جمع بينهما فحمل الآية الأولى على التوحيد، والثانية على الأعمال، والمقام يقتضي ذلك؛ لأنه قال بعد الأولى (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

وقيل: بل الثانية ناسخة؛ قال ابن المنير: الظاهر أن قوله: (اتقوا الله حق تقاته) إنما نسخ حكمه لا فضله وأجره، وقد فسر النبي ﷺ حق تقاته بأن قال: «هو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر». فقالوا: أينما يطبق ذلك. فنزلت (فاتقوا الله ما استطعتم) وكان التكليف أولاً باستيعاب العمر بالعبادة بلا فترة ولا نعاس، كما كانت الصلاة خمسين ثم صارت بحسب الاستطاعة خمسا، والاعتدال منزل على هذا الاعتبار، ولم ينحط من درجاته، وقال الشيخ كمال الدين الزملاكي: وفي كون ذلك منسوخا نظرا، وقوله: (ما استطعتم) هو (حق تقاته) إذ به أمر فإن (حق تقاته) الوقوف على أمره ودينه، وقد قال بذلك كثير من العلماء اهـ.

والحديث الذي ذكره ابن المنير في تفسيره (حق تقاته) لم يثبت مرفوعا، بل هو من كلام ابن مسعود رواه النسائي، وليس فيه قول الصحابة: أينما يطبق ذلك، ونزول قوله تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم).

ومنه قوله تعالى: { فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة } [النساء: ٣] مع قوله في أواخر السورة: { ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم } [النساء: ١٢٩] فالأولى تفهم إمكان العدل، والثانية تنفيه؛ والجواب أن المراد بالعدل في الأولى العدل بين الأزواج في توفية حقوقهن، وهذا ممكن الوقوع وعدمه، والمراد به في الثانية الميل القلبي؛ فالإنسان لا يملك ميل قلبه إلى بعض زوجاته دون بعض، وقد كان يقسم بين نسائه ثم يقول: " اللهم هذا قسمي في ما أملك، فلا تؤاخذني بما لا أملك ". يعني ميل القلب، وكان عمر يقول: اللهم قلبي فلا أملكه، وأما ما سوى ذلك فأرجو أن أعدل.

ويمكن أن يكون المراد بالعدل في الثانية العدل التام؛ أشار إليه ابن عطية، وقد يحتاج الاختلاف إلى تقدير، فيرتفع به الإشكال كقوله تعالى: { لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم

وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى} [النساء: ٩٥] ثم قال سبحانه: (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما (والأصل في الأولى: وفضل الله المجاهدين على القاعدين من أولى الضرر درجة، والأصل في الثانية: وفضل الله المجاهدين على القاعدين من الأصحاء درجات).

وكقوله تعالى: {إن الله لا يأمر بالفحشاء} [الأعراف: ٢٨] مع قوله: {أمرنا مترفيها ففسقوا فيها} [الإسراء: ١٦] ، والمعنى أمرناهم وملكتناهم وأردنا منهم الصلاح فأفسدوا، والمراد بالأمر في الأولى أنه لا يأمر به شرعا ولكن قضاء؛ لاستحالة أن يجري في ملكه مالا يريد، وفرق بين الأمر الكوني والديني.

### الثالث: الاختلاف في جهتي الفعل:

كقوله تعالى: {فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم} [الأنفال: ١٧] ؛ أضيف القتل إليهم على جهة الكسب والمباشرة، ونفاه عنهم باعتبار التأثير؛ ولهذا قال الجمهور: إن الأفعال مخلوقة لله تعالى، مكتسبة للآدميين، فنفي الفعل بإحدى الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى. وكذا قوله: {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} [الأنفال: ١٧] أي ما رميت خلقا إذ رميت كسبا. وقيل: إن الرمي يشتمل على القبض والإرسال وهما بكسب الرامي، وعلى التبليغ والإصابة وهما بفعل الله عز وجل؛ قال ابن جرير الطبري: وهي الدليل على أن الله خالق لأفعال العباد؛ فإن الله تعالى أضافه إلى نبيه ثم نفاه عنه، وذلك فعل واحد؛ لأنه من الله تعالى التوصيل إليهم ومن نبيه بالحذف والإرسال، وإذا ثبت هذا لزم مثله في سائر أفعال العباد المكتسبة، فمن الله تعالى الإنشاء والإيجاد، ومن الخلق الاكتساب بالقوى.

ومثله قوله تعالى: {الرجال قوامون على النساء} [النساء: ٣٤] وقال تعالى: {وقوموا لله قانتين} [البقرة: ٢٣٨] فقيام الانتصاب لا ينافي القيام بالأمر لاختلاف جهتي الفعل.

### الرابع: الاختلاف في الحقيقة والمجاز:

كقوله: {وترى الناس سكارى وما هم بسكارى} [الحج: ٢] {ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت} [إبراهيم: ١٧] وهو يرجع لقول المناطقة: الاختلاف بالإضافة. أي وترى الناس سكارى بالإضافة إلى أهوال القيامة مجازا، وما هم بسكارى بالإضافة إلى الخمر حقيقة.

ومثله في الاعتبارين قوله تعالى: { آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين } [البقرة: ٨] وقوله: { ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون } [الأنفال: ٢١] ، وقوله تعالى: { وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون } [الأعراف: ١٩٨] ، فإنه لا يلزم من نفي النظر نفي الإبصار، لجواز قولهم: نظرت إليه فلم أبصره.

#### الخامس: بوجهين واعتبارين:

وهو الجامع للمفترقات، كقوله: { فبصرك اليوم حديد } [ق: ٢٢] وقال: { خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي } [الشورى: ٤٥] ، قال قطرب: (فبصرك): أي علمك ومعرفتك بها قوية، من قولهم: بصر بكذا وكذا. أي علم، وليس المراد رؤية العين، قال الفارسي: ويدل على ذلك قوله: (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم الحديد) وصف البصر بالحدة.

وكقوله تعالى: { وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآهنتك } [الأعراف: ١٢٧] مع قوله: { أنا ربكم الأعلى } [النازعات: ٢٤] ؛ فقيل: يجوز أن يكون معناه: ويذرك وآهنتك إن ساغ لهم، ويكون إضافة الآلهة إليه ملكا كان يعبد في دين قومه، ثم يدعوهم إلى أن يكون هو الأعلى، كما تقول العرب موالي من فوق وموالي من أسفل، فيكون اعتقادهم في الآلهة مع فرعون أنها مملوكة له، فيحسن قولهم: (وآهنتك) ((١)) ، وقوله تعالى: { الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله } [الرعد: ٢٨] مع قوله: { إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم } [الأنفال: ٢] فقد يظن أن الوجع خلاف الطمأنينة؛ وجوابه أن الطمأنينة إنما تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد، والوجع يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى، فتوجل القلوب لذلك، وقد جمع بينهما في قوله: { تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله } [الزمر: ٢٣] فإن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدتهم، ووثقوا به، فانتفى عنهم الشك. وكقوله: { خمسين ألف سنة } [المعارج: ٤] وفي موضع { ألف سنة } [السجدة: ٥] ، وأجيب بأنه باعتبار حال المؤمن والكافر بدليل { وكان يوما على الكافرين عسيرا } [الفرقان: ٢٦] . وكقوله: { بألف من الملائكة مردفين } [الأنفال: ٩] وفي آية أخرى { بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين } [آل

عمران: ١٢٤] ، قيل: إن الألف أردفهم بثلاثة آلاف، وكان الأكثر مددا للأقل، وكان الألف (مردفين) بفتحها ... (١).

فالسباب هي : وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى، ٢- اختلاف الموضوع. ٣- اختلافهما في جهتي الفعل. ٤- اختلافهما في الحقيقة والمجاز. ٥- الاختلاف لوجهين واعتبارين.

وذكر صاحب كشف الأسرار أن من أسباب الاختلاف في القرآن:

١- (الغموض في المعنى) أي الإشكال إنما يقع لغموض في المعنى ، ومن نظائره قوله تعالى: (فأتوا حرثكم أنى شئتم)، اشتبه معناه على السامع أنه بمعنى كيف أو بمعنى أين، فعرف بعد الطلب والتأمل أنه بمعنى كيف، بقرينة الحرث وبدلالة حرمة القران في الأذى العارض ، وهو الحيض ففي الأذى اللازم أولى.

٢- (والاستعارة البديعة) وأما نظير الاستعارة البديعة، فقوله تعالى: (قوارير من فضة) ، فالقوارير لا يكون من الفضة، وما كان من الفضة لا يكون قوارير، ولكن للفضة صفة كمال، وهي نفاسة جوهره وبياض لونه، وصفة نقصان وهي أنها لا تصفو ولا تشف وللقارورة صفة كمال أيضا، وهي الصفاء والشفيف، وصفة نقصان ، وهي حساسة الجوهر، فعرف بعد التأمل أن المراد من كل واحد صفة كماله، وأن معناه أنها مخلوقة من فضة ، وهي مع بياض الفضة في صفاء القوارير وشفيفها . وقوله جل ذكره (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)، فاللباس لا يذاق ولكنه يشمل الظاهر، ولا أثر له في الباطن، والإذاقة أثرها في الباطن ولا شمول لها، فاستعيرت الإذاقة لما يصل من أثر الضرر إلى الباطن واللباس بالشمول، فكأنه قيل: فأذاقهم ما غشيتهم من الجوع والخوف. أي أثرهما واصل إلى بواطنهم مع كونه شاملا لهم). (٢)

## ما الحكمة من وجود التشابه في القرآن؟

" أن القرآن إنما أنزل للهدى والبيان فكيف اشتمل على التشابه "؟ لم كان في القرآن متشابه لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم؟ ولم لم يكن كله محكما يستوي في فهمه جميع

(١) - البرهان للزركشي (٦٤-٧٤) بتصرف واختصار. مرجع سابق .

(٢) - (كشف الأسرار لعبد العزيز البخاري الحنفي (١/٥٤)) دار الكتاب الإسلامي، بيروت. د.عبد المحسن المطيري ، الطعن في القرآن الكريم والرد على

الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري ، ص ٩٨ .

الناس، وهو قد نزل هاديا والمتشابه يحول دون الهداية بما يوقع اللبس في العقائد. ويفتح باب الفتنة لأهل التأويل؟ ذكر الرازي هذا السؤال مفصلا، وقال إن بعض الملحدة طعن في القرآن لاشتماله على المتشابهات، وقال إنكم تقولون: إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة، ثم إنا نراه بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب على مذهبه.

وقد تكلم في الجواب كثير من العلماء، وحاضوا في حكمة إنزال المتشابه . منها :

١- أن المشتبهات ليست في الأمور المطلوبة من المكلف العمل بها، وإنما هي في بعض الأمور العقديّة التي يطالب فيها المكلف بالتفويض والتسليم لله تعالى فيها، ويقول: (أما به كل من عند ربنا). وأن الآيات المحكمات هن أم الكتاب وأصله

٢- أن القرآن إذا كان مشتملا على المتشابه، افتقر إلى العلم بطريق التأويلات، وترجيح بعضها على بعض، وافتقر في تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتاج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة، فكان، في إيراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة. . . (١)

٣- جعل الله المتشابه في القرآن حافرا لعقل المؤمن إلى النظر كيلا يضعف فيموت فإن السهل الجلي جدا لا عمل للعقل فيه ، والدين أعز شيء على الإنسان، فإذا لم يجد فيه مجالاً للبحث يموت فيه، وإذا مات فيه لا يكون حيا بغيره، فالعقل شيء واحد إذا قوي في شيء قوي في كل شيء، وإذا ضعف ضعف في كل شيء ولذلك قال: والراسخون في العلم ولم يقل: والراسخون في الدين؛ لأن العلم أعم وأشمل، فمن رحمته - تعالى - أن جعل في الدين مجالاً لبحث العقل بما أودع فيه من المتشابه، فهو يبحث أولا في تمييز المتشابه من غيره وذلك يستلزم البحث في الأدلة الكونية والبراهين العقلية وطرق الخطاب ووجوه الدلالة ليصل إلى فهمه ويهتدي إلى تأويله. وهذا الوجه لا يأتي إلا على قول من عطف والراسخون على لفظ الجلالة، وليكن كذلك. (٢)

٤- إن الأنبياء بعثوا إلى جميع الأصناف من عامة الناس وخاصتهم سواء كانت بعثتهم لأقوامهم خاصة كالأنبياء السالفين - عليهم السلام - أو لجميع البشر كنبينا ﷺ، فإذا كانت الدعوة إلى الدين موجهة إلى العالم والجاهل والذكي والبليد والمرأة والخادم، وكان من

(١) - تفسير الرازي "مفاتيح الغيب" ١٤١ / ٢ - ١٤٢ ، دار احياء التراث العربي بيروت ط٣ / ١٤٢٠ ، و الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ٣١ / ٢ . مرجع سابق

(٢) - تفسير المنار للعلامة محمد رشيد رضا ١٤١ / ٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١٩٩٠ .

المعاني ما لا يمكن التعبير عنه بعبارة تكشف عن حقيقته وتشرح كنهه بحيث يفهمه كل مخاطب عاميا كان أو خاصيا، ألا يكون في ذلك من المعاني العالية والحكم الدقيقة ما يفهمه الخاصة ولو بطريق الكناية

والتعريض ويؤمر العامة بتفويض الأمر فيه إلى الله - تعالى -، والوقوف عند حد المحكم، فيكون لكل نصيبه على قدر استعداده. مثال ذلك: إطلاق لفظ كلمة الله وروح من الله على عيسى، فالخاصة يفهمون من هذا ما لا يفهمه العامة؛ ولذلك فتن النصارى بمثل هذا التعبير إذ لم يقفوا عند حد المحكم وهو التنزيه واستحالة أن يكون لله جنس أو أم أو ولد، والمحكم عندنا في هذا قوله - تعالى - : إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم [٣ : ٥٩] وسيأتي في هذه السورة. وأقول: وعندهم مثل قول المسيح في إنجيل يوحنا " [ (١٧ : ٣) ] وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته ".

ومن المتشابه ما يحتمل معاني متعددة وينطبق على حالات مختلفة لو أخذ منها أي معنى وحمل على أية حالة لصح، ويوجد هذا النوع في كلام جميع الأنبياء وهو على حد قوله - تعالى - : وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين [٣٤ : ٢٤] ومنه إبهام القرآن لمواقيت الصلاة لحكمة، وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك في بلاد العرب المعتدلة بالأوقات الخمسة للصلوات الخمس، وما كانت العرب تعلم أن في الدنيا بلادا لا يمكن تحديد هذه المواقيت فيها، كالبلاد التي تشرق فيها الشمس نحو ساعتين لا يزيد نهار أهلها على ذلك، أشار القرآن إلى مواقيت الصلاة بقوله: فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون [٣٠ : ١٧، ١٨] وسبب هذا الإبهام أن القرآن دين عام لا خاص ببلاد العرب ونحوها، فوجب أن يسهل الاهتداء به حيثما بلغ، ومثل هذا الإجمال والإبهام في مواقيت الصلاة يجعل لعقول الراسخين في العلم وسيلة للمراوحة فيه واستخراج الأحكام منه في كل مكان بحسبه. فأينما ظهرت الحقيقة وجدت لها حكما في القرآن، وهذا النوع من المتشابه من أجل نعم الله - تعالى - ولا سبيل إلى الاعتراض على اشتمال الكتاب عليه.

٥- أنه لو كان القرآن كله محكما، لما كان مطابقا إلا للمذهب واحد، وكان بصريجه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب، وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله، وعن النظر فيه

والانتفاع به، فإذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه، طمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مذهبه، وينصر مقالته، فينظر فيه جميع أرباب المذاهب، ويجتهد في التأمل فيه صاحب كل مذهب، وإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات، وبهذه الطرق يتخلص المبطل من باطله ويتوصل إلى الحق. (١)

٦- إن في إنزال المتشابه إظهارا لفضل العلماء وتفاضلهم فيما بينهم، وفيه أيضا تعريضهم لمزيد من المشقة والصعوبة في معرفة الحق منها، فيعظم أجرهم، ويرتفع عند الله شأنهم. وأيضا فإنه يدعوهم لتحصيل علوم كثيرة، نيط بها استنباط ما أريد بالمتشابه من الأحكام الحقة، فتتسع بذلك علومهم. وأيضا فإنه يدرّب العلماء على استنباط المعاني الدقيقة، فتقوى بذلك بصائرهم، ولو أنزل القرآن كله محكما، لاستوى في معرفته العالم والجاهل، ولم يكن في استنباط ما فيه مشقة توجب عظيم المثوبة (٢) وقال الرازي: أنه يوجب المشقة في الوصول إلى المراد، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب

٧- أن الله أنزله مختبرا به عباده؛ فأما المؤمن فلا يداخله فيه شك ولا يعتريه ريب، وهو بين أمرين، إما قادر على رده إلى المحكم، وإما قائل: آمنا به كل من عند ربنا. إن لم يتبين له معناه، فأمره كله خير، وتعظم بذلك مثوبته، وتزيد عند الله درجته.

وأما المنافق فيرتاب ولا يزيده القرآن إلا خسارا، وأما من كان في قلبه زيغ - كأهل البدع -، فيتبعون المتشابه؛ ليفتنوا الناس عن القرآن وصحيح السنة وينزلوه على مقتضى بدعتهم. وسياق الآية وما بعدها دال على أن هذا من حكمة إنزال المتشابه؛ إذ قال تعالى: (وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ( [آل عمران: ٧-٨] . فالمؤمنون رغبوا إلى ربهم أن لا يزيغ قلوبهم كما زاغت قلوب أهل الزيغ، إذ هو - أي المتشابه - فتنة للعقول والقلوب، وسألوا أن ينزل عليهم رحمة يربط بها على قلوبهم

(١) - تفسير الرازي "مفاتيح الغيب" ٢ / ١٤١ - ١٤٢ . دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ص ٧٧ - ٨٦ بتصرف

(٢) - (تفسير أبي السعود (٨/٢) دار احياء التراث العربي، الخازن (٢/٢٦٦) دار الكتب العلمية- بيروت طبعة سنة ١٤١٥، تفسير أبي الليث السمرقندي

(١٩٤/١) بدون بيانات طبعة الشاملة، تفسير النسفي (١/٢٣٧) دار الكلم الطيب بيروت طبعة ١٩٩٨، تفسير البيضاوي (٦/٢) دار حياء التراث العربي بيروت

الطبعة الاولى ١٤١٨، تفسير القرطبي (١٠/٤) دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٤ .

وعقولهم فلا تزيع، وفي هذا الإشارة إلى أن أهل الزيغ والبدعة محرومون من بركة هذا الدعاء، كل بحسب بدعته، وبعده عن السنة (١).

## أنواع المطاعين في القرآن الكريم

الطاعنون في القرآن كثير، ومطاعنهم وشبهاتهم كثيرة، وحصرتها قد يعيي الباحث ، يمكننا أن نرجعها إلى أصول وقواعد تلملم شعث هذه الطعون، والرد على هذه الأصول يتكفل بالرد على جميع ما تحته من طعونات لا تعد ولا تحصر ويمكننا أن نرد المطاعن إلى أربعة أصول يتفرع من بعضها فروع؛ وهي:

١- نفي نسبة القرآن لله تعالى: ويشمل عدة طعون:  
- إما نسبته إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وأنه من تأليفه  
- أو نسبته إلى الاقتباس من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل.  
- و دعوى عدم قدسيته وإمكانية نقده ومخالفته : يعني قد يقر بأنه ليس من النبي ﷺ وأنه من الله تعالى، ولكن يقول هو ليس مقدسا، بل يمكن نقده، وهذا الكلام حقيقته نفي القرآن عن الله تعالى؛ لأن ما كان من الله سبحانه فهو مقدس ولا يمكن نقده، وما كان من غيره فينطبق عليه ما يجري على كلام البشر من خطأ أو عجز أو جهل، إلى غير ذلك من نقائص البشر.

٢- زعم عدم حفظه:  
يعني قد يقر بأن القرآن من الله جل جلاله، ولكن يزعم عدم حفظه فيدعي: - أنه ليس هو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ ، بل قد غير وبدل، وأما الأصل فلا وجود له .  
- أنه زيد فيه ونقص ؛يعني قد يقر بأن القرآن الموجود هو الكتاب الذي نزل من الله، ولكن يقول إنه زيد فيه أو نقص منه.

٣- اتهام القرآن بالتناقض: تناقض الآيات بعضها مع بعض .  
٤- اتهام القرآن بمعارضة الحقائق: معارضة الحقائق الشرعية ، ومعارضة الحقائق التاريخية .  
- معارضة الحقائق الكونية، أوحقائق العلم التحريبي الحديث <sup>٢</sup>.

(١) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/٤٦-٤٧، ١٢٢) طبعة مؤسسة الرسالة سنة ٢٠٠٠، و دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع

عشر الهجري والرد عليها ص ٧٧ - ٨٦ ، مرجع سابق

(٢) - رد مفتريات على الإسلام، لعبد الجليل شلبي، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢، ومدخل إلى علم التفسير لأستاذنا الدكتور بلتاجي، مكتبة

الشباب،: ١٩٩٨،

والملاحظ في هذه الطعون هو التدرج فيها، فكلما انتفت شبهة انتقلوا إلى التي تليها. ولو علم المسلمون هذه الشبه الأربع والرد عليها لما حصل ما نراه الآن من تأثير كثير من المسلمين بها، بل والاعتقاد فيها أو التسليم بها. والمطاعن من حيث صراحتها تنقسم إلى نوعين:

- ١- طعون واضحة وصريحة، وهذا هو الغالب في طعون المستشرقين.
- ٢- طعون غامضة وملتوية وغير مباشرة، وهذا الغالب في طعون العلمانيين.<sup>١</sup>

ونحن في هذا الكتاب سنتناول النوعين الآخرين أي التناقضات ومخالفة أو معارضة الحقائق الشرعية في الكتاب المقدس والمنطقية والتاريخية والكونية والتجريبية أما النوعين الأولين فيتناولهم المجلد الثاني بتوفيق الله .

---

<sup>١</sup> - دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ص ٨٨-٨٩ ، مرجع سابق

الفصل الثاني : الشبهات والتهم التي رُميَ بها القرآن وهدمها  
المبحث الأول : الأباطيل والشبهات والتوهمات في ذات الله وصفاته  
وأفعاله خلال فهمهم لآيات الكتاب الحكيم .

فيه سبعة عشر مطلباً، أي شبهة وردها

المبحث الثاني : الأباطيل والشبهات والتوهمات التي توهموها في  
النبيين والمرسلين .

فيه

المبحث الثالث : الأباطيل والشبهات والتوهمات في عيسى بن مريم  
والمسيحية كما توهموها في آيات الكتاب الحكيم .

فيه

المبحث الرابع : الأباطيل والشبهات والتوهمات في شخص خاتم  
النبيين كما توهموها في آيات الكتاب الحكيم .

فيه

المبحث الخامس : زعمهم تناقض بعض الآيات . "آيات متناقضة كما فهموا " .

فيه

المبحث السادس : أخطاء مزعومة في القرآن الكريم، واتهام القرآن بمعارضة الحقائق الدينية والتاريخية والكونية والتجريبية وغيرها .

فيه

## المبحث الأول :

إشكالات وأوهام رُمي بها القرآن تتعلق بذات الله وصفاته وأفعاله

مدخل :

قبل الولوج في الإشكالات والطعون التي رمي بها القرآن الحكيم أو التي لم يفهم مقصودها، حول الذات الإلهية وصفاتها وأفعالها، من المفيد أن نمر مروراً خفيفاً سريعاً في آيات الكتاب المقدس التي تصف الله وأفعاله فهم يسقطون أفهامهم التي مدهم بها كتابهم على كتابنا زوراً وحمقاً وغيره من صفاء كتابنا . فمن صفات الله في كتابهم المنزور :

١- الرب يعرّي العورات ويوقع الناس في الزنا .

(اشعيا ٣: 16 ) قال الرب: من أجل أن بنات صهيون يتشاحنن ويمشين ممدوات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيهن ويخشحن بأرجلهن يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعرّي الرب عورتهم.

(تثنية ٢٨ : ١٥) خاطب الرب بني إسرائيل مهدداً إياهم: أن لم تسمع لصوت الرب إلهك: تأتي عليك جميع اللعنات وتدرّكك... تخطب امرأة، ورجل آخر يضطجع معها.

(حزقيا ٢٣: ٢٢) لأجل ذلك يا أهوليبة، قال السيّد الرب: هاأنذا أهيج عليك عشاقك: ينزعون عنك ثيابك... ويتركونك عريانة وعارية، فتنكشف عورة زناك ورذيلتك وزناك. تمتلئين سكرًا وحرزًا كأس التّحير والخراب... فتشربينها وتمتصّينها وتضمّنين شقفها. وتحتّين ثدييك لأنّي تكلمتُ. فهذا جاءوا. هم الذين لأجلهم استحمت. وكحلت عينيك وتحليت بالحليّ. وجلست على سرير فاخر... فقلت عن البالية في الزّنا الآن يزنون زنا معها. والكثير الكثير (عامو ٧: ١٦) (ارميا ٨: ١٠) (ارميا ١٣: ٢٢) (ناحوم ٣: ٤)

٢- الرب جاهل وضعيف - تعالى الله عما يصفون

كورنثوس ١ ( ١: ٢٥ ) :لأن جهالة الله احكم من الناس . وضعف الله اقوى من الناس . وفي القضاة ( ١ : ١٩ ) لم يستطع الله طردهم لأن مركباتهم حديد " ! وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل، ولكن لم يطرد سكان الوادي لأن لهم مركبات حديد !! " .

٣- الرب يندم ويحزن وينسى ويتأسف في قلبه حسب زعمهم:

يصوّر الكتاب المقدس الرب سبحانه وتعالى بأنه شخص كثير الندم . ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض . وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هي شريعة فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه سفر التكوين ٦

وبعد أن محا الحياة من على وجه الأرض . بالطوفان ماعدا نوح الذي كان من نسل أبناء الله وبنات الله !!! ولم يكن من نسل بنات الناس . ندم الرب أيضا " : وقال الرب في قلبه : لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حدثته . ولا أعود أيضا أميت كل حي كما فعلت ) " سفر التكوين ، الإصحاح ٨ : ٢٠-٢٢

ثم تتكر سلسلة الندم وحتى لا ينسى الله عهده مع نوح بألا يُغرق الأرض مره أخرى وضع قوسه في السحاب ، فعندما يرى المطر هاطلا يضع قوس قزح فيذكر أنه قد عقد عقدا مع نوح الا يُغرق الأرض (سفر التكوين الإصحاح ٩) فتضرع موسى أمام الرب الإلهة وقال له : ارجع عن حُمُو غضبك واندم على الشر بشعبك .. فندم الرب على الشر الذي قال إنه

يفعله بشعبه " خروج ص ٣٢ .. وكذلك أهل نينوى نادوا بصوم لعل الله يندم عن حمو غضبه فلما رأى الله أعمالهم " ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم " سفر يونان ٥ : ٣ - ١٠

وهذا ما جاء بسفر سفر العدد ( الإصحاح ١٤ ) "ولكن ما أن قدم له بنو إسرائيل اللحم المشوي الذي يحبه جدا حتى انبسطت أساريه ، وعفا عن بني إسرائيل وأعطاهم كل طلباتهم ، وندم على ما نوى أن يفعله بهم وكتب ميثاقا جديدا ليعطيهم أرض كنعان وعندما جعل الرب طالوت - شاول - ملكا على بني إسرائيل ، فعل شاول جميع الموبات ، وندم الرب أنه جعل شاول ملكا. سفر صموئيل الأول ( الإصحاح ١٥ : ١١ - ١٠ ) وهنالك الكثير من هذه النصوص حتى ملّ الله من الندم : إرميا الإصحاح ١٥ : ٦ ) " انت تركتني يقول الرب. الى الورا سرت فأمد يدي عليك واهلكك. مللت من الندامة " .

٤ - الرب يأمر أشعيا بأن يتعري ويدعو بني اسرائيل وهو عاري لمدة ثلاث سنوات: أما أشعيا فقد أمره الرب بان يتعري تماما ، ويمشي عاريا وحافيا ثلاث سنوات ليكون أعجوبة الله !! " تكلم الرب عن يد أشعيا بن آموض قائلا : اذهب وحل المسح عن حقويك ، واخلع حذاءك عن رجلك . ففعل هكذا ومشى معري وحافيا. فقال الرب : كما مشى عبدي أشعيا معري وحافيا ثلاث سنوات آية وأعجوبة " ( سفر أشعيا ٢٠ : ٢ ، ٣ )

٥ - الرب يصارع يعقوب فيغلبه حسب زعمهم:

جاء في سفر التكوين ( الإصحاح ٣٢-٣٣ ) : ( فبقى يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه - أي لا يقدر على يعقوب - اضطر ان يباركه ويغير اسمه إلى اسرائيل

٦ - الرب يسير أمام بني إسرائيل ليلا ونهار في عمود سحاب وعمود نار : يزعم الكتاب المقدس أن الله عندما غضب على بني اسرائيل لرفضهم دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم ، وأتاهم في صحراء سيناء ( بركة صين ) . ولكنه مع ذلك لم يتركهم لأنهم شعبه وابنه

البكر الأثير لديه جدا مهما فعلوا ولذلك كان يسير أمامهم في الطريق ليلا ونهارا حتى لا يضلوا ورغم هذا الجهد الجبار لم يستطع حسب زعمهم أن يدهم على الطريق لمدة أربعين عاما سفر الخروج ( ١٣ : ٢٠-٢٠ )

٧- الرب يتعب ويرتاح: جاء في سفر التكوين ، الإصحاح الثاني " : وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فأستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدهس لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا"  
وفي الخروج ٣١ : ١٧ " : هُوَ بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلامَةً إِلَى الْأَبَدِ لِأَنَّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ اسْتَرَاخَ وَتَنَقَّسَ .»

وهكذا يصور لنا الكتاب المقدس أن الله - سبحانه وتعالى - يصاب بالتعب والنصب ويحتاج الى الراحة . وقد نفى القرآن الكريم هذه الفرية.

قال تعالى {ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب} [٣٨ :

٨ - الرب يأمر بالسلب والسرقة: قال الله لبني اسرائيل: حين تمضون من أرض فرعون : لا تمضوا فارغين. بل تطلب كل امرأة من جارثها أمتعة : فضة وذهب وثياباً. وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين (خروج ٣ : ٢١) . وتمكن بنو إسرائيل بهذا أن يسرقوا أموال المصريين . وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى " اطلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهباً وثياباً . وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين "  
(الخروج ، الإصحاح ١٢)

٩ - الرب يأمر نبيه هوشع بأن يأخذ ويُحِبُّ زانية وأولاد زنى : جاء في سفر هوشع ( الإصحاح ١ ) أول ما كَلَّمَ الرب هوشع قال الرب لهوشع : اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى "" وقال الرب لهوشع : اذهب أيضاً احب امرأة ، حبيبة صاحب وزانية ، كمحبة

الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزيب (هوشع ، الإصحاح ٣)

١٠ - عنصرية الرب: فقد جاء في أشعيا (٢/٤٩) أن الرب أمر كل أجنبي إذا لقي يهوديا أن يسجد له على الأرض ويلحس غبار نعليه... ٤٩: ٢٣ و يكون الملوك حاضنيك و سيداتهم مرضعاتك بالوجوه الى الارض يسجدون لك و يلحسون غبار رجلك فتعلمين اني انا الرب الذي لا يخزي منتظروه ..... غير اليهود كلاب في نظر الرب: متى ١٥ : ٢٣ لَكِنَّهُ لَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. ٢٤... فَأَجَابَ: «مَا أُرْسَلْتُ إِلَّا إِلَى الْخِرَافِ الضَّالَّةِ، إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ!..» ٢٦ فَأَجَابَ: «لَيْسَ مِنَ الصَّوَابِ أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِجِرَاءِ الْكِلَابِ!» .. مرقص ٧: وَ اِزْتَمَّتْ عَلَى قَدَمَيْهِ، ٢٧ وَلَكِنَّهُ قَالَ لَهَا: «دَعِي الْبَنِينَ أَوَّلًا يَشْبَعُونَ! فَلَيْسَ مِنَ الصَّوَابِ أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِالِبِ.»

١١- الرب يأمر نبيه حزقيال بأن يأكل الخراء : (حزقيال ٤ : ١٢) قال الرَّبُّ لحزقيال: وتأكل كعكًا من الشعير على الخراء الذي يخرج من الإنسان: تخبزه أمام عيونهم... هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النَّجَس... قلت: آه يا سيّد الرَّبِّ: ها نفسي لم تتنجّس ومن صباي إلى الآن لم أكل ميتة ولا فريسة ولا دخل فمي لحم نجس. فقال لي: انظر قد جعلت لك خشي البقر بدل خراء الإنسان. فتصنع خبزك عليه.

١٢- الرب يعشق المحارق واللحم المشوي حسب زعمهم : يرسم الكتاب المقدس للرب الإله صورة كريمة جداً . فهو رب يحب اللحم المشوي جداً . ومستعد أن يتنازل عن كل شيء في سبيل وجبة دسمة من اللحم المشوي تقدم له كقربان .. والعهد القديم من أوله لآخره يذكر القرابين المشوية . ولا يكاد إصحاح واحد يخلو من ذكر هذه القرابين ومن اللحم المشوي ، وفي الإصحاح الواحد عشرات المرات ، في بعض الأحيان لدرجة تسبب الغثيان وضيق النفس والربو من كثرة دخان اللحم المشوي.

ولا نرى الأنبياء من لدن آدم إلى آخر أنبياء بني إسرائيل يعبدون الله أو يدعون الناس إلى عبادة الإله الواحد الأحد ... ولا نراهم يأمرؤن بمعروف أو ينهون عن منكر .. بل نجدهم هم والكهنة مشغولون جداً بقضية اللحم المشوي ، والذين يحصلون بموجبه على جميع طلباتهم ، بمجرد أن يتنسم الرب رائحة اللحم المشوي ، تنبسط أساريه ، ويفعل لهم ما يشاءون : تعذيب الأمم ، قتلها .. حرقها ، يدخل المعارك معهم في وسطهم داخل تابوت ، يقاتل معهم ، يعطيهم أراضي الغير ... يجعل الكل عبيدا لهم ، ولا يهم بعد ذلك إن عبدوا الأوثان أو سرقوا الأموال كما لا يهم أن يكون اللحم المشوي من عجول أغنام مسروقة ، كما يزعمون أن يعقوب سرق أغنام خاله وقدم اللحم المشوي للرب فتنسم الرب نسيم الرضا بعد أن امتلأت خياشيمه بدخان المشوي . وأعطى يعقوب العهد له ولأولاده وأعطاهم أرض فلسطين .. وأعطاهم الأرض حولها من النيل إلى الفرات .. إلخ

ويبدأ مسلسل اللحم المشوي بأن هايبيل قرب لحما سمينا ، بينما قدم أخوه قابيل شيئا قليلا من ثمار الأرض " فنظر الرب إلى هايبيل وقربانه ، ولكن إلى قابيل وقربانه لم ينظر ، فأغتاظ قابيل جدا " (التكوين الإصحاح الرابع ٦-٣ .. ) وأدى ذلك إلى أن يقوم قابيل بقتل أخيه وارتكاب أول جريمة على الأرض) ..

والمنظر الثاني يأتي بعد أن أغرق الله الأرض بالطوفان .. وما تكاد السفينة تستقر على جبل أراراط حتى يخرج نوح ويقدم قربانا للرب : فقد جاء في سفر التكوين ، ( الإصحاح ٨ : (وبني نوح مذبحا للرب . وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح . فتنسم الرب رائحة الرضا . وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان

ويظهر ابراهيم عليه السلام فلا نراه يدعو الى الله والى توحيدده ، ولا ينكر على قومه ما هم فيه من عبادة الأوثان ، ولا ترد قصته مع النمرود و لا مجادلته له ، ولا قصته مع أبيه . بل كل ما يرد أن إبراهيم يقدم محرقات للرب فيتنسم الرب رائحة اللحم المشوي " فيقول

الرب لإبرام : اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التي أريك . فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك " ( سفر التكوين ، الإصحاح ١٢ .. ) وبعد رحلات طويلة يعود ابراهيم من مصر وقد ملك أموالا ضخمة من الذهب والفضة والأغنام التي أعطاهها له فرعون مصر عندما قدم ابراهيم زوجته سارة ليتزوجها فرعون حسب زعمهم .  
وقدم إبراهيم اللحم المشوي مرة أخرى " . في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام - أي إبراهيم - ميثاقا قائلا : لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرثائيين والأموريين والجرجاشيين واليبوسيين " (التكوين ، الإصحاح ١٥ : ٢٠-١٨ )

دم الختان :

"وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي . أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم . هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم . ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر من أجيالكم ( سفر التكوين ، الإصحاح ١٧ : ١٢-٩ ) ( وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن من لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها أنه قد نكث عهدي "

المهم رائحة اللحم المشوي ودم الغرلة .. ولا يهم بعد ذلك أن يقتل أو يسرق أو يزني أو أن يعبد الأوثان .. علامة العهد دم الغرلة وعلامة الرضا اللحم المشوي .

ويتكرر منظر اللحم المشوي ويقدم ابراهيم حسب زعمهم قربانا وراء قربان للحصول على مزيد من المنافع الدنيوية ، حتى أنه قرر أن يقدم ابنه إسحاق قربانا وسُر الرب جدا بهذا القربان ، وأنزل كبشا بدلا منه ليذبح ويشوى .. وقطع الرب مزيدا من العهود لإبراهيم بأنه سيعطيه أرض الكنعانيين وجميع الأراضي حولها من النيل إلى الفرات .. وستكون جميع هذه الأراضي لنسله أبد الأبدين!!

وقام إسحاق بالدور ذاته ، وقدم المحرقات وحصل على مزيد من العهود والمواثيق . وأما يعقوب فقد قدم اللحم المشوي عدة مرات ، من الغنم الكثيرة التي سرقها من خاله لابان .

فقد جاء في سفر التكوين الإصحاح ٢١ ومن الواضح جدا أن الرب حسب زعم الكتاب المقدس يحب شيئين اثنين حبا جما .... وهما اللحم المشوي والدم .. ويجعل عهده مع ابراهيم دم الختان .. وتنقذ صفورة زوجة موسى ابنها من يدي الرب بأن تقطع غرلة الصبي وتمسح رجلي الإله بدم الختان ، وتقول له : عريس دم من أجل الختان ، فينفك عن الصبي قائلا : عريس دم ... ويطلب الرب من بني اسرائيل أن يضعوا الدم علامة على بيوتهم حتى يعرفها عندما يمر الليل ويهلك كل بكر من المصريين ودوابهم.

والآن : بعد هذه الرحلة التي تزعج وتخبط بعقل مرتحلها تأتي لما رموا به القرآن الحكيم حول الذات الإلهية من أباطيل وتهم خداعا وإسقاطا لما في نصوصهم علينا :

### المطلب الأول : نسبة صفات النقص إلى الله تعالى في القرآن !!

قالوا: القرآن نسب إلى الله صفات لا تليق به، وهي المكر والخداع والكيد والنسيان، وذلك في مثل قول الله: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء: ١٤٢]، وقوله: {وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ} [الأنفال: ٣٠]، وقوله: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق: ١٦]، وقوله: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} [التوبة: ٦٧].

في البدء القرآن هو الكتاب الوحيد الذي ينزه الله عن النقائص، وهو لا ينسب إلى الله تعالى إلا صفات الكمال والجلال، ولا يسميه إلا بأحسن الأسماء {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: ١٨٠] ، وكذلك: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ} [طه: ٨]. وقال : هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ} [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

والقرآن لا يسمي الله بأسماء تنتقص ذاته العلية؛ كالمكر والمخادع والكائد، فهذه الأسماء لا كمال فيها، فلا يسمي بها الرب تبارك وتعالى، كما لا يوصف بالمكر والخداع والكيد، أما

باب الأفعال أوسع من الصفات. والسؤال: كيف نسب القرآن إلى الله فعل الكيد والمكر والخداع؟

إن آفة الجهل بلغة العرب وطرائقهم في التعبير عن المعاني من أعظم بلايا هذا الزمان، حيث اضمحلت معرفة الناس باللغة، وأصبح أهلها أعاجم فيها، فالعرب تعرف في أساليبها المشاكلة اللفظية، وهي استخدام اللفظ في غير معناه؛ لمقابلته مع فعل آخر.

يقول أبو بكر ابن حجة في تعريف المشاكلة: "المشاكلة في اللغة هي المماثلة، ... المشاكلة هي ذكر الشيء بغير لفظه لوقوعه في صحبته" (١). وعند ابن عاشور المشاكلة هي: "استعارة لفظ لغير معناه مع مزيد مناسبة مع لفظ آخر مثل اللفظ المستعار. فالمشاكلة ترجع إلى التلميح، أي إذا لم تكن لإطلاق اللفظ على المعنى المراد علاقةً بين معنى اللفظ والمعنى المراد إلا محاكاة اللفظ، سميت مشاكلة" (٢).

وأمثلتها في لغة العرب كثيرة، منها قول الشاعر أبي الرقعمق الأنطاكي:

قالوا اقترخ شيئاً مجد لك طبخه ... قلت اطحخوا لي جبّة وقميصاً

فالطبخ إنما يكون في الطعام، وليس في الجبة والقميص، لكن الشاعر العربي تزيد حاجته إلى الجبة والقميص على حاجته إلى الطعام، فطلب الملابس بكلام شاكل فيه قولهم: (مجّد لك طبخه)، فسألهم حاجته: (اطبخوا لي جبة وقميصاً). ومثله في المشاكلة اللفظية قول

عمرو بن كلثوم في معلقته: ألا لا يجهلن أحدٌ علينا ... فجهل فوق جهل الجاهلينا

أي بنحازيه على جهله، فسمى المجازاة جهلاً للمشاكلة فحسب، وإلا فإن الجهل لا يفخر به، بل يستحى منه. ومثله قول أبي تمام: من مبلغ أفتاء يعرب كلّها ... أني بنيت الجار قبل المنزل .

(١) - (خزانة الأدب وغاية الإرب، ابن حجة الحموي (٢/ ٢٥٢) دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م، وانظر: الإيضاح في

علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص (٣٢٧). دار الجيل - بيروت ط/ الثالثة

(٢) - (التحرير والتنوير، ابن عاشور (٥/ ٢٣٩). الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

ومن المعلوم أن الجار يجاور ولا يبني، لكن حقيقة (بنيث) اللغوية غير مرادة، فهو لم يرد حقيقة البناء في (بنيث) كما لم يرد حقيقة الجهل في (فجهل) ولا حقيقة الطبخ في (اطبخوا).

ومثل هذا يفهمه الناس والعوام في كلامهم حتى في أيامنا هذه، فلو تواعد اثنان على موعد، فغاب عنه أحدهما، واعتذر لذلك بالنسيان، فقابله الآخر بالتخلف عن موعد آخر، ليقابل خلفه بخلف مثله، ثم يقول له: نسيت موعدك كما نسيت مواعدي، أو نسيتك كما نسيتني، والسامع لمثل هذا يدرك أنه لا يريد أنه نسيه على الحقيقة، إنما أراد مجازاته على نسيانه بالتخلف المتعمد، وأن قوله: (نسيت) من باب المشاكلة اللفظية فحسب.

وهذا الأسلوب الذي عرفه العرب في كلامهم جاء في القرآن صور كثيرة منه، لنزوله بلسان عربي مبين، ومن صور المشاكلة اللفظية في القرآن قوله تعالى: { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا } (الشورى: ٤٠)، فسمى عقوبة السيئة وقصاصها سيئة؛ مع أنها ليست سيئة على الحقيقة، بل هي عدل وحق، فالمعنى: وجزاء سيئة عقوبة، واستخدمت كلمة سيئة للمشاكلة اللفظية، وليس المراد منها معنى السوء حقيقة.

ومثله قول الله تعالى: { مَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ } [البقرة: ١٤٩]، فرد الاعتداء ليس اعتداء، لكن جاز تسميته كذلك في باب المشاكلة اللفظية، ومثله { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [البينة: ٨]، فكل منهما على معنى، وأمثاله في القرآن كثير. إذا تبين ذلك وجب إعادة قراءة الآيات المشكلة للوقوف على معاني هذه الألفاظ وفق سياقاتها، فالآيات حين تحدثت عن مكر الله بالكافرين أو مخادعته لهم وأمثاله لم تكن تنسب إلى الله هذه الأفعال ابتداء، إنما ذكرت هذه الألفاظ في مقابل فعل المشركين، فحين وقع منهم المكر والخداع والكيد، رد الله كيدهم وخداعهم ومكرهم، فسمى الله فعله بألفاظ من جنس ما صنعوا، للمشاكلة اللفظية مع ما وقع من الكفار، من غير أن تكون الحقيقة اللغوية لهذه الألفاظ مرادة.

وهذه المشاكلة في الأسلوب تتضح لمن قرأ تلك الآيات المستشكلة، كمثله قوله تعالى: { يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ } [النساء: ١٤٢]، وقوله: { وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ } [الأنفال: ١٤٢].

[٣٠]، وقوله: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق: ١٥ - ١٦]، وقوله: {فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ} [التوبة: ٧٩]، وقوله: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} [التوبة: ٦٧]، فلم تنسب هذه الأفعال (الخداع، المكر، الكيد ... ) إلى الله؛ إلا في باب المقابلة لفعل الكافرين، من غير أن تكون معانيها مرادة على الحقيقة.

والتدقيق في معاني تلك الآيات يبين أنها لا تدل على معان سيئة في حديثها عن أفعال الله، فمكر الله في قصة قوم صالح هو إهلاكهم لكفرهم: {قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ} [النمل: ٤٩ - ٥١] فالمكر الإلهي هنا هو عذاب الله الذي أتاهم وهم لا يشعرون، وليس في هذا أي معنى يستقبح.

وأما الخداع في قوله تعالى: {وَهُوَ خَادِعُهُمْ}، فهو "إمهال الله لهم في الدنيا حتى اطمأنوا وحسبوا أن حيلتهم وكيدهم راجحاً على المسلمين، وأن الله ليس ناصرهم .. فإطلاق الخداع على استدراج الله إياهم استعارة تمثيلية، وحسنتها المشاكلة (١).

ولما أراد اليهود بالمسيح السوء، وحاكوا مؤامرتهم للقبض عليه مكر الله بهم فأنجى المسيح بأسلوب خفي عليهم، ولذلك قال الله: {وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [آل عمران: ٥٤]، فمكر الله هو إنجاء المسيح منهم، وعدم تحقيق أهدافهم، وهو غاية نبيلة ومقصد كريم.

ومثله إنجاء الله نبيه محمداً ﷺ من مؤامرة قريش حين اجتمعوا على بابه يريدون قتله يوم الهجرة، فقال الله: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠]، فإنجاء نبيه ﷺ ليس فيه ما يستقبح.

ونطوي التفصيل في بقية الصور فهي على مثل ما بيناه. ولن يفوتنا التنبيه إلى أمر صحيح ذكره أهل العلم باللغة، حين قالوا: هذه الألفاظ (المكر والكيد والخداع) لا تُستقبح معانيها في لغة العرب ابتداءً، إنما تستقبح باعتبار ما أضيفت إليه، فالمكر - مثلاً - هو التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالعدو، فمكرهم بأحدكم تمكنك منه من غير أن يتنبه إلى فعلك وتديرك، فهذا في اللغة (مكر)، ولا يوصف بمدح أو ذم إلا بمعرفة ما ينضاف إليه، فتوصل

(١) - (التحرير والتنوير، ابن عاشور (٥/ ٢٣٩)، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (١/ ٢٨٩). دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

المرء إلى حقه بأسلوب خفي (مكر) ممدوح، وتوصله إلى حقوق الناس بأسلوب خفي (مكر) مذموم. وهكذا فإن الله عز وجل يقابل مكر الكافرين السيء (أي سعيهم للإيقاع بالأنبياء على وجه خفي) بالمكر الحسن (إنجاء الأنبياء بوجه خفي)، فهذا معنى قوله تعالى: { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ } [الأنفال: ٣٠]، ولأنه لا يمكر إلا بخير، فهو يمكر بالماكرين، ومكره الخير فعل جميل يقابل مكرهم السيء.

وأما الخداع فهو حسب الفيروزبادي: إرادة الشر بالمخدوع وهو لا يعلم (١)، وأما ابن دريد فعرفه بأنه الكتمان والإخفاء، وكلا المعنيين لا يستقبح؛ إلا إذا انضاف إليه مقصد السوء، وإلا فمخادعة العدو الظالم لنيل الحقوق المشروعة لا يستقبحها أحد، فالله جازى الكافرين شرّاً على أفعالهم وهم لا يدرون (بخفاء)، فقابل الله خداع الكافرين المشين بخداع ممدوح.

وأما الكيد في مثل قوله: { إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا } [الطارق: ١٥]، فهو كما عرفه الجرجاني بأنه إرادة مضرة الغير خفية، وهو من الخلق: الحيلة السيئة، ومن الله: التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق. وعرفه غيره بأنه التدبير ضد العدو (٢).

وهذه المعاني لا عيب فيها، إلا إذا كانت سبيلاً للتوصل إلى غاية مردولة، أما مقاومة كيد الكائدين (إرادتهم الضر بالخفاء) بكيد مثله، أي (بإضرار خفي بهم)، فهذا غير مستنكر، إذ لا يلزم أن يكون الإضرار بالعدو على وجه ظاهر حتى يستساغ من الناحية الأخلاقية.

ولذلك يقول الله على لسان إبراهيم: { وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ } [الأنبياء: ٥٧]، ويعني أنه سيتخلص منها بوجه خفي، وهذا كيد ممدوح يتخلص به النبي إبراهيم عليه السلام من الأصنام التي تعبد من دون الله؛ من غير أن يدري به سفهاء المشركين، فيتعرضوا له بالقتل والإيذاء، وقد فعل هذا الكيد، فحطم أصنامهم من غير أن يعرفوا ذلك { قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ } [الأنبياء: ٥٩].

(١) - (القاموس المحيط، الفيروزبادي (٣/ ١٦ - ١٧). مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

(٢) - (التعريفات، الجرجاني، ص (١٨٩). دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م مادة "الكيد"

ومثله قول الله: { كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ } [يوسف: ٧٦] ، أي صنع الله صنيعاً خفياً جلب فيه الخير ليعقوب وبنيه بإحضارهم من المجاعة إلى أرض مصر. وهكذا فالكيد الحسن والخداع الحسن لا يستبشعه أحد، ومن مثل هذا المخادعة والمكر بمن أراد الاعتداء على العرض والمال والنفوس، فمخادعة المعتدي والمكر به طلباً للإنجاء منه ولالإيقاع به على وجه خفي من محاسن الأمور وفاضل الأفعال.

وفي خاتمة هذا المبحث أرى أن أدكر القارئ الكريم أن هذه الفرية يثيرها قوم ينسب كتابهم لله مثل هذه المعاني، ولكن أعياهم أن يجدوا في القرآن ملمزاً صحيحاً، وتقطعت بهم السبل، فرموا القرآن بما نراه في كتبهم، فاعجب لذلك، وليطل عجبك وأنت تقرأ المنسوب إلى النبي داود حيث قال: «إلى متى يا رب تنساني كل النسيان» (المزمور ١٣ / ١)، ونسب سفر إرمياء إليه أنه خاطب الله بقوله: "آه يا سيد الرب، حقاً إنك خداعاً خادعت هذا الشعب وأورشليم قائلاً: يكون لكم سلام. وقد بلغ السيف النفس" (إرميا ٤ / ١٠)، فالكتاب ينسب إلى الله - وحاشاه - نسياناً وخداعاً ينطوي على الكذب؛ إذ وعد بالسلام، لكنه أعطى القتل والدمار!! سبحانه هذا بهتان عظيم.<sup>(١)</sup>

## المطلب الثاني : هل يضل الله عباده؟

قالوا: أتى القرآن بالمنكر من القول حين ذكرت آياته أن الله يضل من يشاء، والإضلال عمل مشين، فكيف ينسبه القرآن إلى الله عز وجل؟! وكيف يعذب الله بناره من أضلهم وحجب عنهم هدايته؟!

الجواب: من الضروري أن يتبين لكل أحد أنه لا يوجد كتاب امتدح الله وعظمه بمثل ما نجد في القرآن العظيم، ولكننا نؤمن أيضاً أنه ما من فعل حسن أو قبيح يجري في هذه الدنيا؛ إلا وهو واقع بمشيئة الله وإرادته، فالمسلمون يؤمنون أن الله هو المهيمن على هذا الكون، فلا رب فيه سواه، وكل ما يجري في الكون من خير أو شرور فإنما يقع وفق قدره الأزلي، فلن يعصى الله أو يطاع إلا بإرادته وعلمه، وهو تعالى وحده دون سواه خالق الخير والشر،

(١) - راجع تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين ، منقذ بن محمود السقار ص ١١٥ - ١٢٢ مرجع سابق.

فالمسلمون لا يقولون بقول الجوس الذين زعموا أنهم ينزهون الله عن النقائص، فجعلوا للكون خالقين، خالقاً للخير، وآخر للشر.

وعليه فإن الله هو الذي يخلق ويرزق ويحيي ويعطي وينفع ويهدي، وهو أيضاً من يميت ويمنع ويمرض ويضل، فنسبة مثل هذه الأفعال إليه لتعلقها بطلاقة قدرته وهيمنته جل وعز. وأما مسألة تعذيب الله لمن أضله وقول القائلين بأنه مناف لعدل الله، فإنما يصدق لو كان إضلال الله للناس ابتداءً، وهذا محال على عدل الله تبارك وتعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التوبة: ١١٥]، فقد خلق الناس جميعاً على الفطرة موحدين، لذا خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس فقال: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا .. وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً»<sup>١</sup>.

وهكذا فالله عز وجل خلق البشر مؤمنين، وإنما ضل من ضل باتباع الشياطين بإرادتهم واختيارهم.

ولتقوم حجة الله على عباده فإنه وهبهم العقل؛ ليميزوا به بين سبيل الخير وسبيل الشر: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد: ١٠]، ولأجل ذلك أرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب، ولو كانت الهداية والإضلال جبرية حتمية لما كان من ضرورة لإرسال النبيين {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: ١٦٥]. والمتأمل في آيات القرآن يرى جلياً أن إضلال الله لهؤلاء الذين أضلهم كان بمقتضى أفعالهم السيئة، فقد أضلهم لاختيارهم العماية ورفضهم الهداية وتنكبهم طرقها، فالله يضل من اختار الضلال، وفي المقابل هو يهدي من اختار الهدى والرشاد. وقد نبه القرآن على هذا المعنى في آيات كثيرة، منها قوله: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [الصف: ٥] (وقد ورد مثل هذا في آيات كثيرة ذكرت أن الله لا يهدي الظالمين والكافرين والخائنين وغيرهم ممن تنكب طريق الحق واختار العماية على الهداية.) ، فكان

(١) - مسلم ح (٢٨٦٥).

إضلال الله لهم ومنعه الهداية عنهم بسبب زيغائهم، ومثله قوله: { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَدَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } [البقرة: ١٠].

ومثله حال أولئك الذين صرف الله قلوبهم عن النور والهدى بسبب استكبارهم عن قبول الحق { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ } [الأعراف: ١٤٦]. ووفق هذه القاعدة أيضاً أضل الله من نقض عهده وميثاقه وأفسد في الأرض بالمعاصي: { وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [البقرة: ٢٦ - ٢٧]، فهذا الفاسق يستحق الضلالة بسبب إفساده في الأرض وعمله المشين. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: { وَتُغَلِّبُ أَفْعَادَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } [الأنعام: ١١٠]، وقوله: { فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } [النحل: ٣٧] ، فكل هؤلاء الذين أضلهم الله لا يستحقون هداية الله بسبب فعالمهم القبيحة: { كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاءُؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [آل عمران: ٨٦ - ٨٧] .

وكما أن الإضلال نتيجة للضلال { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا } [الشورى: ٤٠]، وكذلك هداية الله إنما هي توفيق وجزاء لمن اختار طريق الطاعة { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا } [النساء: ١٧٥]، { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } [الليل: ٥ - ١٠].

ومثل هذه المعاني التي يستنكرها أهل الكتاب على القرآن وردت في كتبهم، ومنه قول بولس: " لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا، ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب، لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق، بل سروا بالإثم " (تسالونيكي (٢) / ٢ - ١٠ - ١٢).

وبعد ثبوت براءة القرآن مما نسبوه إليه فإني أتساءل والعجب يلغني: هل جهل أصحاب هذه الشبهة وجود ما استنكروه على القرآن في كتبهم؟ ألم يقرؤوا ما جاء في سفر حزقيال، وهو من الأسفار المقدسة التي يؤمن بها الطاعنون في القرآن من اليهود والنصارى: "النيبي إذا ضل وتكلم بكلام، فأنا الرب أضللت ذلك النبي" (حزقيال ١٤ / ٩)؟! (وقد تكرر هذا في نصوص كثيرة نكتفي بالإشارة إلى بعضها: انظر: (الخروج ٧ / ٣)، (الأيام ٢ / ١٨ / ٢٢)، (تسالونيكي ٢ / ٢ / ١١).)، وفي العهد الجديد يذكر بولس أن الله يقسي قلوب من أراد ضلالهم: "هو يرحم من يشاء، ويقسي من يشاء" (رومية ٩ / ١٨)، فماذا هم قائلون؟

وبعيداً عن التعليل القرآني الذي ذكرناه لإضلال الله أهل الشر من عباده؛ فإن بولس لا يجعل الهداية والإضلال بسبب اختيار البشر ونتيجة أفعالهم، بل يسنده وما يستتبعه من العذاب إلى حق الله المطلق في فعل ما يشاء، فيقول: "فتقول لي: لماذا يلوم بعد؟ لأن من يقاوم مشيئته! بل من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله؟ أعل الجبلة تقول لجابلها: لماذا صنعتني هكذا؟ أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة، وآخر للهوان" (رومية ٩ / ١٨ - ٢١)، فالإضلال حسب النص الإنجيلي لا يتعلق إلا بالمشيئة الإلهية، وليس بسبب ظلم العباد وضلالهم وطغيانهم.<sup>١</sup>

### المطلب الثالث : هل يأمر الله بالفحشاء؟

قالوا: القرآن ينسب إلى الله الأمر بالفاحشة في قوله: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء: ١٦]، ففهموا منه أن الآية تقول: الله أمر المترفين بالفسق، ثم عاقبهم على ذلك!

والجواب: ١- لم يظهر في منطوق الآية صريحاً حقيقة ما أمر به الله، فالآية تقول: {أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا}، ولا تحدد حقيقة المأمور به ولا تفصيله، لكن مفهوم الآية يدل على أن الله أمرهم بالطاعة {فَفَسَقُوا فِيهَا} بعصيانهم له، فالفسق هو الخروج عن الطاعة.

قال ابن منظور: " {ففسق عن أمر ربه} خرج من طاعة ربه، والعرب تقول إذا خرجت الرطبة من قشرها: قد فسقت الرطبة من قشرها، وكأن الفأرة إنما سميت فويسقة لخروجها من جحرها على الناس، والفسق الخروج عن الأمر وفسق عن أمر ربه أي خرج".<sup>(٢)</sup>

(١) - راجع تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، منقذ بن محمود السقار ص ١٢٢ - ١٢٥

(٢) - لسان العرب، ابن منظور (٣٠٨ / ١٠). مرجع سابق. الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

ومن هذا تبين أن فسقهم هو خروجهم عن أمر الله الذي أمرهم بالصالح، فخرجوا عن أمره، والله عز وجل لا يأمر إلا بالصالح، ولا يدعو تبارك وتعالى إلى الفاحشة ولا إلى السيء من القول أو الفعل { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَحَدَّثْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: ٢٨].

٢- بماذا يأمر الله؟؟ (ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)) [النحل / ٩٠] ، ان الله لا يأمر بالفسق ولا بالفجور كما بينت الآية التالية وان كلمة الامر جمعه امور الامر هو الشأن في الشيء . ومصدره أمرته إذا كلفته بشيء أي التكليف الله عز وجل يصف الأمر انه أمرهم بالصالح فكلمة (أمرنا مترفيها) = أي امرناهم بالطاعة .

فماذا بدر منهم ؟ غير الامر الذي كلفهم به ماذا قال؟ قال ففسقوا فيها ((أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا)) [السجدة، ١٨] الفسوق أعم من الكافر لأنه أدخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة! كذلك عن قوله في سورة الكهف (( ففسق عن أمر ربه )) [الكهف / ٥٠] ، وهذا يدل علي ان الفسوق هو خروج عن طور تكليف واخلال بأمر الزمه اياه المكلف ما بإخلال بجميع احكامه او ببعضها وكذلك حققت كلمة ربك علي الذين فسقوا وخلاصة القول :

انه بقوله (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) بمعنى رؤساءها أي بالطاعة علي لسان رسلنا (فسقوا فيها) أي خرجوا عن امرنا (فحق عليها القول عليها القول) بالعذاب (فدمرناها تدميرا) اهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها فالآية دلالة علي ان الله سبحانه لا يعذب إلا بعد الانذار والوعيد، إذ تبين لنا أن العذاب لا يكون الا بعد التبيان وبعد ان نبين لهم ما يجب عليهم.

ودلالة قوله تعالى: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} [الإسراء: ١٥] إخبار عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه ، كقوله تعالى { كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير } [الملك: ٨-٩] ، وكذا قوله ( وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم

يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين { [الزمر: ٧٣] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحدا النار إلا بعد إرسال الرسول إليه وان يكون الحجة قائمة عليهم في حجة لهم بعدم إبلاغهم .. فالذين رتبوا الفسق على الأمر ليسوا فقط مخطئين بل متقصدين للخطأ فأمر الله تعالى في القرآن لا يكون إلا بطاعة وخير، ولا يأمر سبحانه بفسق أو فحشاء، كما ذكر القرآن الكريم، وعلى هذا يكون المراد من الآية: أمرنا مترفيها بطاعتنا وبمنهجنا، ولكنهم خالفوا وعصوا وفسقوا؛ لذلك حق عليهم العذاب ، فالفهم المستقيم للآية أنهم فسقوا فأراد الله إهلاكهم. و(قرية) أي أهل القرية. وقوله: كما قال تعالى: { كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا "٣٣" } [يونس ] ، وقد أوجب الله لها العذاب لتسلم حركة الحياة، وليحمي المؤمنين من أذى الذين لا يؤمنون بالآخرة.

### المطلب الرابع : هل يتحسر الله؟

قالوا: نسب القرآن إلى الله التحسر في قوله: { يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } [يس : ٣٠] ، والتحسر أشد الندم، فهل الله يتحسر؟  
والجواب: أن الآية لم تذكر مطلقاً صدور الحسرة من الله، بل تحكي تحسر الكافرين على تكذيبهم الرسل وهم يلقون في النار، ولو كان التحسر من الله - عياداً بالله من هذا المعنى - فإن الله قادر على إخراجهم من النار وإدخالهم الجنة؛ فهذا أولى له من التحسر الذي يصنعه من لا يملك حيلة ولا دفعاً لما يتحسر عليه.

وهذا المعنى فهمه مفسرو الإسلام ونقلوه عن التابعين، قال ابن كثير: "قال قتادة: { يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ } : أي يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضيعت من أمر الله، وفرطت في جنب الله ... ومعنى هذا: يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، كيف كذبوا رسل الله، وخالفوا أمر الله" (١).

قال ابن عباس: { يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ } أي يا ويل العباد (نفس المصدر).

(١) - (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٥٧٤)) مرجع سابق .

ويصدق هذا قول الله تعالى: {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاحِرِينَ} [الزمر: ٥٦]، فالمتحسر هو الكافر، لا الله عز وجل، فبطلت الشبهة واستبان الحق لمن ألقى السمع وهو شهيد.

والعجب أن كتب أصحاب هذه الشبهة لا تمل من كثرة نسبة التحسر والندم إلى الله تعالى، ومن ذلك أن الرب قال: "ندمتُ على أي جعلتُ شاول ملكاً، لأنه رجع من ورائي، ولم يقيم كلامي" (صموئيل (١) ١٥ / ١٠)، وأنه رفع عن بني إسرائيل العذاب بيد أعدائهم "لأن الرب ندم من أجل أنينهم" (القضاة ٢ / ١٨). (١)

**المطلب الخامس : هل الكبر صفة محمودة حتى يصف القرآن الله سبحانه بها ؟**

قالوا: الكبر صفة مذمومة ينفر منها العقلاء، ومع ذلك فإن القرآن يصف الله ويسميه بالمتكبر في قوله: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الحشر: ٢٣].

والجواب: بداية فإن الله عز وجل وصف نفسه وسماها في القرآن الكريم بأسماء وصفات الجمال والجلال {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}، فأى اسم من أسمائه يدل على غاية في الحسن والكمال، مما يليق بجلال الله وعظمته.

وهذا المعنى يلزم صفات الله، وإن دلت هذه الصفات على غير الكمال والجلال حين تضاف إلى العباد؛ فإن الاسم في إطلاقه على الله يتعالى عن كل معنى مشين.

وقد سمى الله تعالى نفسه بالمتكبر لتعاليه وتنزهه عن كل النقائص والمعاييب، قال قتادة: "تكبر عن كل شر" (٢).

ولو تساءلنا عن معنى الكبر في لغة العرب؛ لوجدنا المرتضى الزبيدي يجيب بالقول: "الكبر: الرفعة والشرف... والتكبر والاستكبار: التعظيم.."، والله عز وجل مستحق للرفعة والشرف والتعظيم، بل له من ذلك أكمله وأتمه.

(١) - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، منقذ بن محمود السقار ص ١٢٧

(٢) - (جامع البيان، الطبري (٢٣/٣٠٢). مرجع سابق .

قال ابن الأثير: "المتكبر والكبير أي العظيم ذو الكبرياء، وقيل: المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: المتكبر على عتاة خلقه .. والكبرياء العظمة والملك، وقيل هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود، ولا يوصف بها إلا الله تعالى". (١)

وأما كبر الإنسان فهو مذموم - بالجملة - إذا طلب فيه الإنسان ما لا يستحقه، فالناس سواسية، لا يتميز بعضهم على بعض إلا بقدر ما أنعم الله به على الواحد فيهم، فمن كان هذا حاله؛ فحقه المزيد من التواضع والصغار لله المنعم، لا التباهي والكبر على عباد الله، يقول الزبيدي: "الكبر والتكبر والاستكبار متقاربة، فالكبر: حالة يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسه أكبر من غيره" (٢)، فمثل هذا الكبر مذموم؛ لأن البشر متساوون، فتعظم بعضهم واستكبارهم على بعضهم غير مستحق، فلحق صاحبه الذم. كما أن من كبر العباد ما هو ممدوح؛ كاستكبارهم واستعلائهم عن الذنوب والدنايا والحسائس، فالعاقل يتكبر ويرفع على مواقعتها، وتكبره عليها غير مذموم.

ومن الكبر غير المذموم ما يقع طبيعة؛ كاستكبار الإنسان على غيره من الحيوانات، فيرى أنه أفضل منها وأعلى، وأنه أحق بالحياة منها، وأن حياة كثير منها رهن مصلحته وحاجته، وأنه الأحق بمنافع الكون المسخر له، فاستكباره عليها وتكبره بذبحها وإهدار مصالحها ليس بمذموم؛ لأنه حقه، فإذا كان كذلك؛ فتكبر الله المنعم على عباده أولى. (٣)

### المطلب السادس : هل الله لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها؟

قالوا: القرآن ينسب إلى الله أنه لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها، واستدلوا بآيات، منها قوله: {الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا} [الأنفال: ٦٦]، وقوله: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ} [البقرة: ١٤٣].

والجواب: أن القرآن نسب إلى الله العلم المطلق بكل شيء، فهو الذي يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، والآيات القرآنية في هذا الصدد لا تكاد تحصى لكثرتها، منها قوله: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٣١]، وقوله:

(١) - (لسان العرب، ابن منظور (٥/١٢٥).) مرجع سابق .

(٢) - (تاج العروس، الزبيدي (٣/٥١٤).) مرجع سابق .

(٣) - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين ، منقذ بن محمود السقار ص ١٢٨ - ١٢٩ مرجع سابق .

{ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [آل عمران: ١١٩]، وقوله: { إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } [النساء: ٣٢].

وعلمُ الله أزلي، وقد كتب الله ما سيعمله العباد قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة، يقول ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»<sup>(١)</sup> وفي حديث آخر: «وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض»<sup>(٢)</sup>، فهذا النوع الأول من علم الله، وثبوته كاف في دفع الشبهة.

والنوع الثاني من العلم الإلهي هو علمه بوجود ما علمه أولاً، أي علمه بحدوث أفعالنا التي كان يعلم أنها ستكون، فالله يعلم ذنب المذنب وطاعة المطيع قبل أن يخلق الخلق، ثم إذا أذنب العبد أو أطاع؛ علم الله تحقق الفعل ووجوده، فأثابه عليه بموجب فعله، فهذا نوع آخر من العلم، يتصف به الله العليم الذي كان وما يزال عليمًا.

وهو ما يفهمه المتأمل في آيات القرآن الكريم، ففي آيات سورة المائدة يخبر الله أنه يتلي عباده بما حرم عليهم من الصيد ليعلم من يخافه بالغيب { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ } [المائدة: ٩٤]، فهذا علم الوجود للفعل وتحققه، وهو العلم الذي يحاسب الله الخلائق به، ولا يمنع هذا ولا يتعارض مع علم الله المطلق الذي أثبتته السياق نفسه: { لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [المائدة: ٩٧].

ومثله في حديث الله عن المنافقين، فقد أخبر الله أنه يعلم ما في صدورهم، وأنه سيعلم أفعالهم التي تخبر بما في قلوبهم حين يفعلونها { أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ } [العنكبوت: ١٠ / ١١]. ومثله قول الله تعالى: { وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [آل عمران: ١٥٤]، فهو عليم بضمائرهم، واختباره لهم ليس لزيادة علمه تبارك وتعالى، بل ليتحقق ما علمه بفعل العباد، فيجازيهم بموجب هذا العلم، أي بموجب علمه بما عملوا.

وقد سمى العلماء هذا العلم "علم المشاهدة"، أي مشاهدة أو رؤية ما علمه الله أولاً، ثم تحقق فرآه، ومن المعلوم أن الرؤية والعلم يترادفان في بعض الإطلاقات، كما في قوله: { أَلَمْ تَرَ

(١) - (مسلم ح (٢٦٥٣)).

(٢) - (البخاري ح (٣١٩٢)).

أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ { [المجادلة: ٧]، ومعناه: ألم تعلم، لذا قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: {لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ} [الجن: ٢٨]: "المعنى: ليعلم الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيباً". (١)

وفي شرح قوله: {وَلَنَبِّئَنَّهُكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ} [محمد: ٣١] يقول ابن الجوزي: "العلم الذي هو علم وجود، وبه يقع الجزاء". (٢)

وقال ابن تيمية: "علم الرب تبارك وتعالى لا يجوز أن يكون مستفاداً من شيء من الموجودات، فإن علمه من لوازم ذاته؛ فعلم العبد يفتقر إلى سبب يحدثه وإلى المعلوم الذي هو الرب تعالى أو بعض مخلوقاته، وعلم الرب لازم له من جهة أن نفسه مستلزمة للعلم والمعلوم؛ إما نفسه المقدسة وإما معلوماته التي علمها قبل خلقها ...".

ثم ذكر بعضاً من الآيات من جنس ما أورده الطاعنون في القرآن اليوم، وعقب بالقول: "هذا مع اتفاق سلف الأمة وأئمتها على أن الله عالم بما سيكون قبل أن يكون، وقد نص الأئمة على أن من أنكر العلم القديم فهو كافر" (٣). وهكذا تبين فساد هذا القول وبطلانه بالدليل والبرهان.

لكن العجب في هذه الأبطولة صدورها ممن في كتبه مثل هذه المعاني من غير أن يستنكرها، فقد جاء في سفر التكوين أن الله قال لإبراهيم: "لا تمد يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئاً، لأني الآن علمت أنك خائف الله، فلم تمسك ابنك وحيدك عني" (التكوين ٢٢ / ١٢)، ومثله في سفر التثنية "وتتذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة في القفر؛ لكي يُدَلِّكَ ويجربك، ليعرف ما في قلبك؛ أتخفظ وصاياهم أم لا؟" (التثنية ٨ / ٢)، أما كان أولى بهم أن يحملوا نصوص القرآن على المعاني التي يحملون عليها ما جاء في كتبهم؟ لكنهم قوم مبطلون. (٤)

## المطلب السابع : هل شكّ القرآن في عدد قوم يونس عليه السلام؟

(١) - (الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٩ / ٣١). مرجع سابق .

(٢) - (زاد المسير، ابن الجوزي (٤ / ١٢٢). الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ المحقق: عبد الرزاق المهدي

(٣) - (دره تعارض العقل مع النقل، ابن تيمية (٩ / ٣٩٦). الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، -السعودية ط٢/١٩٩١

(٤) - (تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، منقذ بن محمود السقار ص ١٣٠ - ١٣٢

قالوا: شك القرآن في عدد قوم يونس حين قال: { وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِثْرَةٍ مِّمَّةٍ أَوْ يَزِيدُونَ } [الصفافات: ١٤٧]، وهذا الشك - الذي يفيد حرف (أو) - يمنع نسبة القرآن إلى الله العليم الذي لا يخفى عليه عدد قوم يونس ولا غيرهم.

والجواب: الله بكل شيء عليم، ولا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، وإنما جهل المستشكل لهذه الآية لغة العرب، ذلك أن (أو) في لغة العرب تأتي على معاني (أ) ، فمنها ما هو للشك، كقولنا: جاء محمد أو زيد، ومنها ما يفيد التخيير، كقولنا: تعال اليوم أو غدًا، ومنها ما يأتي بمعنى (و) أو (بل)، وهما معنيان متقاربان، وهو موضع الشاهد، ويلزمنا فيه بعض التفصيل.

تفيد (أو) معنى الواو، وهو كثير في لغة العرب، كما في قول الشاعر توبة بن الحمير:

وقد زعمت ليلي بأني فاجرٌ ... لنفسي تقاها أو عليها فجورها

أي: وعليها فجورها. ومثله قول أبي الأسود الدؤلي:

أحب محمدًا حبًّا شديدًا ... وعباسًا وحمزة أو عليًّا

ويريد أنه يحب حمزة وعليًّا؛ لا أنه متردد في محبته بينهما.

ومثله قول جرير وهو يمدح الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز:

نال الخلافة أو كانت له قدرًا ... كما أتى ربُّه موسى على قدر

أي: نال الخلافة وقد كانت له قدرًا.

وهذا الاستخدام الشائع عند العرب لحرف (أو) بمعنى الواو (أ)، ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها قول الله تعالى: { وَلَا تُطْع مِنْهُمْ آثْمًا أَوْ كُفُورًا } (الإنسان: ٢٤)، أي: ولا تطع آثمًا وكفورًا، وكذلك قوله: { عُدْرًا أَوْ نُذْرًا } (المرسلات: ٦)، أي: عذرًا ونذرًا، وقوله: { لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } (طه: ٤٤)، أي: يتذكر ويخشى، وقوله: { لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا } [طه: ١١٣]، أي: يتقون ويحدث لهم ذكرًا، وقوله: { حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ

(١) - (وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، محمد الجوجري (٢/ ٨٠٨) الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق) الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م. مختار الصحاح، الرازي (١/ ٢٥)). الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٢) - انظر المنزلة من الشواهد في شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (١/ ٣٧٨-٣٨١). الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ { [الأنعام: ١٤٦] ، أي: وما اختلط بعظم.

وقد خرج العلماء قوله تعالى: {أو يزيدون} على هذا المعنى الشائع عند العرب، أي: بمعنى الواو، فالمعنى: أن الله أرسل يونس إلى مائة ألف ويزيدون، ونُقل ذلك عن بعض الصحابة والتابعين، كابن عباس والحسن وسعيد بن جبير، بل هو مروى عن النبي ﷺ ، فقد سأله أبي بن كعب عن هذه الآية؟ فقال ﷺ : «عشرون ألفاً» (١) ، أي: يزيدون عشرين ألفاً.

كما تأتي (أو) في لغة العرب بمعنى آخر قريب، وهو (بل) التي تفيد الإضراب الانتقالي كما أسماه إماما اللغة أبو علي الفارسي وابن جني، وغيرهما، واستشهدوا بقول جرير وهو يصف كثرة عياله:

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم ... لم أحصِ عدتهم إلا بعدد  
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية ... لولا رجاؤك قد قتلت أولادي  
ومثله قول ذي الرمة:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى ... وصورتها أو أنت في العين أمّخ<sup>٢</sup>.

وتفيد (بل) معنى زائداً على (الواو)، وهو إثبات المخبر عنه، ونفي ما زاد عنه، ومعناه في البيت الأول أنهم ثمان وثمانون، وليسوا أقل من ذلك، وفي الثاني أن جمالها ليس بأقل من قرن الشمس، بل هي أجمل منها.

وهذا المعنى الفصيح والبليغ ل (أو) ورد في القرآن مراراً، ومنه قوله تعالى: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} [البقرة: ٧٤]، أي: بل هي أشد قسوة، وقوله: {إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} [النساء: ٧٧]، أي: بل أشد خشية، وقوله عن قرب النبي ﷺ من جبريل: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} [النجم: ٩]، أي: بل هو أدنى، وقوله: {وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} [النحل: ٧٧]، أي: بل هو أقرب، وقوله: {فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} [البقرة: ٢٠٠]،

أي: بل أشد ذكراً.

(١) - (أخرجه الترمذي ح (٣٢٢٩)).

(٢) - (مختار الصحاح، الرازي (١/٢٥٠)). مرجع سابق

لذا لما سأل عبد الله بن سلام النبي ﷺ : على كم تفرقت بنو إسرائيل؟ أجابه ﷺ : «على واحدة أو اثنتين وسبعين فرقة، وأمتي أيضاً ستفترق مثلهم، أو يزيدون واحدة، كلها في النار إلا واحدة» (١) . وقوله: «على واحدة أو اثنتين وسبعين فرقة»، ليس للشك، بل المعنى: واحدة وسبعون لليهود، واثنتان وسبعون للنصارى، كما يفسره ﷺ في حديث عوف بن مالك عنه: «افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة .. وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة».

وكذلك قوله ﷺ : «وأمتي أيضاً ستفترق مثلهم، أو يزيدون واحدة»، معناه: بل يزيدون واحدة، كما في قوله في حديث عوف السالف: «والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» (٢). ومال إلى هذا التوجيه ابن كثير بقوله في شرحه لآية سورة يونس: "أي: ليسوا أقل منها، بل هم مائة ألف حقيقة، أو يزيدون عليها. فهذا تحقيق للمخبر به، لا شك ولا تردد، فإن هذا ممتنع ها هنا" ، وهكذا فإن القرآن ينص على أن عدد قوم يونس عليه السلام قد جاوز المائة ألف، فاستبان الأمر وبطلت الشبهة {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} (الفرقان: ٣٣). (٣)

### المطلب الثامن: فتبارك الله أحسن الخالقين ، وهل من خالق غير الله ؟

سؤال : يقول عز وجل في سورة [المؤمنون: ١٣] {فتبارك الله أحسن الخالقين} فهل يعني هذا أن هناك إلهاً آخر؟ .. الجواب :

قال القرطبي (٤): (أحسن الخالقين) أتقن الصانعين. يقال لمن صنع شيئاً خلقه، ومنه قول الشاعر :... ولأنت تفري ما خلقت وبع ... ض القوم يخلق ثم لا يفري»  
 وذهب بعض الناس إلى نفي هذه اللفظة عن الناس، وإنما يضاف الخلق إلى الله تعالى. وقال ابن جريح: إنما قال: "أحسن الخالقين" لأنه تعالى قد أذن لعيسى عليه السلام أن يخلق. ولا تنفى اللفظة عن البشر في معنى الصنع، وإنما هي منفية بمعنى الاختراع والإيجاد من العدم.

(١) - (أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ح (١٨٦٧٥)).

(٢) - (أخرجه ابن ماجه ح (٣٩٩٢)، والطبراني في الكبير ح (١٢٩)).

(٣) - (تفسير القرآن العظيم (٤/٣١٦)). و تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين ، منقذ بن محمود السقار ص ١٣٣ - ١٣٥

(٤) - تفسير القرطبي ١٢ / ١١٠ مرجع سابق .

ذكر المفسرون أوجهاً في قوله تعالى { فتبارك الله أحسن الخالقين } [ المؤمنون : ١٤ ]  
أهمها :

الأول : أن الخلق هنا بمعنى الصنع ، فالمعنى: تبارك الله أتقن الصانعين . كما مرّ آنفاً  
الثاني : أن الخلق بمعنى التقدير ، فإنه سبحانه هو أحسن المقدرين جل وعلا .  
الثالث : أن المعنى : أن الله تعالى هو أحسن الخالقين في اعتقادكم وظنكم .  
الرابع : وهو أحسنها : أننا نثبت للمخلوق خلقاً، لكنه ليس كخلق الله تعالى. فخلق الله  
جل وعلا إيجاد من العدم، وخلق المخلوق لا يكون إلا بالتغيير والتحويل والتصرف في شيء  
خلقه الله تعالى . ومن ذلك ما جاء في الصحيحين أنه يقال للمصورين يوم القيامة: "أحيوا ما  
خلقتم" . ومعلوم أن المصور لم يوجد شيئاً من العدم إنما حول الطين، أو الحجر إلى صورة  
إنسان أو طير ، وحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى ملونة، والطين والحجر والمواد والورق كلهم  
من خلق الله تعالى .

وأيضاً : فالعبد لا يمكنه فعل شيء إلا عند وجود الإرادة الجازمة والقدرة التامة،  
والإرادة والقدرة كلتاها مخلوقتان لله عز وجل، وخالق السبب التام خالق للمسبب. ولهذا كان  
من اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق للعباد وأفعالهم، كما قال ربنا { والله  
خلقكم وما تعملون } [الصفات: ٩٦] . والحاصل أن الخلق الذي هو الإيجاد من العدم  
صفة يختص بها الله تعالى، كما قال { أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون } [ النحل:  
١٧ ] وقال تعالى { هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو }  
[فاطر: ٣] .

يقول الأزهري : " وأصل الخلق التقدير، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها وباعتبار  
للإيجاد على وفق التقدير خالقٌ . والخَلْقُ في كلام العرب : ابتداء الشيء على مثال لم يسبق  
إليه : وكل شيء خلقه الله فهو مُبتدئُه على غير مثال سبق إليه : ألا له الخلق والأمر تبارك  
الله أحسن الخالقين " (١)

و يقول أبو بكر الأنباري : " الخلق في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإنشاء على مثال أبداعه، والآخر التقدير؛ وقال في قوله تعالى: فتبارك الله أحسن الخالقين، معناه أحسن المقدرين؛ وكذلك قوله تعالى: وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا؛ أي تُقدِّرون كذباً .

وقوله تعالى: أَلَيْسَ أَلْخُلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ خَلَقَهُ؛ تقديره، ولم يرد أنه يُحدِّث معدوماً (١).

و معنى هذا الكلام أن الخلق عادة يعني صنع الشيء و تحويله من صورة إلى صورة أخرى لذا نسمى الإبداعات النادرة أعمال خلاقية لروعة تقديرها و مهارة خالقها أي صانعها ، أما الخلق بمعنى الإيجاد من العدم فينفرد به الله لذا كان هو أحسن الخالقين أي الذي لا يخلق على منواله أحدٌ أبداً .

والخلق في اللغة التقدير، يقال خلقت الأديم إذا قسته لتقطع منه شيئاً، فمعنى أحسن

الخالقين أتقن الصانعين

**المطلب التاسع: وصف الله تعالى نفسه {وكان الله عليماً حكيماً} [النساء: ١٧]**

**{وكان الله على كل شيء قديراً} [النساء: ١٣٣] فهل كان وانتهى؟**

لماذا ذكر في كثير من سور القرآن الكريم لفظ : وكان الله عليماً حكيماً، وكان الله

على كل شيء قديراً، وغيرها في صيغة الماضي فما المعنى المقصود؟

١- المقصود من الآيات.. { وكان الله عليماً حكيماً } { وكان الله على كل شيء

قديراً } وما جاء بمعناهما. اتصاف المولى جل جلاله بكل صفة من تلك الصفات المخبر

عنها من العلم، والحكمة، وكمال القدرة على وجه الاستمرار والدوام ، فمعنى قوله تعالى : (

وكان الله عليماً حكيماً ) أي : لم يزل على ذلك.

وهذا لا إشكال فيه، فإنَّ ( كان ) تأتي كثيراً في القرآن الكريم، وفي كلام العرب بمعنى

اتصال الزمان من غير انقطاع. ومما ورد من ذلك في القرآن الكريم زيادة على الآيتين المسئول

عنهما وما جاء في معناه قوله تعالى: { إنه كان لآياتنا عنيدا } [المدثر: ١٦]. وقوله تعالى:

{ إن هذا كان لكم جزاء } [الإنسان: ٢٢]. وقوله: ( كان مزاجها زنجبيلاً ) [الإنسان:

١٧].

ومن شواهدا في كلام العرب قول المتلمس :

(١) - " (المصدر السابق)

وكنا إذا الجبار صعر خده \*\*\* أقمنا له من ميله فتقوما

وقول قيس بن الخطيم :

وكنت امرءاً لا أسمع الدهر سبة \*\*\* أسب بها إلا كشفت غطاءها

وقول أبي جندب الهذلي :

وكنت إذا جاري دعا لمضوفة \*\*\* أشمر حتى ينصف الساق مئزري

فهؤلاء الشعراء إنما يخبرون عن حالتهم الدائمة المستمرة، وليس غرضهم الإخبار عما مضى. (١)

٢- إذا وصف الله نفسه في القرآن الكريم لم يأت هذا الوصف دائماً مقروناً بلفظ " كان " فكثيراً ما يأتي الوصف بدون ذلك . قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [سورة البقرة : ١٠٩] { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } [ سورة البقرة : ٢٢٢] { وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [ سورة المزمل : ٢٠ ] .

وفي بعض الآيات يأتي الوصف مع لفظ " كان " كقوله تعالى { وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [سورة الأحزاب : ٥٩] وقوله { وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } [سورة الفتح : ٢٦] وقوله تعالى { وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } [ سورة النساء : ١٣٤ ]

وليس المراد بذلك أن الله . سبحانه . كان مُتصِفًا بالمغفرة والرحمة والعلم والسمع والبصر في زمن مضى، ثم زالت عنه هذه الصفات في الزمن الحاضر ولا يتصف بها في المستقبل؛ ذلك لأن تقسيم الزمن إلى ماضٍ وحاضر ومستقبل هو بالنسبة لنا نحن، حين نتحدث ونحدد ما يقع من أحداث قبل زمن الحديث عنها أو في أثناء الحديث أو بعده أما الله سبحانه فهو مُنزه عن الزمان . وما كان مخلوقاً لا يتحكّم فيمن خلقه .

وكان الله . سبحانه . حين يقرن صفاته بلفظ " كان " يبيّن لنا أنه موصوف بذلك قبل أن يخبرنا، بل قبل أن يخلقنا، فهي صفات أصيلة فيه وجبت له لذاته لا لعلة أوجدتها فيه . فقد كان الله بصفاته ولا شيء معه . وقد نبّه المفسرون على ذلك، ف جاء مثلاً في تفسير الجلالين لقوله تعالى في أول سورة النساء { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } قوله : أي لم يزل

(١) - عن مركز الفتوى بالشبكة الاسلامية ، وهذا جواب الشيخ عطية صقر :

مُتَّصِفًا بِذَلِكَ . وقال الجمل في الحاشية : نَبَّه به على أن " كان قد اسْتُعْمِلَتْ هنا في الدوام، لقيام الدليل القاطع على ذلك "

المطلب العاشر : يؤكد القرآن أنه لا يمكن للملائكة أن تعصى الله ، [التحريم / ٦] ، ومع ذلك فقد عصى إبليس الذى كان من الملائكة ، [البقرة / ٣٤] فأيهما صحيح ؟ .

الرد على الشبهة:

١- ومع تقرير هذه الآية أن هؤلاء الملائكة القائمين على النار { لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون } يقرر القرآن الكريم أن إبليس . وهو نوع من الملائكة بأحد الاقوال في قمة العصيان والعصاة: { وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين } وبالجمع بين الآيتين نقول: إن عموم الملائكة لا يعصون الله سبحانه وتعالى فهم منطوروون ومجبولون على الطاعة.. لكن هذا لا ينفي وجود صنف هم الجن . ومنهم إبليس، شملهم القرآن تحت اسم الملائكة . كما وصف الملائكة أيضًا بأنهم جِنَّة . لخبائثهم واستتارهم . وهذا الصنف من الجن ، منهم الطائعون ومنهم العصاة..

" سجدوا إلا إبليس " ، وهو فرد من أفراد الملائكة ، كما يفهم من الآية وأمثالها في القصة ، إلا آية الكهف فإنها ناطقة بأنه كان من الجن.. وليس عندنا دليل على أن بين الملائكة والجن فصلاً جوهرياً يميز أحدهما عن الآخر ، وإنما هو اختلاف أصناف ، عندما تختلف أوصاف . فالظاهر أن الجن صنف من الملائكة . وقد أطلق القرآن لفظ الجنَّة على الملائكة ، على رأى جمهور المفسرين فى قوله تعالى: { وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا } [الصفات: ١٥٨] (١)

" وقال سعيد بن جبیر: إن الجن سبَّط من الملائكة ، خلقوا من نار ، وإبليس منهم ، وخلق سائر الملائكة من نور.. والملائكة قد تسمى جنا لاستتارها. وفى التنزيل: { وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا } [الصفات: ١٥٨] وقال الشاعر أعشى قيس . فى ذكر سليمان . عليه السلام: وسَخَّر من جنِّ الملائكة تسعة قيامًا لديه يعملون بلا أجر .(٢)

(١) - (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ج ٤ ص ١٣٣. عن شبهات المشككين لمجموعة من نخبة العلماء منشور وزارة الأوقاف المصرية ، شبهة ٣٧ .

(٢) - (الجامع لأحكام القرآن) ج ١ ص ٢٩٤-٢٩٥. مرجع سابق .

فلا تناقض إذًا بين كون الملائكة لا يعصون الله .. وبين عصيان إبليس.. وهو من الجن ، الذين أطلق عليهم اسم الملائكة .

فهو مثله كمثل الجن هؤلاء منهم الطائعون ومنهم العصاة.(<sup>١</sup>)

## ٢ - رد بشكل آخر في الموضوع :

إبليس مأمورًا بالسجود كما نصّت الآيات، وهو علم دخوله في الخطاب، ولم يتم توجيه الأمر إليه مباشرة؟ وذلك جاء على صيغة تغليب الأكثر وتوجيه الخطاب إليه، فإبليس فردٌ والملائكة ، جمعٌ كثيرٌ، فذكروا بالأمر بالسجود دونه من باب التغليب وهو أسلوب عربي عريق، قد جاء كثيرًا في نصوص القرآن والسنة ولغة العرب .

وإنّ إبليس أبو الجن وذلك هو ظاهر القرآن ولا معارض له مقبول فإن الله سبحانه قد أخبر في كتابه عن إبليس أنه اعترض على السجود بقوله: {خلقتني من نار وخلقته من طين} فهو يتحدث عن خلقه هو لا عن غيره من أب أو جد فأول الجن خلقا هو إبليس وهو أبوهم {أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو} [الكهف: ٥٠] كما أن أول الإنس خلقا هو آدم وهو أبوهم وإبليس قد خلق قبل آدم {ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون\* والجان خلقناه من قبل من نار السموم} [الحجر: ٢٧].

قال الحسن البصري رحمه الله: "ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس" قال ابن كثير: "وهذا إسناد صحيح عن الحسن" (<sup>٢</sup>) . وقال ابن حجر في الفتح: " إبليس أبو الجن كلهم" (<sup>٣</sup>) وبهذا القول يزول الإشكال عن كيفية وجود إبليس بين الملائكة وهو ليس منهم، فالله قد خلقه وجعله بينهم، كما أنه خلق آدم وجعله في الجنة ثم أنزل الجميع إلى الأرض جزاء وابتلاء، هذا بالنسبة لأبي الجن.

وأما بالنسبة لأبي الشياطين فلا بد من مقدمة لبيان ذلك، فإن لفظ ( شيطان ) يطلق على إبليس ويطلق على جنس من الجن وهم المردة من ذرية إبليس، ويطلق على المتمرد من الإنس على أوامر ربه. فأما إطلاقه على إبليس ففي مثل قوله تعالى {فأزلهما الشيطان عنها

(١) - شبهات المشككين ، مجموعة من المؤلفين ، موقع وزارة الأوقاف المصرية شبهة رقم ٣٧

(٢) - تفسير ابن كثير (٢٣١/١) في تفسير قوله (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم). مرجع سابق .

(٣) - فتح الباري : (٣٦٩/٦) مرجع سابق .

{ وقوله تعالى { فوسوس لهما الشيطان } وقوله تعالى { لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة } [الاعراف: ٢٧] وهذا غالب إطلاقه، فالشيطان علم في الغالب على إبليس.

وأما إطلاقه على جنس من الجن ففي مثل قوله تعالى { وما تنزلت به الشياطين } وقوله تعالى { هل أنبئكم على من تنزل الشياطين } { والشياطين كل بناء وغواص } { وجعلناها رجوما للشياطين } وهو ههنا وصف لهم.

وأما إطلاقه على متمردي الإنس ففي مثل قوله تعالى { وكذلك جعلنا لكل نبي عدو شياطين الجن والإنس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا } وهو هنا وصف لهم أيضا. وحينئذ فلا يمكن أن يقال: أبو الشياطين هو فلان إذ منهم جن ومنهم بشر، إلا أن يكون الحكم أغلبي، فيقال إبليس أبو الشياطين لأن غالب الشياطين منهم ولأنه مصدر شيطنتهم .

**المطلب الحادي عشر:** رد على الكذاب زكريا بطرس في معنى (الصمد) قال ولم يتفق مفسرو القرآن حول معناها واطراف ان هذه الآية دليل على عقيدة التثليث وذلك ان المعنى الفعلي لكلمة " الصمد " هو الواحد في مجموع وقال: وسبب اختلاف التفاسير هو ان كلمة " الصمد " هو لفظ أعجمي عبراني وبالعودة الى القاموس العبراني نجدها " شمد " ومعناها الواحد في مجموع وبالتالي فإن تفسير الآيات هو على النحو التالي " الله احد اي واحد الله الصمد اي واحد في مجموع والمجموع هو ثلاثة اقانيم حسب المعنى العبراني وباللغة اليونانية " سمد " ومعناها ايضا الواحد المكون من مجموع.

إليك ما جاء في تفسير كلمة الصمد في معاجم اللغة فإليك ما قال لسان العرب وبه كل المعاني الممكنة والمستعملة لكلمة صمد وليس به معنى مكون من ثلاثة علما بأن المعجم يأتي بأصل الكلمة وكل ما يدور حولها!

(( صمد : صَمَدَه يَصْمِدُهُ صَمَدًا وَصَمَدٌ إِلَيْهِ كِلَاهُمَا: قَصَدَه. وَصَمَدٌ صَمَدٌ الْأَمْرُ: قَصَدَ قَصَدَه وَاعْتَمَدَه. وَتَصَمَّدَ لَهُ بِالْعَصَا: قَصَدَ.

وفي حديث معاذ بن الجُمُوح في قتل أبي جهل: فَصَمَدَتْ له حتى أَمَكَّتَنِي منه غِرَّةٌ أَي وثَبْتُ له وَقَصَدْتَه وانتظرت غفلته. وفي حديث علي: فَصَمَدًا صَمَدًا حتى يَتَجَلَى لكم عمود الحق. وبيت مُصَمَّد، بالتشديد، أَي مَقْصُود.

وَتَصَمَّدَ رَأْسَهُ بالعصا: عَمَدَ لمُعْظَمِهِ. وَصَمَدَهُ بالعصا صَمَدًا إذا ضربه بها. وَصَمَّدَ رَأْسَهُ تَصْمِيدًا: وذلك إذا لف رأسه بخرقة أو ثوب أو مندِيلٍ ما خلا العمامة، وهي الصَّمَادُ.

والصَّمَادُ: عِفاصُ القارورة؛ وقد صَمَدَهَا يَصْمِدُهَا. ابن الأعرابي: الصَّمَادُ سِداؤُ القارورة؛ وقال الليث: الصمادةُ عِفاصُ القارورة. وَأَصَمَدَ إليه الأمر: أَسَنَدَهُ. والصَّمَدُ، بالتحريك: السَّيِّدُ المطاع الذي لا يُقْضَى دونه أمر، وقيل: الذي يُصَمَدُ إليه في الحوائج أَي يُقْصَدُ؛ قال:

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِجَيْرِي بَنِي أَسَدٍ... بَعْمَرُو بِنِ مَسْعُودٍ، وبالسَّيِّدِ الصَّمَدِ  
والصَّمَدُ: من صفاته تعالى وتقدَّسَ لأنه أُصِمِدَتْ إليه الأمور فلم يُقْضَ فيها غيره؛ وقيل: هو المِصْمَتُ الذي لا جَوْفَ له، وهذا لا يجوز على الله، عز وجل. والمِصْمَدُ: لغة في المِصْمَتِ وهو الذي لا جَوْفَ له، وقيل: الصَّمَدُ الذي لا يَطْعَمُ، وقيل: الصمَدُ السَّيِّدُ الذي ينتهي إليه السُّودَدُ،

وقيل: الصمَدُ السيد الذي قد انتهى سُودَدُهُ؛ قال الأزهري: أما الله تعالى فلا نهاية لسُودَدِهِ لأن سُودَدَهُ غير مَحْدُودٍ؛ وقيل: الصمَدُ الدائم الباقي بعد فناء خلقه؛ وقيل: هو الذي يُصَمَدُ إليه الأمر فلا يُقْضَى دونه، وهو من الرجال الذي ليس فوقه أحد، وقيل: الصمَدُ الذي صَمَدَ إليه كل شيء أي الذي خَلَقَ الأشياءَ كلها لا يَسْتَعْنِي عنه شيء وكلها دالٌّ على وحدانيته. وروي عن عمر أنه قال: أيها الناس إياكم وَتَعَلَّمُ الأَنسابَ والطَّعْنَ فيها، فوالذي نفسُ محمد بيده، لو قلت: لا يخرج من هذا الباب إلا صَمَدٌ، ما خرج إلا أَقْلُكُمْ؛ وقيل: الصَّمَدُ هو الذي انتهى في سُودَدِهِ والذي يُقْصَدُ في الحوائج؛ وقال أبو عمرو: الصمَدُ من الرجال الذي لا يَعْطَشُ ولا يَجُوعُ في الحرب؛ وأنشد:

وساريةٍ فَوْقَهَا أَسُودٌ ..... بِكَفِّ سَبَبْتِي ذَفِيفٍ صَمَدِ

قال: الساريةُ الجبلُ المَرْتَفِعُ الذاهِبُ في السماء كأنه عمود.

والأَسود: العلم بِكَفِّ رجلٍ جَرِيءٍ. والصَّمَد: الرَّفِيعُ من كل شيءٍ.  
والصَّمَدُ: المكانُ الغليظُ المرتفعُ من الأرض لا يبلغُ أن يكونَ جبلاً، وجمعه أَصْمَادٌ وصِمَادٌ؛  
قال أبو النجم:

يُعَادِرُ الصَّمَدَ كَطَهْرِ الأَجْزَلِ

والمِصْمَدُ: الصُّلبُ الذي ليس فيه خَوَرٌ.

أبو خيرة: الصَّمَدُ والصِّمَادُ ما دَقَّ من غَلِظِ الجبلِ وتَوَاضَعَ واطْمَأَنَّ وَنَبَتَ فيه الشجرُ. وقال  
أبو عمرو: الصَّمَدُ الشديدُ من الأرضِ.

بناءً مُصَمَّدٌ أي مُعَلَّى. ويقالُ لما أَشْرَفَ من الأرضِ الصَّمَدُ، بِإِسْكانِ الميمِ. ورَوَضاةُ بني  
عُقَيْلٍ يقالُ لها الصِّمَادُ والرِّبابُ.

والصَّمَدَةُ والصُّمْدَةُ: صَخْرَةٌ راسيةٌ في الأرضِ مُسْتَوِيَةٌ بِمِثْلِ الأرضِ وربما ارتفعتُ شيئاً؛ قال:  
مُخَالَفُ صُمْدَةٍ وَقَرِينُ أُخْرَى، تَجُرُّ عَلَيْهِ حاصِبُهَا الشَّمَالُ وناقَةٌ صَمْدَةٌ وصَمْدَةٌ: حُجَلٌ عليها  
قلمٌ تَلْفَحُ؛ الفتحُ عن كراعٍ.

ويقالُ: ناقَةٌ مِصْمَادٌ وهي الباقيةُ على الثَّرِّ والجَدْبِ الدائمةُ الرَّسْلِ؛ ونوقٌ مِصَامِدٌ ومِصَامِيدٌ؛

والصَّمَدُ: ماءٌ للرِّبابِ وهو في شاكِلَةٍ في شقِّ ضَرْبَةٍ الجنوبيِّ.))<sup>١</sup>

أما زكريا بطرس فاخترع لإضلال الأتباع الذين سيتبرؤون منه وسيتميراً منهم أن الصمد ثلاثة في  
واحد ، أما ما اتفق فيه مفسروا اللغة والقرآن أن الصمد: السيد الذي لا يستغنى عنه في  
المهمات، وهو سيد القوم المطاع فيهم. قال في «الكشاف»: وهو فعل بمعنى مفعول من:  
صمد إليه، إذا قصده، فالصمد المصمود في الحوائج. قلت ( والقائل ابن عاشور ): ونظيره  
السند الذي تسند إليه الأمور المهمة. والفلق اسم الصباح لأنه يتفلق عنه الليل.

والصمد: من صفات الله، والله هو الصمد الحق الكامل الصمدية على وجه العموم.

فالصمد من الأسماء التسعة والتسعين في حديث أبي هريرة عند الترمذي. ومعناه:

المفتقر إليه كل ما عداه، فالمعدوم مفتقر وجوده إليه والموجود مفتقر في شؤونه إليه.

وقد كثرت عبارات المفسرين من السلف في معنى الصمد، وكلها مندرجة تحت هذا المعنى  
الجامع، وقد أتمها فخر الدين إلى ثمانية عشر قولاً. ويشمل هذا الاسم صفات الله المعنوية

(١) - لسان العرب باب الدال فصل الصاد (٣ / ٢٥٩) . مرجع سابق .

الإضافية وهي كونه تعالى حيا، عالما، مريدا، قادرا، متكلمًا، سميعًا، بصيرا، لأنه لو انتفى عنه أحد هذه الصفات لم يكن مضمودا إليه. (١)

ثم من قال أن اللغة العربية اخذت الكلمة من العبرية وليس العكس ، خصوصا وان كل الأدلة الملموسة وغير الملموسة تثبت ان العربية هي اللغة الأصل وان العبرية والآرامية هي فروع من اللغة العربية ! يعني باختصار لماذا لا تكون الكلمة عربية قحة ولكن استخدمت في العبرية وتحورت وتغير مفهوما ومعناها مع الوقت ! علما أنه ليس هنالك أي علاقة بين اللغة العبرية واليونانية ولو قالوا الآرامية لقلنا لا بأس ولكن ألا يثبت هذا ان جميع تلك اللغات اخذت الكثير عن اللغة العربية !!

وللعلم : "سمد" أو "شمد" في العبرية تعني تدمير ولا تعني أبدا واحد في مجموع كما ادعى ذلك المعتوه . ولم تستخدم أبدا في العهد القديم بمعنى واحد في ثلاثة او مجموع كما قال ،وليت هذا المدعي يخبرنا أين ذكرت في العهد القديم حيث ان كلمة بهذه الخطورة يستدل بها على التثليث لابد انها قد ذكرت في مكان ما من كتابهم بهذا المعنى . أليس كذلك؟  
وإن لم يجدها فليته يأتيها بأي كلمة اخرى وليس مجرد كلمة "سمد" او صمد يكون معناها ( واحد في ثلاثة ) !!!

**المطلب الثاني عشر : شبهه " إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ " كيف يحاسبنا بعد ان يغويننا . الرد : هذه الشبهة فرع عن شبهة (هل الله يضل عباده) في (المطلب)أو الشبهة الثانية**

في البداية الكلام لنوح عليه السلام على قومه بعد الجدل الغير مفيد والنقاش المستفزز .  
الآيات : { قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثر جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٣٢) قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين (٣٣) ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون } [هود : ٣٢- ٣٤] قال الزمخشري(٢) : إذا عرف الله من الكافر الإصرار فخلاله وشأنه ولم يلجئه ، سمى ذلك إغواء وإضلالا، كما أنه إذا عرف منه أنه يتوب ويرعوى فلفظ به: { أَنْ يُغْوِيَكُمْ }

(١) - التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠ / ٦١٧) ، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

(٢) - تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) (٢ / ٣٩١) . الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

أن يهلككم من غوى الفصيل غوي، إذا بشم فهلك (١)، ومعناه: أنكم إذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه، كيف ينفعكم نصحي؟

ونهاية الآية تدل على هذا المعنى وهو قوله: "هو ربكم وإليه ترجعون"، ومثال ذلك هو قول الحق سبحانه: { فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا } [مریم: ٥٩] وقوله سبحانه هنا: { فسوف يلقون غياً } أي: سوف يلقون عذاباً، لأن غيهم كان سبباً في تعذيبهم، فسمي العذاب باسم مُسببه، ومثل قول الحق سبحانه: { جزاء سيئة سيئة مثلها ... } [الشورى: ٤٠] والحق سبحانه لا يُسيء لعباده، ولكنهم هم الذين يُسيئون لأنفسهم، فسمي ما يلقاهم من العذاب سيئة. وهذا يعرف بالمشاكلة، وهو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، مثل { ومكروا ومكر الله ... } آل عمران .. فإطلاق المكر من جانب الله سبحانه إنما هو لمشاكلة ما معه وكذلك { الغي } يرد بمعنى { الإغواء }، ويرد بمعنى الأثر الذي يترتب عن الغي من العذاب .

وقد عرض الله سبحانه صور متعددة بالقرآن للإغواء، فسيدنا آدم عليه السلام مال عن الطريق وأكل من الشجرة رغم تحذير الله سبحانه له ألا يقربها .... ولكن بحكم طبيعة سيدنا آدم عليه السلام البشرية فعل ما حذره الله عنه .... وقد ذكر لنا الحق سبحانه كلمات الشيطان بقوله: { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } [الحجر: ٣٩]، ولكن هل أغوى الله - سبحانه - الشيطان؟

إن الله سبحانه لا يغوي، ولكنه يترك الخيار للمكلف إن شاء أطاع، وإن شاء عصى ولو أن الله سبحانه جعلنا لما كان لنا اختيار، فإن أطاع الإنسان نال عطاء الله، وإن ضل، فقد جعل الله له الاختيار، ووجهه لغير المراد على أن يهتدي، وقادر على أن يضل . فقال تعالى عن الإنسان: { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا } [الإنسان: ٣] فالله قد جعل الإنسان مهيئاً لأن يسلك أحد السبيلين: سبيل الهدى وسبيل الضلال، ثم دل سبحانه على طريق الصواب المستقيم، وترك له حرية الاختيار، فإما شاكرًا لنعمة الدلالة إلى الخير، فيكون مؤمنًا، وإما كافرًا بها فيكون كافرًا .

(١) - في الصحاح «البشم» التحم. يقال: بشت من الطعام - بالكسر. وبشم الفصيل من كثرة شرب اللبن (مختار الصحاح ص ٣٥)

المستشرقون جهله باللغة العربية .. وكان من الأفضل أن يصلحوا ما بكتبهم .. ففأقد الشيء لا يعطيه . فهم دائماً يستقبلون ألفاظ العقائد الإسلامية على أساس ما أشتهر به اللفظ من معنى ؛ فالألفاظ لها معان متعددة .... وهذا بسبب ركاكة كتبهم .

يقول الرازي (١): المسألة الأولى: اعلم أن الكفار لما أوردوا تلك الشبهة " أن من اتبعه الأراذل " وأجاب نوح عليه السلام عنها بالجوابات الموافقة الصحيحة أورد الكفار على نوح كلامين،

الأول: أنهم وصفوه بكثرة المجادلة فقالوا : يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا، وهذا يدل على أنه عليه السلام كان قد أكثر في الجدل معهم، وذلك الجدل ما كان إلا في إثبات التوحيد والنبوة والمعاد، وهذا يدل على أن الجدل في تقرير الدلائل وفي إزالة الشبهات حرفة الأنبياء، وعلى أن التقليد والجهل والإصرار على الباطل حرفة الكفار.

والثاني: أنهم استعجلوا العذاب الذي كان يتوعدهم به، فقالوا: فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ثم إنه عليه السلام أجاب عنه بجواب صحيح فقال : " إنما يأتيكم به الله إن شاء " وما أنتم بمعجزين والمعنى أن إنزال العذاب ليس إلي وإنما هو خلق الله تعالى فيفعله إن شاء كما شاء، وإذا أراد إنزال العذاب فإن أحدا لا يعجزه، أي لا يمنعه منه، والمعجز هو الذي يفعل ما عنده لتعذر مراد الغير فيوصف بأنه أعجزه، فقوله: وما أنتم بمعجزين أي لا سبيل لكم إلى فعل ما عنده، فلا يمتنع على الله تعالى ما يشاء من العذاب إن أراد إنزاله بكم، وقد قيل معناه: وما أنتم بمانعين، وقيل: وما أنتم بمصونين، وقيل: وما أنتم بسابقين إلى الخلاص، وهذه الأقوال متقاربة.

واعلم أن نوحا عليه السلام لما أجاب عن شبهاتهم ختم الكلام بخاتمة قاطعة، فقال: {ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم أي إن كان الله يريد أن يغويكم} فإنه لا ينفعكم نصحي البتة، إن نوحا عليه السلام إنما ذكر هذا الكلام ليدل على أنه تعالى ما اغواهم، بل فوض الاختيار إليهم وبيانه من وجهين الأول: أنه عليه السلام بين أنه تعالى لو أراد إغواءهم لما بقي في النصح فائدة فلو لم يكن فيه فائدة لما أمره بأن ينصح الكفار، وأجمع المسلمون على أنه عليه السلام مأمور/ بدعوة الكفار ونصيحتهم، فعلمنا أن هذا النصح غير

(١) - التفسير الكبير للرازي ، ١٧ / ٣٤١ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

خال عن الفائدة، وإذا لم يكن خاليا عن الفائدة وجب القطع بأنه تعالى ما أغواهم، فهذا صار حجة لنا من هذا الوجه. الثاني: أنه لو ثبت الحكم عليهم بأن الله تعالى أغواهم لصار هذا عذرا لهم في عدم إتيانهم بالإيمان ولصار نوع منقطعاً في مناظرتهم، لأنهم يقولون له إنك سلمت أن الله إذا أغوانا فإنه لا يبقى في نصحك ولا في جدنا واجتهادنا فائدة، فإذا ادعت بأن الله تعالى قد أغوانا فقد جعلتنا معذورين فلم يلزمنا قبول هذه الدعوة، فثبت أن الأمر لو كان كما قاله الخصم، لصار هذا حجة للكفار على نوح عليه السلام، ومعلوم أن نوحاً عليه السلام لا يجوز أن يذكر كلاماً يصير بسببه مفحماً ملزماً عاجزاً عن تقرير حجة الله تعالى، فثبت بما ذكرنا أن هذه الآية لا تدل على قول المجبرة، ثم إنهم ذكروا وجوهاً من التأويلات: الأول: أولئك الكفار كانوا مجبرة، وكانوا يقولون إن كفرهم بإرادة الله تعالى، فعند هذا قال نوح عليه السلام: إن نصحه لا ينفعهم إن كان الأمر كما قالوا، ومثاله أن يعاقب الرجل ولده على ذنبه فيقول الولد: لا أقدر على غير ما أنا عليه، فيقول الوالد فلن ينفعك إذا نصحتي ولا زجرتي، وليس المراد أنه يصدقه على ما ذكره بل على وجه الإنكار لذلك. الثاني: قال الحسن معنى يغويكم أي يعذبكم، والمعنى: لا ينفعكم نصحي اليوم إذا نزل بكم العذاب فأمنتم في ذلك الوقت، لأن الإيمان عند نزول العذاب لا يقبل، وإنما ينفعكم نصحي إذا آمنتم قبل مشاهدة العذاب.

الثانية: قوله: {ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم} جزء معلق على شرط بعده شرط آخر وهذا يقتضي أن يكون الشرط المؤخر في اللفظ مقدماً في الوجود وذلك لأن الرجل إذا قال لامرأته أنت طالق إن دخلت الدار، كان المفهوم كون ذلك الطلاق من لوازم ذلك الدخول، فإذا ذكر بعده شرطاً آخر مثل أن يقول: إن أكلت الخبز كان المعنى أن تعلق ذلك الجزء بذلك الشرط الأول مشروطاً بحصول هذا الشرط الثاني والشرط مقدم على المشروط في الوجود فعلى هذا إن حصل الشرط الثاني تعلق ذلك الجزء بذلك الشرط الأول أما إن لم يوجد الشرط المذكور ثانياً لم يتعلق ذلك الجزء بذلك الشرط الأول، هذا هو التحقيق في هذا التركيب، فلهذا المعنى قال الفقهاء: إن الشرط المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى، والمقدم في اللفظ مؤخر في المعنى.

واعلم أن نوحا عليه السلام لما قرر هذه المعاني قال: هو ربكم وإليه ترجعون وهذا نهاية الوعيد أي هو إلهكم الذي خلقكم ورباكم ويملك التصرف في ذواتكم وفي صفاتكم قبل الموت وعند الموت وبعد الموت مرجعكم إليه وهذا يفيد نهاية التحذير.<sup>١</sup>

المطلب الثالث عشر: { وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم } روى سعيد بن جبير لما خلق الله آدم، أخذ ذريته من ظهره مثل الذرّ، فقبض قبضتين، فقال لأصحاب اليمين ادخلوا الجنة بسلام، وقال للآخرين ادخلوا النار ولا أبالي (الطبري في تفسير [الأعراف ٧: ١٧٢]). فهل هذا هو طريق الخلاص الذي عندكم؟

الرد :

في هذه الآية تعرض قضية التوحيد من زاوية جديدة، وزاوية عميقة.. تعرض من زاوية الفطرة التي فطر الله عليها البشر؛ وأخذ بها عليهم الميثاق في ذات أنفسهم، وذات تكوينهم؛ وهم بعد في عالم الذرّ!.. إن الاعتراف بربوبية الله وحده فطرة في الكيان البشري. فطرة أودعها الخالق في هذه الكينونة وشهدت بها على نفسها بحكم وجودها ذاته، وحكم ما تستشعره في أعماقها من هذه الحقيقة. أما الرسائل فتذكير وتحذير لمن ينحرفون عن فطرتهم الأولى، فيحتاجون إلى التذكير والتحذير.. إن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالق البشر منذ كينونتهم الأولى، فلا حجة لهم في نقض الميثاق - حتى لو لم يبعث إليهم بالرسول يذكرهم ويحذروهم - ولكن رحمته وحدها اقتضت ألا يكلمهم إلى فطرتهم هذه فقد تنحرف؛ وألا يكلمهم كذلك إلى عقولهم التي أعطاهم لهم فقد تضل؛ وأن يبعث إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل!

{ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم - ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا! أن تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين. أو تقولوا: إنما أشرك آبائنا من قبل. وكنا ذرية من بعدهم. أفتهلكنا بما فعل المبطلون؟.. وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون } ..

(١) - تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب (١٧/٣٤٣)، مرجع سابق .

إنها قضية الفطرة والعقيدة يعرضها السياق القرآني في صورة مشهد - على طريقة القرآن الغالبة - وإنه لمشهد فريد.. مشهد الذرية المكونة في عالم الغيب السحيق، المستكنة في ظهور بني آدم قبل أن تظهر إلى العالم المشهود، تؤخذ في قبضة الخالق المربي، فيسألها: { ألسنت بربكم؟ } .. فتعترف له - سبحانه - بالربوبية؛ وتقر له - سبحانه - بالعبودية؛ وتشهد له - سبحانه - بالوحدانية؛ وهي منثورة كالذر؛ مجموعة في قبضة الخالق العظيم!

إنه مشهد كوني رائع باهر، لا تعرف اللغة له نظيراً في تصوراتها المأثورة! وإنه لمشهد عجيب فريد حين يتملاه الخيال البشري جهد طاقته! وحينما يتصور تلك الخلايا التي لا تحصى، وهي تجمع وتقبض. وهي تخاطب خطاب العقلاء - بما ركب فيها من الخصائص المستكنة التي أودعها إياها الخالق المبدع - وهي تستجيب استجابة العقلاء، فتعترف وتقر وتشهد؛ ويؤخذ عليها الميثاق في الأصلاب!

وإن الكيان البشري ليرتعث من أعماقه وهو يتملى هذا المشهد الرائع الباهر الفريد. وهو يتمثل الذر السابح. وفي كل خلية حياة. وفي كل خلية استعداد كامن. وفي كل خلية كائن إنسان مكتمل الصفات ينتظر الإذن له بالنماء والظهور في الصورة المكونة له في ضمير الوجود المجهول، ويقطع على نفسه العهد والميثاق، قبل أن يبرز إلى حيز الوجود المعلوم!

لقد عرض القرآن الكريم هذا المشهد الرائع الباهر العجيب الفريد، لتلك الحقيقة الهائلة العميقة المستكنة في أعماق الفطرة الإنسانية وفي أعماق الوجود.

عرض القرآن هذا المشهد قبل قرابة أربعة عشر قرناً من الزمان، حيث لم يكن إنسان يعلم عن طبيعة النشأة الإنسانية وحقائقها إلا الأوهام! ثم يهتدي البشر بعد هذه القرون إلى طرف من هذه الحقائق وتلك الطبيعة. فإذا " العلم " يقرر أن الناسلات، وهي خلايا الوراثة التي تحفظ سجل " الإنسان " وتكمن فيها خصائص الأفراد وهم بعد خلايا في الأصلاب.. أن هذه الناسلات التي تحفظ سجل ثلاثة آلاف مليون من البشر، وتكمن فيها خصائصهم كلها - لا يزيد حجمها على سنتيمتر مكعب، أو ما يساوي ملء قمع من أقماغ الخياطة!.. كلمة لو قيلت للناس يومذاك لاتهموا قائلها بالجنون والخبال! وصدق الله العظيم:

{ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق } [فصلت: ٥٣].

أخرج ابن جرير وغيره - بإسناده - عن ابن عباس قال: " مسح ربك ظهر آدم، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة.. فأخذ موثيقهم، وأشهدهم على أنفسهم: { أأست بربكم؟ قالوا: بلى } .. وروي مرفوعاً وموقوفاً على ابن عباس (١).

فأما كيف كان هذا المشهد؟ وكيف أخذ الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم؟ وكيف خاطبهم: { أأست بربكم } وكيف أجابوا: { بلى شهدنا }؟.. فالجواب عليه: أن كفيات فعل الله - سبحانه - غيب كذاته. ولا يملك الإدراك البشري أن يدرك كفيات أفعال الله ما دام أنه لا يملك أن يدرك ذات الله. إذ أن تصور الكيفية فرع عن تصور الماهية. وكل فعل ينسب لله سبحانه مثل الذي يحكيه قوله هذا كقوله تعالى:

{ ثم استوى إلى السماء وهي دخان... } [فصلت: ١١]

{ ثم استوى على العرش } [الأعراف: ٥٤]

{ يحو الله ما يشاء ويثبت } [الرعد: ٣٩]

{ والسموات مطويات بيمينه } [الزمر: ٦٧]

{ وجاء ربك والملك صفاً صفاً } [الفجر: ٢٢]

{ ما يكون من نحوى ثلاثة إلا هو رابعهم } [المجادلة: ٧]

إلى آخر ما تحكيه النصوص الصحيحة عن فعل الله سبحانه، لا مناص من التسليم بوقوعه، دون محاولة إدراك كفيته.. إذ أن تصور الكيفية فرع عن تصور الماهية كما قلنا.. والله ليس كمثل شيء فلا سبيل إلى إدراك ذاته ولا إلى إدراك كفيات أفعاله. إذ أنه. لا سبيل إلى تشبيه فعله بفعل أي شيء، ما دام أن ليس كمثل شيء.. وكل محاولة لتصور كفيات أفعاله على مثال كفيات أفعال خلقه، هي محاولة مضللة، لاختلاف ماهيته - سبحانه - عن ماهيات خلقه. وما يترتب على هذا من اختلاف كفيات أفعاله عن كفيات أفعال خلقه.. وكذلك جهل وضل كل من حاولوا - من الفلاسفة والمتكلمين - وصف كفيات أفعال الله، وخلطوا خلطاً شديداً!

<sup>١</sup> - تفسير الطبري (٣٢٣/١٣). مرجع سابق. وتفسير ابن كثير ٥٠١/٣ مرجع سابق.

على أن هناك تفسيراً لهذا النص بأن هذا العهد الذي أخذه الله على ذرية بني آدم هو عهد الفطرة.. فقد أنشأهم مفظورين على الاعتراف له بالربوبية وحده . أودع هذا فطرتهم فهي تنشأ عليه، حتى تنحرف عنه بفعل فاعل يفسد سواها، ويميل بها عن فطرتها.

قال ابن كثير في التفسير<sup>(١)</sup>: قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرتهم على التوحيد - كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار الجاشعي ومن رواية الحسن البصري عن الأسود ابن سريع - وقد فسر الحسن الآية بذلك. قالوا: ولهذا قال: { وإذ أخذ ربك من بني آدم } ولم يقل: من آدم.. { من ظهورهم }.. ولم يقل من ظهره.. { ذرياتكم } أي جعل نسلهم جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، كقوله تعالى:

{ وهو الذي جعلكم خلفاء الأرض }

وقال: { ويجعلكم خلفاء الأرض }

وقال: { كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين }

ثم قال: { وأشهدهم على أنفسهم: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى! } أي أوجدتهم شاهدين بذلك قائلين له.. حالاً.. وقالوا: والشهادة تارة تكون بالقول كقوله:

{ قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين }

وتارة تكون حالاً كقوله تعالى:

{ ما كان للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر }

أي حالهم شاهد عليهم بذلك، لا أنهم قائلون ذلك.. وكذلك قوله تعالى:

{ وإنه على ذلك لشهيد }

كما أن السؤال تارة يكون بالمقال وتارة يكون بالحال. كقوله:

{ وآتاكم من كل ما سألتموه }

قالوا: ومما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك. فلو كان قد وقع هذا، كما قال من قال، لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه. فإن قيل: إخبار الرسول ﷺ به كاف في وجوده، فالجواب: أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءهم به الرسل من هذا وغيره. وهذا جعل حجة عليهم، فدل على أنه الفطرة

(١) - ابن كثير ( ٣ / ٥٠٦ ) . دار طيبة ط ٢ ، مرجع سابق

التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد. ولهذا قال: { أن تقولوا } .. أي لثلاثا تقولوا { يوم القيامة إنا كنا عن هذا } . أي التوحيد.. { غافلين، أو تقولوا: إنما أشرك آبؤنا { ... الآية). أما الأحاديث التي أشار إليها في أول هذه الفقرة فهي:

" كل مولود يولد على الفطرة - وفي رواية. " على هذه الملة " - فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تولد بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ " (١). " يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم " (٢).

روى الطبري بإسناده عن الأسود بن سريع من بني سعد قال: غزوت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاشتد عليه، ثم قال: " ما بال أقوام يتناولون الذرية؟ " فقال رجل: يا رسول الله. أليسوا أبناء المشركين؟ فقال: " إن خياركم أبناء المشركين! ألا إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة. فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها، فأبواها يهودانها وينصرانها " . قال الحسن: لقد قال في كتابه: { وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم } ... الآية. (٣)

ونحن لا نستبعد أن يكون قول الله تعالى: { وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم.. الآيات } على وجهه لا على سبيل الحال. لأنه في تصورنا يقع كما أخبر عنه الله سبحانه. وليس هناك ما يمنع أن يقع حين يشاءه.. ولكننا كذلك لا نستبعد هذا التأويل الذي اختاره ابن كثير، وذكره الحسن البصري واستشهد له بالآية.. والله أعلم أي ذلك كان..

وفي أي من الحالين يخلص لنا أن هناك عهداً من الله على فطرة البشر أن توحده. وأن حقيقة التوحيد مركوزة في هذه الفطرة؛ يخرج بها كل مولود إلى الوجود؛ فلا يميل عنها إلا أن يفسد فطرته عامل خارجي عنها! عامل يستغل الاستعداد البشري للهدى وللضلال . وهو استعداد كذلك كما من تخرجه إلى حيز الوجود ملابسات وظروف.

(١) - البخاري ح (١٣٥٣) ومسلم ح (٢٦٥٨) . وغيرهم .

(٢) - مسلم ح (٢١٩٧) وابن حبان ح (٦٥٣) .

(٣) - تفسير الطبري (١٣ / ٢٣١) مرجع سابق تحقيق شاكر

إن حقيقة التوحيد ليست مركوزة في فطرة " الإنسان " وحده؛ ولكنها كذلك مركوزة في فطرة هذا الوجود من حوله - وما الفطرة البشرية إلا قطاع من فطرة الوجود كله. موصولة به غير منقطعة عنه، محكومة بذات الناموس الذي يحكمه - بينما هي تتلقى كذلك أصداءه وإيقاعاته المعبرة عن تأثيره واعترافه بتلك الحقيقة الكونية الكبيرة..

إن ناموس التوحيد الذي يحكم هذا الوجود، واضح الأثر في شكل الكون، وتنسيقه، وتناسق أجزائه، وانتظام حركته، واطراد قوانينه، وتصرفه المطرد وفق هذه القوانين.. وأخيراً - حسب العلم القليل الذي وصل إليه البشر - وحدة الجوهر الذي تتألف منه ذراته، وهو الإشعاع الذي تنتهي إليه المواد جميعاً عند تحطيم ذراتها وإطلاق شحناتها..

ويوماً بعد يوم يكشف البشر أطرافاً من ناموس الوحدة في طبيعة هذا الكون، وطبيعة قوانينه التي تحكم تصرفاته - في غير آلية حتمية ولكن بقدر من الله مطرد متجدد وفق مشيئة الله الطليقة - ولكننا نحن لا نعتمد على هذا الذي يكشفه علم البشر الظني - الذي لا يمكن أن يكون يقينياً بحكم وسائله البشرية - في تقرير هذا الناموس. إنما نحن نستأنس به مجرد استئناس. واعتمادنا الأول في تقرير أية حقيقة كونية مطلقة، على ما قرره لنا الخالق العليم بما خلق. والقرآن الكريم لا يدع مجالاً للشك في أن الناموس الذي يحكم هذا الكون هو ناموس الوحدة، الذي أنشأته المشيئة الواحدة للخالق الواحد سبحانه.

كما أنه لا يدع مجالاً للشك في عبودية هذا الكون لربه، واعترافه بوحدانيته، وعبادته له بالكيفية التي يعلمها الله ولا نعرف عنها إلا ما يجربنا به؛ وما نراه من آثارها في انتظامه ودأبه واطراده.

هذا الناموس الذي يصرف الكون كله - بقدر الله المطرد المتجدد وفق مشيئة الله الطليقة - سارٍ كذلك في كيان الإنسان - بوصفه من كائنات هذا الكون - مستقر في فطرته، لا يحتاج إلى وعي عقلي للإحساس به؛ فهو مدرك بالفطرة، مستقر في صميمها، تستشعره بذاتها، وتتصرف وفقه، ما لم يطرأ عليها الخلل والفساد، فتتحرف عن إدراكها الذاتي له، وتدع للأهواء العارضة أن تسيروها، بدلاً من أن تسير وفق قانونها الداخلي القويم.

هذا الناموس - بذاته - هو ميثاق معقود بين الفطرة وخالقها. ميثاق مودع في كيانها، مودع في كل خلية حية منذ نشأتها. وهو ميثاق أقدم من الرسل والرسالات. وفيه تشهد كل خلية

بربوية الله الواحد، ذي المشيئة الواحدة، المنشئة للناموس الواحد الذي يحكمها ويصرفها. فلا سبيل إلى الاحتجاج بعد ميثاق الفطرة وشهادتها - سواء أكان بلسان الحال هذا أم بلسان المقال كما في بعض الآثار - لا سبيل إلى أن يقول أحد: إنه غفل عن كتاب الله الهادي إلى التوحيد. وعن رسالات الله التي دعت إلى هذا التوحيد. أو يقول: إنني خرجت إلى هذا الوجود، فوجدت آبائي قد أشركوا فلم يكن أمامي سبيل لمعرفة التوحيد. إنما ضل آبائي فضلت فهم المسؤولون وحدهم ولست بالمسؤول! ومن ثم جاء هذا التعقيب على تلك الشهادة: { أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. أو تقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل، وكنا ذرية من بعدهم. أفتهلكنا بما فعل المبطلون؟ }<sup>(١)</sup>

**المطلب الرابع عشر: {واتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} روى أحمد في مسنده إن الله ليُعَذِّبَ العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرائهم وهم قادرون على أن ينكروه، ولا ينكروه. فإذا فعلوا ذلك عَذَّبَ الله الخاصة والعامة (المنار في تفسير الأنفال ٨: ٢٥). لكن ورد في الإسراء ١٧: ١٥ { لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } . فكيف تنفق هذه الآية مع ما جاء في الحديث؟ علّمنا الله أن النفس التي تخطئ هي تموت، لأنه لا يوجد إنسان كامل حتى يزر وازرة إنسانٍ آخر، ولكن الله بمحبته أرسل لنا المسيح الذي حمل كل أوزارنا وصالحنا مع الله إلى الأبد .**

الرد : { واتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً، واعلموا أن الله شديد العقاب } ..

والفتنة: الابتلاء أو البلاء.. والجماعة التي تسمح لفريق منها بالظلم في صورة من صوره ولا تقف في وجه الظالمين؛ ولا تأخذ الطريق على المفسدين . . جماعة تستحق أن تؤخذ بجريرة الظالمين المفسدين.. الإسلام منهج تكافلي إيجابي لا يسمح أن يقعد القاعدون عن الظلم والفساد والمنكر يشيع (فضلا على أن يروا دين الله لا يتبع؛ بل أن يروا ألوهية الله تنكر وتقوم ألوهية العبيد مقامها!) وهم ساكتون. ثم هم بعد ذلك يرجون أن يخرجهم الله من الفتنة لأنهم هم في ذاتهم صالحون طيبون !. ولما كانت مقاومة الظلم تكلف الناس التكاليف

(١) - في ظلال القرآن المجلد الثالث ١٣٩٦ وما بعدها . مرجع سابق .

في الأنفس والأموال فقد عاد القرآن يذكر العصبية المسلمة بما كان من ضعفها وقلة عددها، وبما كان من الأذى الذي ينالها، والخوف الذي يظللها.. وكيف آواها الله بدينه هذا وأعزها ورزقها رزقا طيبا.. فلا تقعد إذن عن الحياة التي يدعوها إليها رسول الله. ولا عن تكاليف هذه الحياة، التي أعزها بها الله، وأعطائها وحماها فقال بعد الآية السابقة: {واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض، تخافون...} .. اذكروا هذا لتستيقنوا أن الرسول يدعوكم لما يحييكم كي لا تقعدوا عن مكافحة الظلم في كل صورته وأشكاله<sup>(١)</sup>. لأن المعاصي الإجتماعية والاجتماعية تتضافر فتشمل الجميع ثم تتكاثر فلا يستطيعون لها رداً.

{ولا تزر وازرة وزر أخرى .. "١٥"} [سورة الإسراء] أي: لا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يؤخذ أحد بجريرة غيره، وكلمة: {تزر وازرة .. "١٥"} من الوزر: وهو الحمل الثقيل، ومنها كلمة الوزير: أي الذي يحمل الأعباء الثقيلة عن الرئيس، أو الملك أو الأمير. فعديل الله يقتضي أن يحاسب الإنسان بعمله، وأن يسأل عن نفسه، فلا يرمي أحد ذنبه على أحد، كما قال تعالى: {لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً "٣٣"} [سورة لقمان] وحول هذه القضية تحدث كثير من المستشرقين الذين يبحثون في القرآن عن مأخذ، فوقفوا عند هذه الآية: {ولا تزر وازرة وزر أخرى .. "١٥"} [سورة الإسراء] وقالوا: كيف نوفق بينها وبين قوله: {وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم .. "١٣"} [سورة العنكبوت]

وقوله تعالى: {ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون "٢٥"} [سورة النحل] ونقول: التوفيق بين الآية الأولى والآيتين الأخيرتين هين لو فهموا الفرق بين الوزر في الآية الأولى، والوزر في الآيتين الأخيرتين .

ففي الأولى وزر ذاتي خاص بالإنسان نفسه، حيث ضل هو في نفسه، فيجب أن يتحمل وزر ضلاله. أما في الآية الثانية فقد أضل غيره، فتحمل وزره الخاص به، وتحمل وزر من أضلهم. ويوضح لنا هذه القضية الحديث النبوي الشريف: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في

<sup>١</sup> - في ظلال القرآن المجلد الثالث / ١٤٩٦، مرجع سابق

الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء " .

قال الألوسي : { واتقوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } {

أي لا تختص إصابتها لمن يباشر الظلم منكم بل تعمه وغيره والمراد بالفتنة الذنب وفسر بنحو إقرار المنكر والمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد حسبما يقتضيه المعنى ... الآية مخبرة بأن إصابة الفتنة لا تخص بالظالمين بل تعم غيرهم أيضاً ... ثم لا يخفى أن الخطاب إذا كان عاماً للأمة وفسرت الفتنة بإقرار المنكر لا يجيء الإشكال على عموم الإصابة بقوله سبحانه : { وَلَا \* تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى [ الأنعام: ١٦٤ ، الإسراء: ١٥ ، فاطر: ١٨ ، الزمر: ٧ ] لأنه كما يجب على مرتكب الذنب الانتهاء عنه يجب على الباقيين رفعه وإذا لم يفعلوا كانوا آثمين فيصيبهم ما يصيبهم لأثمهم .

ويدل للوجوب ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أمر الله تعالى المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم فيهمهم الله تعالى بعذاب يصيب الظالم و غير الظالم . (١)  
عن أبي بكر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب » (٢) و عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهاهم علماءؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم و اكلوهم و شاربوهم فضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٣) .

يقول د. سيد طنطاوي: يؤكد سبحانه ترهيبه لهم من التراخي في تغيير المنكر فيقول: { واتقوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً واعلموا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } والفتنة: من الفتن . وأصله: إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته ، واستعمل في إدخال الإنسان النار كما في قوله تعالى { ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ } أي : عذابكم . وتارة يسمون ما يحصل عنه العذاب فتنة فيستعمل فيه نحو قوله تعالى : { أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا } وتارة في الاختيار نحو

(١) - تفسير الألوسي (٥ / ١٨٠-١٨٢) ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ، المحقق: علي عبد الباري عطية

(٢) - أخرجه الترمذي ح(٢١٦٨) وأبو داود ح(٤٣٣٨) حكم الالباني صحيح عن قيس بن حازم وأحمد ح(٣٠) قال شاکر صحيح على شرط الشيخين.

(٣) - رواه الترمذي ح(٣٠٤٧) وقال: هنا حديث حسن غريب ، وأحمد ح(٢٧١٣) و أبو داود (٤٣٣٦)

قوله تعالى { وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا }<sup>(١)</sup>. والمراد بالفتنة هنا العذاب الديني ، كالأفراض ، والقحط ، واضطراب الأحوال ، وتسلط الظلمة ، وعدم الأمان . . وغير ذلك من المحن والمصائب والآلام التي تنزل بالناس بسبب غشيانهم الذنوب ، وإقرارهم للمنكرات ، والمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والخطاب لجميع في كل زمان ومكان .

فالمعنى : دواموا أيها المؤمنون على طاعة الله بقوة ونشاط ، واحذروا من أن ينزل بكم عذاب سيعم عند نزوله الأخيار والفجار والمحسنين والمسيئين .

وقوله : { واعلموا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } المراد منه الحث على لزوم الاستقامة خوفاً من عقاب الله - تعالى - . أى : واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره ، وانتهك حرمانه .(٢)

هذا ، وقد دلت الآية الكريمة على وجوب الإقلاع عن المعاصي ، ووجوب محاربة مرتكبيها ، فإن الأمة التي تشيع فيها المعاصي والمظالم والمنكرات . . ثم لا تجد من يحاربها ويعمل على إزالتها ، تستحق العقوبة جزاء سكوتهما واستخذائهما وجبنها .

وقد ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية الكريمة نزلت في حق بعض الصحابة الذين اشتروا في وقاعة الجمل فيما بعد . ولكن هذا القول غير صحيح؛ لأن الآية الكريمة تخاطب المؤمنين جميعاً في كل زمان ومكان ، وأمرهم بالبعد عن المعاصي والمنكرات التي تفضي بهم إلى العذاب الديني قبل الأخرى . وليست خاصة بفريق دون فريق . لذا قال ابن كثير : والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم الصحيح ، ويدل عليه الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن .(٣)

عن عدى بن عميرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الله - تعالى - لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة ."

وقال ﷺ : " ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي وهم أعز وأكثر ممن يعملون ، ثم لم يغيروه ، إلا عمهم الله بعقاب " (٤). وقال الإمام القرطبي : قال ابن عباس : أمر الله

(١) - المفردات في غريب القرآن ص ٣٧١ للراغب الأصفهاني. مرجع سابق .

(٢) - تفسير الوسيط لطنطاوي ٦ / ٧٦ ، الناشر: دار تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفحالة - القاهرة ، الطبعة: الأولى سنة ١٩٩٧-١٩٩٨

(٣) - المرجع السابق ص ٧٧ وابن كثير ٤ / ٣٣

(٤) - الحاديثين في مسند الإمام أحمد (٢٥٨/٢٩) ، مؤسسة الرسالة ٢٠٠١ تحقيق شعيب الأرنؤوط .

المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم العذاب . ففي صحيح مسلم " عن زينب بنت جحش أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت له : يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : " نعم إذا كثرت الخبث " . وفي صحيح الترمذى : " إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه ، أو شك أن يعمهم الله بعقاب من عنده " . وفي صحيح البخارى والترمذى عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال : " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا - أى اقترعوا - على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهما وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً " .

ففى هذا الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة .

قال علماؤنا: فالفتنة إذا عمت هلك الكل وذلك عند ظهور المعاصى، وانتشار المنكر وعدم التغيير. وإذا لم تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها.

روى ابن وهب عن مالك قال: تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهارا ولا يستقر فيها. واحتج بصنيع أبى الدرداء فى خروجه عن أرض معاوية حين أعلن بالربا، فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها. (١)

فإن قيل : فقد قال الله تعالى { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } وقال : { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } وهذا يوجب ألا يؤخذ أحد بذنب أحد ، وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب؟ فالجواب أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على كل من رآه أن يغيره ، فإذا سكت عليه فكلهم عاص؛ هذا بفعله وهذا برضاه ، وقد جعل الله فى حكمه الراضى بمنزلة العامل؛ فانتظم فى العقوبة. (٢)

وقال بعض العلماء : وذكر القسطلانى " أن علامة الرضا بالمنكر عدم التألم من الخلل الذى يقع فى الدين بفعل المعاصى ، فلا يتحقق كون الإنسان كارها له ، إلا إذا تألم للخلل

(١) - الوسيط لسيد طنطاوي ٦ / ٧٨ . مرجع سابق .

(٢) - تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣٩١-٣٩٣ . مرجع سابق .

الذى يقع فى الدين ، كما يتألم ويتوجع لفقد ماله أو ولده . فكل من لم يكن بهذه الحالة ، فهو راض بالمنكر ، فتعمه العقوبة والمصيبة بهذا الاعتبار .(١)

**المطلب الخامس عشر :** (مَن كفر بالله من بعد إيمانه، إلا مَن أُكْرِهَ وقلبه مطمئن بالإيمان) ، نزلت فى عمار بن ياسر، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه وأمه وغيرهم فعذبوهم، وقتلوا أباه وأمه، وأما عمار فوافقهم وكفر بمحمد وقلبه كاره. فأتى عمارُ محمداً وهو يبكي فقال له محمد: كيف وجدت قلبك؟ قال: مطمئناً بالإيمان فجعل محمد يمسح عينيه وقال: إن عادوا فعُدْ لهم بما قلت (الرازي فى تفسير هذه الآية). يعنى يجوز الكفر باللسان إذا كان فى القلب الإيمان ، وهذا تعليم فاسد، فهل يرضى الله بالشرك به باللسان؟ قال المسيح: لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدر أن يقتلها، بل خافوا بالحري من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم... مَن ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذى فى السموات (متى ١٠ : ٢٨ ، ٣٣)

الرد :

{من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم} [النحل: ١٠٦]

الحق سبحانه وتعالى سبق وأن تحدث عن حكم المؤمنين وحكم الكافرين، ثم تحدث عن الذين يخلفون العهد ولا يوفون به، ثم تحدث عن الذين افتروا على رسول الله والذين كذبوا بآيات الله، وهذه كلها قضايا إيمانية كان لا بد أن تثار، وفي هذه الآية الكريمة يوضح لنا الحق سبحانه وتعالى أن الإيمان ليس مجرد أن تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فالقول وحده لا يكفي ولا بد وأن تشهد بذلك، ومعنى تشهد أن يواطئ القلب واللسان كل منهما الآخر فى هذه المقولة.

والمأمل لهذه القضية يجد أن القسمة المنطقية تقتضى أن يكون لدينا أربع حالات:

الأولى: أن يواطئ القلب اللسان إيجاباً بالإيمان؛ ولذلك نقول: إن المؤمن منطقي فى إيمانه؛ لأنه يقول ما يضمرة قلبه.

(١) - تفسير القاسمى ج ٥ ص ٢٧٧. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ ، المحقق: محمد باسل عيون السود

الثانية: أن يواطئ القلب اللسان سلباً أي: بالكفر، وكذلك الكافر منطقي في كفره بالمعنى السابق.

الثالثة: أن يؤمن بلسانه ويضمّر الكفر في قلبه، وهذه حالة المنافق، وهو غير منطقي في إيمانه حيث أظهر خلاف ما يبطن ليستفيد من مزايا الإيمان.  
الرابعة: أن يؤمن بقلبه، وينطق كلمة الكفر بلسانه.

وهذه الحالة الرابعة هي المرادة في هذه الآية. فالحق تبارك وتعالى يعطينا هنا تفصيلاً لمن كفر بعد إيمان، وما سبب هذا الكفر؟ وما جزاؤه؟

قوله: {من كفر بالله من بعد إيمانه .. "١٠٦"} [سورة النحل]

هذه جملة الشرط تأخر جوابها إلى آخر الآية الكريمة، لتقف أولاً على تفصيل هذا الكفر، فإما أن يكون عن إكراه لا دخل للإنسان فيه، فيجبر على كلمة الكفر، في حين قلبه مطمئن بالإيمان.

{من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان .. "١٠٦"} [سورة النحل]  
ثم سكت عنه القرآن الكريم ليدلنا على أنه لا شيء عليه، ولا بأس أن يأخذ المؤمن بالتقية، وهي رخصة تقي الإنسان موارد الهلاك في مثل هذه الأحوال. وفي تاريخ الإسلام نماذج متعددة أخذت بهذه الرخصة، ونطقت كلمة الكفر وهي مطمئنة بالإيمان. وفي الحديث الشريف: "رفع عن أمي: الخطأ، والنسيان، وما استكروها عليه".

ويذكر التاريخ أن ياسر أبا عمار وزوجه سمية أول شهيدين في الإسلام، فكيف استشهدا؟ كانا من المسلمين الأوائل، وتعرضوا لكثير من التعذيب حتى عرض عليهم الكفار النطق بكلمة مقابل العفو عنهما، فماذا حدث من هذين الشهيدين؟ صدعاً بالحق وأصراً على الإيمان حتى نالا الشهادة في سبيل الله، ولم يأخذا برخصة التقية.  
وكان ولدهما عمار أول من أخذ بها، حينما تعرض لتعذيب المشركين.

وقد بلغ رسول الله ﷺ أن عمار بن ياسر كفر، فأنكر صلى الله عليه وسلم هذا، وقال: "إن إيمان عمار من مفرق رأسه إلى قدمه، وإن الإيمان في عمار قد اختلط بلحمه ودمه". فلما جاء عمار أقبل على رسول الله وهو يبكي، ثم قص عليه ما تعرض له من أذى المشركين، وقال: والله يا رسول الله ما خلصني من أيديهم إلا أني تناولتك وذكرت آلتهم

بخير، فما كان من النبي ﷺ إلا أن مسح دموع عمار بيده الشريفة وقال له "إن عادوا إليك فقل لهم ما قلت".

وقد أثارت هذه الرخصة غضب بعض الصحابة، فراجعوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: فما بال بلال؟ فقال: "عمار استعمل رخصة، وبلال صدع بالحق" ولاشك أن هاتين منزلتان في مواجهة الباطل وأهله، وأن الصدع بالحق والصبر على البلاء أعلى منزلة، وأسمى درجة من الأخذ بالرخصة؛ لأن الأول آمن بقلبه ولسانه، والآخر آمن بقلبه فقط ونطق لسانه الكفر.

لذلك، ففي حركة الردة حاول مسيلمة الكذاب أن يطوف بالقبائل لينتزع منهم شهادة بصدق نبوته، فقال لرجل: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: فما تقول في؟ فقال الرجل في لباقة: وأنت كذلك، يعني أخرج نفسه من هذا المأزق دون أن يعترف صراحة بنبوة هذا الكذاب.

فقابل آخر وسأله: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: وما تقول في؟ فقال الرجل متهكماً: اجهر لأني أصبحت أصم الآن، وأنكر على مسيلمة ما يدعيه فكان جزاؤه القتل. فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما قال: "أحدهما استعمل الرخصة، والآخر صدق بالحق.

وقد تحدث العلماء عن الإكراه في قوله تعالى:

{إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان .. "١٠٦"} [سورة النحل]

وأوضحوا وجوه الإكراه وحكم كل منها، على النحو التالي:

إذا أكره الإنسان على أمر ذاتي فيه. كأن قيل له: اشرب الخمر وإلا قتلتك أو عذبتك قالوا: يجب عليه في هذه الحالة أن يشربها وينجو بنفسه؛ لأنه أمر يتعلق به، ومن الناس من يعصون الله بشرها. فإن قيل له: اكفر بالله وإلا قتلتك أو عذبتك، قالوا: هو مخير بين أن يأخذ بالتقية هنا، ويستخدم الرخصة التي شرعها الله له، أو يصدع بالحق ويصمد.

. أما إذا تعلق الإكراه بحق من حقوق الغير، كأن قيل لك: اقتل فلاناً وإلا قتلتك، ففي هذه الحالة لا يجوز لك قتله؛ لأنك لو قتلته لقتلت قصاصاً، فما الفائدة إذن؟

وبعد أن تحدث الحق تبارك وتعالى عن حكم من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، يتحدث عن النوع الآخر: {ولكن من شرح بالكفر صدراً.. "١٠٦"} [سورة النحل] أي: نطق كلمة الكفر راضياً بها، بل سعيدة بها نفسه، منشرحاً بها صدره، وهذا النوع هو المقصود في جواب الشرط {فعلبيهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم "١٠٦"} [سورة النحل] فإن كانت الآيات قد سكتت عمن أكره، ولم تجعل له عقوبة لأنه مكره، فقد بينت أن من شرح بالكفر صدراً عليه غضب من الله أي: في الدنيا. ولهم عذاب عظيم أي: في الآخرة. وكما رأينا في تاريخ الإسلام نماذج للنوع الأول الذي أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، كذلك رأينا نماذج لمن شرح بالكفر صدراً، وهم المنافقون، ومنهم من أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، ومنهم عبد الله ابن سعد بن أبي السرح من عامر بن لؤي .

### المطلب السادس عشر : ( إكراه أو لا إكراه ) .

{ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم، أفأنت تُكره الناسَ حتى يكونوا مؤمنين} [يونس ٩٩] {قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله} [الأنفال ٨ : ٣٩] والسؤال : كيف تتفق آيات الإكراه وعدم الإكراه؟ في بداية دعوة محمد في مكة رأى أنه ليس من صالحه إعلان الحرب على خصومه. ولكن حينما استتب له الأمر في المدينة أعلن هذه الحرب، حتى قال في الحديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (متفق عليه مشكاة المصابيح حديث رقم ١٢). وغاية ما اعتذر به المسلمون عن هذا قولهم إن بعض هذه الآيات ناسخ للآخر .

الرد :

قوله: {قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله} [الأنفال ٨ : ٣٩]. تقول : القتال بسبب الفتنة وعليه لما بين تعالى أن هؤلاء الكفار إن انتهوا عن كفرهم حصل لهم الغفران، وإن عادوا فهم متوعدون بسنة الأولين، أتبعه بأن أمر بقتالهم إذا أصررو فقال: { وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً } قال عروة بن الزبير: كان المؤمنون في مبدأ الدعوة يفتنون عن دين الله، فافتتن من المسلمين بعضهم وأمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يخرجوا إلى الحبشة، وفتنة ثانية وهو أنه لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ بيعة العقبة، تأمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين بمكة عن دينهم، فأصاب المؤمنين جهد شديد، فهذا هو المراد من الفتنة، فأمر الله

تعالى بقتلهم حتى تزول هذه الفتنة. ومن وجه آخر، إن مبالغة الناس في حبهم أديانهم أشد من مبالغتهم في حبهم أرواحهم، فالكافر أبداً يسعى بأعظم وجوه السعي في إيذاء المؤمنين وفي إلقاء الشبهات في قلوبهم وفي إلقاءهم في وجوه المحنة والمشقة، وإذا وقعت المقاتلة زال الكفر والمشقة، وخلص الإسلام وزالت تلك الفتنة بالكلية.

{ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً } أي شرك أو إضلال لغيرهم، وفتن منهم للمؤمنين عن دينهم وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ أي يخلص التوحيد لله، فلا يعبد غيره، والآية السابقة لها تدل على المعنى { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ } قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بالحق لما جاءهم، من أهل مكة وغيرهم، قل لهم: إِنْ يَنْتَهُوا عن كفرهم وعداوتهم للمؤمنين يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ من كفرهم ومعاصيهم وَإِنْ يَعُودُوا إِلَى قِتَالِكَ وَيَسْتَمِرُوا فِي ضَلَالِهِمْ وكفرهم وطغيانهم، انتقمنا منهم،.. ثم أمر من الله - تعالى - للمؤمنين بقتال الكافرين { وقاتلوهم } إذا ما استمروا في كفرهم وطغيانهم. والمعنى: عليكم - أيها المؤمنون - إذا ما استمر أولئك الكافرون في كفرهم وعدوانهم، أن تقاتلوهم بشدة وغلظة، وأن تستمروا في قتالهم حتى تزول صولة الشرك، وحتى تعيشوا أحرارا في مباشرة تعاليم دينكم، دون أن يجرأ أحد على محاولة فتنتكم في عقيدتكم أو عبادتكم... (١)

وقوله { فَإِنْ انْتَهَوْا } أي: بقتالكم عما هم فيه من الكفر فكفوا عنهم وإن لم تعلموا بواطنهم فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لأسامة لما علا ذلك الرجل بالسيف، فقال الرجل لا إله إلا الله، فضربه فقتله فذكر ذلك للرسول ﷺ فقال لأسامة: أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ فكيف تصنع «بلا إله إلا الله» يوم القيامة؟ فقال: يا رسول الله إنما قالها تعوذاً فقال. هلا شققت عن قلبه؟ وجعل يقول ويكرر عليه من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة، قال أسامة: حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ<sup>٢</sup>

أما ما جاء بسورة يونس لأهل الكتاب وليس للكفار، {ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم، أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين} [آية ٩٩]. واعلم أنه تعالى لما ذكر هذا الكلام قال: { أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } والمعنى أنه لا قدرة لك على

(١) - د. سيد طنطاوي، التفسير الوسيط (٩٨/٦) مرجع سابق، تفسير القاسمي "محاسن التأويل" (٢٩٢/٥) مرجع سابق.

(٢) - ابن كثير (٥٧/٤) مرجع سابق، والحديث في الصحيحين، صحيح البخاري برقم (٤٢٦٩) وصحيح مسلم برقم (٩٦).

التصرف في أحد، والمقصود منه بيان أن القدرة القاهرة والمشيمة النافذة ليست إلا للحق سبحانه وتعالى.

فقوله: { أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ } يعني إنما يقدر على إكراههم واضطرارهم إلى الإيمان هو لا أنت. وإيلاء الاسم حرف الاستفهام، وللإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه، وإنما الشأن في المكره من هو؟ وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه، لأنه هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان، وذلك غير مستطاع للبشر.

فالفارق كبير بين توجيه الخطاب من جهة المشركين الذين ينشرون الفتنة بين الناس وبين ما جاء بسورة يونس لأهل الكتاب والناس... فلا وجود للفتنة التي ينتج عنها قتال .

قدّم البخاري في صحيحه عدة روايات تشرح قوله: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } عن ابن عمر؛ أن رجلا جاءه فقال: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه... فإن الله تعالى يقول: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً }؟ قال ابن عمر: قد فعلنا على عهد النبي ﷺ إذ كان الإسلام قليلا وكان الرجل يفتن في دينه: إما أن يقتلوه، وإما أن يوثقوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة، فلما رأى أنه لا يوافقها فيما يريد، قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال ابن عمر: ما قولي في علي وعثمان؟ أما عثمان فكان الله قد عفا عنه، وكرهتم أن يعفو عنه، وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختنه -وأشار بيده- وهذه ابنته أو: بنته -حيث ترون. وروى عن سعيد بن جبير قال: خرج علينا ابن عمر، رضي الله عنهما، فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال: وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين، وكان الدخول عليهم فتنة، وليس بقتالكم على الملك (١). عن ابن عمر؛ أنه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا إن الناس قد صنعوا ما ترى، وأنت ابن عمر بن الخطاب، وأنت صاحب رسول الله ﷺ، فما يمنعك أن تخرج؟ قال: يمنعني أن الله حرم علي دم أخي المسلم. قالوا: أو لم يقل الله: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ }؟ قال: قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدين كله لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله. (٢)

**والسؤال : هل صحيح أن الإسلام ضد حرية الاعتقاد؟**

١ - صحيح البخاري ح (٤٦٥٠ ، ٤٦٥١)

٢ - الحديث ذكره ابن كثير عن ابن مردويه وذكر زوايات وقصص عديده على الآية، راجع تفسير ابن كثير (٤ / ٥٦) مرجع سابق .

١ . كفل الإسلام للإنسان حرية الاعتقاد. وجاء ذلك في وضوح تام في القرآن الكريم: { لا إكراه في الدين } [البقرة: ٢٥٦] . فلا يجوز إرغام أحد على ترك دينه واعتناق دين آخر. فحرية الإنسان في اختيار دينه هي أساس الاعتقاد. ومن هنا كان تأكيد القرآن على ذلك تأكيدًا لا يقبل التأويل في قوله: { فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر } [٢ الكهف: ٢٩] .

٢ . وقد أقر النبي ﷺ الحرية الدينية في أول دستور للمدينة حينما اعترف لليهود بأنهم يشكلون مع المسلمين أمة واحدة. ومن منطلق الحرية الدينية التي يضمنها الإسلام كان إعطاء الخليفة الثاني عمر بن الخطاب للمسيحيين من سكان القدس الأمان " على حياتهم وكنائسهم وصلبانهم، لا يضار أحد منهم ولا يرغم بسبب دينه " .

٣ . لقد كفل الإسلام أيضًا حرية المناقشات الدينية على أساس موضوعي بعيد عن المهاترات أو السخرية من الآخرين. وفي ذلك يقول القرآن: { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن } [النحل: ١٢٥] . وعلى أساس من هذه المبادئ السمحة ينبغي أن يكون الحوار بين المسلمين وغير المسلمين، وقد وجه القرآن هذه الدعوة إلى الحوار إلى أهل الكتاب فقال: { قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله \* فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون } [آل عمران: ٦٤] . ومعنى هذا أن الحوار إذا لم يصل إلى نتيجة فلكل دينه الذى يقتنع به. وهذا ما عبرت عنه أيضًا الآية الأخيرة من سورة (الكافرون) التى ختمت بقوله تعالى للمشركين على لسان محمد ﷺ: { لكم دينكم ولى دين } [الكافرون: ٦] .

٤ . الاقتناع هو أساس الاعتقاد: فالعقيدة الحقيقية هي التي تقوم على الإقناع واليقين، وليس على مجرد التقليد أو الإرغام. وكل فرد حر في أن يعتقد ما يشاء وأن يتبنى لنفسه من الأفكار ما يريد، حتى ولو كان ما يعتقد أفكارًا إحادية. فلا يستطيع أحد أن يمنعه من ذلك طالما أنه يحتفظ بهذه الأفكار لنفسه ولا يؤذى بها أحدًا من الناس. أما إذا حاول نشر هذه الأفكار التي تتناقض مع معتقدات الناس، وتتعارض مع قيمهم التي يدينون لها بالولاء، فإنه بذلك يكون قد اعتدى على النظام العام للدولة بإثارة الفتنة والشكوك في نفوس الناس. وأى إنسان يعتدى على النظام العام للدولة في أى أمة من الأمم يتعرض للعقاب، وقد يصل الأمر في ذلك إلى حد تهمته الخيانة العظمى التي تعاقب عليها معظم الدول بالقتل. فقتل

المرتد في الشريعة الإسلامية ليس لأنه ارتد فقط ولكن لإثارته الفتنة والبلبله وتعكير النظام العام في الدولة الإسلامية. أما إذا ارتد بينه وبين نفسه دون أن ينشر ذلك بين الناس ويشير الشكوك في نفوسهم فلا يستطيع أحد أن يتعرض له بسوء، فالله وحده هو المطلع على ماتخفى الصدور.

وقد ذهب بعض العلماء المحدثين إلى أن عقاب المرتد ليس في الدنيا وإنما في الآخرة، وأن ما حدث من قتل للمرتدين في الإسلام بناء على بعض الأحاديث النبوية فإنه لم يكن بسبب الارتداد وحده، وإنما بسبب محاربة هؤلاء المرتدين للإسلام والمسلمين (١)

**المطلب السابع عشر : كل المخلوقات في السموات والأرض طائعة وقاتنة لله تعالى (٣٠ : ٢٦) . ومع ذلك نجد حالات كثيرة من عدم الطاعة من جانب البشر (مثلاً: ٦٩ : ١٠) .**

الجواب:

كل المخلوقات، في السموات والأرض، طائعة وقاتنة لله، سبحانه وتعالى: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} [الروم: ٢٦] . فهم قانتون لله، أي خاضعون ومطيعون لإرادته، سبحانه وتعالى . .

ومع ذلك يشهد الواقع، وتحكي الآيات القرآنية الكثير عن حالات العصيان وعدم الطاعة من جانب البشر. . وذلك من مثل قوله سبحانه: {وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً} [الحاقة: ٩-١٠] ، ففي هذه الآية وحدها إشارات إلى عصيان فرعون. . وعصيان من سبقه من المؤتفكات

- أي قرى قوم لوط - الذين أخذهم الله أخذة رابية، أي زائدة في الشدة على غيرها. .

بل إن تاريخ الإنسانية هو صراع بين أهل الطاعة وأهل العصيان. حتى أن المأثور النبوي الشريف قد تحدث عن أن كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون ، فكيف يتسق شيوع العصيان في البشر، مع الآية القرآنية التي تحدثت عن أن كل من في السموات والأرض قانتون - أي خاضعون ومطيعون - لله سبحانه وتعالى؟

إن مفتاح الإجابة عن هذا التساؤل، هو فهم أنواع الإرادة الإلهية والقضاء الإلهي . فالله سبحانه لا يريد العصيان، ولا يقضي بالشر . لكن إرادته وقضائه نوعان:

١ - إرادة وقضاء تكويني وحتمي للمخلوقات غير المخيرة . وذلك مثل القضاء الذي تحدث عنه الآية: {قُلْ أَتِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [فصلت: ١٢] . . ومن مثل: {بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [البقرة: ١١٧] . ففي هذا اللون من الأمر الإلهي والقضاء الرباني تكون المخلوقات غير المختارة مجبولة على القنوت والطاعة والخضوع لله سبحانه وتعالى .

٢ - إرادة وقضاء معهما تخير . وذلك خاص بالإنسان المخير . المكلف . المسئول . والذي له - بسبب هذا التخيير والحرية - حساب وجزاء .

وإلى مثل هذا تشير الآيات: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا} [الإسراء: ٢٣-٢٤] .

فنحن هنا أمام قضاء إلهي، شاء الله سبحانه وتعالى أن يترك للإنسان المخير إزاءه حرية الطاعة والعصيان، ليطهر الخبيث من الطيب، وليكون الجزاء وفق العمل والإرادة والاختيار . فالإنسان المخير، الذي هداه الله النجدين، له قدرات واستطاعات الطاعة والعصيان . ولذلك، كان من جنس الإنسان المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، ومن يبتغي وجه الله، ومن يبتغي غير دين الله . بينما المخلوقات غير المختارة مجبولة على الطاعة والخضوع {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران: ٨٣] ، {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ

وَالْأَصَالِ { (الرعد: ١٥) ، { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا  
أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } [فصلت: ١١] .

ففي مخلوقات الله مخلوقات مجبولة على الطاعة والخضوع . وفي هذه المخلوقات، منهم  
من يطيع ومنهم من يختار العصيان، فيبتغي غير دين الله! (١).

## المبحث الثاني

### تهم وطعون وإشكالات على الأنبياء في القرآن

#### فساد أنبياء الكتاب المقدس

---

(١) - حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٣٨ ، مجموعة من العلماء باشراف الدكتور محمود حمدي زقزوق ، الناشر وزارة الأوقاف المصرية  
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . القاهرة سنة ٢٠٠٢ . وهذا الرد كان للدكتور محمد عمارة .

الانبياء معلّموا البشر ومرشدوهم لما فيه خيرهم ، فمن المنطقي أن يكونوا قدوة فهم أتقى وأعقل البشر المختارين من السماء لأهل الأرض ليبلغوا رسالتها ووصاياها ويكونوا القدوة بالأفعال والأعمال فيتعلّم البشر منهم بشغف ومحبة ويطرسم خطاهم ، هؤلاء الرسل الذين يؤهلهم الله لرسالته لا بد من توافر صفات فيهم كحسن الخلق واللطافة والرحمة والتواضع والعقل السليم وعشق الله حتى يصبحوا المثل لغيرهم .

لكن ليس هنالك صفة من صفات التحقير والتدني والإسفاف والفساد لم يسم بها الكتاب المقدس أنبياءه ، فهم أحسن من الناس العاديين وأدنى منهم تقى ومعرفة بالله ، والناس العاديين أخلاقهم أرقى وأحسن ، فمنهم الزاني القذر والمتعري والقاتل والمجرم، ومنهم عابد الاوثان ومنهم شريب الخمر ، وأكثرهم جمع بين الأقدار كلها ، يدعو لشيء ويفعل مقابله كل القبائح .

تخيل معي أن الرسول الذى اختاره الله سبحانه وتعالى خبيث او سكير زاني كذاب خبيث النفس هل ستقبل منه كلام وتنفذه(كالوصايا العشر) هل سيكون لك القدوة هل ستتبعه هل تعتقد أن الله يختار نبي ورسول بهذه الصفات .

يحتوى الكتاب المقدس على الكثير من أفعال الأنبياء المفترية عليهم ، وعندما تقول هذا الكلام للنصراني يقول لك أن الانبياء في المسيحية وفي الكتاب المقدس ليسوا بمعصومين!! . لكن رد المسيح عليه السلام عليهم فقال كما فى انجيل متى : ( ٥ : ١٣ ) : ( انتم ملح الارض. ولكن ان فسد الملح فبماذا يملح . لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يطرح خارجا ويداس من الناس ... ) وكما هو واضح إنهم الملح الفاسد لذا فهم القدوة الفاسدة فبال تأكيد أن الأرض سوف تفسد والأقوام التي أرسلوا لها ستكون شديدة الفساد بتصرفاتهم وكذلك ( متى ٧ / ١٦ ) : ( من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنباً او من الحسك تيناً ، هكذا كل شجرة جيدة تصنع اثماراً جيدة. واما الشجرة الرديّة فتصنع اثماراً رديّة ، لا تقدر شجرة جيدة ان تصنع اثماراً رديّة ولا شجرة رديّة ان تصنع اثماراً جيدة ، كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار )

الشجرة الجيدة تطرح الثمر الجيد الصالح ، المليء بالخير ، والشجرة الفاسدة تطرح الخبث والشر ، فهل شجرة الانبياء فى الكتاب المقدس طرحت صلاح أم فساد

- ١- فهم أنبياء ... لكنهم عراة !!
- (تكوين ٩ : ٢٠) وشرب نوح من الخمر فسكر وتعزى داخل خبائه فأبصر حام عورة أبيه .  
وللعلم فقد لعنه أبوه وجعله عبد العبيد لأنه رآه "تناقض غريب"
- صموئيل ٢: (١٩ : ٢٣) وكان روح الله على شاول، فخلع هو أيضاً ثيابه وتنبأ هو أيضاً.  
فانطرح عرياناً ذلك النهار كله وكل الليل .
- ( صموئيل ٢: ٦ : ٢٠) ورقص داود أمام الناس وأمام الله .
- (قضاة ١٥ : ٥) وذهب وأمسك ثلاثمائة ثعلب وأخذ مشاعل ذنبا إلى ذنب ووضع  
مشعلاً بين كل ذنين في الوسط ثم أضرم المشاعل ناراً وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق  
الأكداس والزرع وكروم الزيتون .
- (قضاة ١٦ : ١) ثم ذهب إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها .
- اتخذ لنفسك زانية !! (هوشع ١ : ٢) أول ما كلم الرب هوشع قائلاً: اذهب خذ لنفسك  
امرأة زانية وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت " نفذ الأمر وتزوج عاهرة "
- (تك ٣٥ : ٢٢) (رأوبين ابن يعقوب يضاجع زوجة أبيه بلها التي كانت جارية (تك ٤٩ :  
٤). ووبّخه أبوه يعقوب قائلاً) : لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته، على  
الفرش صعدت.

## النبوة بين الكتاب المقدس والقرآن

الأنبياء اختارهم الله واصطفاهم لأشرف مهمة من بين سائر عبادهم { وَسَلِّمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ  
الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ } [النمل: ٥٩]، فهم أبتر أهل الأرض، وأكرمهم،  
وأجلهم، عصمهم الله من الكفر، ونزههم عن مقارفة الكبائر بتوقيفه وهدايته { كَذَلِكَ  
لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } [يوسف: ٢٤]، فالرسول على  
قدر المرسل.

لكنهم رغم عصمة الله لهم من الكبائر والחסائس - فإنهم كسائر بني آدم، بشر  
يصيبون ويخطئون، وينالهم ما يصيب غيرهم من عوارض البشرية، قال ابن بطال فإن المسلمين

"اختلفوا، هل يجوز وقوع الذنوب منهم؟ فأجمعت الأمة على أنهم معصومون في الرسالة، وأنه لا تقع منهم الكبائر .. وقال أهل السنة: جائز وقوع الصغائر من الأنبياء" (١).

وقد ذكر القرآن الكريم وقوع بعض الأنبياء في صغائر الذنوب، وذكر استغفارهم الله وتوبتهم منها، ومنه قوله تعالى عن أبينا آدم: {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} [طه: ١٢١ - ١٢٢]، وقوله على لسان إبراهيم عليه السلام: {وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ} [الشعراء: ٨٢]، وقوله عن النبي ﷺ: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح: ٢]، فهم بشر يخطئون، لكنهم ﷺ أعرف الناس برهم، وأخوفهم له، وأسرعهم إليه توبة، وأقلهم موقعة لمعصيته، ف"الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم، ونسبها إليهم، وعاتبهم عليها، وأخبروا بذلك عن نفوسهم، وتنصلوا منها، واستغفروا منها وتابوا .. وكل ذلك مما لا يزي بمراتبهم، وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة الندور [أي كانت نادرة]، وعلى جهة الخطأ والنسيان، أو تأويل دعا إلى ذلك، فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات، وفي حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم، وعلو أقدارهم؛ إذ قد يؤخذ الوزير بما يثاب عليه السائس، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة، مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة" (٢). وهذه الذنوب الصغائر يُغض عنها، فتطوى لندرتها؛ فإنها تغور في بحور حسنات الأنبياء الذين سبقوا إلى الله بالعمل الصالح {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: ٩٠].

وإزاء هذا التصور الإسلامي لمقام النبوة تثور مفاهيم باطلة؛ يزعم أصحابها فيها أن القرآن أساء فيها إلى أنبياء الله الكرام، وانتقص من أقدارهم، والعجب كل العجب أن هذه الغيرة المزعومة على الأنبياء صدرت ممن تطفح كتبه بنسبة الكفر والكبائر من الذنوب والإثم إلى الأنبياء، ففي توراتهم التي يؤمن بها كل من اليهود والنصارى أن نوحاً عليه السلام سكر وظهرت عورته أمام أبنائه (انظر التكوين ٩ / ٢٥ - ٢٦)، وأن لوطاً أسكرته ابنتاه، ووضعتا مخطط لمضاجعته، وأنجبتا منه : فحبلت ابنتا لوط من ابنيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب، وهو ابو الموآبيين الى اليوم والصغيرة ايضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمي. وهو ابو

(١) - شرح ابن بطال (٤٣٩ / ١٠) دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م وقد خالف الخوارج والمعتزلة أهل السنة والحق، فقالوا بعصمة الأنبياء عن الصغائر، كما شدَّ الرافضة حين ادعوا عصمة الأنبياء قبل النبوة.

(٢) - القرطبي (٢٥٥ / ١١). مرجع سابق .

بني عمون الى اليوم (انظر التكوين ١٩ / ٣٠ - ٣٧)، و نبي الله يهوذا يزيني بكنته ثامار زوجة ابنه لإصحاح ٣٨ ، و نبي الله أيوب يلعن ويحسد ويتمرد على الاله ويرفض رضى الله على الانسان - كيف يجعل الله هذه صفات لنبي من انبيائه : أيوب ( ١٠ : ١-١٦ ) فقال لربه وإن ارتفع تصطادني كأسد ثم تعود وتتجبر عليّ!!! وفيه مقاطع صراع فكري مع الله لا يمكن أن تخرج من أدنى الملحدين ، أما نبي الله هوشع هذا النبي المسكين الذى لا حول له ولا قوة الا تنفيذ امر الرب تماما فأول ما كلم الاله النبي هوشع أمره أن يتخذ امرأة زنى وينجب منها أولاد زنا - وهذا النص ليس رمزا لأنه بالفعل فعل ما أمره الرب به - فهل الرب يرشد نبيه للزنى ؟ هوشع ( ١:٢،٦ )

وأن هارون عليه السلام صنع العجل الذهبي لبني إسرائيل ليعبدوه من دون الله (انظر الخروج ٣٢ / ٢ - ٤)، وأنه وأخاه موسى - عليهما السلام - خانا الله (انظر التثنية ٣٢ / ٥١)، ولم يؤمنا به (انظر العدد ٢٠ / ١٢). فقد جعل الكتاب المقدس نبيا الله موسى وهارون خونة للرب الاله ، فهل تقدر أن تقول لك الله شيء وتفعل العكس وأنت لست بشرا عاديا بل نبي يوحى له من الله بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها امتعة فضة وامتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم. فتسلبون المصريين (خروج ٢٢/٣) ولا تخص التوراة النبي موسى بالأمر بقتل النساء والأطفال (انظر العدد ٣١ / ١٤ - ١٨)، بل تنسب هذا الفعل المريع الشنيع إلى وصيه النبي يوشع بن نون (انظر يشوع ٦ / ٢٠ - ٢٤)، وإلى نبي الله داود الذي تزعم الأسفار أنه لم يكتف بقتل النساء والأطفال، بل عمد إلى نشر أعدائه الفلسطينيين بالمناشير، وحطم عظامهم بالفؤوس قبل أن يحرقهم في الأفران (انظر صموئيل (٢) / ١٢ / ٣١) و (الأيام (١) / ٢٠ / ٣).

وقد نال هذا النبيّ الكريم الأواب (داود)، وابنه الحكيم سليمان النصيب الأكبر من الجرح والسوء، فيذكر سفر صموئيل أنه رقص حتى تكشفت عورته أمام عبده (انظر صموئيل (٢) / ٦ / ١٤ - ٢٠)، وأنه قتل مائتين من الفلسطينيين، وقطع عُلقهم ليقدمها مهراً لزوجته ميكال ابنة الملك شاول (انظر صموئيل (١) / ١٨ / ٢٧)، وأنه حين تولى الملك ضاجع زوجة قائده أوريا، فحبلت منه بسليمان، فدفع زوجها إلى الموت ليستر على فعلته (انظر صموئيل (٢) / ١١ / ٢ - ٢٦). ثم عاقبه الله : فقال له الرب. لأنك خدعتني وأخذت

امرأة أوريا الحتي: ها أنذا أقيم عليك الشر في بيتك وأخذ نسائك أمام عينيك وأعطيهم لقريبك ويضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس .. (صموئيل، ٢، ١٢: ١١) أما ابن داود فهو يزي باخته (صموئيل، ٢، ١٣: ١) وكان لأبشالوم امرأة جميلة اسمها تامار. فأحبها أمنون ومرض لعدم تمكنه منها لأنها عذراء. فنصحها أحد زملائه أن تظاهر بالمرض واضطجع على سريرك وقل لأبيك أن يرسل أختك تامار لتعتني به ويأكل من يدها. فأرسل داود إليه فأمر أمنون أن يخرج الجميع من غرفته إلا تامار. ثم قال لها: ائتي بالطعام إلى المخدع فأكل من يدك. فأحضرت الكعكة أمامه وأطعمته بيدها في المخدع. فأمسكها وقال لها: تعالي اضطجعي معي يا أختي.

وأما ابنه النبي الحكيم سليمان؛ ففي التوراة - التي يؤمن بها الطاعنون في القرآن الكريم - أن نساءه الوثنيات أمعن قلبه إلى آلهتهن في شيخوخته، فبنى معابد للأوثان، لتعبد فيها الأصنام من دون الله (انظر الملوك (١) ١١ / ٣ - ١١). أما نبي الله ابراهيم يفتري الكتاب المقدس على نبي الله ابراهيم ويصفه بشخص هدفه المصلحة ويقول عنه ما يسمى الكتاب المقدس أنه قدم امرأته لفرعون لينال الخير الوفير من المال والمواشي وأخذ فرعون المرأة لتكون زوجة له (تكوين ١٢ / ١١) ونبي الله اشعيا هذا النبي المسكين أمره الرب أن يخلع ملابسه وحذائه ويمشي عريانا وعورته كشفت أمام الناس فهل يامر الاله نبيه بهذا - هل يأمره أن يتعري ويكشف عورته - كيف سيكون القدوة ( اشعيا ٢٠ / ٢ ) فقال الرب كما مشى عبدي اشعيا معري وحافيا ثلاث سنين آية واعجوبة على مصر وعلى كوش ....

وهكذا، سلسلة طويلة لا تنتهي من الإساءات إلى أنبياء الله تمتلئ بها صفحات كتب الطاعنين في القرآن، الذي يقابلها جميعاً بقول الله للنبي ﷺ عن هؤلاء الأنبياء: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهْدَاهُمْ اِقْتَدِهْ} [الأنعام: ٩٠]. ولكن صدور تلك الإساءات إلى الأنبياء في كتب الطاعنين لن يكون كافياً في الدب عن القرآن الكريم، بل لابد من التعرض بالتفصيل والشرح والبيان لحقيقة هذه الأباطيل.

**الأباطيل المتوهمة المتعلقة بما في القرآن عن أنبياء الله تعالى**

## المطلب الأول : هل وقع آدم في الشرك؟

قالوا: القرآن ينسب الشرك إلى الأنبياء، فقد نسبته إلى آدم بقوله: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيئًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْ اللَّهَ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الأعراف: ١٩٠]، واستدلوا لذلك بما أورده المفسرون من حديث سمرة المرفوع إلى النبي ﷺ: «ولما ولدت حواء طاف بها إبليس - وكان لا يعيش لها ولد - فقال: سميه عبد الحارث؛ فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث، فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» (١). قالوا: والحارث اسم الشيطان حين كان في الجنة.

**والجواب:** القرآن يثني على آدم عليه السلام أعظم الثناء وأزكاه {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} (آل عمران: ٣٣)، ويؤكد هدايته واصطفاء الله له بعد توبته من أكل الشجرة {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} (طه: ١٢٢)، ولا يمكن لمن مدحه الله هذه المدحة أن يكون مشركاً بالله.

وأما ما ينقله المفسرون في كتبهم من روايات فيصدق فيها قول أبي حيان الأندلسي: "وذكروا في ذلك محاورات جرت بين إبليس وآدم وحواء لم تثبت في قرآن ولا حديث صحيح فأطرح ذكرها" (٢)، وقد أطبق العلماء على ضعف حديث سمرة الذي فيه أمر الشيطان لآدم بتسمية ابنه عبد الحارث، لأن في سنده الحسن يرويه عن سمرة بصيغة العنعنة، وهو مدلس، فلا تقبل روايته إلا إذا صرح بالتحديث، قال الذهبي: "كان الحسن كثير التدليس، فإذا قال في حديث: عن فلان، ضعف احتجاجه" (٣).

ولذلك حكم الألباني بضعف الحديث، لذلك فقد نقله ابن كثير في تفسيره مخالفاً للمروي في هذا الأثر: "قال [أي الحسن]: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم.. عنى بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده"، فقولوه هذا مبطل لما روي عنه.

ثم عقب ابن كثير بقوله: "وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رحمه الله، أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده

(١) - (أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٠٩)، مرجع سابق والترمذي ح (٣٠٧٧)).

(٢) - (البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٥/ ٢٤٦-٢٤٧). الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ المحقق: صدقي محمد جميل.

(٣) - (ميزان الاعتدال، الذهبي (١/ ٥٢٧). الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م

محفوظاً عن رسول الله ﷺ ، لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب، من آمن منهم، مثل: كعب أو وهب بن مُنَبِّه وغيرهما" (١).

ولو فرضنا جدلاً صحة القصة التي تنسب إلى آدم؛ فإن غاية ما تذكره القصة أن آدم وقع في شرك التسمية؛ حين سمي الولد "عبد الحارث"، ولكنه لم يقع في شرك العبادة، وبين النوعين فرق كبير، قال قتادة: "فأشركا في الاسم. ولم يشركا في العبادة" (٢). وقال القرطبي في شرحه: "قال المفسرون: كان شركاً في التسمية والصفة، لا في العبادة والربوبية .. إنهما لم يذهبا إلى أن الحارث ربهما بتسميتهما ولدهما عبد الحارث، لكنهما قصدا إلى أن الحارث كان سبب نجاته الولد، فسمياه به، كما يسمي الرجل نفسه عبد ضيفه على جهة الخضوع له، لا على أن الضيف ربه، كما قال حاتم طيء:

وإني لعبد الضيف ما دام ثاوياً ... وما فيّ إلا تيك من شيم العبد" (٣).

جمهور المفسرين يرون أن قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيئاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَّعَاؤُا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحاً لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} مقصود به آدم وزوجه، ثم انتقلت الآية للحديث عن ذريته وما وقعوا فيه من الشرك بالأصنام، وهذا التفسير مشهور عند العلماء، نقله المفسرون ومنهم ابن عجيبة بقوله: " {فلما آتاها} ولداً {صالحاً} كما سألا، جعل أولادهما {لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا}، فسموا عبد العزى وعبد مناف وعبد الدار. فالآية إخبار بالغيب في أحوال بني آدم ممن كفر منهم وأشرك، ولا يصح في آدم وحواء هذا الشرك؛ لعصمة الأنبياء، وهذا هو الصحيح. وقد يُعاتبُ الملكُ الأب على ما فعل أولاده، كما إذا خرجوا عن طاعته فيقول له: أولادك فعلوا وفعلوا، على عادة الملوك" (٤).

وهذا المعنى للآية منقول عن جملة من التابعين، منهم عكرمة القائل: "لم يخص بها آدم، ولكن جعلها عامة لجميع الناس بعد آدم" (٥)، ومنهم الحسن البصري الذي يقول:

(١) - (ابن كثير ٣/ ٥٢٧). مرجع سابق . تكلم ابن كثير على هذا الأثر كثيراً راجع كلامه فهو مميز .

(٢) - (الطبري ١٣/ ٣١٢). مرجع سابق .

(٣) - (١)، القرطبي (٧/ ٣٣٩)، وانظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (١٦١) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان المحقق: إبراهيم شمس الدين ، وزاد المسير، ابن الجوزي (٢/ ١٧٦). الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ ، المحقق: عبد الرزاق المهدي .

(٤) - (البحر المديد، ابن عجيبة (٢/ ٢٩٣). الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة الطبعة: ١٤١٩ هـ المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان

(٥) - (ذكره سعيد بن منصور في سننه (٥/ ١٧٤).

"كان هذا في بعض أهل الملل وليس بآدم"، وكان يقول: "هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا" (١).

ويرى المفسرون ومنهم البغوي في تفسيره أن في الآية محذوفاً في قوله: {جعلاً له}: "راجع إلى جميع المشركين من ذرية آدم .. أي: جعل أولادهما له شركاء، فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم؛ كما أضاف فعل الآباء إلى الأبناء في تعبيرهم بفعل الآباء فقال: {ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَل} [البقرة: ٥١]، {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا} [البقرة: ٧٢]، خاطب به اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ، وكان ذلك الفعل من آباءهم" (٢). والالتفات في الخطاب من آدم إلى بنيه من غير التنبية على فصل في الحديث معهود في القرآن، وأمثله كثيرة، ذكر السيوطي بعضها بعد أن نقل الآثار السابقة وغيرها من تفسير ابن أبي حاتم (٣).

ومن صوره ما جاء في قصة آدم {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٣ - ١٢٤]، فالحديث في أول الآية موضوعه آدم وحواء {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا}، ثم انتقل بلا فصل للحديث عن ذريته {بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}.

ومما يشهد لصحة هذا التأويل (الانتقال في الخطاب إلى بني آدم) ويدل عليه قوله تعالى في آخر السياق: {فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} [الأعراف: ١٩١] وما بعدها، فقد انتقل من الحديث عن الاثنين (آدم وحواء) إلى الحديث عن الجمع (ذريته).

والسياق أيضاً بيّن وواضح في أن المقصود من الشرك عبادة الأصنام؛ لا عبادة الشيطان المذكورة في قصة آدم {وَلَا يَسْتَطِيعُونَ هُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الأعراف: ١٩٢ - ١٩٤)،

(١) - (الطبري (١٣/٣١٥). مرجع سابق .

(٢) - (معالم التنزيل، البغوي (٢/٣٣٨) دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض ط١، ١٤١٦هـ، وانظر: زاد المسير، ابن الجوزي (٢/١٧٧)، والبحر المحيط، ابن

حيان (٥/٢٤٥-٢٤٧)، والكشاف، الزمخشري (٢/١٨٦ - ١٨٧)، ومفاتيح الغيب، الرازي (١٥/٤٢٩) دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١٤٢٠هـ

(٣) - انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم (٥/١٦٣٤ - ١٦٣٥) الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية ط٣ - ١٤١٩هـ، والإنتقان في علوم

القرآن، السيوطي (١/٣١٠). الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م

فهذا كله في عبادة الأصنام لا الشياطين. ويدل عليه أيضاً قوله: {أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ}، فقوله {مَا} يبين أن المتحدث عنه مما لا يعقل، وهو الأصنام، ولو كان المتحدث عنه الشيطان لقال: (أيشركون من لا يخلق). (١)

**المطلب الثاني :** يوضح القرآن أن الله لا يغفر أن يشرك به [النساء / ٤٨]. ومع ذلك فقد غفر الله لإبراهيم، عليه السلام، بل جعله نبياً رغم أنه عبد النجوم والشمس والقمر [الأنعام ٨٦-٧٨]. والثانية : إن القرآن قال إن إبراهيم شك في ربه ؟

فالقرآن أساء إلى أبي الأنبياء إبراهيم الخليل، حين اتهمه بالشك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، {وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي} [البقرة: ٢٦٠]. كما نقل عنه أنه قال بربوبية الشمس والقمر: {فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ... فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر} [الأنعام: ٧٧ - ٧٨].

**والجواب:** إبراهيم عليه السلام حسب القرآن هو المثال الأعلى للمؤمنين، فقد اصطفاه الله {إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين} (آل عمران: ٣٣)، وأمر عز وجل بالتزام دينه {قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين} [آل عمران: ٩٥]، فدينه أحسن الأديان ، كما أمر القرآن بالتأسي به {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله { الممتحنة: ٤}، ففي هذه الآيات وغيرها من بيان فضل إبراهيم الخليل ما يقطع قول كل خطيب.

وأما الشك في الإيمان فهو منفي عن إبراهيم الخليل ، بدليل قوله تعالى: {قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي} [البقرة: ٢٦٠]، فقد آمن عليه الصلاة والسلام بقدرة الله على الإحياء، وانعقد قلبه على ذلك، وسؤاله لرؤية عملية الخلق فعل حسن أراد أن يترقى به في معارج الإيمان؛ بالانتقال من حال علم اليقين، وهي حالة ذهنية متيقنة إلى حال عين اليقين،

(١) - (تفسير مفاتيح الغيب، الرازي (١٥/ ٤٣٠)، ويجوز أن تستخدم (ما) للعقل، لكن ما سقته هو الأغلب عند العرب. و "تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين" منقذ بن محمود السقار (ص ١٤٠ - ١٤٥) مرجع سابق .

أي مشاهدته، فسؤاله طلب ليقين بعد يقين. وقد نفى ﷺ الشك عن إبراهيم بقوله: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» (١)، أي أنه منزّه عنه كتنزيه النبي ﷺ عنه.

وأما قول الخليل عن الشمس والقمر أنّها ربه؛ فكان من باب تبكيت الخصم وإقامة الحجة عليهم، فقد يقول المجادل مالا يعتقد في إقامة الحجة والبرهان على مجادله ومناظره، قال الرازي: "هذه المباحثة إنما جرت مع قومه لأجل أن يرشدهم إلى الإيمان والتوحيد، لا لأجل أن إبراهيم كان يطلب الدين والمعرفة لنفسه". وقوله عليه السلام عن الشمس والقمر والكوكب: {هذا ربي} إنما هو نوع من التدرج في إبطال ربوبيتها بدليل قوله تعالى في السياق: {وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه} [الأنعام: ٨٢].

وقد ذكر الرازي وجوها في توجيه قول إبراهيم عليه السلام منها " أنه ﷺ أراد أن يبطل قولهم بربوبية الكواكب، إلا أنه عليه السلام كان قد عرف من تقليدهم لأسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل؛ أنه لو صرح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه، فمال إلى طريق به يستدرجهم إلى استماع الحجة، وذلك بأن ذكر كلاما يوهم كونه مساعدا لهم على مذهبهم بربوبية الكواكب، مع أن قلبه صلوات الله عليه كان مطمئنا بالإيمان، ومقصوده من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطاله وإفساده وأن يقبلوا قوله، وتمام التقرير أنه لما لم يجد إلى الدعوة طريقا سوى هذا الطريق، وكان عليه السلام مأمورا بالدعوة إلى الله كان بمنزلة المكره على كلمة الكفر" (٢).

وقال ابن القيم: "قيل: إنّها على وجه إقامة الحجة على قومه، فتصور بصورة الموافقة ليكون أدهى إلى القبول، ثم توسل بصورة الموافقة إلى إعلامهم بأنه لا يجوز أن يكون المعبود ناقصا أفلا" (٣)، فكل أحد يعلم أن الشمس ستغيب آخر النهار وكذلك الكوكب، وقوله: {فلما أفل قال لا أحب الآفلين} [الأنعام: ٧٦]، ليس لظوء علم جديد على إبراهيم، بل لتبكيت المشركين عبدة الشمس والكواكب بعد إظهار الموافقة على سبيل الجدل والتنزل مع المخالف.

(١) - (البخاري ح ٣٢٧٢)، ومسلم ح (١٥١).

(٢) - (الرازي ١٣/٤٠ - ٤١). مرجع سابق.

(٣) - (مدارج السالكين، ابن القيم ٣/٦٣). الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

والعودة الفاحصة للآيات تكشف لكل حصيف ما تتضمنه الآيات من تعظيم إبراهيم لله عز وجل دون سواه: { فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتجاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتينها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم } [الأنعام ٧٧ - ٨٣].

الآيات تحكي كيف أتى الله إبراهيم الحجة على قومه. . حجة التوحيد، ودحض الشرك. . فهي حجاج وحوار يسلم فيه إبراهيم جداراً - كشأن حوار الفلاسفة والمفكرين - بما يشركون ؛ لينقض هذا الشرك، ويقيم الحجة على تهاوي ما به يحتجون، وعلى صدق التوحيد المركوز في فطرته. . ليخلص من هذا الحوار والحجاج والاحتجاج إلى أن الخيار الوحيد المتبقي - بعد هذه الخيارات التي سقطت - هو التوحيد. . فهو حوار التدرج من توحيد الفطرة إلى التوحيد القائم على المنطق والبرهان والاستدلال، الذي فند دعاوى وحجج الخصوم. . الاستدلال اليقيني - { وليكون من الموقنين } - وليس فيه انتقال من الشرك إلى التوحيد. . تلك هي الحقيقة التي يراها الإنسان السوي في النص فهو ينتقل بهم من حال الطفولية العقلية إلى الرشد العقلي فهو ( إنما قال " هذا ربي " لتقرير الحجة على قومه فأظهر موافقتهم ؛ فلما أفل النجم قرر الحجة وقال: ما تغير لا يجوز أن يكون ربا. وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويحكمون بها. وقال النحاس: ومن أحسن ما قيل في هذا ما صح عن ابن عباس أنه قال في قول الله عز وجل: " نور على نور " [النور: ٣٥] قال: كذلك قلب المؤمن يعرف الله عز وجل ويستدل عليه بقلبه، فإذا عرفه أزداد نورا على نور؛ وكذا إبراهيم عليه السلام عرف الله عز وجل بقلبه واستدل عليه بدلائله، فعلم أن له ربا وخالقا. فلما عرفه الله عز وجل بنفسه ازداد معرفة فقال: " أتجاجوني في الله وقد هدان " [الأنعام: ٨٠]. .

وقيل: هو على معنى الاستفهام والتوبيخ، منكرًا لفعلهم. والمعنى: أهذا ربي، أو مثل هذا يكون ربا؟ فحذف الهمزة. وفي التنزيل " أفإن مت فهم الخالدون " [الأنبياء: ٣٤] أي أفهم الخالدون؟ ... " ١

يقول الزمخشري في كشافه في تفسير هذه الايات: "وكان أبوه آزر وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤدّ إلى أن شيئاً منها لا يصحّ أن يكون إلهاً، لقيام دليل الحدوث فيها، وأن وراءها محدثاً أحدثها، وصانعاً صنعها، مدبراً دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها.

{ هَذَا رَبِّي } قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه. لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب، ثم يكرّر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة.

{ لَا أُحِبُّ ؟ لِأَفَلِينَ } لا أحبّ عبادة الأرباب المتغيرين من حال إلى حال، المتنقلين من مكان إلى آخر، المحتجين بستر، فإنّ ذلك من صفات الأجرام.

{ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي } تنبيه لقومه على أنّ من اتخذ القمر إلهاً وهو نظير الكوكب في الأفول، فهو ضال، وأنّ الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه.

{ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ؟ لَسَمَ؟ وَ؟ لِأَرْضَ } أي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدؤها ومبتدعها. (٢) واختصرها الشيخ عبد الوهاب النجار في (قصص الأنبياء) بقوله: "لقد أتى إبراهيم في الاحتجاج لدينه وتزييف دين قومه بطريقة التدرج في الإلزام، أو التدرج في تكوين العقيدة. " (ص ٨٠). .. ذلك هو موقف إبراهيم الخليل، عليه السلام، من الشرك. . لقد عصمه الله منه. . وإنما هي طريقة في الجدل يتدرج بها مع قومه، منطلقاً من منطلقاتهم ؛ ليصل بهم إلى هدم هذه المنطلقات، وإلى إقامة الدليل العقلي على عقيدة التوحيد الفطرية المركوزة في القلوب.(٣)

(١) - ((الجامع لأحكام القرآن) ج ٧ ص ٢٥، ٢٦. مرجع سابق .

(٢) - ((الكشاف) ج ٢ ص ٤٠) مرجع سابق .

(٣) - حقائق الاسلام مقابل شبهات المشككين مجموعة من العلماء ، وزارة الأوقاف المصرية شبهة رقم (٣٦) مرجع سابق ، وكتاب تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى

المبطلين منقذ بن محمود السقار (ص ١٤٧) مرجع سابق

## المطلب الثالث : هل شك يونس عليه السلام في قدرة الله؟

قالوا: القرآن يتهم النبي يونس بأنه شك في قدرة الله، وهذا كفر، فحين أرسله الله إلى أهل نينوى لم يذهب إليهم، وذهب إلى البحر {وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه} [الأنبياء: ٨٧].

**والجواب:** أن القارئ لن يجد كتابا عند أمة من الأمم يعظم الأنبياء كما عظمهم القرآن الكريم، فهو الكتاب الوحيد الذي ينزه الأنبياء عن الكبائر والنقائص، فضلا عن الكفر والشرك بالله تعالى. وقد فضل الله يونس مع إخوانه الأنبياء على العالمين: {وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين} [الأنعام: ٨٦].

وإنما أتى القائل لهذه الشبهة من سوء فهمه للآية، فليس مقصودها أن يونس ظن أنه معجز الله بهربه، بل المعنى أنه ظن أن الله لن يقدر عليه، أي لن يضيق عليه ويلومه في ترك قومه حين لم يستجيبوا لدعوته، فهي كقول الله تعالى: {ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله} [الطلاق: ٧] أي ضيق عليه، ومثله قوله تعالى: {الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر} [الرعد: ٢٦]، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس وعن غيره من التابعين (١). وحفاظا على منزلة يونس بن متى في قلوب المؤمنين نهى النبي ﷺ عن تفضيل المرء نفسه على هذا النبي الكريم: «لا ينبغي لعبد أن يقول إنه خير من يونس بن متى» وفي رواية: «من قال: أنا خير من يونس بن متى؛ فقد كذب» (٢)، فثبت بذلك براءة القرآن من فرية الإساءة إلى يونس عليه السلام.

## المطلب الرابع :

### همّ يوسف عليه السلام !!

قالوا: نسب القرآن إلى الصديق يوسف عليه السلام الهم في الخطيئة مع زوجة العزيز {ولقد همّت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه} [يوسف: ٢٤]، وقالوا: تمتلئ كتب التفسير بصور مشينة لهذا الهم الفاسد الذي لا يليق بنبي كريم.

(١) - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (٢٢٩، ٢٣٣). مرجع سابق

(٢) - البخاري ح (٣٩٦). و (البخاري ح (٤٦٠٤).

**والجواب:** لو قرأ الطاعنون في القرآن تمام الآية المستشكلة لأدركوا منزلة يوسف الصديق وعصمة الله إياه من الذنب: { كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين } [يوسف: ٢٤]. وقد شهدت امرأة العزيز له بالخيرية والعصمة بقولها: { ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين } [يوسف: ٣٢]. ولئن همت امرأة العزيز بالفاحشة؛ فإن يوسف عليه السلام لم يقع منه أهم أصلا؛ وهذا منطوق الآية لمن فهم لغة العرب وطرائقهم في البيان، فالآية تثبت لامرأة العزيز أهم { ولقد همت به }، لكنها تنفي أهم بالمعصية عن الصديق يوسف { وهم بها لولا أن رأى برهان ربه }، و (لولا) عند العرب تفيد امتناعا لوجود، أي لم يحصل الفعل لوجود ما منعه، فلم يتحقق أهم بالخطيئة لأنه رأى برهان ربه.

قال أبو حاتم: "كنت أقرأ على أبي عبيدة غريب القرآن، فلما أتيت على { ولقد همت به وهم بها } قال: هذا على التقديم والتأخير، كأنه قال: ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها" (١). ومثله في قول الله تعالى عن أم موسى: { إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها } (القصص: ١٠)، فهي لم تبد لهم بحقيقة أمومتها لموسى؛ لأن الله ربط على قلبها، وكذلك لم يهيم يوسف بالمعصية لأنه رأى برهان ربه. ومثله أيضا في قول الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم -: { ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا } [الإسراء: ٧٤]، فالركون لم يقع منه ﷺ لوجود التثبيت من الله، وكذلك أهم لم يقع من يوسف عليه السلام لوجود برهان الله أي تثبيته وعصمته.

ومثله في كلام الناس معروف: لقد رسبت لولا أني درست، فهو يفيد - في ذهن السامع - النجاح لا الرسوب، وأن ذلك سببه الدراسة. قال أبو حيان: "والذي اختاره: أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان، كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله .. ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على العصمة، وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما يشين" (٢).

ثم لو فرضنا وقوع أهم بالفاحشة من الصديق يوسف؛ فإن أهم في لغة العرب حديث النفس بمواقعة أمر، فإن كان أهم في أمر حسن فهو حسن، وإن كان في أمر سوء لم يكن

(١) - (فتح القدير، الشوكاني (٣ / ٢١). الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ

(٢) - (أبو حيان الأندلسي (٦ / ٢٥٧)، وانظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة (٢ / ٦٨٥). الناشر: دار الحديث، القاهرة

سوءاً إلا بترقيهم إلى العزم أو الفعل (١) ، وإلا كان تركه لله سبباً في اكتساب الحسنات والمنزلة عند الله، يقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه؛ حتى يعملها، فإن عملها فاعتبها بمثله، وإن تركها من أجلها فاعتبها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاعتبها له حسنة، فإن عملها فاعتبها له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف» (٢)، فلو وقع هم بالسوء من يوسف فهو له حسنة، لأنه لم يترق إلى فعل، فقد تركه لله وخوفاً منه «وإن تركها من أجلها فاعتبها له حسنة».

وأخيراً فإن ما ورد في بعض كتب التفسير من أقوال في هم يوسف لم يصح منه شيء عن النبي ﷺ ، وهي ومثلها من الإسرائيليات كثير في كتبهم التي لم تخل من أساطير أهل الكتاب وحكاياتهم؛ الغث منها والسمين، ورحم الله أبا حيان الأندلسي فقد أصاب وأجاد في قوله: "طول المفسرون في تفسير هذين الهمين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق .. وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضاً، مع كونها قاذحة في بعض فساق المسلمين، فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة .. وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب ومساق الآيات" (٣).

وأما الشيخ ابن تيمية، فيرى أن هذه القصص المكذوبة المروية في كتب المسلمين من مرويات وقصص أهل الكتاب "وما ينقل من أنه حل سراويله وجلس مجلس الرجل من المرأة، وأنه رأى صورة يعقوب عاضاً على يده وأمثال ذلك، فهو مما لم يخبر الله به ولا رسوله، وما لم يكن كذلك فإنما هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذباً على الأنبياء، وقد حاشاهم، وكل من نقله من المسلمين فعنهم نقله، لم ينقل من ذلك أحد عن نبينا ﷺ

---

(١) - الفعل على ست مراتب (الخاطر ثم الهاجس ثم حديث النفس ثم الهم ثم العزم ثم الفعل)، فأما الخاطر والهاجس وحديث النفس فلا يكتبون على العبد؛ لا في الخير، ولا في الشر، كما قال - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به» أخرجه مسلم ح (١٢٧)، وأما الهم فلا يكتب في الشر بمجرد الهم، ويكتب خيراً إن هم العبد بأمر الخير أو ترك هم السوء، وأما العزم فيكتب بالخير والشر؛ ولو لم يقع الفعل لعزم القلب عليه، ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إذا التقى المسلمان بسيفيهما؛ فالقاتل والمقتول في النار»؛ فقلت [أي أبو بكر - رضي الله عنه - راوي الحديث]: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟! قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه» أخرجه البخاري ح (٣٧). عن تنزيه القرآن للسقار ١٤٩-١٥٠.

(٢) - (البخاري ح (٧٥٠١)، ومسلم ح (١٢٩)، واللفظ للبخاري.

(٣) - (البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٦ / ٢٥٨). مرجع سابق

حرفاً واحداً" (١). وهكذا يستبين لكل منصف براءة القرآن من المعاني الباطلة التي حاكها الأفاكون بجهلهم أو بتعاميهم عن معاني الآيات القرآنية التي تعتبر هؤلاء الأنبياء خيرة الله في أرضه، كيف لا! وهم رسل الله الأطهار {وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار} [ص: ٤٧].

(٢)

## المطلب الخامس : هامان وزير فرعون خطأ تاريخي!؟

قالوا :جاء في القرآن أن هامان كان وزيراً لفرعون. وهذا خطأ تاريخي؛ لأن هامان كان وزيراً لأحشويرش ملك الفرس في مدينة بابل. وبين فرعون وأحشويرش زهاء ألف سنة. على هذا قولهم : إن قارون يهودي، وفرعون مصري، وهامان فارسي فكيف قاوم هامان نبي الله موسى وهو لم يكن في زمانه؟ ((ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون )) (٦) سورة القصص .. الجواب :

باختصار: إن هامان ليس اسم شخص، وإنما هو لقب يدل على نائب الرئيس. وبهذا المعنى يكون هامان . أى النائب عن فرعون . قد قاوم نبي الله موسى عليه السلام. التفصيل :

أولاً : أن هذه الآيات قرئت وتليت على اليهود في زمن النبي ﷺ، وكان فيهم العلماء والأخبار فلم ينكر أحد منهم هذا الأمر. ومنهم العالم اليهودي عبد الله بن سلام الذي أسلم ودخل في دين الله . .

ثانياً : من أعلم المؤلف بأن هامان كان وزيراً لفرعون ؟ وهذا السؤال على معنى أن هامان اسم شخص. ولا أحد أعلمه بأن هامان اسم شخص إلا الرواة الذين لا يوثق بمروياتهم. وإذا أصر على أن هامان اسم شخص. فليسلم بأن فرعون اسم شخص. ومعلوم أنه لقب " الملك " كان لرئيس المصريين في زمن يوسف . عليه السلام . وأن لقب " فرعون " كان لرئيس المصريين في زمن موسى . عليه السلام . مما يدل على تغير نظام الحكم.

وإذا صح أن " هامان " لقب لكل نائب عن الملك ، لا اسم شخص. فإنه يصح أن يطلق على النائب عن فرعون أو عن أى ملك من الملوك. وعلى ذلك يكون معنى: (إن

(١) - (مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠/ ٢٩٧). الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية

عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

(٢) - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين ، منقذ بن محمود السقار ص ١٥٠ مرجع سابق

فرعون وهامان وجنودهما ) [القصص: ٨٠] هو إن رئيس مصر الملقب بفرعون ، ونائبه الملقب بهامان (وجنودهما كانوا خاطئين) ومثل ذلك: مثل لقب الملك الذي يطلق على رؤساء البلاد ؛ فإنه يطلق على رؤساء فارس واليونان ومصر واليمن وسائر البلاد ، ولا يتوجه على إطلاقه خطأ من أخطاء التاريخ.

وفي الإنجيل أن اليهود كانوا يطلقون لقب " المضل " على من يخالفهم في الرأي. وإذا أطلقه العبرانيون على رجل منهم يقولون له: يا سامري ، بدل قولهم يا مضل. وذلك لأنهم يعتبرون السامريين كفارا. وإذا أطلقه السامريون على رجل منهم يقولون له: يا عبراني ، بدل قولهم يا مضل. وذلك لأنهم يعتبرون العبرانيين كفارا. وإذا سمع العبراني عنهم كلمة " سامري " لا يفهم منها أنها اسم شخص ، وإنما يفهم منها أنها لقب للذم. وعن هذا المعنى جاء في إنجيل يوحنا أن علماء اليهود قالوا لعيسى . عليه السلام :: " إنك سامري ، وبك شيطان " ورد عليهم بقوله: " أنا ليس بي شيطان ، لكني أكرم أبي وأنتم تهينونني. أنا لست أطلب مجدى. يوجد من يطلب ويدين " [يو ٨: ٤٨-٥٠].<sup>(١)</sup>

ثالثا : ماذا تقول النقوش الهيروغليفية عن هامان ؟

المعلومات التي في القرآن الكريم حول مصر القديمة وحكامها تكشف العديد من الحقائق التاريخية التي لم تكن معلنة وغير معروفة حتى أوقات أخيرة . . .

هامان مذكور في القرآن في ستة أماكن مختلفة كأحد المقربين إلى فرعون بينما تذكر لنا التوراة أن هامان لم يذكر في حياة موسى عليه السلام على الإطلاق وأن هامان كان وزيرا وخليلا لأحشوريش ملك الفرس الذي يدعوه اليونان زركيس، وكثيرا من الذين يريدون أن يطعنوا في القرآن و يدعون أن محمد صلى الله عليه وسلم كتب القرآن بالنسخ من التوراة مع أن هناك اختلاف في بعض القصص منها شخصية هامان في القرآن والتوراة ، سخافة هذه الادعاءات عرضت فقط بعد فك طلاسم الأبجدية الهيروغليفية المصرية قبل ٢٠٠ سنة تقريبا وأسم هامان قد اكتشف في المخطوطات القديمة وقبل هذه الاكتشافات لم يكن شيء معروف عن التاريخ الفرعوني، ولغز الهيروغليفية تم حله سنة ١٧٩٩ باكتشاف حجر رشيد الذي يعود الى ١٩٦ قبل الميلاد وتعود أهمية هذا الحجر بأنه كتب بثلاث لغات : اللغة

(١) - حقائق الاسلام مقابل شبهات المشككين الشبهة رقم ٧٥ مجموعة من العلماء

المهروغليفية والديموقراطية واليونانية وبمساعدة اليونانية تم فك لغز المهروغليفية من قبل شامليون وبعدها تم معرفة الكثير حول تاريخ الفراعنة وخلال ترجمة نقش من النقوش المصرية القديمة تم الكشف عن أسم ( هامان ) وهذا الاسم أشير إليه في لوح أثري في متحف هوف في فينا وفي مجموعة من النقوش كشفت لنا أن هامان كان رئيس عمال محجر البناء

وها هي النقوش تكشف لنا حقيقة هامان بعكس ما ذكرته التوراة والإنجيل وردا على الزعم الخاطئ لمعارضى القرآن ، وهامان الشخص الذي عاش في مصر وفي وقت موسى والذي كان أقرب المقربين لفرعون كما ذكر القرآن لنا قال الله تعالى : { وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين } [القصص: ٣٨].

والنقطة المهمة المذكورة في القرآن هي أن هامان هو الشخص الذي أمره فرعون بأن يبني له صرحا ليتطلع لآله موسى وهنا يظهر إعجاز القرآن في حقيقة هامان والتي لم تعرف حقيقته إلا بعد فك رموز اللغة المهروغليفية بعكس التحريف الذي في التوراة والإنجيل الذي يذكر لنا بأنه كان وزيرا وخليلا لأحشوريش ملك الفرس (١).

جاء في كتاب اليهود بين القرآن و التوراة و معطيات العلم الحديث للأستاذ عبد الرحمن غنيم تحت عنوان هامان وفرعون ما يلي :

قال تعالى: { و قال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فأجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين } [سورة القصص : ٣٨] ، يخاطب فرعون وجهاء قومه الذين تمتلئ العيون من مهابتهم ، أنه يرى أنه لا إله غير فرعون ، فينادي هامان طالبا منه أن يبني له من الطين المحروق و هو القرميد بناء شاهقا ، ( لعلي أبلغ الأسباب ... فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا ).

تدل هذه الآية على عدة إعجازات غيبية :

١ . تأليه فرعون لنفسه : في قوله { ما علمت لكم من إله غيري } و الأبحاث الأثرية التي قامت حول الحضارة المصرية القديمة تؤكد أن الفراعنة منذ الأسرة الرابعة كانوا يصرحون ببنوتهم للإله رع الذي يمثل إله الشمس التي كان يعبدها قدماء المصريين ، بل إن اسم رع

(١) - معجزات القرآن للمؤلف هارون يحيى نسخة الكترونية عن موقعه راجع المصادر والمراجع الأجنبية على الموضوع .

دخل في ألقاب الفراعنة ، مثل " رع نب " أي الرب الذهبي و لعل أوضح دليل على تأليه الفراعنة لأنفسهم كما يقول بريستد عالم الآثار و التي حفظتها نصوص الأهرام هي أنشودة للشمس تربد فيها هوية الملك بإله الشمس ، إن هذه الأنشودة تخاطب مصر ، في تعداد طويل و رائع للمنافع التي تستمتع بها ، تحت حماية و سيادة إله الشمس ، فعلى ذلك يمنح فرعون مصر نفس المنافع ، ولهذا يجب أن يتسلم نفس الهبات من مصر ، و لذا الأنشودة بأكملها تعاد بوضع اسم فرعون أينما يجيء اسم رع أو حورس في الأنشودة الأصلية (١).

٢. الإعجاز الثاني هو استعمال الفراعنة الأجر في بناء الصروح : فقد طلب فرعون من هامان أن يبني له من الطين المحروق ( الأجر ) صرحا ، و هذا يعتبر من الإعجاز التاريخي للقرآن الكريم فقد ظل الاعتقاد السائد عند المؤرخين أن الأجر لم يظهر في مصر القديمة قبل العصر الروماني و ذلك حسب رأي المؤرخين مثل الدكتور عبد المنعم أبو بكر في كتابه الصناعات ، تاريخ الحضارة المصرية ص ٤٨٥ و الذي يرى في ذلك إشكال في رأيه و ما جاءت به الآيات السابقة التي تبين طلب فرعون من هامان أن يبني لي صرحا من الأجر أو الطين المحروق و ظل هذا هو رأي المؤرخين إلى أن عثر عالم الآثار بتري على كمية من الأجر المحروق بنيت به قبور ، و أقيمت به بعض من أسس المنشآت ، ترجع إلى عصور الفراعين رعمسيس الثاني و مرنتاح و سيتي الثاني من الأسرة التاسعة عشر (١٣٠٨ ١١٨٤ ق. م ) و كان عثوره عليها في : " نبيشة " و " دفنه " غير بعيد من بي رعمسيس ( قنطير ) عاصمة هؤلاء الفراعين في شرق الدلتا .(٢)

٣. أما الإعجاز الثالث هو الإشارة إلى أحد أعوان فرعون باسمه " هامان " فقد وجد العلماء الآثار هذا الاسم مكتوبا على نصب أحد فراعنة مصر القديمة و هذا النصب موجود في متحف هوف بفينا كما يؤكد هذا النص أن هامان كان مقربا من فرعون و قد ورد أيضا أسم هامان في " قاموس أسماء الأشخاص في المملكة الجديدة : Dictionary of Personal names of the New Kingdom وهو القاموس المستند على مجموعة المعلومات المستقاة من الكتابات المصرية القديمة و وردت الإشارة إلى هامان على أن رئيس البنائين في معامل نحت الحجارة و هذا توافق مع القرآن الذي يشير إلى هامان على أنه المسؤول عن تشييد الصروح في مملكة

(١) - تطور الفكر و الدين في مصر القديمة بريستد ص ١٨٥ ،

(٢) - كتاب الحضارة المصرية تأليف محمد بيومي مهرا ج ٣ ص ٤٢٩

الفرعون (١).

## المطلب السادس : العجل الذهبي من صنع السامري

إن مدينة السامرة في فلسطين لم يكن لها وجود لما خرج بنو إسرائيل من مصر، مع موسى، وسكنوا أرض سيناء. وفيها عمل لهم هارون العجل الذهبي كطلبهم. فكيف نتخيل سامرياً يضع لهم العجل قبل أن يكون للسامريين وجود؟ الرد على الشبهة:

١ - إنه ليس في فلسطين مدينة تسمى بمدينة السامرة. وإنما كان للسامريين مملكة في فلسطين، عاصمتها " نابلس " المسماة قديماً " شكيم " وكانت هذه المملكة مكونة من عشرة أسباط. وكان للسبطين مملكة في فلسطين عاصمتها " القدس " المسماة قديماً " أورشليم " .

٢ - ولما صعد موسى عليه السلام إلى جبل الطور وتلقى التوراة، نزل فوجد اليهود يعبدون عجلاً جسداً له خوار. فسأل عن ذلك فدلوه على من أغراهم بعبادته . فأمسك به وسأله (ما خطبك يا سامري) أى ما هذا الذى فعلته أيها المضل؟ لأن كلمة (سامري) تطلق على المضل. ولا تطلق على شخص كاسم من الأسماء.

وبهذا المعنى لا يكون الذى أضلهم رجل مسمى بالسامري، حتى يتوجه الإشكال. وإلا يلزم أن يكون السامري من أسماء المسيح عيسى عليه السلام .

فإن اليهود قالوا له: " إنك سامري، وبك شيطان " [يو ٨ : ٤٨] (٢).

تفصيل أوسع في الرد على الشبهة وإن كان كافياً :

لا يمكن أن نجعل الكتاب المقدس الذى قضى في العلم بالتحريف القطعي والتبديل لا يمكن أن يجعلوه حكماً على القرآن الكريم ، ولا نسلم بصحة معلوماته التاريخية ، فكيف نقبل بكتاب نؤمن بتحريفه أن يكون حكماً على القرآن الكريم ؟؟؟؟

لكن سوف نفترض هنا أن معلومات الكتاب المقدس التاريخية صحيحة فنقول : لقد بنى المعترض اعتراضه على أن اسم ( السامري ) مقتبس من مدينة تسمى ( السامرة ) ، وكذلك يرى المعترض أن السامرة هي أول شيء أطلق عليه سامرة ، وفي هذا خطأ جسيم .

(١) - كتاب قصة موسى مع فرعون تأليف هارون يحيى عن موقع هارون يحيى على شبكة الإنترنت

٢ - حقائق الاسلام مقابل شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٧٧ ، مجموعة من المؤلفين .

أولاً اسم السامرة ( شومرون بالعبري ) مشتق من سامر ( شامر بالعبرية الذي معناه الحارس ) ، والاسماء التي من أصل عبري مثل ( موسى ، يسوع ، سبت ، سامر ) ، يلفظها العبريون هكذا ( موسى ، يشوع ، شبت ، شامر ) ، ومعنى السامرة هو مركز الحارس ( عن قاموس الكتاب المقدس ) .

وبنيت هذه المدينة على جبل اسمه ( جبل السامرة ) ، وهذا الجبل كان يمتلكه رجل اسمه شامر ، وفي أيام حكم الملك عمري ملك يهوذا ، إشتري الملك الجبل من شامر ، ثم بنى المدينة عليه ، ولهذا دعيت المدينة مدينة السامرة نسبة الى شامر الذي كان يمتلك الجبل الذي بنيت عليه ، إقرأ معي الملوك الاول ( ١٦ : ٢٣ و ٢٤ ) : ٢٣ في السنة الواحدة والثلاثين لآسا ملك يهوذا ملك عمري على اسرائيل اثني عشرة سنة . ملك في ترصة ست سنين . ٢٤ واشتري جبل السامرة من شامر بوزنتين من الفضة وبنى على الجبل ودعا اسم المدينة التي بناها باسم شامر صاحب الجبل السامرة .

فمن هنا نستخلص الآتي :

أن اسم السامرة لم يوجد لأول مرة زمن وجود المدينة ، بل كان هذا الاسم موجودا قبلها وهو شامر ، وطالما أن هذا الاسم موجود قبل وجود المدينة ، فلا يمنع أن يكون هذا الاسم قديما وأن يكون هناك قبل شامر صاحب الجبل بمئات السنين من تسمى بهذا الاسم ...

ويحتمل أن يكون السامري الذي في القرآن يعود اسمه الى قبيلة أو عشيرة أو قرية دعيت باسم شامر ، لأن كما هو معلوم أن الكثير من القرى والمدن والقبائل و الشعوب دعيت بأسماء رجال أو نساء ، مثل الشعب الكنعاني نسبة الى كنعان بن حام بن نوح ، واليهود نسبة الى يهوذا بن يعقوب ، ومثل الشعب الاسرائيلي نسبة الى النبي اسرائيل أو يعقوب عليه السلام ، ومثل سبط اللاويين نسبة إلى لاوي بن يعقوب ، ومثل مدينة حنوك التي دعيت باسم حنوك بن قايين ( تكوين ٤ : ١٧ ) وغيرها ...

فإذن نقول إنه من الجائز أن يكون هناك قبيلة أو عشيرة أو قرية دعيت باسم شامر في زمن النبي موسى عليه السلام ، والسامري الذي في القرآن هو رجل من هذه القبيلة أو القرية

هذا شيء ، وهناك شيء آخر ألا وهو القول إن الملك عمري هو أول من بنى مدينة السامرة أمر ليس مقطوعا بصحته ، بل ذهب قاموس الكتاب المقدس الى احتمال أن الملك عمري أصلح بناء المدينة ، وهذا ما يقوله القاموس :

السامرة: اسم عبراني معناه (( مركز الحارس )) . عاصمة الأسباط العشرة أثناء أطول مدة في تاريخهم. وقد بنيت المدينة أو أصلح بناؤها أيام عمري بن آخاب ملك إسرائيل ... وقوله ( بنيت أو أصلح بناؤها ) يفيد احتمالا وهو أن المدينة موجودة من قبل ، وربما كانت مهدمة أو قديمة فأعاد الملك عمري بناءها ...

والذي يدل على ان المدينة قديمة وموجودة قبل الملك عمري هذا النص في سفر الملوك الاول ( ١٣ : ٣٢ ) : لانه تماما سيتم الكلام الذي نادى به بكلام الرب نحو المذبح الذي في بيت ايل ونحو جميع بيوت المرتفعات التي في مدن السامرة .

وهذا الكلام ذكر قبل ثلاثة اصحاحات من ذكر بناء الملك عمري للمدينة ، فكيف يقول ( في مدن السامرة ) ولم تكن المدينة قد بنيت بعد ؟؟؟؟

فإما أن يقولوا إن هذا تحريف في الكتاب المقدس أو يقرؤا أن المدينة موجودة قبل الملك عمري ولا يعرف زمن بنائها ، ولا يستطيع أحد أن يحدد في هذا الاحتمال أن المدينة لم تكن موجودة في زمن موسى عليه السلام ولربما انها موجودة قبل موسى أيضا وهذا ما لا يمكن الجزم به (١).

( ١ ) - رد ثالث على الشبهة للتوسع في فهم المعنى :

نقول العهد القديم ينسب صناعة العجل الى هارون و القرآن ينسبه الى السامري و تعجب معي ينسبوا الكفر الى نبي كبير من بني اسرائيل و يصدقوا كاتب سفر الخروج على هزله و يكذبوا القران الذى يبرئ النبي هارون من هذه الفعلة الشنيعة .  
قد تسال لماذا اقول على هزله لان كاتب السفر رغم انه ينسب هذه الفعلة الشنيعة الى هارون الا انه يجعله يفلت من العقاب تماما كما جعله يفلت من العقاب في قصة زوجة موسى الكوشية . و سبب اخر يجعلنى اقول ان كاتب هذا السفر يهزل تعامله مع الرب بطريقة هزلية كذلك انظر النص الذى يخاطب فيه موسى الرب :  
رجع عن حمو غضبك وندم على لشر بشعبك.  
موسى يراجع الرب في غضبه و يطلب منه ان يندم

و الكارثة ان الرب ندم فعلا بعد كلام موسى الذى خلاصته محاولة اقتناع الرب بالعفو عن عبدة العجل حتى لا يشمت فيه المصريين ؟  
ولماذا لا تتساءل ما الذى يجعل القرآن اذا كان من عند غير الله يزعم بعض المتسرعين بتبرئة النبي هارون لماذا يخالف القران التوراة التي ينقل منها و يضع الذنب كله على السامري الذى سنعرف بعد قليل لماذا سمى بهذا الاسم . تماما مثلما اهتم القران بجادة التكلم في المهدي التي تبرء السيدة مريم الصديقة و كتبه الاناجيل لم يهتموا الا بوضع نساء زانيات في نسب المسيح عليه السلام ، لا سبب إلا لأنه وحده هو المهيم على الكتب السابقة .

السامري ليس نسبة الى السامرة البلدة التي هي شمرون بالعبرية و اما هي صفة على النسب الى شمرون بن يساكر بن يعقوب الذى ينسب اليه الشمرونيون عشيرة شمرون من سبط يساكر ابن يعقوب احد اسباط بني اسرائيل الاثنى عشر . السامرى الذى في القران هو من صميم اسباط بني اسرائيل في التيه لا شان له بالسامريين الساكنين السامرة في فلسطين لم يسمه القران بل نسبه الى بني ابيه .....

بعض التوضيحات عن السين و الشين معروف ان السين هي التحويل العبري للشين العبرية

و هذا النص يثبت ما اقول :

## المطلب السابع : أبو إبراهيم آزر؟! أم تارح .

إن في التوراة أن أبا إبراهيم اسمه تارح. وقد أخطأ القرآن في قوله إن أباه اسمه آزر.  
الرد على الشبهة:

إن الأنساب مختلفة بين التوراة السامرية والعبرانية واليونانية. وإن عدد السنين لكل أب من آدم إلى إبراهيم مختلف فيه بين نسخ التوراة الثلاثة، ولوقا كاتب الإنجيل أزداد على الأسماء قينان. نقلا عن اليونانية. ومعنى هذا أنه كان يجب على المؤلف تصحيح كتبه قبل أن يوجه نقده. ولذلك جاء في القرآن الكريم: (إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) (النمل: ٧٦). (١)

لتوضيح الشبهة والتوسع بالجواب نقول :

يعطى القرآن أسماء لبعض الشخصيات التاريخية مخالفة لأسمائهم حسب الكتاب المقدس الذي سبق القرآن بعدة قرون. فمثلاً والد إبراهيم عليه السلام كان اسمه Teral أو (تارح) ، ومع ذلك يسميه القرآن (آزر) . واسم الذي كان يوسف عليه السلام في بيته كان Potiphar، أما الاسم المعطى له في القرآن فهو (عزيز) [يوسف : ٣٠] .

أولاً: لا يصح أن نجعل من (الكتاب المقدس) حجة على القرآن ومرجعية له.. لأن الثابت . حتى في الدراسات التي قام بها كثير من علماء اليهود والنصارى . أن هذا الكتاب المقدس قد أعيدت كتابته، وأصابه التحريف.. كما أن ترجماته قد أدخلت عليه تغييرات وتصحيحات، وخاصة في أسماء الأماكن والأشخاص..

ثانياً: لأن القرآن قد تمتع بمستوى من الحفظ والتوثيق والتواتر في النقل جعله الوحي الوحيد الصحيح على ظهر هذا الكوكب الذي نعيش عليه.. فهو الحاكم والمرجع لكل ما عداه من النصوص الدينية الأخرى..

١ الملوك ١٦ ك ٢٤

٢٤ واشترى جبل السامرة من شامر بوزنتين من الفضة وبنى على الجبل ودعا اسم المدينة التي بناها باسم شامر صاحب الجبل السامرة.

رغم ان اسم صاحب الجبل شامر الا ان التسمية على اسمه اصبحت سامرة

و هذا النص عن شمرون الذي هو نفس اسم البلدة بالعبرية العدد ٢٦ : ٢٤

٢٤ ولياشوب عشيرة الياشوبيين .ولشمرون عشيرة الشمرونيين. (نسخة SVD)

اذن الشمرونيين تصيح بنفس القاعدة السامريين و هو المطلوب اثباته .

(١) - الشبهة رقم ٧٨ من حقائق الاسلام مقابل شبهات المشككين

وفي هذا الإطار.. ومن هذا المنطلق نناقش الشبهات التي يثيرها هذا السؤال.. فنقول:  
بالنسبة لاسم والد الخليل إبراهيم . عليه السلام . لا تختلف معظم المصادر الإسلامية . سواء  
أنها تفاسير القرآن، أو قصص الأنبياء . على أن (آزر) ليس اسم والد إبراهيم.. وعلى أن اسمه  
(تارج) ..

ومن العلماء من يرى أن (آزر) اسم صنم، وأن الآية خطاب استنكاري لعبادة والد  
إبراهيم لهذا الصنم، تقدم المفعول في هذا الخطاب.. والمعنى أتتخذ آزر إلهاً ومعبوداً؟  
ومن العلماء من يرى أن (آزر) لقب أطلق على (تارج) بعد أن عمل في حاشية الملك الذي  
كان حاكماً في ذلك التاريخ..

ونحن نقرأ . حول هذه القضية . في تفسير القرطبي:

" قوله تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) تكلم العلماء في هذا، فقال أبو بكر محمد بن  
محمد بن الحسن الجويني الشافعي الأشعري في النكت من التفسير له: وليس بين الناس  
اختلاف في أن اسم والد إبراهيم تارج. والذي في القرآن يدل على أن اسمه آزر.. وقيل: آزر  
اسم صنم. كأنه قال: وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر إلهاً، أتتخذ أصناماً آلهة..

قلت . أي القرطبي: ما ادعاه من الاتفاق ليس عليه وفاق. فقد قال محمد بن إسحاق  
والكلبي والضحاك: إن آزر أبو إبراهيم عليه السلام وهو تارج، مثل إسرائيل ويعقوب. قلت:  
فيكون له اسمان. وقال مقاتل: آزر لقب، وتارج اسم. وحكاة الثعلبي عن ابن إسحاق  
القشيري. ويجوز أن يكون العكس.. وقال الجوهري: آزر اسم أعجمي، وهو مشتق من آزر  
فلان فلاناً إذا عاونته، فهو مؤازر قومه على عبادة الأصنام.. وقال مجاهد ويمان: آزر اسم  
صنم، أي أتتخذ آزر إلهاً، أتتخذ أصناماً.. وقال الثعلبي في كتاب العرائس: إن اسم أبي  
إبراهيم الذي سماه به أبوه تارج، فلما صار مع النمرود قيماً على خزانة آلهته سماه آزر. وقال  
مجاهد: إن آزر ليس باسم أبيه، وإنما هو اسم صنم، وهو إبراهيم بن تارج بن ناخور بن  
ساروع بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شاخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام". (١)  
ونفس التفسيرات الموضحة لهذه الشبهة نجدتها في (قصص الأنبياء): "قال السيد المرتضى  
الزبيدي (٢): وروى عن مجاهد في قوله تعالى: (آزر أتتخذ أصناماً) قال:

(١) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٧ ص ٢٢، ٢٣) . مرجع سابق .

(٢) - في ص ١٢ ج ٣ (تاج العروس)

لم يكن بأبيه، ولكن اسم آزر اسم صنم، فموضعه نصب على إضمار الفعل والتلاوة كأنه قال: وإذ قال إبراهيم أتخذ آزر إلهاً، أى أتخذ أصناماً آلهة. وقال الصغاني: التقدير أتخذ آزر إلهاً.

وقد نقل شيخ العروبة المرحوم أحمد زكى باشا عبارة (تاج العروس) السابقة في أول كتابه (تكملة كتاب الأصنام لابن الكلبي) ، وهذا القول الذى قاله مجاهد أولى الأقوال بالقبول. وعلى ذلك يكون والد إبراهيم لم يذكر باسمه العَلَمى فى القرآن الكريم ، مما يستأنس له . بأن (آزر) اسم إله . أننا نجد فى الآلهة القديمة عند المصريين الإله (أزوريس) ومعناه: الإله القوى المعين. وقد كانت الأمم السالفة يقلد بعضهم بعضاً فى أسماء الآلهة " (١) فليست هناك مشكلة إذن حول هذا الموضوع..

أما الشبهة الثانية فى هذا السؤال والخاصة باسم الذى اشترى وآوى يوسف عليه السلام فى بيته، والذى أطلق عليه القرآن الكريم اسم (عزيز) بينما سماه الكتاب المقدس Potiphar فإنها لا تمثل . هي الأخرى . مشكلة من المشكلات.. ذلك أن منصب هذا الذى آوى يوسف كان (رئاسة الشرطة) واسمه (فوطيفار) .. ولقبه (العزيز) .. فلا تناقض بين أسماء التعريف به هذه.. ولقد تناولت ذلك المصادر الإسلامية.. فى (قصص الأنبياء) :

" وكان سيده رئيس شرطة المدينة، واسمه (فوطيفار) ، ويعبر عن منصبه فى العبرية بـ (سرهاطباحيم) ، أى رئيس الشرطة.. " (٢)

وفى تفسير القرطبي: " قال الضحاك: هذا الذى اشتراه ملك مصر، ولقبه العزيز.. واسمه قطفير . وقال ابن إسحق: إطفير.. اشتراه لامرأته.. وقال ابن عباس: إنما اشتراه قطفير وزير ملك مصر.. وكان هذا العزيز الذى اشترى يوسف على خزائن الملك.... " (٣) (٤)

## المطلب الثامن :

### مريم العذراء بنت عمران

إن القرآن نسب مريم العذراء إلى عمران أبى موسى النبي. وقال:إنها أخت هارون النبي .

(١) - قصص الأنبياء ص ٧٢ ، عبد الوهاب النجار ، دار احياء التراث العربى بيروت ، الطبعة الثالثة دون ذكر سنة الطباعة .

(٢) - المصدر السابق ص ١٢٢ .

(٣) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ ص ١٥٨ ، مرجع سابق .

(٤) - حقائق الاسلام فى مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٤٠

عليه السلام . وهذا يخالف ما جاء في إنجيل لوقا أنها بنت هالي [لوقا ٣ : ٢٣] ويخالف التاريخ لأن بين مريم وهارون ألف وستمائة سنة. لعل محمدا ﷺ ، خلط بين مريم أم المسيح ، ومريم أخرى كانت أختا لهارون الذي كان أخوا لموسى عليه السلام ، ومعاصرا له ، ولا يوجد مثل هذا التناقض في الكتاب المقدس .

### الرد على الشبهة:

إن المؤلف نقل عن الإنجيل أن مريم بنت هالي. ونقله خطأ. والنص هو: " ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة. وهو على ما كان يُظن ابن يوسف بن هالي بن متثات بن لاوي بن ملكي بن يتّا بن يوسف " إلى أن أوصل نسبه إلى " ناثان بن داود " عليه السلام. وهذا النص لا يدل على أنه نسب مريم كما قال المؤلف، وإنما يدل على أنه نسب المسيح. فكيف يكذب القرآن بنسب ليس لها؟ وكيف ينسبون المسيح إلى يوسف بن هالي. وفي الإنجيل أنه لا أب له ولا سبط له؟ ذلك قوله عن يوسف: " ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر " [متى ١ : ٢٤] ، وكيف يكذبون القرآن بنسب على سبيل الظن؟ ذلك قوله: " وهو على ما كان يُظن " وفي إنجيل متى أن المسيح ابن يوسف بن يعقوب بن متّان بن اليعازر بن آليود. إلى أن أوصل نسبه إلى سليمان . عليه السلام . [متى ١] .

والحق: أن مريم ابنة عمران الأب المباشر لموسى . عليه السلام . وهو أب مباشر لموسى، وهو أب لمريم لأنه رئيس العائلة التي تناسلت هي منها. وهارون ابن عمران. وهي من نسل هارون . عليه السلام . فيكون هو أخواها على معنى أنها من نسله. أما أبوها المباشر فاسمه "يهوياقيم" وأمها اسمها " حنة " كما جاء في إنجيل يعقوب الذي لا يعترف به النصارى.

والنسب هكذا:

إبراهيم . إسحاق . يعقوب . لاوي وهو الابن الثالث ليعقوب. وأنجب لاوي ثلاثة هم جرشون وقهات ومراري. وبنو قهات عمران ويصهار وحبرون وعزئيل. وبنو عمران هارون وموسى ومريم.

وقد وصى موسى عن أمر الله تعالى أن تتميز الأسباط التي تريد الإرث في بني إسرائيل. وذلك بأن تتزوج كل بنت في سبطها. ففي سفر العدد: " وكل بنت ورثت نصيباً من أسباط

بنى إسرائيل؛ تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها؛ لكى يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب آبائه " [عدد ٣٦: ٨] . ووصى بأن يتفرغ سبط لاوي للعلم والدين، ولا يكون له نصيب فى الأرض، وإنما يسكن بين الأسباط فى مدنهم، ووصى بأن تكون الإمامة فى نسل هارون وحده. وعلى هذه الشريعة نجد فى بدء إنجيل لوقا: أن " أليصابات " زوجة زكريا . عليه السلام . كانت من نسل هارون من سبط لاوي، وكان زكريا من نسل هارون من سبط لاوي. وتزوجت أليصابات زكريا. وأن مريم العذراء كانت قريبة لأليصابات. وإذا ثبت أنها قريبة لها؛ يثبت أن مريم هارونية من سبط لاوي.

يقول لوقا: " كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أيبيا، وامرأته من بنات هارون، واسمها أليصابات.. إلخ " ويقول لوقا: " وهو ذا أليصابات نسيتك.. إلخ "؛ قال لها الملاك ذلك وهو يبشرها بالحمل بعيسى . عليه السلام . فإذا صح أنها قريبة لها ونسبية لها. فكيف يخطئ المؤلف القرآن فى نسبتها إلى هارون . عليه السلام .؟

وفرقة أيبيا هى فرقة من بنى هارون، وهى الفرقة الثامنة من الفرق التى عددها داود . عليه السلام . للعمل فى المناظرة على بيت الرب. وخبرهم فى الإصحاح الرابع والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول (١).

**التساؤل بأسلوب آخر :** يتحدث القرآن الكريم عن مريم . أم المسيح ، باسم " أخت هارون " .، فىقول مخاطبا إياها { يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا } [مريم: ٢٨] .. وليس لهذه التسمية ذكر فى الإنجيل . بل الثابت . فى القرآن والأناجيل . أن مريم هى ابنة عمران {ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها } [التحريم: الآية الأخيرة] . وعمران هذا هو من نسل داود .. أى من سبط ونسل " يهوذا " ، وليس من سبط ونسل " هارون " سبط " اللاويين " فكيف دعاها القرآن " أخت هارون " وبينهم مئات السنين؟  
الجواب :

هذا هو التساؤل والاعتراض الذى يورده البعض شبهة على القرآن الكريم.. والحقيقة التى تفهم من السياق القرآنى ، أن تسمية مريم بـ " أخت هارون " ، ليست تسمية قرآنية وإنما هى حكاية لما قاله قومها لها ، وما خاطبوها ونادوها به عندما حملت بعيسى . عليه

السلام . عندما استكروا ذلك الحمل ، واتهموها في عرضها وشرفها وعفافها فقالوا لها: { يا مريم لقد جئت شيئا فريا \*يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا { [مريم: ٢٧ ، ٢٨ .] فلماذا نسبها قومها إلى هارون ؟.

إن هارون هذا كان رجلا صالحا ، مشهورا بالصلاح والعفة.. فنسبها قومها إليه سخرية منها ، وتهكما عليها ، وتعريضا بما فعلت ، واستهزاء بدعواها الصلاح والتقوى والتبتل في العبادة بينما هي . في زعمهم . قد حملت سفاحا.. وقيل: إنه كان لها أخ من أبيها اسمه هارون وكان من عباد وصلحاء بنى إسرائيل . فنسبوا إليه ... واسم هارون من الأسماء الشائعة في بنى إسرائيل (١). والشاهد . من كل ذلك . أن هذه التسمية لمريم بـ " أخت هارون " ، ليست خبرا قرآنيا ، وإنما هي حكاية من القرآن الكريم لما قاله قومها.. (٢)

قال ابن كثير(٣) : " يا أخت هارون " أي شبيهة هارون في العبادة " ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا " أي أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك قال علي بن أبي طلحة والسدي قيل لها " يا أخت هارون " أي أخي موسى وكانت من نسله كما يقال للتميمي يا أخا تميم وللمصري يا أخا مضر وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون فكانت تقاس به في الزهادة والعبادة . وهنا لعلنا أوضح أمرا مهما :

هو أن القرآن تكلم كثيرا بهذه المسألة عن الاخوة وايضا الكتب السماوية السابقة التي حرفت ولكن بقى بها من الاثر الدال على أن الاخوة ايضا لا يشترط أن تكون من النسب وسوف اطرح من القرآن بعض الايات التي تحدثت عن ذلك والتي تتحدث عن الاخوة اليمانية . { وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم } [البقرة : ٢٢٠].

{والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} [الحشر : ١٠].

{ يجب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم }

(١) - قصص الأنبياء ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ . مرجع سابق . و الجامع لأحكام القرآن ج ١١ ص ١٠٠ ، ١٠١ . و الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ١٤ .

(٢) - حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٤١ ، مجموعة من العلماء .

(٣) - تفسير القرآن العظيم ، ٥ / ٢٢٧ ط/سلامة مرجع سابق .

{ الحجرات: ١٢ } ، { إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون }  
 { الحجرات: ١٠ } ، { فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم } { الأحزاب: ٥ }  
 ، { يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا } { مريم: ٢٨ } ، { ونزعنا ما  
 في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين } { الحجر: ٤٧ } .  
 { واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا }  
 { آل عمران: ١٠٣ } ، { فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان }  
 { البقرة: ١٧٨ } ، { فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات  
 لقوم يعلمون } { التوبة: ١١ } .

كل هذه الآيات توضح لنا ان المقصود بمعنى الاخوة (( الاخوة اليمانية )) وليس بالنسب  
 { يا أخت هارون } الأصل أخو، وهو: المشارك آخر في الولادة من الطرفين، أو من أحدهما  
 أو من الرضاع. ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة، أو في الدين، أو في صنعة، أو في  
 معاملة أو في مودة، وفي غير ذلك من المناسبات. قوله تعالى: { لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا  
 لإخوانهم } { آل عمران: ١٥٦ }، أي: لمشاركيهم في الكفر، وقال تعالى: { إنما المؤمنون إخوة }  
 { الحجرات: ١٠ }، { يجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا } { الحجرات: ١٢ }، وقوله: { فإن  
 كان له إخوة } { النساء: ١١ }، أي: إخوان وأخوات، وقوله تعالى: { إخوانا على سرر  
 متقابلين } { الحجر: ٤٧ }، تنبيه على انتفاء المخالفة من بينهم. (١)

### المطلب التاسع : انتباذ مريم

إن في القرآن: أن مريم انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، واتخذت لها حجاباً من قبل أن  
 تحبل بالمسيح. فلماذا انتبذت؟ هل كانت في مشاجرة مع أهلها وهم المشهورون بالتقوى؟  
 ولماذا تسكن فتاة عذراء بعيدة عن أهلها؟  
 ثم في القرآن تناقض في هذا المعنى. وهو أنه صرح بأنها كانت في الحراب في كفالة  
 زكريا، وصرح بأنها انتبذت. أي خرجت منهم بعد مشاجرة. وقالوا: إن القرآن قد خالف  
 الإنجيل في مكان سكنها من قبل الحبل بعيسى . عليه السلام . ففي القرآن: أنها كانت

(١) - . (انظر: مجمل اللغة ١/٨٩، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) واللسان (أخو) ١٤/٢٢٢

تسكن في محراب أورشليم، أو في أي مكان مجهول. وفي الإنجيل أنها كانت تسكن في " الناصرة " [لو ١ : ٢٦-٢٣] .

الرد على الشبهة:

١ . جاء في إنجيل يعقوب: أن مريم وهي في سن الثالثة: ذهبت بها أمها بصحبة أبيها إلى " أورشليم " وسلمها إلى كهنة هيكل سليمان، وكانت علامات السرور تبدو عليها. ثم تركاها ورجعا إلى أورشليم، وعاشت مع الراهبات المنذورات إلى أن حبلت.

٢ . وإن أنت نظرت في خريطة فلسطين. تجد حبرون أسفل أورشليم وقريبة منها، وتجد الناصرة على نفس الخط وبعيدة عن أورشليم. فتكون أورشليم غرب الناصرة، وشرق حبرون.

٣ . وفي الإنجيل: " وفي ذلك الوقت ولد موسى وكان جميلاً جداً. فرى هذا ثلاثي أشهر في بيت أبيه. ولما بُدئ؛ اتخذته ابنة فرعون، وربته لنفسها ابناً " [أعمال ٧ : ٢١]

قوله " ولما نبذ " لا يدل على أن أهله كرهوه وإنما يدل على أنهم وضعوه في التابوت وهم لوضعه كارهون. ومن يتبذ عن قوم؛ لا يدل انتباده عنهم على كرهه لهم، وإنما يدل على ابتعاده عنهم لسبب أو لأسباب. وإذا صح وثبت أن ابتعادها عنهم كان لعبادة الله؛ يثبت أنها لم تنتبذ لمشاجرة.

٤ . وقد تبين أن " الناصرة " من نصيب سبط زبولون . وهو من أسباط السامريين . وهي من سبط يهوذا . على حد زعمه . فكيف تكون من سكان الناصرة؟ وإذا كانت من سكان الناصرة، فلماذا أتت إلى أورشليم لتعدّ مع سكانها. وسكان أورشليم من سبطي يهوذا وبنيامين؟ فالحق ما قاله القرآن أنها كانت هارونية. ومعلوم أن زكريا وامراته ويوحنا المعمدان كانوا من التابعين لأهل أورشليم.(١)

### المطلب العاشر : مريم تلد في البرية ووليدها يكلمها من تحتها

لقد ولدت مريم السيد المسيح في بيت لحم كما تنبأ أنبياء التوراة بذلك قبل حدوثه بمئات السنين، وليس بجوار جذع نخلة. ووضعت مريم وليدها في مذود [لوقا ٢ : ٢٠-٢١] وغريب أن يكلمها وليدها من تحتها: أن تهمز جذع النخلة وتأكل من البلح وتشرب من

١ - حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة ٨٣ مرجع سابق .

الجدول. فإذا مرّ بها أحد تقول: {إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا} [مریم: ٢٦] فأين الصوم وهي الآكلة الشاربة المتكلمة؟

### الرد على الشبهة:

١ . ولادة المسيح في بيت لحم . كما قال المؤلف . تدل على أن مریم من سكان الخليل التي هي حبرون، ولا تدل على أنها من سكان الناصرة. ففي خريطة فلسطين تجد بيت لحم تحت أورشلیم، وبعدها حبرون. وعلى هذا تكون مریم بعد حملها بالمسيح وإحساسها بدنو الوضع. قد اتجهت إلى حبرون (فأجاءها المخاض) عند بيت لحم. ولو كانت من الناصرة وأحست بالحمل وبالوضع. لاتجهت إلى الناصرة. وعندئذ يكون الوضع في مكان بين أورشلیم وبين الناصرة. فقولهم بالمخاض في بيت لحم يصدق القرآن في أنها كانت من نسل هارون الساكنين في حبرون.

٢ . وقول المعترض: إن التوراة تنبأت بولادة المسيح في بيت لحم. يقصد به ما جاء في سفر ميخا وهو " أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمناك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل " [ميخا ٥ : ٢] . والنبوءة موضوعة وليست من النص الأصلي. بدليل: أن المسيح كان من الهارونيين من جهة أمه، وبيت لحم من مدن سبط يهوذا. ولو كان له أب لأمكن للنصارى نسبه إلى سبط أبيه. ولكنه لا أب له؛ فكيف ينتسب إلى سبط يهوذا أو غير سبط يهوذا؟ وبدليل: أن المتسلط على إسرائيل وهو النبي الأمامي الآتي على مثال موسى. يكون ملكاً وفتح بلاد. ولم يكن المسيح ملكاً ولا فاتح بلاد.. وبدليل: أن سفر ميخا مرفوض من السامريين. وبدليل أن شراح سفر ميخا يصرحون بالتناقض فيه. والنبوءة من مواضع التناقض التي صرحوا بها. يقول الشراح: "هناك تعليمان متشابهان في كتاب ميخا: الأول: الله يدين شعبه ويعاقبه [ف ١ . ٣ : ٦ . ١ : ٧ : ٧] الله يعد شعبه بالخلاص [ف ٤ . ٥ و ٧ : ٢٠ . ٨] حين يُعيده إلى حاله السابقة ويجعله بقيادة رئيس من نسل داود [٤ . ١ : ٥] .

٣ . وقد جاء في إنجيل متى الأبوكريفي معجزة النخلة.

٤ . وكلام المسيح في المهدي جاء في برنابا وفي إنجيل الطفولية العربي، وجاء في تاريخ يوسيفوس.

٥ . وقال المعترض: إن المسيح كلم أمه من تحتها: أن تهز جذع النخلة.. إلخ. وهو قد قال بذلك على قراءة " من تحتها " والحق: أن الذى ناداها هو ملاك الله نفسه. وسياق الكلام يدل على أنه الملاك. فإنه قد قال لها: { كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً } [مريم: ٢١] ، ولما حملته وانتبذت به و أجاءها المخاض وتمنت الموت؛ عاد إلى خطابه معها فقال: { ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريراً وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلى واشربي وقرى عيناً فيما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً } [مريم: ٢٤-٢٦] .

وأما كلام المسيح فهو لم يقل إلا { إني عبد الله أتاني الكتاب و جعلني نبياً و جعلني مباركا أينما كنت و أوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبرا بوالدي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً } [مريم: ٣٠-٣٣] .

٦ . المعترض قد غالط في نقل المعنى بقوله: " وغريب أن يكلمها وليدها من تحتها: أن تهز جذع النخلة وتأكل من البلح وتشرب من الجدول؛ فإذا مر بها أحد تقول: { إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً } [مريم: ٢٦] . فأين الصوم وهي الآكلة الشاربة المتكلمة؟ " . ووجه المغالطة: أنه يقول فإذا مر بها أحد تقول.. إلخ. والمعنى الصحيح: أنها لا تقول لكل أحد يمر عليها إنها صائمة عن الطعام والشراب. وإنما تقول: لا أتكلم مع أحد في أمر ابني في هذه الأيام. فجملة (فإما ترين من البشر.. ) جملة مستأنفة لا صلة لها بالطعام وبالشراب. وقولها: { إني نذرت للرحمن صوماً } تعنى به المعنى المجازي وهو الإمساك عن الكلام بدليل: (فلن أكلم ) ولم تقل فلن أكل. (١)

**المطلب الحادي عشر : نوح لم يتبعه الأراذل ، وأخرى دعا أن يزيد**

**الناس ضلالاً**

إن في القرآن أن نوحاً عليه السلام نجا معه جماعة من المؤمنين من غير أولاده. وهذا يخالف ما في التوراة وما في الإنجيل من أنه لم ينج معه من المؤمنين أحد غير أولاده. وأن القرآن بين أن الكافرين بنوح وصفوا المؤمنين به بأنهم أراذل. ثم إن نوح كان يدعو إلى

(١) - حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٨٤ ، مجموعة من العلماء .

الضلال بنص القرآن قال الله تعالى: {ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً} [نوح: ٢٤] ؛ فكيف يدعو نوح ربه أن يزيد الناس ضلالاً؟

### الرد على الشبهة:

أولاً : - إن الذين خرجوا من السفينة حسب نص التوراة العبرانية:

١- سام ٢- حام ٣- يافث ٤- نوح ٥- امرأته ٦- زوجة سام ٧- زوجة حام ٨- زوجة يافث) فيكون العدد ثمانية.

ثانياً : - والدليل على صحة ما في القرآن: ([تكوين ٤] ) هو أن قابين لما قتل هايل؛ ولد حنوك ولد عيراد، وعيراد ولد محويائيل، ومحويائيل ولد متوشائيل، ومتوشائيل ولد لامك، ولامك ولد يابال. الذى كان أباً لساكنى الخيام ورعاء المواشى. واسم أخيه يوبال الذى كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار، واسم أخيه توبال قابين. الضارب كل آلة من نحاس وحديد. قوله عن الثلاثة: الذى كان أباً لساكنى الخيام ورعاء المواشى . الذى كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار . الضارب كل آلة من نحاس وحديد؛ يدل على أنه كان من الناجين غير أبناء نوح. ولذلك قال مفسرو التوراة: " وسلالة قابين سلالة الحياة المدنية، وسلالة شعث سلالة الحياة القدسية " .

بالنسبة للثانية : إن نوحاً لم يدع ربه أن يزيد الناس ضلالاً، وإنما دعا على الظالمين من الناس. ومثل ذلك: ما فى التوراة عن الأنبياء فإنهم دعوا على الظالمين، ولم يدعوا على كل الناس. ففى المزمور الثامن عشر: " من الرجل الظالم تنقذنى " . " مثل طين الأسواق؛ اطرحهم "، وفى الإنجيل يقول المسيح لله عن الذين آمنوا به: " احفظهم فى اسمك الذين أعطيتنى " [يو ١٧ : ١١] ولم يدع للكل.(١)

### المطلب الثاني عشر : فرعون ينجو من الغرق

إن فى القرآن تناقض فى نهاية فرعون. ففى يونس: {فاليوم ننحيك بيدنك} [يونس: ٩٢] وهذا يدل على نجاته من الغرق، وفى القصص: {فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم} [القصص: ٤٠] . وهذا يدل على غرقه.

### الرد على الشبهة:

(١) - حقائق الاسلام فى مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٨١ ، ٨٨ مرجع سابق

إن المؤلف لم يفسر (فالיום ننجيك ببدنك) على المعنى الظاهري. وهو إبعاد الجثة عن الهبوط في اليم، وتركها على الشاطئ حتى يضعها المخطون في المقبرة فيراها كل المصريين فيعتبروا ويتعظوا. وفسر على المعنى المجازي كناية عن إفلاته من الغرق. ووجه الشبهة على المعنى المجازي وليس على المعنى الحقيقي.

والمعنى المجازي الذي به وجه الشبهة؛ موجود في التوراة عن فرعون. ففيها أنه لم يغرق، وموجود فيها ما يدل على غرقه. وهذا هو التناقض الذي نسبه إلى القرآن. وسوف نبين ما في التوراة من التناقض عن غرق فرعون. ونسأله هو أن يوفق بين المعنيين المتناقضين. وما يجيب به في التوفيق؛ يكون إجابة لنا.

ففي الإصحاح الرابع عشر من سفر الخروج: " فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر. لم يبق منهم ولا واحد " وفي الإصحاح الخامس عشر من نفس السفر: " تغطيهم اللجج. قد هبطوا في الأعماق كحجر " وفي تفسير التوراة ما نصه: " ولا سبيل لنا هنا إلى الحكم بغرق فرعون، إذ لا دلالة عليه في هذا النبأ، ولا من قول المرثم [مز ٧٨: ٥٣ و ١٠٦: ١١] وساق المفسرون أربع حجج على عدم غرقه. ومعنى قولهم: إن قول المرثم لا يدل على غرقه هو: أن داود. عليه السلام. في المزمور ٧٨ والمزمور ١٠٦ قال كلاماً عن فرعون لا يدل صراحة على غرقه.

ونص ٧٨: ٣ هو " أما أعدائهم فغمروهم البحر " ونص ١٠٦: ١١ هو " وغطت المياه مضايقيهم. واحد منهم لم يبق ".

هذا عن عدم غرق فرعون. وأما عن غرقه ففي المزمور ١٣٦: ١٥ " ودفع فرعون وقوته في بحر يوسف؛ لأنه إلى الأبد رحمته " وفي ترجمة أخرى: " أغرق فرعون وجيشه في البحر الأحمر إلى الأبد رحمته (جمعية الكتاب المقدس في لبنان سنة ١٩٩٣م) " ومفسرو الزبور. وهم أنفسهم الذين صرحوا بعدم غرق فرعون. كتبوا عن فرعون: " فإن هذا الأخير قد حاول جهد المستطاع أن يرجع الإسرائيليين إلى عبوديتهم؛ فما تم له ما أراد، بل اندحر شر اندحار " انتهى.

ومن هذا الذى قدمته يكون من الواجب على المؤلف حل التناقض الموجود عنده فى أمر فرعون، قبل أن يوجه كلامه إلى القرآن.<sup>(١)</sup>

### المطلب الثالث عشر : لكل أمة رسول منها إليها

إنه جاء فى القرآن أن لكل أمة رسول منها. وهذا يناقض الكتاب المقدس فى أن الأنبياء والرسل هم من بنى إسرائيل وإليهم وإلى كل العالم. فإذا صدق ما فى القرآن فكيف لم يخرج للأمم فى إفريقيا وأوروبا وأمريكا وأستراليا وآسيا: أنبياء منهم وإليهم؟ ولو كان لهذه الأمم أنبياء - منها وإليها - لجاز أن يكون للعرب رسول منهم.

#### الرد على الشبهة:

إن كلمة الرسول تأتي على الحقيقة وتأتى على المجاز. فعيسى - عليه السلام - رسول على الحقيقة. وإذا هو أرسل واحداً من الحواريين إلى قرية من القرى فإنه يكون رسول رسول الله عيسى على المجاز. ففى إنجيل متى: " هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: " إلى طريق أمم لا تمضوا.. " [متى ١٠ : ٥] .

وابتداء الدعوة إلى الله كان فى زمن أنوش بن شعيث بن آدم؛ لقوله: " حينئذ ابثدئ أن يُدعى باسم الرب " [تك ٤ : ٢٦] وظل الحال على هذه الدعوة التى كانت دعوة إلى مكارم الأخلاق وعدم سفك الدماء ظلماً إلى زمان نوح - عليه السلام - ولم يكن من المطعومات شىء محرم فلما خرج نوح من السفينة أعطاه الله شريعة فيها أن كل الطعام حلال، وأن يجب المرء لأخيه ما يحبه هو لنفسه، وليس فيها شريعة تبين أن هذا حلال وهذا حرام. ففى الإصحاح التاسع من سفر التكوين: " كل دابة حية تكون لكم طعاماً. كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع.. " وظلت شريعة نوح سائدة على العالم إلى أن جاء موسى - عليه السلام - وأعطاه الله التوراة (موعظة وتفصيلاً لكل شىء) وأمره أن يخصص سبب لآوى من بين الأسباط ليعرفها ويعرفها للناس.

وهذا الذى ذكرته هو ما يقول به أهل الكتاب جميعاً، ونص عليه أهل الكتاب فى كتبهم. وعنه فى القرآن الكريم: { كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل } [آل عمران: ٩٣] وهو حلال من أيام نوح - عليه السلام - وعلى ذلك نسأل المؤلف هذا السؤال وهو أن الناس

(١) - حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٨٢ مرجع سابق نشر وزارة الاوقاف المصرية لمجموعة من العلماء .

من آدم أبي البشر إلى موسى الكليم كانت رسلهم من بني إسرائيل أم من غير بني إسرائيل؟ إن قلت إن رسلهم كانت من بني إسرائيل يكذبك الواقع والكتب التي تقدسها، وإن قلت كانت من غير بني إسرائيل فلماذا وجهت السؤال إلى المسلمين؟

أما من موسى إلى محمد ﷺ فإن علماء بني إسرائيل من اللاويين والهارونيين كانوا يبلغون التوراة لليهود وللأمم، وإذا انطلق واحد منهم إلى الأمم؛ فإنه يكون رسولاً إلى الأمم. ليس على الحقيقة، وإنما على المجاز بمعنى أنه رسول رسول الله موسى . عليه السلام . وظلوا على هذا الحال إلى زمان سبي بابل سنة ٥٨٦ ق. م فإنهم وهم في بابل حرفوا التوراة، وقصروا شريعة موسى على اليهود من دون الناس، وابتعدوا عن دعوة الأمم، وتعصبوا لجنسهم وتآمروا على الأمم { ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل } [آل عمران: ٧٥].

ومن قبل سبي بابل كان علماءهم يدعون العرب إلى الله على وفق شريعة موسى . فيكون العالم الداعي رسولاً مجازاً. وهكذا في سائر بلاد العالم. أما من بعد السبي وتخلي العلماء عن الدعوة فإن كل أمة سارت على ما عندها من العلم. وقد وبخهم المسيح عيسى . عليه السلام . على إهمالهم في دعوة الأمم بقوله: " لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون؛ لأنكم تُغلقون ملكوت السماوات قدام الناس؛ فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون " [متى ٢٣: ١٣].

ثم حث أتباعه بالانطلاق إلى بلاد اليهود أولاً بأمرين هما أن يعملوا بالتوراة، وأن يستعدوا لتركتها إذا ما ظهر محمد رسول الله الذي يبشر به. وإذا فرغوا من دعوة اليهود في بلادهم ينطلقون إلى الأمم، وسماهم رسلاً مجازاً. فقال: " إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى حُرَاف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون، اكرزوا قائلين: " إنه قد اقترب ملكوت السموات " [متى ١٠: ٥]. وملكوت السماوات هي مجئ محمد صلى الله عليه وسلم بعد مملكة الروم كما أنبأ النبي دانيال في الإصحاح السابع من سفره.<sup>(١)</sup>

## المطلب الرابع عشر : خَلطُ الأسماء

ذكروا آيتين من سورة الأنعام، وأوردوا الشبهة على نص الآيتين حيث قالوا:

(١) - حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٨٥ مجموعة من العلماء ، مرجع سابق .

جاء في سورة الأنعام {ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين\* وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين\* وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين} [الأنعام: ٨٤-٨٦]. ، والترتيب التاريخي هو: أيوب - إبراهيم وابن أخته لوط وابناه إسماعيل وإسحاق وحفيده يعقوب وابن حفيده يوسف ومن بعده موسى - هارون - داود - سليمان - إلياس - اليسع - يونس - زكريا - يحيى - عيسى.

### الرد على الشبهة:

١ - إن الضمير في (ومن ذريته) يعود إلى نوح، ولا يعود إلى إبراهيم وذلك لأن (لوطاً) ليس من ذرية إبراهيم، وإنما خرج معه مهاجراً إلى الله، بعدما آمن له. وفي التوراة " ولوطاً ابن أخيه " [تك ١٢ : ٥] .

٢ - إن الترتيب التاريخي غير حاصل لأسباب منها: أنه يريد بيان فضلهم وصلاتهم؛ ليقتدى الناس بهم. وفي التوراة أنبياء لا يعرفون تواريخهم ولا يعرفون نسبهم، ومنهم " أيوب " فإن منهم من يقول إنه من العرب ومنهم من يقول إنه من الأدميين ومنهم من يجعله اسماً فرضياً. بل إن الأنبياء أصحاب الأسفار كإشعيا وإرميا وملاخي وحبقوق وميخا؛ لا يعرفون هم أنفسهم السابق منهم عن اللاحق.

وقد جمعوا أسفارهم في وقت واحد. ففي الكتاب المقدس الصادر عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط سنة ١٩٩٣م ما نصه: " كانت أول لائحة وضعت في سبيل " قانونية " العهد القديم وأسفاره تضم أسفار الشريعة الخمسة في أيام عزرا [نح ٨ : ١] حوالي عام ٤٠٠ ق. م ثم زاد المعلمون الأسفار النبوية من يشوع والقضاة حتى إشعيا وإرميا وحوالي سنة ٩٠ ق. م التقى معلمو الشريعة اليهود من مختلف البلدان، في بلدة " يمنية " الواقعة في " فلسطين " وثبتوا لائحة نهائية وكاملة للأسفار المقدسة.. إلخ (ص ٣ الكتاب المقدس طبعة لبنان سنة ١٩٩٣م). (١)

### المطلب الخامس عشر : إسماعيل بين الأنبياء

إن القرآن ذكر أن إسماعيل كان (رسولاً نبياً) وفي التوراة أنه إنسان وحشى.

(١) - حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٨٦

وهذا تناقض... الرد على الشبهة:

١- أما أنه كان رسولاً فهذا لا إشكال فيه. فإن الشريعة التي كان عليها هي شريعة نوح . عليه السلام . وكان يبلغها للناس كما يبلغها غيره.

٢- وأما أنه كان نبياً فهذا هو الإشكال عند المؤلف، وهو ليس بإشكال. لأن النبي هو المنبئ بغيب، ويقع الغيب من بعده كما أنبأ به. فلننظر في إسماعيل . بحسب تفسير كلمة النبي عندهم . هل أنبأ بغيب أم لا؟ إنه من إبراهيم الذي سار مع الله، ودعا إليه، ورغب فيه. ولسيره، وعده الله بالبركة في إسماعيل وإسحاق. والبركة ملك ونبوة وإذ وُعد إسماعيل بنبي من نسله، وأنبأ بتحقيق هذا الوعد. ووقع كما قال. فإنه قد ظهر منه محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يكون نبياً.

ففي التوراة: " ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة؛ ظهر الرب لأبرام وقال له: " أنا الله القدير. سر أمامي، وكن كاملاً؛ فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثر كثيراً جداً " [تك ١٧: ٢٠] وعن البركة في إسحاق: " وأباركها وأعطيك أيضاً منها أبناءً أباركها فتكون أمماً وملوك شعوب منها يكونون " [تك ١٧: ١٦] ، وعن البركة في إسماعيل: " وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً.. " [تك ١٧: ٢٠] وقد قام ببركة إسحاق نبي الله موسى، وقام ببركة إسماعيل نبي الله محمد. وإسماعيل قد أنبأ به من قبل ظهوره.(١)

## المطلب السادس عشر :

### الكعبة مقام إبراهيم

إنه جاء في القرآن أن الكعبة أول بيت وضع للناس. وأنها كانت مقام إبراهيم، ومعلوم أن الكعبة من بناء الوثنيين كما جاء في الكتب التاريخية.

### الرد على الشبهة:

أولاً: إن الكعبة ليست من بناء الوثنيين كما جاء في الكتب التاريخية التي لا يشك أحد في أن لليهود دخل فيها. وإنما هي من بناء نوح . عليه السلام . فإنه لما خرج من السفينة، ونجا من الغرق هو ومن آمن معه. بنى " مذبحاً " لذبح الحيوانات عنده قرباناً لله

(١) - المصدر السابق الشبهة رقم ٩٢

تعالى. ففي التوراة: " وبني نوح مذبحاً للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح " [تك ٨ : ٢٠] وهذا المذبح كان في أرض مكة المكرمة المدينة التي استقر الفلك فيها على الجودي. والدليل على ذلك قول التوراة: إن الناس من بعد نوح ارتحلوا شرقاً إلى أرض شنعار التي هي أرض العراق. فارتحلهم إلى الشرق إلى العراق يدل على أن السفينة كانت في بلاد العرب. ذلك قوله: " وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة. وحدث في ارتحالهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار، وسكنوا هناك " [تك ١١ : ٢٠١] .

وليس في القرآن نصوص صريحة على أن العرب قد عبدوا الأصنام حتى يقال: إن الكعبة كانت لصنم رُحل. وفي التوراة نصوص صريحة على أن اليهود وأدوا نبيهم وبناتهم في النار للعرافة والسحر وأنهم عبدوا الأصنام. بل وفي القرآن نصوص صريحة على أن اليهود عبدوا صنم البعل في أيام إيلياس . عليه السلام . ففي الزمور المائة والسادس: " وأهرقوا دمًا زكيًا. دم نبيهم وبناتهم الذين ذبحوا لأصنام كنعان وتدنست الأرض بالدماء " [مز ١٠٦ : ٣٨] . وفي الإصحاح الخامس والستين من سفر إشعياء: " أما أنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسى، ورتبوا للسعد الأكبر مائدة، وملاؤا للسعد الأصغر خمراً ممزوجة.. " [إش ٦٥ : ١١] . في ترجمة الكتاب المقدس في الشرق الأوسط سنة ١٩٩٥م تحت كلمة السعد الأكبر: لجاد وهو المشتري، وتحت كلمة السعد الأصغر: لمئى وهو الزهرة.

وفي ترجمة ١٩٩٥م بلبنان: " ونسيتم جبلى المقدس. وهيأتم مائدة للإله جاد، ومزجتم الخمر للإلهة مناة " والتعليق عندهم هكذا: جاد ومناة إلهان عند الكنعانيين.

هذا مما في التوراة عن عبادة اليهود للأصنام ومما فيها: " بعدد مدنك صارت آهتك يا يهوذا، وبعدد شوارع أورشليم وضعت مذابح للخزى ومذابح للتبخير للبعل " [إرمياء ١١ : ١٣] . ويمكن الفهم من آيات في القرآن أن العرب بنى إسماعيل . عليه السلام . لم يعبدوا الأصنام قط. فإبراهيم . عليه السلام . وهو بنى الكعبة ولم يكن له من ولد غير إسماعيل، يطلب من الله طلبين في ذريته:

أولهما: أن يجنبهم عبادة الأصنام، وثانيهما: أن يبعث فيهم نبياً منهم.

وإذ شهد الواقع بتحقيق الطلب الثاني فإن محمداً قد أرسل؛ يكون الطلب الأول قد تحقق أيضاً.

وفي القرآن أن الله قد عاهد إبراهيم وإسماعيل بتطهير الكعبة من الأصنام ولم يذكر أنهم نقضوا العهد. كما ذكر أن اليهود نقضوا في قوله (فبما نقضهم ميثاقهم..) (النساء: ١٥٥، المائة: ١٣). . وأما قوله تعالى: {أفرأيتم اللات والعزى ومناة..} [النجم: ١٩-٢٠]. فإن في التوراة أن اليهود عبدوا صنم مناة. والضمير في (أفرأيتم) يحتمل أنه للعرب ويحتمل أنه لليهود. واحتمال عوده إلى اليهود أقوى لوجود شواهد في التوراة عليه. ولا يقدر عاقل على اتهام بدليل محتمل. وأما قوله تعالى: {وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت} [التكوير: ٩٨]. ففي التوراة أن اليهود وأدوا نبيهم وبناتهم. وليس في القرآن من نص صريح على نسبة الوأد إلى العرب.<sup>(١)</sup>

## المطلب السابع عشر :

### هل كان الإنجيل موجوداً على زمن موسى .

سؤال : جاء في سورة الأعراف ١٥٥ \_ ١٥٩ خطاب الله لموسى ومن معه بأن محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في التوراة والإنجيل مع ان الانجيل نزل بعد موسى بألفي سنة ، فلماذا ذكر الله الإنجيل في هذا الموقف مع انه لم ينزل بعد ؟!

### الرد على الشبهة :

لنستعرض آيات سورة الأعراف ١٥٥-١٥٩ لكي يتضح المعنى :

{واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين . ١٥٥ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . ١٥٦ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم . فالذين

(١) - المصدر السابق ، شبهة رقم ١١٢

آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون . ١٥٧ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون . ١٥٨ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون . ١٥٩ {

ان خطابه تبارك وتعالى لموسى عليه السلام وذكره للإنجيل قبل نزوله انما هو من باب الإخبار بما سيكون وفيه تبشير له ببعثة محمد ﷺ ، وهذا واضح لقوله تعالى : فسأكتبها للذين للذين يتقون ويؤتون الزكاة .. إلى آخر الآيات . (١) لفت الله سبحانه وتعالى بني اسرائيل الى الذين سيؤمنون برسوله الأمي وأنه سيشمل برحمته العريضة أناسا بعدهم ، وأشاد بصفاتهم استنهاضا لهمم بني اسرائيل إلى التحلي بها . وبشرهم ببعثة هذا الرسول الأمي صلوات ربي وسلامه عليه . هذا ويجوز ان يكون قوله تبارك وتعالى : {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل} هو كلام مستأنف جديد بعد أن انهي الكلام عن سيدنا موسى عليه السلام . وقوله : {يأمرهم بالمعروف} خبرا له فيزول الاشكال من أصله . (٢) ويقول الدكتور محمد عزه دروزه حول هذه الآيات :

ان في القرآن الكريم استطرادات كثيرة مثل الاستطراد الذي تضمنته الآيتان ، وهو متناسب جدا مع السياق وفي مثابة بدل بياني آخر للذين سيكتب الله لهم رحمته مما جاء في الآية التي قبله : { ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون } حيث جاء بعدها { الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل . . } .

وجاء في قصص الانبياء حول هذه الآيات الكريمات: قال الله تعالى : {واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين . واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك } . هذه كانت كلمات موسى لربه وهو يدعو ويتراضاه . ورضي الله تعالى عنه وغفر لقومه فأحياهم بعد موتهم ، واستمع المختارون في هذه اللحظات الباهرة من تاريخ الحياة إلى

(١) - انظر تفسير العلامة الشوكاني " فتح القدير " (٢٧٨/٢) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ

(٢) - إعراب القرآن للباقولي الجزء الاول ص ٤٨١

النبوءة بمجيء محمد بن عبد الله ﷺ قال تعالى: {قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون} . سنلاحظ طريقة الربط بين الحاضر والماضي في الآية، إن الله تعالى يتجاوز زمن مخاطبة الرسول في الآيات إلى زمنين سابقين، هما نزول التوراة ونزول الإنجيل، ليقرر أنه (تعالى) بشرٌ بمحمد في هذين الكتابين الكريمين. نعتقد أن إيراد هذه البشرية جاء يوم سحب موسى من قومه سبعين رجلاً هم شيوخ بني إسرائيل وأفضل من فيهم، لميقات ربه. في هذا اليوم الخطير بمعجزاته الكبرى، تم إيراد البشرية بأخر أنبياء الله عز وجل.

## المطلب الثامن عشر : الوادى طوى

إنه لا يوجد وادى اسمه " طوى " في سيناء. فمن أين جاء به القرآن ؟

### الرد على الشبهة:

إنه فهم من قوله تعالى: {إني أنا ربك فاحلح نعليك إنك بالواد المقدس طوى} [طه: ١٢] أن (طوى) اسم للوادى المقدس. وفهمه خاطئ. وذلك لأن الله لما عبر عن السموات بأنها {مطويات بيمينه} [الزمر: ٦٧] يعنى بذلك: أن لا إله غيره يملك من أمر السموات من شيء. عبر عن الأرض بأنها فى ملكه وليس لإله آخر فيها من شيء. فالطى فى السماء كناية عن القدرة والطى فى الأرض كناية عن القدرة. والكناية مناسبة للواد المقدس ؛ والمقصود الأرض كلها لئلا يظن أن التقديس لغيره. وكرر الله المعنى فى السموات فقال: {يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب} [الأنبياء: ١٠٤]. وشبهه أن تكون الأرض (طوى) أى فى قبضته.

وفى الرسالة إلى العبرانيين: " وأنت يا رب فى البدء أسست الأرض ، والسموات هى عمل يديك. هى تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كتوب تبلى ، وكرداء تطويها؛ فتتغير، ولكن أنت أنت، وسنوك لن تفنى " [عب ١ : ٢٢.٢٠] فقد عبر عن طيها بطى الرداء.

فيكون المعنى {إنك بالوادي المقدس} الذي سيصير (طوى) بمعنى مطوى كما أن السماء ستكون مطوية بقدرته.

وهنا هو لا يعترض على القرآن بل على التفاسير ، وهو جانب آخر من إعجاز القرآن يزيد في إثباته وذلك أن كلام البشر من العلماء والمفسرين قد يختلف ويؤخذ منه ويرد ؛ ولكن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، شيء عجيب حقا ذلك القرآن الذي يقف أمام هؤلاء جميعا بكل ذلك الفهم الخاطيء والتصيد المستمر وإذ به يتعالى عليهم ويبقى في عليائه معجزا للبشر إلى يوم الدين.(١)

### المطلب التاسع عشر: هل إسماعيل أبا يعقوب كما ذكر القرآن؟؟

يقول السؤال : إني لا أفهم هذه الآية {أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق..} ، لأنني أعلم أن إسماعيل عم يعقوب .

الأب في اللغة يطلق حقيقة ومجازا: فأما الحقيقي فيطلق على الوالد ؛ لأنه يغذو ولده. وأما المجازي: فيطلق على كل من كان سببا في إيجاد شيء، أو صلاحه أو ظهوره، كما في قوله تعالى: {الني أولى بالمؤمنين من أنفسهم} [الأحزاب: ٦] قرئ بزيادة: وهو أب لهم ومعناها صحيح، ويسمى العم مع الأب أبوان وكذلك الأم مع الأب، وكذلك الجد مع الأب ، كما في الآية المسئول عنها، فإسماعيل لم يكن من آبائهم، وإنما كان عمهم حقيقة، وبعضهم يقول هنا: هذا الإطلاق على التغليب . وفي السنة قال النبي ﷺ عن عمه العباس لعمر -رضي الله عنهما- : (أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه) (٢)، وقال: "الخالة بمنزلة الأم" (٣). ومن إطلاق الأب على الجد العالي قوله تعالى: { كما أخرج أبايكم من الجنة {الأعراف}، وهما: آدم وحواء ، ومن السنة : (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا) (٤). وفي القرآن يأتي الأب ويراد به أربعة معاني - وهي (٥) :

(١) - الشبهة رقم ٧٢ من شبهات المشككين

(٢) - رواه البخاري (١٤٦٨)، ومسلم (٩٨٣)، واللفظ له من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-

(٣) - متفق عليه عند البخاري (٢٦٩٩)، ومسلم (١٧٨٣) من حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه-

(٤) - رواه البخاري (٢٨٩٩) من حديث سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه-

(٥) - ابن الجوزي في الوجوه والنظائر ص ١١١-١١٢

الأب الأصلي الأدنى : كما هو واضح في مثل قوله تعالى : {وورثه أبواه} [النساء: ١١]، وقوله تعالى: {وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر} [الأنعام: ٧٤] على الصحيح ، {وأبونا شيخ كبير} [القصص: ٢٣]. ويطلق ويراد به الأب الأعلى: كما في قوله: {واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب} [يوسف ٣٨]، وقوله تعالى: {ملة أبيكم إبراهيم} [الحج ٧٨]، ويطلق ويراد به العم: كما في الآية المسئول عنها . ويطلق ويراد به الخالة ، ومثاله قوله تعالى عن يوسف: {ورفع أبويه على العرش} [يوسف ١٠٠]

. قلت: -إن صح الخبر في الرابع - ولكن الظاهر أن الأبوين حقيقة أمه وأبوه ، والله أعلم .  
ثم قوله : { وإله آبائك } جمع أب؛ ثم بينوا الآباء بقولهم: { إبراهيم وإسماعيل وإسحاق }؛ { إبراهيم } بالنسبة إلى يعقوب جد؛ و { إسماعيل } بالنسبة إليه عم؛ و { إسحاق } بالنسبة إليه أب مباشر؛ أما إطلاق الأبوة على إبراهيم، وعلى إسحاق فالأمر فيه ظاهر؛ لأن إسحاق أبوه، وإبراهيم جده؛ والجد أب؛ بل قال الله عز وجل لهذه الأمة: {ملة أبيكم إبراهيم} [الحج: ٧٨] ؛ وهي بينها وبين إبراهيم عالم؛ لكن الإشكال في عددهم إسماعيل من آباءه مع أنه عمهم؛ فيقال كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه: «أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه» ؛ و«الصنو» الغصنان أصلهما واحد؛ فذكر مع الآباء؛ لأن العم صنو الأب؛ وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «الخالة بمنزلة الأم» ؛ كذلك نقول: العم بمنزلة الأب؛ وقيل: إن هذا من باب التغليب، وأن الأب لا يطلق حقيقة على العم إلا مقرونا بالأب الحقيقي؛ وعلى هذا فلا يكون فيها إشكال إطلاقاً؛ لأن التغليب سائغ في اللغة العربية، فيقال: «القمران»؛ والمراد بهما الشمس، والقمر؛ ويقال: «العمران»؛ وهما أبو بكر، وعمر . وقوله تعالى: { إبراهيم } بدل من { آباءك }؛ أو عطف بيان؛ (١)

**المطلب العشرون: الرد على شبهة حول خلاف القرآن للكتاب**

### المقدس في عصر نمروذ

حول خلاف القرآن للكتاب المقدس في عصر نمروذ حسب قول القرآن والمفسرين ألقى نمروذ بإبراهيم في النار [ الأنبياء: ٦٩: ٦٨ ] وليس من المعقول أن يكون نمروذ حيا في زمن

(١) - الإجابة للشيخ / عبد الحكيم القاسم مقال منشور على الإنترنت .

إبراهيم عليه السلام [الكتاب المقدس سفر التكوين ٨ : ١٠ ، ١١ ، ١٠ : ٢٢ ، ، ١١ : ١٣ : ٢٦] . . . . الرد على الشبهة:

في قصص القرآن الكريم عن إبراهيم الخليل عليه السلام مشاهد عديدة.. منها معجزة نجاته من التحريق بالنار ، بعد أن حطم أصنام قومه التي يعبدونها: { قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين \* قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم \* وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخرسين } . ويحكى القرآن محجة إبراهيم للملك في سورة البقرة: { ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين } . والقرآن الكريم لم يسم الملك الذي حاج إبراهيم في ربه « لأن قصد القرآن من القصص هو مضمون المحاجة ، والعبرة منها.. واسم الملك لا يقدم ولا يؤخر في المضمون والعبرة. أما تسمية هذا الملك الذي حاجه إبراهيم ب " النمرود " والاختلاف في نطق اسمه. ومدة ملكه.. فجميعها قصص تاريخي ، أورده المفسرون.. فهو غير ملزم للقرآن الكريم (١).. ومن ثم لا يصح أن يورد ذلك كشبهة تثار ضد القرآن.. فليس لدينا في التاريخ الموثق والمحقق ما يثبت أو ينفي أن اسم الملك الذي حاج إبراهيم الخليل في ربه هو " النمرود " . وإنما هو قصص تاريخي يحتاج إلى تحقيق..

ولقد راجعت العهد القديم ، في المواضع التي جاء ذكرها في السؤال [سفر التكوين الإصحاح ٨ : ١٠ ، ١١ والإصحاح ١٠ : ٢٢ ، ، والإصحاح ١١ : ٢٦ : ١٣] وهي تحكى عن قبائل نوح ، ومواليد ابنه سام ، فلم أجد فيها ذكر الملك " النمرود " .

وفي " دائرة المعارف الإسلامية " التي كتبها المستشرقون وقد حرر مادة " إبراهيم " فيها " ج. إيزبرغ " يأتي ذكر الملك نمرود في قصة إبراهيم دون اعتراض.. وفي أثنائها إشارات إلى مصادر عبرية أشارت إلى النمرود منها [ دلالة الحائرين لموسى بن ميمون الفصل ٢٩ ] .. ومنها " سفر هياشار " فصل نوح.. وتأتي الإشارة إلى " نمرود " الملك في سفر التكوين بالعهد القديم الإصحاح ١٠ : ١١ باعتباره " الذي ابتداء يكون جبارا في الأرض " ..وبه كان يضرب المثل في التجبر.. " وكان ابتداء مملكته بابل وأرك وأكد وكلنة من أرض شنغار. من

(١) - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٣ ص ٢٨٥ ، ٢٨٣ والزعشمري ، الكشف ، ج ١ ص ٣٠٥ ، مراجع سابقة .

تلك الأرض خرج أشور وبنى نينوى.. " إلخ.. إلخ.. وأخيراً.. فليس هناك ما يمنع تكرار لاسم " نمرود " لأكثر من ملك في أكثر من عصر وتاريخ.. ويبقى أن الشبهة إذا كانت هناك شبهة خاصة بالقصص التاريخي.. ولا علاقة لها بالقرآن الكريم..(١)

**المطلب الحادي والعشرين: يمدح القرآن الإسكندر الأكبر (ذو القرنين) كعبد صالح يؤمن بالله ١٨ : ٨٧ . ٨٨.** ولكن جميع مؤرخي الإغريق يجمعون على أنه كان من عبدة الأوثان. فكيف يصح ذلك؟

الجواب:

في القرآن [الكهف: ٨٣ . ٩٨] حكاية ذى القرنين: {ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً. إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً} [٨٣، ٨٤] إلى آخر الآيات.. وخلال هذه الآيات يتبدى عدل (ذى القرنين) ، فيقول: {قال: أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً. وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً} [٨٧، ٨٨] .. تلك هي تسمية القرآن الكريم لهذا الملك (ذى القرنين) .

أما أن ذا القرنين هذا هو الإسكندر الأكبر المقدوني (٣٥٦ . ٣٢٤ ق.م) فذلك قصص لم يخضع لتحقيق تاريخي.. بل إن المفسرين الذين أوردوا هذا القصص قد شككوا في صدقه وصحته.. فابن إسحق (١٥١ هـ / ٧٦٨ م) . مثلاً . يروى عن " من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علم ذى القرنين " أنه كان من أهل مصر، وأن اسمه " مرزبان بن مردية اليوناني " ..

أما الذى سماه " الإسكندر " فهو ابن هشام (٢١٣ هـ ٨٢٨ م) الذى لخص وحفظ (السير) لابن إسحق.. وهو يحدد أنه الإسكندر الذى بنى مدينة الإسكندرية فنسبت إليه.. وكذلك جاءت الروايات القائلة إن (ذا القرنين) هو الإسكندر المقدوني عن (وهب بن منبه) (٣٤ . ١١٤ هـ / ٦٥٤ . ٧٣٢ م) <sup>٢</sup> ، وهو مصدر لرواية الكثير من الإسرائيليات والقصص الخرافى.

(١) - حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، شبهة رقم ٤٢

(٢) - الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ج ١١ ص ٥٠ .

ولقد شكك ابن إسحق . وهو الذى تميز بوعى ملحوظ فى تدوين ونقد القصص التاريخية . شكك فيما روى من هذا القصص الذى دار حول تسمية ذى القرنين بالإسكندر، أو غيره من الأسماء.. وشكك أيضاً فى صدق ما نسب للرسول ﷺ حول هذا الموضوع.. وذلك عندما قال ابن إسحق: " فالله أعلم أى ذلك كان؟ .. أقال رسول الله - ﷺ ذلك أم لا؟ " . ويثنى القرطبي على شك وتشكيك ابن إسحق هذا، عندما يورده، ثم يقول: " والحق ما قال " .. أى إن الحق هو شك وتشكيك ابن إسحق فى هذا القصص، الذى لم يخضع للتحقيق والتمحيص، وإن يكن موقف ابن إسحق هذا، وكذلك القرطبي ، هو لون من التحقيق والتمحيص.فليس هناك، إذن، ما يشهد على أن الإسكندر الأكبر المقدوني الملك الوثني هو ذو القرنين العادل والموحد لله.(١)

## المطلب الثاني والعشرون: الطعن فى قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس والهدهد:

قال الإمام الرازي: (أن الملاحظة طعنت فى هذه القصة من وجود: أحدها: أن هذه الآيات اشتملت على أن النملة والهدهد تكلمتا بكلام لا يصدر ذلك الكلام إلا من العقلاء، وذلك يجر إلى السفسطة، فإننا لو جوزنا ذلك لما أمنا فى النملة التى نشاهدها فى زماننا هذا أن تكون أعلم بالهندسة من إقليدس وبالنحو من سيويه، وكذلك القول فى القملة والصئبان، ويجوز أن يكون فيهم الأنبياء والتكليف والمعجزات. ومعلوم أن من جوز ذلك كان إلى الجنون أقرب. وثانيها: أن سليمان عليه السلام كان بالشام، فكيف طار الهدهد فى تلك اللحظة اللطيفة من الشام إلى اليمن، ثم رجع إليه.

وثالثها: كيف خفي على سليمان عليه السلام حال مثل تلك المملكة العظيمة مع ما يقال إن الجن والإنس كانوا فى طاعة سليمان، وأنه عليه السلام كان ملك الدنيا بالكلية، وكان تحت راية بلقيس حال طيران الهدهد إلا مسيرة ثلاثة أيام؟.

ورابعها: من أين حصل للهدهد معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافة إلى الشيطان وتزيينه؟) (٢).

الجواب: قال الرازي فى الجواب على ذلك:

(١) - شبهات المشككين ، شبهة رقم ٤٣

(٢) - مفاتيح الغيب للرازي المسمى بالتفسير الكبير ١٩٠/٢٤-١٩١

(والجواب على الأول: أن ذلك الاحتمال قائم في أول العقل، وإنما يدفع ذلك بالإجماع.

وعن البواقي: أن الإيمان بافتقار العالم إلي المختار يزيل هذه الشكوك (١).

هذا ما رد به الرازي على هذه الطعون، وهو رد مجمل قاصر يكاد يسلم - بعد هذه الطعون الفصلة - بالعجز على الرد المفصل القوي، مما يذكرنا بما قيل عن الرازي أنه - مع علمه وفضله - كان يذكر الطعون مفصلة ولا يورد معها - أحيانا - ما يكافئها من الجواب، مما فتح مجالاً أمام متبعي الشبهات للاستدلال على طعوتهم بما أورده الرازي ولم يفلح مع كبير علمه في الرد عليه. والحقيقة أن هذه الطعون - التي عرض لها محمد خلف الله (٢) - لا تقوم في مجموعها أو تفصيلاً كما مستند للطعن في شيء من القرآن الكريم، وسيكون ردنا عليها نقضاً لكل من يستدل بها وذلك على النحو التالي:

(أ) فيما يتصل بكلام الهدهد والنملة - فقد أصبح من المقطوع به الآن عند العلماء الذين يدرسون سلوك أنواع الطير والحيوان والحشرات، أن لكل منها لغة تقوم مقام اللغة المعهودة عند البشر، في التعبير ونقل الأحاسيس والمعارف، على نحو ما ماتزال تفاصيله مجهولة من البشر، لكن المقطوع به من شواهد كثيرة جداً أن لكل منها نوعاً من اللغة يتم به الإتصال بين أفرادها، وقد سجل بعض العلماء تسجيلات صوتية لأنواع من الطيور في حالة الفرع نقلت إليهم - في غاية من الوضوح - هذه المشاعر والمعاني (٣).

فلم يعد يشك الآن في أن كل نوع من الأحياء له لغة خاصة بأفراده، وهذا أمر واضح لكل من يراقب سلوك الطيور والحشرات، بل إن بعض العلماء يذهبون إلى أن أنواع النبات هي الأخرى تملك لغة واتصالاً فيما بينها، على نحو ما - مما لا يتسع المجال لتقرير القول فيه، ولا يتطلبه.

فما العجب بعد هذا من أن تتكلم النملة، ويتكلم الهدهد، بكلام يفهمه سليمان عليه السلام لأنه - كما ورد في القرآن الكريم - علم منطق الطير وأوتي من كل شيء [النمل ١٦]؟ أما أنهم تكلموا بكلام يدل على شيء من العقل فإن من يراقب سلوك الطير والحشرات فسوف يدرك بغاية من الوضوح أن سلوكهم يجري على نظم من الوعي والتدبير والعمل من أجل غايات

(١) - المرجع السابق نفس الصفحة

(٢) - محمد خلف الله في كتابه "الفن القصصي في القرآن الكريم" سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٩٩٩، وإن كان هو لم يتدعها بل أخذها من المستشرقين مثل المستشرق الألماني هوروفيتش و بروكلمان . وأما الطبعة الأولى فقد طبعت عام ١٩٥١. وقد أشرف على الرسالة أمين الخولي - زوج عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) - مقراً له على كل ما قال ، وقد أحدثت هذه الرسالة ضجة مدوية في وقتها حيث تقدم الطالب محمد أحمد خلف الله عام ١٩٤٧ في كلية الآداب بجامعة فؤاد رسالة للحصول على الدكتوراة عن "الفن القصصي في القرآن الكريم" ، وقرر فيها أن القرآن يذكر أشياء لم تقع، وقد تم رفض الرسالة وفضل الطالب، انظر: "منهج المدرسة العقلية الحديثة للرومي" ص: ٤٤٥

(٣) - وقد استخدم هذا تجريبياً في زجر الطير لاقط الحب عن أماكن هذه الحبوب بإذاعة تسجيلات التحذير والفرع. والعلماء الآن يحاولون التعرف على منطق بعض الطير.

تهددهم إليها غرائزهم وفطرتهم، وعلى المعاند في هذا أن يقرأ شيء عن سلوك الحشرات والطيور في كتب العلم التحريبي، وسوف يذهله ما يقرأ، وعليه أن يراقب العمل والنظام في (مملكة النحل) أو في (عالم النمل وقراه التي ينشئها) .. وليس ذلك كله إلا مصدقا لقوله تعالى {ربنا الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى} [طه: ٥٠] وقوله: {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون} [الأنعام: ٣٨] ، وهو الذي تدل عليه بحق كافة مشاهدات العلماء المحققين. والمتشكك في ذلك إنما هو المستحق لسخرية الساخرين! فما العجب إذن في أن تتكلم نملة ويتكلم هدهد؟ وما العجب في أن يفهم عنهما من عرف لغة كل منهما؟

ولا يجر ذلك - كما زعم الملاحدة الطاعنون - إلى شيء من السفسطة التي ذكروها، فلم يقل القرآن الكريم بشيء من ذلك، إنما قال بما تدل عليه ملاحظة هذه الأنواع، وهو أن لها منطقا، أما علم الهندسة، والنحو، والتكليف، والمعجزات؛ فإنما هو من قول الملاحدة الذي يرد عليهم، لأننا لا نحمل القرآن الكريم إلا ما نطق به لا ما قام في أوهام الملاحدة.

(ب) فيما يتصل بطيران الهدهد من الشام إلى اليمن، ثم الرجوع إلى الشام، فالذي ورد في القرآن الكريم عنه قوله تعالى: {فمكث غير بعيد..} [النمل: ٢٢] ، وليس في القرآن الكريم تحديد أن الهدهد مكث " لحظة " كما يقول هؤلاء، ولا يفهم من " غير بعيد " في سياقها إلا مدة تكفي للطيران، وقد قرئت على صفحاء العرب من المشركين في عصر الرسالة - وهم أعلم باللغة، وكانوا يعرفون اليمن والشام - فما أثاروا - فيما علمنا - هذا الاعتراض، فعلم منه أن التعبير القرآني يخلو عن دواعي اعتراض هؤلاء الملاحدة.

(ج) أنا كيف خفي على سليمان حال مملكة سبأ - فإن القرآن الكريم لم يصفه بأنه كان يعرف الغيب، وقد كان هذا غيبا بالنسبة إليه، وليس فيما وصف القرآن الكريم به سليمان عليه السلام إلا تسخير الرياح والشياطين وتعليم منطق الطير وإيتاء الملك الذي لا ينبغي لأحد بعده، لكن ليس فيه شيء من وصفه بعلم غير ما علمه الله له، فما العجب في أن تكون في الأرض أشياء وممالك كان سليمان - مع عظمة ما أعطاه الله له - يجهلها؟ إن القرآن الكريم لا يذكر شيئا عن أن سليمان - عليه السلام - كان ملك الدنيا كلها بأكملها - كما يزعم هؤلاء الطاعنون - ولعل مستندهم في هذا إنما هو بعض المبالغات الإسرائيلية التي لم يرد لها ذكر في الوحي القرآني.

أما إذا كان واحد منهم قد فهم ذلك من قوله تعالى: {وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون} [النمل: ١٦] ، فهو لا يعرف شيئاً عن أساليب البيان العربية، لأن (من) هنا للتبعيض، وليس المعني أن كل الأنس - دون استثناء - كانوا تحت ملكه.

ولعل الذي جر الطاعنين إلي طعنهم ما ذكروه هم من أنه كان تحت راية ملكة سبأ اثنا عشر الف ملك تحت راية كل منهم مائة ألف !

وليس في نصوص القرآن الكريم شيء من هذا مطلقاً، والعدد الذي ذكروه يجاوز بكثير جدا ما يمكن أن يكون موجوداً عندئذ من عدد السكان، وهو يذكرنا بما نقده ابن خلدون من مبالغات المؤرخين القدماء، وما حذر منه (فيكو) من غرور الأمم حين تكتب تاريخها - فكيف تحمل هذه المبالغات على نصوص القرآن الكريم التي لم تعرض لها إطلاقاً؟

فلا عجب إذن أن يجهل سليمان - عليه السلام - أمر ملكة سبا مع كل ما أعطاه الله له، لأنه لم يعطه علم كل ما في الأرض، ولم تكن هناك اتصالات منتظمة بين الممالك بحيث تعرف كل منها الأخرى، وتتصل بها على النحو الذي نعهده في عصرنا والذي حدث بعد ذلك بحكم التطور العمراني، ولم تكن الجن التي سخرت لسليمان - عليه السلام - أيضاً تعرف الغيب كما ورد في قوله تعالى: {فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين} [سبأ: ١٤] .

(د) أما من أين حصل للهدهد معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلي الشيطان وتزيينه؟ فإنما كان الهدهد من جند سليمان عليه السلام، والآيات تتكلم عن أمر (غيب) لا يقاس على معرفة البشر الآن بأحوال الطير، وما المانع من أن تكون فطرة كافة المخلوقات عارفة بوجوب السجود لله تعالى وحده، وقد جاء في القرآن الكريم شاهداً بذلك قوله تعالى: (اولم يروا إلي ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمال سجداً لله وهم داخرون والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ) [النحل: ٤٨-٤٩] وقوله: {والنجم والشجر يسجدان} [الرحمن: ٦] وقوله: {الم تر ان الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسيحه والله عليم بما يفعلون} [النور: ٤١] وقوله {تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهم وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً} [الإسراء: ٤٤] ... فما العجب بعد هذا كله أن يكون الهدهد من جند سليمان - عليه السلام - عارفاً لوجوب السجود لله تعالى وحده منكر السجود لغيره؟

إن القضية - فيما نرى قضية إخبار عن الغيب لا تصل معرفة البشر التجريبية أو العقلية إلى شيء يستند إليه إنكار هذا الإخبار الذي يجاوز حدود هذه المعرفة، فالمؤمنون بالغيب وبصدق الوحي القرآني يؤمنون به، والمكذبون ينكرون بكل ما لا يقع منهم تحت حس مباشر أو تجربة مادية، لكنهم في مثل هذه القضايا الغيبية لا مستند لهم في إنكارهم إلا محض الشك والتكذيب وقياس الغائب على الشاهد وتحكيم عقولهم القاصرة فيما هو من علم الغيب، ... ولسنا نملك لهؤلاء وسيلة تحملهم على الإيمان بالغيب وعدم قياس الأمور فيه على علم الشهادة البشرية. {ومن يرد الله فنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم} [المائدة: ٤١] .

.... وبهذا يتبين لنا أنه ليس فيما ورد من قصة سليمان في سورة النمل ما يطعن في صحة شيء مما ورد في القرآن الكريم (١).

وقد ذكر خلف الله طعوناً أخرى لكنها لا تدخل في موضوع (دعوى معارضة القرآن للحقائق التاريخية) ، لذلك لم أذكرها، وإن كان من رد على خلف الله ذكرها؛ لأني لا أرد على كتاب خلف الله، بل أرد على من زعم هذه الدعوى، وأغلب إشكالاته من باب تعارض الآيات بعضها مع بعض ، وقد أجبنا على أكثرها في المطلب السابق (٢).

**المطلب الثالث والعشرون: عيسى يتكلم في المهد : إنه قد جاء في القرآن أن المسيح قد تكلم في المهد. وليس في الأناجيل ما يدل على كلامه في المهد.**

الرد على الشبهة:

إن مريم لم تكن مخطوبة ولا متزوجة. وقد أحصنت فرجها. أى منعت نفسها عن الزواج طيلة حياتها وسلكت في سلك الرهبنة. ثم إنها ابنة كاهن من نسل هارون . عليه السلام . وابنة الكاهن إذا زنت فإنها تحرق بالنار. لما جاء في سفر الأخبار: " وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنا؛ فقد دنست أباه، بالنار تحرق " [لا ٢١ : ٩] . ومريم قد أتت بولد وهى غير متزوجة. وهذا هو دليل الاتهام فلماذا لم تحرق؟ إن عدم حرقها يدل على أن ابنها تكلم في

(١) - مدخل إلى علم التفسير للدكتور محمد بلتاجي (ص: ٢٣٦) . مكتبة الشباب:، مصر، ١٩٩٨ .

(٢) - دعوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ، عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ص ٣٦٥ - ٣٧٠ مرجع سابق

المهد. ومع ذلك فقد جاء في بعض الأناجيل المرفوضة أنه تكلم في المهد. ومن ذلك: " وبينما كانوا نياماً؛ حذرهم الطفل من الذهاب إلى هيرودس " [بر ٧ : ١٠] .

## الطعون والتوهّمات حول عيسى بن مريم والمسيحية في القرآن

قال ابن تيمية رحمه الله: (فتبين أنهم (أي النصارى) يريدون أن يحرفوا القرآن كما حرفوا غيره من الكتب المتقدمة، وأن كلامهم في تفسير المتشابه من الكتب الإلهية من جنس واحد) (١).

وقال رحمه الله في شأن ما يستدل به النصارى من آيات الذكر الحكيم: (ان جميع ما يحتجون به من هذه الآيات وغيرها، فهو حجة عليهم لا لهم، وهكذا شأن جميع أهل الضلال إذا احتجوا بشيء من كتاب الله وكلام أنبيائه، كان في نفس ما احتجوا به ما يدل على فساد قولهم، وذلك لعظمة كتب الله المنزلة على أنبيائه، فإنه جعل ذلك هدى وبيانا للخلق وشفاء لما في الصدور، فلا بد أن يكون في كلام الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين من الهدى والبيان ما يفرق الله به بين الحق والباطل، والصدق والكذب، لكن الناس يؤتون من قبل أنفسهم، لا من قبل أنبياء الله تعالى) (٢). فالأمر كما قال الله: {وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ} [المائدة: ١٣]!

### المطلب الأول: القرآن وألوهية المسيح.

قالوا: القرآن وافق المسيحية في معتقداتها وبخاصة تأليه المسيح، فقد ذكر بأنه كلمة الله وروحه: {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} [النساء: ١٧١]، فهذا عين ما يقوله النصارى عنه، فكلمة الله ليست مخلوقة، بل هي كلمة أزلية، وكذلك روحه هي حياته، وإذا كان كذلك فالمسيح أزلي، والأزلية من لوازم الربوبية والألوهية. وذلك يجعل (من) للتبويض - روح من الله -- وكلمته التي تجسدت وصارت إنساناً. كما يقول فندر: "توجد بعض الآيات الأخرى التي تعطي له [أي لعيسى] أعظم الألقاب التي لم تعط لغيره فيه [أي في القرآن] البتة، منها: كلمة الله وهذا اللقب لا يصح أن يسمى به أي مخلوق كان" (٣) هكذا يزعم المنصرين والقسس.

ومضى بعضهم إلى القول: إن القرآن المكي كان يمتدح النصارى ويتقرب إليهم بسبب علاقة النبي ﷺ بخديجة ابنة عم ورقة بن نوفل وبالنجاشي الذي آوى المسلمين في الحبشة،

(١) - (الجواب الصحيح ٢٧٤/٣) لابن تيمية، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

(٢) - (الجواب الصحيح ٤٣/٤) مرجع سابق

(٣) - عبد الرحمن الجزيري: "أدلة اليقين في الرد على ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين" ص (٣٥٩). الطبعة الأولى ١٩٣٤/١٣٥٣.

وأن القرآن المدني هو الذي سجل موقفاً رافضاً للمسيحية، خلافاً للقرآن المكي.

وفي الجواب نقول: تتكامل الآيات المكية والمدنية في رفض مظاهر الشرك المسيحية المتمثلة في عبادة المسيح عليه السلام والقول بالثالوث. ولعله يحسن أن نبدأ بما جاء في السور المكية حول هذا الموضوع، ثم ننتقل إلى المدنية منها. ففي الحبشة وقف المسلمون الملتجئون إلى النجاشي بين يديه فسألهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول " (١)، وهذا القول مصداق ما أنزل الله: { قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَاتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّسْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ } [مریم: ۳۰ - ۳۷]، فهذه الآيات المكية ناطقة بعبودية المسيح لله، وأنه مخلوق بكلمة (كن)، وأن الله متوعد بعذابه الذين خالفوا الحقيقة وتنكبوها في شخص المسيح.

ومن أراد مزيد بيان فليصخ السمع إلى التقرير الذي ترتجف لقوته الأفئدة وتهتز القلوب، تقرير يشنع فيه القرآن المكي على من زعم أن الله ولداً { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا } [مریم: ۸۸ - ۹۵].

لقد كان القرآن الكريم صريحاً في التشنيع على أقوال النصارى في المسيح، وإثبات عبوديته لله في الآيات المكية والمدنية على السواء، ففي المكي يقول: { وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقَالُوا أَأَهْنَأُ خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ } [الزخرف: ۵۷ - ۵۹].

ثم تمضي الآيات لتقول: { وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ

(١) - (أخرجه أحمد ح (٤٣٨٦)).

لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ { [الزخرف: ٦٣ - ٦٥].

وفي المدني يقول الله: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} [النساء: ١٧٢]، وفي سورة المائدة: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْيَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اْعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: ١١٦ - ١١٧]، فأبي فرق يجده القارئ بين القرآني المكي والمدني؟!!

وكما كان القرآن المكي صريحاً في اعتبار المسيح رسولاً من رسل الله الكرام { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ } [الصف: ٦]، فإن القرآن المدني كان كذلك: { أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [المائدة: ٧٥ - ٧٦].

وهكذا تبين بطلان الدعوى باختلاف حديث القرآن المكي عن المدني في المسيح عليه السلام، فالكل من عند الله علام الغيوب، إذا كان كذلك، فكيف يتوافق القول بعبودية المسيح مع القول بأنه كلمة الله وروح منه؟!!

وبداية ننبه إلى أن هذا الاستدلال المغلوط قديم، قاله نصارى نجران بين يدي النبي ﷺ حين سألوه: " أأنت تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ فقال: «بلى». قالوا: فحسبنا. فأنزل الله عز وجل: { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ }

[آل عمران: ٧] (١) ، فهذا القول من الفتنة لما فيه من التلبس اعتماداً على المتشابه من القول، أي ما يحتمل معاني مختلفة.

ولو قرؤوا الآية بتمامها لوجدوا فيها بيان ما تشابه عليهم، فهي تنعى عليهم غلوهم في شخص المسيح، وقولهم بأنه ابن الله، وأنه مشترك مع الله في الثالوث { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا لَّنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا } [النساء: ١٧١ - ١٧٢]، فالمسيح عبد الله ورسوله، وهو أيضاً كلمته وروح منه.

فماذا يعني قولنا: المسيح كلمة الله؟ هل يعني أنه عليه السلام صفة الكلام الأزلية لله؟ بالطبع: لا، فالمسيح كلمة الله المخلوقة، لا الكلمة التي يخلق الله بها خلقه [كن]، وهذا صريح القرآن { إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [آل عمران: ٤٥ - ٤٧]، فصرحت الآيات أن المسيح { كَلِمَةٌ مِنْهُ }، وأكمل السياق القرآني فوصفه بأنه مخلوق { اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ }.

فكيف تكون كلمة الله مخلوقة مع يقيننا بأن القرآن كلام الله المنزل غير المخلوق؟ ولتقريب معنى "كلمة الله" نضرب مثلاً بعبارة "اضطهاد اليهود"، فهي تدل على معنيين متغايرين صحيحين:

الأول: "اضطهاد النازيين لليهود"، أي أنها تدل على المفعول.

الثاني: "اضطهاد اليهود للفلسطينيين"، أي أنها تدل على الفاعل.

وهكذا اختلفت دلالة العبارة بين هذين المعنيين.

ومثلها قولنا: "كلمة الله" فيمكن أن تدل على كلمة الله التي خلق بها الأشياء

(١) - (الطبري في تفسيره ٣/١٧٧). مرجع سابق

{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢]، كما يمكن أن تدل على ما خلق بهذه الكلمة {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: ٥٩]، والباحث عن الحق يختار منهما ما وافق السياق، وانسجم مع المعاني المحكمة؛ خلافاً لأصحاب القلوب المريضة الذين يختارون من المعاني ما يوافق أهواءهم؛ ولو خرج بالنصوص عن مساقها: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زِينَةٌ فَيَسْتَبَعُونَ مَا نَشَابَهُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [آل عمران: ٧].

وسبب اختصاص المسيح بهذا الاسم الشريف دون غيره من المخلوقين بكلمة الله؛ أنه خلق من غير تدخل أبوي، خلق بأمر الله وكلمته التكوينية (كن)، ولما لم يكن للمسيح سبب بشري قريب ينسب إليه من جهة أبيه كغيره من الناس؛ فقد نُسب إلى السبب البعيد، وهو تخليقه بكلمة الله، التي تخلق وفق إرادة الله تبارك وتعالى (١). ومما يؤكد أن مقصود القرآن بالكلمة؛ كلمة الله التي كانت سبباً في وجوده، لا المعنى الفلسفي الذي يزعمه النصراني (اللوغس) ((logos) مصطلح لاهوتي مسيحي، يطلق على المسيح كلمة الله، بمعنى أنه عقل الله الناطق). قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكُمْ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} [آل عمران: ٤٥]، فهو كلمة من الله، وليس صفة الله الأزلية.

وأما قوله تبارك وتعالى عن المسيح {وروح منه} فلا يفيد أن المسيح روح الله أو حياته كما نطق بذلك فلاسفة المسيحية، لأن قوله: {منه} ليست للتبعيض، بل لابتداء الغاية، بمعنى صادرة عنه، فهي كقوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ} [الجاثية: ١٣]، أي خلقت منه.

ويجدر هنا التنبيه إلى أنه ليس من المسلمين أحدٌ يعتقد أن الروح صفة من صفات الله القائمة بذاته، بل الأرواح جميعاً مخلوقاته تبارك وتعالى، ونسبتها إليه من باب نسبة المخلوق إلى خالقه وموجده، وهو من باب التشريف، كقولنا: بيوت الله، شعب الله، وأمثالهما. ولا يختص المسيح بأنه روح الله، فقد قال الله عن الصديقة البتول مريم: {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} [مريم: ١٧]، فالمراد بالروح في الآية جبريل - عليه السلام -، كما سماه الله عز وجل في آية أخرى روح القدس: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} [النحل: ١٠٢]،

(١) - (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، أبو حامد الغزالي، ص (١٦٦)، والداعي إلى الإسلام، ابن الأنباري، ص (٣٧٦).) نقلا عن كتاب منقذ السقار، "تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين ص ١٧٦، مرجع سابق.

وفي آية أخرى: { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } [الشعراء: ١٩٣]، وسبب تسميته بالروح أنه مخلوق روحي غير مادي. وقد تمثل جبريل (روح الله) للعدراء في صورة رجل { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } [مریم: ١٧]، فنفخ في جيبها، فسرى المسيح في أحشائها، فالمسيح خلق بنفخة منه { فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا } [الأنبياء: ٩١].

وهذا المعنى الشريف ورد في حق آدم أيضاً الذي خلق من طين، ثم: { وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي } [الحجر: ٢٩]، فإضافة روحه عليه السلام إلى الله إضافة تشريف وتكريم، ولو أوجبت هذه الإضافة معنىً خارجاً عن الإنسانية؛ لكان آدم أولى بذلك من المسيح { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [آل عمران: ٥٩].<sup>(١)</sup> يقول الإمام أحمد المعنى في قوله جل ثناؤه { إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم } [النساء: ١٧١] الكلمة التي ألقاها إلى مريم : حين قال له كن، فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن، ولكن بكن كان . فالكن من الله قول، وليس الكن مخلوقا. وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى. وقلنا نحن إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة"<sup>(٢)</sup>.

ويقول أبو عبيد القاسم بن سلام: "وأما المسيح فالمراد أن الله خلقه بكلمة لا أنه هو الكلمة لقوله { ألقاها إلى مريم } ولم يقل ألقاه ويدل عليه قوله تعالى { إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون }"<sup>(٣)</sup> ف "ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى .. قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل".<sup>(٤)</sup> أما إن زعم المنصورون والنصارى أن (من) في قوله تعالى "بكلمة منه" للتبعيض فإنه خطأ فاحش، ولكنها لا ابتداء الغاية "وهو الغالب عليها حتى ادعى جماعة [كما يذكر ابن هشام الأنصاري] . أن سائر معانيها راجعة إليه"<sup>(٥)</sup> كما في الآية { وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه } [الجاثية : ١٣] . يقول الشنقيطي: "ولكن من هنا

(١) - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المظلمين ، منقذ بن محمود السقار ص ١٧١ - ١٧٧

(٢) - (الرد على الجهمية والزندقة ص ٤٣) "الرد على الجهمية والزندقة فيما شكوا فيه من مشابهة القرآن وتألوله على غير تأويله: أحمد بن محمد بن حنبل. قام بتصحيحه والتعليق عليه: إسماعيل الأنصاري، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والأفتاء والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية.

(٣) - "فتح الباري ج (١٣) ، ص (٤٩٨) . مرجع سابق .

(٤) - (ابن كثير ج (٢) ص (٤٧٨) . مرجع سابق .

(٥) - (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" ج (١) ص (٣١٨)) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.

لابتداء الغاية يعني أن مبدأ ذلك الروح الذي ولد به عيسى حيا من الله تعالى لأنه هو الذي أحياه به. ويدل لما ذكرنا ما روي عن أبي بن كعب أنه قال: خلق الله أرواح بني آدم لما أخذ عليهم الميثاق ثم ردها إلى صلب آدم وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم فكان منه عيسى عليه السلام " (١).

فلو افترض أن من للتبعيض لكان المعنى كالتالي: إن الله يبشرك بعيسى بعض من الله ولأصبح المعنى فاسدا فسادا بينا من ناحية نصرانية فضلا عن بطلانه قبل ذلك من ناحية إسلامية ولغوية ، فعيسى يصبح جزءا وبعضا من الإله. والبعض ليس مساويا لكل عقلا، والنصارى يعتقدون أن المسيح (الابن) بزعمهم إله مساو للأب في الجوهر وليس جزءا منه بل يعتقدون أن الكلمة - وهي عيسى - هي الله فعيسى ليس بعضا من الله سواء كان هو الروح أو هو الكلمة بحسب اعتقادهم. وهذا مبطل لكون (من) للتبعيض، فضلا من استخدام (من) لابتداء الغاية في كتبهم على نحو يمنع من خلال السياق أن تكون للتبعيض وهو ما يماثل ما ههنا. ولذلك أول من يجب عليه إبطال أن (من) للتبعيض كما ترى هم النصارى أنفسهم وبحسب اعتقادهم الباطلة ومن الأمثلة التي لا يجوز استخدام من للتبعيض في كتبهم في مثل قوله "امتحنوا الأرواح هل هي من الله نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ومن ليس من الله لا يسمع لنا وكل من يجب فقد ولد من الله" (( ١ يوحنا ٤ : ٧-١٠) . ولكنهم يحاولون التلبس على المسلمين لتحقيق أغراضهم ولو كانت حقيقة اعتقادهم تناقض دعاوهم وافتراءاتهم على كتاب الله.

## المطلب الثاني : الضمير نحن في القرآن المقصود به عيسى ( التثليث له

### وجود في القرآن) ؟

فقد كان نصارى نجران "يقولون عن عيسى عليه السلام: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة ويحتجون بأنه ثالث ثلاثة بقول الله: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا وقضينا فيقولون: لو كان الله واحدا ما قال إلا فعلت، وقضيت وأمرت وخلقته ولكنه هو وعيسى ومريم" (٢) ، كما احتجوا على الرسول ﷺ بقوله تعالى: {إنا نحن} [الحجر: ٩] .

(١) - (أضواء البيان ج ١ ص ٣٢٣-٣٢٤ الشنقيطي) : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان ، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

(٢) - ("السيرة النبوية". ج ٢ ص: (١٦٠) . لابن هشام الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة ، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد

قالوا: وهذا يدل على أنهم ثلاثة" (١) ويقول المنصر فندر إن "مما لا يصح إغفاله إن القرآن يتفق مع الكتاب المقدس في إسناد الفعل، وضمير المتكلم في صيغة الجمع إلى الله. وفي القرآن ما ورد في سورة العلق حيث يقول: {سندع الزبانية} وإنما أوردنا ذلك إشعاراً بأننا لا نخطئ إذا اعتبرنا عقيدة التثليث موافقة لإسناد ضمير الجمع إلى الله في القرآن" (٢) فالتثليث عند النصارى هل له وجود في الإسلام؟ فلماذا يستخدم القرآن لفظ نحن في الآيات؟ كثير من غير المؤمنين يقولون إن هذا إشارة إلى عيسى....؟

الجواب : ورد بطلانه والمنادة على صاحبه بالكفر والشرك ، بقوله تعالى : (( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ )) [المائدة / ٧٣] والتثليث الذي اخترعه النصارى المتأخرون لا يستدل عليه بشيء من العقل والفطرة ولا بشيء من الكتب الإلهية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى . قال ابن القيم : وهذا شأن جميع أهل الضلال مع رؤسائهم ومتبوعيههم ، فجهال النصارى إذا نظرهم الموحد في تثليثهم وتناقضه وتكاذبه قالوا : الجواب على القسيس ، والقسيس يقول : الجواب على المطران ، والمطران يحيل الجواب على البترك ، والبترك على الأسقف ، والأسقف على الباب ، والباب على الثلاثمائة والثمانية عشر أصحاب الجَمْع الذي اجتمعوا في عهد " قسطنطين " ، ووضعوا للنصارى هذا التثليث والشرك المناقض للعقول والأديان ... " (٣).

ومن حيث اللفظ فإنه لم يأت في القرآن ولا في السنة ، بل جاء لفظ " التثليث " في كلام العلماء عند كلامهم على التثليث في " الاستجمار بالحجارة ، الوضوء ، الغسل ، غسل الميت ، التسبيح في الركوع والسجود ، الاستئذان للدخول للبيت ، وغير ذلك .

١ - قال ابن تيمية : قال تعالى : { يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم } ، فذكر سبحانه في هذه الآية " التثليث والاتحاد " ، ونهاهم عنهما وبين أن المسيح إنما هو { رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه } ،

(١) - (ابن تيمية "الجواب الصحيح" ج٣، ص: (٤٤٨)) . المرجع سابق .

(٢) - عبد الرحمن الجزيري: "أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحين في الإسلامص (٢١٩) .

(٣) - مفتاح دار السعادة " (٢ / ١٤٨) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت بلا تاريخ نشر .

وقال : { فآمنوا بالله ورسله } ، ثم قال : { ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم }<sup>١</sup> . وقد ظن بعض النصارى - لجهلهم - أن ضمير الجمع الدال على التعظيم في نحو قوله تعالى : ( إنا فتحنا لك ) ، ( إنا أنزلناه ) أنه يدل على عقيدتهم الفاسدة عقيدة التثليث .

و قال : وأما قوله { نتلوا } و { نقص } { فإذا قرأناه } : فهذه الصيغة في كلام العرب للواحد العظيم الذي له أعوان يطيعونه ، فإذا فعل أعوانه فعلاً بأمره قال : نحن فعلنا ، كما يقول الملك : نحن فتحنا هذا البلد ، وهزمتنا هذا الجيش ، ونحو ذلك ؛ لأنه إنما يفعل بأعوانه ، والله تعالى رب الملائكة وهم لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهو مع هذا خالقهم وخالق أفعالهم وقدرتهم ، وهو غني عنهم ، وليس هو كالمملك الذي يفعل أعوانه بقدرة وحركة يستغنون بها عنه ، فكان قوله لِمَا فعله بملائكته : نحن فعلنا : أحق وأولى من قول بعض الملوك .

وهذا اللفظ هو من " المتشابه " الذي ذكر أن النصارى احتجوا به على النبي ﷺ على التثليث لما وجدوا في القرآن { إنا فتحنا لك } ونحو ذلك ، فذمهم الله حيث تركوا المحكم من القرآن أن الإله واحد ، وتمسكوا بالمتشابه الذي يحتمل الواحد الذي معه نظيره ، والذي معه أعوانه الذين هم عبيده وخلقه ، واتبعوا المتشابه يبتغون بذلك الفتنة ، وهي فتنة القلوب بتوهم آلهة متعددة ، وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم . " (٢) .

من أساليب اللغة العربية أن الشخص يعبر عن نفسه بضمير " نحن " للتعظيم ويذكر نفسه بضمير المتكلم الدال على المفرد كقوله " أنا " وبضمير الغيبة نحو " هو " وهذه الأساليب الثلاثة جاءت في القرآن والله يخاطب العرب بلسانهم .

ويقول : " فالله سبحانه وتعالى يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد مظهراً أو مضمراً ، وتارة بصيغة الجمع كقوله : " إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً " وأمثال ذلك . ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط ، لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه ، وربما تدل على معاني أسمائه ، وأما صيغة التثنية فتدل على العدد المحصور ، وهو مقدس عن ذلك " ولفظ ( إنا ) و ( نحن ) وغيرهما من صيغ الجمع قد يتكلم بها الشخص عن جماعته وقد يتكلم بها الواحد العظيم ، كما يفعل بعض الملوك إذا أصدر مرسوماً أو قراراً يقول نحن وقررنا ونحو ذلك وليس

(١) - " الجواب الصحيح " ( ١٥ / ٢ ) مرجع سابق .

(٢) - مجموع الفتاوى " ( ٢٣٣ / ٥ ، ٢٣٤ ) مرجع سابق .

هو إلا شخص واحد وإنما عبّر بها للتعظيم ، والأحقّ بالتعظيم من كلّ أحد هو الله عزّ وجلّ فإذا قال الله في كتابه إنا ونحن فإنّها للتعظيم وليست للتعدّد ، ولو أنّ آية من هذا القبيل أشكلت على شخص واشتبهت عليه فيجب أن يردّ تفسيرها إلى الآيات المحكمة ، فإذا تمسك النصراني مثلا بقوله : ( إنا نحن نزلنا الذكر ) ونحوه على تعدد الآلهة ، رددنا عليه بالمحكم كقوله تعالى : ( وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ) ، وقوله : ( قل هو الله أحد ) ، ونحو ذلك مما لا يحتمل إلا معنى واحداً ، وعند ذلك يزول اللبس عن أراد الحقّ ، وكلّ صيغ الجمع التي ذكر الله بها نفسه مبنية على ما يستحقه من العظمة ولكثرة أسمائه وصفاته وكثرة جنوده وملائكته .

٢ - من العجيب ان عبد المسيح الكندي نفسه في رسائله التبشيرية التي ترد على القرآن استخدم ضمير الجمع للدلالة على المفرد على نفسه هو في عرض شبهته نفسها حيث قال: "وشبيه بما ذكرنا" . وهذا في رسالته كثير فهل هو ثالث ثلاثة؟ وهكذا القسيس فندر حيث قال: "وإنما أوردنا ذلك إشعارا باننا لا نخطئ<sup>(١)</sup>" إن هذا دليل على أن هذا الأسلوب شائع مستخدم بكثرة ولاسيما في الكتب وعند الكتاب ويجري في سليقة العرب وسنن العربية قديما وحديثا وليس فيه أدنى غرابة أو شبهة لكن النصارى قوم ملبسون.

٣ - من الشواهد الإنجيلية لاستخدام ضمائر المتكلمين التي تدل على الفرد: قول بولس: "كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو فماذا نقول أعل عند الله ظلما حاشا" (رومية (٩: ١٣-١٤) . ويقول أيضا: "إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس. أفنبطل الناموس بالإيمان حاشا بل ثبت الناموس" (رومية (٣: ٢٨-٣١)) . ويقول أيضا: "فماذا نقول إن أبانا إبراهيم قد وجد حسب الجسد" (المصدر نفسه (٤: ١)) . ويقول: "فماذا نقول إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر الذي بالإيمان" (المصدر نفسه (٩: ٣٠) . بل قال بولس: "لذلك أردنا أن نأتي إليكم أنا بولس مرة ومرتين وإنما عاقنا الشيطان" ((١) تسالونيكي (٢: ١٨) . فقوله: (فماذا نقول) و (نحسب) و (أفنبطل) و (ثبت) و (أردنا) و (نأتي) و (عاقنا) تشتمل على ضمائر جمع مستترة وجوبا أو ضمائر ظاهرة أسندت إلى أفعال وهي تدل على مفرد هو بولس وحده

(١) - "رسالة عبد المسيح الكندي إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية". طبعت في مصر سنة ١٨٩٥م، ص ٥ و ص ٦

وليس ثلاثة هو ثالثهم.

وهكذا نرى أن من الأساليب المعهودة في اللغة العربية التي نزل بها القرآن وترجمت إليها التوراة والإنجيل استخدام ضمائر الجمع للدلالة على المثني أو على المفرد فقط وقد استخدمت لتعود إلى غير الله مما يبين فساد دعوى النصارى والمنصرين في أن ضمائر الجمع المسندة لله سبحانه وتعالى في القرآن تدل على ألوهية عيسى عليه السلام بزعم دلالتها على التثليث، وإنما هو أسلوب من أساليب التعظيم أولى به الخالق سبحانه وتعالى من كل مخلوق، واستخدامه جرى على لسان العرب كثيرا حتى النصارى - كما مر - وهو إلى اليوم معهود غير مستغرب سواء في مخاطبات الملوك أو غيرهم.

فهذا أسلوب سائغ لغة كما يقول ابن قتيبة <sup>(١)</sup>. وابن فارس رحمه الله: "ومن سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجمع فيقال للرجل العظيم: انظروا في أمري وكان بعض أصحابنا يقول: إنما يقال هذا لأن الرجل العظيم يقول: نحن فعلنا: فعلى هذه الابتداء خوطبوا في الجواب" <sup>(٢)</sup>. فهل هناك من هو أعظم من مالك الملك وأولى منه بمثل هذا الأسلوب؟

يقول ابن تيمية - رحمه الله - إن ضمير الجمع يقع "على من كان له شركاء وأمثال وعلى الواحد المطاع العظيم الذي له أعوان يطيعونه وإن لم يكونوا شركاء ولا نظراء، والله تعالى خلق كل ما سواه فيمتنع أن يكون له شريك أو مثيل والملائكة وسائر العالمين جنوده تعالى. فإذا كان الواحد من الملوك يقول: إنا ونحن ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك فمالك الملك رب العالمين، ورب كل شيء ومليكه هو أحق بأن يقول: إنا ونحن مع أنه ليس له شريك، ولا مثيل بل له جنود السموات والأرض" <sup>(٣)</sup>.

٤ - كما أن اللغة العربية مليئة بالشواهد على خروج ضمائر الجمع عن ظاهرها للدلالة على المفرد ومن ذلك ما في الشعر الجاهلي:

يقول امرؤ القيس - حين رأى قبر امرأة في سفح جبل عسيب الذي مات عنده: -

أجارتنا إن الخطوب تنوب ... وإني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان ههنا ... وكل غريب للغريب نسيب

(١) - (مسلم ابن قتيبة "تأويل مشكل القرآن ص ٢٩٣).

(٢) - (أحمد بن فارس: "الصحاح" ص: ١٦٠). الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م

(٣) - (ابن تيمية "الجواب الصحيح" ج ٣ ص (٤٤٨). مرجع سابق.

فإن تصلينا فالقراية بيننا ... وإن تصرمينا فالغريب غريب  
أجارتنا ما فات ليس يؤوب ... وما هو أت في الزمان قريب" (١).  
ويقول عمرو بن كلثوم متغزلاً:

قفي قبل التفرق يا ظعينا ... نخبرك اليقين وتخبرينا  
قفي نسألك هل أحدثت صرماً ... لوشك البين أم خنت الأمانة (٢).  
ويقول زهير بن أبي سلمى مخاطباً هرم بن سنان والحارث بن عوف:  
سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ... ومن أكثر التسأل يوماً سيحرم (٣).  
ويقول الحارث بن حلزة متغزلاً:-

أذنتنا بينها أسماء ... رب ثاو يمل منه الثواء (٤).

ويقول الجميح: منقذ بن الطماح في زوجته:

أمست أمامة صمتا ما تكلمنا ... مجنونة أم أحست أهل خروبي

فإن تقري بنا عينا وتختفضي ... فينا وتنتظري كربي وتغربي (٥).

فضمائر المتكلمين في: أجارتنا، وتصلينا، وتصرمينا، ونخبرك، وتخبرينا، ونسألك وسألنا وعدنا  
وآذنتنا، كلها ضمائر جمع للمتكلمين قصد بها الواحد كما هو واضح من السياق.

٥- من الشواهد اللغوية في القرآن التي استخدمت فيها ضمائر الجمع للدلالة على غير  
الجمع مع أن الضمائر فيها تعود إلى غير الله سبحانه وتعالى ما يأتي:

قوله تعالى {وداود وسليمان إذ يحكمان إذ الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم  
شاهدين} [الأنبياء: ٧٨]. وقوله تعالى {ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها  
وللأرض اثريا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين} [فصلت: ١١]. فالضمير في قوله  
(لحكمهم) ضمير جمع يدل على المثني وليس على الثلاثة فأكثر ولا على الواحد وكذلك ياء  
الجماعة في (طائعين) ومثل ذلك قوله (أتينا) هذه بعض أمثلة استخدام ضمائر الجمع للدلالة  
على المثني.

(١) - "ديوان امرئ القيس" دار بيروت للطباعة والنشر (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ص (٧٩).

(٢) - (الحسين بن أحمد الزوزني: "شرح المعلقات العشر" طبعة (١٩٨٣م) دار مكتبة الحياة، بيروت ص (٢٠٢).

(٣) - (المرجع السابق ص (١٥٥)).

(٤) - (المرجع السابق ص (٢٦٣)).

(٥) - (المفضل بن محمد الضبي: "المفضليات" ص (٣٤-٣٥). الناشر: دار المعارف - القاهرة، الطبعة: السادسة تحقيق شاکر وهارون

أما استخدام ضمائر الجمع في القرآن للدلالة على المفرد فشواهدها:  
 قوله تعالى عن الخضر {وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا  
 فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما} [الكهف: ٨٠-٨١] .. وقال تعالى  
 {قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم فسوف نعذبه  
 ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من  
 أمرنا يسرا} [الكهف: ٨٦-٨٨] . وقال تعالى {وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس  
 علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين} [النمل: ١٦] .  
 فالضمائر في: (فخشينا) و (فأردنا) و (نعذبه) و (سنقول) و (أمرنا) و (علمنا) و (أوتينا)  
 ضمائر جمع تدل على واحد وليس على اثنين أو ثلاثة أو أكثر.<sup>(١)</sup>

### المطلب الثالث : هل نسب القرآن إلى المسيح صفة الخالقية؟

ثلاثة الأسافي عندهم في دعم الخالقية للمسيح قالوا: القرآن يعتبر المسيح خالقاً محيياً  
 للموتى {أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ  
 الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله} [آل عمران: ٤٩]، ولم يشهد بمثل ذلك لغيره من  
 المخلوقات، فالخلق صنعة الله التي لا يشاركه فيها إلا المسيح، وفي هذا دليل ألوهيته  
 واستحقاقه للعبادة، ويوافق ما ذكره العهد الجديد عن المسيح "الله خالق الجميع يسوع  
 المسيح" (أفسس ٣ / ٩)، وفي إنجيل يوحنا "كان في العالم، وكوّن العالم به، ولم يعرفه العالم"  
 (يوحنا ١ / ١٠). وهذا ما زعمه المنصر المشهور فندر أن ما ورد في القرآن من أن عيسى  
 خلق طيراً من الطين إنما هو من صفات الله وحده ذاهبا إلى أن القرآن يؤيد بذلك ألوهية  
 المسيح،<sup>(٢)</sup> وكذلك المنصر المعاصر يوسف يقول: "إن القرآن يقرر بصورة عامة أن المسيح  
 آية في حد ذاته، آية في رسالته، آية في قداسته وكماله، آية في شخصيته، آية في انفراده، وأن  
 هذه الشخصية في القرآن تسمو على جميع الأنبياء، وأن الآيات بمحملها لا يمكن إلا أن  
 تترك في نفس القارئ فكرة عظيمة عن سمو المسيح حتى لتخرج به عن طبقة البشر وتترك

(١) - افتراءات المنصرين على القرآن الكريم أنه يؤيد زعم ألوهية المسيح عليه السلام ، الدكتور علي بن عتيق الحربي ٤٣-٥٥ ، مجمع الملك فهد لطباعة

المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، بدون تاريخ نشر.

(٢) - (الجزيري: "أدلة اليقين" ص: (٣٦٣) .) مرجع سابق .

الباب مفتوحا لاعتقاد النصارى بألوهيته<sup>(١)</sup> . هذه الشبه الثلاثة أبرز الإدعاءات التي زعم المنصرون قديما وحديثا إستنادا إليها أن القرآن يؤيد اعتقادهم بألوهية المسيح - عليه السلام - وقد بدأت منذ عصر الرسول ﷺ على يد نصارى وفد نصارى بجران كما مرّ سابقا وفي هذه قالوا : في قولهم [عن عيسى بأنه] هو الله بأنه كان يحي الموتى، ويبرئ الأسقام، ويخبر بالغيوب، ثم تبعهم فيما بعد عبد المسيح الكندي، وغيره.

والجواب: هذه المعجزات لم يرد فيها شيء البتة في الأناجيل الحالية ولا يعلم النصارى عنها شيئا من خلال الأناجيل إلا ما اطلعوا عليه من خلال القرآن الكريم، وذلك مثل: كلام عيسى في المهد وكهلا ، خلقه من الطين كهيئة الطير فيكون طيرا بإذن الله، ومثل: إنبائه لهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم . وإن كان قد ورد أنه أنبأهم ببعض الأمور المستقبلية كتهدم الهيكل مثلا . وهذا يدل على جهل النصارى بكثير من أحوال عيسى عليه السلام سواء معجزاته أو حياته قبل الثلاثين من عمره أو غير ذلك حيث "لا نجد ذكرا لعيسى عليه السلام عنهم إلا حينما كان طفلا لا يتجاوز عمره ثمانية أيام عند ختنه ثم لا تدلك الأناجيل على شيء من حياته عليه السلام حتى يبلغ اثني عشرة سنة فتذكر أنه (لما كانت له اثنتا عشرة سنة صعد إلى اورشليم كعادة العيد) ثم لا تتكلم الأناجيل عن شيء من أحوال عيسى عليه السلام حتى يبلغ الثلاثين من عمره فتذكر أنه بعث آنذاك"<sup>(٢)</sup>.

كما ذكرت الأناجيل أنه ذهب إلى مصر وهو صبي هو وأمه مع يوسف النجار - والله أعلم بذلك - إضافة إلى ما زعمت الأناجيل أنه نسب للمسيح عليه السلام ذلك النسب المضطرب اضطرابا كبيرا كما هو معروف متى (١ : ١-١٧) ولوقا (٣ : ٢٣-٣٨) . هذا هو أغلب ما يعرفه النصارى من تاريخ عيسى عليه السلام إلى مبعثه انطلاقا من الأناجيل الحالية ولذا فإن القرآن الكريم {يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون} [النمل: ٧٦] .

١- حين تحدثت الآيات القرآنية عن معجزات عيسى عليه السلام؛ ما فتئت تذكر أن هذه المعجزات عطية الله تعالى لنبيه المسيح عليه السلام {قد جئتكم بأية من ربكم}، وقد صنعها وغيرها من المعجزات بإذن الله {أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه

(١) - "محمد عزة دروزة: القرآن والمبشرون" الطبعة الثانية (١٣٩٢-١٩٧٢م)، ص: (٣٩٩)

(٢) - (علي الحرابي "نصرانية عيسى عليه السلام ونصرانية بولس دراسة مقارنة من أسفار العهد الجديد" بحث ماجستير (١٤٠٧هـ). ص ٢٣).

فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله {، فمعجزاته عليه السلام ومعجزات غيره من الأنبياء لا تنفك عن مشيئة الله وإقذارهم عليها.

فهل نسب القرآن الخالقية المطلقة للمسيح حين قال {أخلق لكم}؟ والجواب بدون ريب ولا تلوؤ: لا. ولفهم الآيات يحسن الوقوف على معنى لفظة (الخلق) في لغة العرب، إذ تطلق هذه اللفظة على معان؛ ويهمننا منها معنيان:

الأول: الإيجاد من العدم، والإبداع من غير مثال سابق، فالله {بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولدٌ ولم تكن له صاحبةٌ وخلق كل شيءٍ وهو بكل شيءٍ عليمٌ} [الأنعام: ١٠١]، فهذا خلق يختص به الله وحده.

الثاني: التصوير لما أوجده الله وخلقته، ومنه قول الله: {فتبارك الله أحسن الخالقين} [المؤمنون: ١٤]، فقد وردت في سياق الحديث عن تصوير الإنسان ونقله من طور إلى طور {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: ١٤].

قال القرطبي: «أتقن الصانعين. يقال لمن صنع شيئاً خلقه؛ ومنه قول الشاعر: ولأنت تقري ما خلقت وبع... ض القوم يخلق ثم لا يفري

ولا تنفى اللفظة عن البشر في معنى الصنع؛ وإنما هي منفية بمعنى الاختراع وإيجاد من العدم»<sup>١</sup>. وبمثل هذا المعنى تحدث القرآن عن صنع عيسى من الطين كهيئة الطير {أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله} [آل عمران: ٤٩].

قال أبو حيان الأندلسي: «والخلق يكون بمعنى الإنشاء وإبراز العين من العدم الصرف إلى الوجود. وهذا لا يكون إلاً الله تعالى. ويكون بمعنى: التقدير والتصوير، ولذلك يسمون صانع الأديم ونحوه: الخالق، لأنه يقدر، وأصله في الأجرام، وقد نقلوه إلى المعاني، قال تعالى: {وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا} [العنكبوت: ١٧]، ومما جاء الخلق فيه بمعنى التقدير قوله تعالى: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} أي المقدرين»<sup>٢</sup>.

ومن هذا المعنى أيضاً ما يقال يوم القيامة للمصورين، قال ﷺ:

(١) - الجامع لأحكام القرآن (١١٠/١٢). مرجع سابق.

(٢) - (البحر المحييط (٣/١٦٣). مرجع سابق.

«إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم»<sup>(١)</sup> ، أي ما صورتوه من الصور، فهذا معنى الكلمة في لغة العرب لمن أراد تدبراً وحقاً. وفي الآية ( أَيُّ قَدْ جِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ) أي جئتم بعلامة من ربكم ولو كان هو ربهم لكانت العلامة منه وليس من غيره .

قالوا إنه قال : ( بآية من ربكم ) ولم يقل ربي فيستدل بذلك على كونه إله أو ابن إله !! : رد تعالى :عليهم بالآية التالية مباشرة من نفس السورة قول عيسى : ( إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ) [آل عمران: ٥١] ، يستدلون بأن الذي يخلق إنما هو إله واستدلوا لهم بذلك يدل على جهلهم فقد يُستدل بجزء من الآية بما يتنافى مع آخرها فهو يقول بإذن الله أي أنني أفعل شيئاً ليس بإذني ولا بقدرتي ولكنه بإذن الله الذي أرسلني وعليه فيكون مفهوم الآية أنني أحمل لكم ما يدل على أن الذي أرسلني هو الله .

لم ينفرد عيسى عليه السلام بهذه المعجزات ولو انفرد لما كان دليلاً على ألوهيته لأنه أوتيها بإذن الله تعالى كما مر آنفاً. فكيف وقد شاركه غيره من الرسل والأنبياء في أنواع المعجزات التي أنعم الله بها عليه، إضافة إلى من ليس بنبي ولا رسول، وإن من أول ما شورك به: إحياء الموتى . كما شاركه بها العديد من أنبياء الكتاب المقدس فقد أحيوا الموتى بإذن الله.

ذكر القرآن الكريم معجزات عدة لإحياء الموتى إنعاماً من الله على بعض رسله ، فقد أخذ إبراهيم عليه السلام طيوراً أربعة بأمر الله له بعد دعائه الله أن يريه كيف يحيى الموتى ومزقهن وفرق أجزاءهن على كل جبل منهن جزءاً ثم دعوته لهن أن يأتينه، فأتينه سعياً [البقرة: ٢٦٠] وقد ألقى موسى لعصاه الجماد التي لا روح فيها، ثم تحولها إلى ثعبان عظيم عند فرعون والملا من قومه فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبین { [الأعراف: ١٠٤-١٠٧] . وقوله تعالى { وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون } [الأعراف: ١١٧] . فهذه معجزة عظيمة أنعم الله بها على موسى ﷺ إذ أحيى الله هذه القطعة الصغيرة من الخشب الجماد التي لا حياة فيها وجعلها حية عظيمة تسعى وتبتلع بفيها ما وضعه السحرة من عصي وحبال. إلخ. كما أحيى الميت الذي قتل في بني إسرائيل في عهد موسى

(١) - أخرجه البخاري ح (٥١٨١)، ومسلم ح (٢١٠٧).

عليه السلام بإذن الله بعد أمر الله لهم أن يضربوا الميت ببعض البقرة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن يقول تعالى {وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون} [البقرة: ٧٢-٧٣] . فهؤلاء الذين ضربوا الميت ببعض لحم البقرة فقام حيا بإذن الله ليسوا من الرسل - على ما يظهر - وعلى الرغم من هذا حدثت على أيديهم هذه المعجزة بإذن الله فهل كان هذا مدعاة لتأليه أحد منهم؟ أو تأليه موسى عليه السلام؟

إن النصارى زعموا أن علة تأليه عيسى عليه السلام هي إحياءه للموتى ولو فرض أنها علة لتأليه أحد ما من البشر، لكان العقل موجبا أن يؤله كل من اشترك في هذه العلة فقام العديد بمثل هذه المعجزات أو الأمور الخارقة للعادة كما سنذكر لاحقا وقالوا : بما أن عيسى خلق فهو إله لأن الخالق حتما ولا بد أن يكون إله كما قال : { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [النحل: ١٧] .

لكن عيسى لم يخلق خلقا سويا باقيا متناسلا من تلقاء نفسه بل كان خلقا مؤقتا ليبرهن لهم على صدق نبوته مع ذكر من أذن له بذلك وهو الله والآية الكريمة ليتأكد لنا نسبة الفعل إلى الله وليس إلى عيسى عليه السلام ، وإذا كان عيسى قد صنع من الطين كهيئة الطير فصار طيرا بإذن الله فمن قبله موسى رمى عصاه فصارت حية تسعى أيضا بإذن الله ولم يقل أحد أنه إله والحية مخلوق له روح كالطائر الذي ذكر في شان عيسى بل أن الحية كانت أكبر من الطائر وابتلعت حبال وعصي السحرة التي أوهموا الناس أنها تتحرك .

إن الله يؤيد أنبياءه بمعجزات ولكي تكون معجزة لا بد أن تكون أمرا خارقا للعادة وأن تكون من جنس ما نبغ فيه القوم المرسل إليهم هذا النبي ومن ذلك موسى عليه السلام أرسل على قوم انتشر فيهم السحر فكانت معجزته أن أيده الله بشيء عجز عنه السحرة بل لم يقفوا عند حد العجز ولكنه تيقنوا أن ما جاء به موسى عليه السلام من العصا التي انقلبت إلى حية والتهمت ما قدموه من سحر وكان متمثلا في حبال وعصي أعلنوا إيمانهم بالله رب العالمين ، وثمة معجزة أخرى لموسى بن عمران عليه السلام فقد حدث أن رجلا قتل من بني إسرائيل ولم يعرفوا من قتله فأحياه الله على يد موسى وأخبر عن قاتله وفي ذلك أشار القرآن

الكريم ( وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ {٧٢} فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ  
بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ {٧٣} [البقرة]

ومع أنها إحياء للموتى مثل إحياء الموتى عند عيسى عليه السلام فقد وقفت عند كونها  
معجزة أيد الله بها نبوته فقط ، و لم يقل أحد أن موسى إله أو ابن الله <sup>١</sup> .

وفي زمن عيسى عليه السلام كان الناس قد اشتغلوا بالطب ولكنهم عجزوا عن أمور  
منها إبراء الأكمه وهو الذي ولد أعمى والأبرص وهو المرض الجلدي المعروف وكذلك أن  
يتكلم ميت بعد موته فأيده الله بما عجز عنه قومه وهم يعلمون أنه لم يدرس الطب ولا غيره  
ليعلموا أن هذا الإعجاز من عند الله فيكون أدعى لإيمانهم .

وحجة النصارى تكمن في كون معجزة عيسى لا يقدر عليها بشر فإبراء الأكمه  
والأبرص وإحياء الموتى مما يعجز عنه بشر وطالما أن عيسى فعله فهو إله . إن كانت عندهم  
بقية عقل كل المعجزات التي أتى بها الأنبياء يعجز عنها البشر ولا يمكن لبشر أن يأتي بمثلها  
فهل كل الأنبياء آلهة ؟ فمعجزة صالح عليه السلام الناقة

{ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ  
{ [الأعراف:٧٣] ، أخرج لكم من الصخرة ناقة عظيمة كما سألوا، { وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ  
لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ } [هود:٦٤]  
ويا قوم هذه ناقة الله جعلها لكم حجة وعلامة تدلُّ على صدقي فيما أدعوكم إليه،  
فاتركوها تأكل في أرض الله فليس عليكم رزقها، ولا تمسوها بعقر، فإنكم إن فعلتم ذلك  
يأخذكم من الله عذاب قريب من عقرها.

{ فَعَقِّرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ  
{ [الأعراف:٧٧] ، فنحروا الناقة استخفافا منهم بوعيد صالح، واستكبروا عن امتثال أمر  
ربهم، وقالوا على سبيل الاستهزاء واستبعاد العذاب: يا صالح ائتنا بما تتوعدنا به من العذاب،  
إن كنت من رسل الله.

فهل يقدر بشر أن يأتي بناقة من الجبل أو من الصخر كناقاة صالح ؟

( ١ ) - افتراءات المنصرين على القرآن الكريم أنه يؤيد زعم ألوهية المسيح عليه السلام ، الدكتور علي بن عتيق الحربي ص ٧١- ٨٥ وتنزيه القرآن عن مطاعن الرهبان  
للسقار ، من زيادات المؤلف عن النص المطبوع في النسخة الإلكترونية وهي موجودة في المكتبة الشاملة

٤- لقد جاء في التوراة والأنجيل معجزات كمعجزات المسيح عليه السلام ولاسيما إحياء الموتى. وقبل ذكرها لابد من الإشارة إلى أن معجزات المسيح عليه السلام التي وردت في الأنجيل إنما هي - بنص الأنجيل - بإذن الله تعالى هذه بعض النصوص :

(١) - قوله "فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينه إلى فوق وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي وأنا أعلم أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم: لعازر هلم خارجا فخرج الميت" (يوحنا (١١ : ٤١-٤٣) .) رفع عيسى بصره إلى السماء ودعا الله ومجده، وأوضح النص أن هذه المعجزة إنما هي من أجل أن يصدقوا به رسولا من عند الله، وقد استجاب الله دعاءه فخرج الميت حيا بإذن الله.

(٢) - قوله "فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الآب" (يوحنا (٥ : ١٩) .) وينسب إلى عيسى عليه السلام أنه قال: "والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك" (يوحنا (١٧ : ٧) .) فكل ما أوتيته المسيح عليه السلام من إحياء للموتى، ومن إنباء بالغيب إلى غير ذلك من معجزات إنما هو بنص أقوال المسيح عليه السلام من عند الله وبإذن الله سبحانه وتعالى وهذا مثبت أنه ليس له من الأمر شيء ومبطل لدعوى ألوهية المسيح من خلال الأنجيل

(٣) - جاء في نص آخر: "فقلت مرثا ليسوع: يا سيد لو كنت ههنا لم يميت أخي لكن الآن أعلم أن كل ما تطلبه من الله يعطيك إياه" (يوحنا (١١ : ٢١-٢٢) .) فهذه المرأة تعلم أن الأمر ليس بيده وإنما إذا دعا الله أعطاه الله سؤله فإحياء الموتى الذي حدث على يد المسيح إنما هو بإذن الله سبحانه وتعالى.

(٤) - وفي نص آخر: "أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجل [!] قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم تعلمون" (أعمال الرسل (٢ : ٢٢) ، وانظر: أعمال الرسل (١٠ : ٣٨) .) فالأمر بدهي عند المؤمنين بعيسى آنذاك من بني إسرائيل: أن المعجزات التي جاء بها إنما أوجدها وصنعها الله وليس عيسى عليه السلام وإنما حصلت على يد عيسى فهي من (قبل الله) أو من عند الله

ويأذن الله وأوجدها الله سبحانه وتعالى وما عيسى إلا (رجل) أو عبد من عبيد الله ورسول من رسله ثبت صدقه بما أنزله الله على يديه من المعجزات (القوات والعجائب) .

ولذا على الرغم من إحياء عيسى للموتى بإذن الله، لم يجعل ذلك منه عند الجموع التي قام بالمعجزات في وسطها إلا أنه نبي فقط فلم يتجاوزوا به طور البشرية. جاء في الأناجيل "فقال [أي عيسى] أيها الشاب لك أقول قم فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه فأخذ الجمع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه" (لوقا (٧): ١٤-١٦) .

وهذه بعض المعجزات التي تشبه معجزات عيسى عليه السلام من التوراة والأناجيل:

١- جاء في سفر الملوك الأول: "قال [إيليا] يا رب إله لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش. وقال إيليا [لأم الولد] انظري ابنك حي فقالت المرأة لإيليا هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق" ((١٧: ٢١-٢٤) . فأقصى ما قالته المرأة لإيليا بعد أن أحيا الله على يديه ابنها "إنك رجل الله" أي نبي الله. ولم تغل فيه فتقول له: إنك إله.

كما جاء في التوراة قوله "ودخل أليشع البيت وإذا بالصبي ميت ومضطجع على سريره فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب. فعطس الصبي سبع مرات ثم فتح الصبي عينيه. فدعاها [أي أم الصبي] ولما دخلت إليه قال احملي ابنك" (الملوك الثاني (٤): ٣٢-٣٦) . فما اتخذ اليسع إلهًا لذلك الإحياء الذي هو بإذن الله وهو كمعجزات عيسى عليه السلام. كما جاء فيها قوله "ومات أليشع فدفنوه وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة وفيما كانوا يدفنون رجلا إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر أليشع فلما نزل الرجل ومس عظام أليشع عاش وقام على رجله" (الملوك الثاني (١٣): ٢٠-٢١) . فاليشع فيما تروي التوراة حتى وهو ميت تحيي عظامه بإذن الله ميتا. وجاء عن حزقيال أنه أحيا جيشا عظيما جدا جدا بإذن الله كانت عظام أفراده رميما (حزقيال (٣٧): ١-١٠) .

فهؤلاء أحيوا بإذن الله أمواتا وبعضهم أحيوا جيشا عظيما من الأموات فلم لم يكونوا آلهة مثل عيسى - تدرجا مع زعم النصارى؟ علما أن العلة التي ادعاها النصارى والمنصرون لتأليه عيسى هي: إحياء الموتى، وهؤلاء اشتركوا مع عيسى عليه السلام في العلة نفسها

وقاموا بالأفعال أو المعجزات نفسها. مما يوجب على النصارى - عقلا الاشتراك مع عيسى في النتيجة نفسها وهي الألوهية فعدم تأليه النصارى لمن شارك عيسى عليه السلام في الفعل والعلة (المقدمة الصغرى والكبرى) مكابرة ومعاودة يرفضها العقل فهي من باب التفريق بين المتماثلات والمتطابقات لأن تطابق المقدمات مفض لتطابق النتائج. ومنطقيا كل من شارك عيسى عليه السلام بإحياء الموتى فهو إله كعيسى بجامع إحياء الموتى وتأليه هؤلاء البشر نتيجة كاذبة يكذبها النصارى قبل غيرهم ولما كانت النتائج كاذبة والمقدمات (الصغرى) مسلمة - ولاسيما المقبول منها عند المسلمين والنصارى - ثبت عقلا أن العلة - أو المقدمة الكبرى في قياس الشمول - هي سبب بطلان النتائج وكذبها. وهذا ما تدل عليه آيات القرآن ونصوص التوراة والأنجيل من أن حصول معجزة إحياء الموتى على يد أحد من البشر وإن كان نبيا أو صالحا ليس دليلا على ألوهيته. مما يسقط دعوى النصارى في تأليه عيسى لأنه أحيأ موتى إذ تبين أن هذا ليس علة للألوهية حيث قام بهذا الإحياء من ليس بإله من الرسل والأنبياء بإذن الله بل ومن ليس من الأنبياء أو الرسل.

٤- وبقي في جواب هذه الأبطولة أن ننبه القائلين بها إلى أن المسيح لم يدع في الإنجيل المنسوب إلى تلاميذه وتلاميذهم أنه خالق، وأن غاية ما ذكره بولس أن الله هو الخالق، ولكنه خلق الخلائق به "الله خالق الجميع بيسوع المسيح" (أفسس ٣ / ٩)، فهو واسطة الخلق، وليس الخالق، يقول القس جيمس أنس: "الآب خلق العالم بواسطة الابن". (١)

### المطلب الرابع : هل امتدح القرآن النصارى؟

قالوا: امتدح القرآن النصارى، وذكر بأنهم في الجنة في قوله: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: ٦٢].

والجواب: كما كان القرآن واضحا في بيان وحدانية الله وعبودية المسيح وبشريته؛ كان صريحا في إضلال القائلين بألوهيته وربوبيته وتكفيرهم، وهذا منشور في مواضع كثيرة من القرآن، منها قول الله تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ } [المائدة:

(١) - (علم اللاهوت النظامي، القس الدكتور جيمس أنس، ص (١٧٨) مراجعة القس منيس عبد النور. الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة. القاهرة، وللمزيد من البيان انظر كتاب "الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟". وانظر تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين له. وكتاب افتراءات المنصرين على القرآن الكريم أنه يؤيد زعم ألوهية المسيح عليه السلام، الدكتور علي بن عتيق الحربي ص ٧١-٨٥

[١٧]، وقوله: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يُفْعَلُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: ٧٣]، فهاتان الآيتان وغيرهما واضحتان في بيان كفر القائلين بعقيدة التثليث وألوهية المسيح.

ولكن هذا الحكم القرآني لا يسري على المسيح الذي تبرأ من هذه المعتقدات {وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: ٧٢]، كما لا يسري الحكم بالكفر والنار على أتباعه المخلصين المؤمنين الذين آمنوا بالله وحده، وشهدوا للمسيح بالرسالة فحسب، واتبعوه ونصروه {قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: ٥٢ - ٥٣]، وفي موضع آخر يقول الله تعالى: {وَإِذْ أُوحِيَ إِِلَى الْخَوَارِجِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} [المائدة: ١١١]، فهؤلاء من خيرة الله في خلقه، وهم مؤمنون بالمسيح الرسول، وبريئون من معتقدات النصارى التي استقاها المسيحيون من أقوال بولس والجماع الكنسية من بعده.

إن هذه الثلاثة المؤمنة ممدوحة في القرآن ولا ريب، وقد وصفهم الله بقوله: {أنصار الله} [الصف: ١٤]، ومدحة الله لهم في القرآن تسري على كل مؤمن مشى على نهجهم إلى يوم الدين (يمتلى تاريخ المسيحية بما تسميه الكنيسة اليوم بفرق الهرطقة، كالأريوسية والأبيونية، وهي فرق تنكر ألوهية المسيح وتندد بالتثليث، وكانت تمثل السواد الأعظم من النصارى حتى القرن الرابع الميلادي). ولما بعث النبي ﷺ كان لمنهجهم بقايا على الأرض تمثل في أشخاص أحبهم الله؛ لاستقامتهم على التوحيد، وإعراضهم عن مذاهب التثليث والشرك التي كرهها الله، يقول ﷺ: «وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب» (١).

فهؤلاء ومن سلفهم من المؤمنين هم الذين أثنى الله عليهم بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٦٢]، وقد ذكر في سبب نزولها أن سلمان

(١) - (أخرجه مسلم ح (٢٨٦٥)).

حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا عَلَى الْإِيمَانِ الْخَالِصِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: كَانُوا يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيُؤْمِنُونَ بِكَ، وَيَشْهَدُونَ أَنَّكَ سَتُبْعَثُ نَبِيًّا. فَلَمَّا فَرَّغَ سَلْمَانُ مِنْ ثَنَائِهِ عَلَيْهِمْ، قَالَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «يَا سَلْمَانُ، هُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (١).

وهذا المعنى بين واضح لمن قرأ الآية في سياقها فتدبر الآيات التي قبلها والتي بعدها، حيث تكفر الآيات قبلها اليهود والنصارى، وتنسب إليهم الإساءة إلى الله، وتوعدهم بالنكال والعذاب: {وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلَا يُنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا} [المائدة: ٦١ - ٦٤]

ويستمر السياق القرآني بعدها في تكفيرهم مع استثناء المؤمنين منهم ممن كان على منهج الأنبياء {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُتَمِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الرَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة: ٦٨ - ٦٩].

فمن المحتم أن الذين سماهم الله في آخر الآية: {الْكَافِرِينَ} ليسوا الذين تحدث عنهم صدر الآية التالية {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى}، فهؤلاء غير الأولين، هؤلاء من المؤمنين بدليل ما ذكر في الآية في وصفهم: {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا}، والمرء لا يكون مؤمناً بالله بمجرد الإيمان بوجوده، فقد آمن بذلك كفار قريش، ولم يستحقوا هذا الاسم الشريف الذي يختص به من آمن بالله تبارك وتعالى وحده رباً وإلهاً، فلم يعبد معه أحداً غيره.

ثم يمضي السياق القرآني ليقول: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ

وَمَا وَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ { [المائدة: ٧٢ - ٧٥]، ويستمر السياق القرآني إلى آخر آيات السورة وهو يتحدث عن كفر النصارى، فلم أعرض القائلون بمدحة الله للنصارى عن هذا كله، وبتروا الآية من سياقها؟! (١)

### المطلب الخامس : أتباع المسيح موعودون بالظفر على الكافرين ؟

قالوا: وصف القرآن النصارى بأنهم أتباع المسيح الموعودون بالظفر على الكافرين إلى يوم القيامة: { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كَفَرُوا وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } [آل عمران: ٥٥]، وهذا كله يدل على صحة طريقتهم ودينهم؛ خلافاً لما يقوله المسلمون من تكفيرهم، وأنهم من أهل النار.

والجواب: قد سبق لنا بيان الموقف القرآني من النصارى القائلين بألوهية المسيح والتثليث. وأما بخصوص هذه الآية فهي تمتدح أتباع المسيح عليه السلام، وهم المسلمون الذين يصدقون أقواله: { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْتِنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [المائدة: ١١٦ - ١١٧]، والمسلمون هم الذين يقولون: ادعاء الألوهية للمسيح ليس بحق، في حين يزعم النصارى أنه إله معبود بحق. ووفق هذا فإن المسلمين هم أتباع المسيح، وقد قال ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»، (٢) والإخوة لعلات هم الإخوة من أب واحد، وأمهم مختلفات).

(١) - تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين ص ١٧٧ - ١٨٠ مرجع سابق .

(٢) - (أخرجه البخاري ح (٣٤٤٣))

إن الدلالة على اتباع المسلمين للمسيح ومفارقة النصارى له ليست من القرآن فحسب، بل هي في كتابهم أيضاً؛ فإن قارئ العهد الجديد (الإنجيل) لن يجد فيه حرفاً واحداً يتحدث فيه المسيح عن ألوهية نفسه، بل على العكس من ذلك تجده يصرح بما ينقضها، فيقول عن نفسه: "وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله" (يوحنا ٨ / ٤٠)، كما يجده عليه السلام يخبر عن كونه رسولاً لله فحسب، مما يقتضي التنديد بأهل التثليث؛ والحكم بحرمانهم من الحياة الأبدية، فيقول مخاطباً الله: "هذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا ١٧ / ٢ - ٣)، وهذا معنى صريح في أن الجنة مدخرة فقط لمن يقول:

(لا إله إلا الله، المسيح رسول الله)، وهذا بالحقيقة قول المسلمين؛ لا النصارى، فتبين أننا أتباعه عليه الصلاة والسلام الموعودون بالعلو على الكافرين إلى يوم القيامة، وقد علوناهم بالحجة والدليل والبرهان بالأمس واليوم وغداً بإذن الله ومنته.

ولئن غابت شمس المسلمين اليوم عن قيادة الحضارة الإنسانية المادية (لا الروحية) فقد كان لهم شرف ريادتها، وإنها سحبت توشك أن تنبلج، لتشرق شمسنا من جديد، هذه الصحوة الإسلامية التي تهدر في عالم اليوم طلائع هذا الفجر الآتي .

## المطلب السادس : سؤال أهل الكتاب فيما يشكل على النبي

قالوا: طلب القرآن من النبي أن يسأل النصارى فيما يشكل عليه، وفيما يقع له من الريبة في دينه بقوله: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [يونس: ٩٤] ، وكما طلب هذا من النبي؛ فإنه طلبه من المسلمين حين أمرهم بسؤال أهل الذكر، أي الكتب السابقة في قوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣].

والجواب: أن الآية الكريمة {فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [يونس: ٩٤]، لا تتحدث عن مشركي النصارى المنكرين لنبوته، ولا تجعلهم مرجعاً للنبي ﷺ، بل تتحدث عن الذين يشهدون له بأنه أتاه الحق من ربه.

كما يلزم التنويه أيضاً إلى أن النبي ﷺ لم يشك في شيء من نبوته، ولم يسأل أهل الكتاب ولا غيرهم، بل نقل عن بعض التابعين أن النبي ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل» (١) فلفظة (إن) لا تفيد أي تحقق لوقوع الشك من النبي ﷺ، إذ قد يعلق المحال ب (إن)، كما في قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزخرف: ٨١]، وقوله: {وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ} [الأنعام: ٣٥].

وقد فسر العلماء مقصود الآية بقولين يكمل أحدهما الآخر:

الأول: أن المقصود بالسؤال هم المؤمنون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما: (الذين أدركوا محمداً ﷺ من أهل الكتاب فآمنوا به .. فاسألهم إن كنت في شك بأنك مكتوب عندهم) (٢).

الثاني: أن المقصود في الآية ليس أمر النبي ﷺ بالسؤال، بل الخطاب في ظاهره ﷺ، والمراد به غيره من المشركين، على عادة العرب في الخطاب "إياك أعني واسمعي يا جارة" (٣). ومثله في القرآن كثير، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ} [الأحزاب: ١]، وقال: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥]، وقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ} [الطلاق: ١].

وهذا الوجه صححه الطبري، واستدل له الرازي بقول الله تعالى في آخر السورة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [يونس: ١٠٤]، وقال: "فبين أن المذكور في أول الآية على سبيل الرمز، هم المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح .. فثبت أن الحق هو أن الخطاب، وإن كان في الظاهر مع الرسول ﷺ؛ إلا أن المراد الأمة، ومثل هذا معتاد، فإن السلطان الكبير إذا كان له أمير، وكان تحت راية ذلك الأمير جمع، فإذا أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص، فإنه لا يوجه خطابه عليهم، بل يوجه ذلك الخطاب إلى ذلك الأمير الذي جعله أميراً عليهم، ليكون ذلك أقوى تأثيراً في

(١) - (عبد الرزاق في المصنف ح (١٠٢١٠). الناشر: المجلس العلمي - الهند، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت

الطبعة: الثانية، ١٤٠٣

(٢) - (جامع البيان، الطبري (١٥/ ٢٠٠). مرجع سابق .

(٣) - (انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (١٦٧). مرجع سابق طبعة دار الكتب العلمية بيروت

قلوبهم" (١).

بقي أن نشير إلى أن الأمر بالسؤال ليس على ظاهره، فإن العرب تستخدم طلب السؤال؛ بمعنى تأكيد الأمر، ولا تريد طلب السؤال حقيقة، ومنه قول الشاعر:

سلوا الليل عني مذ تئاءت دياركم ... هل اكتحلت بالغمض لي فيه أجفان  
وقول الآخر: سلوا نسيمات الريح كم قد تحملت ... محبة صب شوقه ليس يكتم

فهذان وأضربهما لا يراد منه - في لغة العرب - حقيقة السؤال؛ إذ كيف يُسأل الليل أو نسيمات الريح، إنما يراد تأكيد تلك المعاني التي طلب السؤال عنها.

ومثله في القرآن قوله تعالى: {سَلُّهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ} [القلم: ٤٠]، وقوله: {وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا} [الزخرف: ٤٥]، وقوله: {وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} [الأعراف: ١٦٣]، ففي كل هذا لم يطلب الله من النبي ﷺ حقيقة السؤال، إنما قصد الإخبار وتأكيد صدق هذه المعاني والأخبار التي ذكرها الله تبارك وتعالى في القرآن. وأما قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣]، فهو خطاب من الله للمشركين المنكرين للنبوة؛ المستغربين نزول الوحي على رجل، فقد نبههم الله إلى أن نزول الوحي على بشر أمر معهود تعرفه البشرية، ودعاهم إلى سؤال أهل الكتاب للتأكد من حقيقته والوقوف على جلالته، يقول ابن القيم: "فبقاؤهم [أي أهل الكتاب] من أقوى الحجج على منكر النبوات والمعاد والتوحيد، وقد قال تعالى لمنكري ذلك {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} .. يعني سلوا أهل الكتاب: هل أرسلنا قبل محمد رجلاً يوحى إليهم أم كان محمد بدعاً من الرسل لم يتقدمه رسول حتى يكون إرساله أمراً منكراً؟" (٢).

وهكذا فالآية تجعل من شهادة أهل الكتاب دليلاً ناهضاً للاحتجاج على مشركي مكة في مسألة نبوة النبي ﷺ، وهو معنى تكرر في مواضع أخرى من القرآن، كقوله: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْنَا مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} (الرعد:

(٤٣) (٣)

(١) - (التفسير الكبير، الرازي (١٧/٣٠٠)، مرجع سابق

(٢) - (أحكام أهل الذمة، ابن القيم (١/٩٧)، المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاکر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادي للنشر - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ - ١٩٩٧.

(٣) - تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين ص ١٨٢ - ١٨٥ مرجع سابق.

## المطلب السابع: التوثيق المزعوم لكتب أهل الكتاب في القرآن

قالوا: في حين أن المسلمين يرمون كتب أهل الكتاب بالتحريف والتبديل فإن القرآن يُعَلِّي من شأن التوراة والإنجيل، ويصفهما بالهدى والنور { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ } [المائدة: ٤٤]، و { وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ } [المائدة: ٤٦].

وقالوا: ذكر القرآن أن التوراة والإنجيل الموجودين عند أهل الكتاب زمن النبي غير محرفين؛ بدليل أنه دعا إلى تحكيمهما { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ } (المائدة: ٦٦)، وقال لهم: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُتَمِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ } [المائدة: ٦٨]. وقالوا: شهد القرآن والسنة أن كتبنا فيها حكم الله { وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ } [المائدة: ٤٣]، ولما أخذها النبي بيده نزع الوسادة من تحته، فوضع التوراة عليها، ثم قال: «آمنت بك وبمن أنزلك» (١).

والجواب: امتدح الله في القرآن ما أنزله على أنبيائه ورسله، وذكر أنه هدى ونور، فكل كتب الله تعالى كذلك، ولو أقام البشر في حياتهم ما أنزل الله إليهم؛ لسعدوا ونجوا، لكن هذه الكتب المنزلة ضاعت وحرفت وبدلت، فما التوراة ولا الإنجيل اللذين بين أيدي اليهود والنصارى بتوراة الله ولا إنجيله؛ وإن كان فيهما بقية أثارة حق مما نزل على الأنبياء، يقول ﷺ : «إن بني إسرائيل لما طال الأمد وقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم، استهوتهم قلوبهم واستحلته ألسنتهم، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم، حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون» (٢). . ويكفي في هذا الموضع أن نؤكد أن التوراة والإنجيل الموجودين اليوم ليسا الكتابين اللذين أنزلهما الله عز وجل وامتدحهما القرآن. وإثبات هذا ميسور، فقد نسب القرآن الكريم إلى توراة الله وإنجيله معاني نفتقدها في الكتب الموجودة اليوم عند اليهود والنصارى، ففقدوها دليل على أن هذه الكتب قد غيرت وبدلت، وأنه ضاع منها ما أشار القرآن الكريم إلى وجوده فيها.

قال الله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ } [التوبة: ١١١]،

(١) - (أخرجه أبو داود ح (٤٤٤٩)).

(٢) - (أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩٥ / ٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٢٦٩٤)).

فالأية صريحة في أن موعود الله بالجنة للمؤمنين المجاهدين في سبيله مسطور في التوراة والإنجيل اللذين أنزلهما الله تعالى، ولا وجود لهذه المعاني في العهد القديم ولا الجديد [التوراة والإنجيل المحرفين].

ومثله قوله تعالى: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} [الأعلى: ١٦ - ١٩]، فهذا المعنى لا وجود له في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام في العهد القديم، والتي تخلو من الحديث عن الآخرة والقيامة، فضلاً عن المقارنة بينها وبين الدنيا.

ومثله نفقد في الأسفار الحالية ما نسبه الله إلى توراته وإنجيله في سورة الأعراف من حديث عن النبي الأمي الذي يبعثه الله فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات ويحرم الخبائث: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} [الأعراف: ١٥٧].

وهكذا نخلص إلى القول؛ أن التوراة والإنجيل الممدوحين بالقرآن ليسا بالأسفار الموجودة اليوم؛ لفقد هذه المعاني منها.

والقرآن شهد على الأسفار الموجودة بين يدي اليهود والنصارى بأنها محرفة، وقعت فيها الزيادة، كما وقع فيها النقص، فقد قال تعالى عن تحريف النقص: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [المائدة: ١٥]، فما جاء به محمد ﷺ فيه بيان لبعض ما أخفاه أهل الكتاب، وقد عفا عن الكثير مما أخفوه فلم يذكره، قال ابن كثير: "أي: يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه، وافتروا على الله فيه، ويسكت عن كثير مما غيروه، ولا فائدة في بيانه" (١).

كما أخبر القرآن الكريم عن وقوع الزيادة في هذه الكتب: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} [البقرة: ٧٩]، وقال: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

(١) - (ابن كثير ٢/٢٧٠). طبعة طيبة للنشر تحقيق: سلامة مرجع سابق .

وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ { [آل عمران: ٧٨]. لكن وقوع الزيادة والنقص في الكتاب لا يعني - بالضرورة - أن التحريف قد طال كل سطر وكل كلمة في الكتاب، بل القرآن شهد لهذه الكتب أن فيها بقية من الحق الذي أنزله الله { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [آل عمران: ٧١].

ومن بقايا الحق الذي شهد القرآن بوجوده حكم الرجم للزاني والزانية، فهو موجود في سفر التثنية في الإصحاح الثاني والعشرين، لذلك قال الله: { وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ } [المائدة: ٤٣]، فكون حكم الله بشأن الزانيين موجوداً فيها لا يعني أن كل ما فيها هو حكم الله تعالى، فإسم التوراة باق عليها رغم تحريفها، فهي التوراة المحرفة؛ لا المنزلة .

ليس بالضرورة أن تكون العنصرية دليلاً على أن المخاطبين بالسياق القرآني المعاصرون للنبي ﷺ، فإن القرآن حين يخاطب بني إسرائيل يخاطبهم كأمة واحدة، ويتجاوز في خطابه معهم حدود الزمان، فيقول لهم: { أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } (البقرة: ٨٧)، مع أن قتل الأنبياء لم يقم به جيل واحد منهم، ومثله قوله: { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ } [البقرة: ٥٥]، والقائل حقيقة أجدادهم، ومثل هذا كثير في القرآن يطول المقام بتبعه.

وأما قوله تعالى لليهود حين أنكروا أن الأطمعة كانت حلالاً عليهم قبل نزول التوراة: { فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [آل عمران: ٩٣]، فهو لا يفيد سلامة التوراة التي بين أيديهم من التحريف.

فمطالبتة بالإتيان بها؛ إنما يريد به إقامة مزيد من الحججة عليهم من كتابهم (التوراة المحرفة)، قال ابن حزم: " إنما هو في كذب كذبوه، ونسبوه إلى التوراة على جاري عادتهم؛ زائد على الكذب الذي وضعه أسلافهم في توراتهم، فبكتهم عليه السلام في ذلك الكذب المحدث بإحضار التوراة إن كانوا صادقين، فظهر كذبهم " (١).

وقد دعا الله عز وجل أهل الكتاب إلى إقامة هذا الحق المتبقي، لأنه كفيل بهدايتهم إلى الإسلام، قال ابن كثير: " أي: إذا أقمتموها حق الإقامة، وآمنت بها حق الإيمان،

(١) - (الفصل في الملل والنحل، ابن حزم (١/ ١٥٨) (المتوفى: ٤٥٦هـ). الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، بدون تاريخ نشر .

وصدقتم ما فيها من الأخبار بمبعث محمد ﷺ ونعته وصفته والأمر باتباعه ونصره ومؤازرته،  
قادكم ذلك إلى الحق واتباع الخير في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ  
النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ} [الأعراف: ١٥٧] . (١) وقال  
القرطبي: " وإقامة التوراة والإنجيل؛ العمل بمقتضاهما وعدم تحريفهما" . (٢)

وقال ابن حزم: " وأما قول الله عز وجل: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا  
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ }؛ فحق لا مرية فيه، وهكذا نقول، ولا سبيل لهم  
إلى إقامتها أبداً، لرفع ما أسقطوا منها، فليسوا على شيء إلا بالإيمان بمحمد - صلى الله  
عليه وسلم -، فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل، كلهم يؤمنون حينئذ بما أنزل الله  
منهما؛ وُجد أو عُدم، ويكذبون بما بدل فيهما مما لم ينزله الله تعالى فيهما، وهذه هي  
إقامتهما حقاً" . (٣)

وهذا الأسلوب في طلب المحال على سبيل التبيكيت أسلوب قرآني ونبوي، ومنه قول الله تعالى  
للمنافقين يوم القيامة: { قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ  
فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ } [الحديد: ١٣]، ومن المعلوم أنهم لا يقدرّون على  
الرجوع، ولو رجعوا لم يفدهم رجوعهم.

ومثله في التبيكيت قول النبي ﷺ: «من تحلم بحلم لم يره؛ كُلف أن يعقد بين شعيرتين ولن  
يفعل ... ومن صور صورة؛ عُذب وكُلف أن ينفخ فيها، وليس بنافخ» . (٤)  
ويجدر هنا التنبيه على ضعف الحديث الذي رواه أبو داود في سننه، وفيه أنه ﷺ وضع التوراة  
على وسادة وقال: «آمنت بك وبمن أنزلك» ، فالحديث ورد في قصة رجم اليهوديين الزانيين،  
وهو مروى في الصحيحين وغيرهما (٥).

وقد ضعف هذه الرواية غير واحد من أهل العلم، منهم ابن حزم إذ يقول: "قوله عليه  
السلام: «آمنت بما فيك»؛ فإنه باطل لم يصح قط، وكله موافق لقولنا في التوراة والإنجيل  
بتبديلهما، وليس شيء منه حجة لمن ادعى أنهما بأيدي اليهود والنصارى كما نزلا ...

(١) - (ابن كثير ١/ ٤٠٤). طبعة طيبة للنشر

(٢) - (الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٦/ ٢٤١). مرجع سابق، دار الكتب المصرية ط ٢.

(٣) - (الفصل في الملل والنحل، ابن حزم ١/ ١٥٨). مرجع سابق .

(٤) - (أخرجه البخاري ح (٧٠٤٢)، ومسلم ح (٢١١٠).

(٥) - ، وليس فيه هذه الزيادة: (صحيح البخاري ح (٣٦٣٥)، (٤٥٥٦)، (٦٨١٩)، (٦٨٤١)، (٧٥٤٣)، وصحيح مسلم ح (١٦٩٩)، (١٧٠٠)، والموطأ  
ح (١٥٥١)، وسنن الدارمي ح (٢٣٢١)، وهذه الزيادة غير موجودة حتى في روايات أبي داود الأخرى للقصة (سنن أبي داود ح (٤٤٤٦)، (٤٤٥٠).

فخبر مكذوب موضوع، لم يأت قط من طرق فيها خير، ولسنا نستحل الكلام في الباطل، لو صح فهو من التكلف الذي نهيينا عنه كما لا يحل توهين الحق ولا الاعتراض فيه".<sup>(١)</sup> وهذه الزيادة «آمنت بك وبمن أنزلك» مروية في إسناد ضعيف متهالك لا يصلح للاحتجاج، فهي من رواية هشام بن سعد القرشي، وقد ضعفه العلماء، وترك التحديث عنه جملة من المحدثين، منهم يحيى القطان الذي كان لا يحدث عنه، ومما قاله العلماء عنه:

قال النسائي: "ضعيف"، وقال في موضع آخر: "ليس بالقوي".

وقال يحيى بن معين: "ليس بشيء"، وفي موضع آخر قال: "ليس بذاك القوي".

وأما أحمد بن حنبل فقال عنه: "ليس هو محكم الحديث". وفي موضع آخر قال: "لم يكن بالحافظ". قال أبو حاتم: "يكتب حديثه ولا يحتج به".

وقال ابن حبان: "كان ممن يقلب الأسانيد، وهو لا يفهم، ويسند الموقوفات من حيث لا يعلم، فلما كثُر مخالفته الأثبات فيما يروي عن الثقات بطل الاحتجاج به، وإن اعتبر بما وافق الثقات من حديثه فلا ضير"<sup>(٢)</sup>.

وهكذا فهذه الرواية التي تفرد بها هشام مردودة، ولا يحتج بها إلا الذين يتعلقون بخيوط أوهى من بيت العنكبوت. كما لن يفوتني تسجيل عجي من اليهود والنصارى الذين يرومون توثيق كتبهم من القرآن والسنة؛ في حين أن كتبهم تشهد على نفسها بالتحريف في مواضع كثيرة منها: قول النبي إرمياء: "كيف تقولون: نحن حكماء، شريعة الرب معنا حقاً، إنه إلى الكذب، حوّلها قلم الكتبة الكاذب" (إرميا ٨ / ٨)، أي أن دعواكم بامتلاك شريعة الرب كذب منكم، لأن هذه الشريعة غيرّها وبدّلها الكتبة الكذبة بأقلامهم المحرّفة.

ويؤكد النبي إرمياء وقوع التحريف في الكتاب، ويتهدد بالعقوبة أولئك الذين مازالوا يتحدثون عن كلام الرب، فينسبون ما في أيديهم إليه بعد أن حرفوه، فيقول: "وإذا سألك هذا الشعب أو نبي أو كاهن قائلاً: ما وحي الرب؟ فقل لهم: أي وحي؟ إني أرفضكم هو قول الرب، فالنبي أو الكاهن أو الشعب الذي يقول: وحي الرب أعاقب ذلك الرجل وبيته .. أما وحي الرب فلا تذكره بعد، لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه، إذ قد حرّفتكم كلام الإله

(١) - الفصل في الملل والنحل، ابن حزم (١٥٧ / ١ - ١٥٨). مرجع .

(٢) - انظر: المبروحين، لابن حبان (٣ / ٨٩)، والموضوعات، ابن الجوزي (١ / ٣٦٦)، والكامل، ابن عدي (٧ / ١٠٨)، وتهذيب الكمال، المزي (١١ / ٣٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر (٣٠ / ٢٠٦)، والضعفاء والمتروكين، النسائي (١ / ٢٤٥).

الحي رب الجنود" (إرمياء ٢٣ / ٣٣ - ٣٦).

## المطلب الثامن : هل الذكر المحفوظ هو كتب أهل الكتاب؟

قالوا: سمى القرآن كتبنا ذكراً في قوله: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: ٤٣] ، فاعتبر الكتب السابقة ذكراً، ثم أخبر أن الذكر محفوظ من التحريف والتبديل { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٩]، فدل ذلك على سلامتها من التحريف والتبديل.

والجواب: أن كل ما ينزله الله تعالى من وحي هو ذكر، يذكر الله به عباده.

لكن الله لم يحفظ من الذكر إلا ذكره الأخير، أي القرآن، فهو الذي تكفل الله بحفظه بقوله: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٩]، بدلالة السياق الذي وردت فيه الآية، إذ يقول الله: { وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٦ - ٩]، فالذكر المحفوظ هو الكتاب المنزل على النبي ﷺ كما هو ظاهر في السياق.

وهكذا تبين وضوح المعتقد الإسلامي بخصوص ما أنزله الله على الأنبياء، وكذلك تبين تحريف الكتب الحالية وتبديلها، وأنها ليست من عند الله.

## المطلب التاسع : كيف يمكن القول بأن عيسى لم يموت في الوقت

### الذي يؤكد فيه القرآن وفاته في سورة آل عمران ؟

الجواب : فنحن غالباً ما نأخذ معنى الألفاظ من الغالب الشائع ، ثم تموت المعاني الأخرى في اللفظ ويروج المعنى الشائع . إن كلمة (( التوفي )) نفهمها على إنها الموت ، ولكن هذا اللفظ موضوع لمعان متعددة ، فيأخذه واحد ليجعله خاصاً بواحد من هذه .

إن كلمة ( التوفي ) قد يأخذها واحداً لمعنى ( الوفاة ) وهو الموت ، ولكن ، ألم يكن ربك الذي قال (( إني متوفيك )) ؟ وهو القائل في [الأنعام : ٦٠] : ( وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ )

إذن (( يتوفاكم )) هنا بأي معنى ؟ إنها بمعنى نيمكم . فالنوم معنى من معاني التوفي .  
ففي [الزمر : ٤٢] : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي  
قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ) لقد سمي الحق النوم موتاً أيضاً . هذا من ناحية منطق القرآن ،  
إن منطق القرآن الكريم بين لنا أن كلمة (( التوفي )) ليس معناها هو الموت فقط ولكن لها  
معان أخرى ، إلا أنه غلب اللفظ عند المستعملين للغة على معنى فاستقل اللفظ عندهم بهذا  
المعنى ، فإذا ما أطلق اللفظ عند هؤلاء لا ينصرف إلا لهذا المعنى ، ولهؤلاء نقول : لا ، لا بد  
أن ندقق جيداً في اللفظ ولماذا جاء ؟

وقد يقول قائل : ولماذا يختار الله اللفظ هكذا ؟ والإجابة هي : لأن الأشياء التي قد  
يقف فيها العقل و لا تؤثر في الأحكام المطلوبة ويأتي فيها الله بأسلوب يحتمل هذا ، ويحتمل  
ذلك ، حتى لا يقف أحد في أمر لا يستأهل وقفة .

فالذي يعتقد أن عيسى عليه السلام قد رفعه الله إلى السماء ما الذي زاد عليه من  
أحكام دينه ؟ والذي لا يعتقد أن عيسى عليه السلام قد رُفِعَ ، ما الذي نقص عليه من  
أحكام دينه ، إن هذه القضية لا تؤثر في الأحكام المطلوبة للدين ، لكن العقل قد يقف فيها  
؟ فيقول قائل : كيف يصعد إلى السماء ؟ ويقول آخر : لقد توفاه الله . وليعتقد أي إنسان  
كما يُريد لأنها لا تؤثر في الأحكام المطلوبة للدين .

إذن ، فالأشياء التي لا تؤثر في الحكم المطلوب من الخلق يأتي بها الله بكلام يحتمل الفهم  
على أكثر من وجه حتى لا يترك العقل في حيرة أمام مسألة لا تضر ولا تنفع .

إن الحق سبحانه قد سمي النوم موتاً لأن النوم غيب عن حس الحياة . واللغة العربية  
توضح ذلك : فأنت تقول - على سبيل المثال - لمن أقرضته مبلغاً من المال ، ويطلب منك  
أن تتنازل عن بعضه .. فتقول : لا ، لا بد أن أستوفي مالي ، وعندما يُعطيك كل مالك ،  
تقول له : استوفيت مالي تماماً ، فتوفيته هنا تعني : أنك أخذت مالك بتمامه . إذن معنى ((  
متوفيك )) قد يكون هو أخذك الشيء تاماً . (( فمتوفيك )) تعني مرة تمام الشيء ، ((  
كاستيفاء المال )) وتعني مرة (( النوم )) .

وحين يقول الحق : (( إني متوفيك )) ماذا يعني ذلك ؟ إنه سبحانه وتعالى يريد أن  
يقول : أريدك تاماً ، أي أن خلقي لا يقدر على هدم بيتك ، إني طالبك إليّ تاماً ،

لأنك في الأرض عرضه لأغيار البشر من البشر ، لكني سأتي بك في مكان تكون خالصاً لي وحدي ، لقد أخذتك من البشر تماماً ، أي أن الروح في جسدك بكل مواصفتها .  
و قول : (( ورافعك إلي )) هذا القول الحكيم يأتي مستقيماً مع قول الحق (( متوفيك )) .  
وقد يقول قائل : لماذا نأخذ الوفاة بهذا المعنى ؟

نقول : إن الحق بجلال قدرته كان قادر على أن يقول : إني رافعك إلي ثم أتوفاك بعد ذلك . . . . ونقول أيضاً : من الذي قال : إن (( الواو )) تقتضي الترتيب في الحدث ؟ ألم يقل الحق في [القمر: ١٦] : (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذْرٍ ) هل جاء العذاب قبل النذر أو بعدها ؟ إن العذاب إنما يكون من بعد النذر . إن (( الواو )) تفيد الجمع للحدثين فقط .  
وكذلك في [الأحزاب: ٧] : وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ  
إن (( الواو )) لا تقتضي ترتيب الأحداث ، فعلى فرض انك قد أخذت (( متوفيك )) أي (( مميئك )) ، فمن الذي قال : إن (( الواو )) تقتضي الترتيب في الحدث ؟ بمعنى أن الحق يتوفى عيسى ثم يرفعه .

فيذا قال قائل : ولماذا جاءت (( متوفيك )) أولاً ؟

نرد على ذلك : لأن البعض قد ظن أن الرفع تبرئه من الموت .ولكن عيسى عليه السلام سيموت قطعاً ، فالموت ضربه لازب ، ومسألة يمر بها كل بشر .  
وفي الحديث المتفق عليه : ( كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ) ؟ أي أن النبي ﷺ بين لنا أن ابن مريم سينزل مرة أخرى .

ولنتف الآن وقفة عقلية لنواجه العقلانيين الذين يحاولون التعب في الدنيا فنقول : يا عقلانيون أقبلتم في بداية عيسى عليه السلام أن يوجد من غير أب على غير طريقة الخلق في الإيجاد والميلاد ؟ سيقولون : نعم .

هنا نقول : إذا كنتم قد قبلتم بداية مولده بشيء عجيب خارق للنواميس فكيف تقفون في نهاية حياته إن كانت خارقة للنواميس ؟

إن الذي جعلكم تقبلون العجبية الأولى يمهد لكم أن تقبلوا العجبية الثانية .

فالأية كاملة : { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ سَاعِدْكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }

يبلغ الله سبحانه عيسى عليه السلام إنني سأخذك تاما غير مقدور عليك من البشر ومطهرك من خبث هؤلاء الكافرين ونجاستهم ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة . وكلمة (( اتبع )) تدل على أن هناك (( مُتَّبِعًا )) يتلو مُتَّبِعًا .

أي أن المتبع هو الذي يأتي بعد ، فمن الذي جاء بعد عيسى عليه السلام بمنهج من السماء ؟ إنه سيدنا محمد ﷺ . ولكن على أي منهج يكون الذين اتبعوك ؟

أعلى المنهج الذي جاؤا به أم المنهج الذي بلغته أنت يا عيسى ؟ إن الذي يتبعك على غير المنهج الذي قلته لن يكون تبعا لك ، ولكن الذي يأتي ليصحح الوضع على المنهج الصحيح فهو الذي اتبعك .

وقد جاء سيدنا محمد ﷺ ليصحح الوضع ويبلغ المنهج كما أَرَادَهُ اللهُ { وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة } .

فإن أخذنا المعنى بهذا : إن أمة سيدنا محمد ﷺ هي التي اتبعت منهج الله الذي جاء به الرسل جميعاً ، ونزل به عيسى أيضاً ، أن أمة سيدنا محمد ﷺ قد صححت كثيراً من القضايا التي انحرف بها القوم .(١)

الخلاصة : لم يرد في القرآن الكريم نص يدل على موت عيسى عليه السلام الموتة النهائية ، وإنما الذي ورد لفظ الوفاة والتوفي ، وهذه ألفاظ لا ينحصر معناها في الموت ، بل تحمل معاني أخرى منها : استيفاء المدة ، وعيسى عليه السلام قد استوفى مدة مكثه الأول في الأرض ، ومنه قوله تعالى : { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ سَاعِدْكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا } أي : آخذك وافيًا بروحك وبدنك وقد نقل هذا المعنى ابن جرير في تفسيره عن جماعة السلف ، واختاره ورجحه على ما سواه ، وعليه يكون معنى الآية : إني قابضك من عالم الأرض إلى عالم السماء وأنت حي ورافعك إلي ، ومن هذا المعنى قول العرب : توفيت مالي من فلان أي قبضته كله وافيًا .

(١) - الشيخ محمد متولي الشعراوي ، خواطر

وفي محاسن التأويل (١): (إني متوفيك ) ، أي مستوف مدة إقامتك بين قومك ، والتوفي كما يطلق على الامامة كذلك يطلق على استيفاء الشيء - كما في كتب اللغة - ولو ادعى أن التوفي حقيقة في الأول ، والاصل في الاطلاق الحقيقة ، فنقول : لا مانع من تشبيهه سلب تصرفه عليه السلام بأتباعه وانتهاء مدته المقدره بينهم بسلب الحياة ، وهذا الوجه ظاهر جداً وقد دلت القرآئن من الاحاديث الصحيحة على ذلك .

وقد جزم القرآن الكريم بأن عيسى عليه السلام لم يقتل كما زعم النصارى ، بل رفعه الله تعالى إليه ، قال تعالى : { ... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ... } .  
وأما الآية التي في سورة مريم فهي قوله تعالى : { وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا } لا تدل على وفاته، بل الآية ذكرت ثلاثة أيام يوم ولادته ويوم وفاته ، ويوم يبعث يوم القيامة. فمر منها يوم وبقي يومان ، هما يوم وفاته بعد نزوله إلى الأرض ، ويوم يبعث بعد الوفاة، والقول الصحيح أن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء حياً وسينزل حياً إلى الأرض.

## المطلب العاشر : روح القدس في القرآن المؤيد للمسيح؟

ورد في [البقرة : ٨٧] النص التالي : { ولقد آتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس } ...؟ الجواب :

قوله تعالى : { وأيدناه بروح القدس } هو جبريل على الأصح ، ويدل لذلك قوله تعالى : { نزل به الروح الأمين } [الشعراء: ١٩٣] وقوله { فأرسلنا إليها روحنا } [مريم: ١٧] ، هو الثابت والمروي عن جمع كبير من الصحابة والتابعين والمفسرين ، ويؤيد هذا القول ما رواه الشيخان بسنديهما عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة : أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يا حَسَّانَ أجب عن رسول الله ، اللهم أيده بروح القدس " قال أبو هريرة : نعم (٢).

وقال ابن تيمية : قال جماهير العلماء إنه جبريل عليه السلام فإن الله سماه الروح الأمين وسماه

(١) - محاسن التأويل للقاسمي (٢ / ٣٢٤) ، مرجع سابق ، دار الكتب العلمية بيروت طبعة ١ / ١٤١٨ .

(٢) - (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بشر ١ / ١٩٢ - ١٩٣) الناشر : دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة - المدينة النبوية الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م والحديث أخرجه البخاري (٤٥٣) باب الشعر في المسجد ومسلم ح(٢٤٨٥) باب فضائل حسان بن ثابت .

روح القدس وسماه جبريل . (١) وعقد فصلاً في ذلك فقال :

فصل " في معنى روح القدس " قال تعالى : { يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس } [المائدة: ١١٠] ... فإن الله أيد المسيح عليه السلام بروح القدس كما ذكر ذلك في هذه الآية وقال تعالى في البقرة : { وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس } [البقرة: ٨٧] وقال تعالى : { تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس } [البقرة: ٢٥٣] وهذا ليس مختصاً بالمسيح بل قد أيد غيره بذلك وقد ذكروا هم أنه قال لداود روحك القدس لا تنزع مني ، وقد قال نبينا ﷺ لحسان بن ثابت : " اللهم أیده بروح القدس وفي لفظ روح القدس معك ما دمت تنافح عن نبيه " وكلا اللفظين في الصحيح

وعند النصارى أن الحواريين حلت فيهم روح القدس وكذلك عندهم روح القدس حدث في جميع الأنبياء وقد قال تعالى [النحل: ١٠٢] : { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } وقد قال تعالى في موضع آخر : { نزل به الروح الأمين على قلبك } [الشعراء: ١٩٣-١٩٤] وقال : { قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله } [البقرة: ٩٧] فقد تبين أن روح القدس هنا جبريل . . . قال : ولم يقل أحد أن المراد بذلك حياة الله ولا اللفظ يدل على ذلك ولا استعمل فيه .

إن تأييد الله لعيسى بروح القدس في القرآن ليس محصوراً به وأن القرآن قد ذكر أيضاً أن الله قد أيد نبينا محمداً ﷺ به . و أن آية النحل تفيد أن بِرُوحِ الْقُدُسِ هو اسم الذي كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ . وقد ورد هذا التعبير بلفظ الرُّوحِ الْأَمِينِ في آيات [الشعراء: ١٩٣] وفي آية سورة البقرة اسم جبريل بوصفه الذي كان ينزل بالقرآن حيث يكون التعبير في سورتي النحل والشعراء كناية عن جبريل، على أن المفسرين قالوا : وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ الواردة في الآية أن تأييد الله بمعنى تأييده بروحه وقوته ونصره، وأنه بمعنى تأييد الله له بجبريل .

ولقد ورد تعبير (بروح القدس) في الأناجيل الأربعة المتداولة اليوم والتي يعترف بها وحدها النصارى بأساليب ومناسبات متعددة بل وبمعان مختلفة أيضاً على ما يفيد السياق الذي وردت فيه . فمن ذلك ما ورد في سياق جبل مريم في إنجيل متى (لما خطبت مريم أمه ليوسف

(١) - دقائق التفسير ج: ١ ص: ٣١٠ و ج: ٢ ص: ٩٢) المحقق: د. محمد السيد الجليلند ، الناشر: مؤسسة علوم القرآن - دمشق ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤

وجدت من قبل أن يجتمعاً حبلى من الروح القدس) . وفي إنجيل لوقا على لسان الذي بشر مريم بجبلها: (فأجاب الملاك وقال لها إن الروح القدس يحل عليك) . ومن ذلك في إنجيل متى على لسان عيسى: (من قال كلمة على ابن البشر يغفر له وأما من قال على الروح القدس فلا يغفر له لا في هذا الدهر ولا في الآتي) . وفي إنجيل مرقس على لسان عيسى أيضاً: (فإذا ساقوكم وأسلموكم فلا تهتموا من قبل بما تتكلمون به بل بما أعطيتكم في تلك الساعة تكلموا لأنكم لستم أنتم المتكلمين ولكن الروح القدس) . و (وأما من جدف على الروح القدس فلا مغفرة له) . وفي إنجيل لوقا (ورجع يسوع من الأردن وهو ممتلىء بالروح القدس) . وفي إنجيل يوحنا على لسان يوحنا المعمدان الذي هو النبي يحيى في القرآن: (إن الذي ترى الروح ينزل ويستقر عليه هو الذي يعمد بالروح القدس) .

وبعض هذه العبارات الانجيلية قد يفيد أن روح القدس شخصية إلهية مقدسة. كما قد يفيد بعضها أنه روح ربانية تنزل لتأييد الأشخاص المؤمنين. أو أنه رسول رباني لتنفيذ أوامر الله وهذا المعنى الأخير مطابق لما جاء في القرآن على ما شرحناه في سياق تفسير سورة مريم. ومعلوم أن هذا التعبير في العقيدة النصرانية يعني أحد أقانيم أو صور الذات الإلهية التي هي الأب والابن وروح القدس. وهذه الألفاظ وردت في الأناجيل المتداولة. ولكن تلك العقيدة ليست محبوكة بشكلها الراهن في أي إنجيل، وإنما هي من قرارات مجامع دينية انعقدت في القرن الرابع بعد الميلاد بأمر ورعاية الامبراطور الروماني بسبب ما كان بين رجال الدين النصراني من خلافات حول لاهوتية المسيح والروح القدس على ما شرحناه في سياق سورة مريم أيضاً.

والمرجح أن هذا التعبير كان مستعملاً من قبل نصارى العرب قبل الإسلام ترجمة عن اللغة الإنجيلية السريانية أو اليونانية.

ومهما يكن من أمر فالذي يتبادر لنا أن التعبير القرآني يضع الأمر في نصابه من وجهة نظر القرآن والعقيدة الإسلامية في عيسى (عليه السلام) حيث ينطوي في الجملة التي جاء فيها تقرير كون عيسى رسول من رسل الله وأن الجملة تعني تأييد الله إياه بروح وقوة منه اقتضت حكمة التنزيل تسميتها بروح القدس ولا ضير على المسلم بل من واجبه أن يستعمل هذه التسمية في التعبير عن تأييد الله تعالى لعيسى (عليه السلام) لأن ذلك نص قرآني، مع

الوقوف عند ذلك وإيكال مدى هذه الحكمة لله تعالى ودون أن يكون ذلك من المسلم تسليمًا منه بما استقرت عليه عقائد النصارى الجمعية من مدى ومعنى روح القدس لأن فحوى الجملة وروحها ومقامها في القرآن لا يمكن أن يتحمل ذلك. وهي صريحة كل الصراحة بأن روح القدس الذي يؤيد الله به عيسى غير ذاته وليس جزءًا منه أو صورة له بأي حال كما هو في تلك العقائد. والقرآن هو الضابط المهيمن على الكتب السماوية التي ينسبها أهل الكتاب إلى الله ويتداولونها كما جاء صراحة في آية سورة المائدة: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَمَا يقرره هو الحق. (١)

### المطلب الحادي عشر : لم تنزل مائدة من السماء

إن في سورة المائدة: أن الحواريين قد طلبوا مائدة من السماء. وأن الله قال (إني منزلها عليكم) (ولا يقول الإنجيل: إن تلاميذ المسيح طلبوا منه آية من السماء، ولا يقول: إن مائدة نزلت من السماء).... الرد على الشبهة:

إن المعارض غير دارس للإنجيل وغير دارس للتوراة. وذلك لأن في إنجيل يوحنا أن الحواريين طلبوا آية من السماء " فقالوا له: فأية آية تصنع ؛ لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المنّ في البرية. كما هو مكتوب: أنه "أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا" يو ٦: ٣١. إنهم طلبوا مائدة من السماء ؛ لأنهم قالوا: " آباؤنا أكلوا المنّ في البرية " بعد قولهم " فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ " واستدلوا على أكل آباؤهم للمنّ بقولهم مكتوب في التوراة أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا.

وهذا يدل على أن آباءهم أكلوا المنّ والسلوى في سيناء. والنص هو: " وأمطر عليهم منّا للأكل وبرزّ السماء أعطاهم " [مزمو ٧٨: ٢٤].

فهل نزل المنّ من السماء ؟ وقد سماه داود . عليه السلام . مائدة في قوله عنهم: " قالو: هل يقدر الله أن يرتب مائدة في البرية ؟ " [مز ٧٨: ١٩] فمعنى نزوله من السماء: أنه من جهة الله لا من جهة إله آخر. ونص إنجيل يوحنا يبين أنهم طلبوا مائدة من السماء. ذلك قوله: " أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا " فإذا بارك الله في طعام من الأرض ليشبع خلقاً كثيراً ؛

(١) - التفسير الحديث ، محمد عزت دروزة ٦ / ١٩٨ الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة الطبعة: ١٣٨٣ هـ

فإنه يكون مائدة من السماء. كالمن النازل من السماء. وهو لم ينزل من السماء وإنما كان على ورق الشجر ، وكالسلوى.

ومن أعجب العجب: أن مؤلف الإنجيل قال كلاماً عن المسيح في شأن محمد رسول الله لا يختلف اثنان في دلالة عليه ﷺ. وقد استدل المسيح فيه عليه ﷺ بنص في الإصحاح الرابع والخمسين من سفر إشعياء.

ويقول المعترض: ولعلّ قصة القرآن عن نزول مائدة من السماء نشأت عن عدم فهم بعض آيات الإنجيل الواردة في متى ٢٦ ومرقس ٢٤ ولوقا ٢٢ ويوحنا ١٣. وغرضه من قوله هذا أن لا يعرف المسلمون موضع المائدة من الأناجيل لأنها بصدد كلام من المسيح في شأن محمد رسول الله ، وموضعها الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا<sup>١</sup>.

يقول الأستاذ دروزة : قصة المائدة لم ترد في الأناجيل المتداولة على الوجه الذي جاءت عليه في الآيات أو مقارب له. وإنما ورد فيها قصة معجزة لعيسى عليه السلام حيث قدم لجمع يبلغ خمسة آلاف خمسة أرغفة وسمكتين بعد أن قطعها فأكلوا وشبعوا وبقي من الكسر ما ملأ اثنتي عشرة قفة أو سبعة سلال (٢). وفي الإصحاح العاشر من سفر أعمال الرسل - من ملحقات الأناجيل التي سمي مجموعها العهد الجديد - قصة فيها شيء مقارب جاء فيها «إن سمعان أحد حواربي المسيح الملقب بطرس كان في الطريق إلى يافا فجاء ووقع عليه انجذاب فرأى السماء مفتوحة ووعاء هابطا كأنه سماط عظيم معقود من أطرافه الأربعة ومدلى على الأرض وكان فيه من كل ذوات الأربع ودواب الأرض وطيور السماء وإذا بصوت يقول قم يا بطرس اذبح وكل فقال بطرس حاشا يا رب فإني لم أكل قط نجسا أو دنسا فخاطبه الصوت ثانية ما طهره الله لا تنجسه أنت. وحدث هذا ثلاث مرات ثم رفع الوعاء إلى السماء» (٣). غير أن المتبادر أن هذه القصة وتلك ليستا هما المائدة القرآنية. ويوجد في بيت المقدس مكان تقليدي يحترمه المسلمون والنصارى معا يعرف ببيت المائدة في العمارة المعروفة بالنبي داود حيث قد يفيد هذا أن النصارى أو فريقا منهم كانوا يتداولون خبر معجزة مائدة نزلت من السماء على المسيح والحواريين جيلا عن جيل. والروايات المأثورة عن زمن النبي

(١) - حقائق الاسلام في مواجهة شبكات المشككين الشبهة رقم ١٠٨ . مجموعة من كبار العلماء نشر وزارة الاوقاف المصرية .

(٢) - انظر إنجيل متى الإصحاح ٦ ويوحنا الإصحاح ١٥ ومرقس الإصحاح ٦ ولوقا الإصحاح ٩.

(٣) - النص منقول من النسخة الكاثوليكية.

صلى الله عليه وسلم بقطع النظر عما فيها من غرابة قد تدل على أن قصة هذه المعجزة لم تكن مجهولة.

ونحن نعتقد أن أهل بيعة النبي ﷺ قد عرفوها عن طريق النصارى كما نعتقد أنها كانت واردة في بعض أسفارهم التي لم تصل إلى عهدنا. والقصة إنما ذكرت في القرآن بأسلوب خاطف لا بيان فيه على سبيل التذكير والاستطراد على ما يلهمه أسلوب الآيات وفحواها. ولا بدّ من أنها كانت معروفة في الوسط الذي كانت تتلى فيه لأن هدف القرآن التذكيري إنما يتحقق بذلك. وعلى كل حال فالإيمان بما أخبر القرآن به من خبر المائدة وما دار من حوار بين عيسى عليه السلام والحواريين في صددها ودعاء عيسى لله وجواب الله واجب.<sup>(١)</sup>

## المطلب الثاني عشر : الاستدلال بالآية ١٤٦ من سورة البقرة على عدم تحريف الإنجيل .

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٤٦] قالوا : هذه الآية تعد دليلا قويا أن الكتاب كان موجودا في وقت نبي الإسلام... بعد ٦٠٠ سنة من رسالة الإنجيل... وهي تعد دليلا على أن الإنجيل كانت له أصولا في هذا الوقت ، والسؤال هو : هل يقصد نبي الإسلام الإنجيل المنزل على المسيح عيسى بن مريم وهو التعبير الذي استخدمه القرآن أم الأناجيل الأربع الموجودة بين أيدينا، أم الكتاب المقدس ككل والذي نستخدمه الآن... وهل يقصد التوراة المنزلة على موسى كتعبير القرآن أم كتاب العهد القديم الموجود بين أيدينا .

يحاول المسلم التفريق بين التعبير التوراة المنزل على موسى والإنجيل المنزل على عيسى وبين الكتب الموجودة في أيدينا زاعما أن هذه الكتب المنزلة هي الكتب الأصلية. والسؤال إذا كانت هذه الكتب هي الأصلية وليست الموجودة بين أيدينا فهي لا بد وأن يكون لها أصول في القرن السادس الميلادي بناء على هذه الآية... فكيف يكون لها وجود في القرن السادس مع مسيحيين وبهود الجزيرة العربية وتختفي تماما بعد هذا؟ علميا مستحيل اختفاؤها ولا بد أن يكون لها أصول من المخطوطات.

(١) - التفسير الحديث ، محمد عزت دروزة ، ٩ / ٢٦٢ مرجع سابق .

ولكن الواقع يقول أنه لا يوجد كتاب اسمه الإنجيل المنزل على عيسى ولكن يوجد لدي  
المسيحيين الكتاب المقدس، إذا فهذا الكتاب هو ما يقصده القرآن بتعبير ( آتيناهم الكتاب )  
وإذا كان القرآن يقصد الإنجيل الذي بين أيدينا فبناء على هذه الآية الإنجيل صحيح  
وغير محرف ... إذ أن هناك من أهل الكتاب من يعرفونه معرفة تامة في وقت رسالة نبي  
الإسلام. إذا علينا أن نحضر المخطوطات التي كانت موجودة في القرن السادس ومطابقتها  
بالتي هي بين أيدينا ... وسنكتشف أنها متطابقة... وبالتالي يجب علينا أن نعترف بصدق  
الإنجيل الذي بين أيدينا دون تحريف ... لأنه إذا قلنا أن الإنجيل حرف يكون السؤال متى؟  
فإذا كانت الإجابة قبل نزول القرآن نجعل القرآن كاذبا وهذا ما لا يرضاه أي مسلم .  
الجواب :

الكاتب قد قفز مرة واحدة من الآية إلى الاستنتاج دون أن يوضح لقرائه كيف توصل  
لهذا الاستنتاج الذي غاب عن المسلمين شرقاً و غرباً و شمالاً و جنوباً على مدار ١٤ قرناً  
من الزمان !

أقل واجب هو أن يوضح الكاتب لقرائه كيف توصل إلى استنتاجه ، أليس كذلك ؟  
والعجيب أنه بعد أن وضع المقدمة العقلية العارية من البرهان - التي هي وجود الكتب  
الصحيحة اللامحرفة في أيدي أهل الكتاب - انطلق يسرد قضيته و يفصلها و يقعدھا و  
يؤصلها و كأن توضيح كيفية وصوله لمقدمته هو أمر مفروغ منه !

في البداية نقول : الضمير في قوله (يعرفونه) لا يعود على الكتاب بل على النبي ﷺ ؛  
فلو راجع أبسط التفاسير وأوضحها مثل تفسير الجلالين لما وقع في غلط فاضح :  
{ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ } أي محمداً { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } بنعته في كتبهم قال  
ابن سلام: (لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي لمحمد أشد)

وفي الكشاف للزمخشري(١) : { يَعْرِفُونَهُ } يعرفون رسول الله ﷺ معرفة جلية يميزون  
بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } لا يشبهه عليهم أبناؤهم  
وأبناء غيرهم. وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله ﷺ فقال:  
أنا أعلم به مني بابني. قال: ولم؟ قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي. فأما ولدي، فلعل

(١) - الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٢٠٤ . مرجع سابق .

والدته خانت، فقبل عمر رأسه. وجاز الإضمار وإن لم يسبق له ذكر لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع .

ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه علماً معلوماً بغير إعلام . وقيل: الضمير للعلم أو القرآن أو تحويل القبلة.

وفي تفسير النسفي (١): { يَعْرِفُونَهُ } أي محمداً عليه السلام أو القرآن أو تحويل القبلة. والأول أظهر لقوله { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } قال عبد الله بن سلام: أنا أعلم به مني بابني فقال له عمر: ولم؟ قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه.

وفي تفسير البيضاوي (٢): { يَعْرِفُونَهُ } الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه. وقيل للعلم، أو القرآن، أو التحويل { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } يشهد للأول: أي يعرفونه بأوصافه كمعرفتهم أبناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم. عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه سأل عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ فقال: أنا أعلم به مني بابني قال: ولم، قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته قد خانت.

وبناءً على هذه الشواهد تمنحي القضية التي بنى عليها الكاتب النصراني قضيته ؛ فالذي يعرفه أهل الكتاب كأبنائهم هو الرسول ﷺ و ليس الكتب الموجودة في أيدي أهل الكتاب . لكن : دعنا نفترض جدلاً - أقول جدلاً - أن الرسول عليه الصلاة و السلام و القرآن الكريم قد شهدا للكتاب المقدس بالأصالة و عدم التحريف ، هنا يبرز السؤال : أي كتاب مقدس شهدا له ؟؟

هل هو الكتاب المقدس للكنيسة الأرثوذكسية القبطية ؟ أم الأرثوذكسية اليونانية ؟ أم الكاثوليكية الرومانية ؟ أم السيربانية ؟ أم الأثيوبية ؟ أم ربما هو الكتاب المقدس للكنيسة البروتستانتية ؟ و لكل كنيسة كتاب مقدس !

حسنٌ ، دعنا نعود لكاتب المقال مرة أخرى ، و هذه المرة لنناقش اعتراضه على كون أهل الكتاب يعرفون الرسول عليه الصلاة و السلام كما يعرفون أبنائهم و الرد - ببساطة -

(١) - تفسير النسفي (ج ١ ص ١٤١) . راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م  
(٢) - البيضاوي (ج ١ ص ١١٢) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي

هو شهادة حبر إسرائيلي جليل معاصر للرسول في مقام عبد الله بن سلام و الذي شهد له يهود المدينة بالعلم ، بل و الرياسة في العلم ، و كذلك دخول الآلاف المؤلفة من النصراري في الإسلام من أهل مصر و الشام و العراق على أيدي الفاتحين المسلمين و لم يكن هذا إلا لأنهم وجدوا هذا تحقيقاً للنبوءات التي علموها من كتابهم (رغم تحريف العديد من المواضع فيه) و اقرأ إن شئت كتبهم التي فصلوا و شرحوا هذه النبوءات بدءاً من (الدين و الدولة) لابن ربان الطبري و انتهاءً بكتاب (محمد في الكتاب المقدس) لعبد الأحد داود (بنجامين كلداني سابقاً) . و من المعاصرين الذين يعرفونه كما يعرفون أبنائهم محمد زكي النجار صاحب كتاب (المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة) و كان أسقفاً مصرياً بطهطا و الدكتور إبراهيم خليل محمد صاحب كتاب (محمد في التوراة و الإنجيل و القرآن) و كان قسيساً مصرياً أسلم و أبنائه الأربعة في منتصف القرن العشرين و واصف سليمان الراعي صاحب كتاب (كنت نصرانياً) و غيرهم ..

هؤلاء هم الذين أتاهم الله الكتاب و يعرفونه كما يعرفون أبنائهم و ليسوا من المعاندين ككاتب هذا المقال نرجو له الهداية .

### المطلب الثالث عشر : ما معنى (حتى يقيموا التوراة و الإنجيل) ؟؟

يقول الله تعالى { قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة و الإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الفاسقين } [المائدة: ٦٨] وإشكالي في كون الله عز وجل أخبر عن أهل الكتاب أنهم ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة و الإنجيل ومعلوم أن القرآن نسخ الكتب السابقة والخطاب كان موجها في الآية لمن هم في زمن النبي ﷺ .

الجواب : تم شرح معنى الآية والرد على ما فهموا منها في خلال الشبهات السابقة ونختصر : المقصود بالتوراة و الإنجيل هنا هي الكتب قبل التبديل و التحريف فلا سبيل لإقامتها إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم المهيمن الذي يشهد لما أنزله الله فيهما و يشهد على ما حرفة الناس فيهما و هذا ما أخبرنا به الله في سورة المائدة في قوله تعالى "مهيماً عليه" فما وافق القرآن هو صدق أنزله الله و ما خالفه كذب و ما لم يوافق و لم يخالفه نتوقف فيه فلا نصدقه و لا نكذبه ، أما المقصود بقوله تعالى "وما أنزل إليكم من ربكم" فهو القرآن الكريم

فهم ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة الصحيحة و الإنجيل الصحيح و القرآن المنزل و هذا كله لا يمكن بلوغه إلا بالقرآن المصدق المهيمن .

قال ابن حزم (١): وأما قول الله عز وجل { يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم } فحق لا مربة فيه وهكذا نقول ولا سبيل لهم إلى إقامتها أبداً لرفع ما أسقطوا منها فليسوا على شيء إلا بالإيمان بمحمد ﷺ فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل كلهم يؤمنون حينئذ بما أنزل الله منهما وجد أو عدم ويكذبون بما يدل فيهما مما لم ينزله الله تعالى فيهما وهذه هي إقامتهما حقاً فلاح صدق قولنا موافقاً لنص الآية بلا تأويل .

**المطلب الرابع عشر : ما معنى الآية (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك } [يونس : ٩٤] ،**

يقولون هذه الآية تخبر محمد ﷺ للاحتكام لكتبهم؟! فما المراد بالآية؟

تم التفصيل في شرح الآية والرد على الشبهة التنصيرية خلال الشبهات السابقة حول المسيحية و نختصر : لفظة (إن) لا تفيد أي تحقق لوقوع الشك من النبي ﷺ ، إذ قد يعلق المحال ب (إن)، كما في قوله تعالى: {قُلْ (أي يا محمد) إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزخرف: ٨١]، وقوله: {وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ (يا محمد) إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ} [الأنعام: ٣٥]. وقد فسر العلماء مقصود الآية بقولين يكمل أحدهما الآخر:

الأول: أن المقصود بالسؤال هم المؤمنون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما: (الذين أدركوا محمداً ﷺ من أهل الكتاب فأمنوا به .. فاسألهم إن كنت في شك بأنك مكتوب عندهم) (٢).

الثاني: أن المقصود في الآية ليس أمر النبي ﷺ بالسؤال، بل الخطاب - في ظاهره - للنبي ﷺ ، والمراد به غيره من المشركين، على عادة العرب في الخطاب "إياك أعني واسمعي يا جارة" (٣). ومثله في القرآن كثير، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ

(١) - ابن حزم في الفصل بين الملل والنحل ج ١ ص ١٥٨ مرجع سابق .

(٢) - (جامع البيان، الطبري (١٥ / ٢٠١). مرجع سابق تحقيق شاكر، نشر مؤسسة الرسالة .

(٣) - (انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (١٦٧).

وَالْمُنَافِقِينَ} [الأحزاب: ١]، وقال: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥]، وقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ} [الطلاق: ١].

وهذا الوجه صححه الطبري، واستدل له الرازي بقول الله تعالى في آخر السورة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [يونس: ١٠٤] ، وقال: "فبين أن المذكور في أول الآية على سبيل الرمز، هم المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح .. فثبت أن الحق هو أن الخطاب، وإن كان في الظاهر مع الرسول ﷺ ؛ إلا أن المراد الأمة، ومثل هذا معتاد، فإن السلطان الكبير إذا كان له أمير، وكان تحت راية ذلك الأمير جمع، فإذا أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص، فإنه لا يوجه خطابه عليهم، بل يوجه ذلك الخطاب إلى ذلك الأمير الذي جعله أميراً عليهم، ليكون ذلك أقوى تأثيراً في قلوبهم" (١) ، بقي أن نشير إلى أن الأمر بالسؤال ليس على ظاهره، فإن العرب تستخدم طلب السؤال؛ بمعنى تأكيد الأمر، ولا تريد طلب السؤال حقيقة، ومنه قول الشاعر:

سلوا الليل عني مذ تئأت دياركم ... هل اكتحلت بالغمض لي فيه أجفان

وقول الآخر:

سلوا نسמת الريح كم قد تحملت ... محبة صب شوقه ليس يكتم

فهذان وأضربهما لا يراد منه - في لغة العرب - حقيقة السؤال؛

إذ كيف يُسأل الليل أو نسמת الريح، إنما يراد تأكيد تلك المعاني التي طلب السؤال عنها. ومثله في القرآن قوله تعالى: {سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ} [القلم: ٤٠]، وقوله: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا} [الزخرف: ٤٥]، وقوله: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} [الأعراف: ١٦٣]، ففي كل هذا لم يطلب الله من النبي ﷺ حقيقة السؤال، إنما قصد الإخبار وتأكيد صدق هذه المعاني والأخبار التي ذكرها الله تبارك وتعالى في القرآن. وأما قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣]، فهو خطاب من الله للمشركين المنكرين للنبوّة؛ المستغربين نزول الوحي على رجل، فقد نبههم الله إلى أن نزول الوحي على بشر أمر معهود تعرفه

(١) - (التفسير الكبير، الرازي (١٧/ ٣٠٠). مرجع سابق .

البشرية، ودعاهم إلى سؤال أهل الكتاب للتأكد من حقيقته والوقوف على جلائه، يقول ابن القيم: "فبقاؤهم [أي أهل الكتاب] من أقوى الحجج على منكر النبوات والمعاد والتوحيد، وقد قال تعالى لمنكري ذلك {فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} .. يعني سلوا أهل الكتاب: هل أرسلنا قبل محمد رجالاً يوحى إليهم أم كان محمد بدعاً من الرسل لم يتقدمه رسول حتى يكون إرساله أمراً منكراً؟" (١).

وهكذا فالآية تجعل من شهادة أهل الكتاب دليلاً ناهضاً للاحتجاج على مشركي مكة في مسألة نبوة النبي ﷺ، وهو معنى تكرر في مواضع أخرى من القرآن، كقوله: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} [الرعد: ٤٣].

وايضا هم قالو كيف ينزل الكتاب على بشر واستنكروا ذلك بحجة ان الذى اتى بالكتاب الانجيل لديهم ابن الله وهذا الله رد عليهم به وقال : {قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا} [الإسراء : ٩٥].

وهنا الدليل على انه يا محمد من ينكر عليك انك رسول بشر فأسال الذين لديهم الكتاب هل ارسلنا عليهم بشرا ام ملاكا فأن كان بشرا فلما تستكبرون ان اكون رسول بشرا مثلكم ؟ وان كان ملاك فان صفة المعية للملاك مختلفة عن البشر ذلك بان الملاك وجب ان يكون من صنفه لكي يرونه ويكلموه ويفهموا منه فان معية الملاك مختلفة عن معية البشر ولذلك الله يرسل لكل جنس من جنسه وحتى لما جاء جبريل عليه السلام لمريم عليها السلام قال الله فتمثل لها بشرا سويا يعنى اخذ شكل بشر معتدل حتى تستطيع ان تراه ويكلمها لكي تكون الرسالة واضحة .

وهنا الله يخبر نبيه الكريم انه يا اهل الكتاب هل الذين اتو من قبلي كانوا بشرا ام ملائكة؟ ولهذا قال هاهنا { قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين } أي كما أنتم فيها { لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا } أي من جنسهم ولما كنتم أنتم بشرا بعثنا فيكم رسلنا منكم لطفًا ورحمة .

وهذا الرد انه ليس المقصود اساهم يا محمد واحتكم بما في كتبهم بل يقول الله : لو

(١) - (أحكام أهل الذمة، ابن القيم (١/٩٧). مرجع سابق .

عارضوك فقل هاتوا كتبكم لنرى هل الحكم موجود به الذى عارضتم عليه ام لا فإن كان موجودا فلما تعترضون على ما هو أصلا موجود بكتبكم وترفضونه ؟ فهذه حجة عليكم ايها النصارى وليست لكم فقد رفضتم الجزية وهى مدونه فى كتابكم لما قال المسيح فأعطوا الجميع حقوقهم الجزية لمن له الجزية والكرامة لمن له الكرامة والاكرام لمن له الاكرام فلما تعترضون عليها والمسيح قال انه حق من الحقوق ولم يقل كسب بالغصب .

## المطلب الخامس عشر : القرآن ينكر صلب المسيح . والأناجيل

ثبتته. ثم هل الصلب ثم القتل أم القتل ثم الصلب .. وفى هذه الآية مشاكل :  
{ وَقَوْلِهِمْ (أَيُّ الْيَهُودِ) ؛ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ }  
[سورة النساء: ١٥٧].

١ - لقد قَوْل القرآن اليهود ما لم يُقُولوه، فمن المفترض (عقلاً ومنطقياً) أن اليهود لم يقولوا  
إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ فلو أنهم اعتقدوا أنه رسول الله لما صلبوه وقتلوه.

٢ - أليس من المنطقي أن الصلب يسبق القتل؟ فكان الأصوب أن يقول وما صلبوه وما  
قتلوه .

٣ - صلب المسيح حادثة حقيقية مؤيَّدة بالنبوات والتواريخ والمؤرخين اليهود والرومان من  
أمثال فيلو ويوسيفوس فكيف ينكرها القرآن بعد ٦٠٠ سنة من حدوثها، والبيِّنة على من  
ادَّعى؟ .

٤ - ناقض القرآن نفسه، فهو يقول ما قتله ولكنه يقول إني متوفِّيكَ [آل عمران ٣: ٥٥]  
ويقول فلما توفَّيتني [المائدة ٥: ١١٧] و يقول السلام عليَّ يوم وُلدت ويوم أموت [مريم  
١٩: ٣٣].

٥ - ونقول إن قتله ترجع لليهود. فلماذا ينكر المسلمون تاريخية الصليب؟ ولماذا لا يكون  
المعنى أن اليهود صلبوا المسيح فعلاً (تاريخياً). ولكن لم يصلبوه أثراً، أي لم تتحقق لهم النتيجة  
المرجوة من صلبه وهى اندثار دعوته. إن القرآن نفسه يعترف بقتل بعض الناس دون أن  
يعترف بوفااتهم، فيقول: "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا  
تَشْعُرُونَ" [البقرة ٢: ١٥٤].

الرد :

١- { وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله } أي هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب قتلناه . وهذا منهم من باب التهكم والاستهزاء، كقول المشركين: يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون، [الحجر: ٦] ، فكفار قريش يصفون النبي ﷺ بالمجنون، ولا يؤمنون بأن القرآن (ذكر)، ولا يصدقون بنزوله على النبي ﷺ ، وقولهم: { نزل عليه الذكر } خرج مخرج السخرية منه، أو بمعنى: (يا أيها الذي يزعم أنه نزل عليه الذكر). ومثله أيضا ما حكاه الله تعالى من قول كفار قوم شعيب عليه السلام { قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لانت الحليم الرشيد } [هود: ٨٧]، أي (أنت الذي تزعم أنك الحليم الرشيد). ومثله كذلك خرج مخرج السخرية والاستصغار للمشرك حين يدخل النار قول الله تعالى: { ذق إنك أنت العزيز الكريم (٤٩) إن هذا ما كنتم به تمتمون } [الدخان: ٤٩ - ٥٠]، أي (كنت تزعم أنك العزيز الكريم). فمن عرف ما عرف العرب لم ينكر ما سكتوا عنه، فإن القرآن نزل بلسانهم، ووفق طرائقهم في البيان والتعبير، ومنها التهكم والحكاية.

٢- هل صُلب المصلوب ثم مات على الصليب أم قتل ثم صُلب ؟

لنلاحظ الدقة في قول : وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ،

وقد وجه النصارى سؤال عجيب لهذه الآية وضح من خلال هذا السؤال أمر خطير جداً... وهو : أليس من المنطقي أن الصلب يسبق القتل؟ فكان الأصوب أن يقول وما صلبوه وما قتلوه ؟ ولكن عهدهم القديم يقول : بسفر التثنية : ٢١ : ٢٢ (و إذا كان على انسان خطية حقها الموت فقتل و علقته على خشبة ) و بسفر يشوع ٨ : ٢٣ (و اما ملك عاي فامسكوه حيا و تقدموا به الى يشوع ٨ : ٢٤ و كان لما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم و سقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا ان جميع اسرائيل رجع الى عاي و ضربوها بحد السيف ثم بعد ضربه بحد السيف { أي قُتل } ٨ : ٢٩ و ملك عاي علقه على الخشبة الى وقت المساء ) و بسفر استير ٩ : ١٠ (عشرة بني هامان بن همدان عدو اليهود قتلوهم ولكنهم لم يمدوا ايديهم الى النهب ١٣ فقالت استير ان حسن

عند الملك فليعطى ايضا لليهود الذين في شوشن ان يعملوا كما في هذا اليوم ويصلبوا بني هامان العشرة على الخشبة....)

إذن من خلال ما جاء بالعهد القديم وقوانين الصلب نجد أنه لا يُصلب أحد إلا بعد قتله أولاً ، وبهذا فكل النصوص والفقرات الواردة عن قصة صلب اليسوع باطلة . لأنه لا يصلب أحد إلا بعد قتله أولاً.

٣- يدعي النصارى أن المسلمين بقولهم بنجاة المسيح من الصلب ينكرون حقيقة تاريخية أجمع عليها اليهود والنصارى الذين عاصروا صلب المسيح ومن بعدهم. فكيف لني الإسلام وأتباعه الذين جاءوا بعد ستة قرون من الحادثة أن ينكروا صلب المسيح؟! عند التأمل في شهادة الشهود تبين لنا تناقضها وتفكك رواياتهم. ولدى الرجوع إلى التاريخ والتنقيب في رواياته وأخباره عن حقيقة حادثة الصلب، ومن المصلوب فيها؟ يتبين أمور مهمة:

أن قدماء النصارى كثر منهم منكرو صلب المسيح، وقد ذكر المؤرخون النصارى أسماء فرق مسيحية كثيرة أنكرت الصلب. وهذه الفرق هي: الباسيليديون والكورنثيون والكاربوكرايتون والساطرينوسية والبارديسيانية والسيرنثيون والبارسكالونية والبولسية والمائيسية، والتايتانيسيون والفلنطانيائية والهرمسيون.

وبعض هذه الفرق قريبة العهد بالمسيح، إذ يرجع بعضها للقرن الميلادي الأول ففي كتابه "المهرطقات مع دحضها" ذكر القديس الفونسو ماريا دي ليكوري أن من بدع القرن الأول قول فلوري: إن المسيح قوة غير هيولية، وكان يتشع ما شاء من الهيئات، ولذا لما أراد اليهود صلبه؛ أخذ صورة سمعان القروي، وأعطاه صورته، فصلب سمعان، بينما كان يسوع يسخر باليهود، ثم عاد غير منظور، وصعد إلى السماء<sup>(١)</sup>. ويبدو أن هذا القول استمر في القرن الثاني، حيث يقول المفسر جون فنتون شارح متى (ص ٤٤٠): "إن إحدى الطوائف الغنوسية التي عاشت في القرن الثاني قالت بأن سمعان القيرواني قد صلب بدلاً من

(١) - Bruce Metzger , Canon of the new testament , page 79 نقلا عن هل افتدانا المسيح على الصليب؟ ( ص ٤٥ ) المؤلف:

منقذ بن محمود السقار الناشر: دار الإسلام للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

يسوع" (١). وقد نقل أوريجانوس تقليداً شائعاً في عهده بأن يسوع كانت يستطيع في حياته أن يغير شكله وقتما وكيفما يشاء، ويقول إن هذا كان السبب في ضرورة قبلة يهوذا الخائن؛ وإلا فإن المسيح كان معروفاً لدى عموم أهل أورشليم (٢).

وقد استمر إنكار صلب المسيح، فكان من المنكرين الراهب تيودورس (٥٦٠ م) والأسقف يوحنا ابن حاكم قبرص (٦١٠ م) وغيرهم.

ولعل أهم هذه الفرق المنكرة لصلب المسيح الباسيليديون الذين تعتبرهم الموسوعة الكاثوليكية في نسختها الإنجليزية من أهم الفرق النصرانية في القرن الثاني؛ وقد نقل عنهم سيوس في " عقيدة المسلمين في بعض مسائل النصرانية " والمفسر جورج سايل القول بنجاة المسيح، وأن المصلوب هو سمعان القيرواني، وسماه بعضهم سيمون السيرناي، ولعل الاسمين لواحد. وهذه الفرقة كانت تقول أيضاً ببشرية المسيح، يقول باسيلوس الباسليدي: " إن نفس حادثة القيامة المدعى بها بعد الصلب الموهوم هي من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح".

ولعل هؤلاء المنكرين لصلب المسيح قديماً هم الذين عناهم جرجي زيدان حين قال: " الخياليون يقولون: إن المسيح لم يصلب، وإنما صلب رجل آخر مكانه "٣.

ومن هذه الفرق التي قالت بصلب غير المسيح بدلاً عنه: الكورنثيون والكر بوكراتيون والسيرنثيون. يقول جورج سايل: إن السيرنثيين والكر بوكراتيين، وهما من أقدم فرق النصراري، قالوا: إن المسيح نفسه لم يصلب ولم يقتل، وإنما صلب واحد من تلاميذه، يشبهه شبيهاً تاماً، وهناك الباسيليديون يعتقدون أن شخصاً آخر صلب بدلاً من المسيح. وثمة فرق نصرانية قالت بأن المسيح نجا من الصلب، وأنه رفع إلى السماء، ومنهم الروسييتية والمرسيونية والفلنطنيائية. وهذه الفرق الثلاث تعتقد ألوهية المسيح، ويرون القول بصلب المسيح وإهانته لا يلائم البنوة والإلهية (٤).

كما تناقل علماء النصراري ومحققوهم إنكار صلب المسيح في كتبهم،

(١) - المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، ص (٢٧٣، ٢٧٤) ط٢. مكتبة وهبة. القاهرة، ١٤٠٨ هـ. ، وانظر تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الحضري (١/٢٠٧)، وقاموس الكتاب المقدس، ص (١١١٢). عن السقار المرجع السابق ص ٤٦  
(٢) - دائرة المعارف الكتابية (١/٤٠ - ٤١). عن هل العهد الجديد كلمة الله؟ للسقار ص ٤٦  
(٣) - أفانيم النصراري، أحمد حجازي السقا، ص (٧٥)، الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي، ص (٤٦٥ - ٤٦٦)، قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص (٥٠٣)، عقيدة الصلب والفداء، محمد رشيد رضا، ص (١٠١). عن السقار هل العهد الجديد كلمة الله؟ ص ٤٧  
(٤) - الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي البغدادي، ص (٤٦٥)، قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص (٥٠٣). مرجع سابق .

وأهم من قال بذلك الحواري برنابا في إنجيله ، ويقول ارنتست دي بوش الألماني في كتابه " الإسلام: أي النصرانية الحقبة " ما معناه: إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس، ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح، لا في أصول النصرانية الأصلية.

ويقول ملمن في كتابه " تاريخ الديانة النصرانية ": " إن تنفيذ الحكم كان وقت الغلس، وإسدال ثوب الظلام، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقد بعض الطوائف، وصدقهم القرآن " (١). و أخيراً نذكر بما ذكرته دائرة المعارف البريطانية في موضوع روايات الصلب حيث جعلتها أوضح مثال للتزوير في الأناجيل (٢).

وأما الطائفة التي يسميها القس الخضري بالرومانسيين (القرن التاسع عشر) فقد ذكروا أن المسيح "أنزل من على الصليب فاقد الوعي، وعالجه أطباء أسينيون إلى أن استرد قوته وظهر لتلاميذه الذين اعتقدوا أنه مات" (٣)، وإذا كان هؤلاء جميعاً من النصارى، يتبين أن لا إجماع عند النصارى على صلب المسيح، فتبطل دعواهم بذلك.

ويذكر معرّب " الإنجيل والصليب " ما يقلل أهمية إجماع النصارى لو صح فيقول: إن العالم المسيحي العظيم الذي أطبق على ترك السبت خطأ ١٩٠٠ سنة، هو الذي أطبق على الصلب. وأما إجماع اليهود فهو أيضاً لا يصح القول به، إذ أن المؤرخ اليهودي يوسفوس المعاصر للمسيح والذي كتب تاريخه سنة ٧١م أمام طيطوس لم يذكر شيئاً عن قتل المسيح وصلبه. أما تلك السطور القليلة التي تحدثت عن قتل المسيح وصلبه في كتابه، فهي إلحاقات نصرانية كما جزم بذلك المحققون وقالوا: بأنها ترجع للقرن السادس عشر، وأنها لم تكن في النسخ القديمة (٤). ولو صح أنها أصلية فإن الخلاف بيننا وبين النصارى ومن وافقهم قائم في تحقيق شخصية المصلوب، وليس في وقوع حادثة الصلب. {وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه} [النساء: ١٥٧]، وهذا حال اليهود والنصارى فيه.

(١) - الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي البغدادي، ص (٣٦٦)، قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص (٥٠٣).

(٢) - دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس، محمد عبد الحليم أبو السعود، ص (٥٣٠ - ٥٣١). عن السقار هل العهد الجديد كلمة الله؟ ص ٤٧

(٣) - تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الخضري (١/ ١٥٨) وهل حقاً قام المسيح؟ د. صموئيل حبيب، ص (٣٩). عن السقار هل العهد الجديد كلمة الله؟ ص ٤٧. مرجع سابق.

(٤) - قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص (٤٨٥)، دين الله في كتب أنبيائه، محمد توفيق صدقي أفندي، ص (٧٩)، تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الخضري (١/ ١٥٠).

ولكن قد يقال: إن المؤرخ الوثني تاسيتوس كتب عام ١١٧م كتاباً تحدث فيه عن المسيح المصلوب. وعند دراسة ما كتبه تاسيتوس، يتبين ضعف الاحتجاج بكلامه، إذ هو ينقل إشاعات ترددت هنا وهناك، ويشبه كلامه أقوال النصارى في محمد ﷺ في القرون الوسطى.

ومما يدل على ضعف مصادره وتخبطه، ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية، من أنه ذكراً أموراً مضحكة، فقد جعل حادثة الصلب حادثة أممية، مع أنها لا تعدو أن تكون شأنًا محلياً خاصاً باليهود، ولا علاقة لروما بذلك، ومن الجهل الفاضح عند هذا المؤرخ، أنه كان يتحدث عن اليهود - ومقصده: النصارى. فذكر أن كلوديوس طردهم من رومية، لأنهم كانوا يحدثون شغباً وقلقل يحرضهم عليها " السامي " أو " الحسن " ويريد بذلك المسيح. ومن الأمور المضحكة التي ذكرها تاسيتوس قوله عن اليهود والنصارى بأن لهم إلهاً، رأسه رأس حمار، وهذا هو مدى علمه بالقوم وخبرته.

كما قد شكك المؤرخون بصحة نسبة العبارة إلى تاسيتوس، ومنهم العلامة أندريسن وصاحباً كتابي " ملخص تاريخ الدين " و " شهود تاريخ يسوع ". وقد تحدث أندريسن أن العبارة التي يحتج بها النصارى على صلب المسيح في كلامه مغايرة لما في النسخ القديمة التي تحدثت عن CHRESTIANOS بمعنى الطيبين، فأبدلها النصارى، وحوروها إلى : CHRISTIANOS بمعنى المسيحيين. وقد كانت الكلمة الأولى (الطيبين) تطلق على عبّاد إله المصريين "أوزيريس"، وقد هاجر بعضهم من مصر، وعاشوا في روما، وقد مقتهم أهلها، وسموهم: اليهود، لأنهم لم يميزوا بينهم وبين اليهود المهاجرين من الإسكندرية، فلما حصل حريق روما؛ ألصقوه بهم بسبب الكراهية، واضطهدوهم في عهد نيرون.

وقد ظن بعض النصارى أن تاسيتوس يريد مسيحهم الذي صلبوه، فحرف العبارة، وهو يظن أنه يصححها. ويرى العلامة أندريسن أن هذا التفسير هو الصحيح. وإلا كان هذا المؤرخ لا يعرف الفرق بين اليهود والنصارى، ويجهل أن ليس ثمة علاقة بين المسيح وروما (١). وهكذا فإن التاريخ أيضاً ناطق بالحقيقة، مثبت لما ذكره القرآن عن نبوة المسيح وصلب غيره.

(١) - عقيدة الصلب والقداء، محمد رشيد رضا، ص (٩٤ - ٩٧) وموت أم إغماء؟ د. فرينز صموئيل، ص (٨٠). و هل افتدانا المسيح على الصليب؟ متقد بن

٤- معنى (التوفي) والقدر الجامع في مشتقاته في القرآن إنما هو الأخذ والاستيفاء، وهو يتحقق بالإماتة، وبالنوم، وبالأخذ من الأرض وعالم البشر إلى عالم السماء. وان محاوره القرآن الكريم بنفسها كافية في بيان ذلك كما في قوله تعالى في [الزمر: ٤٢] { اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى } ألا ترى انه لا يستقيم الكلام إذا قيل: الله يميت الأنفس حين موتها، وكيف يصح أن التي لم تمت يميتها في منامها . وكما في [الإنعام: ٦٠] : {هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ } ، فان توفي الناس بالليل إنما يكون بأخذهم بالنوم، ثم يبعثهم الله باليقظة في النهار، ليقضوا بذلك آجالهم المسماة ثم إلى الله مرجعهم بالموت والمعاد ، وكما في قوله تعالى [النساء: ١٥] { حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتَ }، فإنه لا يستقيم الكلام إذا قيل يميتهاً الموت. وحاصل الكلام: إن معنى التوفي في موارد استعماله في القرآن وغيره إنما هو أخذ الشيء وافياً، أي تاماً كما يقال: درهم واف. وهذا المعنى ذكره اللغويون للتوفي في المعاجم ، وقالوا: انّ توفاه واستوفاه بمعنى واحد، وأنشدوا له قول الشاعر :

إن بني الادرد ليسوا لأحد \*\*\*\*\* ولا توفاهم قريش في العدد

وهذا مثال من الأناجيل يوضح أن لفظ الوفاة يطلق على النوم ،يوحنا ( ١١: ١١ )

(قال هذا وبعد ذلك قال لهم . لعازر حبيبتنا قد نام . لكني اذهب لأوقظه . ١٢ فقال

تلاميذه يا سيد ان كان قد نام فهو يشفى . ١٣ وكان يسوع يقول عن موته . وهم ظنوا انه

يقول عن رقاد النوم . ١٤ فقال لهم يسوع حينئذ علانية لعازر مات .)

فإن كان لفظ الوفاة يطلق على النوم فما المانع أن يُنسب للمسيح أن رُفِعَ إلى السماء وهو

نائم ؟ ألم يُرْفَعِ إدريس (أخنوخ) إلى السماء دون أن يتوفي ؟

يقول الشعراوي : إن منطق القرآن الكريم بين لنا أن كلمة ( التوفي ) ليس معناها هو

الموت فقط ولكن لها معان أخرى ، إلا أنه غلب اللفظ عند المستعملين للغة على معنى

فاستقل اللفظ عندهم بهذا المعنى ، فإذا ما أطلق اللفظ عند هؤلاء لا ينصرف إلا لهذا المعنى،

ولهؤلاء نقول : لا بد أن ندقق جيداً في اللفظ ولماذا جاء ؟

وقد يقول قائل : ولماذا يختار الله اللفظ هكذا ؟

والإجابة هي : لأن الأشياء التي قد يقف فيها العقل لا تؤثر في الأحكام المطلوبة ويأتي فيها الله بأسلوب يحتمل هذا ، ويحتمل ذلك ، حتى لا يقف أحد في أمر لا يستأهل وقفة .

فالذي يعتقد أن عيسى عليه السلام قد رفعه الله إلى السماء ما الذي زاد عليه من أحكام دينه ؟ والذي لا يعتقد أن عيسى عليه السلام قد رُفِعَ ، ما الذي نقص عليه من أحكام دينه

، إن هذه القضية لا تؤثر في الأحكام المطلوبة للدين ، لكن العقل قد يقف فيها ؟

فيقول قائل : كيف يصعد إلى السماء ؟ ويقول آخر : لقد توفاه الله ، وليعتقد أي إنسان

كما يُريد لأنها لا تؤثر في الأحكام المطلوبة للدين.

إذن: فالأشياء التي لا تؤثر في الحكم المطلوب من الخلق يأتي بها الله بكلام يحتمل الفهم

على أكثر من وجه حتى لا يترك العقل في حيرة أمام مسألة لا تضر ولا تنفع. فالحق سبحانه

قد سمى النوم موتاً لأن النوم غيب عن حس الحياة . واللغة العربية توضح ذلك: فأنت تقول

لمن أقرضته مبلغاً من المال ، ويطلب منك أن تتنازل عن بعضه .. فتقول : لا ، لا بد أن

أستوفي مالي ، وعندما يُعطيك كل مالك ، تقول له : استوفيت مالي تماماً ، فتوفيته هنا تعني

: أنك أخذت مالك بتمامه.

إذن معنى (متوفيك ) قد يكون هو أخذك الشيء تاماً . أقول ذلك (القائل الشعراوي)

حتى نعرف الفرق بين الموت والقتل ، وكلاهما يلتقي في أنه سلب للحياة ، وكلمة سلب

للحياة قد تكون مرة بنقض البنية ، كضرب واحد لأخر على جمجمته فيقتله ، هذا لون من

سلب الحياة ، ولكن بنقض البنية. أما الموت فلا يكون بنقض البنية ، إنما يأخذ الله الروح ،

وتبقى البنية كما هي ، ولذلك فرق الله في قرآنه الحكيم بين ( موت و قتل ) وإن اتحد معاً

في إزهاق الحياة فقال في [آل عمران: ١٤٤]: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ

الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ }

إن الموت والقتل يؤدي كل منهما إلى انتهاء الحياة ، لكن القتل ينهي الحياة بنقض البنية

، ولذلك يقدر البعض البشر على البشر فيقتلون بعضهم بعضاً . لكن لا أحد يستطيع أن

يقول : ( أنا أريد أن يموت فلان ) ، فالموت هو ما يجريه الله على عباده من سلب للحياة

بنزع الروح، إن البشر يقدرون على البنية بالقتل ، والبنية ليست هي التي تنزع الروح ، ولكن الروح تحل في المادة فتحياً ، وعندما ينزعها الله من المادة تموت وترمّ أي تصير رمة .  
إذن : فالقتل إنما هو إخلال بالمواصفات الخاصة التي أرادها الله لوجود الروح في المادة ، كسلامة المخ والقلب . فإذا اختل شيء من هذه المواصفات الخاصة الأساسية فالروح تقول : أنا لا أسكن هنا ، إن الروح إذا ما انتزعت ، فلأنها لا تريد أن تنتزع .. لأي سبب ولكن البنية لا تصلح لسكنها، ونضرب المثل والله المثل الأعلى:

إن الكهرباء التي في المنزل يتم تركيبها ، وتعرف وجود الكهرباء بالمصباح الذي يصدر منه الضوء . إن المصباح لم يأت بالنور ، لأن النور لا يظهر إلا في بنية بهذه المواصفات بدليل أن المصباح عندما ينكسر تظل الكهرباء موجودة ، ولكن الضوء يذهب ، كذلك الروح بالنسبة للجسد . إن الروح لا توجد إلا في جسد له مواصفات خاصة . وأهم هذه المواصفات الخاصة أن تكون خلايا البنية مناسبة ، فإن توقف القلب ، فمن الممكن تدليكه قبل مرور سبع ثواني على التوقف ، لكن إن فسدت خلايا المخ ، فكل شيء ينتهي لأن المواصفات اختلت.

إذن : فالروح لا تحل إلا في بنية لها مواصفات خاصة ، والقتل وسيلة أساسية لهدم البنية ، وإذهاب الحياة ، لكن الموت هو إزهاق الحياة بغير هدم البنية ، ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى ، ولكن خلق الله يقدر على البنية ، لأنها مادة ولذلك يستطيعون تخريبها.  
إذن : ( فمتوفيك ) تعني : مرة تمام الشيء ، كاستيفاء المال ، وتعني مرة : النوم .

وحين يقول الحق : ( إني متوفيك ) ماذا يعني ذلك ؟ إنه سبحانه وتعالى يريد أن يقول : أريدك تماماً ، أي أن خلقي لا يقدر على هدم بنيتك ، إني طالبك إليّ تماماً ، لأنك في الأرض عرضه لأغيار البشر من البشر ، لكني سأتي بك في مكان تكون خالصاً لي وحدي ، لقد أخذتك من البشر تماماً ، أي أن الروح في جسدك بكل مواصفاتها ، فالذين يقدرون عليه من هدم المادة لن يتمكنوا منه.

إذن ، فقول الحق : ورافعك إليّ ، هذا القول الحكيم يأتي مستقيماً مع قول الحق

: (متوفيك) . وقد يقول قائل : لماذا نأخذ الوفاة بهذا المعنى ؟

نقول : إن الحق بجلال قدرته كان قادر على أن يقول : إني رافعك إلى ثم أتوفاك بعد ذلك . ونقول أيضاً : من الذي قال : إن ( الواو ) تقتضي الترتيب في الحدث ؟ ألم يقل الحق سبحانه في [ القمر : ١٦ ] : { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نَذْرِي } هل جاء العذاب قبل النذر أو بعدها ؟ إن العذاب إنما يكون من بعد النذر . إن ( الواو ) تفيد الجمع للحدثين فقط . ألم يقل الله في كتابه أيضاً : [ الأحزاب : ٧ ] { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا } إن ( الواو ) لا تقتضي ترتيب الأحداث ، فعلى فرض أنك قد أخذت ( متوفيك ) أي (ميتك) من الذي قال : إن ( الواو ) تقتضي الترتيب في الحدث ؟ بمعنى أن الحق يتوفى عيسى ثم يرفعه فإذا قال قائل : ولماذا جاءت ( متوفيك ) أولاً ؟ نرد على ذلك : لأن البعض قد ظن أن الرفع تبرئه من الموت . ولكن عيسى عليه السلام سيموت قطعاً ، فالموت ضربه لازب ، ومسألة يمر بها كل بشر . هذا الكلام من ناحية النص القرآني . فإذا ما ذهبنا إلى الحديث وجدنا أن الله فوض رسوله ﷺ ليشرح ويبين ، ألم يقل الحق ( بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) [النحل : ٤٤] ، فالحديث المتفق عليه : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ) ؟ أي أن النبي ﷺ بين لنا أن ابن مريم سينزل مرة أخرى . ولنقف الآن وقفة عقلية لنواجه العقلايين الذين يحاولون التعب في الدنيا فنقول : يا عقلايون أقبلتم في بداية عيسى عليه السلام أن يوجد من غير أب على غير طريقة الخلق في الإيجاد والميلاد ؟ سيقولون : نعم . هنا نقول : إذا كنتم قد قبلتم بداية مولده بشيء عجيب خارق للنواميس فكيف تقفون في نهاية حياته إن كانت خارقة للنواميس ؟ إن الذي جعلكم تقبلون العجبية الأولى يمهد لكم أن تقبلوا العجبية الثانية . إن الحق سبحانه وتعالى يقول : ( إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ) [آل عمران : ٥٥] إن الله سبحانه وتعالى يبلغ عيسى عليه السلام إني سأخذك تاماً غير مقدور عليك من البشر ومطهرك من خبث هؤلاء الكافرين ونجاستهم ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة . وكلمة ( اتبع ) تدل على أن هناك ( مُتَّبِعًا ) يتلو مُتَّبِعًا .

أي أن المتبع هو الذي يأتي بعد ، فمن الذي جاء بعد عيسى عليه السلام بمنهج من السماء ؟ إنه سيدنا محمد ﷺ . ولكن على أي منهج يكون الذين اتبعوك ؟  
أعلى المنهج الذي جاؤا به أم المنهج الذي بلغته أنت يا عيسى ؟  
إن الذي يتبعك على غير المنهج الذي قلته لن يكون تبعاً لك ، ولكن الذي يأتي ليصحح الوضع على المنهج الصحيح فهو الذي اتبعك .  
وقد جاء سيدنا محمد ﷺ ليصحح الوضع ويبلغ المنهج كما أراده الله { وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة } . فإن أخذنا المعنى بهذا إن أمة سيدنا محمد ﷺ هي التي اتبعت منهج الله الذي جاء به الرسل جميعاً ، ونزل به عيسى أيضاً أن أمة سيدنا محمد ﷺ قد صححت كثيراً من القضايا التي انحرف بها القوم

٥- من صلب هو الشبيه ، لذا فالذين قالوا : " رأيناه مصلوباً " أخبروا بما رأوا إذ ظنوا الشبيه هو عيسى عليه السلام نفسه ، والذين قالوا : " رأيناه بعد الحادثة " هم على حق ، لأنه لم يصلب ، وأتى القرآن الكريم بالعلم الذي يكشف الحقيقة ويخرج الناس من الاختلاف وهذا النوع من الإعجاز يعد من أدلة صدق الرسول ﷺ ، لأن القصة وقعت بعيدة عن زمن سيدنا محمد ﷺ وصار أهلها في ارتباك وحيرة ، ويأتي نبي أمي في أمة أمية بعد قرون يكشف لهم السر ويبين لهم التفسير الحقيقي للمشاهدات التي تبدو متناقضة ، فيرفع عنها التناقض ويزيل الإشكال . وهذا دليل على أن هذا العلم الذي جاء علي يد النبي الأمي لا يمكن أن يكون إلا من عند الله . وبعد اعتناق العدد الكثير من الأبحار والرهبان الإسلام طوال التاريخ إقراراً بصدق ما جاء في القرآن من خبر صادق عن التاريخ الصحيح للرسل وأتباعهم ، والذي جاء على يد نبي أمي ليس في ثقافة قومه شيء من هذه الأخبار .  
و لقد أورد الأستاذ أحمد ديدات في كتابه " مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء " ثلاثين نقطة استخلصها من أسفار الأناجيل المختلفة من بين أدلة أخرى تفند فرية صلب المسيح عليه السلام وتؤكد ما أقره القرآن الكريم بشأن الحادثة .

أما هم فيقولون العلة المترتبة على صلب المسيح هي غفران خطايا من يؤمن به ربنا مصلوباً والغفران لكل من كان في المدة من آدم إلى المسيح إذا قدر أنهم لو كانوا له مشاهدين ، لكانوا به مؤمنين. فهل هذه العلة صحيحة ؟

بالتأكيد ليست بصحيحة. وذلك لأن آدم لما أخطأ هدته الحكمة أن يعترف بخطئه وأن يتوب. فتاب الله عليه. وإذ هو قد تاب ، فأية فائدة من سريان خطيئة آدم في بنيه ؟ ففي سفر الحكمة: ( والحكمة هي التي حمت الإنسان الأول أب العالم الذى خلق وحده لما سقط في الخطيئة ؛ رفعته من سقوطه ، ومنحته سلطة على كل شيء ) [الحكمة ١٠ : ٢٠].

وفي التوراة: أن نجاة المرء من غضب الله يكون بالعمل الصالح حسبما أمر الله. ومن لا يعمل بما أمر الله ؛ فإنه لا يكون له نجاة. ففي سفر الحكمة عن نوح . عليه السلام . وولده: " وعندما غاصت الأمم في شرورها ؛ تعرفت الحكمة برجل صالح ، وحفظته من كل عيب في نظر الله ، وجعلته قويا يفضل العمل بأمر الله على الاستجابة إلى عاطفته بجاه ولده " [حكمة ١٠ : ٥]. انظر إلى قوله " تجاه ولده " أي ولده الذى غرق لعدم إيمانه وعمله ويقول المسيح عيسى . عليه السلام :: " كل كلمة فارغة يقولها الناس ؛ يُحاسبون عليها يوم الدين. لأنك بكلامك تُبرّر، وبكلامك تُدان " [متى ١٢ : ٣٦-٣٧].

وفي التوراة: " لا يُقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيئته يُقتل " [تث ٢٤ : ١٦].

إذا رجعنا للكتاب المقدس عند النصارى وجدنا أقوال المسيح على الصليب -إذا فرضنا صحه هذا الأقوال-، فإنها تخلف بكل عقل نظريتهم المزعومة و لكنها قد توافق هذه القصة حيث ان المحكوم عليه بالصلب رفض التصريح بانه ملك اليهود

و هي كما يلي في انجيل متي : ( نَحْوُ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ : «إِيلِي، إِيلِي، لَمَا شَبَقْتَنِي؟» أَي: «إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» متي ٢٧: ٤٦ )

انه ذلك الشاب الذي تطوع لأخذ مكان المسيح فهو يستغيث بالله من الألم و ذلك طبيعي للمعذب و لكنه بالقطع ليس طبيعي بالنسبة للرواية المسيحية ان الله يستغيث بالله!!!!!! و اذا كان ابن الله فمن الأحرى ان يقول " ابي ابي لما تركتني

في انجيل متي مره اخري : وَلَكِنَّ يَسُوعَ ظَلَّ صَامِتًا. فَعَادَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسْأَلُهُ: قَالَ:  
«أَسْتَخْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟» ٦٤ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ  
قُلْتَ! وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا إِنَّكُمْ مِنْذُ الْآنَ سَوْفَ تَرَوْنَ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُدْرَةِ ثُمَّ  
آتِيًا عَلَى سُحُبِ السَّمَاءِ!» ٦٥ (انجيل متي : ٢٦:٦٥)  
فانه لم يكذب كلام الماخام اليهودي و لم يقول و من الطبيعي انه اذا كان هو المسيح و هو  
كما يدعون ابن الله لما كان كذب !! . (١)

## المبحث الرابع :

---

(١) - راجع حقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين ، الشبهة رقم ١١٧ ، لمجموعة من العلماء نشر وزارة الاوقاف المصرية

## الأباطيل المتعلقة بشخص النبي ﷺ

### المطلب الأول : قصة الغرائق

قالوا: النبي ﷺ يعرض له الشيطان كما يعرض لغيره من الناس، فيختلط عليه القرآن بغيره، واستدلوا لهذه الفرية بقصة الغرائق التي أوردها المفسرون في سياق تفسيرهم لقوله تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم} [الحج: ٥٢].

والقصة - كما ذكرها المفسرون - تتلخص في أن النبي ﷺ كان في مجلس قريش، فنزلت عليه سورة النجم، فقرأها على المشركين حتى إذا بلغ قوله تعالى: {أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى} [النجم: ١٩ - ٢٠]، فألقى الشيطان على لسانه: (تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى). ففرحت قريش، وسجدوا مع النبي ﷺ في آخرها، وقالوا: لقد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر. (١)

والجواب: " قصة الغرائق باطلة بالقرآن وبالسنة وبالمعقول ؛ قال تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل \* لأخذنا منه باليمين \* ثم لقطعنا منه الوتين \*) [الحاقة (٤٤ . ٤٧)]. وقال سبحانه حكاية عن رسوله صلى الله عليه وسلم: (قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسه إن أتبع إلا ما يوحى إلى) [يونس: ١٥]. أما بطلانها بالسنة فقد روى الإمام البخارى في صحيحه أن النبي ﷺ قرأ سورة " النجم " فسجد وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيها حديث " الغرائق " وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة ليس فيها ألبته حديث الغرائق. أما عقلا : فمن وجوه منها:

أ . أن من جوّز تعظيم الرسول للأصنام فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه ﷺ كان لنفى الأصنام وتحريم عبادتها؛ فكيف يجوز عقلاً أن يثنى عليها؟ ب . إننا لو جوّزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه صلى الله عليه وسلم فإنه لا فرق - في منطق العقل - بين النقصان في نقل وحى الله وبين الزيادة فيه.

تفصيل الرد :

(١) - جامع البيان، الطبري (١٨ / ٦٦٤ - ٦٧٠). مرجع سابق .

أول ما يجدر التنبيه عليه أن ورود الروايات السابقة في كتب المفسرين أو قصاص السير لا يعني صحتها ولا توثيقها بحال من الأحوال، وقد نبه على ذلك غير واحد من العلماء، ومنهم الطبري في تاريخه بقوله: "ما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشعنه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا" (١)، ومثله قول الكمال ابن الهمام: "كتب التفسير مشحونة بالأحاديث الموضوعة" (٢).

ومن أورد هذه القصة ابن إسحاق في سيرته، مع اعتقاده ببطلانها، وعنه نقلها من نقل، يقول أبو حيان: "سئل عنها الإمام محمد بن إسحاق جامع السيرة النبوية، فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف في ذلك كتابا" (٣)، فأيراده رحمه الله هذه الروايات في كتابه ليس توثيقا لها، بل هو على عادة قصاص السير في ترك التحري في أخبار السير وقصصها. وإن قصة الغرائق من أضعف ما رواه المفسرون في تفاسيرهم، فجميع أسانيدنا ضعيفة أو منقطعة، وهي في جملتها موقوفة على جماعة من التابعين الذين لم يشهدوا القصة، ولم يرووها عن حضرها من الصحابة، فهي موقوفة على التابعين سعيد بن جبير وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وأبي العالية. ولم تتصل أسانيد هذه القصة إلى الصحابة إلا فيما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (٤)، وما رواه البزار من طريق أمية بن خالد بإسناده إلى ابن عباس مع تنبيهه إلى شك الراوي في رفعها إلى ابن عباس، فقال: "عن ابن عباس فيما أحسب"، وهذا كما قال البزار: "هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير" (٥). فهذا يؤكد الشك في الرواية المرفوعة المسندة بإسناد مقبول.

(١) - تاريخ الأمم والملوك، الطبري (١/٨). الناشر: دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ

(٢) - زين الدين المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١ هـ) فيض القدير شرح الجامع الصغير (١/١٧). المكتبة التجارية الكبرى - مصر ط ١٣٥٦.

(٣) - البحر المحیط، أبو حيان (٧/٥٢٦). مرجع سابق.

(٤) - وفيه هشام الكلبي، وهو كذاب مردود الرواية، قال البخاري: "أبو النضر الكلبي، تركه يحيى وابن مهدي"، ثم قال: "قال علي: حدثنا يحيى، عن سفيان، قال لي الكلبي: كل ما حدثتكم عن أبي صالح فهو كذب".

وقال ابن عدي: "وقد حدث عن الكلبي سفيان وشعبة وجماعة، ورضوه في التفسير، وأما في الحديث فعنده مناكير، وخاصة إذا روى عن أبي صالح، عن ابن عباس". انظر ميزان الاعتدال، الذهبي (٣/٥٥٧ - ٥٥٨)، وهذا الأثر مما أخرجه الكلبي عن أبي صالح، فهو بعض ما اعترف الكلبي بكذبه فيه.

(٥) - نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق، الألباني، ص (٥٦). الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

ويجدر بالذكر أن البخاري ذكر في صحيحه من رواية ابن عباس قصة سجود المشركين ولم يذكر شيئاً عن موضوع الغرائق (في البخاري من رواية ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس، ومثله في رواية أبي داود عن ابن مسعود، وكذلك رواية أحمد عن المطلب بن أبي وداعة السهمي، وكان ممن حضر يومئذ مع المشركين (١)).

وقد رد المحققون من أهل العلم قصة الغرائق، وبالغوا في التحذير من روايتها وبيان ضعفها، قال ابن كثير: "لم أرها مسندة من وجه صحيح"، وقال: "وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا، وكلها مراسلات ومنقطعات". وقال ابن خزيمة: "إنها من وضع الزنادقة".

وقال أبو حيان الأندلسي: "قال البيهقي: هي غير ثابتة من جهة النقل، وقال ما معناه: إن روايتها مطعون عليهم وليس في الصحاح ولا في التصانيف الحديثة شيء مما ذكره فوجب اطراحه. ولذلك نزهت كتابي عن ذكره فيه".

وأما القرطبي فقال: "وضع الحديث مغن عن كل تأويل".

وكذلك ضعفها ابن حزم بقوله: "والحديث الذي فيه: وإنهن الغرائق العلاء، وإن شفاعتهن لترجى. فكذب بحت لم يصلح من طريق النقل، ولا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد" (٢).

وقال القاضي عياض: "هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم" (٣).

وقد حسن ابن حجر روايات قصة الغرائق رغم اعترافه بأن أسانيدنا مرسلات، واحتج لتحسينه بتعدد مخارجها، لكنه مع ذلك لا يقول بما يقول به المرجفون بهذه القصة من نطق النبي ﷺ بهذه الكلمات، بل يتأولها على أن الشيطان كان يتكلم بين سكتات النبي ﷺ،

(١) - أخرجه البخاري ح (١٠٧١)، سنن أبي داود ح (١٤٠٦)، ومسنند أحمد ح (٢٦٧٠١).

(٢) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٢ / ٨٤)، مرجع سابق، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣ / ٣١٨)، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبه (٣١٤) الناشر: مكتبة السنة ط ٤، ونصب المجانيق لإبطال قصة الغرائق، محمد ناصر الدين الألباني، ص (٤٤ - ٤٧)، والبحر المحيظ، أبو حيان (٦ / ٣٥٢). مرجع سابق.

(٣) - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (٢ / ٢٨٩) الناشر: دار الفيحاء - عمان الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ.

واستدل لذلك بما جاء في رواية ابن أبي حاتم من سماع المشركين لهذه الكلمات وعدم سماع المسلمين لها "فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين،

ولم يكن المسلمون سمعوا الآية التي ألقى الشيطان في مسامع المشركين".<sup>(١)</sup>

وقد فهم ابن حجر من قوله تعالى: { في أمينته } أنه بمعنى: عند تلاوته، أي ألقى الشيطان في مسامع الكفار تلك الكلمات عند تلاوة النبي ﷺ وفي سكتاته، وهذا تحمله لغة العرب، لأن (في) تأتي بمعنى: (عند)، كما في قوله تعالى: { ولبثت فينا من عمرك سنين } [الشعراء: ١٨]، أي لبثت عندنا.

وإلى هذا أشار القرطبي ورتبه: "على تسليم الحديث لو صح، وقد أعادنا الله من صحته .. الذي يظهر ويترجح في تأويله على تسليمه [أي إذا سلمنا بصحة الرواية، وليست بصحيحة] أن النبي ﷺ كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلاً، ويفصل الآي تفصيلاً في قراءته، كما أخرج الثقات عنه، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات، محاكياً نعمة النبي ﷺ؛ بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قول النبي ﷺ وأشاعوها، ولم يقدر ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله، وتحققهم من حال النبي ﷺ في ذم الأوثان وعيبها ما عرف منه، فيكون ما روي من حزن النبي ﷺ لهذه الإشاعة والشبهة وبسبب هذه الفتنة، قال الرازي: "وأما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة وموضوعة، واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول"<sup>(٢)</sup>.

وإضافة إلى الضعف الذي يكتنف سند القصة؛ فإن في متونها من التناقض والخلل ما يكفي لردّها وإبطال الشبهة المثارة من خلالها، ومن ذلك:

١ - ما نبه العلماء عليه من تعارض روايات قصة الغرائق الضعيفة وغير المتصلة بالإسناد إلى من حضر الواقعة، يقول القاضي بكر بن العلاء المالكي: "لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته، فقائل يقول: إنه في الصلاة، وآخر يقول: قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة، وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة، وآخر يقول: بل حدث نفسه فيها، وآخر يقول: إن الشيطان قالها على لسانه، وأن النبي ﷺ لما عرضها على جبريل قال: ما

(١) - انظر: فتح الباري، ابن حجر (٨/ ٤٣٩-٤٤٠)، مرجع سابق، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠١)، مرجع سابق

(٢) - "الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٢/ ٨٣-٨٤) مرجع سابق. (التفسير الكبير، الرازي (٢٣/ ٢٣٧)، مرجع سابق.

هكذا أقرأتك، وآخر يقول: بل أعلمهم الشيطان أن النبي ﷺ قرأها، فلما بلغ النبي ﷺ ذلك قال: والله ما هكذا نزلت، إلى غير ذلك من اختلاف الرواة<sup>(١)</sup>.

٢ - أن العرب لا تطلق كلمة (الغرنوق) على الأصنام، بل هو اسم لطائر مائي أبيض أو أسود، وفي ذلك يقول الأصمعي: يظل تغنيه الغرائيق فوقه ... آباء وغيل فوقه متأصر ومثله قول ابن السكيت: الغرائيق: طير مثل الكراكي، الواحد غرنوق، وأنشد:  
أو طعم غادية في جوف ذى حذب ... من ساكن المزن يجري في الغرائيق  
ومن معاني الغرنوق المذكورة في قواميس العرب: الشاب الأبيض الناعم، ومنه قول الليث:  
ألا إن تطلابي لمثلك زلة ... وقد فات ريعان الشباب الغرائق

كما يطلق في لغة العرب أيضا على النبات اللين. ولا تشابه بين سائر هذه المعاني العربية والأصنام، وغاية ما وجدته في هذا الصدد ما نقله الزبيدي بصيغة التمرريض والتضعيف، وهو قوله: "وقيل: هو الكركي، شبهت الأصنام بالطيور التي تعلق وترتفع في السماء على حسب زعمهم"<sup>(٢)</sup>.

ونقل المفسرون عن الحسن أن المقصود بالغرائيق العلى؛ الملائكة المرتفعة في السماء، وهؤلاء تربي شفاعتهم، إذ هم من أذن الله لهم في الشفاعة، كما جاء في السياق القرآني في سورة النجم في قوله تعالى: {وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى} [النجم: ٢٦].

٣ - أن السياق القرآني في سورة النجم التي ذكروا أن هذه الكلمات ألقيت على النبي ﷺ فيها يندد بأصنام المشركين ومعبوداتهم {أفأريتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتوهما أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى} [النجم: ١٩ - ٢٣]، فلو كان النبي ﷺ نطق بتلك الكلمات فإن في السياق ما يبين براءته من الأصنام وكفره بها، فلو كان المشركون سمعوا من النبي ﷺ مدحا لأصنامهم وهو يقرأ آيات سورة النجم المشنعة على هذه المعبودات الباطلة لقالوا له: ما بالك تشتم آلهتنا وتذكر أنها

(١) - (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (٢/٢٩٠). الناشر: دار الفيحاء - عمان الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ.

(٢) - لسان العرب، ابن منظور (١٠/٢٨٦) مرجع سابق، وتاج العروس، الزبيدي (١٣/٣٧٦)، الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: الأولى / ١٤١٤ هـ،

معبودات باطلة نعبدها نحن وآباؤنا من غير سلطان من الله، ثم أنت تقول: شفاعتهن تترجى! لكن شيئاً من ذلك لم يكن، لأن القصة مختلقة وغير صحيحة.

يقول ابن كثير: " استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام، متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالذم، متخاذل التأليف والنظم، ولما كان النبي ﷺ ولا من بحضرتة من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك، وهذا لا يخفى على أدنى متأمل، فكيف بمن رجح حلمه، واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه". (١)

٤ - لا علاقة بين أسطورة الغرائق المكية وآيات سورة الحج المدنية، والتي ورد فيها قول الله تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم} [الحج: ٥٢]، فقد ربط بينهما من وصفهم القاضي عياض بأنهم "المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم". (٢)

ولو أغمضنا الطرف عن مدنية سورة الحج ومباينتها للأسطورة المكية؛ فإن في تمام آيات سورة الحج ما يرد على القادحين بوحى القرآن، ففي تمام الآية السابقة أن الله يحفظ آياته ويحكمها؛ وأنه يبطل عنها ما يلقيه الشيطان {فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم} [الحج: ٥٢]، فبإحكام الله لآياته يزول كل لبس وتنجلي كل شبهة إلا عند أصحاب القلوب المريضة الذين تصور الآيات افتتاهم بهذا الذي ألقاه الشيطان وأبطله الله {ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم} [الحج: ٥٣ - ٥٤].

٥ - تتعارض روايات الغرائق مع عصمة الله أنبياءه عليهم السلام من تسلط الشيطان عليهم وتخليط باطله بالوحي المنزل إليهم، فالله يثبت أنبياءه عليهم السلام ويمنعهم مما يعرض لغيرهم من عوارض الضعف البشري الذي يخل بمنصب النبوة والرسالة، ومن مثل ذلك قول الله تعالى لنبيه ﷺ: {وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا

(١) - (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥/ ٤٤٤). مرجع سابق طبعة طيبة

(٢) - (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (٢/ ٢٨٩). مرجع سابق .

لا تخذوك خليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً {  
[الإسراء: ٧٣ - ٧٥] ، فتشبت الله تعالى له نفى عنه المقاربة والميل إلى الكافرين.

وقد امتن الله على نبيه ﷺ بهذه العصمة الإلهية، فهي بعض فضل الله عليه {ولولا  
فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك  
من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك  
عظيماً} [النساء: ١١٣].

يقول ابن كثير: "قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته ﷺ ونزاهته عن مثل هذه  
الرديلة، أما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتسور عليه  
الشیطان ويشبهه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي ﷺ أن من القرآن ما  
ليس منه حتى ينبهه جبريل عليه السلام، وذلك كله ممتنع في حقه ﷺ ، أو يقول ذلك النبي  
ﷺ من قبل نفسه عمداً - وذلك كفر - أو سهواً، وهو معصوم من هذا كله" (١).

وثمة سؤال يطرح نفسه: إذا بطلت قصة الغرائق وظهر خطأ المعنى الذي تداوله  
المفسرون فما معنى الآية التي في سورة الحج {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا  
تمنى ألقى الشيطان في أمنيه فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم  
حكيم} [الحج: ٥٢]؟.

الإجابة: إن معنى الآية يدور على فهم معنى قوله تعالى: {إذا تمنى}، وقد ذكر جمهور  
المفسرين أنه بمعنى (قرأ) أو (تلا)، وهذا التأول للتمني بمعنى التلاوة جائز من الناحية اللغوية،  
ويتساق مع روايات الغرائق الضعيفة التي أوردوها في كتبهم، وقد يشهد له قوله: {ثم يحكم  
الله آياته}. لكن المعنى الذي اختاره جماعة من المحققين أن قوله: {إذا تمنى} على ظاهره، من  
الأمنية كما ذهب إليه الفراء والكسائي وغيرهما ، قال الرازي (٢) بعد أن ذكر ارتباط معنى  
التمني بالتلاوة بسبب روايات الغرائق الباطلة: "وأما إذا فسرناها [أي قوله: {إذا تمنى}]  
بالخاطر وتمني القلب؛ فالمعنى أن النبي ﷺ متى تمنى بعض ما يتمناه من الأمور؛ يوسوس  
الشیطان إليه بالباطل ويدعوه إلى ما لا ينبغي؛ ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويطله ويهديه إلى

(١) - (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥/ ٤٤٤)).

(٢) - (التفسير الكبير، الرازي (٢٣/ ٢٤٠) مرجع سابق. (فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٥٤٦)).

ترك الالتفات إلى وسوسته. <sup>١</sup>

## المطلب الثاني : سحر النبي ﷺ

قالوا: تعرض النبي ﷺ للسحر، وهذا يلقي بظلال الشك على ما أتى به من أخبار، إذ قد يكون بعض ما يقرأه على أنه من القرآن إنما هو من تأثير السحر، وهذا يوجب الشك في كل القرآن. وقالوا: إن سحر النبي يدل على تسلط الشيطان عليه، وهذا يقدر في أهلية الرسول لحمل الرسالة الإلهية، فالقرآن يجزم أن الشيطان لا يتسلط إلا على أوليائه: {إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون} [النحل: ٩٩ - ١٠٠].

وفي الجواب نقول: إن الأنبياء بشر، يعرض لهم ما يعرض لسائر البشر من مرض وهم وحزن وغضب وابتلاء وقتل، ولا يمتازون عنهم إلا بما خصهم الله من الوحي وما يستلزمه ذلك من تأييد بالحجة والبرهان {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي} [فصلت: ٦].

وقد تعرض الأنبياء لسنوف البلاء التي صبها عليهم شياطين الإنس والجن {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون} [الأنعام: ١١٢]، لكن هذا التسلط الشيطاني لم يجاوز أجسادهم، ولم يصل - لعصمة الله لهم - إلى أرواحهم؛ لأنهم أولياء الله تبارك وتعالى يصدق فيهم قوله تعالى: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين} [الحجر: ٤٢]، فلم يقع منهم كبير ذنب ولا قبيح، لأنهم رسل الله، والرسول على قدر المرسل.

ووفق هذا المبدأ يرفض المسلمون ما تطفح به كتب أهل الكتاب من اتهام الأنبياء بالزنا أو السكر أو عبادة الأصنام، فهذا كله إنما يقع بتسلط الشيطان، وهم معصومون منه بقوة الله وحفظه. وكذلك كان نبينا ﷺ، فلم يتسلط شيطان عليه، ولم تقع منه القبائح قبل السحر ولا بعده، وغاية الأمر في حادثة سحره ﷺ أن الشيطان آذاه في جسده، كما تؤذيه - وإخوانه الأنبياء - شياطين الإنس، بل والجراثيم، فيصاب بالأمراض والأذى وغيرهما من العوارض التي لا يسلم منها بشر، لكن ذلك لا يخل - بحال من الأحوال - بأهليته للرسالة

(١) - نقض الإبطولة السابق ذكره عن كتاب تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين ص ١٥٣ - ١٦٢ مرجع سابق .

وعصمته عن الخطأ في البلاغ عن الله، فما ينقله النبي ﷺ عن ربه {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى} [النجم: ٣ - ٤].

ولهذا كان عبد الله بن عمرو يكتب كل شيء يسمعه من رسول الله ﷺ ليحفظه، فنهته قريش، وقالوا: أكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ يقول عبد الله: فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأوماً بأصبعه إلى فيه فقال: "اكتب، فالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق" ، فهو ﷺ معصوم في كل أحواله من الزلل والغلط.

والسحر على أنواع بعضها دون بعض، ومن أنواعه سحر التخيل، حيث يتخيل المسحور أنه فعل شيئاً من غير أن يكون قد فعله حقيقة، كما وقع لموسى عليه السلام حين ألقى سحرة فرعون حبالهم وعصيهم {فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى} [طه: ٦٦].

وهذا النوع من السحر هو ما أصاب النبي ﷺ حين سحر، وقد انحصر أثره في علاقة النبي ﷺ الجسدية مع أزواجه، فكان يخيل إليه أنه يجامع نساءه من غير أن يكون ذلك حقيقة، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (مكث النبي ﷺ كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله، ولا يأتي) (١)، قال القاضي عياض:

"فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه؛ لا على تمييزه ومعتقده" (٢). (٣) ويجدر التنبيه هنا إلى أنه لا يلزم من تخيله ﷺ أنه فعل الشيء الذي لم يفعله أن يجزم بتخييله ذلك، فقد يكون تخييله من جنس الخاطر الذي يخطر على باله ولا يثبت، وهو أمر قد يحصل لأي أحد من غير سحر ولا نفث عقد.

وقد اعتبرت الملائكة ما أصاب النبي ﷺ من السحر من جنس المرض الذي يصيب الأنبياء وغيرهم، فقال «أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟» فاعتبراه مريضاً، وكذلك اعتبره النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقد قال في آخر الحديث: «فأما أنا فقد شفاني الله» (٤)، وفي رواية: «إن الله أنبأني بمرضي»، وكذلك ورد في حديث عائشة قولها: (فكان يدور ولا

(١) - أخرجه أبو داود ح (٣٦٤٦).

(٢) - (أخرجه البخاري ح (٢٢٦٨)).

(٣) - (فتح الباري، ابن حجر (٢٢٧/١٠) مرجع سابق، وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (٢/٤١٥)).

(٤) - (أخرجه البخاري ح (٢٢٦٨)).

يدري ما وجعه (١)، وقال ابن عباس: (مرض النبي ﷺ ، وأخذ عن النساء والطعام والشراب) (٢). وفي قصة سحره ﷺ فوائد، منها: قطع ذرائع الغلو في شخصه ﷺ، والإيمان أنه بشر كسائر البشر {قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا} [الإسراء: ٩٣]. ومنها الدلالة على نبوته ﷺ (٣)، فقد قالت أخت الساحر لبيد: "إن يكن نبيا فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله" (٤)، وقد كانت الأولى حين أخبر، ثم شفي لما أنزل الله عليه المعوذتين.

## المطلب الثالث :

### مشكلة الوحي، وهل النبي ﷺ مصاب بالصرع؟

قالوا: النبي ﷺ مصاب بالصرع، وهذا الذي يأتيه فيزعم أنه من الوحي إنما هو بعض آثار هذا المرض، واحتجوا لذلك بما كان يرافق النبي ﷺ من أحوال غير معتادة، وقعت له ﷺ بسبب ثقل الوحي عليه.

والجواب: لكم يعجب المرء لهذه الأبطولة، فلئن أنكر القوم نبوته ﷺ أفتراهم ينكرون أنه غير واقع العرب من قبائل متناحرة؛ لاحظ لها بالعلم والمعرفة والمدنية فأقام منهم أمة قادت الحضارة الإنسانية ثمانية قرون؟! أم تراهم ينكرون ما قدمه ﷺ من إصلاح اجتماعي وأخلاقي جعل المسلمين أفضل الأمم أخلاقا وأحسنهم أوضاعا من الناحية الاجتماعية؟! أفيصنع هذا مريض بالصرع يحتاج من يعينه على تدبير أمره وإصلاح حاجاته الشخصية؟! {فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا} [النساء: ٧٨].

لقد صدق المستشرق نورمان في شهادته التي تنبئ عن عقل ودراية بأحوال الأمم وتطور الشعوب، حيث يقول: "لو كان محمد يعاني منذ طفولته من مرض عضال حقا، لما تخلى عن تلك الذريعة أبدا، بل من غير المعقول أن ينجز رجل مريض ما أنجز محمد، فقد كان تاجرا موهوبا هادئ الطبع، وقراراته عادة ما تصدر عن غريزة سياسية ذكية متبصرة .. وكان قائدا بعيد النظر للدولة وللمجتمع ديني نام على حد سواء، وهذه كلها تظهر بما لا يدع مجالاً للشك

(١) - فتح الباري، ابن حجر (١٠/٢٢٧ - ٢٢٨). مرجع سابق .

(٢) - ابن سعد في الطبقات (٢/١٩٨) دار صادر بيروت المحقق احسان عباس الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م ، والبيهقي في الدلائل (٦/٢٤٨) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ وأضواء البيان، الشنقيطي (٤/٦١). مرجع سابق .

(٣) - فتح الباري، ابن حجر (١٠/٢٢٧)، ولأجل ذلك أورد البيهقي قصة سحر النبي - صلى الله عليه وسلم - في كتابه "دلائل النبوة".

(٤) - أخرجه ابن سعد في الطبقات ح (٢/١٩٨)، وهو مرسل.

أنه كان سليما معافى .. والذين يقولون بهذا الكلام لم يحلوا المشكلة بقدر ما زادوها تعقيدا، ويجب أن يساورنا الشك مستقبلا في إمكانية أي ظاهرة حلل في سلوك محمد". (١)

ويقول المستشرق الألماني الطبيب ماكس مايرهوف: "أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلا مصابا بمرض عصبي أو بداء الصرع، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره، ليس فيه شيء يدل على هذا، كما أن ما قام به فيما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول" (٢).

إليك هذه الأدلة لنقض هذه الخرافة التي هي أوضح من أن يفكر بها عاقل، لكنها هلوسات شياطين الجن توحيتها لإخوتها من شياطين الإنس !.

١- إن الصرع مرض معروفة أعراضه، كاصفرار الوجه، وذهول العقل، وغياب الذاكرة، وارتعاش الجسد، وفقدان السيطرة على الجسم، وغالبا ما يصحبه تقيؤ وإفرازات لعابية، وقد يصحبه تبول لا إرادي، وغير ذلك مما نعرفه من أحوال المصروعين، فهل كان شأنه ﷺ حال الوحي كحال المصروعين؟ إن النبي ﷺ بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء كان أصح الناس بدنا، وأقواهم جسما، وأوصافه التي تناقلها الرواة الثقات تدل على البطولة الجسمانية، وقد بلغ من قوته أنه صارع ركانة بن عبد يزيد فصرعه، وكان ركانة هذا مصارعا ماهرا، ما قدر أحد أن يأتي بجانبه إلى الأرض، ولما عرض عليه النبي الإسلام قال: صارعني فإن أنت غلبتني امتنت أنك رسول الله، فتصارعا، فصرعه النبي، فقيل: إنه أسلم عقب ذلك (٣). والمصاب بالصرع لا يكون على هذه القوة، وقد شهد للنبي رجل غريب عن الإسلام، ولكنه منصف، قال الكاتب الأجنبي (بودلي) في كتابه «الرسول، حياة محمد» مفندا هذا الزعم: (لا يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي كان يتمتع بها محمد، حتى قبل وفاته بأسبوع واحد، وأن كل من تتابه حالات الصرع كان يعتبر مجنوننا، ولو كان هناك من يوصف بالعقل ورجاحته فهو محمد) !!

٢- إن مريض الصرع يصاب بالام حادة في كافة أعضاء جسمه، يحس بها إذا ما انتهت نوبة الصرع ويظل حزينا كاسف البال بسببها، وكثيرا ما يحاول مرضى الصرع الانتحار

(١) - المستشرقون والقرآن، عمر لطفى العالم، ص (٥٠)، نقلا عن رسالة دكتوراه "القرآن الكريم في مواقع الإنترنت العربية دراسة تحليلية نقدية"، عبد الرحيم الشريف [كتاب إلكتروني].

(٢) - الإسلام والرسول في نظر منصفى الشرق والغرب، أحمد بوطامي، ص (٦٢). نقلا عن تنزيه القرآن للسقار، ص ١٦٦

(٣) - الإصابة في تاريخ الصحابة، ج ١ ص ٢٠٥؛ والاستيعاب، ج ١ ص ٥٣١. عن كتاب السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: دار القلم - دمشق الطبعة: الثامنة - ١٤٢٧ هـ

من قسوة ما يعانون من الام في النوبات، فلو كان ما يعتري النبي عند الوحي صرعا لأسف لذلك وحزن لوقوعه، ولسعد بانقطاع هذه الحالة عنه، ولكن الأمر كان على خلاف ذلك. لقد انقطع الوحي عن الرسول مدة فحزن لذلك حزنا شديدا، وكان يذهب إلى غار حراء وقمم الجبال عسى أن يعثر على الملك الذي جاءه بجراء، وبقي محزون النفس من هذه الحالة، حتى سرى عنه ربه بوصل ما انفصم من الوحي، وعادت المياه إلى مجاريها.<sup>(١)</sup>

٣- إن الثابت علميا أن المصروع أثناء الصرع يتعطل تفكيره وإدراكه تعطلا تاما، فلا

يدري المريض في نوبته شيئا عما يدور حوله، ولا ما يجيش في نفسه، كما أنه يغيب عن صوابه وتعبيره تشنجات تتوقف فيها حركة الشعور، ويصبح المريض بلا إحساس. ولكن النبي ﷺ كان بعد الوحي يتلو على الناس آيات بيّنات، وتشريعات محكمات، وعظات بليغات، وأخلاقا عالية، وكلاما بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة، تحدّى به الناس أن يأتوا بأقصر سورة منه ففجزوا وما استطاعوا، فهل يعقل من المصروع أن يأتي بشيء من هذا؟! اللهم إن هذا أمر لا يجوز إلا في عقول المجانين إن كانت لهم عقول!!

٤- الطب يقدم دليلا لا ينقض، ويقيم حجة لا تحتاج إلى مناقشة على كذب فرية

الصرع، ويؤكد أن ما كان يعتري رسول الله ﷺ إنما هو وحي من الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن يكون شيئا آخر، لقد ثبت أن نوبات الصرع ناتجة عن تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ، والدليل على ذلك أنه أمكن تسجيل تغيرات كهربائية في المخ في أثناء النوبات الصرعية مهما كان مظهرها الخارجي، وعلى أية صورة كانت هذه النوبات، ومهما ضعفت حدة هذه النوبات، ولقد أثبت الطب الحديث أخيرا بعد الاستعانة بالأجهزة والرسم الكهربائي على أن هناك مظاهر عديدة ومختلفة للنوبات الصرعية، وذلك تبعا لمراكز المخ التي تبدأ فيها التغيرات الكهربائية، وطريقة وسرعة انتشارها، وأهم أنواع الصرع ما يسمى بالنوبات الصرعية النفسية، وهو ما يشبه أن يكون النوع الذي افتراه الخصوم على الرسول بأنه مصاب به، وفي هذه الحالة تمر بذهن المريض ذكريات، أو أحلام مرئية، أو سمعية، أو الاثنان معا، وتسمى «بالهلوس»، وقد أثبت الطب أيضا أن الذكريات التي تمر بالمريض لا بد أن يكون قد عاش فيها المريض نفسه حتما إذ أن النوبة الصرعية ما هي إلا تنبيه لصورة أو صوت مرّ

<sup>١</sup> - السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبه ١/ ٢٧٠-٢٧٨ مرجع سابق

بالإنسان ثم احتفظ به في ثنايا المخ، وقد أمكن طبيًا إجراء عملية التنبيه هذه بوساطة تيار كهربائي صناعي سلّط على جزء خاص في المخ، فشعر المريض بنفس «الهلاوس» التي تتناهبه في أثناء نوبة الصرع، وكلما تكررت نوبة الصرع تكررت نفس الذكريات أو الهلاوس. فهذا مريض يسمع أغنية، أو قطعة من شعر، أو حديثًا من أي نوع كان في نوبة صرعه، ويتكرر سماعه لها في كل نوبة، ولا بدّ أن يكون ما سمعه من النوبة قد سمعه يوما ما في طفولته، أو شبابه، أو قبل مرضه، وكذلك إذا كانت النوبة تثير منظرا لا بدّ أن يكون قد مرّ عليه.

وبتطبيق ما قرره الطب الحديث في حقائق الصرع على ما كان يعتري النبي ﷺ نجده يردّد آيات لا يمكن إطلاقا أن يكون قد سمعها من قبل في حياته، فهي آيات واردة من عند الحق سبحانه وتعالى قبل أن يعمر البشر الأرض، مثل قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) [البقرة]. وآيات أخرى فيها قول الله يوم القيامة مثل: حَتَّىٰ إِذَا جَاءُ قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ [النمل]. وقوله سبحانه: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) ﴾ [المائدة].

وكذلك الآيات التي تحكي عصور ما قبل الإسلام، والمقاولات، والمحاورات التي جرت بين أقوام عاشوا قبل الرسول بالآلاف السنين وذلك مثل قوله سبحانه: كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) [آل عمران]. ولما كانت هذه الأحاديث والأحوال لم تمر بالرسول قطعا فهي لم تختزن بالتالي في المخ لتثيرها نوبات صرعية فيتذكرها، وبذلك يقرر الطب الحديث في أحدث اكتشافاته بالنسبة للصرع أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يمكن أن يكون هناك أدنى شبهة في إصابته بالصرع إطلاقا، وأن ما كان إنما هي حالة نفسية وجسدية لتلقّي الوحي الإلهي، هذا الوحي الذي أخبر الله فيه عما مضى، وعما يستقبل (١).

٥ - ثم ما رأي هؤلاء الطاعنين، وفيهم من ينتمي إلى بعض الأديان في أنهم لا ينالون

(١) - من مقال للأستاذ عبد الرزاق نوفل نشر بمجلة «منبر الإسلام» العدد ٩ السنة ١٩ رمضان سنة ١٣٨١ هـ فبراير ١٩٦٤ م.

من نبي الله محمد واحده، وإنما ينالون من جميع أنبياء الله ورسله الذين كانت لهم كتب أو صحف أوحى بها من عند الله سبحانه!! فهل تطيب نفوسهم أن يخربوا بيوتهم قبل أن يخربوا بيوت غيرهم!! وما رأيهم فيما جاء في كتب العهد القديم والجديد من إيجات ونبوات؟! وهل يقولون في وحي نبي الله موسى وعيسى - عليهما السلام - ما يقولون في وحي خاتم الأنبياء محمد؟! (١)

لمعرفة حقيقة ما يرافق الوحي من أحوال؛ فإننا يمكننا رصد عدة مظاهر:

١ - يسمع صوت أزيز بجوار أذنه، ثم يفصل عنه وقد وعى ما أوحى إليه، يقول: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال» (٢)، ويقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: (كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل) (٣).

٢ - يصيبه تعرق شديد حتى في الليلة الباردة، تقول عائشة: (فلقد رأيت رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه؛ وإن جبينه ليتفصد عرقا) (٤).

٣ - تغشاه السكينة ويطرق برأسه إلى الأرض، فأما غشيان السكينة عليه فيخبر به زيد بن ثابت بقوله: (إني قاعد إلى جنب النبي ﷺ يوما إذ أوحى إليه، وغشيته السكينة، ووقع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة) (٥).

وأما إطراقه إلى الأرض ففي قول ابن عباس: (كان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله) (٦)، أي وعده الله أن يمكنه في قلبه { لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه } [القيامة: ١٦ - ١٧]، ويقول عبادة بن الصامت: (كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي؛ نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم) (٧).

٤ - يحمر وجهه كأنه غضب، ففي حديث عبادة بن الصامت قال: (كان نبي الله ﷺ إذا

(١) - السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبه ١ / ٢٧٠-٢٧٨

(٢) - البخاري ح (٢).

(٣) - أخرجه الترمذي ح (٣١٧٣)، وأحمد ح (٢٢٤).

(٤) - أخرجه البخاري ح (٢).

(٥) - أخرجه أحمد ح (٢١١٦٥).

(٦) - أخرجه البخاري ح (٤٩٢٩)، ومسلم ح (٤٤٨).

(٧) - أخرجه مسلم ح (٢٣٣٥).

أنزل عليه الوحي كرب لذلك، وتريد وجهه) (١) أي تغير لونه، وفي حديث يعلى بن أمية: فإذا النبي ﷺ محمر الوجه كذلك ساعة، ثم سري عنه) (٢) ، ولما ذكرت أم المؤمنين عائشة غضب رسول الله ﷺ ، قالت: (فتمعر وجهه تمعرا ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي) . (٣) ٥ - يسمع له ﷺ غطيظ، فإذا سري عنه أخبر بما أوحى إليه، يقول يعلى بن أمية: فنظرت إليه له غطيظ .. فلما سري عنه قال: «أين السائل عن العمرة؟ اخلع عنك الجبة، واغسل أثر الخلق عنك، وأنق الصفرة، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجك» (٤).

٦ - يثقل وزنه، يقول زيد بن ثابت: (فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فنقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي) (٥).

ويقول عبد الله بن عمرو: (أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها) (٦). وتقول أم المؤمنين عائشة: (إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها) (٧). وأما أسماء بنت يزيد فتقول: (إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ إذ أنزلت عليه المائدة كلها؛ فكادت من ثقلها تدق بعضد الناقة) (٨).

وهذه الأحوال المنقولة عن النبي ﷺ هي على خلاف ما نعرفه من أحوال المصروعين، - والمصروع حقيقة من قال هذه الفرية- وسببها ثقل الوحي النازل عليه ﷺ : {إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً} [المزمل: ٥]، فالوحي هو حالة فريدة لا يعرفها إلا الأنبياء، والموحي به هو كلام الرب الذي ذلت لعظمته الرقاب.

وهذه الحال لم يتفرد بها النبي ﷺ، بل أصابت من سبقه من الأنبياء، يقول الأب متى المسكين: "الغيبوبة أو اختطاف العقل أو الجذب الروحي عند الأنبياء .. هكذا وصف آباء الكنيسة الأولون حالة الذهن عند الأنبياء .. حيث يكون الوعي بالذهن مغلقاً نوعاً ما،

(١) - أخرجه مسلم ح (٢٣٣٤).

(٢) - أخرجه أحمد ح (١٧٤٨٨).

(٣) - أخرجه أحمد ح (٢٤٦٤٥).

(٤) - أخرجه البخاري ح (١٧٨٩)، ومسلم ح (١١٨٠).

(٥) - أخرجه البخاري ح (٢٨٣٢).

(٦) - أخرجه أحمد ح (٦٦٠٥).

(٧) - أخرجه أحمد ح (٢٤٣٤٧).

(٨) - أخرجه أحمد ح (٢٧٠٢٨).

حيث يكون عقل النبي خارج الحدود الطبيعية، ومرتفعا لمنطقة الإلهام والوعي الفائق للعقل .. والشخص يكون في حالة شبه غيبوبة؛ ليستطيع أن يطلع على ما هو فوق العقل" (١).  
وضرب الأب المسكين أمثلة لهذه الغيبوبة من الكتاب المقدس، ونكتفي بذكر ثلاثة مواضع من الكتاب المقدس تتحدث عن أحوال الأنبياء عند الوحي؛ وإن كنا لا نسلم بنبوة بعضهم، وأولها ما جاء عن بولس (الرسول)، حيث يقول: " وحدث لي بعد ما رجعت إلى اورشليم، وكنت أصلي في الهيكل أني حصلت في غيبة، فرأيتة قائلا لي: أسرع واخرج عاجلا من اورشليم، لأنهم لا يقبلون شهادتك عني" (أعمال ٢٢ / ١٧ - ١٨)، فبولس يتحدث عن غيبة حصلت له وهو يوحى إليه حسب زعمه.

وفي سفر دانيال يحكي النبي دانيال عن الأثر الكبير الذي تركه الوحي عليه: "فبقيت أنا وحدي، ورأيت هذه الرؤيا العظيمة، ولم تبق في قوة، ونضارتي تحولت في إلى فساد، ولم أضبط قوة، وسمعت صوت كلامه، ولما سمعت صوت كلامه كنت مسبخا على وجهي، ووجهي إلى الأرض، وإذ بيد لمستني وأقامتني مرتجفا على ركبتني وعلى كفي يدي" (دانيال ١٠ / ٧ - ١٠). ومثله في قوله: "أنا دانيال ضعفت ونحلت أياما، ثم قمت وباشرت أعمال الملك، وكنت متحيرا من الرؤيا ولا فاهم" (دانيال ٨ / ٢٧).

إن تهمة الإصابة بالصرع لم تصدر عن واحد من معاصريه ﷺ رغم استحكام العداة بينهم وبينه، ورغم حرصهم على تليق الكاذب من التهم كاتهامه ﷺ بالسحر والجنون وقول الشعر، لكن لم يتهموه بالصرع أبدا، فدل ذلك على أن الأمر لا يعدو أن يكون أبطولة من نسج خيال المبطلين المتأخرين.

إن أحدا من العقلاء لن يقبل فكرة أن هذا الرجل الذي أنشأ الأمة التي قادت الحضارة الإنسانية كان مريضا، ولسوف يصبح مضحكة للصغار قبل الكبار حين يقول: إن هذا القرآن العظيم بيانه وإعجازه وأسلوبه كان نتيجة وأثرا لمرض عضال.

وهكذا تبين براءة شخص النبي ﷺ مما يقوله الأفاكون عنه، وأن ما يقولونه لا يعدو ما قاله إخوانهم في الإفك من كفار قريش، حين رموه بالجنون والكهانة والشعر، حسدا منهم لشخصه ﷺ ونبوته. (٢)

(١) - النبوة والأنبياء، الأب متى المسكين، ص (١٥ - ١٧). عن تنزيه القرآن للسقار .

(٢) - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين ، منقذ بن محمود السقار ص ١٦٥ - ١٧٠.

## المطلب الرابع :

### دعوى: خلو الكتب السابقة من البشارة برسول الإسلام

زعموا أن محمداً ﷺ ليس برسول لأن الكتب السابقة - التوراة وملحقاتها والأنجيل - خلت من البشارة برسول الإسلام.؟! -

الرد : وجود البشارات وعدمها في الكتب المشار إليها آنفاً سواء، وجودها مثل عدمها، وعدمها مثل وجودها. فرسالة رسول الإسلام ﷺ ليست في حاجة إلى دليل يقام عليها من خارجها، بحيث إذا لم يوجد ذلك الدليل " الخارجى " بطلت - لا سمح الله - تلك الرسالة؛ فهي رسالة دليلها فيها، ووجود البشارات بها في كتب متقدمة - زمننا - عليها لا يضيف إليها جديداً، وعدم وجود تلك البشارات لا ينال منها شيئاً قط.

فهي حقيقة قائمة بذاتها لها سلطانها الغنى عما سواها. ودليلها قائم خالد صالح للفحص في كل زمان ومكان، باق بقاء رسالته أبد الدهر أشرق ولم يغب، ظهر ولم يختف، قوى ولم يضعف. علا ولم يهبط، إنه دليل صدق الأنبياء كلهم. فكل الأنبياء مضوا ولم يبق من أدلة صدقهم إلا ما جاء في هذا الدليل " القرآن العظيم " حيث شهد لهم بالصدق والوفاء وأنهم رسل الله لمكرمون..

فلا يظن أحدُ أننا حين نتحدث عن بشارات الكتب السابقة برسول الإسلام إنما نتلمس أدلة نحن في حاجة إليها لإثبات صدق رسول الإسلام في دعواه الرسالة. فرسول الإسلام ليس في حاجة إلى " تلك البشارات " حتى ولو سلم لنا الخصوم بوجودها فله من أدلة الصدق ما لم يحظ به رسول غيره. وستعالج البشارة به صلى الله عليه وسلم على قسمين:

١ - بشاراته صلى الله عليه وسلم في التوراة. ٢ - بشاراته صلى الله عليه وسلم في الإنجيل.

### أولاً: البشارات فى التوراة

تعددت البشارات برسول الإسلام فى التوراة وملحقاتها، ولكن اليهود أزالوا عنها كل معنى صريح، وصيروها نصوصاً احتمالية تسمح لهم بصرفها عنه صلى الله عليه وسلم ومع هذا فقد بقيت بعد تعديلها وتحريفها قوية الدلالة على معناها " الأصيلى " من حملها على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم لأن حملها على غيره متعذر أو متعسر أو محال.

فهي أشبه ما تكون برسالة مغلقة مُحَي " عنوانها " ولكن صاحب الرسالة قادر - بعد  
فضها - أن يثبت اختصاصها به، لأن الكلام " الداخلى " الذى فيها يقطع بأنها " له "   
دون سواه؛ لما فيها من " قرائن " وبيانات واضحة ونعرض - فيما يلى - بعضاً منها:  
١ - " وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته " .  
فقال: " جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وتلاًلاً من جبل فاران " سفر التثنية:  
الإصحاح (٣٣) الفقرات (١-٢) . فى هذا النص إشارة إلى ثلاث نبوات:  
الأولى: نبوة موسى عليه السلام التي تلقاها على جبل سيناء.  
الثانية: نبوة عيسى عليه السلام وساعير هي قرية مجاورة لبيت المقدس، حيث تلقى عيسى  
عليه السلام أمر رسالته.  
الثالثة: نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وجبل فاران هو المكان الذى تلقى فيه - عليه الصلاة  
والسلام - أول ما نزل عليه من الوحي وفاران هي مكة المكرمة مولد ومنشأ ومبعث محمد  
صلى الله عليه وسلم. وهذه العبارة - مرة أخرى - تضمنت خبراً وبشارتين:  
الخبر هو تذكير موسى بفضل الله عليه حيث أرسله إليهم رسولاً. والبشارتان:  
الأولى: خاصة بعيسى عليه السلام. والثانية خاصة بمحمد صلى الله عليه وسلم.  
وموقف اليهود منهما النفي: فلا الأولى بشارة بعيسى ابن مريم ولا الثانية بشارة برسول  
الإسلام.

أما موقف النصارى فإن النفي - عندهم - خاص ببشارة رسول الإسلام. ولهم فى ذلك  
مغالطات عجيبة، حيث قالوا إن " فاران " هي " إيلات " وليست مكة. وأجمع على هذا "   
الباطل " واضعو كتاب: قاموس الكتاب المقدس. وهدفهم منه واضح إذ لو سلّموا بأن "   
فاران " هي مكة المكرمة، للزمهم إما التصديق برسالة رسول الإسلام، وهذا عندهم قطع  
الرقاب أسهل عليهم من الإذعان له..؟! ، أو يلزمهم مخالفة كتابهم المقدس، ولم يقتصر ورود  
ذكر " فاران " على هذا الموضوع من كتب العهد القديم، فقد ورد فى قصة إسماعيل عليه  
السلام مع أمه هاجر حيث تقول التوراة: إن إبراهيم عليه السلام استجاب لسارة بعد ولادة  
هاجر ابنها إسماعيل وطردها هي وابنها فنزلت وسكنت فى " برية فاران " سفر التكوين (٢١ -  
٢١) .. على أنه يلزم من دعوى واضعى قاموس الكتاب المقدس من تفسيرهم فاران

بإيلات أن الكذب باعترافهم وارد في التوراة. لأنه لم يبعث نبي من " إيلات " حتى تكون البشارة صادقة. ومستحيل أن يكون هو عيسى عليه السلام؛ لأن العبارة تتحدث عن بدء الرسالات وعيسى تلقى الإنجيل بساعير وليس بإيلات.

فليست " فاران " إلا " مكة المكرمة " وباعتراف الكثير منهم، وجبل فاران هو جبل " النور " الذي به غار حراء، الذي تلقى فيه رسول الإسلام ﷺ بدء الوحي. وهجرة إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة المكرمة " فاران " أشهر من الشمس. وترتيب الأحداث الثلاثة في العبارة المذكورة:

جاء من سيناء ، وأشرق من ساعير ، وتلاً من فاران. هذا الترتيب الزمني دليل ثالث على أن " تلاً من جبل فاران " تبشير قطعي برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. وفي بعض " النسخ " كانت العبارة: " واستعلن من جبل فاران " بدل " تلاً ". وأياً كان اللفظ فإن " تلاً " و " استعلن " أقوى دلالة من " جاء " و " أشرق " وقوة الدلالة هنا ترجع إلى " المدلولات " الثلاثة. فالإشراق جزء من مفهوم " المجئ " وهكذا كانت رسالة عيسى بالنسبة لرسالة موسى (عليهما السلام) . أما تلاً واستعلن فهذا هو واقع الإسلام، رسولا ورسالة وأمة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذه المغالطة (فاران هي إيلات) لها مثل حيث تزعم التوراة أن هاجرأم إسماعيل عندما أجهدتها العطش هي وابنها إسماعيل بعد أن طردا من وجه " سارة " طلبت الماء فلم تجده إلا بعد أن لقيها ملاك " الرب " في المكان المعروف الآن " بيئر سبع "؟! وأنها سميت بذلك لذلك..؟! وكما كذبت فاران دعوى " إيلات " كذبت " زمزم الطهور " دعوى " بيئر سبع "؟ وستظل فاران - مكة المكرمة - وزمزم الطهور " عملاقين " تتحطم على صخورهما كل مزاعم الحقد والهوى.

٢- ويجيء نص آخر في التوراة لا محمل له إلا البشارة برسول الإسلام ﷺ مهما غالط المغالطون. وهو قول الله لموسى حسب ما تروى التوراة:

" أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه " سفر

التثنية: الإصحاح (١٨) الفقرات (١٨ - ١٩) ويكون المعنى عليه: كيف أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم؟ أى لا أفعل هذا. . حدث هذا حسب روايات التوراة وعداً من الله لموسى فى آخر عهده بالرسالة، وكان يهيمه أمر بنى إسرائيل من بعده، فأعلمه الله - حسب هذه الرواية التوراتية - أنه سيبعث فيهم رسولا مثل موسى عليه السلام.

ولقوة دلالة النص على نبوة محمد ﷺ فقد وقف أهل الكتابين - اليهود والنصارى - موقفين مختلفين هدفهما واحد، وهو أن النص ليس بشارة برسول الإسلام. أما اليهود فلهم فيه رأيان:

الأول: أن العبارة نفسها ليست خبراً بل هى نفى، ويقدرّون قبل الفعل " أقيم " همزة استفهام يكون الاستفهام معها " إنكارياً " وتقدير النص عندهم هكذا " أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك..؟! بطلان هذا الرأى

وهذا الرأى باطل ولن نذهب فى بيان بطلانه إلى أكثر من كلام التوراة نفسها. وذلك؛ لأنه لو كان النص كما ذكروا بهمزة استفهام إنكارى محذوفة هى فى قوة المذكور لكان الكلام نفيّاً فعلاً.. ولو كان الكلام نفيّاً لما صح أن يعطف عليه قوله بعد ذلك:

" ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطلبه "؟! فهذا المقطع إثبات قطعاً فهو مرتب على إقامة النبى الذى وعد به المقطع الذى قبله. فدل هذا " العطف " على أن المقطع السابق وعد خبرى ثابت لا نفى. ويترتب على ذلك بطلان القول الذاهب إلى تقدير الاستفهام..؟!!

الثانى: وقد أحس اليهود ببطلان القول بالاستفهام فاحتاطوا للأمر وقالوا لا مانع أن يكون النص خبراً ووعداً مثبتاً، ولكنه ليس المقصود به عيسى ابن مريم عليه السلام ولا محمد بن عبد الله رسول الإسلام ﷺ ، بل المراد به نبي من أنبياء إسرائيل يوشع بن نون فتى موسى، أو صموئيل..؟!،،، موقف النصارى:

أما النصارى فيحملون البشارة فى النص على عيسى عليه السلام وينفون أن يكون المراد بها رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، وقد علمنا قبلاً أن اليهود ينفون أن تكون لعيسى عليه السلام. وللنصارى مغالطات عجيبة فى ذلك إذ يقولون إن النبى الموعود به ليس من بنى إسماعيل بل من بنى إسرائيل. ومحمد إسماعيلى فكيف يرسل الله إلى بنى إسرائيل رجلاً

ليس منهم؟! كما قالوا إن موسى أتى بمعجزات ومحمد لم يأت بمعجزات فكيف يكون مثله. وقد رددنا على هذه الفرية فيما تقدم.

الحق الذى لا جدال فيه:

والواقع أن كل ما ذهب إليه اليهود والنصارى باطل. باطل. ولن نذهب فى بيان بطلانه إلى أبعد من دلالة النص المتنازع عليه نفسه. أما الحق الذى لا جدال فيه فإن هذا النص ليس له محمل مقبول إلا البشارة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وإليك البيان:

إن النص المتنازع عليه يقيد البشارة بالنبي الموعود به فيه بشرطين:

أحدهما: أنه من وسط إخوة بنى إسرائيل.

وثانيهما: أنه مثل موسى عليه السلام صاحب شريعة وجهاد لأعداء الله وهذان الشرطان لا وجود لهما لا فى يوشع بن نون، ولا فى صموئيل كما يدعى اليهود فى أحد قوليهما. ولا فى عيسى عليه السلام كما يدعى النصارى.

أما انتفاء الشرط الأول فلأن يوشع وصموئيل وعيسى من بنى إسرائيل وليسوا من وسط إخوة بنى إسرائيل. ولو كان المراد واحداً منهم لقال فى الوعد: أقيم لهم نبياً منهم...؟! هذا هو منهج الوحى فى مثل هذه الأمور كما قال فى شأن النبي صلى الله عليه وسلم:

(هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم ... ) الجمعة: ٢ . . وكما جاء على لسان إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم ... ) البقرة: ١٢٩ .

وأما انتفاء الشرط الثانى، فلأن: لا صموئيل ولا يوشع ولا عيسى ابن مريم كانوا مثل " موسى " عليه السلام.

فموسى كان صاحب شريعة، ويوشع وصموئيل وعيسى وجميع الرسل الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام من بنى إسرائيل لم يكن واحداً منهم صاحب شريعة، وإنما كانوا على شريعة موسى عليه السلام. وحتى عيسى ما جاء بشريعة ولكن جاء متمماً ومعدلاً فشريعة موسى هى الأصل. إن عيسى كان مذكراً لبنى إسرائيل ومجدداً الدعوة إلى الله على هدى من شريعة موسى عليه السلام!! فالمثلثة بين هؤلاء - وهى أحد شرطى البشارة - وبين موسى عليه السلام لا وجود لها...؟! ... الشرطان متحققان فى رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم

وبنفس القوة والوضوح اللذين انتفى الشرطان بهما عن ذكروا من الأنبياء ثبت ذلك الشرطان لمحمد بن عبد الله ﷺ :

فهو من نسل إسماعيل، وإسماعيل أخو إسحق، الذي هو أبو يعقوب المسمى إسرائيل. فهو من و سط إخوة بني إسرائيل - بنو عمومتهم - وليس من إسرائيل نفسها. وبهذا تحقق الشرط الأول من شرطى البشارة:

ومحمد ﷺ صاحب شريعة جليلة الشأن لها سلطانها الخاص بها - جمعت فأوعت - مثلما كان موسى - أكبر رسل بني إسرائيل - صاحب شريعة مستقلة كانت لها منزلتها التي لم تضارع فيما قبل من بدء عهد الرسالات إلى مبعث عيسى عليه السلام.

وبهذا يتحقق الشرط الثانى من شرطى البشارة وهو " المثليه " بين موسى ومحمد (عليهما صلوات الله وسلامه) ، فعلى القارئ أن يتأمل أن يحكم.

٣- فى المزامير المنسوبة إلى داود عليه السلام وردت كثير من العبارات التي لا يصح حمل معناها إلا على رسول الإسلام. ومن ذلك قول داود كما تروى التوراة:

" أنت أبرع جمالاً من بنى البشر. انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار، جلالك وبهاؤك. وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة.. بتلك المسنونة فى قلب أعداء الملك - يعنى الله - شعوب تحتك يسقطون.. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقاتك " المزمور (٤٥) الفقرات (٢ - ١٧) مع الحذف اليسير. ... اسمعى يانيت وأميلي أذنك، وانسى شعبك وبيت أبيك، فيشتهى الملك الملك حسنك؛ لأنه هو سيدك فاسجدى له. وبنيت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية. كلها مجد ابنة الملك فى خدرها. منسوجة بذهب ملابسها مطرزة، تحضر إلى الملك فى إثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن إلى قصر الملك. عوضاً عن آبائك يكون بنوك نقيمهم رؤساء فى كل الأرض اذكر اسمك فى كل دور فدور من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والآبد "

وقفة مع هذا الكلام

في المقطع الأول (أ) لا تنطبق الأوصاف التي ذكرها داود إلا على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. فهو الذي قاتل بسيفه في سبيل الله وسقطت أمامه شعوب عظيمة كالفرس والروم.

وهو الممسوح بالبركة أكثر من رفقاءه الأنبياء؛ لأنه خاتم النبيين، ورسالته عامة خالدة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء: ١٠٧ ولم يترك رسول هدى وبيانا مثلما ترك رسول الإسلام في القرآن الحكيم، وفي أحاديثه وتوجيهاته، التي بلغت مئات الآلاف، وتعددت المصادر التي سجلتها، وفيها من روائع البيان، وصفاء الألفاظ، وشرف المعاني ما ليس في غيرها.

أما المقطع الثاني (ب) فهو أوصاف للكعبة الشريفة. فهي التي ترضاهم الأمم بالهدايا. وهي ذات الملابس المنسوجة بالذهب والمطرزة، وهي التي يذكر اسمها في كل دور فدور وتأيتها قوافل " الحجيج " رجالاً ونساءً من كل مكان فيدخل الجميع في " قصر الملك " ويحمدها الناس إلى الأبد؛ لأن الرسالة المرتبطة بها رسالة عامة: لكل شعوب الأرض الإنس والجن. بل والملائكة. وفي مواسم الحج يأتيها القاصدون من جميع بقاع الأرض مسلمين، ورعايا مسلمين من بلاد ليست مسلمة... خالدة: لم ينته العمل بها بوفاة رسولها، كما هو الحال فيما تقدم. وإنما هي دين الله إلى الأبد الأبيد.

٥- وأشعيا وسفره من أطول أسفار العهد القديم ملئ بالإشارات الواضحة التي تبشر برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، ولولا المنهج الذي أخذنا به هنا وهو عدم التطويل لذكرنا من ذلك الكثير؛ ولذا فإننا نكتفي بهذا المقطع لدلالته القوية على ما نقول:

" قومي استنيري؛ لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك.. لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب، ومجده عليك يرى. فتسير الأمم في نورك، والملوك في ضياء إشراقك.

ارفعى عينيك حوالياً وانظري. قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك. يأتي بنوك من بعيد، وتحمل بناتك على الأيدي، حينئذ تنظرين وتنبيرين ويخفق قلبك ويتسع؛ لأنه تحول إليك ثروة البحر، ويأتي إليك غنى الأمم تغطي بكثرة الجمال بكران مديان، وعيفة كلها تأتي من شبا.

تحمل ذهباً ولباناً، وتبشر بتساويح الرب. كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نبايوت تخدمك  
تصعد مقبولة على مذبحي، وأزين بيت جمالي.

من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها. إن الجزائر تنتظرنى وسفن ترشيش فى  
الأول لتأتى من بعيد، وفضتهم وذهبهم معهم لا سم الرب إلهك... (مكان النقط هنا كلام  
لم نذكره هو " قدوس إسرائيل لأنه مجدك "؟! وهذا مقطع مضاف بكل تأكيد والهدف منه  
صرف الكلام عن معناه الظاهر!!)

وبنو الغريب بينون أسوارك، وملوكهم يخدمونك.. وتفتح أبوابك دائماً ولباناً وليلاً لا  
تعلق، ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم... سفر أشعياء الأصحاح (٦٠) الفقرات (٤) -  
(١٢) مع حذف يسير. دلالة هذه النصوص:

بلا أدنى ريب فإن هذا الكلام المنسوب إلى أشعيا وصف لمكة المكرمة وكعبتها الشامخة.  
فالمقطع الأول إنما هو حديث عن موسم الحج المبارك فيه يجتمع بنوها حولها من كل مكان  
وفيه لحة قوية جداً إلى نحر الهدى صبيحة العيد. ألم يشير النص إلى غنم قيدار، وقيدار  
هو ولد إسماعيل عليه السلام الذى تشعبت منه قبائل العرب. ثم ألم ينص على المذبح الذى  
تنحى عليه الذبائح؟

كما أشار النص ثلاث إشارات تعد من أوضح الأدلة على أن المراد بهذا النص مكة  
المكرمة. وتلك الإشارات هى طرق حضور الحج إليها. ففى القديم كانت وسائل النقل:  
ركوب الجمال. ثم السفن. أما فى العصر الحديث فقد جدت وسيلة النقل الجوى " الطائرات  
" وبشارة أشعيا تضمنت هذه الوسائل الثلاث على النحو الآتى:

١ - الجمال، قال فيها: تغطيك كثرة الجمال.؟!!

٢ - السفن، قال فيها: وسفن ترشيش تأتى ببنيك من بعيد؟!!

٣ - النقل الجوى، وفيه يقول: من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها.؟!!

أليس هذا أوضح من الشمس فى كبد السماء.

على أن النص ملئ بعد ذلك بالدقائق والأسرار، ومنها أن مكة مفتوحة الأبواب ليلاً  
ونهاراً لكل قادم فى حج أو عمرة..؟!!

ومنها أن خيرات الأمم تجبي إليها من كل مكان، والقرآن يقرر هذا المعنى في قول الله تعالى: (أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء) القصص: ٥٧.

ومنها أن بني الغريب (يعنى غير العرب) بينون أسوارها. وكم من الأيدي العاملة الآن، وذوى الخبرات يعملون فيها ويشيدون قلاعها فوق الأرض وتحت الأرض ومنها أنه ما من عاصمة من عواصم العالم إلا دخلت في محنة من أهلها أو من غير أهلها إلا هذه "العاصمة المقدسة" فظلت بمأمن من غارات الغائرين وكيد الكائدين، ومثلها المدينة المنورة.

ومنها كثرة الثروات التي من الله بها عليها. أليس البترول من ثروات البحر العظمى التي تفجرت أرض الحجاز وشبه الجزيرة منه عيوناً دفاقة بمعدل لم تصل إليه أمة من الأمم. أضف إلى ذلك سبائك الذهب والفضة. والحديث عن مكة المكرمة حديث عن رسول الإسلام؛ لأن مجدها لم يأت إلا على يدي بعثته ﷺ.

هذه الحقائق لا تقبل الجدل. ومع هذا فإن أهل الكتاب (وخاصة اليهود) يحملون هذه الأوصاف على مدينة "صهيون" ولهذا فإنهم عمدوا إلى النص وعدلوه ليصلح لهذا الزعم. ولكننا نضع الأمر بين يدي المنصفين من كل ملة. أهذه الأوصاف يمكن أن تطلق على مدينة "صهيون".

لقد خرب "بيت الرب" في القدس مراراً وتعرض لأعمال شنيعة على كل العصور. أما الكعبة الشريفة والمسجد الحرام فلم يصل أحد إليهما بسوء، ثم أين ثروات البحر والبر التي تجبي إلى تلك المدينة وأهلها (إلى الآن) يعيشون عالة على صدقات الأمم.

وأين هي المواكب التي تأتي إليها براً وبحراً وجوّاً، وهل أبوابها مفتوحة ليلاً ونهاراً، وأين هم بنوها الذين اجتمعوا حولها. وما صلة غنم قيذار وكباش مدين بها. وأين هو التسبيح الذي يشق عنان السماء منها.. وأين.. وأين..؟

إن هذه المغالطات لا تثبت أمام قوة الحق، ونحن يكفيننا أن نقيم هذه الأدلة من كتبهم على صدق الدعوى، ولا يهمنا أن يدعن القوم لما نقول فحسبك من خصمك أن تثبت باطل ما يدعيه أمام الحق الذي تدافع عنه.

والفاصل بيننا - في النهاية - هو الله الذي لا يُبدل القول لديه.

٦- وتنسب التوراة إلى نبي يدعى " حبقوق " من أنبياء العهد القديم، وله سفر صغير قوامه ثلاثة إصحاحات. تنسب إليه التوراة نصوصاً كان يصلح بها. تضمنها الإصحاح الثالث من سفره. وهذا الإصحاح يكاد يكون كله بشارة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. وإليك مقاطع منه: " الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران . سلاه . جلاله غطى السماوات. والأرض امتلأت من تسيبحة وكان لمعان كالنور له من يديه شعاع، وهناك استتار قدرته.

قدامه ذهب الوبأ. وعند رجليه خرجت الحمى. وقف وقاس الأرض، نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية، وخسفت آكام القوم. مسالك الأزل  
يسخط دست الأمم، خرجت لخلاص شعبك ٠٠٠ سحقت رأس بيت الشرير معرياً الأساس حتى العنق ٠٠٠ سلكت البحر بخيلك.. (٣. ١٥. ٣) مع الحذف.  
دلالات هذه الإشارات:

لا يستطيع عاقل عالم بتاريخ الرسالات ومعاني التراكيب أن يصرف هذه النصوص على غير البشارة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. فالجهتان المذكورتان في مطلع هذا المقطع وهما: تيمان: يعنى اليمن، وجبل فاران: يعنى جبل النور الذى بمكة المكرمة التى هى فاران. هاتان الجهتان عربيتان. وهما رمز لشبه الجزيرة العربية التى كانت مسرحاً أولاً لرسالة محمد ﷺ فليس المراد إذن نبياً من بنى إسرائيل؛ لأنه معلوم أن رسل بنى إسرائيل كانت تأتى من جهة الشام شمالاً. لا من جهة بلاد العرب. وهذه البشارة أتت مؤكدة للبشارة المماثلة، التى تقدم ذكرها من سفر التثنية، وقد ذكرت أن الله: تلاًلاً أو استعلن من جبل فاران.

بيد أن بشارة التثنية شملت الإخبار بمقدم موسى عليه السلام والتبشير ببعيسى عليه السلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم أما بشارة حبقوق فهى خاصة برسول الإسلام ﷺ . ولو لم يكن فى كلام حبقوق إلا هذا " التحديد " لكان ذلك كافياً فى اختصاص بشارته برسول الإسلام ﷺ ومع هذا فقد اشتمل كلام حبقوق على دلائل أخرى ذات مغزى:

منها: الإشارة إلى كثرة التسيبح حتى امتلأت منه الأرض..!؟

ومنها: ذكاه صلى الله عليه وسلم لعروش الظلم والطغيان وقهر الممالك الجائرة.

ومنها: أن خيل جيوشه ركبت البحر، وهذا لم يحدث إلا فى ظل رسالة الإسلام.

على أن كلام حبقوق ملئ بالرمز والإشارات مما يفيدنا في هذا المجال ولكننا نتجاوزه لأمرين: أحدهما: أن في الإشارات الصريحة غناء عنها. وثانيهما: عدم التطويل . هنا . كما اتفقنا.

## بشاراته ﷺ في العهد الجديد

أسفار العهد الجديد (الأنجيل والرسائل) حافلة بالنصوص التي يتعين أن تكون " بشارات " برسول الإسلام ﷺ .

تلك البشارات تعلن أحياناً في صورة الوعد بملكوت الله أو ملكوت السماوات. وأحياناً أخرى بالروح القدس. ومرات باسم المعزى أو الفارقليط، وهي كلمة يونانية سيأتى فيما بعد معناها، تلك هي صورة البشارات في الأنجيل في صيغها المعروفة الآن.

١- ففي إنجيل متى وردت هذه العبارة مسندة إلى يحيى عليه السلام المسمى في الأنجيل: يوحنا المعمدان. وفيها يقول: " توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السماوات " الإصحاح (٣) الفقرة (٢) . فمن هو ملكوت السماوات الذى بشر به يحيى؟! هل هو عيسى عليه السلام . كما يقول النصارى..؟! هذا احتمال.. ولكن متى نفسه يدفعه حيث روى عن عيسى عليه السلام نفس العبارة: " توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السماوات " الإصحاح (٤) الفقرة (١٧) . فلو كان المراد بملكوت السماوات . هذه . عيسى عليه السلام لما وردت هذه " البشارة " على لسان عيسى؛ إذ كيف يبشر بنفسه، وهو قائم موجود، والبشارة لا تكون إلا بشئ محبوب سيأتى، كما أن الإنذار . قسيمه . لا يكون إلا بشئ " مكروه " قد يقع. فكلاهما: التبشير والإنذار . أمران مستقبليان.

إن ورود هذه العبارة عن عيسى نفسه تخصيص لذلك العموم المستفاد من عبارة يحيى عليهما السلام. فدل ذلك على أن المراد بملكوت السماوات رسول آخر غير عيسى. ولم يأت بعد عيسى . باعتراف الجميع . رسول غير رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. فدل ذلك على أنه هو المراد بملكوت السماوات في عبارة عيسى عليه السلام قولاً واحداً . وباحتمال أرجح في عبارة يحيى، إذ لا مانع عندنا . أن يكون يحيى عليه السلام قد بشر بها بعيسى عليه السلام.

أما بشارة عيسى فلا موضع لها إلا الحمل . القطعى . على رسول الإسلام ﷺ ، وفي صيغة الصلاة التي علمها المسيح لتلاميذه . كما يروى متى نفسه . بشارة أخرى بنبي الإسلام.

وهذا هو نص مَتَّى في هذا " فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذى فى السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك " الإصحاح (٦) الفقرة (١٠.٩) . ووردت هذه الصيغة فى إنجيل لوقا هكذا: " متى صليتم فقولوا: أبانا الذى فى السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك.. " الإصحاح (١١) الفقرة (٢) . ويذكر لوقا أن المسيح جمع تلاميذه، وعلمهم كيف يقهرون الشياطين، ويشفون الأمراض ثم قال: " وأرسلهم ليكرزوا . أى يبشروا . بملكوت الله " الإصحاح (٩) الفقرة (٢) . أما مرقس فيسند هذه البشارة إلى المسيح نفسه إذ يقول: " جاء يسوع إلى الجبل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله " الإصحاح (١) الفقرة (١٤. ١٥)

فهؤلاء ثلاثة من التلامذة يتفقون على أن يحيى وعيسى (عليهما السلام) قد بشرا بملكوت الله الذى اقترب. فمن المراد بملكوت الله إذا لم يكن هو رسول الإسلام ﷺ؟. وأكاد أجزم بأن عبارة " المسيح، قد كمل الزمان " لا تعنى سوى انتهاء عصر الرسالات الموقوتة وإقبال الرسالة الخالدة..!

٢- أما يوحنا صاحب رابع الأناجيل. فإنه يذكر هذه البشارات فى مواضع متعددة من إنجيله. ومن ذلك ما يرويه عن المسيح عليه السلام " الذى لا يجبنى لا يحفظ كلامى، والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للأب الذى أرسلنى. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المعزى (اسم فاعل من الفعل المضعف العين عزى) هذا إيضاح وليس من النص. الروح القدس، الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بما قلته لكم " الإصحاح (١٤) الفقرات (٢٤. ٢٦) .

كما يروى يوحنا قول المسيح . الآتى . مع تلاميذه: " إنه خير لكم أن انطلق. إن لم أنطلق لا يأتىكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك بيكت العالم على خطية، وعلى بر وعلى دينونة " الإصحاح (١٦) الفقرتان (٧. ٨) .

ويروى كذلك قول المسيح لتلاميذه: " وأما إذا جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه. بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية "؟..! الإصحاح (١٦) الفقرة (١٣) .

فمن هو المعزى أو روح القدس أو روح الحق الذى بشر به المسيح عليه السلام حسبما يروى يوحنا..؟! إن المسيح يقول:

إن ذلك المعزى أو الروح القدس لا يأتى إلا بعد ذهاب المسيح، والمسيح . نفسه . يُقَرُّ بأن ذلك المعزى أو الروح أَجَلٌ منه شأنًا، وأعم نفعاً وأبقى أثراً، ولذلك قال لتلاميذه: خير لكم أن أنطلق. إن لم أنطلق لا يأتىكم المعزى.

وكلمة " خير " أفعل تفضيل بمعنى أكثر خيراً لكم ذهابي ليأتىكم المعزى ولو كان " المعزى " مساويا للمسيح فى الدرجة لكانا مستويين فى الخيرية ولما ساغ للمسيح أن يقول خير لكم أن أنطلق. ومن باب أولى لو كان " المعزى " أقل فضلاً من المسيح. فعبارة المسيح دليل قاطع على أنه بشر بمن هو أفضل منه، لا مساوٍ له ولا أقل. ثم يصف المسيح ذلك المعزى أو الروح بأوصاف ليست موجودة فى المسيح نفسه عليه السلام. ومن تلك الأوصاف: أ. إنه يعلم الناس كل شىء. وهذا معناه شمول رسالته لكل مقومات الإصلاح فى الدنيا والدين. وذلك هو الإسلام.

ب. إنه يبكت العالم على خطية. والشاهد هنا كلمة " العالم " وهذا معناه شمول الإسلام لكل أجناس البشر، عرباً وعجماً، فى كل زمان ومكان. ولم توصف شريعة بهذين الوصفين إلا الإسلام.

ج. إنه يخبر بأمر آتية، ويذكر بما مضى. وقد تحقق هذا فى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

فأخبر بأمر آتية لم يخبر بها من سبقه أو أخبروا ولكن ليس على وجه التفصيل والتأكيد الذى كان على يديه صلى الله عليه وسلم فكم فى القرآن من أمور أخبر بها قبل أن تقع فوقعت كما أخبر، وكم فيه من الإخبار بما سيكون فى الحياة الآخرة من أوصاف الجنة، والنار، والبعث، وعلامات الساعة، وتخاصم أهل النار، وحوار أصحاب الجنة مع " رجال الأعراف "، وندم من باعوا دينهم بدنياهم. إلخ.. إلخ.

وذكر بما مضى من أحوال الأمم، وقيام الحضارات ثم سقوطها وأحوال المرسلين وما بلغوا به أقوامهم والشهادة لهم بالصدق والأمانة والإخلاص والوفاء، ومسلك بعض الأقوام من رسلهم والصراع الذى دار بين المحققين وأهل الباطل، وعاقبة بعض المكذبين.. إلخ.. إلخ.

ثم استوعبت رسالته الحياة كلها فأرست قواعد الاعتقاد الصحيح وسنت طرق العبادة المثمرة، ووضعت أصول التشريع في كل ما هو متعلق بالحياة عاجلها وآجلها، ووضحت العلاقة السليمة بين المخلوق والخالق، وبين الناس بعضهم بعضاً. وحررت العقول، وطهرت القلوب ورسمت طريق الهدى لكل نفس ولكل جماعة ولكل أمة. أى أنها أرشدت إلى كل شيء. وعلمت كل شيء مما يحتاج تعلمه إلى وحى وتوقيف..!

ذلك هو الإسلام، ولا شيء غير الإسلام.

وشهدت . فيما شهدت . للمسيح عليه السلام بأنه رسول كريم أمين أدى رسالته وبشر وأنذر بنى إسرائيل. وأنه عبده ورسوله (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون) مريم: ٣٤.

وشهادة رسول الإسلام لعيسى عليه السلام منصوص عليها فى بشارات عيسى نفسه به ﷺ . فاسمع إلى يوحنا وهو يروى عن المسيح عليه السلام قوله الآتى. " ومتى جاء المعزى الذى سأرسله " أنا " إليكم من الأب روح الحق من عند الأب ينبثق فهو يشهد لى.. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء " الإصحاح (١٥) فقرتا (٢٦ . ٢٧) .

روح القدس هذا، أو المعزى، أو روح الحق لا يمكن أن يكون عيسى؛ لأن عيسى لم يبشر بنفسه، وهو كان موجوداً ساعة قال هذا ولا يمكن أن يكون المراد به نبياً بعد عيسى غير محمد ﷺ لأننا متفقون على أن عيسى لم يأت بعده نبي قبل رسول الإسلام ﷺ .

فتعين أن يكون روح القدس، أو المعزى، أو روح الحق تبشيراً بمحمد صلى الله عليه وسلم إذ فيه تجتمع تلك الأوصاف، كما يتحقق فيه معنى " الأفضلية " إذ هو خاتم النبيين، الذى جاء بشريعة خالدة عامة، وعلى هذا حملنا قبلا قول عيسى: خير لكم أن أنطلق. إن لم أنطلق لا يأتىكم المعزى "

وهذا إقرار من عيسى بأن المبشر به أفضل من المهيئر وكفى بذلك شواهد.

أما البشارة باسم " الفارقليط " فقد خلت منها الترجمات العربية المعاصرة للكتاب المقدس. ومعلوم أن الكتاب المقدس خضع للترجمات وطبعات متعددة؛ لدرجة أن الترجمات العربية لتختلف من نسخة إلى أخرى اختلافاً بيناً. وتحت يدي. الآن. نسختان من الطبقات العربية كلتاهما خاليتان من كلمة الفارقليط، وموضوع مكانها كلمة المعزى.

بيد أننى وجدت أن ابن القيم، وابن تيمية، كل منهما قد نقل عن نسخ خطية كانت معاصرة لهما نصوصاً فيها التصريح باسم " الفارقليط " كما أن الشيخ رحمت الله الهندي (رحمه الله) نقل في كتابه " إظهار الحق " نصوصاً " عن ترجمات عربية ترجع إلى أعوام: ١٨٢١ . ١٨٣١ . ١٨٤٤ م وتمت في لندن ، معنى " الفارقليط " : كلمة يونانية معناها واحد مما يأتي: الحامد . الحماد . المحمود . الأحمد .

أو معناها كل ما تقدم . فمعنى " فارقليط " يدور حول الحمد وجميع مشتقاته المشار إليها . وكل واحد منها يصح إطلاقه على رسول الإسلام ﷺ فهو الحامد والحماد والمحمود والأحمد، والمحمد .

وفي الطبقات . اللندنية . المتقدم ذكرها ورد النص هكذا: " إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب فيعطىكم فارقليط آخر، ليثبت معكم إلى الأبد " .  
" الفارقليط " روح القدس الذى يرسله الآب باسمى هو يعلمكم كل شىء، وهو يذكركم كل ما قلته لكم " (١) .

ومقارنة هذين النصين بالنص المقابل لهما الذى نقلناه آنفا عن إنجيل يوحنا من الطبقات العربية الحديثة تريك أن الطبقات الحديثة حذفتم كلمة " الفارقليط " ووضعت مكانها كلمة " المعزى " كما تريك أن الطبقات الحديثة حذفتم جملة: " ليثبت معكم إلى الأبد " وهو نص على خلود الإسلام على أنهم عادوا واعترفوا بأن كلمة " المعزى " التى فى الطبقات الحديثة للكتاب المقدس أصلها مترجم عن كلمة يونانية لفظاً ومعنى وهى " باراكليتس " ومعناها المعزى، وليست " فارقليط " أو " بارقليط " التى معناها الحماد والحامد . . . . . التى يتمسك بها المسلمون!؟!

وهذه المحاولات مردودة لسببين:

أولهما: ليس نحن . المسلمون . الذين قاموا بعمل بالطبقات القديمة التى فيها " الفارقليط " وإنما طبعها النصارى قديماً . فعملهم حجة على الطبقات الحديثة وهم غير متهمين فى عملهم هذا .

(١) - انظر كتاب " إظهار الحق " ص ٥٢٨ للشيخ رحمت الله الهندي تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا . نشر دار التراث .

وثانيهما: ولو كانت الكلمة " هي: الباراكليتس " فلماذا خلت منها الطبقات القديمة والنسخ المخطوطة؟! بل ولماذا خلت منها الطبقات الحديثة..؟!!

وأيا كان المدار: فارقليط، أو باراكليتس، أو المعزى، أو الروح القدس فنحن لا نعول على الكلمة نفسها بقدر ما نعول على الأوصاف التي أجريت عليها. مثل يعلمكم كل شيء. - يمكن معكم إلى الأبد. فهذه الأوصاف هي لرسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ومهما اجتهدتم في صرفها عنه فلن تنصرف.

ولهم " شبهة " أخرى يخلو لهم تراددها وهي: محمد ﷺ عربي الجنس واللسان، فكيف يرسله الله إلى أمم وأجناس غير عربية.. وكيف يكلف الله الناس برسالة لا يعرفون لغتها ولا عهد لهم بالتحدث معها. وكيف يستطيعون أن يفهموا القرآن، وتوجيهات رسول الإسلام، وهما باللغة العربية..؟! رد الشبهة نرد عليها من طريقين:

الأول: وهو مستمد من واقع القوم أنفسهم. فهم يدعون تبعاً لما قال " بولس " أن عيسى عليه السلام مرسل لخلاص العالم كله. وأنه أمر حواريه أن يركزوا كل العالم برسالة الخلاص، وفي أيامنا هذه كثرت المنشورات التي تقول: المسيح مخلص العالم. وهنا نسأل القوم سؤالاً: أي لغة كانت لغة المسيح عليه السلام وحوارييه؟! هل هي العبرانية أم اليونانية؟! وأيا كان الجواب فإن المسيح كان يتكلم لغة واحدة. وأوحى إليه

الإنجيل بلغة واحدة.. فعلى أى أساس إذن قلتم: إنه منقذ لكل العالم؟! هل كل العالم كان وما يزال يعرف لغة المسيح؟! أم أن العالم أيام المسيح كان يتكلم بعدة لغات.. والآن يتكلم بمئات اللغات..؟! فإن كنتم قد ادعيتم أن المسيح هو منقذ كل العالم مع تسليمكم بأنه كان يتكلم بلغة واحدة فلماذا تنكرون على رسول الإسلام أن يكون مرسلًا لكل العالم؟! وما الفرق بين رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم والمسيح عليه السلام حتى تحظروا عليه ما استبحتموه للمسيح؟! أهذا عدل.. أهذا إنصاف!!

وإن تنازلتم عن عالمية المسيح فأنتم مدينون..؟!'

---

(١) - شبهات المشككين، الشبهة رقم ٤٨ بتصرف، وانظر منقذ بن محمود السقار، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ؟ دار الإسلام للنشر والتوزيع ط ١ سنة ٢٠٠٧، و د. سامي عامري، محمد ﷺ في الكتب المقدسة، مركز التنوير الإسلامي للخدمات المعرفية والنشر بالقاهرة ط ٢٠٠٦/١ . و محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن. محمد عزت الطهطاوي. مكتبة النور. و البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل. أحمد حجازي السقا. دار البيان العربي. القاهرة، ١٩٧٧ م. و محمد في التوراة والإنجيل والقرآن. إبراهيم خليل أحمد. المكتبة التجارية. مكة المكرمة، ١٤٠٩ هـ. ...

## المطلب الخامس : ومن أعظم الشبه والافتراء: وصف النبي ﷺ بأنه (إرهابي دموي سفاك للدماء).

وهذه التهمة إنما يذيعها المستشرقون في العصر الحديث تشكيكاً في دعوته وصدق نبوته ﷺ تفاصيل الرد سيتم في المجلد الثالث إن شاء الله فهو مخصص للجهاد والقتال في الإسلام. .... الرد :

لقد ثبت عنه ﷺ من الحلم والاحتمال والعفو عند المقدرة والصبر على المكاره الشيء الكثير جداً. وكل حلیم عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة ولكنه ﷺ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبراً وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً، قالت عائشة: ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها (١)، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضياً. وقد كان من أعظم دلائل نبوته التي وردت في كتب أهل الكتاب. والتي آمن على مثلها من آمن منهم مثل عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وغيرهما أن حلمه يسبق غضبه.

وقد كان العفو والصفح أحب إليه من الانتقام كما في الحوادث التالية:

١- تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ﷺ، ورسول الله ﷺ مطرح تحت شجرة وحده قائلاً (من القيلولة وهو نوم وسط النهار) دون حرس، وأصحابه قائلون كذلك. وذلك في غزاة، فلم ينتبه رسول الله ﷺ إلا وغورث قائم على رأسه، والسيف مصلت في يديه وقال: من يمنحك مني؟ فقال ﷺ: «الله». فسقط السيف من يد غورث، فأخذه النبي ﷺ وقال: «من يمنحك؟» قال غورث: كن خير آخذ فتركه وعفا عنه. فعاد إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس. (٢)

٢- لما دخل المسجد الحرام صبيحة الفتح ووجد رجالاً قريش جالسين مطأطيء الرؤوس ينتظرون حكم رسول الله ﷺ الفاتح فيهم، فقال: «يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» فعفا عنهم بعدما ارتكبوا من الجرائم ضده وضد أصحابه ما لا يقادر قدره، ولا يحصى عدده، ومع هذا فقد عفا عنهم

(١) - رواه مالك ح (١٨٨٢) و البخاري ح (٦٥٦٠ ، ٦١٢٦) ومسلم ح (٢٣٢٧) .

(٢) - (أخرجه الإمام أحمد ح (١٤٩٢٩) خلاصة المحقق حديث صحيح وابن حبان (٢٨٨٣) صحيح الاسناد ، وهو في البخاري مختصراً

ولم يعنف ولم يضرب. ولم يقتل<sup>١</sup>.

٣- سحره لبيد بن الأعصم اليهودي ، فعفا عنه ولم يؤاخذه. بل لم يثبت أنه لامه أو عاتبه مجرد لوم أو عتاب. فضلاً عن المؤاخذة والعقاب.(٢)

٤- تآمر عليه المنافقون وهو في طريق عودته من تبوك إلى المدينة تآمروا عليه ليقتلوه وعلم بهم وقيل له فيهم فعفا عنهم، وقال: (لا يُتحدث أن محمداً يقتل أصحابه)<sup>٣</sup>

٥- لم يذكر في غزوة من الغزوات أنه اعتدى على أحد أو غزا قوماً مسالمين بل كانت غزواته وسراياه موجهة إلى من بدأه بالعداوة وحاول الكيد للإسلام والمسلمين، وكان يأمر أمراءه إذا أرسلهم أن لا يقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا عجزاً ولا راهباً معتزلاً في صومعته وكان ينهاهم عن التحريق بالنار وإفساد الزرع.

لقد غير النبي ﷺ أغراض الحروب وأهدافها التي كانت تضطرم نار الحرب لأجلها في الجاهلية، فبينما كانت الحرب عبارة عن النهب والسلب والقتل والإغارة والظلم والبغي والعدوان وأخذ الثأر والفوز بالوتر وكبت الضعيف وتخريب العمران وتدمير البنيان وهتك حرمت النساء والقسوة على الضعيف والولائد والصبيان وإهلاك الحرث والنسل والعبث والفساد في الأرض في الجاهلية، إذ صارت هذه الحرب في الإسلام جهاداً في تحقيق أهداف نبيلة وأغراض سامية وغايات محمودة يعتز بها المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان وغدت الحرب جهاداً في تخليص الإنسان من نظام القهر والعدوان.

إن تحول المجتمع إلى نظام العدل والنصف بدلاً عن نظام يأكل فيه القوي الضعيف، حتى يصير المجتمع إلى نظام يصير فيه القوي ضعيفاً حتى يؤخذ الحق منه وصارت بذلك الحرب جهاداً لتخليص المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً. وصارت جهاداً في تطهير أرض الله من الغدر والخيانة والإثم والعدوان وغدت وسيلة لبسط الأمن والسلامة والرأفة والرحمة ومراعاة الحقوق والمروءة.

أومن قام بتبديل الحرب من شرٍّ محضٍ إلى خيرٍ محضٍ يكون إرهابياً أو سفاكٍ للدماء؟.

(١) - النسائي في السنن الكبرى ح(١١٢٣٤) والأزرقي في أخبار مكة ١٢١/٢ الناشر دار الأندلس بيروت و أخرج فقرات منه تختلف طولاً وقصراً: ابن أبي شيبة

في مصنفه ٤٨٧/١٤ برقم (١٨٧٥٠)، وأحمد ٢/٢٠٧، وأخرجه أحمد ٢/١٧٩، ٢١٢ - ٢١٣، وأخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" ٨٦/٥

(٢) - (صحيح البخاري ح(٣٢٦٨) ومسلم ح(٢١٨٩) .

(٣) - صحيح البخاري ح(٢١٨٩، ٤٦٢٢) ومسلم ح(٢٥٨٤).

أفترى من يأمر بهذا العدل والإنصاف والرحمة والرأفة حتى مع العدو أثناء القتال يمكن أن يوصف بأنه إرهابي أو قاتل أو سفك للدماء؟ سبحانك هذا بهتان عظيم!!  
علماً بأن جميع البلاد التي فتحها بالسيف ظهر فيها الإسلام وانتشر وثبت أهلها على الإسلام، مما يؤكد أن انتشار الإسلام وثباته لصفاته الذاتية فيه وليس انتشاره عائداً إلى نشره بالقوة السيف فقط كما أن أكثر بقاع الإسلام وبلاده مما فتح سلماً دون حرب أو قتال كما ثبت ذلك في دواوين السيرة وكتب التاريخ.

### ليس في حروب النبي دموية

تميّزت الحروب النبوية بأنها حروب غير دموية، بمعنى أنها لم يكن فيها ما يُعرف الآن بجرائم إبادة الشعوب، حيث نجد فيما يُسمى "بمحاضرات" العالم الحديثة أن بعض الزعماء أخذوا قرارات نتج عنها إفناءً لِكَمِّ هائلٍ من البشر في مدينة أو دولة أو أحياناً قارة! لكن حروب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن على هذه الصورة، ذلك أنه كان حريصاً على تجنب القتال ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإذا اضطر إليه حاول أن ينهيه بسرعة، وأثناء القتال نفسه كان يحفظ دماء المدنيين، وكذلك يحفظ دماء المستكرهين على القتال، ثم بعد القتال كان يعفو إذا ملك، ويسامح ويرحم إذا غلب. فجاءت حروبه على مستوى من الرقي لا تعرفه - بل لا تفهمه - "المحاضرات الحديثة! ولغة الأرقام لا تكذب!

بإحصاء عدد الذين ماتوا في كل الحروب النبوية، سواء من شهداء المسلمين، أو من قتلى الأعداء، و بتحليل لهذه الأعداد، وربطها بما يحدث في عالمنا المعاصر، تجد العجب!! بلغ عدد شهداء المسلمين في كل معاركهم أيام رسول الله ﷺ، وذلك على مدار عشر سنوات كاملة، ٢٦٢ شهيداً تقريباً، وبلغ عدد قتلى أعدائه ﷺ حوالي ١٠٢٢ قتيلاً، و هذه الإحصائية تجمع كل من قُتل من الطرفين حتى ما تم في حوادث فردية، وليس في حروب مواجهة، وبذلك بلغ العدد الإجمالي لقتلى الفريقين ١٢٨٤ قتيلاً فقط!! ولكي لا يتعلل أحدٌ بأن أعداد الجيوش آنذاك كانت قليلة؛ ولذا جاء عدد القتلى على هذا النحو، بحساب نسبة القتلى بالنسبة إلى عدد المقاتلين، ستذهل!! إن نسبة الشهداء من المسلمين إلى الجيوش المسلمة تبلغ ١% فقط، بينما تبلغ نسبة القتلى من أعداء المسلمين

بالنسبة إلى أعداد جيوشهم ٢%، وبذلك تكون النسبة المتوسطة لقتلى الفريقين هي ١.٥% فقط!

إن هذه النسب الضئيلة في معارك كثيرة بلغت ٢٥ أو ٢٧ غزوة، و ٣٨ سرية، أي أكثر من ٦٣ معركة، لمن أصدق الأدلة على عدم دموية الحروب في عهده ﷺ .  
ولكي تتضح الصورة بشكل أكبر وأظهر ، بإحصاء عدد القتلى في الحرب العالمية الثانية - كمثال لحروب "الحضارات" الحديثة، وخاصة أن الدول التي اشتركت فيها ما زالت تدّعي أنها رائدة للحضارة ولحقوق الإنسان!- و بحساب نسبة القتلى بالقياس إلى أعداد الجيوش المشاركة في القتال، تصدّم !! إن نسبة القتلى في هذه الحرب الحضارية بلغت ٣٥١ !!! %  
ومن جديد.. إن الأرقام لا تكذب !!!

لقد شارك في الحرب العالمية الثانية ١٥.٦٠٠.٠٠٠ جندي (خمسة عشر مليون وستمئة ألف)، ومع ذلك فعدد القتلى بلغ ٥٤.٨٠٠.٠٠٠ قتيل (أربعة وخمسين مليون وثمانمائة ألف)!!! أي أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش المشاركة! وتفسير هذه الزيادة هو أن الجيوش المشاركة جميعًا -وبلا استثناء- كانت تقوم بحروب إبادة على المدنيين، وكانت تسقط الآلاف من الأطنان من المتفجرات على المدن والقرى الآمنة، فتبيد البشر، وتُفني النوع الإنساني، فضلاً عن تدمير البنى التحتية، وتخريب الاقتصاد، وتشريد الشعوب!!  
لقد كانت كارثة إنسانية بكل المقاييس!

وليس خافيًا على أحد أن المشاركين في هذه المجازر كانت الدول التي تعرف آنذاك -والآن- بالدول المتحضرة الراقية! كبريطانيا وفرنسا وأمريكا والاتحاد السوفيتي والصين وألمانيا وإيطاليا واليابان! أي تحضر هذا؟! وعن أي رقي يتكلمون؟! ثم أين أولئك الذين يصفون رسولنا ﷺ بالعنف والإرهاب؟! قارن هذه النسب المفجعة بما كان على عهد رسول الرحمة ﷺ. إن العودة للأرقام سترد كلَّ مُنصفٍ إلى جادّة الطريق، أما من اختار العمى على الهدى فلا يلومنَّ إلا نفسه!!

**الجهاد في الإسلام :** الجهاد في الإسلام حرب مشروعة عند كل العقلاء من بني

البشر، وهي من أنقى أنواع الحروب من جميع الجهات:

١- من ناحية الهدف. ٢- من ناحية الأسلوب. ٣- من ناحية الشروط والضوابط.

٤ - من ناحية الإنهاء والإيقاف. ٥ - من ناحية الآثار أو ما يترتب على هذه الحرب من نتائج.

فطن لبطلان الادعاء الغربي (العنف/السيف) كاتب غربي كبير "توماس كارليل"، حيث قال في كتابه "الأبطال وعبادة البطولة" ما ترجمته: "إن اتهامه. أي سيدنا محمد ﷺ. بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم؛ إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس، أو يستجيبوا له، فإذا آمن به من يقدر على حرب خصومهم، فقد آمنوا به طائعين مصدقين، وتعرضوا للحرب من غيرهم قبل أن يقدروا عليها (١)". وهو مقاله المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" وهو يتحدث عن سر انتشار الإسلام في عهده ﷺ وفي عصور الفتوحات من بعده. "قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة، ولم ينتشر الإسلام إذن بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقت الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند. التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل. ما زاد عدد المسلمين إلى خمسين مليون نفس فيها.. ولم يكن الإسلام أقل انتشاراً في الصين التي لم يفتح العرب أي جزء منها قط، وسترى في فصل آخر سرعة الدعوة فيها، ويزيد عدد مسلميها على عشرين مليوناً في الوقت الحاضر" (٢).

إن المطالع لآيات وأحاديث الجهاد، يخرج بصورة المجاهد في سبيل الله، أنه ذلك الفارس النبيل الأخلاقي المدرب على أخلاق الفروسية العالية الراقية؛ حتى يستطيع أن يمتثل إلى الأوامر والنواهي الربانية التي تأمره بضبط النفس قبل المعركة وأثناء المعركة وبعد المعركة، فقبل المعركة يجب عليه أن يحجر نفسه من كل الأطماع، وألا يخرج مقاتلاً من أجل أي مصلحة شخصية، سواء كانت تلك المصلحة من أجل نفسه أو من أجل الطائفة التي ينتمي إليها، أو من أجل أي عرض دنيوي آخر، وينبغي أن يتقيد بالشروط التي أحل الله فيها الجهاد، وأن يجعل ذلك لوجه الله تعالى، ومعنى هذا أنه سوف يلتزم بأوامر الله، ويستعد لإنهاء الحرب فوراً، إذا ما فقدت الحرب شرطاً من شروط حلها أو سبباً من أسباب استمرارها، وسواء أكان ذلك الفارس منتصراً، أو أصابه الأذى من عدوه، فإن الله يأمره بضبط النفس، وعدم تركها

(١) - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ١٦٦ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) - غوستاف لوبون حضارة العرب ص ١٢٨، ١٢٩ ط الهيئة المصرية للكتاب.

لانتقام، والتأكيد على الالتزام بالمعاني العليا، وكذلك الحال بعد القتال، فإنه يجب عليه أن يجاهد نفسه الجهاد الأكبر؛ حتى لا يتحول الفارس المجاهد إلى شخص مؤذٍ لمجتمعه أو لجماعته أو للآخرين، وبالرغم من أن لفظة الجهاد إذا أطلقت انصرف الذهن إلى معنى القتال في سبيل الله. إلا أن الرسول ﷺ قد أسماه بالجهاد الأصغر، وسمى الجهاد المستمر بعد القتال بالجهاد الأكبر؛ لأن القتال يستمر ساعات أو أيام، وما بعد القتال يستغرق عمر الإنسان كله.... ويتضح لنا أيضا أن من شروط وضوابط الحرب:

- (١) النبل والوضوح في الوسيلة والهدف.
- (٢) لا قتال إلا مع المقاتلين ولا عدوان على المدنيين.
- (٣) إذا جنحوا للسلم وانتهوا عن القتال فلا عدوان إلا على الظالمين.
- (٤) المحافظة على الأسرى ومعاملتهم المعاملة الحسنة التي تليق بالإنسان.
- (٥) المحافظة على البيئة ويدخل في ذلك النهى عن قتل الحيوان لغير مصلحة وتحريق الأشجار، وإفساد الزروع والثمار، والمياه، وتلويث الآبار، وهدم البيوت.
- (٦) المحافظة على الحرية الدينية لأصحاب الصوامع والرهبان وعدم التعرض لهم.

### الجهاد في الإسلام اتسم بنبل الغاية والوسيلة معا، فلا غرو أن تكون الآثار

والثمار المتولدة عن هذا الجهاد متناسقة تماما في هذا السياق من النبل والوضوح؛ لأن النتائج فرع عن المقدمات، ونلخص هذه الآثار في النقاط التالية:

- (١) تربية النفس على الشهامة والنجدة والفروسية.
- (٢) إزالة الطواغيت الجاثمة فوق صدور الناس، وهو الشر الذي يؤدي إلى الإفساد في الأرض بعد إصلاحها.

(٣) إقرار العدل والحرية لجميع الناس مهما كانت عقائدهم.

(٤) تقديم القضايا العامة على المصلحة الشخصية.

(٥) تحقيق قوة ردع مناسبة لتأمين الناس في أوطانهم.

يقول الله سبحانه: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ [الحج: ٢٩].

قال المفسرون : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أى لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء، لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بينته أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة. فالجهاد أمر متقدم فى الأمم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات؛ فكأنه قال: أذن فى القتال، فليقاتل المؤمنون. ثم قوى هذا الأمر فى القتال بقوله: (ولولا دفع الله الناس) الآية؛ أى لولا القتال والجهاد لتغلب على الحق فى كل أمة. فمن استشبع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقض لمذهبه؛ إذ لولا القتال لما بقى الدين الذى يذب عنه. وأيضاً هذه المواضع التى اتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم وقبل نسخ تلك الملل بالإسلام إنما ذكرت لهذا المعنى؛ أى لولا هذا الدفع لهدمت فى زمن موسى الكنائس، وفى زمن عيسى الصوامع والبيع، وفى زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد. " لهدمت " من هدمت البناء أى نقضته فانهدم. قال ابن عطية: هذا أصوب ما قيل فى تأويل الآية (١) .

### الحرب ظاهرة اجتماعية لطفتها تعاليم وحروب النبي ﷺ :

الحرب ظاهرة إنسانية قديمة قدم الإنسان على ظهر هذه البسيطة، فمنذ وُجد الإنسان وهو يصارع ويحارب، وكعلاقة من العلاقات الاجتماعية الحتمية نشأت الحرب، فالاحتكاك بين البشر لا بد وأن يُؤلِّد صداماً من نوع ما، لقد جبل الإنسان على غريزة التملك التى تدعوه إلى التشبث بما يملكه، حيث إن هذه الغريزة هى التى تحفظ عليه البقاء فى الحياة، وهى بالتالى التى تتولد عنها غريزة المقاتلة، فى أبسط صورها دفاعاً عن حقه فى الاستمرار والحياة، وقد تتعدى نفسية الإنسان وتصبح حاجاته ومتطلباته مركبة، فلا يقاتل طالباً للقوت أو دفاعاً عنه فقط، وإنما يقاتل طلباً للحرية ورفعاً للظلم واسترداداً للكرامة. ويُفصّل العلامة ابن خلدون هذه الحقيقة فى مقدمته فيقول: " اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة فى الخليقة منذ برأها الله، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منها أهل عصبته، فإذا تدامروا لذلك وتوافقت الطائفتان؛ إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع، كانت الحرب وهو أمر طبيعى فى البشر، إما غيرة ومنافسة وإما عدوان وإما غضب لله ولدينه، وإما غضب للملك وسعى فى تمهيدته " (١) .

(١) - تفسير القرطبي (٧٠ / ١٢) مرجع سابق، وتفسير ابن عطية (المتوفى: ٥٤٢هـ) (١١٢ / ٤) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢

(١) - مقدمة ابن خلدون (٣٣٤ / ١) المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

## الحرب فى الكتب المقدسة قبل الإسلام:

### الحرب فى العهد القديم:

وردت أسباب الحرب فى ست وثلاثين آية تقع فى ثمانية أسفار من أسفار العهد القديم هي: (التكوين . العدد . التثنية . يوشع . القضاة . صموئيل الأول . الملوك الثانى . حزقيال) .

(١) جاء فى حزقيال الإصحاح (١: ٢١-٥): " وكان إلى كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم اجعل وجهك نحو أورشليم وتكلم على المقدس وتنبأ على أرض إسرائيل وقل لأرض إسرائيل هكذا قال الرب هأنذا عليك وأستل سيفى من غمده فأقطع منه الصديق والشرير من حيث إبنى أقطع منك الصديق والشرير فلذلك يخرج سيفى من غمده على كل بشر من الجنوب إلى الشمال فيعلم كل بشر أنى أنا الرب سللت سيفى من غمده لا يرجع أيضاً " .

(٢) وجاء فى سفر يوشع الإصحاح (٣: ٢٣-٥) " انظروا: قد قسمت لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين ملكاً حسب أسباطكم من الأردن وجميع الشعوب التى قرضتها والبحر العظيم نحو غروب الشمس والرب إلهكم هو ينفيهم من أمامكم ويطردهم من قدامكم فتملكون أرضهم كما كلمكم الرب إلهكم " .

(٣) وجاء فى سفر القضاة (١: ٢٧) " وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوا بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار " .

(٤) وفى سفر القضاة (١٨: ٣٠) " فأما هم فقد أخذوا ما صنع ميخاً والكاهن الذى له وجاءوا إلى لايش إلى شعب مستريح مطمئن فضربوهم بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار ولم يكن من ينقذ لأنها بعيدة عن صيدون " .

(٥) وفى التكوين الإصحاح (٣٤: ٢٥-٢٩) " فحدث فى اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابني يعقوب شمعون ولاوى أخوى دينة أخذ كل واحد منهما سيفه وأتيا على المدينة بأمن!! وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف لأنهم بخسوا أختهم، غنمهم وبقرهم وكل ما فى المدينة وما فى الحقل أخذوه وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما فى البيوت " .

(٦) وفي سفر العدد (٢١ : ٣٤-٣٥) : " فقال الرب لموسى لا تخف منه لأني قد دفعته إلى يدك مع جميع قومه وأرضه فتفعل به كما فعلت بـسيحون ملك الأموريين الساكن في حبشون فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق لهم شارد وملكوا أرضه " .

(٧) وفي سفر العدد الإصحاح (٣٣ : ٥٠-٥٣) : تطالعنا التوراة، أن الله قد أمر موسى . عليه السلام . أن يشن حرباً على أقوام قد عبدوا غير الله . سبحانه وتعالى .: " وكلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً: " كلم بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم " .

(٨) وفي سفر أشعيا ( ١٣:١): "وتحطم اطفالهم امام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نسائهم (٩) وفي هوشع ( ١٣ : ١٦) : "تجازى السامرة لأنها قد تمردت على الهها. بالسيف يسقطون. تحطم اطفالهم والحوامل تشقّ " .

(١٠) وفي سفر الخروج (٣٢ : ٢٧): "فقال لهم هكذا قال الرب اله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب الى باب في المحلّة واقتلوا كل واحد اخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه " .

(١١) وفي سفر العدد (٢٥ : ٥) : " فقال موسى لقضاة اسرائيل اقتلوا كل واحد قومه المتعلّقين ببعل فغور " .

(١٢) وفي سفر العدد (٣١ : ١٧) : " الآن اقتلوا كل ذكر من الاطفال . وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقلوها . ١٨ لكن جميع الاطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكرا بقوهنّ لكم حيّات . " .

هذه بعض من حروب بني إسرائيل التي سجلتها نصوص كتبهم وأسفارهم، فمفهوم الحرب والقتال، ليس مفهوماً كريهاً من وجهة النظر التوراتية، وكأنها حروب مستمدة من الشريعة الدينية التوراتية، وهي كانت دائماً تتم بمباركة الرب ومعونته وكأن الرب . حسب تعبير التوراة . قد استل سيفه من غمده فلا يرجع (حزقيال (٢١ : ٥)) .

**الحرب في العهد الجديد:**

الإنجيل لم يهمل الكلام عن الحروب بالكلية، بل جاء نص واضح صريح، لا يحتمل التأويل ولا التحريف يقرر أن المسيحية على الرغم من وداعتها وسماحتها التي تمثلت في النص الشهير " من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر " . إلا أنها تشير إلى أن السيد المسيح . عليه السلام . قد يحمل السيف ويخوض غمار القتال إذا دعت الظروف لذلك؛ فجاء في الإنجيل على لسان السيد المسيح: " لا تظنوا أني جئت لأرسي سلاماً على الأرض، ما جئت لأرسي سلاماً، بل سيفاً، فإني جئت لأجعل الإنسان على خلاف مع أبيه، والبنت مع أمها والكنة مع حماتها وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته " (متى ( ١٠ : ٣٤-٣٦ )) .

ولعلنا نلاحظ التشابه الكبير بين هذه المقولة وحديث الرسول ﷺ : [بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده] (١).

في لوقا (١٩ : ٢٧) أَمَا أَعْدَائِي، أَوْلِيكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأَتُوا بِحِمِّي إِلَى هُنَا وَادْبَحُوهُمْ قُدَّامِي... فيسوع نار آكلة وليس إله محبة (عبرانيين ١٢ : ٢٩) لَأَنَّ إِلَهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ مما سبق يتبين لنا واضحاً وجلياً أن الحرب والقتال سنة كونية سرت في الأمم جميعاً، ولم نر في تاريخ الأمم أمة خلت من حروب وقتال، ورأينا من استعراض الكتب المقدسة . التوراة والإنجيل . أنه سنة شرعية لم تخل شريعة من الشرائع السماوية السابقة على الإسلام من تقريره والقيام به كما مر . لقد كان هذا القدر كافياً في إثبات أن محمداً ﷺ سائر على سنن من سبقه من الأنبياء، وأن الجهاد لتقرير الحق والعدل مما يمدح به الإسلام؛ لا مما به يشان، وأن ما هو جواب لهم في تبرير هذه الحروب وسفك الدماء كان جواباً لنا في مشروعية ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم من القتال والجهاد.

## الحرب عند العرب قبل الإسلام

سجلت كتب التاريخ والأدب العربي ما اشتهر وعرف بأيام العرب، وهي عبارة عن مجموعة من الملاحم القتالية التي نشبت بين العرب قبل مبعث النبي ﷺ، وليس يعنينا سرد هذه الملاحم وتفصيلها ولكن الذي يعنينا هنا أن نقف على بعض الجوانب التي تصلح للمقارنة (الأسباب . الزمن المستغرق . الآثار التي خلفتها هذه الحروب) . وقد ذكرت كتب التواريخ أياماً كثيرة للعرب (البسوس . وداحس والغبراء . يوم النصار . يوم الجفار . يوم الفجار . يوم ذى

(١) - رواه أحمد ح (٥١١٤) وقال المحقق اسناده ضعيف على نكارة في بعض ألفاظه .

قار . يوم شعب جبلة . يوم رحران ٠٠٠ إلخ) والمتأمل في هذه الملاحم والأيام يرى أن الحماسة الشديدة والعصبية العمياء وعدم الاكتراث بعواقب الأمور والشجاعة المتهورة التي لا تتسم بالعقل، كانت هي الوقود المحرك لهذه الحروب، هذا فضلاً عن تفاهة الأسباب التي قامت من أجلها هذه المجازر، والمدة الزمنية الطويلة التي استمرت في بعضها عشرات السنين، والآثار الرهيبة التي خلفتها هذه الحروب<sup>(١)</sup>، وعلى الرغم من أننا لم نقف على إحصاء دقيق لما خلفته هذه الحروب إلا أن الكلمات التي قيلت في وصف آثارها من الفناء والخراب وتيتم الأطفال وترمل النساء ٠٠٠ إلخ لتوقفنا على مدى ما أحدثته الحرب في نفوس الناس من اليأس والشؤم، ويصف لنا الشاعر زهير بن أبي سلمى طرفاً من ذلك في معلقته المشهورة وهو يخاطب الساعين للسلام بين عيس وذيبيان:

تداركتما عيسا وذيبيان بعدما تفا.....نوا ودقوا بينهم عطر منشم

فهو يقول للساعين للسلام: إنكما بتحملكما ديات الحرب من مالكما، أنقذتما عيسا وذيبيان بعدما يأسوا، ودقوا بينهما عطر منشم، ومنشم هو اسم لامرأة كانت تباع العطر يضرب بها المثل في التشاؤم، دليل على عظم اليأس الذي أصاب نفوس الناس من انتهاء هذه الحرب<sup>(٢)</sup> .

### الخلاصة في شرعة الجهاد :

استقر النبي ﷺ بالمدينة وأسس حكومته . فهاجت نائرة قريش والعرب وحقدوا على رسول الله ﷺ لما أحرزه من استقرار ونجاح لهذه الدولة الوليدة . دون ظلم أو استبداد أو سفك للدماء . ولذلك فقد كان ﷺ مقصوداً بالقتل، إذ ليس معقولاً أن تنام أعينهم على هذا التقدم والنمو، ومصالحهم قائمة على الزعامة الدينية في جزيرة العرب، وهذه الدولة الجديدة قائمة على أساس ديني ربما يكون سبباً في زوال هذه الزعامة الدينية الوثنية الموروثة. وإذا كان الإسلام ديناً بلغت الميول السلمية فيه مداها في قوله تعالى: (فاصفح عنهم وقل سلام) (٥٣) إلا أن الميول السلمية لا تتسع لمنع القائمين بهذا الدين الجديد من الدفاع عن أنفسهم وعن دينهم الذي أنزله الله للإنسانية كافة، في عالم يضيع فيه الحق والعدل إن لم يكن لهما قوة تحميهما، فكان لا مناص من السماح للمسلمين بحماية أنفسهم ودينهم بالسلاح الذي

(١) - العلامة محمد أمين البغدادي ، سبائك الذهب ص ٤٤٣ ط دار الكتب العلمية

(٢) - (٥١) شرح المعلقات السبع للزوزني ص ٨٣، ط مصطفى الحلبي.

يشهره خصومهم في وجوههم، ولذلك كان التعبير بقوله تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ\* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ } [الحج: ٥٣] .

كان التعبير بالإذن الذي يدل على المنع قبل نزول الآية يدل على طروء القتال في الإسلام وأنه ظل ممنوعاً طيلة العهد المكي وبعضاً من العهد المدني ، هذا ولم يغفل الإسلام حتى في هذا الموطن . موطن الدفاع عن النفس والدين . أن ينصح لأتباعه بعدم العدوان؛ لأن الموضوع حماية حق لا موضوع انتقام ولا شفاء حزازات الصدور، وهذا من مميزات الحكومة النبوية، فإن القائم عليها من نبي يكون كالجراح يضع مشرطه حيث يوجد الداء لاستئصاله، مع عدم المساس بالأعضاء السليمة، ومقصده استبقاء حياة المريض لا قتله، والعالم كله في نظر الحكومة النبوية شخص مريض تعمل لاستدامة وجوده سليماً قوياً.. إن طبيعة هذا العالم مبنية على التدافع والتغالب ليس فيما بين الناس فحسب، ولكن فيما بينهم وبين الوجود المحيط بهم، وبين كل فرد والعوامل المتسلطة عليه من نفسه، ولا أظن أن قارئاً من قرائنا يجهل الناموس الذي اكتشفه دارون وروسل ولاس ودعوه ناموس تنازع البقاء وبنوا عليه كل تطور أصاب الأنواع النباتية والحيوانية والإنسان أيضاً " (١) .

" ألم تر كيف تصدى خصوم الدين النصراني للمسيح، وما كان يدعو إلا للصلاح والسلام حتى إنهم استصدروا أمراً بصلبه فنجاه الله منهم، وما زالوا بالذين اتبعوه يضطهدونهم ويقتلونهم حتى مضت ثلاثة قرون وهم مشردون في الأرض لا تجمعهم جامعة، إلى أن حماهم من أعدائهم السيف على يد الإمبراطور قسطنطين الذي أعمل السيف في الوثنيين من أعدائهم.. أفيريد مثيرو هذه الشبهة أن يقوم دين على غير السنن الطبيعية في عالم مبنى على سنن التدافع والتنازع واستخدام القوة الحيوانية لطمس معالم الحق ودك صروح العدل ؟"

" يقول المعترضون: وماذا أعددتكم من حجة حين تجمع الأمم على إبطال الحروب وحسم منازعاتها عن طريق التحكيم، وهذا قرآنكم يدعوكم إلى الجهاد وحثكم على الاستبسال فيه؟

نقول: أعددتنا لهذا العهد قوله تعالى: {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم} [الأنفال: ٥٥] .

(١) - السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة لمحمد فريد وجدى ص ١٦٤، ١٦٣ بتصرف. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

" هذه حكمة بالغة من القرآن، بل هذه معجزة من معجزاته الخالدة، وهي أدل دليل على أنه لم يشرع الحرب لذاتها، ولكن لأنها من عوامل الاجتماع التي لا بد منها ما دام الإنسان في عقليته ونفسيته المأثورتين عنه، غير أنه لم ينف أن يحدث تطور عالمي يتفق فيه على إبطال الحرب فصرح بهذا الحكم قبل حدوثه ليكون حُجة لأهله من ناحية، وليدل على أنه لا يريد الحرب لذاتها من ناحية أخرى، ولو كان يريد لها لذاتها لما نوه لهذا الحكم "(١). لهذا قال ﷺ لأعدائه بعدما قدر عليهم: " اذهبوا فأنتم الطلقاء " هكذا دون شرط أو قيد، أقول حتى دون اشتراط الإسلام. والنتائج الحقيقية:

(١) تحويل العرب الوحوش إلى عرب متحضرين، والعرب الملحدون الوثنيين إلى عرب مسلمين موحدين.

(٢) القضاء على أحداث السلب والنهب وتعزيز الأمن العام في بلاد تفوق مساحتها مساحة فرنسا بضعفين.

(٣) إحلال الأخوة والروحانية محل العداوة والبغضاء.

(٤) إثبات الشورى مكان الاستبداد (٢) .

هذا وقد وضع رسول الله ﷺ ضوابط وقيود كان من شأنها أن تحدد وظيفة الجهاد في نشر الإسلام في ربوع المعمورة، دون سفك للدماء ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

ومن هذه الضوابط قوله تعالى: ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾ {الانفال: ٨٧} . فإن كان بين المسلمين والكفار عهد أو أمان فلا يجوز للمسلمين الغدر حتى ينقضي الأمد، فإن خاف المسلمون من أعدائهم خيانة بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم، فحينئذ يخبرهم المسلمون أنه لا عهد بيننا وبينكم حتى يستوى علم المسلمين وعلم أعدائهم بذلك. ودلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة من الأعداء لم يحتج أن ينبذ إليهم عهدهم، لأنه لم يخف منهم بل علم ذلك. ودل مفهوم الآية أيضاً على أنه إذا لم يخف منهم خيانة بأن يوجد منهم ما يدل على عدم الخيانة، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته (١) .

(١) - السيرة النبوية لمحمد فريد وحدي ١٦٥، ١٦٦. و حقائق الإسلام في مقابل شبهات المشككين الشبهة رقم ٦٥. مرجع سابق

(٢) - رحمة للعالمين للمنصور فوري ص ٤٦٣. عن حقائق الإسلام في مقابل شبهات المشككين الشبهة رقم ٦٥ مرجع سابق .

(١) - تفسير ابن كثير (٤ / ٧٩) والقرطبي (٨ / ٣١) والتفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٦ / ١٣٦) . مراجع سابقة .

أما ما أثبتته الواقع فلقد كانت أهم خصائص انتشار الإسلام :

. عدم إبادة الشعوب.

. جعلوا العبيد حكاماً.

. لم يفتحوا محاكم تفتيش.

. ظل اليهود والنصارى والهندوك في بلادهم.

. تزاوجوا من أهل تلك البلاد وبنوا أسراً وعائلات على مر التاريخ (١) .

## رد شبهة التجاوز في التعامل مع بني قريظة

والشبهة التي تثار عند الحديث عن عدم دموية الحروب النبوية هي قتله لرجال قبيلة بني قريظة، والتي اختلفت الروايات في تحديد أعدادهم، فهم يتراوحون بين أربعمئة وسبعمئة رجل.. وقبل الحديث عن الحدث نفسه نود أولاً أن نقف على حيثيات وظروف ذلك الحكم..

فمن المعروف أن النبي ﷺ بمجرد قدومه المدينة عقد مع اليهود الموجودين بها معاهدة رائدة، تعد بمثابة أقدم دستور مسجل في العالم، والتي كان من أهم بنودها: التزام كل من المسلمين واليهود بالمعايشة السلمية فيما بينهما وعدم اعتداء أي فريق منهما على الآخر في الداخل. وتعهد كل من الطرفين بالدفاع المشترك عن المدينة ضد أي اعتداء خارجي، وعلى اليهود أن يتفقوا مع المؤمنين ما داموا محاربين.

في العام الخامس من الهجرة؛ أن تجمعت أكبر قوة معادية للمسلمين في ذلك الوقت للقضاء عليهم داخل المدينة، وأحاطت جيوش الأحزاب بالمدينة في عشرة آلاف مقاتل من مشركي قريش وقبائل غطفان وأشجع وأسد وفزارة وبني سليم، على حين لم يزد عدد المسلمين على ثلاثة آلاف مقاتل. وكان المتوقع أن تنضم بني قريظة إلى صفوف المسلمين ضد القوات الزاحفة على المدينة بناء على نصوص المعاهدة المبرمة بين الفريقين، لكن الذي حدث هو عكس هذا تماماً! فلم تكتف بنو قريظة بمجرد السلبية، ولكن فوجئ المسلمون بهم يخونهم في أخطر أوقات محنتهم، ولم يراعوا للعهود حرمة، في سبيل التعجيل بسحق المسلمين والقضاء عليهم قضاء تاماً.

(١) - راجع حقائق الاسلام مقابل شبهات المشككين لنخبة من علماء مصر الشبهة ٦٥ .مرجع سابق، جواب الشبهة ل د. محمود حمدي زقزوق

وبمجرد أن سمع رسول الله ﷺ بهذه الخيانة الخطيرة أرسل وفدًا مكونًا من سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عباد سيد الخزرج، وعبد الله بن رواحة، وخوات بن جبير -رضي الله عنهم-؛ ليدركوا القوم بما بينهم وبين المسلمين من عهود، ويجذروهم مغبة ما هم مقدمون عليه، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخصب ما بلغهم عنهم، وقالوا عن رسول الله ﷺ: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبينه!! وهكذا ركب القوم رءوسهم، وقرروا الانضمام الفعلي للغزاة، وأخذوا يمدونهم بالمال والعتاد.

وقد تدخلت عناية الله لنصرة الإيمان وأهله، وشاء الله أن يندحر ذلك التحالف الوثني اليهودي { وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ } الأحزاب : 25، وبعدها مباشرة جاء الوحي رسول الله ﷺ بأمره بأن ينهض إلى بني قريظة؛ جزاء لمكرهم وغدرهم وخيانتهم، فسار إليها وحاصرها ﷺ والمسلمون شهرًا أو خمسة وعشرين يومًا.. ولما طال عليهم الحصار عرضوا على الرسول ﷺ أن يتركهم ليخرجوا إلى أذرعات بالشام تاركين وراءهم ما يملكون، ورفض ﷺ إلا أن يستسلموا دون قيد أو شرط، وبالفعل استسلم يهود بني قريظة، ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فوكل الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ أحد رؤساء الأوس. وكان سعد حليف بني قريظة في الجاهلية، وقد ارتاح اليهود لهذا الاختيار، وظنوا أن الرجل قد يحسن إليهم في حكمه، لكن سعدًا نظر إلى الموقف من جميع جوانبه، وقدره تقدير من عاش أحداثه وظروفه، وشاهد كربوه ومآزقه، وعرف النذر المستطيرة التي تراءت في الأفق، فأوشكت أن تطيح بالعصبة المؤمنة لولا عناية الله عز وجل التي أنقذت الموقف.. وكان هو نفسه الذي شفع لديهم بادئ ذي بدء ليرجعوا عن غدرهم وغيرهم، لكن القوم مضوا في عنادهم لا يقدرن للنتائج عاقبة، ولا يراعون الله في حلف ولا ميثاق، ولذلك لما كُلم في شأنهم أكثر من مرة قال -رضي الله عنه-: "لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم"، ثم بعد أن أخذ الموثيق على الطرفين أن يرضى كل منهما بحكمه أمر بني قريظة أن ينزلوا من حصونهم وأن يضعوا السلاح ففعلوا، ثم قال: "إني أحكم أن تقتل مقاتليهم وتسبي ذريتهم وأموالهم"، فقال رسول الله ﷺ: «حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَمَآوَاتٍ»!! فقتل رجالهم وسبي نساؤهم وذراريهم، ولاقى بنو قريظة أسوأ مصير على أفضح خيانة.. وهنا يجلو للبعض أن يُشككوا في تصرف الرسول ﷺ ومعاملته لبني قريظة، ويعتبروا أن

معاملته هذه لهم تتسم بالوحشة والقسوة، وأنه كان من الممكن أن يعاقبوا بأي عقاب آخر كالإجلاء أو النفي..

وللبيان والتوضيح نقول: ماذا لو أن نتيجة غزوة الأحزاب تمت حسبما كان يخطط لها بنو قريظة وأحزابهم، ألم تكن هي الإبادة التامة للمسلمين أجمعين؟! على أن اليهود لم يُقدِّموا على هذا العمل الخسيس إلا بعد أن تكوّن لديهم ما يشبه اليقين بأنهم -بمساعدة المشركين- سوف يقومون بتدمير الكيان الإسلامي تدميرًا كاملاً، واستئصال شأفة المسلمين استئصالاً كلياً، ولهذا لم يترددوا في الغدر بحلفائهم المسلمين، وعلى تلك الصورة البشعة. ولقد كانوا حريصين الحرص كله على إبادة المسلمين، حتى لقد طلبوا من الأحزاب والمشركين أن يُسلموا إليهم سبعين شاباً من أبنائهم رهائن عندهم؛ ليضمنوا أن جيوش الأحزاب لن تنسحب من منطقة المدينة إلا بعد أن تفرغ من المسلمين وتقضي عليهم قضاء تاماً.

فعلى الذين يستبشعون الحكم على بني قريظة، ويصفونه بأنه كان قاسياً شديداً، عليهم أن يحيطوا علماً بجوانب الموضوع، وظروف القضية؛ ليدركوا أن اليهود هم الذين جروا الوبال على أنفسهم (١).

وأخيراً :

فلو تتبع إنسان نصوص العهد القديم والجديد معاً؛ لوجدها تطالب المؤمنين بهذا الكتاب المقدس أن يببدا خصومهم عن آخرهم، وأن يسبوا صغارهم ونساءهم، وأن يخربوا بيوتهم ويحرقوا زروعهم؛ عقوبةً من الله تعالى لهم؛ لأنهم حاربوا المؤمنين. أما في الشرعة الدوليّة المعاصرة؛ فإنّ أمريكا قتلت في العراق (مليون شهيد) وفي أفغانستان مليوناً آخر! وفرنسا الظريفة اللطيفة قتلت أكثر من ١٠ مليون جزائريّ.

فلماذا تقفون عند رقم (٦٠٠) رجل خائن ناقض للعهد، ولا تقفون عند هذه الأرقام التي تريد على مجموع أعداد دول معترفٍ بها في منظمة (الأمم المختلفة)؟

الحكم عليهم كان من منظور قوله تعالى: (فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (٤٢) فالرسول ﷺ كان يقضي على أهل الكتاب بشريعتهم، وشريعتهم تقول:

(١) - كتاب (أخلاق الحروب في السنة النبوي) للدكتور راغب السرجاني. وعن موقع قصة الإسلام .

اقتل المقاتلة، واسب النساء والذاري. وفي تلك الأيام لم يكن قوانين دوليّة، ولا محاكم دولية عليا، إنما كانت المعاملة بالمثل هي الشرعة السائدة في الحروب.

على أنه قد جاء في الروايات الصحيحة أنّ الذين قتلهم الرسول ﷺ من رجال بني قريظة، كان جمعهم في دار امرأة من الأنصار، قريباً من سوق المدينة. (أي عددهم أقل مما ذكر) الخلاصة : { وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ } [التوبة: ١٢].. فالرسول قتل قادتهم المجرمين الغادرين، أو قاتل المحاربين على أبعاد احتمال. و هم لا يعجبهم أن يُقَادَ منهم، لكنهم لا يرقبون في المسلمين إلاّ ولا ذمّة متى ما أرادوا ! { كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ } [التوبة: ٨].

### المطلب السادس : الرد على شبهة اهتمامه ﷺ بالدنيا والغنائم

من الشبه التي أثارها أعداء الإسلام، وروّجوا لها بهدف تشويه شخصية محمد صلى الله عليه وآله وسلم، للوصول إلى الطعن في دعوته، وإبعاد الناس عنها، ما يدّعون أنه كان صاحب مطامع دنيوية، لم يكن يظهرها في بداية دعوته في مكة، ولكنه بعد هجرته إلى المدينة بدأ يعمل على جمع الأموال والغنائم من خلال الحروب التي خاضها هو وأصحابه، ابتغاء تحصيل مكاسب مادية وفوائد معنوية.

ومن صرح بذلك "دافيد صمويل مرجليوت " المستشرق الإنجليزي اليهودي، حيث قال: "عاش محمد هذه السنين الست بعد هجرته إلى المدينة على التلصص والسلب والنهب.. وهذا يفسر لنا تلك الشهوة التي أثرت على نفس محمد، والتي دفعته إلى شن غارات متتابعة، كما سيطرت على نفس الإسكندر من قبل ونابليون من بعد "

والحق، فإن الناظر في سيرته ﷺ ، والمتأمل في تاريخ دعوته، يعلم علم اليقين أنه ﷺ لم يكن يسعى من وراء كل ما قام به إلى تحقيق أي مكسب دنيوي، يسعى إليه طلاب الدنيا واللاهثون وراءها، وهذا رد إجمالي على هذه الشبهة، أما الرد التفصيلي فبيانه فيما يلي:

١- ما ذكر في هذه الشبهة لا يوجد عليه دليل في واقع حياة رسول الله ﷺ ، إذ لو كان كما قيل لعاش عيشة الملوك، في القصور والبيوت الفارهة، ولاتخذ من الخدم والحراس والحشم ما يكون على المستوى المناسب مع تلك المطاعم المزعومة، بينما الواقع يشهد

بخلاف ذلك، إذ كان في شظف من العيش، مكثفياً بما يقيم أود الحياة، وكانت هذه حاله ﷺ منذ أن رأى نور الحياة إلى أن التحق بالرفيق الأعلى..، يشهد لهذا أنّ بيوته ﷺ كانت عبارة عن غرف بسيطة لا تكاد تتسع له ولزوجاته.

وكذلك الحال بالنسبة لطعامه وشرابه، فقد كان يمر عليه الشهر والشهران لا توقد نازاً في بيته، ولم يكن له من الطعام إلا الأسودان - التمر والماء-، فعن عائشة رضي الله عنها قالت لعروة: (ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نازاً، فقلت: يا خالة ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان، التمر والماء).<sup>(١)</sup> وسيرته ﷺ حافلة بما يدل على خلاف ما يزعمه الزاعمون.

٢- ثم إن هذه الشبهة تتناقض مع الزهد الذي عُرف به النبي ﷺ، وحث عليه أصحابه، فقد صح عنه أنه قال: (إن مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها)<sup>٢</sup>، وقرن في التحذير بين فتنة الدنيا وفتنة النساء، فقال: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)<sup>(٣)</sup>.

٣- ومما يدحض هذه الشبهة وينقضها من أساسها أن أهل مكة عرضوا على رسول الله ﷺ المال والملك والجاه من أجل أن يتخلى عن دعوته، فرفض ذلك كله، وفضل أن يبقى على شظف العيش مع الاستمرار في دعوته، ولو كان من الراغبين في الدنيا لما رفضها وقد أتته من غير عناء.

٤- أنّ الوصايا التي كان يزود بها قواده تدل على أنه ﷺ لم يكن طالب مغنم ولا صاحب شهوة، بل كان هدفه الأوحى والوحيد إبلاغ دين الله للناس، وإزالة العوائق المعترضة سبيل الدعوة، فهذا هو يوصي معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن بقوله: (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فتزد على فقيرهم، فإذا أقرؤا

(١) - متفق عليه . البخاري ح(٢٥٦٧) ومسلم ح(٢٩٧٢)

(٢) - مسلم ح(١٠٥٢) وأحمد ح(١١١٥٧) قال شاكر اسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٣) - رواه مسلم ح(٢٧٤٢) وأحمد ح(١١١٦٩) قال شاكر اسناده صحيح على شرط الشيخين

بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس ) . (١) فهو ﷺ لم يقاتل أحداً، قبل دعوته إلى الإسلام، الذي تصان به الدماء والحرمات.

٥- ومما يُرد به على هذه الفرية أن رسول الله ﷺ قد ارتحل من الدنيا ولم يكن له فيها إلا أقل القليل، ففي الصحيح عن عمرو بن الحارث قال : ( ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهماً، ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أمة، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة ) (٢)، وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير في رف لي) (٣).

٦- وكما قيل: فإن الحق ما شهدت به الأعداء، فقد أجرى الله على ألسنة بعض عقلاء القوم عبارات تكذب هذه الشبهة، من ذلك ما قاله "كارليل" : "أيزعم الكاذبون أن الطمع وحب الدنيا هو الذي أقام محمداً وأثاره، حمق وأيم الله، وسخافة وهوس ". ويقول: "لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه، ومأكله، ومشربه، وملبسه، وسائر أموره وأحواله.. فحبذا محمد من رجل خشن اللباس، خشن الطعام، مجتهد في الله، قائم النهار، ساهر الليل، دائباً في نشر دين الله، غير طامع إلى ما يطمع إليه أصاغر الرجال، من رتبة، أو دولة، أو سلطان، غير متطلع إلى ذكر أو شهوة".

٧- وما زعمه المستشرق اليهودي "مرجليوت" من أن انتقام رسول ﷺ من يهود المدينة كان لأسباب مصطنعة وغير كافية، فجوابه أن الواقع خلاف ذلك، إذ أبرم النبي ﷺ مع اليهود معاهدة تقرهم على دينهم، وتؤمنهم في أنفسهم وأموالهم، بل تكفل لهم نصرة مظلوميهم، وحمايتهم، ورعاية حقوقهم، ولم يكن في سياسته ﷺ إبعادهم، ومصادرة أموالهم إلا بعد نقضهم العهود والمواثيق، ووقوعهم في الخيانة والمؤامرة والخداع والإنفاق على استئصال النبي ﷺ وأصحابه.

وبعد: فلا حجة لمن يدعي أن النبي ﷺ كان صاحب مطامع دنيوية، يحرص عليها، ويسعى في تحصيلها، وإنما هي دعوة صالحة نافعة، تعود بالخير على متبعيها في الدنيا والآخرة

## المطلب السابع : ولادة النبي محمد ﷺ عادية

(١) - رواه البخاري ح(١٤٥٨) ومسلم ح (٣١)

(٢) - رواه البخاري ح(٢٧٣٩) وغيره

(٣) - متفق عليه البخاري ح(٣٠٩٧) ومسلم ح(٢٩٧٣).

## الرد على الشبهة:

لأن ولادة السيد المسيح . عليه السلام . تمت على هبة من الله تبارك وتعالى للسيدة العذراء مريم . عليها السلام . وليس من خلال الزواج بينها وبين رجل . فبعض أهل الكتاب (النصارى منهم خاصة) يتصورون أن كل نبي لا بد أن يولد بمثل هذه الطريقة . وإذا كانت ولادة محمد ﷺ مثل غيره من ملايين خلق الله فإن هذا عندهم مما يعيبونه به ﷺ ويطعنون في صحة نبوته .

١- فلم يدركوا أن بشرية محمد ﷺ هي واحدة من القسمات التي شاركه فيها كل رسل الله تعالى منذ نوح وإبراهيم وغيرهما من بقية رسل الله إلى موسى . عليه السلام . الذين ولدوا جميعاً من الزواج بين رجل وامرأة . ولم يولد من غير الزواج بين امرأة ورجل إلا عيسى . عليه السلام . وكان هذا خصوصية له لم تحدث مع أى نبي قبله، ولم تحدث كذلك مع محمد صلى الله عليه وسلم .

٢- كانت ولادة محمد ﷺ إعلاناً لكونه بشراً من البشر يولد كما يولد البشر ويجرى عليه من الأحوال في أكله وشربه، وفي نومه وصحوه، وفي رضاه وغضبه وغير ذلك مما يجرى على البشر كالزواج والصحة والمرض والموت أيضاً .

٣- كان محمد ﷺ يعتز بهذه البشرية ويرأها سبيله إلى فهم الطبيعة البشرية وإدراك خصائصها وصفاتها فيتعامل معها بما يناسبها، وقد اعتبر القرآن ذلك ميزة له في قوله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (التوبة: ١٢٨) . كما أعلن محمد ﷺ اعتزازه بهذه البشرية وعجزها حين أعلن قومه أنهم لن يؤمنوا به إلا إذا فجر لهم ينابيع الماء من الأرض، أو أن يكون له بيت من زخرف، أو أن يروه يرقى في السماء وينزل عليهم كتاباً يقرأونه، فكان رده ﷺ كما حكاه القرآن: (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً) [الإسراء: ٩٣] .

٤- لقد قرر القرآن قاعدة كون الرسل من جنس من يرسلون إليهم؛ بمعنى أن يكون المرسلون إلى الناس بشراً من جنسهم، ولو كان أهل الأرض من جنس غير البشر لكانت رسل الله إليهم من نفس جنسهم وذلك في قوله تعالى: (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) [الإسراء: ٩٥] .

وعلى المعنى نفسه جاءت دعوة إبراهيم عليه السلام: {ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك} [البقرة: ١٩٥] . وقوله تعالى: {كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا} [البقرة ١٥١] . وقوله تعالى {لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم} [آل عمران: ١٦٤] . وقوله تعالى {فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله..} [المؤمنون: ٣٢] . وقوله تعالى {هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم} [الجمعة: ٢] . وغير هذا كثير مما أكده القرآن وهو المنطق والحكمة التي اقتضتها مشيئته . تعالى . لما هو من خصائص الرسالات التي توجب أن يكون المرسل إلى الناس من جنسهم حتى يحسن إبلاغهم بما كلفه الله بإبلاغه إليهم وحتى يستأنسوا به ويفهموا عنه.

ومن هنا تكون " بشرية الرسول " بمعنى أن يجرى عليه ما يجرى على الناس من البلاء والموت ومن الصحة والمرض وغيرها من الصفات البشرية فيكون ذلك أدعى لنجاح البلاغ عن الله. (١)

## المطلب الثامن :

### محاولة النبي محمد ﷺ الانتحار

الرد على الشبهة:

الحق الذى يجب أن يقال.. أن هذه الرواية التى استندتم إليها . يا خصوم الإسلام . ليست صحيحة رغم ورودها فى صحيح البخارى . رضى الله عنه ؛ لأنه أوردها لا على أنها واقعة صحيحة، ولكن أوردتها تحت عنوان " البلاغات " يعنى أنه بلغه هذا الخبر مجرد بلاغ، ومعروف أن البلاغات فى مصطلح علماء الحديث: إنما هى مجرد أخبار وليست أحاديث صحيحة السند أو المتن (٢) .

وقد علق الإمام ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى (١) بقوله: " إن القائل بلغنا كذا هو الزهرى، وعنه حكى البخارى هذا البلاغ، وليس هذا البلاغ موصولاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الكرماني: وهذا هو الظاهر " . هذا هو الصواب، وحاش أن يقدم رسول الله . وهو إمام المؤمنين . على الانتحار، أو حتى على مجرد التفكير فيه.

(١) - الشبهة رقم ٥٣ من كتاب حقائق الإسلام فى مقابل شبهات المشككين ، مرجع سابق ،

(٢) - صحيح البخارى ج ٩ ص ٣٨ ، طبعة التعاون.

(١) - فتح البارى ج ١٢ ص ٣٥٩ . مرجع سابق

وعلى كلِّ فإنَّ محمداً ﷺ كان بشراً من البشر ولم يكن ملكاً ولا مدعيّاً للألوهية. والجانب البشرى فيه يعتبر ميزة كان ﷺ يعتنى بها، وقد قال القرآن الكريم في ذلك: {قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً} [الإسراء: ٩٣] . ومن ثمَّ فإذا أصابه بعض الحزن أو الإحساس بمشاعر ما نسميه - في علوم عصرنا - بالإحباط أو الضيق فهذا أمر عادي لا غبار عليه؛ لأنه من أعراض بشريته ﷺ وحين فتر (تأخر) الوحي بعد أن تعلق به الرسول ﷺ كان يذهب إلى المكان الذي كان ينزل عليه الوحي فيه يستشرف لقاء جبريل، فهو محبٌ للمكان الذي جمع بينه وبين حبيبه بشيء من بعض السكن والطمأنينة، فماذا في ذلك أيها الظالمون دائماً لمحمد صلى الله عليه وسلم في كل ما يأتي وما يدع؟

وإذا كان أعداء محمد ﷺ يستندون إلى الآية الكريمة: {فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً} [الشعراء : ٣] . فالآية لا تشير أبداً إلى معنى الانتحار، ولكنها تعبير أدبي عن حزن النبي محمد ﷺ بسبب صدور قومه عن الإسلام، وإعراضهم عن الإيمان بالقرآن العظيم؛ فتصور كيف كان اهتمام الرسول الكريم ﷺ بدعوة الناس إلى الله، وحرصه الشديد على إخراج الكافرين من الظلمات إلى النور.

وهذا خاطر طبيعي للنبي الإنسان البشر الذي يعلن القرآن على لسانه ﷺ اعترافه واعتزازه بأنه بشر في قوله - رداً على ما طلبه منه بعض المشركين-: {وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً\* أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً\* أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً\* أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه} . فكان رده: {سبحان ربي} متعجباً مما طلبوه ومؤكداً أنه بشرٌ لا يملك تنفيذ مطلبهم: (هل كنت إلا بشراً رسولاً) [الإسراء ٩٣] .

أما قولهم على محمد ﷺ أنه ليست له معجزة فهو قول يعبر عن الجهل والحمق جميعاً. حيث ثبت في صحيح الأخبار معجزات حسية تمثل معجزة الرسول ﷺ ، كما جاءت الرسل بالمعجزات من عند ربها؛ منها نبع الماء من بين أصابعه، ومنها سماع حنين الجذع أمام الناس يوم الجمعة، ومنها تكثير الطعام حتى يكفى الجم الغفير، وله معجزة دائمة هي معجزة الرسالة

وهى القرآن الكريم الذى وعد الله بحفظه فَحُفِظَ، ووعد ببيانه؛ لذا يظهر بيانه فى كل جيل بما يكتشفه الإنسان ويعرفه. (١)

## المطلب التاسع : محمد ﷺ أمي فكيف علم القرآن؟

الرد على الشبهة: والأمي إما أن يكون المراد به من لا يعرف القراءة والكتابة أخذًا من " الأمية "، وإما أن يكون المراد به من ليس من اليهود أخذًا من " الأمية " حسب المصطلح اليهودي الذى يطلقونه على من ليس من جنسهم.

فإذا تعاملنا مع هذه المقولة علمنا أن المراد بها من لا يعرف القراءة والكتابة فليس هذا مما يعاب به الرسول، بل لعله = أن يكون تأكيدًا ودليلاً قوياً على أن ما نزل عليه من القرآن إنما هو وحى أوحى إليه من الله لم يقرأه فى كتاب ولم ينقله عن أحد ولا تعلمه من غيره. بهذا يكون الاتهام شهادة له لا عليه . وقد رد القرآن على هذه المقولة ردًا صريحًا فى قوله: {وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا\* قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورًا رحيمًا} [الفرقان: ٥-٦].

وحسب النبي الأمي الذى لا يعرف القراءة ولا الكتابة أن يكون الكتاب الذى أنزل عليه معجزًا لمشركى العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة؛ بل و متحديًا أن يأتوا بمثله أو حتى بسورة من مثله. كفاه بهذا دليلاً على صدق رسالته وأن ما جاء به . كما قال بعض كبارهم . " ليس من سجع الكهان ولا من الشعر ولا من قول البشر " .

أما إذا تعاملنا مع مقولتهم عن محمد ﷺ أنه " أمي " على معنى أنه من الأميين . أي من غير اليهود . فما هذا مما يعيبه . بل إنه لشرف له أنه من الأميين أي أنه من غير اليهود . ذلك لأن اعتداد اليهود بالتعالى على من عداهم من " الأميين " واعتبار أنفسهم وحدهم هم الأرقى والأعظم وأنهم هم شعب الله المختار . كما يزعمون .

كل هذا مما يتنافى تمامًا مع ما جاء به محمد ﷺ من المساواة الكاملة بين بنى البشر رغم اختلاف شعوبهم وألوانهم وألسنتهم على نحو ما ذكره القرآن؛ الذى اعتبر اختلاف الأجناس والألوان والألسنة هو مجرد التعارف والتمايز؛ لكنه . أبدًا . لا يعطى تمييزًا لجنس على جنس، فليس فى الإسلام . كما يزعم اليهود . أنهم شعب الله المختار .

١ - شبهة رقم ٥٢ من حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين . مرجع سابق

ولكن التمايز والتكريم في منظور الإسلام؛ إنما هو بالتقوى والصالح كما في الآية الكريمة: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم} [الحجرات: ١٣]. (١)

## المطلب العاشر : محمد ﷺ يحرم ما أحل الله

الرد على الشبهة:

استند الظالمون لمحمد ﷺ في توجيه هذا الاتهام إلى ما جاء في مفتتح سورة التحريم من قوله تعالى: {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم} . بشكل بسيط جدا التحريم هو المنع والدليل قوله تعالى [آل عمران : ٩٣]: {كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين}

يستطيع شخص ان يحرم على نفسه فرضا الموز او التفاح زهدا فرضا منه في توفير التكاليف ولعدم الاسراف فلا ضير في ذلك فهو مخير بأن يأكل او لا ياكل فهذا الله أعطاه الحق بذلك ، وهذه الآية وآيات بعدها تشير إلى أمر حدث في بيت النبي ﷺ عاتبته نساؤه وتظاهرن عليه بدوافع الغيرة المعروفة عن النساء عامة إذ كان ﷺ قد دخل عند إحداهن وأكل عندها طعامًا لا يوجد في بيوتهن، فأسر إلى إحداهن بالأمر فأخبرت به أخريات فعاتبته فحرم ﷺ تناول هذا الطعام على نفسه ابتغاء مرضاتهن.

والواقعة صحيحة لكن اتهام الرسول بأنه يحرم ما أحل الله هو تصيد للعبارة وحمل لها على ما لم ترد له.. فمطلع الآية { لم تحرم ما أحل الله لك } هو فقط من باب " المشاكلة " لما قاله النبي لنسائه ترضية لهن؛ والنداء القرآني ليس اتهامًا له ﷺ بتحريم ما أحل الله؛ ولكنه من باب العتاب له من ربه سبحانه الذي يعلم تبارك وتعالى أنه ﷺ يستحيل عليه أن يحرم شيئًا أو أمرًا أو عملاً أحله الله؛ ولكنه يشدد على نفسه لصالح مرضاة زوجاته من خلقه العالي الكريم.

ولقد شهد الله للرسول بتمام تبليغ الرسالة فقال: {ولو تقول علينا بعض الأقاويل \* لأخذنا منه باليمين \* ثم لقطعنا منه الوتين \* فما منكم من أحد عنه حاجزين} [الحاقة:

(١) - شبهة رقم ٥٥ من حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق

٤٤ - ٤٧] . وعليه فالقول بأن محمداً ﷺ يحرم ما أحل الله من المستحيلات على مقام نبوته التي زكاها الله تبارك وتعالى وقد دفع عنه مثل ذلك بقوله: {وما ينطق عن الهوى\* إن هو إلا وحي يوحى} [النجم: ٣ - ٤] .

فمقولة بعضهم أنه يحرم هو تحميل اللفظ على غير ما جاء فيه، وما هو إلا وعد أو عهد منه ﷺ لبعض نسائه فهو بمثابة يمين له كفارته ولا صلة له بتحريم ما أحل الله. (١)

## المطلب الحادي عشر : تحليل إنكار الله .

جاء في سورة [النحل: ١٠٦] أن الإكراه على الكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان؛ يجوز. وهذا لا يصح لأنه ليس من الأمانة أن يزور الإنسان في عقيدته.  
الرد على الشبهة:

إن الضرورات تبيح المحظورات. وهذا موجود بكثرة في التوراة وفي الإنجيل ومن ذلك: ما جاء في الإصحاح الثالث عشر من سفر الملوك الأول أن رجلاً من رجال الله جاء إلى مدينة " بيت إيل " وتبأ عليه. وقال له الملك ادخل إلى بيتي لأعطيك أجرة؛ فأبى بحجة أنه أمر من الله أن يعود مسرعاً. وكان نبي شيخ ساكناً في بيت إيل. فأتى إليه بنوه وقصوا عليه قصة رجل الله. فقال لهم: دلوني على الطريق التي رجع منها. فلما لحقه قال له: ارجع معي لتتقوت. فأبى. فقال له النبي الشيخ: " أنا أيضاً نبي مثلك. وقد كلمني ملاك بكلام الرب قائلاً: ارجع به معك إلى بيتك. فياًكل خبزاً ويشرب ماء. كذب عليه. فرجع معه وأكل خبزاً وشرب ماء [١ مل ١٣ : ١٩.١٧] . فقد استعمل الحيلة في إرجاعه و " كذب عليه " ، وفي الأناجيل والرسائل أن بولس كان ذا لسانين وذا وجهين.

فإنه لما ردوه للسياط، كذب وقال: إنني روماني الجنسية وقد ولدت حرّاً [أعمال ٢٢ : ٢٨] وقال: أنا رجل يهودي من سبط بنيامين [رومية ١ : ١١] . ولما مثل أمام رئيس الكهنة وضربه على فمه قال له بولس: " سيضربك الله أيها الحائط المبيض " ولما شتمه بهذا القول وفي التوراة أنه لا يجوز شتم رئيس الكهنة ووجّه إليه اللوم على مخالفته للتوراة. قال بولس: لم أكن أعرف أيها الأخوة أنه رئيس كهنة؛ لأنه مكتوب: رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً [أع ٢٣ : ٥١] ، [خروج ٢٢ : ٢٨] .

(١) - شبهة رقم ٥٦ من حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق

وفي التوراة أن الإكراه على كسر حكم من أحكام الشريعة يسقط العقاب على كسر الحكم. فإن الفتاة العذراء المخطوبة لرجل، إن وجدها في الحقل وأمسكها الرجل واضطجع معها؛ يموت الرجل الذي اضطجع معها وحده " وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئاً. ليس على الفتاة خطية للموت، بل كما يقوم رجل على صاحبه ويقتله قتلاً. هكذا هذا الأمر، إنه في الحقل وجدها؛ فصرخت الفتاة المخطوبة فلم يكن من يخلصها " [تث ٢٢: ٢٦-٢٧].

وفي الإنجيل ينصح المسيح تلاميذه بالحد من الناس فيقول: " ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب. فكونوا حكماء كالحيات، وبسطاء كالحمام. ولكن احذروا من الناس " [متى ١٠: ١٦-١٧].<sup>(١)</sup>

### المطلب الثاني عشر : تحليل الحنث في القسم

في سورة البقرة: { لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم } [البقرة: ٢٢٥] وليس هذا من مقومات النبل والشرف؛ فإن المسيح قد نهى عن الحلف مطلقاً.

الرد على الشبهة:

تنص التوراة على " لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً " [خر ٢٠: ٧]. وفي سفر اللاويين: " ولا تحلفوا باسمي للكذب " [لا ١٩: ١٢]. ومفسرو التوراة يقولون: " اختلف المفسرون في معنى هذه الوصية فقال قوم: إنها تنهى عن القسم بالله على صحة ما هو كاذب، وقيل: إنها تنهى عن التهاون والاستخفاف باسمه تعالى، حتى تحظر على الإنسان أن ينطق باسمه بدون مراعاة الرهبة والاحترام ".

ونهى المسيح عن القسم ليس عن كل شيء. بل عن القسم على ما هو باطل، يقول المفسرون: " وقد أبان المسيح في موعظته على الجبل أن الشريعة منعت عن القسم على صحة ما هو باطل فقط ".

وفي القرآن أن القسم مشروط { أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس } [البقرة: ٢٢٤] وليس على الكذب. فيكون اللغو في الآية مفسراً بغير الكذب. كبناء مسجد. هل يبني أو لا يبني؟ فإنه إذا حسم التردد يمين، ثم بدا له أن يرجع في الحال؛ فله ذلك. أما إذا حسم

(١) - شبهة رقم ١١٨ من حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق

التردد بيمين. وعزم عليه وعقده وأكده؛ فليس له أن يرجع فيه. وإن رجع فيه يلزمه التكفير عنه. وعلى قوله: {أن تبروا وتتقوا وتصلحوا} لا يكون الكذب داخلاً في الموضوع على أى تفسير للغو. (١)

### المطلب الثالث عشر : تحليل الإغراء بالمال .

إن في القرآن أن من مصارف الزكاة {المؤلفة قلوبهم} [التوبة: ٦٠] وهذا إغراء بالمال للدخول في الإسلام. الرد على الشبهة:

إذا كان الإحسان إلى الناس إغراء لهم بالدخول في الإسلام. فما بال النصارى ينشئون المستشفيات والمبرات الخيرية في بلاد المسلمين وفي غير بلاد المسلمين لغرض التنصير والصد عن سبيل الله؟ وفي الدين الاسلامي أخذ الجزية من اليهود والنصارى إذا أصروا على ما نشأوا عليه. ولو كان التأليف إغراء؛ لما أخذ المسلمون منهم أموال الجزية. ذلك قوله تعالى: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون} [التوبة: ٢٩] .

وهل يسمى النصارى مكارم الأخلاق إغراء؟ والمؤلفة قلوبهم هم الذين ألف الله بين قلوبهم لقوله: {وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم} [الأنفال: ٦٣] وللتأليف أسبابه. ومنها الإنفاق على طلاب العلم الذين يتولون هدايتهم إلى الله. وذلك بفتح دور للعلم فيها ليتعلم الطلاب لغات الأمم، ثم ينتشرون لتعليمهم وإزالة شبه الشيطان عن دينهم، ووضع القرآن بينهم، وما شابه ذلك. وهذا يُنفق عليه من أموال الزكاة. (١)

### المطلب الرابع عشر : تحليل القتل

إن في القرآن شريعة القتال من أجل إسلام الأمم. وهذا يُعدّ إكراهاً للناس على قبول الدين بالسيف. .... الرد على الشبهة: إن إبراهيم عليه السلام كان يدعو إلى الله، ومن يستجيب له يكون مساوياً لجميع المؤمنين بالله. ومن لا يستجيب له ويصد عن سبيل الله؛

(١) - شبهة رقم ١١٩ من حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق.

(١) - شبهة رقم ١٢٠ من حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق

كان يحاربه، وإبراهيم هو أب اليهود والنصارى والمسلمين. ففي سفر التكوين: " بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلاً: لا تخف. أنا تُرس لك، أجرك كثيراً جداً " [تك ١٥: ١] أى حارب أعداء الله وأنا أحميك كما يحمي الترس الجندي من ضربات السيوف. وفي سفر الزبور نبوءة صلى الله عليه وسلم ومن أوصافه فيها: " أما أنت يا رب فترس لى، مجدى ورافع رأسى.. " [مز: ٣] ويقول النصارى إن نبوءة عن المسيح ، وهم يعلمون أن المسيح لم يحارب ولم يفتح بلاداً. وفي هذه النبوءة يصرخ النبي إلى الله أن ينصره، وقد أجابه من جبل قدسه " بصوتى إلى الرب أصرخ فيجيبني من جبل قدسه " وجبل قدسه في مكة المكرمة.

وفي التوراة أنه لا يحل لليهود أن يملك عليهم وثنى. فلو فرضنا أن ملكاً وثنياً قصد ديارهم وملك عليهم؛ تفرض أنهم مأمورون بقتاله، ذلك قوله: " لا يحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبياً ليس هو أخاك " [تث ١٧: ١٥] وفي التوراة: " إذا خرجت للحرب على عدوك، ورأيت خيلاً ومراكب قوماً أكثر منك؛ فلا تخف منهم؛ لأن معك الرب إلهك " [تث ٢٠: ١] وهو معهم إذا كانوا يحاربون من أجل دينه، ونبذ عبادة الأوثان. وذلك لأن داود . عليه السلام . وهو يحارب جالوت؛ قال له: ففتعلم كل الأرض أنه يوجد إله لإسرائيل، وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلص الرب؛ لأن الحرب للرب وهو يدفعكم ليدنا " [صموئيل الأول ١٧: ٤٦-٤٧] .

وفي سفر المكابيين الثانى فى قصة الأم وأولادها السبعة أنها كانت تحرض أولادها على الشهادة فى سبيل الله. ومن كلامها: " لا أعلم كيف نشأتم فى أحشائى. فأنا لم أمنحكم الروح والحياة، ولا أنا كونت أعضاء جسد كل واحد منكم، بل الذى فعل ذلك هو خالق العالم. فهو الذى جبل الإنسان وأبدع كل شىء. وهو لذلك سيعيد إليكم برحمته الروح والحياة. لأنكم الآن تضحون بأنفسكم فى سبيل شريعته " [٢ مك ٧: ٢٢-٢٣] . وفى إنجيل لوقا: أن المسيح أرسل تلاميذه إلى مدن بنى إسرائيل وأمرهم أن لا يحملوا زاداً ولا مالاً ولا يلبسوا أحذية. وأن يبشروا باقتراب ملكوت الله. فلما رجعوا " قال لهم: حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية. هل أعوزكم شىء؟ فقالوا: لا. فقال لهم: لكن الآن من له كيس؛

فليأخذه، ومزود كذلك. ومن ليس له فليبيع ثوبه، ويشتر سيفاً " [لو ٢٢ : ٣٦.٣٥] فقد أمرهم بشراء السيوف للحرب. وما يزال النصارى إلى هذا اليوم يحاربون أعداءهم. وفي إنجيل متى يقول المسيح: " سمعتم أنه قبل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً " [متى ٥ : ٣٩.٣٨]. يريد أن يقول: إن التوراة مكتوب فيها العين بالعين والسن بالسن [خر ٢١ : ٢٤] وأنا أقول لكم: " لا تقاوموا الشر " في هذا الزمان الفاسد الذى ليس فيه قاضٍ عادل ولا ملك منصف. كما قال صاحب سفر الأمثال فى زمانه: " لا تقل كما فعل بي هكذا افعل به. أرد على الإنسان مثل عمله " [أم ٢٤ : ٢٩] فهو وصاحب سفر الأمثال لم يخالفنا شريعة موسى فى أوقات العدل. وهما ينصحان أنه إذا عم الظلم. فإنه يجب على المظلوم أن يفوض أمره إلى الله. وقد وافق هو النبي أشعيا ومؤلف سفر مرثي إرميا على قولهما فى أيام الفساد واشتداد الظلم: " من لطمك على خدك الأيمن، فحول له الآخر أيضاً " وهذا يدل على أنه فى إرشاداته ونصحه لم يأت بجديد، مع قوله: " ما جئت لأنقص الناموس أو الأنبياء " [متى ٥ : ١٧].

ففى سفر إشعيا: " بذلت ظهري للضارين، وخذى للناثقين. وجهى لم أستر عن العار والبصق " [إش ٥٠ : ٦] وفى سفر المرثي: " يعطى خده لضاربه، يشبع عارا " [مرا ٣ : ٣٠]. (١)

## المطلب الخامس عشر : تحليل النهب .

إن الله حلل الغنائم، وهذا أمر بقتل الناس ونهب أموالهم. الرد على الشبهة:

إن تحليل الغنائم فى التوراة. ففى سفر التثنية: " وغنيمة المدن التى أخذنا.. الجميع دفعه الرب إلينا أمامنا " [تث ٢ : ٣٦.٣٥] ، وفى سفر التكوين فى صفات بنيامين: " فى الصباح يأكل غنيمة، وعند المساء يقسم نهباً " [تك ٤٩ : ٢٧] أى محارب.

ومن أوصاف محمد رسول الله فى التوراة أنه يقسم غنائم. ففى نبوءة العبد المتألم: " ومع العظماء يقسم غنيمة " [إش ٥٣ : ١٢] ولكن النصارى يفسرونها على المسيح مع أنه لم

(١) - شبهة رقم ١٢١ من حقائق الاسلام فى مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق.

يجارب أحداً. وفي المزمور الثامن والستين عن محمد ﷺ: " الملازمة البيت تقسم الغنائم " [مز ٦٨: ١٢]. (١)

## المطلب السادس عشر : تحليل الحلف

إن في القرآن أن صاحب القرآن يقسم بالفجر والليالي العشر. فلماذا يحلف؟ وهل يحتاج صاحب القول الصادق إلى قسم يؤكد به كلامه؟ الرد على الشبهة:

إن المعارض يعنى بصاحب القرآن محمداً ﷺ ولا يعنى مُنَزَّلَةً وهو الله . عز وجل . والقسم من الله نفسه بمخلوقاته هو للدلالة على عظمها وأهميتها ومنافعها للناس. وفي التوراة: " الذى حلف الرب لهم أنه " [يشوع ٥ : ٦ ] " حلف الرب بيمينه " [إشعيا ٦٢ : ٨ ] وفي الإنجيل " ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه، ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه " [متى ٢٣ : ٢١-٢٢] وفي الزبور: " أقسم الرب ولن يندم " [مز ١١٠ : ٤ ] وفي سفر التكوين: " بذاتى أقسمت، يقول الرب " [تك ٢٢ : ١٦ ] وفي سفر أعمال الرسل أن كاهناً وأولاده كانوا يقسمون باسم يسوع المسيح " قائلين نقسم عليك يسوع " [أع ١٩ : ١٣]. (٢)

## المطلب السابع عشر : تحليل الانتقام

يقول المؤلف: إن القرآن يحلل الانتقام بقوله: { فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم } [البقرة: ١٩٤] . الرد على الشبهة:

رد الاعتداء ليس فرضاً على المسلمين. فالفرض هو إما رد الاعتداء، وإما الصفح عن الجاني. ورد الاعتداء فرض في التوراة والصفح عن الجاني في العدل مرفوض في التوراة. ففي التوراة: " وإن حصلت أذية؛ تعطى نفساً بنفساً وعيناً بعيناً وسناً بسناً ويداً بيداً ورجلاً برجل وكيئاً بكى وجرحاً بجرح ورضاً برضى " [خر ٢١ : ٢٣-٢٥] .

(١) - شبهة رقم ١٢٢ من حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق

(٢) - شبهة رقم ١٢٣ من حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق

وليس عندهم دفع الدية في مقابل العفو عن القاتل. أما في القرآن الكريم ففيه { فمن عُفى له من أخيه شيء؛ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة } [البقرة: ١٧٨] أى تخفيف من الحكم القديم الذى كان في التوراة وهو عدم قبول الدية.<sup>(١)</sup>

## المطلب الثامن عشر : تحليل الشهوات

١ . إن القرآن أباح للمسلمين أكثر من زوجة.  
٢ . إن الله في الجنة سيرزق المؤمنين بنساء من الحور العين. وليست الجنة مكاناً للشهوات الحسية، ولا يبيح دين من عند الله تعدد الزوجات.  
الرد على الشبهة: إن هذه الشبهة مكونة من جزأين:  
الجزء الأول: تعدد الزوجات، والجزء الثاني: إباحة الشهوات الحسية في الجنة.

والرد على الجزء الأول هو: إن إبراهيم . عليه السلام . كان متزوجاً من سارة وهاجر وقطورة. وهو أب لليهود والنصارى والمسلمين. وأيضاً كانت له سرارى كثيرة لقوله: " وأما بنو السرارى اللواتى كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حي " [تك ٢٥ : ٦] وموسى كان متزوجاً من مديانية وحبشية [عدد ١٢ : ١] ويعقوب . عليه السلام . كان متزوجاً من حرتين وأمنين وهما ليئة وراحيل وزلفة وبلهة [تك ٢٩ وما بعده] وكان لداود نساء هن: أختينوعم اليزرعيلية . أيجاييل . معكة . حجيث . أبيضال . عجلة. الجميع ستة عدا بثشبع امرأة أورياالحثى التى أنجب منها سليمان . عليه السلام .[صموئيل الثانى ٣ : ٥.١] وكان لسليمان " سبع مائة من النساء السيدات، وثلاث مائة من السرارى " [الملوك الأول ١١ : ٣] .

وفى الإنجيل أنه كان للمسيح أربع إخوة هم: يعقوب وموسى ويهوذا وسمعان [مرقس ٦ : ٣] واتفق النصارى على أن مريم أتت به بغير زرع بشر. وإذ هذا حاله. فهل هؤلاء الأربعة على الحقيقة إخوة أم على المجاز؟ اختلفوا. لأن متى قال عن يوسف النجار: " ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر " [مز ١ : ٢٤] فيكون قد عرفها بعد ولادته. وإن منهم لفريقاً يقولون: " إنها ظلت عذراء إلى أن ماتت، وإن الأربعة أولاد ليوسف عن زوجة سابقة له على

(١) - شبهة رقم ١٢٤ من حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق

مریم " . وعلى أية حال فإن غرضنا وهو إثبات تعدد الزوجات بإخوة المسيح الأربعة. وفي تفاسير الإنجيل أنه كان له أختان أيضاً هما أستير وثامار؛ يكون ملزماً لهم بإثبات التعدد. والرد على الجزء الثاني هو:

إن التوراة تصرح بالبعث الجسدي والروحي معاً. فيكون النعيم حسيّاً، والعذاب حسيّاً. والإنجيل يصرح بالبعث الجسدي والروحي معاً. ولكن بُولُوس صرح بالبعث الروحي لغرض اللغو في حقيقة ملكوت السماوات. ولسنا ههنا بصدد مناقشته. وإنما نحن ههنا بصدد إثبات البعث الجسدي والروحي. ففي إنجيل مرقس يقول المسيح: " وإن أعثرتك يدك فاقطعها، خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن يكون لك يدان وتمضى إلى جهنم. إلى النار التي لا تطفأ. حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ.. إلخ " [مر ٩ : ٤٣-٤٤] وفي إنجيل متى " وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائه، ولا يلقى جسداً كله في جهنم " [متى ٥ : ٣٠] .

وفي سفر إشعياء عن المسرّات في الجنة: " لم تر عينا إنسان ولم تسمع أذناه ولم يدرك قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه " [إش ٦٤ : ٤] واستدل به بولس في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس [٢ : ٩] ، وفي سفر أيوب: " أعلم أن إلهي حي، وأنى سأقوم في اليوم الأخير بجسدي وسأرى بعيني الله مخلصي " [أى ١٩ : ٢٥-٢٧] وفي ترجمة البروتستانت: " وبدون جسدي " .

وفي سفر إشعياء عن عذاب جهنم: " يجلس خدمي على مائدتي في بيتي، ويتلذذون بابتهاج مع جبور ومع صوت الأعواد والأراغن ولا أدعهم يحتاجون شيئاً ما، أما أنتم أعدائي فتطرحون خارجاً عني حيث تموتون في الشقاء، وكل خادم لي يمتهنكم " [إش ٦٠ : ١٣] .

**المطلب التاسع عشر : تعلّم محمد ﷺ من كاتب وحيه سورة المؤمنون**

!!.

الرد على الشبهة: وهى من أسوأ المفتريات على محمد ﷺ الذى قال ربه عز وجل عنه: {وما ينطق عن الهوى \* إن هو إلا وحى يوحى} [النجم: ٤.٣] .

(١) - شبهة رقم ١٢٥ من حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق

لكن الحقد حين يتمكن من قلوب الحاقدين يدفعهم إلى المنكر من القول ومن الزور، حتى إنهم ليتجرؤوا على قول لا يقبله عقل عاقل، ولا يجرؤ على مثله إلا المفترون.

في هذه المقولة زعموا أنه حين كان ينزل عليه الوحي بالآيات التي أثبت العلم الحديث المعاصر أنها من أبرز آيات الإعجاز العلمي في القرآن فيما تتصل بمراحل خلق الإنسان من سلالة من طين ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ثم يكون إنشائه خلقًا آخر.. زعموا أن كاتب وحيه قال مادحًا من هذا خلقه: {تبارك الله أحسن الخالقين}

[المؤمنون: ١٤]

ثم أفرطوا في زعمهم فقالوا إن محمدًا ﷺ قال له: اكتبها فهكذا نزلت علي..؟! وهنا لا بد من وقفة: فأولاً: مما هو ثابت أن الرسول ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي يأخذ العرق يتصبب من جسده ويكون في غيبة عن حوله.. فإذا انقضى الوحي أخذ في ذكر وتلاوة ما نزل عليه من القرآن، وهذا ما تقرره كل كتب السيرة.

ثانياً: معنى ما سبق أنه ﷺ لا يأخذ في الإملاء على كاتب وحيه إلا بعد اكتمال نزول الوحي واكتمال نزول الآيات المتعلقة بمراحل خلق الإنسان في سورة "المؤمنون".

ثالثاً: وبهذا يتضح كذب المقولة أن كاتب وحيه ﷺ هو الذى أملاها عليه وأنه أمر بإثباتها. رابعاً: أن لفظة "تبارك الله" تكررت في القرآن الكريم تسع مرات، تلتقى جميعها في مواضع يكون الحديث فيها عن قدرة الخالق فيما خلق من مثل قوله تعالى:

{ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين} [الأعراف: ٥٥].

{تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً} [الفرقان: ١]. {تبارك الذى

جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً} [الفرقان: ٦١].

{تبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما} (الزخرف: ٨٥).

{تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير} (الملك: ١).

فلماذا تعلم محمد ﷺ من كاتب وحيه آية "المؤمنون" دون غيرها مما جاء فى بقية السور؟!!

## المطلب العشرون :

شبهة أخذ نبينا محمد عن اليهود المواضيع المعينة في تأليف القرآن<sup>(١)</sup>

تعد شبهة أخذ سيدنا محمد ﷺ عن اليهود المواضيع المعينة في تأليف القرآن الكريم، أقدم ما عُرف من نشاطات المستشرقين. فكل من يؤرخ للنشاط الإستشراقي يؤكد أن أقدم دراسة استشراقية كانت بعنوان: " ماذا اقتبس محمد عن اليهودية ". (١)

توضيح تلك الشبهة:

يرى كثير من غير المسلمين أن محمداً ﷺ كان على دين اليهود ، وأرسل اليهود لتدمير المسيحية التي تهدد كيانهم.. ومن ثم اقتبس عن كتبهم العقائد والشرائع والقصص. وإن كان أكثرهم يخالف هذا الرأي ويزعم زعماً آخر وهو أن سيدنا محمد ﷺ كان مسيحياً من نصارى مكة، أعده ورقة بن نوفل بالتعاون مع الراهب بحيرا وحاداد رومي اسمه يسار لإعادة الروح إلى المسيحية في الجزيرة العربية. لكن محمداً ﷺ خدعهم فأعجب بنفسه فادعى النبوة.

تلك الشبهة ملخصة...رد مبسط والتفاصيل في المجلد الثاني من السلسلة (٢) :

من حكمة الله تعالى وتقديره، أنه لم يُعلم في مكة يهودي واحد، واليهود استقبلوا محمداً ﷺ بعد الهجرة بالعداوة صراحة. (٣)

إن قريشاً أحرص من المنصرين على إثبات بشرية مصدر الوحي ولكنهم . وهم الأدرى بحاله وتحركاته . لم يرصدوا أنه ذهب إلى معلم كتابي واحد.. ولم يفضحه رفاقه في السفر بأنه التقى بأي حبر أو كاهن.. ومن غير الممكن أن يتردد سيدنا محمد إلى بيت معلم يعلمه دون أن يلاحظ ذلك أحد، فمكة المكرمة مدينة صغيرة المساحة، أحيائها . بل بيوتها . معروفة لكل واحد من أهلها.

لم يكن في مكة أي كتاب ديني مدون، ولا مدرسة، ولا فلاسفة كما كانت عليه حضارات اليونان والصين وفارس والهند. (٤) كما أنه لم يُعرف عن اليهود في كل الجزيرة

(١) - كان ذلك عام ١١٣٤م على يد المستشرق اليهودي الألماني أبراهام جايجر، وقد نال عن دراسته تلك جائزة الدولة البروسية. انظر: المستشرقون والقرآن، عمر لطفي العالم، ص١٧.

(٢) - انظر: بذل الجود في إفحام اليهود، السموءل، ص١٤٧ المحقق: الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي الناشر: دار الجيل - بيروت ط٣/١٩٩٠. وقضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، د. فضل عباس، ص١٩٧. ووحى الله، د. حسن عتر، ص(١٤٠ - ٢٠٠) فقد اجاد في نقد الفكر الاستشراقي الماكر ط٣ بدون تاريخ الطبعة الاولى سنة ١٩٩٩ ، نشر دار المكتبي - دمشق .

(٣) - ذكر ابن هشام عن أم المؤمنين صفية بنت حبي بن أخطب.. رضي الله عنها. أنها قالت: " كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما، إلا أخطاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل قباء.. غدا عليه أبي وعمي مُغْلَسِينَ. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. ما التفت إليّ واحد منهما، مع ما بهما من غم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله. قال: أتعرفه وتشتهه؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت ". انظر: السيرة النبوية ١٢٣/٢. وقولها: " مغلّسين " أي وقت الغلس. والغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. انظر: النهاية في غريب الحديث، الجزري، ٣٧٧/٤.

العربية نبوغاً فكرياً ورقياً حضارياً، وفاقد الشيء لا يعطيه! ولم يكن النصارى أحسن حالاً منهم، بل كانوا لا يملكون حتى التميز بشعر خاص بهم . على الأقل .، وهذا ما يؤكد المستشرقون من أتباع دينهم. (١)

. ومحمد ﷺ لم يعاشر إلا قومه، ولم يثبت أبداً أنه خرج من مكة قبل البعثة إلا مرتين فقط: مرة وهو صغير مع عمه أبي طالب ومرة في تجارة خديجة وكان مرافقاً له غلامها ميسرة. ولو كان تغيير الدين يحدث بتلك السهولة بسبب التجارة، لكان غالب أهل مكة من اليهود والنصارى. بينما الواقع التاريخي، يثبت أن لا أحد من أهل مكة في الجاهلية قد غير دينه بسبب ما اطع عليه من ديانات أثناء رحلاته التجارية.

. الغالبية العظمى من القصص القرآني كانت في السور المكية، أي قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة واحتكاكه باليهود.

. لو كان للاتصال باليهود ذلك الأثر الكبير في دعوى النبوة، فلماذا لم ينتقوا أحداً من أهل يثرب أو رجلاً من القريتين عظيم، أو عبد الله بن أبي سلول . ليحمي دعوتهم بجاهه وماله؟ إن في القرآن الكريم قصصاً لأنبياء وسابقين لا يعرفهم أهل الكتاب، كقصة صالح وهود وشعيب عليهم السلام.. كما أن في القصص القرآني تفاصيل غير موجودة في كتبهم، كمعجزات سيدنا عيسى ونفي صلبه وقتله، وتبرئة الأنبياء مما افتروه عليهم من خطايا وقبائح. (١)

. معجزاته . وخاصة معجزة القرآن الكريم البلاغية التي عجز العرب عن مضاهاتها . يستحيل أن تكون من تعليم أعاجم. ومن غير المستغرب أن يجلس سيدنا محمد ﷺ إلى حداد رومي (٢) لبعض حاجات بيته الطبيعية، وليس من المنطق أن يكون القرآن الذي

(١) - لم يظهر بين يهود الجزيرة العربية من اشتهر بعلم أو فقه أو فلسفة.. وهذا يدل بالضرورة على عدم ازدهار الحركة الفكرية والثقافية عندهم، فهم آثروا البقاء منعزلين عن العالم، مكتفين بأبسط أنواع الحياة. انظر: العرب قبل الإسلام، د. جواد علي ٨/٦. ود. إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهودية في بلاد العرب، ص٤٢. (٢) - ولا يختلف الشعر النصراني عن شعر الشعراء الوثنيين بشيء... من الصعب على الباحث أن يجد فرقاً كبيراً بين شعر الشعراء النصارى وشعر الشعراء الوثنيين. ولهذا ذهب بعض المستشرقين إلى ان من الصعب التحدث عن وجود شعر نصراني عربي له ميزات امتاز بها عن الشعر الوثني قبل الإسلام ". انظر: العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، الفصل ١٦٦، ٤ / ١٣١١.

(١) - انظر في سفر التكوين ما نسبوه إلى الأنبياء الكرام: نوح 9/20-27 ولوط 19/30-38 وإسحاق 29 u.

(٢) - كي يتقن كفار قريش حيك فرية تلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، وضعوا في معلمه شرطين: الأول: أن يكون من سكان مكة؛ ليتحقق زعمهم بتلقي القرآن عنه بكرة وأصيلاً. والثاني: أن يكون من غير قومهم وملتهم، ليتمكن عندها أن يُقال إن عنده علم ما لم يعلموا.. والتمسوا الشرطين فلم يجدهما إلا عند حداد رومي. انظر: مدخل إلى القرآن، د. محمد دراز، ص١٣٤.

قلت: لو تحققت الشرطان في ورقة. أو غيره من أحبار اليهود والنصارى. ، لما أوقعوا أنفسهم في فضيحة انتقاء الحداد معلماً مزعوماً.

أعجز العرب بنظمه، قد ألقاه إليه ذلك الحداد في عجالة وهو جالس عنده في السوق .. وهل الجلوس عند الحداد فيه من الراحة والاستعدادات النفسية والذهنية ما يؤهله للتعلم، تعلم هذا القرآن العظيم؟<sup>(١)</sup>

أليست مهنة التعليم لذلك الحداد، أيسر عليه من الحدادة ؟

أسباب النزول تنفي التعلم المسبق للنبي ﷺ، فأين كان معلموه المفترضون حين نزل عليه القرآن في غزواته، وهو بين أصحابه يجيب عن أسئلتهم هل كانوا لا يُرَوْنَ إلا من قِبَل محمد ﷺ؟ لا يمنع أن يوجد في القرآن الكريم ما يوافق ما سبق من كتب سماوية، فالقرآن الكريم لا يقول بأنها كلها محرفة ١٠٠% بل فيها تحريف وفيها ما نجا من التحريف<sup>(٢)</sup> ومثله ما نسب إلى كتب جهلة اليهود والهرطقة مما ليس موجوداً في الكتاب المقدس المعتمد حالياً.

فقد جعل النصارى من كتب بقايا النصارى الموحدين كتباً ممنوعة القراءة، بعد أن حكموا على رجالها بالهرطقة. بخاصة بعد مجمع نيقية الذي أقر التثليث ونبد التوحيد.. فما المانع من أن تكون تلك الكتب هي الأقرب إلى الحق، وأن ما بين أيدينا من كتب اعترفت بها الكنيسة لاحقاً هي الباطل؟

. مخالفة القرآن الكريم عقائد أساسية تميزت بها اليهودية والمسيحية.. كنتفضيل الجنس اليهودي وتكريمه على الناس بقبول عبادته لله عز وجل، وكذلك أساس عقيدة النصارى من تثليث وفداء وخلص.

إن الإسلام هو دين الله الحق، الذي لم ينزل من السماء سواه. إن الدين عند الله الإسلام، دينه الذي من ابتغى غيره سبيلاً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، فكل

(١) - الجلوس عند الحداد . وخاصة في ذلك الزمان . لا يرتاح إليه أحد. وقد وصف ما ينتاب المرء نتيجة ذلك الجلوس، من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم بأروع وصف حين قال: " مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمَسْكِ وَكَابِرِ الْحُدَّادِ. لَا يَغْدُمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمَسْكِ إِذَا تَشْتَرِيهِ أَوْ يَجِدُ رِيحَهُ. وَكَابِرُ الْحُدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ تُؤْتِكَ، أَوْ يَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً ". رواه البخاري في البيوع باب في العطار وبيع المسك ٢١٠١ . ولك أن تتخيل كيفية استماع القرآن الكريم لأول مرة، وأصوات مطارق الحدادين، وناز الكير، ناهيك عن الرائحة التي تصد حضور الذهن الضروري لأي تعليم.. فلو أراد حفظ نشيدٍ من أناشيد الأطفال في ذلك الجو، لكان متعذراً عليه !

(٢) - الجلوس عند الحداد . وخاصة في ذلك الزمان . لا يرتاح إليه أحد. وقد وصف ما ينتاب المرء نتيجة ذلك الجلوس، من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم بأروع وصف حين قال: " مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمَسْكِ وَكَابِرِ الْحُدَّادِ. لَا يَغْدُمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمَسْكِ إِذَا تَشْتَرِيهِ أَوْ يَجِدُ رِيحَهُ. وَكَابِرُ الْحُدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ تُؤْتِكَ، أَوْ يَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً ". رواه البخاري في البيوع باب في العطار وبيع المسك ٢١٠١ . ولك أن تتخيل كيفية استماع القرآن الكريم لأول مرة، وأصوات مطارق الحدادين، وناز الكير، ناهيك عن الرائحة التي تصد حضور الذهن الضروري لأي تعليم.. فلو أراد حفظ نشيدٍ من أناشيد الأطفال في ذلك الجو، لكان متعذراً عليه !

قال تعالى: " وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ " [الأنبياء: ١٠٥] وفي مزامير داود [١١/٣٧] " الأبرار يرثون الأرض ". فذكر ذلك بكل مصداقية، عكس متى الذي اقتبس تلك الفقرة ذاتها في إنجيله [٥/٥] دون الإشارة إلى اقتباسها.

الأنبياء جاؤوا بالإسلام، ولم يسمَّ أحد منهم نفسه يهودياً ولا نصرانياً بل حنيفاً مسلماً من لدن آدم عليه السلام وحتى محمد ﷺ (١).

وعلى هذا فلا يمكن القبول بزعم أن الإسلام ما هو إلا فرع من شجرة اليهودية أو النصرانية . المحرفة عن الإسلام . بل هي ذات الرسالة وعين العقائد والمبادئ العامة التي دعا إليها الإسلام. ويُقال لهم: إن سلمنا معاً أن القرآن الكريم كلام الله عزّ وجل ، كالتوراة والإنجيل. فالتشابه بينه وبينها طبيعي لأن مصدرهما واحد. بل لو لم يكن هنالك اتفاق بين القرآن الكريم وتلك الكتب في جميع العقائد لقالوا: كيف يكون مصدرها واحداً وهي لم تتفق في أي عقيدة؟!!

فإن اتفق شيء مما تبقى من عقائد وشرائع الأنبياء السابقين مع الموجود في القرآن الكريم، فهو من أدلة وحدة مصدرها، وإن تفوق القرآن الكريم عليها بكونه كله قطعي الثبوت. " أما المجاحدون من أهل الكتاب . لا سيما دعاة النصرانية في هذا الزمان . فهم يقولون فيما وافق القرآن به كتبهم، أنه مأخوذ منها بدليل موافقته لها. وفيما خالفها أنه غير صحيح بدليل أنه خالفها. وفيما لم يوافقها ولم يخالفها به أنه غير صحيح، لأنه لم يوجد عندنا، وهذا منتهى ما يُكابّر به مُناظرٍ مناظراً، وأبطل ما يرد به خصم على خصم " (٢).

ولما كانت شبهة تعلم سيدنا محمد ﷺ على يد بجيرا وورقة بن نوفل تشكل أعظم شبهاتهم، فالرد عليها ملخصه ما يلي: (١)

إن تلك الشبهة فيها اتهام للنصرانيين الناسكين المتعبدين بالكذب والخداع، ومن غير المعقول أن يكون أواخر عهد ناسكين متعبدين، تسهيل مهمة شخص مخداع يدعي أنه موحى له من عند الله عز وجل مع قصر الوقت الذي شاهدهما فيه، فما في القرآن من عقائد وشرائع وقصص تحتاج إلى فترة زمنية طويلة. بل المنطق يقول إن أي إنسان عادي، لن يستطيع تأليف قوانين وشرائع مماثلة لتلك الموجودة في القرآن الكريم، إلا بعد مكث سنوات

(١) - قال ابن تيمية: وجميع الأنبياء كانوا على دين الإسلام. انظر مجموع الفتاوى ٢٧/٣٧٠ وانظر الأدلة على كون كل الأنبياء دينهم الإسلام في: الخطاب الدعوي للأنبياء والدعاة في القرآن الكريم، عبد الرحيم الشريف، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠١م، ص١٦-٧٦.

(٢) - تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٢٤٩/٣.

(١) - الإسلام في قفص الاتهام، د. شوقي أبو خليل، ص٣٢-٣٩ والقرآن ليس دعوة نصرانية، د. سامي عصاصة ص٦٥-١١٧. ووحى الله، د. حسن عتر، ص١٣٩-١٦٥. مرجع سابق .

طويلة من التعلم. ثم أين قريشاً منهما، ولماذا لم يحضروهما ليكونا دليلاً بين أيديهم على بشرية مصدر القرآن الكريم؟

كما لم يصدر عن أي من ملوك النصارى العرب، أو الروم، أو القبط، أو الأحباش.. الذين وصلتهم رسالة الإسلام، أن ما في القرآن الكريم مسروق من عندهم. لماذا لم يستخدموا رجلاً أغنى وأكثر جاهاً منه ﷺ، ليسهل عليهم المهمة؟

كان عمره ﷺ عندما قابل بحيرا أول مرة تسعة أعوام، ولما تاجر لخديجة كان عمره خمسة وعشرين عاماً. وفي الأولى كان معه عمه، وفي الثانية ميسرة غلام خديجة (١). هل كان لدى ورقة بن نوفل أي حصيلة علمية أو معرفية، تؤهله ليكون مصدر القرآن الكريم؟ (٢)

. كيف يستطيع ورقة . وهو كبير السن . أن يصعد إلى الجبل الذي فيه غار حراء، رغم أن صعوده شاق على أشد الشباب قوة؟ لم يتهم أي مشرك محمداً ﷺ بأنه كان يقابل ورقة، رغم أن ذلك الزعم أقوى من اتهام حداد رومي . لماذا تأخر ورقة في إعلان نبوة سيدنا محمد ﷺ إلى أن بلغ من العمر عتياً، وهل كان يضمن أنه سيعيش ذلك العمر؟

أين باقي تلاميذ بحيرا وورقة؟ هل من المعقول أن لا يكون لهما إلا تلميذ واحد يتيم فقير؟ ولماذا لم تبعث قريش بفتياتها إليهما ليتعلموا؟

هل رافق بحيرا وورقة محمداً ﷺ في كل حركاته وسكناته؟ إن في أسباب النزول رداً مباشراً على زعمهم. قول ورقة بأن الوحي الذي نزل على سيدنا محمد ﷺ هو الذي نزل على موسى لا عيسى عليهما السلام، فلو كان نصرانياً لذكر سيدنا عيسى . وهذا اعتراف من ورقة على إلهية مصدر القرآن الكريم.

. لو كان لورقة ذلك التأثير على سيدنا محمد ، لكان أول من يذهب إليه ﷺ بُعِيدَ نزول الوحي عليه وهو في غار حراء، قبل أن يعود إلى بيته.

لم يذكر التاريخ أن هنالك زيارات معتادة بين بيتي سيدنا محمد وورقة، ولم يكن بينهما صداقة معروفة قبل البعثة كصداقته بأبي بكر مثلاً. كما لم يزر بحيرا مكة ولا المدينة قبل أو أثناء البعثة النبوية، فكيف له أن يعرف ظروف بيئة الرسول ﷺ وأحداثاً قبل الهجرة في مكة

(١) - انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢٣/١. والبداية والنهاية، ابن كثير، ٢٩٥/٢.

(٢) - كان ورقة يعبد الأصنام طيلة ستين سنة، ثم ذهب يبحث عن أفضل دين هو ومجموعة من أصدقائه، وترددوا بين الشرك والنصرانية واليهودية، ثم استقر رأيه ورأي أكثرهم على الحنفية. وكان عمر ورقة عند بعثة النبي مائة سنة. انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٣٤٠/٢ والسيرة الحلبية لعلي الحلبي ١١٦/١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٦١٦/٢. فهو لا يملك ذلك العلم الواسع.

كموقف المشركين من الدعوة، وغيرها من أسباب نزول الآيات المكية. وبعد الهجرة: كالغزوات والعلاقة مع المنافقين.. وغيرها من أسباب نزول الآيات المدنية؟

## المطلب الواحد والعشرون : كاد محمد ﷺ أن يفتن

الرد على الشبهة:

أخذوا ذلك من فهم مغلوط لآيات سورة الإسراء: {وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلاً\* ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً\* إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً} [الإسراء: ٧٣-٧٥]. بعض ما قيل في سبب نزول هذه الآية أن وفد ثقيف قالوا للرسول ﷺ أجلنا سنة حتى نقبض ما يهدى لآهتنا من (الأصنام) فإذا قبضنا ذلك كسرناها وأسلمنا، فهّم صلى الله عليه وسلم بقبول ذلك فنزلت الآية.

قوله تعالى: " كدت تركن إليهم " أى هممت أو قاربت أن تميل لقبول ما عرضه عليك لولا تثبيت الله لك بالرشد والعصمة، ولو فعلت لعذبتك ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات؛ يعنى: قاربت أن تستجيب لما عرضه لكك بتثبيت الله لم تفعل لعصمة الله لك. وكل مَنْ هُم على مقربة من الثقافة الإسلامية يعرفون أن " الهم " أي المقاربة لشيء دون القيام به أو الوقوع فيه لا يعتبر معصية ولا جزاء عليه وهو مما وضع عن الأمة وجاء به ما صح عن النبي ﷺ قوله: (وضع عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به)، وعليه.. فإنه لا إثم ولا شيء يؤخذ على محمد ﷺ في ذلك.(١)

## المطلب الثاني والعشرون : قاتل محمد ﷺ فى الشهر الحرام

الرد على الشبهة: في سورة البقرة: {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} [البقرة: ٢١٧]. والمسلمون جميعاً وعلى رأسهم إمامهم ورسولهم محمد ﷺ هم أحفظ الناس لحرمة الأشهر الحرم وعدم القتال فيها واعتبار القتال فيها حدثاً كبيراً أو كأنه كبيرة من الكبائر..

(١) - شبهة رقم ٥٩ ، من كتاب حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، نشر وزارة الأوقاف المصرية لمجموعة من العلماء .

لكن ما الذى يفعله المسلمون إذا ما ووجهوا من أعدائهم من المشركين بالقتال والعدوان على الأنفس والأموال والأعراض، ليس هذا فحسب بل ماذا يفعل المسلمون إذا فوجئوا بمن يخرجهم من المسجد الحرام وهم أهله وهم أولى به من غيرهم؟!

إن قانون " الدفع الحضارى " الذى يقره القرآن الكريم لحماية الكون من إفساد المتجبرين والظلمة، ثم لحماية بيوت العبادة للمسلمين والنصارى واليهود أيضًا، والذى عبرت عنه الآياتان الكريمتان: { ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض } [البقرة: ٢٥١] . وقوله: { ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز } [الحج: ٤٠] . هذا القانون القرآني . وليس قانون من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر . هو وحده الذى يحمى الكون والناس من إفساد المتجبرين وظلم الظالمين.

وذلك على أساس أن من يمكن الله لهم فى الأرض بما يمنحهم من القوة والثروة والعلم يجب - وبحسب القانون القرآني - أن يكونوا صالحين وأخيارًا؛ بمعنى: أن يستخدموا قوتهم وثروتهم وعلمهم لا فى الطغيان والتجبر ولكن فى حماية القيم النبيلة التى تحمى بها العدل والحق وتمكن لكل ما هو خير، وتنفى كل ما هو شر حتى تنعم البشرية بالأمن والاستقرار، وتعتدل أمور الحياة والناس.

وهذا ما جاءت الآية التالية للآيتين السابقتين لتقره حيث يقول: {الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور} [الحج: ٤١] .

ولأن إقرار حقوق عباد الله فى أرض الله وحماية المستضعفين من بطش المتجبرين لا يقل حرمة عند الله من حرمة الأشهر الحرم فقد أبيض القتال فيها لمن ظلموا من المسلمين ومن فُتِنوا فى دينهم وأخرجوا من ديارهم ظلمًا وعدوانًا.

وهذا ما تقرره الآية: {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} [البقرة: ٢١٧] .<sup>(١)</sup>

(١) - شبهة رقم ٦٠ من كتاب حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين ، مرجع سابق

## المطلب الثالث والعشرون : محمد ﷺ مذنب كما فى القرآن

الرد على الشبهة:

أخذوها من فهمهم الخاطئ فى مفتتح سورة " الفتح " : { ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً } [الفتح: ٢] . فقالوا: كتاب محمد يعترف عليه ويصفه بأنه مذنب!!

وسيرة محمد سيد الخلق وخاتم الأنبياء ﷺ كتاب كبير مفتوح استوفى فيه كُتَّاب سيرته كل شىء فى حياته. فى صحوه ونومه وفى حربه وسلمه، وفى عبادته وصلواته، فى حياته مع الناس بل وفى حياته بين أهله فى بيته. ليس هذا فحسب بل إن صحابته حين كانوا يروون عنه حديثاً أو يذكرون له عملاً يصفونه ﷺ وصفًا بالغ الدقة وبالغ التحديد لكافة التفاصيل حتى ليقول أحدهم: قال ﷺ كذا وكان متكئاً فجلس، أو قال كذا وقد امتلأ وجهه بالسرور وهذا ما يمكن وصفه بلغة عصرنا: إنه تسجيل دقيق لحياته ﷺ بالصوت والصورة..

ثم جاء القرآن الكريم فسجل له شمائله الكريمة فقال عنه: إنه الرحمة المهداة إلى عباد الله: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} [الأنبياء ١١٧] . ووصفه بأنه الرؤوف الرحيم بمن أرسل إليهم: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (التوبة: ١٢٨) . ثم لخص القرآن مجمل شمائله ﷺ فى قوله: {وإنك لعلى خلق عظيم} [القلم ٤] .

أكثر من هذا أن تكفل القرآن بإذاعة حتى ما هو من خلجات الرسول وحديث نفسه الذى بينه وبين الله مما لا يطلع الناس عليه على نحو ما جاء فى سورة الأحزاب فى أمر الزواج بزینب بنت جحش والذى كان القصد التشريعي فيه إبطال عادة التبني من قوله تعالى: {وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنین حرج فى أزواج ادعيائهم إذ قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً} [الأحزاب: ٣٧] .

أقول: مع أن سيرة محمد ﷺ هى كتاب مفتوح لم يخف التاريخ منه شيئاً بل وتدخّل القرآن ليكشف حتى ما يحدث به نفسه صلى الله عليه وسلم مما لا يطلع عليه الناس، ولم يذكر له صلى الله عليه وسلم ذلّة ولا ذنباً فى قول أو عمل.

أبعد هذا لا يتورع ظالموه من أن يقولوا أنه " مذنب " ؟ !!!

ولو كان هؤلاء الظالمون لمحمد ﷺ على شىء من سلامة النظر وصفاء القلوب لانتبهوا إلى بقية سورة الفتح، والتي كانت كلها تثبيتاً للمؤمنين وللرسول وتبشيراً لهم بالتأييد والنصر.. لو كان محمد ﷺ - كما ادعيتهم - من المذنبين والعاصين لكان من المستحيل أن يجعله الله تعالى ممن يؤيدهم بنوره ويتم عليهم نعمته ويهديهم صراطاً مستقيماً؛ لأن النصر يكون للصالحين لا للمذنبين.

ونقف أمام الذنب فى منطوق الآية: { ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر } فالذنب هنا ليس مما تعارف عليه الناس من الخطأ والآثام؛ لأن سنة الله تبارك وتعالى هي عصمة جميع أنبيائه وفي قمتهم خاتمهم صلى الله عليه وسلم. وهذا مما يعرفه ويقره ويقره أتباع كل الرسالات إلا قتلة الأنبياء ومحزبي الكلم عن مواضعه من اليهود الذين خاضوا فى رسل الله وأنبيائه بما هو معروف، فالذنب هو ما يمكن اعتباره ذنباً على مستوى مقام نبوته صلى الله عليه وسلم ذنباً مما تقدره الحكمة الإلهية. لا ما تحده أعراف الناس. ومع هذا كله فإن سيرة محمد ﷺ قبل البعثة كانت محل تقدير قومه وإكبارهم له لما اشتهر به صلى الله عليه وسلم من العفة والطهر والتميز عن جميع أترابه من الشباب حتى كان معروفاً بينهم بالصادق الأمين.

أبعد هذا لا يستحى الظالمون لمحمد ﷺ والحاقدون عليه من أهل الكتاب أن يقولوا: إنه مذنب؟! { كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا } [الكهف: ٥]. (١)

**المطلب الرابع والعشرون : ما معنى قول الله سبحانه وتعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الانبياء: ١٠٧] مع ان النبي لم يكن رحمة للكافرين ؟ وأهدر دماء رجال حين فتح مكة ؟**

أولاً : لقد ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه ما أرسل هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه إلى الخلائق إلا رحمة لهم. لأنه جاءهم بما يسعدهم وينالون به كل خير من خير الدنيا والآخرة إن اتبعوه. ومن خالف ولم يتبع فهو الذي ضيع على نفسه نصيبه من

(١) - الشبهة رقم ٦١ من كتاب حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين مرجع سابق .

تلك الرحمة العظمى. وضرب بعض أهل العلم لهذا مثلاً قال : لو فجر الله عيناً للخلق غزيرة الماء، سهلة التناول. فسقى الناس زروعهم ومواشيهم بمائها. فتتابعت عليهم النعم بذلك، وبقي أناس مفرطون كسالى عن العمل. فضيعوا نصيبهم من تلك العين، فالعين المفجرة في نفسها رحمة من الله، ونعمة للفريقين. ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها. ويوضح ذلك قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ }. [إبراهيم: ٢٨]

فالرسول ﷺ كان رحمةً عامةً من حيث إنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه ، ومن لم يتبعه فهو الذي قصر في حق نفسه وضيع نفسه من الرحمة . قال (ابن كثير) في تفسيره لهذه الآية : وَقَوْلُهُ { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } يُخَيِّرُ تَعَالَى أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ أَي أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لَهُمْ كُلَّهُمْ فَمَنْ قَبِلَ الرَّحْمَةَ وَشَكَرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ سَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ رَدَّهَا وَجَحَدَهَا خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ كَمَا قَالَ تَعَالَى " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْقَرَارِ .

ثانياً : ان الرسول ﷺ كان رحمةً للكافرين أيضاً من حيث إن عذاب الاستئصال آخر عنهم بسببه . وقد روي عَنْ إِبْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } قَالَ : مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ كَتَبَ لَهُ الرَّحْمَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عُوفِيَ مِمَّا أَصَابَ الْأُمَّمَ مِنَ الْحَسْفِ وَالْقَذْفِ . (١)

ثالثاً : كانت رسالة محمد ﷺ رحمة لقومه ورحمة للبشرية كلها من بعده والمبادئ التي جاء بها كانت غريبة في أول الأمر على ضمير البشرية ، لبعد ما كان بينها وبين واقع الحياة الواقعية والروحية من مسافة . ولكن البشرية أخذت من يومها تقرب شيئاً فشيئاً من آفاق هذه المبادئ . فتزول غرابتها في حسها ، وتتبناها وتنفذها ولو تحت عنوانات أخرى .

لقد جاء الإسلام لينادي بإنسانية واحدة تذوب فيها الفوارق الجنسية الجغرافية . لتلتقي في عقيدة واحدة ونظام اجتماعي واحد . . وكان هذا غريباً على ضمير البشرية وتفكيرها وواقعها يومذاك . والأشراف يعدون أنفسهم من طينة غير طينة العبيد . . ولكن ها هي ذي البشرية في خلال نيف وثلاثة عشر قرناً تحاول أن تقفو خطى الإسلام ، فتتعثر في الطريق ،

(١) - تفسير الطبري (١٨ / ٥٥٢) مرجع سابق ، ابن كثير (٥ / ٣٨٧) مرجع سابق

لأنها لا تهتدي بنور الإسلام الكامل . ولكنها تصل إلى شيء من ذلك المنهج ولو في الدعاوى والأقوال وإن كانت ما تزال أمم في أوروبا وأمريكا تتمسك بالعنصرية البغيضة التي حاربها الإسلام منذ نيف وثلاث مائة وألف عام .

ولقد جاء الإسلام ليسوي بين جميع الناس أمام القضاء والقانون . في الوقت الذي كانت البشرية تفرق الناس طبقات ، وتجعل لكل طبقة قانوناً . بل تجعل إرادة السيد هي القانون في عهدي الرق والإقطاع . . فكان غريباً على ضمير البشرية يومذاك أن ينادي ذلك المنهج السابق المتقدم بمبدأ المساواة المطلقة أمام القضاء .

. ولكن ها هي ذي شيئاً فشيئاً تحاول أن تصل ولو نظرياً إلى شيء مما طبقة الإسلام عملياً منذ نيف وثلاث مائة وألف عام .

وغير هذا وذلك كثير يشهد بأن الرسالة المحمدية كانت رحمة للبشرية وأن محمداً صلى الله عليه وسلم إنما أرسل رحمة للعالمين . من آمن به ومن لم يؤمن به على السواء . فالبشرية كلها قد تأثرت بالمنهج الذي جاء به طائفة أو كارهة ، شاعرة أو غير شاعرة؛ وما تزال ظلال هذه الرحمة واردة ، لمن يريد أن يستظل بها ، ويستروح فيها نسائم السماء الرخية ، في هجير الأرض المحرق وبخاصة في هذه الأيام .

وإن البشرية اليوم لفي أشد الحاجة إلى حس هذه الرحمة ونداها . وهي قلقة حائرة ، شاردة في متاهات المادية ، وجحيم الحروب ، وجفاف الأرواح والقلوب .(١)

### الرحمة الإنسانية عند محمد ﷺ

ولعلنا نستغني عن كثير من المقدمات المنطقية حينما نعلم أن الذنب الذي جناه محمد ﷺ في نظر أعدائه هو اعترافه بالمبادئ الإنسانية.

فاستخدام القوة -مثلاً- أمام القوى المقاتلة ليس مبدأ محمدياً ابتداءً، وإنما هو مبدأ إنساني، وحيث إن الإنسانية ممثلة بمحمد ﷺ أصبح استخدام القوة مبدأ محمدياً.

والإسلام الذي جاء به محمد ﷺ لم يقابل بقواته أمماً تقابله بالورود والرياحين، وإنما يقابل جيوشاً مدججة بالسلاح، فما معنى امتلاك تلك الأمم للسلاح!؟

(١) - في ظلال القرآن ٤ / ٢٤٠١ مرجع سابق .

بل إن الإسلام منع من استخدام القوة أمام من لا يملك القوة، كالأطفال، والنساء، والرهبان، ونحوهم، وهذا لأن الأصل في الإسلام هو السلام، وأما استخدام القوة فعارض ينتهي بانتهاء سببه. ثم إن استخدام القوة في الإسلام لا يكون إلا أمام الجيوش المحاربة، وأما الأفراد فليس من دين الإسلام مقابلتهم بالسلاح، وإنما يُقابلون بالهدى والصلاح. ولعلك تعجب حينما ترى أن الإسلام قد وهب للأفراد حرية الاختيار -على عكس معتقدات الأمم الأخرى- ومع ذلك ترى الشعوب على اختلافها تتسابق إلى الدخول في دين الله أفواجاً، على عكس معتقدات الأمم الأخرى التي عجزت عن إدخال شعوبها في معتقداتها بالحديد والنار.

وأعظم من هذا حينما تجد الشعوب المختلفة تتسابق في تقديم أبنائها للأعلام لخدمة الإسلام، وهذا لإيمانها بأنها تعيش في ظل الإسلام على قاعدة: (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى)، وتردد صباح مساء قول ربها سبحانه: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات: ١٣]

وإذا كانت هذه سياسة الإسلام أمام القوى الخارجية فإن الشريعة الإسلامية لم تهمل شؤونها الداخلية، ولأن المظاهر الإجرامية جزء من المجتمعات الإنسانية فقد وقف لها الإسلام بالمرصاد؛ ليدرأ شرها عن البلاد والعباد، فأعطى كل جريمة ما يناسبها من العقوبات التي ربما قد تصل إلى القتل، وهذه العقوبات تقرّ بها جميع الأمم، ولكنها تختلف في تحديد أنواع الجرائم التي تستحق تلك العقوبات.

وإذا كنا نريد برهاناً على صحة العقوبات الإسلامية وملاءمتها للحياة الإنسانية، فلسنا بحاجة إلى مقدمات منطقية، ولا نظريات فلسفية، وإنما يكفي أن نلتفت إلى مجتمعات العالم أجمع؛ لنسألها: أي المجتمعات نجحت في الحد من انتشار الجريمة؟! ولنترك الجواب للأرقام.

ومن إنسانية الإسلام مراعاته لاختلاف القدرات العقلية لبني الإنسان، فيهب للعقول مساحة واسعة لتلعب دورها في بناء الحضارة الإسلامية، بل حتى في المسائل الشرعية يسمح

بوجهات نظر مختلفة؛ اعترافاً بالطبيعة الإنسانية، وتيسيراً للأمة الإسلامية، (ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه).

ولكنه مع هذا لم يتجاهل التفريق بين المصالح العامة والمصالح الفردية؛ فيختار للرعاية نخبة من أولي الدراية؛ ويكل إليهم النظر في مصالح الولاية.

وأما المصالح الفردية فقد شرع لكل فرد أن ينظر في أموره الخاصة على حسب ما تقتضيه مصلحته. تلك هي الحرية التي يتكلم عنها الإسلام، وليست سفسطات وفلسفات تُسود بها الصفحات، وتمتلئ بها المجالات، وليست شعارات ولافتات تشدق بها المرئيات والإذاعات، حتى إذا ما أتيت إلى الواقع لم تجدها شيئاً، وإنما تجد واقعاً لا يحرر الإنسان من الطغيان والعصيان، وإنما يحرره من مبادئه الحسان.

وهو إن طالب بالحرية فإنما يطالب بحريته الشخصية، وتسخير الإنسان لمصالحه الذاتية، بل وشهواته البهيمية. ولعلك لا تجد أحداً من بني الإنسان يطالب بحرية مطلقة، وإنما يقيد بها كل أناس على حسب ما تشتهيهِ أهواؤهم، وتعلمه عليهم خيالاتهم، وأفضل حرية عرفها الإسلام هي تلك التي قامت على مبدأ العدل بين الناس أجمعين، على قاعدة: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الأنبياء: ١٠٧]. هذه بعض الجوانب الإنسانية التي يتمثلها الإسلام على قائده أفضل الصلاة والسلام.

وهي جوانب تشهد على صحة هذا الدين السماوي، وأن محمداً رسول من رب العالمين. ومن الحيف والظلم أن يصدق شخص بالدلائل الإنسانية على صحة الرسالة المحمدية، ثم يتهم على أمر جاء به محمد ﷺ، مما قد يكون متوقفاً على الوحي الذي يأتي من رب العالمين، الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وهو أعلم بمصلحته.

فتعدد الزوجات -مثلاً- لا يستطيع العقل تحديد الأصلح فيه، فيقف عندئذ أمام الوحي السماوي موقف جاهل مسترشداً يريد الوصول إلى ما ينفعه. والمريض الذي يتناول الدواء بناء على وصفة طبية إنما يتناوله بناء على ثقته بالطبيب، وأما هو فقد يكون جاهلاً بفاعلية هذا الدواء لدائه. وسيرته ﷺ كلها يشهد بعضها لبعض على أنه مصلح عظيم، وإمام قد أرسله الله رحمة للعالمين، عليه من الله أركى الصلاة وأتم التسليم. (١)

(١) - مقال على الانترنت لحامد بن عبد العزيز الحامد باسم إنسانية محمد بتصريف

## المطلب الخامس والعشرون : كيف لنبي الرحمة أن يهدر دماء رجال من قريش في فتح مكة

سؤال يتردد من النصارى (كيف لنبي الرحمة ان يهدر دماء رجال من قريش في فتح مكة؟) ... الرد :

أهدر دماء أكابر المجرمين الذين في رقبتهم دماء وغيلة للآخرين ولكن لم ينفذ إلا في اثنين أو ثلاثة ولم يهدر دماء كل الظلمة الذين شاركوا في تهجير المسلمين من ديارهم وأموالهم بل عفا عنهم و عليهم أن يجيئوا هم ماذا كانوا قد فعلوا فيمن غدرهم وأخلّ في معاهدتهم وماذا كان موقفهم .

في البدء عليهم أن يعرفوا سبب (فتح مكة) والأمر الجلي من سيرة سيد الخلق ﷺ هو صلح الحديبية وان قريش قد غدرت بهذا الصلح ونقضت هذا الصلح ومعروف ان خزاعة دخلت في حلف رسول الله ﷺ وبنو بكر الذين دخلوا في حلف قريش اغتتموا الفرصة - وكان بينهم وبين خزاعة ثارات في الجاهلية اغتتموا فترة الصلح واغاروا على خزاعة ليلا فاصابوا منهم رجالا وقاتل معهم رجال من قريش مستغلين ظلمة الليل حتى وصلوا للحرم - ولا شك ان ما فعلت قريش وحلفاؤها كان غدرا ونقضا لميثاق الصلح وبعد هذا تحرك الجيش الاسلامي نحو مكة وكان الفتح العظيم ولما دخل الرسول ﷺ مكة وطهر الكعبة من الاصنام خطب وقال: يا معشر قريش: ما ترون اني فاعل بكم؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال: فاني اقول لكم كما قال يوسف لآخوته : (لا تثريب عليكم اليوم) ، اذهبوا فانتم الطلقاء .

واهدر رسول الله ﷺ يومئذ دماء تسعة نفر من اكابر المجرمين وأمر بقتلهم ولم يهدر دماء الظلمة كلهم والذين أخرجوه وأصحابه من ديارهم وأموالهم وجعلوهم مشردين تتخطفهم الناس وهم وهؤلاء جميعا كانوا اشد عداوة وبغضا للإسلام وللمسلمين ولسيد الخلق محمد ﷺ وكانوا شديدي الأذى له بمكة وفي رقبة بعضهم دماء وغدر وغيلة .

فأما بن سرح فقد جاء به عثمان بن عفان الى النبي ﷺ وشفع فيه فحقن دمه وقبل إسلامه بعد ان أمسك عنه رجاء ان يقوم بعض الصحابة فيقتله وكان قد أسلم قبل ذلك وهاجر ثم ارتد ورجع الى مكة وشوّه سمعة النبي وكذب عليه .

وأما عكرمة بن ابي جهل ففر الى اليمن فاستأمنت له امراته فامنه النبي ﷺ فرجع معها وأسلم وحسن إسلامه ، وكان للنساء منزلة عظيمة في حوادث فتح مكة وقدر النبي كلمتها ووضع لها حقوقها السياسية . وأما ابن خطل فكان متعلقا بأستار الكعبة فجاء رجل الى النبي ﷺ واخبره فقال اقتله فقتله وهو بالأصل قاتل فكان القتل له قصاصا . وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبدالله وكان مقيس قد أسلم قبل ذلك ثم عدا على رجل من الانصار فقتله ثم ارتد ولحق بالمشركين . وأما الحارث فكان شديد الاذى لرسول الله ﷺ بمكة فقتله علي . واما هبار بن الاسود فهو الذي كان قد عرض لزینب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين هاجرت فنحس بها حتى سقطت على صخرة واسقطت جنينها ففر هبار يوم مكة ثم اسلم وحسن إسلامه .

يتبين لنا كرم اخلاق سيد الخلق وامام المرسلين محمد ﷺ فقد اودى من هؤلاء وغيرهم اشد الاذى ولكن عفا عنهم وكانت كلمته ﷺ ((اذهبوا فانتم الطلقاء)) أروع مثل لعفوه وكرمه .

**المطلب السادس والعشرون : ما معنى الاية (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) { يونس : ٩٤ } .**

يقولون هذه الآية الله يخبر بها سيدنا محمد للاحتكام لكتبهم مغالطة ممجوجة !! تم الرد عليها في الفصل السابق المطلب السادس : سؤال أهل الكتاب فيما يشكل على النبي ، وفي مكان آخر .

**المطلب السابع والعشرون : تعدد زوجات النبي محمد ﷺ ، وتزوج زوجة ابنه بالتبني وأباح لنفسه الزواج من أية امرأة تهبه نفسها - الخلاصة أنه شهواني (١)**

الرد على الشبه الثلاثة : مقدمة :

١ - إن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم قد عددوا الزوجات ووصل الأمر بهم إلى الزواج من مئة مثل داود الذي لم يكتف بتسع وتسعين حتى تزوج تمام المئة بعد موت

(١) - الشبهة ٥١ من حقائق الاسلام مقابل شبهات المشككين والرد للدكتور محمود حمدي زقزوق

زوجها، وسليمان كانت له ثلاثمائة زوجة وأربعمائة جارية كما في العهد القديم مصدر التشريع الأول عند النصارى (ما جئت لأنقص بل لأكمل).

٢- كافة نصوص العهد القديم تأذن بالتعدد وتبيحه للأفراد رسلاً أو بشراً.

٣- لم يرد نص واحد يجرم التعدد في النصرانية وقد تأثر النصارى بالبلاد التي نشروا فيها النصرانية، ففي أفريقيا يأذنون بالتعدد ويبيحون الزواج للقساوسة،

وفي أوروبا يجرمون التعدد ويحرمون الزواج على القساوسة ويبيحون الصداقة.

٤- النص الخاطيء الذي يستشهد به النصارى على تحريم التعدد هو (أما علمتم أن الخالق منذ البدء جعلهما ذكراً وأنثى وقال لهذا يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فما جمعه الله لا يفرقه إنسان). فجعلوا من ضمير الأفراد في قوله: "امرأته" أن الرجل لا يتزوج إلا بامرأة واحدة. والنص قد فهم على غير وجهه، فالمسيح حين سئل "أيجل لأحدنا أن يطلق امرأته لأي علة كانت..." كانت إجابته كما سبق. فإجابة المسيح أن الإجابة لا صلة لها بالتعدد بل بالنهي عن الطلاق لا التزوج.

٥- المسيحية تأذن بالتعدد بالتتابع ولكنها ترفضه بالجمع وينتهي التعدد عند الرابعة متتابعاً حتى لا يكون الإنسان غاوبياً، وتسمح بالخلة والصديقة بدون حد ولا عد.

٦- أما العرب يجمعون بين أربعين امرأة في وقت واحد كدليل على الرجولة وطلب للولد.

بدأ التعدد في سن الثالثة والخمسين من عمر النبي ﷺ فهل هذا دليل الشهوة، ومن يشتهه هل يتزوج الثيبات وأمهات الأولاد والأرامل، كيف وقد عرض عليه خيرة بنات قريش فأبى! و الثابت المشهور من سيرته صلى الله عليه وسلم أنه لم يتزوج إلا بعد أن بلغ الخامسة والعشرين من العمر. ومن الثابت كذلك في سيرته الشخصية صلى الله عليه وسلم اشتهاه بالاستقامة والتعفف عن الفاحشة والتصريف الشائن الحرام للشهوة، رغم امتلاء المجتمع الجاهلي بشرائح من الزانيات اللاتي كانت لهن بيوت يستقبلن فيها الزناة ويضعن عليها "رايات" ليعرفها طلاب المتع المحرمة.

ومع هذا كله . مع توفر أسباب الانحراف والسقوط في الفاحشة في مجتمع مكة . لم يُعرَف عن الرسول محمد ﷺ إلا التعفف والطهارة بين جميع قرنائته؛ ذلك لأن عين السماء كانت تحرسه وتصرف عنه كيد الشيطان. ويُروى في ذلك أن بعض أترابه الشباب أخذوه ذات يوم إلى أحد مواقع المعازف واللهو فغشاه الله بالنوم فما أفاق منه إلا حين أيقظه أترابه للعودة إلى دورهم. هذه واحدة..!

أما الثانية فهي أنه حين بلغ الخامسة والعشرين ورغب في الزواج لم يبحث عن "البكر" التي تكون أحظى للقبول وأولى للباحثين عن مجرد المتعة. وإنما تزوج امرأة تكبره بحوالي خمسة عشر عامًا، ثم إنها ليست بكرًا بل هي ثيب، ولها أولاد كبار أعمار أحدهم يقترب من العشرين؛ وهي السيدة خديجة وفوق هذا كله فمشهور أنها هي التي اختارته بعد ما لمست بنفسها. من خلال مباشرته لتجارتهما. من أمانته وعفته وطيب شمائله ﷺ .

والثالثة أنه ﷺ بعد زواجه منها دامت عشرته بما طيلة حياتها ولم يتزوج عليها حتى مضت عن دنياه إلى رحاب الله. وقضى معها - رضي الله عنها - زهرة شبابه وكان له منها أولاده جميعًا إلا إبراهيم الذي كانت أمه السيدة "مارية" القبطية.

والرابعة أنه ﷺ عاش عمره بعد وفاتها - رضي الله عنها - محبًا لها يحفظ لها أطيب الذكريات ويعدد مآثرها وهي مآثر لها خصوص في حياته وفي نجاح دعوته فيقول في بعض ما قال عنها: صدقتني إذ كذبتني الناس وأعانتني بما لها. بل كان ﷺ لا يكف عن الشاء عليها والوفاء لذكرها والترحيب بمن كن من صديقاتها، حتى أثار ذلك غيرة السيدة عائشة - رضي الله عنها.

أما تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم فكان كشأن غيره من الأنبياء له أسبابه منها: أولاً: كان عُمرُ محمد ﷺ في أول زواج له ﷺ بعد وفاة خديجة تجاوز الخمسين وهي السن التي تنطفئ فيها جذوة الشهوة وتنام الغرائز الحسية بدنيًا، وتقل فيها الحاجة الجنسية إلى الأنثى وتعلو فيها الحاجة إلى من يؤنس الوحشة ويقوم بأمر الأولاد والبنات اللاتي تركتهم خديجة - رضي الله عنها - . وفيما يلي بيان هذا الزواج وظروفه.

**الزوجة الأولى: سودة بنت زمعة:** كان رحيل السيدة خديجة - رضي الله عنها - مثير أحزان كبرى في بيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي محيط الصحابة - رضوان الله عليهم -

إشفاقاً عليه من الوحدة وافتقاده من يرعى شئونه وشئون أولاده. ثم تصادف فقدانه صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب نصيره وظهيره وسمى العام الذي رحل فيه نصيره خديجة وأبو طالب عام الحزن. في هذا المناخ.. مناخ الحزن والوحدة وافتقاده من يرعى شئون الرسول وشئون أولاده سعت إلى بيت الرسول واحدة من المسلمات تُسمى خولة بنت حكيم السلمية وقالت: له يا رسول الله كأني أراك قد دخلتك خلّة لفقد خديجة فأجاب صلى الله عليه وسلم: [ أجل كانت أم العيال وربة البيت ]، فقالت يا رسول الله: ألا أخطب عليك؟. فقال الرسول ﷺ: ولكن - من بعد خديجة؟! فذكرت له عائشة بنت أبي بكر فقال الرسول: لكنها ما تزال صغيره فقالت: تخطبها اليوم ثم تنتظر حتى تنضج.. قال الرسول ولكن من للبيت ومن لبنات الرسول يخدمهن؟ فقالت خولة: إنها سودة بنت زمعة، وعرض الأمر على سودة ووالدها: فتم الزواج ودخل بها صلى الله عليه وسلم بمكة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن سودة هذه كانت زوجة للسكران بن عمرو وتوفي عنها زوجها بمكة فلما حلّت تزوجها الرسول ﷺ وكانت أول امرأة تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد خديجة، وكان ذلك في رمضان سنة عشر من النبوة. وعجب المجتمع المكّي لهذا الزواج لأن "سودة" هذه ليست بذات جمال ولا حسب ولا تصلح أن تكون خلقةً لأُم المؤمنين خديجة التي كانت عند زواج الرسول ﷺ بها جميلة وضيئة وحسبية تطمح إليها الأنظار. وهنا أقول للمرجفين الحاقدين: هذه هي الزوجة الأولى للرسول بعد خديجة، فهي مؤمنة هاجرت الهجرة الأولى مع من فرّوا بدينهم إلى الحبشة وقد قبل الرسول زواجها حماية لها وجبراً لحاظها بعد وفاة زوجها إثر عودتهما من الحبشة. وليس الزواج بها سعار شهوة للرسول ولكنه كان جبراً لحاظ امرأة مؤمنة خرجت مع زوجها من أهل الهجرة الأولى إلى الحبشة ولما عادا توفي زوجها وتركها امرأة تحتاج هي وبنوها إلى من يرعاهم.

**الزوجة الثانية بعد خديجة:** عائشة بنت أبي بكر الذي يقول عنه الرسول ﷺ: "إن من آمن الناس عليّ في ماله وصحبته أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام..". ومعروف من هو أبو بكر الذي قال عنه الرسول ﷺ متحدثاً عن عطائه للدعوة " ما نفعني مألٌ قط ما نفعني مال أبي بكر "، وأم عائشة هي أم رومان بنت عامر الكناني من الصحابيات الجليلات، ولما توفيت نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

قبرها واستغفر لها وقال: "اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك صلى الله عليه وسلم"، وقال عنها يوم وفاتها: "من سرّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان" ولم يدهش مكة نبأ المصاهرة بين أعزّ صاحبين؛ بل استقبلته كما تستقبل أمرًا متوقعًا؛ ولذا لم يجد أي رجل من المشركين في هذا الزواج أي مطعن - وهم الذين لم يتركوا مجالاً للطعن إلا سلكوه ولو كان زورًا وافتراءً.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن زواج الرسول ﷺ بفتاة بينه وبينها قرابة خمسين عامًا ليس بدعا ولا غريبًا لأن هذا الأمر كان مألوفًا في ذلك المجتمع. لكن المستشرقين ومن تحمل قلوبهم الحقد من بعض أهل الكتاب - على محمد ﷺ جعلوا من هذا الزواج اتهامًا للرسول وتشهيرًا به بأنه رجل شهواني غافلين بل عامدين إلى تجاهل ما كان واقعًا في ذلك المجتمع من زواج الكبار بالصغيرات كما في هذه النماذج . فقد تزوج عبد المطلب جد الرسول ﷺ من هالة بنت عم آمنة التي تزوجها أصغر أبنائه عبد الله . والد الرسول ﷺ . وتزوج عمر بن الخطاب ابنة علي بن أبي طالب وهو أكبر سنًا من أبيها. وعرض عمر على أبي بكر أن يتزوج ابنته الشابة " حفصة " وبينهما من فارق السن مثل الذي بين المصطفى ﷺ وبين " عائشة " (١) كان هذا واقع المجتمع الذي تزوج فيه الرسول ﷺ بعائشة. لكن المستشرقين والممثلة قلوبهم حقدًا من بعض أهل الكتاب لم تر أعينهم إلا زواج محمد بعائشة والتي جعلوها حدث الأحداث - على حد مقولاتهم - أن يتزوج الرجل الكهل بالطفلة الغريبة العذراء (٢).

قاتل الله الهوى حين يعمى الأبصار والبصائر!

**الزوجة الثالثة: حفصة بنت عمر الأرملة الشابة:** توفى عنها زوجها حنيس بن حذافة السهمي وهو صحابي جليل من أصحاب المهجرتين - إلى الحبشة ثم إلى المدينة - ذلك بعد جراحة أصابته في غزوة أحد حيث فارق الحياة وأصبحت حفصة بنت عمر بن الخطاب أرملة وهي شابة. وكان ترمّلها مثار ألم دائم لأبيها عمر بن الخطاب الذي كان يحزنه أن يرى جمال ابنته وحيويتها تحبو يومًا بعد يوم.. وبمشاعر الأبوة الحانية وطبيعة المجتمع الذي لا يتردد فيه الرجل من أن يخاطب لابنته من يراه أهلاً لها.. بهذه المشاعر تحدث عمر إلى الصديق " أبي بكر " يعرض عليه الزواج من حفصة لكن أبا بكر يلتزم الصمت ولا يرد بالإيجاب أو

(١) - تراجم لسيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطون: ص ٢٥٠ وما بعدها عن حقائق الإسلام الشبهة ٥١.

(٢) - المصدر السابق.

بالسلب. فيتركه عمر ويمضى إلى ذي النورين عثمان بن عفان فيعرض عليه الزواج من حفصة فيفاجئه عثمان بالرفض. فتضيق به الدنيا ويمضى إلى الرسول ﷺ يخبره بما حدث فيكون رد الرسول ﷺ عليه هو قوله: يتزوج حفصة خيرٌ من عثمان ويتزوج عثمان خيراً من حفصة (١). وأدركها عمر - رضي الله عنه - بفطرتة إذ معنى قول الرسول ﷺ فيما استشعره عمر هو أن من سيتزوج ابنته حفصة هو الرسول نفسه وسيتزوج عثمان إحدى بنات الرسول ﷺ. وانطلق عمر إلى حفصة والدنيا لا تكاد تسعه من الفرحه وارتياح القلب إلى أن الله قد فرّج كرب ابنته.

**الزوجة الرابعة: أم سلمة بنت زاد الراكب:** من المهاجرين الأولين إلى الحبشة وكان زوجها (أبو سلمة) عبد الله ابن عبد الأسد المخزومي أول من هاجر إلى يثرب (المدينة) من أصحاب محمد ﷺ. جاءت إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم كزوجة بعد وفاة " أم المساكين زينب بنت خزيمه الهلالية " بزمن غير قصير. سليله بيت كريم، فأبوها أحد أجواد قريش المعروفين بلقب زاد الراكب؛ إذ كان لا يرافقه أحد في سفر إلا كفاه زاده. وزوجها الذي مات عنها صحابي من بني مخزوم ابن عمه المصطفى ﷺ وأخوه من الرضاعة ذو الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة. وكانت هي و زوجها من السابقين إلى الإسلام. وكانت هجرتهما إلى المدينة معاً وقد حدث لها ولطفلها أحداث أليمة ومثيرة ذكرتها كتب السير. رضي الله عن أم سلمة.. ولا نامت أعين المرجفين.

**الزوجة الخامسة: زينب بنت جحش:** لم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد تبديلاً إلا لنفسها في العمل الذي تتصدق وتتقرب به إلى الله عز وجل؟ (١). هكذا تحدثت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- عن " ضربتها " زينب بنت جحش. أما المبطلون الحاقدون من بعض أهل الكتاب فقالوا: أعجب محمد ﷺ. وحاشا له - بزوجة متبناه " زيد بن حارثة " فطلقها منه وتزوجها. ويرد الدكتور هيكل في كتابه " حياة محمد " (٢) ﷺ على هذا فيقول: إنها شهوة التبشير

المكشوف تارة والتبشير باسم العلم تارة أخرى، والخصومة القديمة للإسلام تأصلت في

(١) - سيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطي، ص ٣٢٤ .

(١) - صحيح مسلم كتاب الفضائل ح(٢٤٤٢). والنسائي في الكبرى (٣٩٤٤) .

(٢) - محمد حسين هيكل " حياة محمد " ، ص ٢٠٩. دون بيانات

النفوس منذ الحروب الصليبية هي التي تملى على هؤلاء جميعاً ما يكتبون. والحق الذي كنا نود أن يلتفت إليه المبطلون الحاقدون على الإسلام ورسوله ﷺ.. هو أن زواج محمد ﷺ من زوجة ابنه بالتبني زيد بن حارثة إنما كان لحكمة تشريعية أرادها الإسلام لإبطال هذه العادة. عادة التبني. التي هي في الحقيقة تزييف لحقائق الأمور كان لها في واقع الناس والحياة آثار غير حميدة.

ولأن هذه العادة كانت قد تأصلت في مجتمع الجاهلية اختارت السماء بيت النبوة بل نبي الرسالة الخاتمة نفسه ﷺ ليتم على يديه وفي بيته الإعلان العلمي عن إبطال هذه العادة. وتجدر الإشارة هنا إلى مجموعة الآيات القرآنية التي جاءت إعلاناً عن هذا الحكم المخالف لعادات الجاهلية وتفسيراً للتشريع الجديد في هذه. المسألة و في موضوع الزواج بزینب حيث تقول: { ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين } [الأحزاب: ٤٠]. { ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم } [الأحزاب: ٥]. { وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً } [الأحزاب: ٣٧].

مرة أخرى نذكر بأن زواج الرسول ﷺ من زينب لم تكن وراءه أبداً شهوة أو رغبة جنسية وإنما كان أمراً من قدر الله وإرادته لإبطال عادة التبني من خلال تشريع يتردد صداه بأقوى قوة في المجتمع الجاهلي الذي كانت عادة التبني أصلاً من أصوله وتقليداً مستقرّاً فيه، فكان السبيل لأبطالها أن يتم التغيير في بيت النبوة وعلى يد الرسول نفسه ﷺ، وقد فطنت السيدة " زينب بنت جحش " نفسها إلى هذا الأمر فكانت تباهي به ضراًتها وتقول لهن: " زوجكن أهاليكن وزوجني ربي من فوق سبع سماوات " (١).

أما لماذا كان زيد بن حارثة نفسه يتردد على الرسول معرباً عن رغبته في تطليق زينب؛ فلم يكن - كما زعم المرجفون - أنه شعر أن الرسول يرغب فيها فأراد أن يتنازل عنها له ، ولكن لأن حياته معها لم تكن على الوفاق أو التواد المرغوب فيه؛ ذلك أن زينب بنت

(١) - رواه البخاري كتاب التوحيد ح (٦١٠٨)

جحش لم تنس أبدًا . وهي الحسيبة الشريفة والجميلة أيضًا أنها أصبحت زوجًا لرجل كان رقيقًا عند بعض أهلها وأنه . عند الزواج بها . كان مولىً للرسول ﷺ أعتقه بعد ما اشتراه ممن أسره من قريش وباعه بمكة ، فهو . وإن تبناه محمد وبات يسمى زيد بن محمد في عرف المجتمع المكّي كله، لكنه عند العروس الحسيبة الشريفة والجميلة أيضًا ما يزال . كما كان بالأمس - الأسير الرقيق الذي لا يمثل حُلْم من تكون في مثل حالها من الحسب والجمال وليس هذا بغريب بل إنه من طبائع الأشياء.

ومن ثم لم تتوهج سعادتها بهذا الزواج، وانعكس الحال على زيد بن حارثة فانطفأ في نفسه توهج السعادة هو الآخر، وبات مهياً النفس لفراقها بل لقد ذهب زيد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يشكو زينب إليه كما جاء في البخاري من حديث أنس قال: جاء زيد يشكو إلى الرسول ﷺ يقول له: {أمسك عليك زوجك واتق الله} <sup>١</sup> قال أنس: لو كان النبي كاتمًا شيئًا لكم هذا الحديث. لكن الرسول ﷺ كان يقول له كما حكته الآية: أمسك عليك زوجك ولا تسارع بتطليقها.

وزينب بنت جحش هي بنت عمّة الرسول ﷺ - كما سبقت الإشارة - وهو الذي زوجها لمولاه "زيد" ولو كانت به رغبة فيها لاختارها لنفسه؛ وخاصة أنه رآها كثيرًا قبل فرض الحجاب، وكان النساء في المجتمع الجاهلي غير محجبات فما كان يمنعه - إذًا - من أن يتزوجها من البداية؟! ولكنه لم يفعل، فالأمر كله ليس من عمل الإرادة البشرية لهم جميعًا: لا لزينب ولا لزيد ولا لمحمد ﷺ ، ولكنه أمر قدره إرادته إعلانه حكم وتشريع جديدين في قضية إبطال عادة "التبني" التي كانت سائدة في المجتمع آنذاك ، يؤكد هذا ويدل عليه مجموع الآيات الكريمة التي تعلق بالموضوع في سورة الأحزاب .

أما الجملة التي وردت في قوله تعالى: {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه} [الأحزاب: ٣٧]. فإن ما أخفاه النبي ﷺ هو كتم ما كان الله قد أخبره به من أن زينب . يومًا ما . ستكون زوجًا له؛ لكنه لم يصرح به خشية أن يقول الناس: إنه تزوج زوجة ابنه بالتبني (١) . والغريب في الأمر أن بعض المفسرين ترك الروايات الصحيحة و التي لا مطعن فيها، و ذكر روايات شاذة وغريبة، و منهم من لم يذكرها لكنه ذهب يفسر الآيات

(١) - رواه مسلم ح ( ٢٨٨ ) والترمذي ح ( ٣٢٠٧ ) وأحمد وغيرهم .

(١) - انظر فتح الباري ( ٨ / ٥٢٣ - ٥٢٤ ) مرجع سابق . عن سيدات بيت النبوة لبنات الشاطي ص ٣٥٤ .

على ضوءها. وتلك الروايات ساقطة سنداً و متناً وهذا موقف لبعض الأئمة المحققين من المفسرين والمحدثين وغيرهم الذي وقفوا أمام هذه الروايات موقفاً حازماً صلباً، فمنهم من ذكرها و فندها، و منهم من أضرب عنها صفحاً بعد الإشارة إلى ضعفها و نكارتها.

قال ابن العربي بعد أن ذكر ملخص هذه الروايات، و بين عصمة النبي صلى الله عليه وسلم: هذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد. (١). و قال القرطبي بعد أن ذكر التفسير الصحيح لما كان يخفيه صلى الله عليه وسلم، وما الذي كان يخشاه من الناس: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم. فأما ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم هوى زينب امرأة زيد وربما أطلق بعض المجان لفظ عشق فهذا إنما صدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بجرمته.

(١). وقال ابن كثير بعد أن ذكر الروايات الصحيحة: ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هاهنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردتها، و قد روى الإمام أحمد هاهنا أيضاً حديثاً من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضاً (٢). و قال ابن حجر بعد أن ذكر الروايات الصحيحة: و وردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري و نقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها (٣). و هناك ثلثة كبيرة من علماء الإسلام في العصر الحاضر تفتنوا لمثل هذه الأخبار، ورمقت أبصارهم ما تنطوي عليه من مداخل خطيرة لا تليق بمقام الأنبياء، فأنار الله بصائرهم لكشف النقاب عن هذه الآثار الدخيلة، فكان لهم الفضل في التنبيه وإيقاظ الفكر الإسلامي للتصدي لكل دسيسة يراد منها النيل من قداسة رسول الله ﷺ، أو تشويه الحقائق التاريخية في تراث الإسلام. يقول الشيخ محمد رشيد رضا: وللقصاص في هذه

(١) - ابن عربي، أحكام القرآن (٥٧٧/٣). الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

(٢) - الجامع لأحكام القرآن (١٩١/١٤). مرجع سابق.

(٣) - تفسير القرآن العظيم (٤٢٥/٦). مرجع سابق طبعة طيبة

(٣) - فتح الباري (٥٢٤/٨)، مرجع سابق

القصة كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول، و يجب صيانة النبي ﷺ عن هذه الترهات التي نسبت إليه زوراً و بهتاناً. (١)

و خلاصة الأمر.. كان زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش لهلال ذي القعدة من العام الخامس الهجري و هي بنت خمس و ثلاثين (٢). روى البخاري (٣) أن زيدا جاء يشكو زوجته، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اتق الله وأمسك عليك زوجك"، قالت عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً، لكتم هذه، فكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ، تقول: زوجكن أهاليكن، و زوجني الله من فوق سبع سماوات.

**الزوجة السادسة: جويرية بنت الحارث الخزاعية:** الأميرة الحسنة التي لم تكن امرأة أعظم بركة على قومها منها فقد أعتق الرسول ﷺ بعد زواجه بها أهل مائة بيت من بني المصطلق (التي هي منهم)، كانت ممن وقع في الأسر بعد هزيمة بني المصطلق من اليهود في الغزوة المسماة باسمهم. و كاتبها من وقعت في أسره على مال فذهبت إلى الرسول ﷺ فقال لها: "أو خير من ذلك؟ قالت: وما هو؟ قال: أفضى عنك كتابتك وأتزوجك. قالت: وقد أفقت من مشاعر الهوان والحزن: نعم يا رسول الله. قال: قد فعلت" (٤)، وذاع الخبر بين المسلمين: أن رسول ﷺ قد تزوج بنت الحارث بن ضرار زعيم بني المصطلق وقائدهم في هذه الغزوة.. معنى هذا أن جميع من بأيديهم من أسرى بني المصطلق قد أصبحوا بعد هذا الزواج كأصهار رسول الله ﷺ، وإذا تيار من الوفاء والمجاملة من المسلمين للرسول ﷺ تجسد في إطلاق المسلمين لكل من بأيديهم من أسرى بني المصطلق وهم يقولون: أصهار رسول الله، فلا نبقيهم أسرى، ومع أن زواج الرسول ﷺ بهذه الأسيرة بنت سيد قومها والذي جاءته ضارعة مذعورة مما يمكن أن تتعرض له من الذل من بعد عزة.. فإذا هو يرحمها بالزواج، ثم يتيح لها الفرصة لأن تعلن إسلامها وبذا تصبح واحدة من أمهات المؤمنين.

ويقولون: إنه نظر إليها: وأقول: أما أنه نظر إليها فهذا لا يعيبه. وربما كان نظره إليها ضارعة مذعورة — هو الذي حرك في نفسه ﷺ عاطفة الرحمة التي كان يأمر بها بمن في مثل حالتها

(١) — محمد رشيد رضا، (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) (ص ٢٧٥). ط ١

(٢) — ابن سعد في الطبقات (١١٤/٨). مرجع سابق.

(٣) — صحيح البخاري (برقم ٧٤٢٠) الصحيح

(٤) — رواه البخاري: فتح الباري \_ كتال النكاح باب ١٤.

ويقول: [ارحموا عزيز قوم ذل]، فرحمها وخيرها فاخترت ما يحميها من هوان الأسر ومذلة الأعرزة من الناس ، على أن النظر شرعاً مأذون به عند الإقدام على الزواج - كما في هذه الحالة - وكما أمر به ﷺ أحد أصحابه عند رغبته في الزواج - قائلاً له: [انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما] (١). وقد توفيت في دولة بني أمية وصلى عليها عبد الملك بن مروان وهي في السبعين من العمر - رضي الله عنها.

**الزوجة السابعة: صفية بنت حُيِّ . عقيلة بني النضير: إحدى السبايا اللاتي وقعن في الأسر بعد هزيمة يهود بني قريظة أمام المسلمين في الوقعة المسماة بهذا الاسم، كانت من نصيب النبي ﷺ فأعتقها وتزوجها: فماذا في ذلك؟! ولم يكن عتقه إياها وتزوجها بدعاً في ذلك؛ وإنما كان موقفاً جانب الإنسانية فيه هو الأغلب والأسبق، لها شبهة خاصة ورد عليها**

**الزوجة الثامنة: أم حبيبة بنت أبي سفيان نجدة نبوية مسلمة في محنة: إنها أم حبيبة "رملة" بنت أبي سفيان كبير مشركي مكة وأشد أهلها خصومة لمحمد صلوات الله وسلامه عليه، كانت زوجاً لعبيد الله بن جحش وخرجاً معاً مهاجرين بإسلامهما في الهجرة الأولى إلى الحبشة، وكما هو معروف أن الحبشة في عهد النجاشي كانت هي المهجر الآمن للفارين بدينهم من المسلمين حتى يخلصوا من بطش المشركين بهم وعدوانهم عليهم؛ فإذا هم يجدون في - ظل النجاشي - رعاية وعناية لما كان يتمتع به من حس إيماني جعله يرحب بأتباع النبي الجديد الذي تم التبشير بمقدمه في كتبهم على لسان عيسى بن مريم - عليه السلام - كما تحدث القرآن عن ذلك في صورة الصف في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].**

لكن أم حبيبة بنت أبي سفيان كانت وحدها التي تعرضت لمحنة قاسية لم يتعرض لمثلها أحد من هؤلاء المهاجرين الأوائل إلى الحبشة؛ ذلك أن زوجها عبيد الله بن جحش قد أعلن ارتداده عن الإسلام ودخوله في النصرانية وما أصعب وأدق حال امرأة باتت في محنة مضاعفة: محنتها في زوجها الذي ارتد وخان ، ومحنتها السابقة مع أبيها الذي فارقه مغاضبة إياه في مكة منذ دخلت في دين الله (الإسلام). وفوق هاتين المحنتين كانت محنة الاغتراب

(١) - رواه البخاري: فتح الباري - كتاب النكاح باب ٣٦.

حيث لا أهل ولا وطن ثم كانت محنة حملها بالوليدة التي كانت تنتظرها والتي رزقت بها من بعد وأسمتها "حببية" .. كان هذا كله أكبر من عزم هذه المسلمة الممتحنة من كل ناحية والمبتلاة بالأب الغاضب والزوج الخائن!! لكن عين الله ثم عين محمد ﷺ سخرت لها من لطف الرعاية وسخائها ما يسر العين ويهون الخطب، وعادت بنت أبي سفيان تحمل كنية جديدة، وبدل أن كانت " أم حببية " أصبحت " أم المؤمنين " وزوج سيد المسلمين - صلوات الله وسلامه عليه.

والحق أقول: لقد كان نجاشي الحبشة من خلص النصارى فأكرم وفادة المهاجرين عامة وأم المؤمنين بنت أبي سفيان بصفة خاصة. فأنفذ في أمرها مما بعث به إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها له. وكانت خطبة الرسول ﷺ لأم حببية بنت أبي سفيان نعم الإنقاذ والنجدة لهذه المسلمة المبتلاة في الغربية؛ عوضتها عن الزوج الخائن برعاية سيد البشر صلى الله عليه وسلم؛ وعوضتها عن غضب الأب "أبي سفيان" برعاية الزوج الحاني الكريم صلوات الله عليه ، كما كانت هذه الخطبة في مردودها السياسي . لطمة كبيرة لرأس الكفر في مكة أبي سفيان بن حرب الذي كان تعقيبه على زواج محمد لابنته هو قوله: "إن هذا الفحل لا يجدع أنفه"؛ كناية عن الاعتراف بأن محمدًا لن تنال منه الأيام ولن يقوى أهل مكة - وهو على رأسهم - على هزيمته والخلاص منه لأنه ينتقل كل يوم من نصر إلى نصر. كان هذا الاعتراف من أبي سفيان بخطر محمد وقوته كأنه استشفاف لستر الغيب أو كما يقول المعاصرون: تنبؤ بالمستقبل القريب وتمام الفتح.

فما لبث أن قبل أبو سفيان دعوة الرسول ﷺ إياه إلى الإسلام وشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وتقدم أحد الصحابة إلى رسول الله ﷺ يسأله قائلاً: " إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فها جعلت له ما يجل عقده ويسكن حقه وغيبه، فقال صلوات الله وسلامه عليه في ضمن إعلانه التاريخي الحضاري العظيم لأهل مكة عند استسلامهم وخضوعهم بين يديه:

- من دخل داره فهو آمن.
- ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن.

• ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن " ١ .

وانتصر الإسلام وارتفع لواء التوحيد ودخل الناس في دين الله أفواجًا. وفي مناخ النصر العظيم.. كانت هي سيدة غمرتها السعادة الكبرى بانتصار الزوج ونجاة الأب والأهل من شر كان يوشك أن يحيط بهم. تلکم هي أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان التي أحاطتها النجدة النبوية من خيانة الزوج وبلاء الغربة ووضعتها في أعز مكان من بيت النبوة.

**الزوجة التاسعة: ميمونة بنت الحارث الهلالية** أرملة يسعدها أن يكون لها رجل: آخر أمهات المؤمنين.. توفي عنها زوجها أبو رهم بن عبد العزى العامري؛ فانتهدت ولاية أمرها إلى زوج أختها العباس الذي زوجها رسول الله ﷺ؛ حيث بنى بها الرسول. في " سرف " قرب " التنعيم " على مقربة من مكة حيث يكون بدء الإحرام للمعتمرين من أهل مكة والمقيمين بها ، وقيل: إنه لما جاءها الخاطب بالبشرى قفزت من فوق بعيرها وقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ ، وقيل: إنها هي التي وهبت نفسها للنبي والتي نزل فيها قوله تعالى: {وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين..} [الاحزاب: ٥٠] ، وكانت آخر أمهات المؤمنين وآخر زوجاته ﷺ . (١)

**المطلب الثامن والعشرون : كيف ستشعر هذه المرأة التي قُتل أبوها وأخوها وزوجها في الحرب على أيدي جيش محمد وهي ترى نفسها في آخر النهار على نفس السرير مع قاتلهم ؟ وأشير بذلك إلى صفة بنت حبي ! لا يمكن لرب أن يقول بذلك أبداً !!**

الرد : بخصوص صفة رضي الله عنها : فإليك بعض الحقائق المفيدة في دحضها :

١- في البداية نقول صفة من نسل هارون بن عمران عليه السلام ، وعمها هو موسى بن عمران عليه السلام ، وهي زوجة نبي هو أفضل البشر ، محمد بن عبد الله ﷺ ، علمها النبي كيف تدافع عن نفسها أمام زوجاته : عَنْ أَنَسٍ قَالَ : بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ بِنْتُ يَهُودِيٍّ !! فَبَكَتْ فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي فَقَالَ ( مَا يُبْكِيكِ ) فَقَالَتْ : قَالَتْ لِي

(١) - رواه البخاري - فتح الباري - كتاب المغازي .

١ - حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ، شبهة رقم ٥١ .

حَفْصَةُ : إِيَّ بِنْتِ يَهُودِيٍّ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ( إِنَّكَ لَابْنَةُ نَبِيٍّ ، وَإِنَّ عَمَّكَ لَنَبِيٍّ ، وَإِنَّكَ لَتَحْتِ نَبِيٍّ ؛ فَفِيمَ تَفَخَّرُ عَلَيْكَ ) ثُمَّ قَالَ ( اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ )<sup>١</sup> .

٢- لم يحصل من النبي ﷺ جماع لصفية رضي الله عنها إلا بعد أن انقضت عدتها . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ ذَكَرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُبَيْبِ بْنِ أَخْطَبٍ وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا وَكَانَتْ عَرُوسًا فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغَنَا سَدَّ الرَّوْحَاءِ حَلَّتْ فَبَنَى بِهَا<sup>٢</sup> .

قال ابن حجر: قوله " حَلَّتْ " أي : طهرت من الحيض<sup>٣</sup> . وعند مسلم<sup>٤</sup> عن أنس : " ثم دفعها - أي : صفية - إلى أم سليم تصنعها له وتهيئها وتعتد في بيتها " . قال النووي : أما قوله " تعتد " فمعناه : تستبرئ ؛ فإنها كانت مسيئة يجب استبرؤها وجعلها في مدة الاستبراء في بيت أم سليم ، فلما انقضت الاستبراء جهزتها أم سليم وهيأتها أي : زينتها وجملتها على عادة العروس ، بما ليس بمنهي عنه من وشم ووصل وغير ذلك من المنهي عنه<sup>٥</sup> .

٤ . ولم يحصل جماع النبي ﷺ لصفية إلا بعد أن أعلنت إسلامها ، وبعد أن أعتقها ، فهو لم يجامعها وهي يهودية ، ولا وهي أمة ، بل كانت زوجة له وقد أمهرها وكان مهرها عتقها ، وصنع لها وليمة عرس . عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال : لما دخلت صفية على النبي ﷺ قال لها ( لم يزل أبوك من أشد يهودي عداوة حتى قتله الله ) فقالت : يا رسول الله إن الله يقول في كتابه { ولا تزر وازرة وزر أخرى } [ الأنعام / ١٦٤ ] ، فقال لها رسول الله : اختاري ، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي ، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقني بقومك ، فقالت : يا رسول الله لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني ، حيث صرت إلى رحلك وما لي في اليهودية أرب ، وما لي فيها والد ولا أخ ، وخيرتني الكفر والإسلام ، فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي ، قال : فأمسكها رسول الله لنفسه<sup>٦</sup> .

(<sup>١</sup>) - رواه أحمد (١١٩٨٤) والترمذي (٣٨٩٤) وصححه الألباني في صحيح الترمذي

(<sup>٢</sup>) - رواه البخاري (٢١٢٠)

(<sup>٣</sup>) - ابن حجر ، " فتح الباري " ( ٧ / ٤٨٠ )

(<sup>٤</sup>) - صحيح مسلم (١٣٦٥)

(<sup>٥</sup>) - " شرح مسلم " ( ٩ / ٢٢٢ ) .

(<sup>٦</sup>) - " الطبقات الكبرى " ( ٨ / ١٢٣ ) .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ ... فَبَنَى بِهَا ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطْعٍ صَغِيرٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ فَكَانَتْ تِلْكَ وَليمةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى صَفِيَّةَ ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُجَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بَعَاءَةً ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ .!!<sup>١</sup>

" فبنى بها " : دخل بها والبناء الدخول بالزوجة ، " حيساً " : خليطاً من التمر والأقط والسمن ويقال من التمر والسويق أو التمر والسمن ، " نطع " جلود مدبوغة يجمع بعضها إلى بعض وتفرش ، " آذن من حولك " : أعلمهم ليحضروا وليمة العرس ، " يجوي " : يدير كساء فوق سنام البعير ثم يركبه .

٤- وكان النبي ﷺ قد أخبر صفية رضي الله عنها بما حصل عليه وعلى الإسلام من والدها ، فما زال يخبرها ويعتذر لها حتى ذهب ما في نفسها عليه ، فلم يعاشرها وهي مبغضة له ، كما يزعم المغرضون الكاذبون ، بل كان ذلك بعد إسلامها وزواجها وزوال ما في نفسها على النبي ﷺ حتى استحقت شرف أمومة المسلمين ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : ... قالت صفية : وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إليّ قتل زوجي وأبي وأخي فما زال يعتذر إليّ ويقول : ( إن أباك ألب علي العرب وفعل وفعل ) حتى ذهب ذلك من نفسي .<sup>(١)</sup>

٥- وكانت صفية قد رأت رؤيا عبرها لها زوجها اليهودي بأنها تتزوج النبي ﷺ ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : ... ورأى رسول الله ﷺ بعيني صفية خضرة فقال : ( يا صفية ما هذه الخضرة ؟ ) فقالت : كان رأسي في حجر ابن أبي حقيق ، وأنا نائمة فرأيت كأن قمراً وقع في حجري فأخبرته بذلك ، فلطمني وقال : تمنين ملك يثرب ؟ (٢) .  
فهذا توضيح وبيان لحادثة صفية بنت حيي رضي الله عنها ، ثم إن صفية رضي الله عنها عاشت بقية عمرها على ذكرى زوجها محمد ﷺ ولم تهاجر وتلحق بأهلها ظلت في مدينة الرسول على ما فارقها عليه ﷺ ، وقد كانت تستطيع في أي وقت أن ترحل إليهم .

(١) - رواه البخاري ( ٢١٢٠ ) .

(١) - رواه ابن حبان في " صحيحه " ( ١١ / ٦٠٧ ) ، وحسنه الألباني

(٢) - رواه ابن حبان في " صحيحه " ( ١١ / ٦٠٧ ) وحسنه الألباني .

## المطلب التاسع والعشرون : حول عصمة الرسول ﷺ وموقف القرآن

### من العصمة (\*) (١)

هناك من لا يعترفون بأن الرسول معصوم عن الخطأ، ويقدمون الأدلة على ذلك بسورة [عبس وتولى] وكذلك عندما جامل الرسول ﷺ ، زوجاته، ونزلت الآية الكريمة التي تنهاه عن ذلك..... الرد على الشبهة:

الرسول بشر يُوحى إليه.. أي أنه مع بشريته له خصوصية الاتصال بالسماء، بواسطة الوحي.. ولذلك فإن هذه المهمة تقتضى صفات يصنعها الله على عينه فيمن يصطفيه، كي تكون هناك مناسبة بين هذه الصفات وبين هذه المكانة والمهام الخاصة الموكلة إلى صاحبها. والرسول مكلف بتبليغ الرسالة، والدعوة إليها، والجهاد في سبيل إقامتها وتطبيقها.. وله على الناس طاعة هي جزء من طاعة الله {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول} [النساء: ٥٩] {قل أطيعوا الله والرسول} [آل عمران: ٣٢] {من يطع الرسول فقد أطاع الله} [النساء: ٨٠] {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} [آل عمران: ٣١] ولذلك كانت عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله ضرورة من ضرورات صدقهم والثقة في هذا البلاغ الإلهي الذي اختيروا ليقوموا به بين الناس.. وبداهة العقل - فضلاً عن النقل - تحكم بأن مُرسل الرسالة إذا لم يتخير الرسول الذي يصدق على رسالته، كان عابثاً.. وهو ما يستحيل على الله، الذي يصطفى من الناس رسلاً تؤهلهم العصمة لإضفاء الثقة والصدق على البلاغ الإلهي.. والحجة على الناس بصدق هذا الذي يبلغون.

".. ومن لوازم ذلك بالضرورة: وجوب الاعتقاد بعلو فطرتهم، وصحة عقولهم، وصدقهم في أقوالهم، وأمانتهم في تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه، وعصمتهم من كل ما يشوه السيرة البشرية، وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار وتنفر منه الأذواق السليمة، وأنهم منزهون عما يضاد شيئاً من هذه الصفات، وأن أرواحهم ممدودة من الجلال الإلهي بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليها سطوة روحانية.. إن من حكمة الصانع الحكيم - الذي أقام الإنسان على قاعدة الإرشاد والتعليم - أن يجعل من مراتب الأنفس البشرية مرتبة يُعدُّ لها، بمحض فضله، بعض مَنْ يصطفيه من خلقه، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، يميزهم

بالفطرة السليمة، ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنوار علمه، والأمانة على مكنون سره، مما لو انكشف لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه، أو ذهبت بعقله جلالته وعظمته، فيشرفون على الغيب بإذنه، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه، ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين، نهاية الشاهد وبداية الغائب، فهم في الدنيا كأهم ليسو من أهلها، هم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها.. أما فيما عدا ذلك - [أى الاتصال بالسماء والتبليغ عنها] - فهم بشر يعترتهم ما يعترى سائر أفرادها، يأكلون ويشربون وينامون ويسهون وينسون فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام، وبمرضون وتمتد إليهم أيدي الظلمة، وينالهم الاضطهاد، وقد يقتلون " ١ .

فالعصمة - كالمعجزة - ضرورة من ضرورات صدق الرسالة، ومن مقتضيات حكمة من أرسل الرسل - عليهم السلام - .. وإذا كان الرسول - كبشر - يجوز على جسده ما يجوز على أجساد البشر.. وإذا كان الرسول كمجتهد قد كان يمارس الاجتهاد والشورى وإعمال العقل والفكر والاختيار بين البدائل في مناطق وميادين الاجتهاد التي لم ينزل فيها وحى إلهي.. فإنه معصوم في مناطق وميادين التبليغ عن الله - سبحانه وتعالى - لأنه لو جاز عليه الخطأ أو السهو أو مجانبة الحق والصواب أو اختيار غير الأولى في مناطق وميادين التبليغ عن الله لتطرق الشك إلى صلب الرسالة والوحى والبلاغ، بل وإلى حكمة من اصطفاه وأرسله ليكون حجة على الناس.. كذلك كانت العصمة صفة أصيلة وشرطاً ضرورياً من شروط رسالة جميع الرسل - عليهم السلام -.. فالرسول في هذا النطاق - نطاق التبليغ عن الله - {وما ينطق عن الهوى \* إن هو إلا وحى يوحى} [النجم: ٣-٤] . وبلاغة ما هو بقول بشر، ولذلك كانت طاعته فيه طاعة لله، وبغير العصمة لا يتأتى له هذا المقام.

أما اجتهادات الرسول ﷺ فيما لا وحى فيه، والتي هي ثمرة لإعماله لعقله وقدراته وملكاته البشرية، فلقد كانت تصادف الصواب والأولى، كما كان يجوز عليها غير ذلك.. ومن هنا رأينا كيف كان الصحابة، رضوان الله عليهم في كثير من المواطن وبإزاء كثير من مواقف وقرارات وآراء واجتهادات الرسول ﷺ يسألونه - قبل الإدلاء بمساهماتهم في الرأي - هذا السؤال الذى شاع في السنة والسيره:

(١) - [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج ٢ ص ٤١٥، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٢١. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

" يا رسول الله، أهو الوحي؟ أم الرأى والمشورة؟.. "

فإن قال: إنه الوحي. كان منهم السمع والطاعة له، لأن طاعته هنا هي طاعة الله.. وهم يسلمون الوجه لله حتى ولو خفيت الحكمة من هذا الأمر عن عقولهم، لأن علم الله - مصدر الوحي - مطلق وكلى ومحيط، بينما علمهم نسبي، قد تخفى عليه الحكمة التي لا يعلمها إلا الله.. أما إن قال لهم الرسول - جواباً عن سؤالهم -: إنه الرأى والمشورة.. فإنهم يجتهدون، ويشيرون، ويصوبون.. لأنه ﷺ هنا ليس معصوماً، وإنما هو واحد من المقدمين في الشورى والاجتهاد.. ووقائع نزوله عن اجتهاده إلى اجتهادات الصحابة كثيرة ومتناثرة في كتب السنة ومصادر السيرة النبوية - في مكان القتال يوم غزوة بدر.. وفي الموقف من أسراها.. وفي مكان القتال يوم موقعة أحد.. وفي مصالحة بعض الأحزاب يوم الخندق.. إلخ.. إلخ.

ولأن الرسول ﷺ قد أراد الله له أن يكون القدوة والأسوة للأمة {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} [الأحزاب: ٢١] . وحتى لا يقتدى الناس باجتهاد نبوى لم يصادف الأولى، كان نزول الوحي لتصويب اجتهاداته التي لم تصادف الأولى، بل وعتابه - أحياناً - على بعض هذه الاجتهادات والاختيارات من مثل: {عبس وتولى} \* أن جاءه الأعمى \* وما يدريك لعله يزكى \* أو يذكر فتنتعه الذكرى \* أما من استغنى \* فأنت له تصدى \* وما عليك ألا يزكى \* وأما من جاءك يسعى \* وهو يخشى \* فأنت عنه تلهى} [عبس: ١-١٠] . ومن مثل: {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم} \* قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم \* وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبات به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير} [التحریم: ١-٣] . ومن مثل: {ما كان لني أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم} \* لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم} [الأنفال: ٦٧-٦٨] .

وغيرها من مواطن التصويب الإلهي للاجتهادات النبوية فيما لم يسبق فيه وحى، وذلك حتى لا يتأسى الناس بهذه الاجتهادات المخالفة للأولى، فالعصمة للرسول ﷺ، فيما يبلغ

عن الله شرط لازم لتحقيق الصدق والثقة في البلاغ الإلهي، وبدونها لا يكون هناك فارق بين الرسول وغيره من الحكماء والمصلحين، ومن ثم لا يكون هناك فارق بين الوحي المعصوم والمعجز وبين الفلسفات والإبداعات البشرية التي يجوز عليها الخطأ والصواب .. فبدون العصمة تصبح الرسالة والوحي والبلاغ قول بشر، بينما هي بالعصمة قول الله سبحانه وتعالى الذي بلغه وبيّنه المعصوم ﷺ فعصمة المبلّغ هي الشرط لعصمة البلاغ.. بل إنها - أيضاً - الشرط لنفي العبث وثبوت الحكمة لمن اصطفى الرسول وبعثه وأوحى إليه بهذا البلاغ... (١) ولا يشكل عليه أيضاً كونه ﷺ ينسى الآية أحياناً، فإن هذا ليس نسياناً مطبقاً مطلقاً، بمعنى أنه لا يتذكرها، بل هو قد قرأها وحفظها أصحابه، ودونها الكتاب، ولكنها عزبت عنه تلك اللحظة فأسقطها، أو وقف يتذكرها، وهذه جبلة بشرية، ولهذا قال تعالى: {سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى} [الأعلى: ٦-٧]. فهذا مما شاء الله، ومما شاء الله أن ينساه ﷺ . ما نسخت تلاوته من أي القرآن الكريم.

أما ما اجتهد فيه ﷺ فإنه لا يقر إلا على صواب، ولذلك "عوتب في شأن الأسرى بيدر { ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض... } [الأنفال ٦٧] (١). وعوتب في شأن ابن أم مكتوم: {عبس وتولى أن جاءه الأعمى} [عبس: ١-٢]. (٢) وعوتب في شأن زيد بن حارثة وزينب بنت جحش {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه...} [الأحزاب: ٣٧] (٣).

فكان ﷺ يعلن ذلك لأصحابه، ويحفظه لهم، ويتلوه عليهم، ويتعبد بهم بتلاوته، ولم يعبا بمقالة اليهود والمنافقين، ولا باضطراب ضعفاء النفوس؛ لأن دين الله أعظم من ذلك كله، وهذا من أعظم كمالاته التي حلاها الله بها، وقال: {وإنك لعلی خلق عظیم} [القلم: ٤]. فإن القول بأن الرسول ﷺ لم يقع منه خطأ، مخالف لظاهر القرآن؛ لأن الله سبحانه . الذي أرسله بالحق، وهو أعلم به . قد عاتبه في غير ما آية، ولا يكون العتاب إلا بسبب وقوع خطأ منه ﷺ وقد يستعظم بعض الناس القول بهذا، زاعماً أن ذلك ينقص من قدر النبي ﷺ

(١) - شبهات المشككين والرد ل د . زقروق شبهة رقم ٤٧

(١) - انظر الترمذي (٣٠٨٤) عن عبد الله بن مسعود، وأبو داود (٢٦٩٠) عن عبد الله بن عباس

(٢) - انظر الترمذي (٣٣٣١) عن عائشة.

(٣) - ، انظر البخاري (٤٨٨٧) عن أنس

وليس الأمر كذلك؛ فحق الله أعظم، والإيمان بكلامه الذي نقله الرسول ﷺ أولى من هذا الزعم .

في الرسول جانبان : جانب بشري، وجانب نبوي، أما الجانب البشري فهو فيه كالبشر: يحب ويكره، ويرضى ويغضب، ويأكل ويشرب، ويقوم وينام ... إلخ، مع ما ميّزه الله به في هذا الجانب في بعض الأشياء؛ كسلامة الصدر، والقوة في النكاح، وعدم نوم القلب، وغيرها من الخصوصيات التي تتعلق بالجانب البشري. ومن هذا الجانب قد يقع من النبي ﷺ بعض الأخطاء التي يعاتبه الله عليها، ولك أن تنظر في جملة المعاتبات الإلهية للنبي ﷺ؛ كعتابه بشأن أسرى بدر، وعتابه بشأن زواجه من زينب، وعتابه في عبد الله بن أم مكتوم، وغيرها، وقد نصّ الله على هذا الجانب في الرسل جميعهم صلوات الله وسلامه عليهم، ومن الآيات في ذلك: {قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً} [الإسراء: 93]، ومن الأحاديث قوله ﷺ: (إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وأقضي له على نحو ما أسمع، من حق له أخيه شيئاً، فلا يأخذ، وإنما أقطع له من النار) (١). وتكمن العصمة في هذا الجانب في أنّ الله يُنبئ نبيه ﷺ على ما وقع منه من خطأ، وهذا ما لا يتأتى لأحد من البشر غيره، فتأمله فإنه من جوانب العصمة . وأما الجانب النبوي، وهو جانب التبليغ، فإنه لم يرد البتة أنّ النبي ﷺ خالف فيه أمر الله؛ كأن يقول الله له: قل لعبادي يفعلوا كذا فلا يقول لهم، أو يقول لهم خلاف هذا الأمر، وهذا لو وقع فإنه مخالف للنبوة، ولذا لما سُحِرَ النبي ﷺ لم يُؤثّر هذا السحر في الجانب النبوي (٢)، بل أثر في الجانب البشري، ومن ثمّ فجانب التبليغ في النبي ﷺ معصوم، ويدل على هذا الجانب قوله تعالى: {وما ينطق عن الهوى، إن هو إلاّ وحي يوحى} [النجم: ٤]

## المطلب الثلاثون : مات النبي ﷺ بالسم

الرد على الشبهة:

حين تصاب القلوب بالعمى بسبب ما يغشاها من الحقد والكراهية يدفعها حقدتها إلى تشويه الخصم بما يعيب، وبما لا يعيب، واتهامه بما لا يصلح أن يكون تهمته، حتى إنك لترى من يعيب إنساناً مثلاً بأن عينيه واسعتان أو أنه أبيض اللون طويل القامة، أو مثلاً قد

(١) - (رواه البخاري (٦٩٦٧)، ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة - رضي الله عنها -

(٢) - انظر ما رواه البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة - رضي الله عنها -

أصيب بالحُمى ومات بها، أو أن فلاناً من الناس قد ضربه وأسال دمه؛ فهذا كأن أو أن تعيب الورد بأن لونه أحمر مثلاً؛ وغير ذلك مما يستهجنه العقلاء ويرفضونه ويرونه إفلاساً وعجزاً. أن محمداً ﷺ قدمت له امرأة من نساء اليهود شاة مسمومة فأكل منها فمات ﷺ وينقلون عن تفسير البيضاوى:

أنه لما فتحت خيبر واطمأن الناس سألت زينب بنت الحارس - وهى امرأة سلام بن مشكم (اليهودى) - عن أى الشاة أحب إلى محمد ﷺ؟ فقيل لها: إنه يحب الذراع لأنه أبعداها عن الأذى فعمدت إلى عنزة لها فذبحتها ثم عمدت إلى سم لا يلبث أن يقتل لساعته فسَمَّت به الشاة، وذهبت بها جارية لها إلى الرسول ﷺ وقالت له: يا محمد هذه هدية أهديها إليك، وتناول محمد الذراع فنهش منها.. فقال ﷺ: ارفعوا أيديكم فإن هذه الذراع والكتف تخبرني بأنها مسمومة؛ ثم سار إلى اليهودية فسألها لم فعلت ذلك؟ قالت: نلت من قومي ما نلت... وكان ذلك بعد فتح "خيبر" أحد أكبر حصون اليهود في المدينة وأنه ﷺ قد عفا عنها.

ثم يفصحون عن تفسير البيضاوى: أنه ﷺ لما اقترب موته قال لعائشة - رضى الله عنها - يا عائشة هذا أوان انقطاع أبحرى (الأبحران عرفان متصلان بالقلب وإذا قطعا كانت الوفاة)، فليس فى موته ﷺ بعد سنوات متأثراً بذلك السُم إلا أن جمع الله له بين الحسينين، أنه لم يسلط عليه من يقتله مباشرة وعصمه من الناس وأيضاً كتب له النجاة من كيد الكائدين وكذلك كتب له الشهادة ليكتب مع الشهداء عند ربهم وما أعظم أجر الشهيد.

وأيضاً.. لا شك أن عدم موته بالسم فور أكله للشاة المسمومة وحياته بعد ذلك سنوات يُعد معجزة من معجزاته، وعَلَمًا من أعلام نبوته يبرهن على صدقه، وعلى أنه رسول من عند الله حقًا وقيينًا، وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يموت فى الأجل الذى أجله له رغم تأثره بالسم من لحظة أكله للشاة المسمومة حتى موته بعد ذلك بسنوات. (١)

**المطلب الواحد والثلاثون : كيف تزعمون أن محمدا (اصطفاه الله**

**للرسالة وهيئه، مع وصفه له بالضلال ، فهو كقومه كان وثنيا،**

**{ووجدك ضالا فهدى} ، الضحى: ٧**

(١) - حقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين ، رقم ٥٠ .

الجواب في الفصل التالي في رد الشيخ عبد الجليل شلبي على مفتريات رسالة المجلس القبطي

المبحث الخامس

أخطاء مزعومة في القرآن الكريم، واتهام القرآن بمعارضة الحقائق الدينية والتاريخية والكونية والتجريبية وغيرها ، والأصح سوء فهم لآيات القرآن الكريم وألفاظه

## المطلب الأول :

قالوا: القرآن يستخدم كلمات لا تليق وتخدش الحياء، مثل كلمة (النكاح) أو (الغائط) أو (الفرج)، ومفهوم كلمة النكاح عندهم (الجماع)، وأما (الغائط) فأوه اسما صريحا لما يخرج في الخلاء، وكذلك الحال في (الفرج) الذي اعتبروه لفظا صريحا في الدلالة على محل الجماع.

والجواب: لعل من نافلة القول أن نقرر أن الباحث في كتب أهل الأديان اليوم لن يجد كتابا مثل القرآن في عنايته بالآداب وانتقائه لأجود الكلمات والألفاظ، لأنه كتاب الرب الحكيم العليم، تعالى عن كل نقيصة ومثلبة، لكن الجماع والتبول والتبرز عمليات حيوية لا يخلو عن التطرق إليها كتاب يتناول توجيه المناشط الإنسانية، بيد أن عظمة القرآن عرضت ما يتعلق بهذه المعاني في قالب أدبي رصين لا مثيل له ، فذكرها بطريق الاستعارة والكناية استعلاء وترفعا عن اللفظ الصريح المستقبح.

ومن ذلك أنه تبارك وتعالى عبر بالمماسة والملامسة عن الجماع، كما في قوله تعالى: {والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا} (المجادلة: ٣ - ٤)، ومثله قوله: {وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن} [البقرة: ٢٣٧]، وقوله: {أو لامستم النساء} [النساء: ٤٣]، وفي مواضع أخرى استعاضت الآيات عن ذكر الجماع بألفاظ عامة كالرفث والإفشاء والمباشرة والاعتزال، ومن ذلك قوله عز وجل: {أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم} [البقرة: ١٨٧]، قال ابن عباس: "الرفث، الجماع، ولكن الله كريم يعني" <sup>١</sup>، وأصل الرفث كما قال أبو عبيدة هو: "اللغا من الكلام، وأنشد: ورب أسراب حجيج كظم ... عن اللغا ورفث التكلم" <sup>٢</sup>

وأما التكنية عن الجماع بالإفشاء، ففي قوله تعالى: {وكيف تأخذونه وقد أفضى

(<sup>١</sup>) - (جامع البيان، الطبري (٣/٤٨٧). مرجع سابق .

(<sup>٢</sup>) - (القرطبي (٢/٤٠٧). مرجع سابق

بعضكم إلى بعض} [النساء: ٢١]، وفي آية أخرى كنى الله تعالى عنه بالمباشرة؛ لما فيه من التقاء البشريتين {فالآن باشروهن} [البقرة: ١٨٧].

وأما لفظه (النكاح) فهي في لغة العرب بمعنى الاختلاط والتضام، كما تستعمل العرب (النكاح) بمعنيين مجازيين: أولهما: للدلالة على عقد النكاح. والثاني: هو الجماع. قال الفيومي: "تناكحت الأشجار إذا انضم بعضها إلى بعض، أو من نكح المطر الأرض إذا اختلط بثراها، وعلى هذا فيكون (النكاح) مجازاً في العقد والوطء جميعاً، لأنه مأخوذ من غيره، فلا يستقيم القول بأنه حقيقة، لا فيهما، ولا في أحدهما، ويؤيده أنه لا يفهم العقد إلا بقريئة نحو (نكح) في بني فلان ولا يفهم الوطء إلا بقريئة نحو (نكح) زوجته، وذلك من علامات المجاز".<sup>(١)</sup>

وحين استخدم القرآن هذه اللفظة (النكاح) أراد المعنى المجازي الأول (عقد النكاح)، ولم يرد (الجماع)، وهذا يتبين لمن تأمل الآيات القرآنية، كمثل قوله تعالى: {وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم} [النور: ٣٢]، فالمعنى: زوجوهم، ومثله في قوله: {يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً} [الأحزاب: ٤٩]، فالآية صريحة في طلاق الزوجة بعد العقد عليها وقبل الدخول فيها، فقوله: {نكحتم} أي عقدتم، ومثله قوله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع؛ لما لها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (متفق عليه) أي تخطب المرأة ويطلب الزواج منها لهذه الأمور.

وكذلك كنى القرآن عن محل الجماع بالحرث والتغشي، فأما الحرث ففي قوله تعالى: {نساءؤمكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم} [البقرة: ٢٢٣]، والتغشي في قوله: {فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً} [الأعراف: ١٨٩]، وكذلك كنى القرآن عن مقدمات الجماع بالمرادة، كما في قوله تعالى: {وراودته التي هو في بيتها} [يوسف: ٢٣]، فهو كناية عما تطلب المرأة من الرجل وما يطلبه الرجل من المرأة.

ومثل هذا الأدب كنى القرآن عن محل الجماع بـ (الفرج)، في قوله: {والتي أحصنت فرجها} [الأنبياء: ٩١]، وهو لفظ كناية، وليس بلفظ صريح، كما توهم الجهلة من

(١) - (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٦٢٤)). الناشر: المكتبة العلمية - بيروت

أعاجم العربية، فالفرج عند العرب يراد به أصلاً فرج القميص، أي شقه، ومنه قوله تعالى: { ما لها من فروج } [ق: ٢٦]، والتعبير به عن موضع العفة من أطف الكنايات وأحسنها، قال الجرجاني: "فرج بالسكون، والفرجة الشق بين الشئيين، والفرج ما بين الرجلين .. وقال بعضهم أصله الشق، وكني به عن السوءة، وكثر حتى صار كالصريح" (١).  
وحيث تحدث القرآن عن التبول والتغوط لم يصرح بهما، بل ذكر لزمهما، وهو الطعام والشراب، فقال عن المسيح وأمه: { ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أني يؤفكون } [المائدة: ٧٥].

وأما لفظة (الغائط) فهي أيضاً من ألفاظ الكناية، وهي صورة أخرى من صور الأدب القرآني، لأن الغائط في لغة العرب ليس اسماً للعدرة التي تخرج من الإنسان، بل هو المكان المنخفض من الأرض، ولما كانوا يقضون حوائجهم فيها؛ فقد استعملوه للدلالة على العذرة، لكرهية العرب للتصريح باسمها.

قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

فكم من غائط من دون سلمى ... قليل الأئس ليس به كتيع  
ومراده كثرة الوديان التي تفصله عن سلمى.

وفي مقابل هذا الأدب القرآني الجم؛ فإننا نذكر المرددتين لهذه الشبهة ببعض ما في كتبهم مما تستقبح ذكره الطباع: فقد ورد ذكر (الخرء) في سفر حزقيال حين زعموا أن الله قال لنييه حزقيال: "وتأكل كعكا من الشعير، على الخراء الذي يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم" (حزقيال ٤ / ١٢).

ووردت المضاجعة صريحة في كتبهم في مواضع لا تحصى لكثرتها، بل ورد ذكر تفاصيل فاضحة عن العلاقة الجنسية، ومنه قول التوراة: "وزنتا بمصر في صباهما زنتا. هناك دغدغت ثديهما، وهناك تزغزغت ترائب عذرتهما" (حزقيال ٢٣ / ٣)، ومثله في قولها: "حبيبي لي، بين ثديي بيت" (نشيد ١ / ١٥)، وأمثال هذا كثير، يطول المقام بتتبعه.

وهكذا فإن أدب العبارة القرآنية لا يبارى ولا يجارى، لأنه كتاب الله وكلامه، وما

(١) - (التعريفات، الجرجاني، ص (٥٥٣)). مصدر سابق .

وقع فيه الآخرون من اتهام القرآن بذكر القبيح؛ إنما كان لعدم فهم هذه الألفاظ، فقد فاتهم أنها ألفاظ كناية تستخدمها العرب لتتوري بها عن الصريح المستقبح، فلما غلب استعمالها على ما أطلقت عليه كناية؛ ظنها الجاهلون بلغة العرب من ألفاظ الفحش والقباحة ومما لا يليق...<sup>(١)</sup>

**المطلب الثاني:** قالوا: القرآن يحرم إكراه العفيفات على البغاء، ويجيز إكراه غير العفيفات، وذلك في قوله: {ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم} [النور: ٣٣].  
والجواب: المتأمل للمعنى المقلوب الذي فهمه الشائتون من هذه الآية يدرك المأزق الذي يعانیه أعداء القرآن، إذ لا يستقيم عند عاقل تحريم إكراه العفيفة وجواز إكراه غيرها، فإن البغي لا تكره على البغاء، فإنما يكره على الشيء من يكرهه. ومن لم ترد التحصن بعت طوعاً<sup>(١)</sup>. ولو شاء الطاعنون في القرآن نصفته لشهدوا أنه ما من دين أرسى من مبادئ العفة ما أرساه الإسلام، هل رأيت في دين من أديانها أنه يعاقب على الزنا بالقتل ويحرم حتى النظر إلى الأجنبية، ويأمرها بالستر بين الرجال، ويمنع اختلاط النساء بالرجال حتى في المساجد وفي حال العبادة والطهر والسمو الروحي الذي تغور - عادة - عنده دواعي الشهوة.

ولو أرادوا الحقيقة لما أعياهم الرجوع إلى سبب نزول الآية، واستجلاء الوقائع التي أنزل الله معالجتها في تلكم الآيات التي لووها لمزا للقرآن وطعنا فيه، فقد نزلت في جاريتين (مسيكة وأميمة) كانتا لرأس النفاق والمنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول، وكان يكرههما على الزنى، ليتكسب من أجره، فشكنا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله الآية<sup>(٢)</sup>.

والسؤال: ما الذي يفيد قول الله تعالى: {إن أردن تحصنا}؟

والجواب: أن هذا ما يسميه العلماء (صفة كاشفة)، أي: ولا تكرهوا على البغاء فتياتكم اللاتي أردن التحصن، كما يراد منه زيادة التأكيد على التحريم، فلئن كان البغاء محرماً في

(١) - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، منقذ بن محمود السقار ص ٢٥٧ - ٢٦٠

(٢) - (الباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي الحنبلي (١٤ / ٣٧٧). الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ

(٣) - (مسلم ح (٣٠٢٩)).

كل حال؛ فإنه أشد حرمة وقبحا حين يكون إكراها وإجبارا للمستعفات على فعل الفاحشة التي يكرهونها.

ومثل هذا الوصف الكاشف استخدمه القرآن في مواضع كثيرة، فقد عدد الله المحرمات من النساء ، وذكر منهن: {وربائبكم اللاتي في حجوركم} [النساء: ٢٣] وربيبه المرء [ابنة زوجته من غيره] تحرم على المرء ولم تسكن في بيته، فقوله: {في حجوركم} لا مفهوم له، وخرج مخرج الغالب.

ومثله قوله تعالى: {ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا} [النساء: ١٠١]، ومن المعلوم أن قصر المسافر الصلاة لا يتعلق بحال الخوف دون الأمن، لكنه كما قال ابن كثير: «فقد يكون هذا خرج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية. إذ كانت أسفارهم بعد الهجرة في مبدئها مخوفة. بل كانوا لا ينهضون إلا إلى غزو عام، أو سرية خاصة، وسائر الأحياء حرب للإسلام وأهله. والمنطوق إذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له .. ومما يشهد بأن للمسافر أن يقصر سواء أكان آمنا أم خائفا» (١) ، وهكذا فقوله: {إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا} لا مفهوم له.

ومثله أيضا قوله تعالى: {أضعافا مضاعفة} فهو لا مفهوم له في قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة} [آل عمران: ١٣٠]، فالربا كله حرام، سواء كان الربا أضعافا مضاعفة أم دون ذلك، وهو قيد للتعليل، وليس للاحتراز (٢).

### المطلب الثالث :

قالوا: آيات القرآن تصف غير المسلمين بأنهم نجس، وذلك في قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا} [التوبة: ٢٨]، ورأوا في هذا ظلما وانتهاكا لإنسانية غير المسلم.

والجواب: المؤمن والكافر لا يستويان في ميزان الله {أفجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون} [القلم: ٣٥ - ٣٦]، ولا ريب أن المؤمن حبيب الله بما يمتاز به من نقاء الظاهر والباطن.

(١) - تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٤). مرجع سابق

(٢) - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين ، منقذ بن محمود السقار ص ٢٦١ مرجع سابق

ولما كان تعظيم بيوت الله من شعائر الله وتوقيره؛ فإن صونها عن النجس أول حقوقها «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقدر، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن» (١)، وتحقيقا لهذا الصون نهى النبي ﷺ عن نشدان الضالة في المسجد وأمثاله مما هو متعلق بالدنيا.

وقد أمر الله المسلم بالتجمل للمساجد والتزين قبل دخولها ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [الأعراف: ٣١]، ومنع المسلم والمسلمة- في حال الحيض أو الجنابة أو أكل الثوم والبصل - من دخول المساجد صيانة لها عن الأذى وتعظيما لها عن الأحوال الدنيئة، والكافر أولى بهذا المنع؛ إذ لا يغتسل من جنابة، ولا يحتزز من خمر أو غيره من دقيق النجاسة التي يتوقى منها المسلم بموجب دينه وشريعته؛ حرصا على صحة صلاته وسلامة دينه.

وهذا كله لا يمنع من القول بنجاسة الكافر معنويا أيضا؛ بما يحمله في قلبه من تعظيم لغير الله وعبادة لمن لا يستحق العبادة، ومثل هذا المعنى كثير في كتب الطاعنين في القرآن، فقد وصف سفر إشعيا غير المؤمنين بأنهم نجس «وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة. لا يعبر فيها نجس بل هي لهم» (إشعيا ٣٥ / ٨)، وكذلك «البيسي ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة، لأنه لا يعود يدخلك فيما بعد أغلف ولا نجس» (إشعيا ٥٢ / ١).

ومثل هذا المعنى ورد في العهد الجديد «إنكم تعلمون هذا أن كل زان أو نجس أو طماع الذي هو عابد للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله» (أفسس ٥ / ٥)، وكذلك «لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير» (متى ٦ / ٧) (١).

**المطلب الرابع : الأرض مسطحة في القرآن } وهو الذي مد الأرض وجعل**

**فيها رواسي } [الرعد: ٣] ، { وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا } [النازعات: ٣٠]**

**أما الكرة الأرضية على هيئة البيضة (١)**

عامّة الذين ترجموا القرآن الكريم، يتبارون بحثا عن "أخطاء" في نص القرآن، في

<sup>١</sup> - (رواه مسلم ح (٢٨٥) .)

<sup>١</sup> - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين ، منقذ بن محمود السقار ص ٢٦٠ مرجع سابق .

محاولة منهم لإثبات أنه غير منزل من عند الله، ويأخذون مثلاً لإثبات عدم مصداقيته آية { وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا } [ ٣٠:النازعات]، التي قمت بترجمتها (للفرنسية) بما معناه "والأرض بعد ذلك كورها كالبيضة" حتى وإن كانت كلمة "بيضة" لا توجد في النص العربي لهذه الآية. لكنها توجد ضمن المعاني اللغوية لهذه الكلمة. كما إن المعنى الإجمالي يحتم أخذ هذه الكلمة في الاعتبار. لأن المعنى يفرض نفسه إذا ما راعينا كل ما تتضمنه الآيات المتعلقة بخلق الأرض واستدارة شكلها ؛ ومختلف قواميس اللغة العربية ؛ وكل ما أورده المفسرون حول نفس الموضوع. مع ملاحظة أن اللغة العربية، رغم اتساع مفرداتها المبهرة، تتضمن . مثلها مثل كل اللغات، كلمات لها أكثر من معنى. وبذلك فإن مضمون الموضوع هو الذي يعاون على الاختيار.

وفي القرآن الكريم نجد إن موضوع تكوين الأرض والسموات تم تناوله بوضوح: فهناك آيات متعلقة بالخلق بصفة عامة، وتكوين الأرض، والسموات، والكواكب. وفيما يتعلق بسورة "النازعات"، التي تتضمن الآية التي استشهدت بها كمثال، فإن بها وصف جد معجز في إيجازه حول عملية الخلق: { أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) } [ ٣١:٢٧ :النازعات].

ما تقوله القواميس : فيما يتعلق بكلمتي "دحاها" و"طحها" :

١ . "دَحَّ" : بسط ؛ وسَّع ؛ دس في الأرض ؛ ضرب باليد منبسطة

"دحا" : يكور العجينة ؛ يكور رغيف الخبز ويسطه ؛ يدحرج من مكانه

"دحية" : بيضة ، وجمعها "دَحَّ"

"الأدحى" : الحفرة التي تحفرها النعامة لتضع بيضها ؛ منزل من منازل القمر

"الدحية" : الرئيس ؛ قائد الجماعة ؛ رقصة عربية قديمة عند العرب

"الداح" : سوار مجدول

٢ . "الطحو" : يدحرج من عالٍ

"طحح" : يسطح كالبساط المفرد ؛ أرض مسطحة

وقد تحدث كلا من الراوي وابن حزم وابن القيم الجوزية وغيرهم عن بسط الأرض ومدّها على مدى البصر، وأن الله قد جعل حجمها ضخماً بحيث لا يمكن رؤية نهايتها، وإن الكرة حين تكون ضخمة يكون كل جزء من سطحها عبارة عن مساحة منبسطة. ومثلما رأينا عاليه، فإن كلمة "بيضة" هي أحد معاني "دحية" وجمعها "دح"؛ و "دحا" يكور، يكور رغيف الخبز ويبسطه. وإذا أخذنا في الاعتبار كل الآيات التي تشير إلى استدارة الأرض وكرويتها، فإنه من الطبيعي أن أختار كلمة "بيضة" في ترجمتي بما أنها تمثل تماماً الشكل الموصوف. من ناحية أخرى، وحتى يومنا هذا فما تزال تستخدم في الصعيد (جنوب مصر) كلمة "دحية" و "دح" للجمع ولا يقولون "بيض". أي إن استخدام هذا المعنى المستدير لم يختف لغويا. وإن كان كل المترجمين حديثاً إلى الفرنسية لم يختاروا كلمة "بيضة" فذلك ليس ذنباً أوليس مبرراً للتقليل من شأن اختياري الذي أتحمّل مسؤوليته تماماً، بما أنني أول من استخدم هذه العبارة في ترجمة هذه الآية إلى الفرنسية.

وهناك العديد من الآيات التي تتناول الكون وتحدث أو تشير إلى استدارة الأرض دون ذكر استدارتها تحديداً من شدة وضوح معنى الاستدارة ضمناً. ومنها: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [٢٩: لقمان]؛ و { وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ } [٣٧: يس]؛ و { وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۗ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُزُقِينَ اثْنَيْنِ ۗ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [٣/ الرعد]؛ و { يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ } [٤٤/ النور].

وفي آيات أخرى تبدو استدارة الأرض أكثر وضوحاً بفضل الفعل المستخدم، ومنها: { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ } [٥: الزمر]. وأحياناً يتم وصف العروج: { يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [٤: الحديد]؛ و { وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ } [١٤/ الحجر]؛ { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ

وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ { [٤/ المعارج].

إن أفعال يولج، يغشى، يدخل، يكور، يعرج، كلها أفعال تحتاج إلى وقت ما لكي تتم فإن كانت الأرض مسطحة تماماً لوجب وضع افعال من قبيل أضاء/أطفأ، أي ينتشر فعله في لا وقت على كل سطح الأرض. إلا إن كل هذه الأفعال المستخدمة بحاجة إلى زمن معين لكي يتم فعلها، وجميعها يثبت استدارة الأرض. وكذلك أفعال يكور أي يلف بحركة مستديرة؛ يعرج، وتعني الصعود إلى أعلى في خط منحنى. وإن كانت الأرض مسطحة لكان استعمال هذه الأفعال لا معنى له.

فالسطح الوحيد الذي يمكن بسطه وتسطيحه ومدّه والسير عليه في جميع الاتجاهات من أي مكان دون أن نصطدم أو نسقط في نهايته هو سطح الكرة. وبخلاف دقة التعبير لكل هذه الكلمات، فإن فعلها لا يتم إلا إن كانت الأرض مستديرة وتدور على محورها لتحديد اليوم، وتدور حول الشمس لتحديد السنة، مثلما هو واضح في آيات أخرى. بل لقد أثبت العلم حديثاً إن الفرق بين القطبين وبين خط الاستواء ٤٣ كم. وهو ما يجعل الأرض ببيضاوية الشكل يقينا وليست كروية فحسب.

### شيء من التاريخ :

قال الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب ج ٤٢ / ٢١ "ثبت بالدليل أن الأرض كرة." وقال أبو محمد ابن حزم رحمه الله ( ٣٨٤ هجرية ) : " مطلب بيان كروية الأرض : وجوابنا وبالله تعالى التوفيق : أن أحداً من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضي الله عنهم لم ينكروا تكوير الأرض ، ولا يحفظ لأحد منهم في دفعه كلمة ، بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها ... " وساق جملة من الأدلة على ذلك "الفصل في الملل والأهواء والنحل" (٧٨/٢)

وقد استدل ابن حزم وغيره بهذه الآية : ( خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ) ( الزمر/٥ . ) . والتكوير جعل الشيء كالكور ، مثل كور العمامة ، ومن المعلوم أن الليل والنهار يتعاقبان على الأرض ، وهذا يقتضي أن تكون الأرض كروية ؛ لأنك إذا كورت شيئاً على شيء ، وكانت الأرض هي التي يتكور عليها هذا الأمر لزم أن تكون الأرض التي يتكور عليها هذا الشيء كروية.

إن العلوم الحديثة في أوروبا تولدت في الثلث الأول من القرن السابع عشر. فمن إدانة جاليليو سنة ١٦٣٣ عن طريق محاكم التفتيش التي كانت تحارب العلم لتبقي على فكرة إن الأرض مربعة ومسطحة (حزقيال ٧ : ٢)، حتى عام ١٩٨٢ حينما أعرب البابا يوحنا بولس الثاني عن أسف الكنيسة حول قضية جاليليو وإدانته، مرّت ثلاثة قرون ونصف، بدأت الكنيسة خلالها تفقد السيطرة تدريجياً على تطور العلوم، وذلك لرفضها التأقلم مع النظريات الحديثة التي تناقض نصوصها.

وطوال تلك القرون التي كانت فيها أوروبا تغوص في ظلمات الجهل العلمي، حيث لم يمكنها معرفة التراث اليوناني إلا بفضل الجهد الضخم الذي قام به العلماء المسلمين الذين ترجموا وطوّروا الميراث العلمي اليوناني، ثم تمت ترجمة ذلك التراث من اللغة العربية إلى اللاتينية. وهذا التواجد المفصلي، بين الجهل والعلم، طوال ثمانية قرون، هو ما يحاول الغرب المسيحي المتعصب، قليل الاعتراف بالجميل، أن يطمس معالمه أو يقتلعها.. أو ليس من الأصوب والأكثر أمانة أن يتعلم قراءة القرآن الكريم بهدف فهمه وإدراك مختلف المعطيات الإلهية، خاصة بعد أن تم تحريف أو إبادة كافة نصوص الرسائل التوحيديتين السابقتين؟ وفي نهاية هذا البحث استشهد بأحد الأمناء المؤرخين الذي تجرأ وقال كلمة حق بلا أي تعصب : "أيا كانت الطريقة التي نحكم بها على التأثير الإسلامي، وأيا كان عنف ردود الأفعال ضده والطريقة الرامية إلى التخلص منه، لا يمكننا إنكار : إن أوروبا ما كانت لتستطيع أن تكون ما هي عليه الآن لو لم تكن قد عرفت الإسلام، فهو جزء من تراثها. والبحث عن آثار الإسلام في أوروبا يعني، بينما نبحث عن الآخر، فإننا نبحث أيضاً عن أنفسنا" .. جان . بول رو، مقدمة كتابه : "الإسلام في أوروبا" .

مقال للدكتورة زينب عبد العزيز على منشور على موقع صيد الفوائد بعنوان : القرآن : إعجاز علمي

**المطلب الخامس :** يعطي القرآن معلومات مختلفة عن خلق الإنسان . . من ماء مهين [٧٧ : ٢٠] من ماء [٢١ : ٣٠] . . من نطفة [٣٦ : ٧٧] . . من طين [٣٢ : ٧] . . من علق [٩٦ : ٢] . . من حمأ مسنون [١٥ : ٢٧] . . ولم يك شيئاً [١٩ : ٦٧] . فكيف يكون كل ذلك صحيحاً في نفس الوقت؟

الجواب:

ليس هناك أدنى تناقض - بل ولا حتى شبهة تناقض - بين ما جاء في القرآن الكريم من معلومات عن خلق الإنسان. وحتى يتضح ذلك، يلزم أن يكون هناك منهج علمي في رؤية هذه المعلومات، التي جاءت في عديد من آيات القرآن الكريم. وهذا المنهج العلمي يستلزم جمع هذه الآيات. والنظر إليها في تكاملها. مع التمييز بين مرحلة خلق الله للإنسان الأول - آدم عليه السلام - ومرحلة الخلق لسلالة آدم، التي توالى وتكاثرت بعد خلق حواء، واقتراها بآدم، وحدوث التناسل عن طريق هذا الاقتران والزواج.

لقد خلق الله، سبحانه وتعالى، الإنسان الأول - آدم - فأوجده بعد أن لم يكن موجوداً. أي أنه أصبح "شيئاً" بعد ان لم يكن "شيئاً" موجوداً. وإنما كان وجوده فقط في العلم الإلهي. وهذا ومعنى الآية الكريمة: {أَوَّلًا يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا لَكُمْ شَيْئًا} [مریم: ٦٧].

أما مراحل خلق الله، سبحانه وتعالى، لآدم. فلقد بدأت ب (التراب) الذي أضيف إليه (الماء) فصار (طيناً) ثم تحول هذا الطين إلى (حمأ) أي أسود منتن، لأنه تغير - والمتغير هو (المسنون) - فلما يبس هذا الطين - من غير أن تمسه النار - سمي (صلصالاً) - لأن الصلصال هو الطين اليابس - من غير ان تمسه نار - وسمى صلصالاً لأنه يصل، أي يصوت، من يبسه - أي له صوت ورنين.

وبعد مراحل الخلق هذه - التراب. فالماء. فالطين. فالحمأ المسنون. فالصلصال. نفخ الله، سبحانه وتعالى، في مادة الخلق هذه من روحه، فغدا هذا المخلوق "إنساناً" هو آدم، عليه السلام.

وعن هذه المراحل تعبر الآيات القرآنية فتصور تكامل المراحل - وليس التعارض المتوهم والموهوم - فتقول هذه الآيات الكريمة: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ} [آل عمران: ٥٩] - فبالتراب كانت البداية.

{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} [السجدة: ٧] ، وذلك عندما أضيف الماء إلى التراب {فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ} [الصافات: ١١] - وذلك عندما زالت قوة الماء عن الطين فأصبح "لازباً"، أي

جامداً . وفي مرحلة تغير الطين، واسوداد لونه، وتنن رائحته، سمي (حمأ مسنوناً) ، لأن الحمأ هو الطين الأسود المنتن.

والمسنون هو المتغير بينما الذي (لم يتسنه) هو الذي لم يتغير . وعن هذه المرحلة عبرت الآيات: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) } [الحجر: ٢٦-٣٥] .

تلك هي مراحل خلق الإنسان الأول، توالى فيها وتتابعت وتكاملت المصطلحات: التراب . . والماء . . والطين . . والحمأ المسنون . . والصلصال . . دونما أي شبهة للتعارض أو التناقض . . وكذلك الحال والمنهاج مع المصطلحات التي وردت بالآيات القرآنية التي تحدثت عن خلق سلالة آدم عليه السلام . .

فكما تدرج خلق الإنسان الأول - آدم - من التراب . . إلى الطين . . إلى الحمأ المسنون . . إلى الصلصال . . حتى نفخ الله فيه من روحه . . كذلك تدرج خلق السلالة والذرية . . بدءاً من (النطفة) - التي هي الماء الصافي - ويعبر بها عن ماء الرجل - (المني) - . . إلى (العلقة) - التي هي الدم الجامد، الذي يكون منه الولد، لأنه يعلق ويتعلق بجدار الرحم . . إلى (المضغة) - وهي قطعة اللحم التي لم تنضح، والمماثلة لما يمضغ بالفم . . إلى (العظام) . . إلى (اللحم) الذي يكسو العظام . . إلى (الخلق الاخر) الذي اصبح - بقدرة الله - في أحسن تقويم . (١)

ومن الآيات التي تحدثت عن توالي وتكامل هذه المراحل في خلق وتكوين نسل الإنسان الأول وسلالته، قول الله، سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ

(١) - معان هذه المصطلحات من [المفردات في غريب القرآن] مرجع سابق

فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا { (الحج: ٥) .

وقوله، سبحانه: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } [المؤمنون: ١٢-١٤] .

وإذا كانت (النطفة) هي ماء الرجل. فإنها عندما تختلط بماء المرأة، توصف بأنها (أمشاج) - أي مختلطة - كما جاء في قوله تعالى: { إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } [الإنسان: ٢] .

كما توصف هذه (النطفة) بأنها (ماء مهين) لقلته وضعفه. . وإلى ذلك تشير الآيات الكريمة: { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ { [السجدة: ٧-٨] . { أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ } [المرسلات: ٢٠-٢٣] .

وكذلك، وصفت (النطفة) - أي ماء الرجل - بأنه (دافق) لتدفعه واندفاعه. . كما جاء في الآية الكريمة: { فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) } [الطارق: ٥-٧] .

هكذا عبر القرآن الكريم عن مراحل الخلق. . خلق الإنسان الأول. . وخلق سلالات وذريا هذا الإنسان. . وهكذا قامت مراحل الخلق، ومصطلحات هذه المراحل، شواهد على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم. . عندما جاء العلم الحديث ليصدق على هذه المراحل ومصطلحاتها، حتى لقد انبهر بذلك علماء عظام فاهتدوا إلى الإسلام. . فكيف يجوز - بعد ذلك ومعه - أن يتحدث إنسان عن وجود تناقضات بين هذه المصطلحات. . لقد صدق الله العظيم: { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } (النساء: ٨٢) . (١)

(١) - معاني المصطلحات الواردة في هذه الآيات في: الراغب الأصفهاني، (المفردات في غريب القرآن) و (لسان العرب) - لابن منظور - ، راجع حقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين ، رقم الشبهة ٣٥ لمجموعة من العلماء .

**المطلب السادس :** توضح كثير من سور القرآن أن السموات والأرض قد خلقت

في ستة أيام. وهنا مشكلتان؛ الأولى انه من الثابت علمياً أن خلق السموات والأرض

قد استغرق بلايين السنين. والثانية: أنه في التعبير القرآني نفسه كانت مدة الخلق

ثمانية أيام بدلاً من ستة [الزخرف : ٩-١٢] فكيف يمكن التوفيق بين هذه الآيات؟

الجواب: في كثير من السور القرآنية تتحدث آيات كثيرة عن خلق الله، سبحانه وتعالى،

السموات والأرض وتقدير ما فيهما في ستة أيام. . ومن هذه الآيات:

{ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } [الأعراف: ٥٤ - ويونس: ٣].

{ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } [هود: ٧] .

{ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } [الفرقان: ٥٩] .

{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } [السجدة: ٤] .

{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } [ق: ٣٨] .

{ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } [الحديد: ٤] .

وليس هناك تعارض بين تحديد زمن الخلق للسموات والأرض في ستة ايام، وبين ما يراه

العلم من استغراق ذلك الخلق بلايين السنين، ذلك أن المدى الزمني "اليوم" عند الله،

سبحانه وتعالى، ليس هو المدى الزمني القصير "اليوم" في العرف والتقويم الذي تعارف عليه

الإنسان في هذه الحياة الدنيا. . وفي القرآن آيات شاهدة على ذلك، منها:

{ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ

اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ

إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ - (لم يتغير) - وانظُرْ إِلَى جِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ

إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا - (أي نرفعها من الأرض لنؤلفها) - ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ

قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة: ٢٥٩] .

فبعض اليوم، في حساب الإنسان - هنا - بلغ مائة عام. . أي قرابة ٣٧٠٠٠ يوم!

وكذلك الحال في قصة أهل الكهف. . فما حسبه يوماً أو بعض يوم قد بلغ ثلاثمائة عام

بالتقويم الشمسي وثلاثمائة وتسعة أعوام بالتقويم القمري. . { قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا

لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ } [الكهف: ١٩] . . { وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ

ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَبِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا } [الكهف: ٢٥-٢٦] .

وكذلك الحال يوم ينفخ في الصور - يوم البعث - يحسب بعض المجرمين أن مكثهم في الدنيا لم يتجاوز عشر ليال. . بينما يحسب آخرون منهم أن مكثهم لم يتعد اليوم الواحد: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا } [طه: ١٠٢-١٠٤] .

أما عند الله، سبحانه وتعالى، فإن لمصطلح "اليوم" مدى لا يعلم حقيقة طولته وأمدته إلا هو: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } [الحج: ٤٧] .

والآية لا تحدده بألف سنة مما نعد نحن في تقويمنا. . وإنما تستخدم أداة التشبيه - الكاف - (كألف) - ليظل المدى غير معلوم لنا في هذه الحياة. . وغير ممكن التحديد بوحداتنا نحن في القياس الزمني. . فيوم الدين - الجزء - . . وأيام الله. . والأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض. . مداها - بمقاييس أيامنا نحن - لا يعلمها إلا الله، سبحانه وتعالى. .

ثم إن ما اكتشفه العلم من سرعات للصوت. . وسرعات للضوء. . وزمن الضوء - سنة ضوئية - يجعل تفاوت واختلاف المفاهيم والمقاييس لمصطلح "اليوم" أمراً مقررًا ومألوفًا. هذا عن المشكلة الأولى من مشكلتي السؤال. .

أما المشكلة الثانية - من مشكلتي السؤال - والخاصة بحديث بعض الآيات القرآنية عن أن الخلق للسموات والأرض قد يفهم أنه استغرق ثمانية أيام، وليس ستة أيام. . - وهي آيات سورة فصلت: {قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيٍّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } [فصلت: ٩-١٢] .

هذه "المشكلة" لا وجود لها: فليس هناك تناقض ولا تفاوت بين المدة الزمنية التي جاءت في هذه الآيات وبين الآيات الأخرى التي ورد فيها تحديد الأيام الستة. .  
ففي هذه الآيات - من سورة فصلت - نجد أن الله، سبحانه وتعالى، يخبرنا بأنه:  
{ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ }

ثم { وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا } في تمام { أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ } . .  
أي في يومين آخرين يضافان إلى اليومين اللذين خلق فيهما الأرض، فيكون المجموع أربعة أيام. . وليس وارداً أن يكون خلق الرواسي وتقدير الأقوات قد استغرق أربعة أيام.  
ولعل من توهم الشبهة - التي جاءت في السؤال - قد أتت من هناك. .

أي من توهم إضافة أربعة أيام إلى اليومين اللذين خلقت فيهما الأرض، فيكون المجموع ستة. . وإذا أضيف إليها اليومان اللذان خلقت فيهما السماء - { فَخَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ } - يكون المجموع ثمانية أيام، وليس ستة أيام. . لكن إزالة هذه الشبهة متحققة بإزالة هذا الوهم. . فالأرض خلقت في يومين. . وخلق الرواسي وتقدير الأقوات قد استغرق ما تمم اليومين أربعة أيام. . أي استغرق هو الآخر يومين. . ثم استغرق خلق السموات السبع يومين. . فكان المجموع ستة أيام من أيام الله سبحانه وتعالى. .

ولقد نبه المفسرون على هذه الحقيقة - المزيلة لهذا الوهم - فقال القرطبي:  
" (أربعة أيام) يعني في تنمة أربعة أيام. ومثاله قول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً؛ أي في تنمة خمسة عشر يوماً. " (١)  
وقال الزمخشري: " «في أيام أربعة سواء» فذللكة لمدة خلق الله الأرض وما فيها كأنه قال: كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان. . . وقال الزجاج: في أربعة أيام في تنمة أربعة أيام يريد بالتنمة اليومين. " (٢)

فهذه الآيات من سورة فصلت تؤكد - هي الأخرى - على أن خلق السموات والأرض إنما تم في ستة أيام. . ومن ثم فلا تناقض بين آيات القرآن ولا تفاوت في مدة الخلق الإلهي للسموات والأرض. . وحاشا أن يكون شيء من ذلك في الذكر الحكيم. (٣)

(١) - (الجامع لأحكام القرآن) ج ١٥ ص ٣٤٣ ، مرجع سابق .

(٢) - (الكشاف) ج ٤ ص ١٨٨ . مرجع سابق .

(٣) - حقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين ، رقم الشبهة ٣٩ .

**المطلب السابع : تغرب الشمس في عين حمئة حسب القرآن [١٨ : ٨٦] ،**  
وهذا مخالف للعلم الثابت. فكيف يقال: إن القرآن لا يتناقض مع الحقائق العلمية  
الثابتة؟

الجواب: في حكاية القرآن الكريم لنبأ (ذى القرنين) حديث عن أنه إبان رحلته { حتى إذا بلغ  
مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً } [الكهف: ٨٦] .  
والعين الحمئة هي عين الماء ذات الحمأ، أى ذات الطين الأسود المنتن.

ولما كان العلم الثابت قد قطعت حقائقه بأن الأرض كروية، وأنها تدور حول نفسها وحول  
الشمس، فإن غروب الشمس ليس اختفاءً في عين أو غير عين، حمئة أو غير حمئة..  
والسؤال: هل هناك تعارض بين حقائق هذا العلم الثابت وبين النص القرآني؟

ليس هناك أدنى تعارض . ولا حتى شبهة تعارض . بين النص القرآني وبين الحقائق  
العلمية.. ذلك أن حديث القرآن هنا هو عن الرؤية البصرية للقوم الذين ذهب إليهم ذو  
القرنين، فمنتهى أفق بصرهم قد جعلهم يرون اختفاء الشمس . غروبها . في هذه البحيرة  
(العين الحمئة) .. وذلك مثل من يجلس منا على شاطئ البحر عند غروب الشمس، فإن  
أفق بصره يجعله يرى قرص الشمس يغوص . رويداً رويداً . في قلب ماء البحر..

فالحكاية هنا عن ما يحسبه الرائي غروباً في العين الحمئة، أو في البحر المحيط.. وليست  
الحكاية عن إخبار القرآن بالحقيقة العلمية الخاصة بدوران الأرض حول الشمس، وعن ماذا  
يعنيه العلم في مسألة الغروب.

وقد نقل القفال أبو بكر الشاشي محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر (٤٢٩ . ٥٠٧ هـ  
/ ١٠٣٧ . ١١١٤ م) عن بعض العلماء تفسيراً . لهذه الرؤية . متسقاً مع الحقيقة العلمية،  
فقال: " ليس المراد أنه [أي ذي القرنين] انتهى إلى الشمس مشرقاً ومغرباً حتى وصل إلى  
جرمها ومسها.. فهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من  
الأرض أضعافاً مضاعفة، وإنما المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة [أي البقاع المعمورة والمأهولة]  
من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها في رأى العين تغرب في عين حمئة، كما أنا  
نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض، ولهذا قال: (وجدها تطلع على قوم لم

نجعل لهم من دونها ستراً [الكهف ٩٠] ، ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم.. " (١).

فالوصف هو لرؤية العين، وثقافة الرائي.. وليس للحقيقة العلمية الخاصة بالشمس في علاقتها بالأرض ودورانها، وحقيقة المعنى العلمي للشروق والغروب. فلا تناقض بين النص القرآني وبين الثابت من حقائق العلوم.

### رد بأسلوب آخر :

لا ريب أن القول بغياب الشمس في عين أو بحر بعيد كل البعد عن أبسط معارفنا العلمية التي قررها القرآن منذ زمن بعيد؛ فقد ذكر القرآن أن الشمس والقمر والأرض كواكب أو نجوم تسبح في أفلاكها في السماء {وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون} [الأنبياء: ٣٣]، فلكل فلكه الخاص الذي لا يتداخل مع فلك غيره، فكيف يسوغ - بعد ذلك - أن ينسب إليه القول بغروب الشمس في عين من عيون الأرض.

إن هذا القول أبعد ما يكون عن لفظ القرآن ومعناه، ولو كان هذا الفهم المغلوط مراداً؛ لوجب أن تشرق الشمس من نفس المحل وعلى نفس القوم الذين غربت عليهم، وهو ما لا يظنه عاقل، ولو صغرت سنه، وهو ما ينفيه القرآن في نفس السياق، إذ بعد غياب الشمس انطلق ذو القرنين تجاه مشرقها {ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً} [الكهف: ٨٩ - ٩٠].

القرآن في هذه الآية وصف ما تبدى لذي القرنين ساعة الغروب، حيث {وجدها تغرب في عين حمئة}، ولم يقل القرآن: إن الشمس تغرب في تلك العين.

ومثل هذا كمثل ما يراه الناظر من غروب الشمس في البحر أو خلف جبل، فهو يجدها كذلك فيما يتبدى له، وهي في حقيقتها ليست كذلك.

وهذا الفهم للآية ليس تأولا لها في عصر العلم، بل هو قول معروف تداوله العلماء منذ قرون طويلة، فقد نقل القفال (ت ٥٠٧هـ) عن العلماء قولهم في تفسير هذه الآية: "ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغرباً ومشرقاً حتى وصل إلى جرمها ومسها، لأنها تدور مع السماء حول الأرض، من غير أن تلتصق بالأرض، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون

(١) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ج ١١ ص ٤٩، ٥٠.

الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافا مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة، كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض، ولهذا قال: {وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا}، ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم" (١).

وقال الرازي: "ثبت بالدليل أن الأرض كرة، وأن السماء محيطية بها، ولا شك أن الشمس في الفلك، وأيضا قال: {ووجد عندها قوما} ومعلوم أن جلوس قوم في قرب الشمس غير موجود، وأيضا الشمس أكبر من الأرض بمرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض، إذا ثبت هذا فنقول: تأويل قوله: {تغرب في عين حمئة} من وجوه: الأول: أن ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب ولم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهدة مظلمة، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم ير الشط، وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر، هذا هو التأويل الذي ذكره أبو علي الجبائي في تفسيره.

الثاني: أن للجانب الغربي من الأرض مساكن يحيط البحر بها، فالناظر إلى الشمس يتخيل كأنها تغيب في تلك البحار" (١).

وقال ابن كثير: " {حتى إذا بلغ مغرب الشمس} أي: فسلك طريقا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب، وهو مغرب الأرض. وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذر، وما يذكره أصحاب القصص والأخبار من أنه سار في الأرض مدة والشمس تغرب من ورائه فشيء لا حقيقة له. وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب، واختلاق زنادقتهم وكذبهم.

وقوله: {وجدها تغرب في عين حمئة} أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله، يراها كأنها تغرب فيه، وهي لا تفارق الفلك الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه" (٢).

وما زال هذا المعنى مشهورا عند العلماء في القديم والحديث، ومنه قول سيد قطب:

(١) - (الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١١ / ٥٠).

(١) - (التفسير الكبير، الرازي (٢١ / ١٦٦).

(٢) - (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣ / ١٩١).

"مغرب الشمس هو المكان الذي تغرب عنده وراء الأفق، وهو يختلف بالنسبة إلى المواضع، فبعض المواضع يرى الرائي فيها أن الشمس تغرب خلف الجبل، تغرب في الماء كما في المحيطات ... والظاهر من النص أن ذا القرنين غرب حتى وصل إلى نقطة على شاطئ المحيط الأطلسي ... فرأى الشمس تغرب فيه، والأرجح أنه كان عند مصب أحد الأنهار حيث تكثر الأعشاب، ويجمع حولها طين لزج هو الحمأ، وتوجد البرك، وكأنها عيون الماء ... عند هذه الحمأة وجد ذو القرنين قوما ...".<sup>(١)</sup>

ولئن كان المدعي لهذه الأبطولة يتحدث عن غروب الشمس في عين؛ فإن القرآن يتحدث عن مغارب الشمس، وأراد بذلك - والله أعلم - ما نعرفه اليوم من دوام الغروب والشروق بدوام دوران الأرض حول محورها.

ويشكل على هذا المعنى ما روي عن النبي ﷺ من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - :  
«يا أبا ذر، هل تدري أين تغيب هذه الشمس؟ .. فإنها تغرب في عين حمئة، تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش، فإذا كان خروجها أذن الله لها، فإذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها»<sup>(١)</sup>. لكن هذا الحديث لا يصح نسبه إلى النبي ﷺ ، لأنه من رواية سفيان بن حسين الواسطي السلمي، وهو راو وهى حديثه أهل التحقيق والاختصاص.

فقد سأل المروزي الإمام أحمد عن سفيان بن حسين كيف هو؟ فقال: "ليس بذاك، وضعفه"<sup>(٢)</sup> وقال ابن أبي شيبة: "كان ثقة، ولكنه كان مضطربا في الحديث"<sup>٣</sup>. وقال محمد بن سعد: "ثقة يخطئ في حديثه كثيرا"<sup>(٤)</sup> وقال يحيى بن معين عنه: "ليس بالحافظ"<sup>(٥)</sup>. وعليه فلا اعتداد بروايته، فهي دون مرتبة الاحتجاج، واستبان براءة القرآن من الفهم السخيف بأن الشمس تغرب في بئر ماء.<sup>(٦)</sup>

## المطلب الثامن : مريم أخت هارون

(١) - (في ظلال القرآن، سيد قطب (٣/ ٢٢٩١). مرجع سابق .

(١) - (أخرجه البزار ح (٤٠١٠).

(٢) - (تاريخ بغداد، الخطيب (١٠ / ٢١٥). الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م

(٣) - (تهديب الكمال، المزي (١١ / ١٤١). الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠

(٤) - (المصدر السابق (١١ / ١٣٩). مرجع سابق .

(٥) - (تهديب التهذيب (٤ / ١٩٠)

(٦) - (تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين للسقار ص ١٩٥ وما بعدها مرجع سابق

قالوا: أخطأ القرآن حين جعل مريم بنت عمران أختا لهارون في قوله تعالى: {يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا} [مريم: ٢٨]؛  
 إذ المعلوم في علم التاريخ أن مريم كانت بعد هارون بن عمران بما يربو على الألف سنة.  
 والجواب: أن هذه الأبطولة من أقدم الشبهات المطروحة على القرآن الكريم، وقد تولى الرد عليها وبيان أغلوطة قائلها النبي ﷺ، وما يزال أقوام يرددون هذه الشبهة البائدة.  
 جاء في صحيح مسلم أن المغيرة بن شعبه قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرؤون: {يا أخت هارون}، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله سألته عن ذلك فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم» (١).  
 فبهذا البيان النبوي تبين أن هارون أخا البتول مريم ليس بهارون أخي موسى، كما توهم نصارى نجران والمبطلون من بعدهم.

ولو فهموا لغة العرب وسعة ألفاظها لما قالوا ما قالوه، فالعرب تطلق كلمة الأخ على الشبيه وعلى قريب النسب؛ وإن لم يكن أخا.  
 فأما الشبيه، فكقول الله عز وجل: {إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين} [الإسراء: ٢٧]، فالمبذر بمثابة أخ للشياطين، لشبهه بفعالهم.  
 وأما أخوة القرابة فكقوله تعالى: {وإلى ثمود أخاهم صالحا} [الأعراف: ٧٣]. (٢).  
 وقد عاجلنا هذه الشبهة في مكانين مختلفين بشكل تفصيلي أوسع .

## المطلب التاسع : هل القلوب العاقلة في الصدور؟

قالوا: يعرف علماء التشريح اليوم أن القلب عضلة ضاحخة للدم فحسب، وأن مراكز الإحساس والتفكير في الدماغ، بينما القرآن يؤكد أن القلوب التي في الصدور هي مركز التفكير {أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} [الحج: ٤٦].  
 والجواب: أن ما يتعلق بمسألة علاقة القلب بالفكر مسألة علمية ما زال العلماء والأطباء يراوحن فيها بين مثبت ومنكر، وهي مسائل ظنية لم ترق إلى كونها حقيقة علمية، ومن كان

(١) - أخرجه مسلم ح (٢١٣٥).

(٢) - في فصل شبهات وأباطيل حول النبيين والمرسلين تفصيل واسع حول هذه الغرابة السخيفة .

هذا حاله لا ينهض للاحتجاج به إزاء الحق الذي أوحاه الله العليم بخلقه {ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير} [الملك: ٤].

ثم إن القرآن تحدث عن الأعين والآذان والقلوب المادية، وتحدث أيضا عن العيون والآذان والقلوب المعنوية، وهذه الأعضاء في حال دلالتها على الهدى تكون أعضاء عاملة، وحين تنتكر للحق وترفضه فإنها تكون في حكم العدم، ولذلك وصف الله الذين لا يبصرون الحق ولا يسمعونه بأنهم {صم بكم عمي فهم لا يرجعون} [البقرة: ١٨]، فهم صم عن الحق، لا عن السماع، وهم بكم وعمي بهذه المثابة أيضا.

وهذا مثله في القرآن كثير: {ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون} [البقرة: ١٧١]، وقوله: {والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات} [الأنعام: ٣٩].

وهكذا فحين يتحدث القرآن عن العيون والآذان والألسن لا يقصد الجوارح المحسوسة، وإنما يقصد ما وراءها من العقل والإدراك الإيماني، ومنه قول الله {نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين} [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤]. وهذا المذكور عن هذه الجوارح ينطبق على القلب تماما، فالقلوب التي يتحدث عنها القرآن هي القلوب المعنوية، لا المضغطة الجسدية، ومثاله في القرآن كثير، كقوله: {ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون} [الأنعام: ٤٣]، وكقوله: {الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب} [الرعد: ٢٨].

والمقصود في كل هذا القلوب العاقلة، لا المضغطة الصنوبرية التي في الجسم {أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} [الحج: ٤٦].

ومثله في كلام النبي ﷺ: «يا مقلب القلوب» (١)، فالمقصود تقلب القلوب المعنوية من الكفر إلى الإسلام، وليس المقصود تقلب القلوب المادية.

وهذا الفهم ليس بجديد عند العلماء المسلمين، بل هو قديم نقله الرازي في تفسيره عن بعض السابقين، وعزاه ابن أمير الحاج المتوفى سنة ٨٧٩هـ إلى عامة أهل السنة والجماعة

(١) - (أخرجه الترمذي ح (٢١٤٠)، وأحمد ح (١١٦٩٧).

بقوله: "ومحلها أي القوة التي هي العقل؛ الدماغ للفلاسفة وخصوصا الأطباء، وأحمد في رواية، وأبي المعين النسفي، وعزاه صدر الإسلام إلى عامة أهل السنة والجماعة، فقال: وهو جسم لطيف مضيء محله الرأس عند عامة أهل السنة والجماعة، وأثره يقع على القلب، فيصير القلب مدركا بنور العقل الأشياء، كالعين تصير مدركة بنور الشمس وبنور السراج الأشياء". (١)

وما قلناه عن القلوب والعيون والآذان المعنوية الإيمانية ينطبق تماما على الصدور، فنقرأ في القرآن والسنة حديثا متكررا عن انشراح الصدر وانقباضه وضيقه وظلمته، وليس المراد الصدر الجسدي، بل المراد الصدر المعنوي {ويضيّق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون {الشعراء: ١٣}، {أفمن شرح الله صدره للإسلام} {الزمر: ٢٢}، {ألم نشرح لك صدرك {الشرح: ١}، {ونزغنا ما في صدورهم} {الأعراف: ٤٣} {قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم} {الإسراء: ٤٩ - ٥٠} {وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون} {النمل: ٧٤}، فكل هذا حديث عن الصدر المعنوي لا التجويف المسمى بالقفص الصدري.

وجاءت نصوص قرآنية ونبوية تجمع بين الصدر المعنوي والقلب المعنوي، منها قول الله: {من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم} {النحل: ١٠٦}. ومثله قوله: {وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور} [آل عمران: ١٥٤]، ومثله قول النبي ﷺ: «والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر» (٢). وهكذا تبين أن القرآن حين تحدث عن حواس الإنسان وإنما قصد البعد الإيماني المعنوي لها، وكذلك نسب التحكم فيها إلى القلب والصدر الإيماني المعنوي، لا الحسي، فثبت بذلك صدق القرآن، وتبين فساد هذه الأبطولة من أباطيل المرجفين. (٣)

## المطلب العاشر : هل النجوم لرجم الشياطين؟

(١) - التقرير والتحرير، ابن أمير الحاج (٣/ ٣٧٨). الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(١) - أخرجه أحمد ح (١٧٥٤٠).

(٢) - تنزيه القرآن للسقار ص ٢٠٠ وما بعدها

قالوا: القرآن يتحدث عن النجوم السيارة الهائلة في حجمها، والتي يكبر حجم بعضها الأرض آلاف المرات، وأن الله خلقها ليرجم بها الشياطين، وأنها تتحرك في السماء خلف هذه الشياطين، وهذا المعنى الغريب - ورد حسب اعتقادهم - في قوله تعالى: {ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير} [الملئك: ٥].  
والجواب :

إن القرآن لم يقل: خلق الله النجوم لأجل هذا، ولم يقل أن النجوم السيارة تتبع الشياطين، بل أخبر تعالى أنه خلق في السماء مصابيح، أي أجساما منيرة مضيئة تحرق الشياطين.

وهذه المضيئات قد تكون نجوما، وقد تكون شهباء، فالأمر محتمل للمعنيين لولا أن الآيات القرآنية تبين أن المقصود من المصابيح الشهباء؛ لا النجوم، قال تعالى: {وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا} [الجن: ٩]، وقال: {وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين} [الحجر: ١٧ - ١٨]، وقال: {إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب} [الصفاء: ١٠]، فالشهباء هي الأجسام المضيئة التي تحرق الشياطين، وهذه الشهباء منها الكبير، ومنها الصغير، وهي نجوم أو كواكب مفتتة تسبح في الكون الفسيح، فإذا شاء الله عقوبة واحد من الشياطين سلط عليه واحدا من هذه الشهباء، فرجمه به، فما الذي يستنكره العاقل في عقوبة الله لهذه المخلوقات بحرقها بشهب السماء؟<sup>(١)</sup>

رد آخر :

قال تعالى : (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) [الكهف: ٥١] . والإسلام ليس بدعاً من الأديان ولذلك نرى أن الكتب المقدسة تذكر ذلك؛ فإن الله تعالى يقول:(وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً\* )وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) [الجن: ٩.٨] . قال ذلك حكاية عن الجن. وليس المعنى كما فهم المؤلف، وإنما المعنى هو أن الله جعل على السماء حرساً من الملائكة، وخلق لهم أدوات عقاب تناسب أجسام الشياطين.

(١) - تنزيه القرآن للسقار ص ٢٠٣

وهي الشهب. فإذا جاء شيطان رماه أحد الملائكة بشهاب وليست الشهب كواكب كالقمر والشمس، وإنما هي أدوات عقاب كالسيف في يد الجندي المحارب.

وفي الإصحاح الثالث من سفر التكوين؛ أن الله لما طرد آدم من الجنة وهي جنة عدن، ليعمل الأرض التي أخذ منها، أقام شرقي جنة عدن ملائكة تسمى الكروبيم، ووضع لهيب سيف متقلب في أيديهم لحراسة طريق شجرة الحياة: " فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها؛ فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة " (تك ٣: ٢٣-٢٤).

ويقول المفسرون: " إن الكروبيم من الملائكة المقربين. وهو في الفارسية بمعنى الحارس ". وكان عملهم وقت طرد آدم هو " حراسة الفردوس؛ لئلا يرجع الإنسان إليه ".

وفي القرآن تفسير الشهب بشواظ من نار. في قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان\* فبأى آلاء ربكما تكذبان\* يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾ [الرحمن: ٣٣-٣٥]. فقد جعل للجن غير ما جعل للإنس من أدوات العقاب. ولم يجعل للجن كواكب تُرمى بها كالقمر والشمس، وإنما جعل للجن " شواظ " أي " شهب " (١).

## المطلب الحادي عشر : هل القرآن يشجع على فعل المعاصي؟

قالوا: القرآن يشجع على المعاصي من غير الكبائر بقوله: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزى الذين أسأؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة﴾ [النجم: ٣١ - ٣٢]، فهذا الوعد الإلهي بالمغفرة لأصحاب الصغائر يغري بها.

والجواب: أن العلماء اختلفوا في اللمم المعفو عنه على أقوال ذكرها الطبري (٢): أ. أنها ذنوب الجاهلية يغفرها الله في الإسلام، قال الطبري: " معنى الكلام: الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، إلا اللمم الذي ألموا به من الإثم والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام، فإن الله قد عفا لهم عنه، فلا يؤاخذهم به ".

(١) - حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ، شبهة رقم ٦٧.

(٢) - في تفسيره (٢٢/٥٣٢). مرجع سابق

ب. أنه ما يلم به المرء، أي يصيبه من ذنب صغير أو كبير من غير إصرار عليه، ثم يتوب منه، قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : (اللمة من الزنى، ثم يتوب ولا يعود، واللمة من السرقة، ثم يتوب ولا يعود؛ واللمة من شرب الخمر، ثم يتوب ولا يعود، فتلك الإمام)، وهذا المعنى مروى عن عامة أصحاب النبي ﷺ، قال الحسن: (كان أصحاب النبي ﷺ يقولون: هذا الرجل يصيب اللمة من الزنا، واللمة من شرب الخمر، فيخفيها فيتوب منها).

ج. أنها صغار الذنوب مما لا يوجب حدا في الدنيا ولا توعده بعقوبته في الآخرة، وقد رجحه الطبري مستدلا بقوله تعالى: {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما} [النساء: ٣١]، فاجتناب الكبائر سبب في مغفرة الصغائر، لكن هذا أيضا معلق بالتوبة وعدم الاسترسال في الصغيرة، حتى لا تتحول باستمرارها إلى كبيرة، فقد سأل رجل ابن عباس: كم الكبائر؟ سبعا هي؟ قال: (هي إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، وإنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار) (١).

ولذا حذر القرآن الكريم من الصغائر، وأخبر أن الله يكتب على العبد الصغير من عمله والكبير، فإذا قامت القيامة وجد العبد الجميع بين يديه {ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا} [الكهف: ٤٩]، {ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} [الزلزلة: ٨]، ولسوف يحاسب الله العبد المؤمن على هذه الصغائر {فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا} [الانشقاق: ٧ - ٨].

كما حذر النبي ﷺ من الصغائر في مواضع كثيرة، منها قوله: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم» (٢)، وقوله: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود حتى أنضحوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه» (٣)، وقال ﷺ: «يا عائشة إياك ومحقرات الأعمال، فإن لها من الله طالبا» (٤). وأود أن أهمس في آذان الطاعنين في القرآن من أبناء الكنيسة، فأقول: ليس من عقيدة في الدنيا تشابه المسيحية التي تريح المؤمن

(١) - (أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٣٤)، والقضاعي في مسند الشهاب ح (٨٥٣)).

(٢) - (البخاري ح (٦٤٧٨)، ومسلم ح (٢٩٨٨)).

(٣) - (أحمد ح (٢٢٣٠١)).

(٤) - (ابن ماجه ح (٤٢٤٣)، وأحمد ح (٢٣٨٩٤)).

من طرق أبواب الفضيلة بالقدر الذي تفتحه أمامه من مصاريع الشر والرذيلة، فهي تعتبر البشرية خاطئة فاجرة بالفطرة " ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معا. ليس من يعمل صلاحا، ليس ولا واحد" (رومية ٣ / ١٠ - ١٢)، ولذلك يقول لوثر أحد مؤسسي المذهب البروتستانتي: " إن الإنجيل لا يطلب منا الأعمال لأجل تبريرنا، بل بعكس ذلك، إنه يرفض أعمالنا ... إنه لكي تظهر فينا قوة التبرير يلزم أن تعظم آثامنا جدا، وأن تكثر عددها "، وهذا المعنى يستوحيه المصلح الإنجيلي الشهير من رسالة بولس إلى أهل رومية: "وأما الناموس فدخل لكي تكثر الخطية، ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدا" (رومية ٥ / ٢٠).

ويفتح الإصلاحى الشهير ملانكتون في كتابه " الأماكن اللاهوتية " كل أبواب الرذيلة أمام المؤمنين الذين يغنيهم الغيمان عن كل عمل صالح: " إن كنت سارقا أو زانيا أو فاسقا لا تهتم بذلك، عليك فقط أن لا تنسى أن الله هو شيخ كثير الطيبة، وأنه قد سبق وغفر لك خطاياك قبل أن تخطئ بزمن مديد ".<sup>(١)</sup>

## المطلب الثاني عشر : الجنة والخمر

قالوا: إذا كان الله لا يجعل المحرم جزاء للمؤمنين، فما باله جعل الخمر جزاء لهم؟! والجواب: حرم الله الخمر لما فيها من تعطيل لموهبة العقل التي منحها الله للإنسان، والتي ميزه بها عن الحيوان، فقد بعث الله الأنبياء وأنزل الشرائع لحراسة هذا المقصد النبيل، فحرم قليل الخمر وكثيرها «ما أسكر كثيره فقليله حرام»<sup>(٢)</sup>، ولعن رسول الله ﷺ في الخمر كل مساهم في شيوع فسادها، يقول أنس - رضي الله عنه - : «لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها وشاربها، وحاملها والمحمولة إليه، وساقيتها وبائعها وأكل ثمنها، والمشتري لها والمشتراة له»<sup>(٣)</sup>.

فإذا عرفت علة التحريم لخمر الدنيا؛ عرف علة كونها حلالا بل جزاء للمؤمنين في الآخرة، فحرم الجنة ليس فيها واحدة من المزريات الموجودة في خمر الدنيا،

(١) - تنزيه القرآن للسقار ص ٢٠٤ .

(٢) - (أخرجه الترمذي ح (١٨٦٥)، والنسائي ح (٥٦٠٧)، وأبو داود ح (٣٦٨١)، وابن ماجه ح (٣٣٩٣).

(٣) - (أخرجه الترمذي ح (١٢٩٥)، وابن ماجه ح (٣٣٨١)، وأحمد ح (٤٧٧٢).

وكما قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء).<sup>(١)</sup> ولقد وصف الله خمر الجنة بأحسن الوصف، ونزهها عما يعتري خمر الدنيا من الفساد، فلئن كانت خمر الدنيا مما يستقبح طعمه؛ فإن خمر الجنة لذة للشاربين: {مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى} [محمد: ١٥].

ولئن كانت خمر الدنيا المحرمة تذهب العقل؛ فإن خمر الجنة ليست كذلك: {يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون} [الصفات: ٤٥ - ٤٦]، فاختلاف الأحكام لاختلاف الخواص والصفات.

ولئن كانت خمر الدنيا تصدع رؤوس أصحابها وتمرضهم؛ فإن خمر الجنة منزهة عن ذلك، فالولدان المخلدون يطوفون عليهم {بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون} [الواقعة: ١٨ - ١٩].

قال الطبري: " لا في هذه الخمر غول، وهو أن تغتال عقولهم، يقول: لا تذهب هذه الخمر بعقول شاربها كما تذهب بها خمور أهل الدنيا إذا شربوها فأكثرها منها، كما قال الشاعر: وما زالت الكأس تغتالنا ... وتذهب بالأول الأول".<sup>(١)</sup>

وأكد الله هذه الخاصية لخمر الجنة بقوله: {ولا هم عنها ينزفون} [الصفات: ٤٧]، قال الطبري: "من الإنزاف بمعنى: ذهاب العقل من السكر، ومنه قول الأبيرد:

لعمري لئن أنزفتموا أو صحوتم ... لبئس الندامى كنتم آل أبحرا".<sup>(٢)</sup>

وهكذا يستبين للمنصف خطأ وتجني أصحاب الفهوم المعوجة أو المنكوسة على القرآن الكريم الذي أرسى فضائل الأخلاق ومعالي الآداب، وأقام حضارة ذخرت بالقيم التي لم تعرفها من قبل ولا من بعد أمة من أمم العالمين.<sup>(٣)</sup>

**المطلب الثالث عشر : هل أخطأ القرآن في ذكر السامري في عهد**

**موسى؟**

(١) - (أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٦٦). مرجع سابق .

(١) - (جامع البيان، الطبري (٢١/٣٧). مرجع سابق .

(٢) - (المصدر السابق (٢١/٤٠).)

(٣) - (تنزيه القرآن للسقار ص ٢٠٦ .

قالوا: تحدث القرآن عن السامري الذي يصنع العجل في زمن موسى {فكذلك ألقى السامري (٨٧) فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي} [طه: ٨٧ - ٨٩]، أي في حوالي السنة (١٤٠٠ ق م)، في حين أن الكتاب المقدس يذكر أن السامرة هي عاصمة الأسباط العشرة، وتأسست إبان حكم الملك عمري بن آخاب ملك إسرائيل، أي بعد موسى بما يربو على خمسمائة سنة (انظر الملوك (٢) ١٦ / ٢٣ - ٢٥).

الجواب: تم الرد عليها بالتفصيل سابقا ولنخص أنه لا يوجد نص في الكتاب المقدس يتحدث عن تاريخ بناء السامرة، والمذكور في سفر الملوك لم يفهمه العلماء الكتابيون على أنه بناء تأسيس، يقول قاموس الكتاب المقدس: «وقد بنيت المدينة أو أصلح بناؤها أيام عمري بن آخاب ملك إسرائيل (٨٧٦ - ٨٤٢ ق م)» (١).

ولو فرضنا أن الكتاب المقدس زعم أمرا ما بخصوص هذا الموضوع أو غيره، فهذا لا يحتاج به على القرآن، بل ولا على كتب التاريخ، فموثوقية هذه الأسفار ومعلوماتها أقل من أن يستشهد بها؛ فضلا عن بلوغها درجة الاحتجاج ومحاجة الآخرين أو محاكمة كتبهم.

وأستشهد هنا بإقرار المطران كيرلس سليم بسترر رئيس أساقفة بعلبك وتوابعها للروم الكاثوليك بتعارض الروايات التوراتية ومعطيات العلم الأولية، واعتذاره لذلك بالقول: «لحل تلك التناقضات بين الكتاب المقدس والعلم، لا بد لنا من التأكيد من جديد أن الكتاب المقدس ليس كتابا علميا يحوي دروسا في علم الكون أو في علم الحياة؛ إنما هو كتاب ديني يحتوي تعاليم عن علاقة الكون بالله خالقه» (٢)، فلا ينبغي اعتبار الكتاب مصدرا معتبرا في العلوم الكونية والإنسانية، ومنها علم التاريخ الذي نحن بصدد دراسة واحدة من مسأله.

وعلى كل حال فإن القرآن سمي صاحب العجل بالسامري، وهو اسم قديم سمي به (شامر بن محلي بن موشي بن مراري بن لاوي)، وهو الجيل الرابع لللاوي بن يعقوب عليه السلام (انظر: الأيام (١) ٦ / ٤٧)، أي كان معاصرا لموسى (بن عمران بن قهات بن لاوي) (انظر الخروج ٦ / ١٦ - ٢٠)، فدل ذلك على وجود هذا الاسم زمن موسى عليه السلام، وأن لا ارتباط بينه وبين مدينة السامرة التي ستبنى بعد قرون؛

(١) - قاموس الكتاب المقدس، ص (٤٤٨). عن السقار تنزيه القرآن

(٢) - (تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الخضري (١ / ١٦٩ - ١٧٠)، وانظر كيف يفكر الإنجيليون في أساسيات الإيمان المسيحي، واين

جردوم، ص (٧٥).

إلا أن تكون قد سميت نسبة إلى هذا الاسم القديم.

ويصح أن يقال أيضا بأن موسى عليه السلام نادى السامري باسم مهنته (يا حارس)، فلفظة (السامري) مشتقة من الكلمة العبرانية (؟؟؟؟؟)، وتنطق: ها شمير) معناها: (الحارس).  
ويحتمل أيضا أن السامري كان من أبناء السومريين، وهي حضارة وجدت قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة في جنوب العراق، واستمرت قائمة حتى عام ٢٠٠٠ ق. م، ويتعزز هذا الاحتمال بمعرفتنا أن السومريين برعوا بالمصنوعات الخزفية، التي تتوافق مع ما فعله السامري الذي صنع العجل الذهبي لبني إسرائيل (١). وفي كل واحد من هذه الاحتمالات ما يدفع هذه الأبطولة ويؤذن بضعفها، ويكشف عن بوار فكر أصحابها. (٢)

### المطلب الرابع عشر : هل أخطأ القرآن بذكر هامان المصري؟

قالوا: أخطأ القرآن فنسب هامان الفارسي إلى أرض مصر، وجعله وزيرا لفرعون إبان حياة موسى عليه السلام؛ خلافا لما تذكره التوراة عن هامان الفارسي في سفر إستير، فقد كان وزيرا وخليلا لأحشوريش (زركيس) ملك الفرس، بعد موسى بـ ١١٠٠ سنة.  
والجواب: تم الرد عليها سابقا بالتفصيل ونعيد أنه من عجائب الطاعنين في القرآن أنهم يحاكمونه إلى كتبهم المقدسة، والتي لا يعرف كاتبها في الجملة، ولا يمكن توثيق شيء من صفحاتها، فتصبح هذه الكتب - التي تدعو أحوالها للثناء - ميزانا يقيسون عليه كتب الآخرين ، ولو تحدثنا عن سفر إستير تحديدا فإنه سفر مجهول المؤلف، قال الدكتور سمعان كلهون في كتابه " مرشد الطالبين " عن كاتبه: (مجهول)، فهل يليق عند العقلاء محاكاة القرآن إلى مرجع لا سند له، وكاتبه مجهول!.

وقد تشكك في مصدر هذا السفر المحققون من أهل الكتاب، فتوقفوا في قداسته وأصالته بل وتاريخيته، ونقل ذلك البروفيسور إسرائيل لركن عن كل النقاد المعاصرين تقريبا. وكان مارتن لوثر في القرن السادس عشر قد سبق إلى القول: «ليت هذا السفر لم يوجد»، متابعا في قوله من سبقه من الآباء الأوائل المنكرين لقدسية هذا السفر التوراتي الذي خلت من اسمه قائمة الأسقف مليتو أسقف سارديس عام ١٧٠م، وهو صاحب أقدم قوائم

(١) - (موسوعة المورد، منير البعلبكي (٩/ ١٣٨).

(٢) - تنزيه القرآن للسقار ، وتم الرد بتوسع عن هذه الشبهة في فصل سابق .

الأسفار المقدسة، ولتخلو منه أيضا بعد ذلك قائمة البابا أثناسيوس نجم مجمع نيقية وواضع قانونه الشهير (١).

ولو سلمنا بصحة القصة الأسطورية التي يحكيها سفر إستير عن هامان الفارسي؛ فإنه ليس ثمة ما يمنع أن يتسمى بهذا الاسم أيضا واحد من وزراء أو مستشاري فرعون ملك مصر، ولا يمكن إقامة دليل على عدم وجود مستشار بهذا الاسم أو اللقب.

بل الحقيقة بخلافه، فقد ذكر المحققون وجود هامان قريبا من فرعون، ففي كتابه (Moise et Pharaon) " موسى وفرعون" يقول الدكتور موريس بوكاي ما نصه: «يذكر القرآن الكريم شخصا باسم هامان هو من حاشية فرعون، وقد طلب إليه هذا الأخير أن يبني صرحا عاليا يسمح له، كما يقول ساخرا من موسى، أن يبلغ رب عقيدته.

وأردت أن أعرف إن كان هذا الاسم يتصل باسم هيروغليفي من المحتمل أنه محفوظ في وثيقة من وثائق العصر الفرعوني، ولم أكن لأرضى بإجابة عن ذلك إلا إذا كان مصدرها رجلا حجة فيما يخص اللغة الهيروغليفية وهو يعرف اللغة العربية الفصحى بشكل جيد، فطرح السؤال على عالم المصريات وهو فرنسي يتوافر فيه الشرطان المذكوران تماما.

لقد كتبت أمامه اسم العلم العربي (هامان) ولكنني أحجمت عن إخبار مخاطبي بحقيقة النص المعني، واكتفيت بإخباره أن هذا النص يعود تاريخه بشكل لا يقبل النقض إلى القرن السابع الميلادي. كان جوابه الأول أن هذا الأصل مستحيل، لأنه لا يمكن وجود نص يحتوي على اسم علم من اللغة الهيروغليفية، وله جرس هيروغليفي، ويعود إلى القرن السابع الميلادي، وهو غير معروف لحد الآن، والسبب أن اللغة الهيروغليفية نسيبت منذ زمن بعيد جدا. بيد أنه نصحتني بمراجعة معجم أسماء الأشخاص في الإمبراطورية الجديدة Dictionary of Personal names of the New والبحث فيه إن كان هذا الاسم الذي يمثل عندي الهيروغليفية موجودا فيه حقا. لقد كان يفترض ذلك.

وعند البحث وجدته مسطورا في هذا المعجم تماما كما توقعته، ويا للمفاجأة!! ها أنا فضلا عن ذلك أجد أن مهنته كما عبر عنها باللغة الألمانية (رئيس عمال المقالع)، ولكن دون إشارة إلى تاريخ الكتابة إلا أنها تعود إلى الإمبراطورية التي يقع فيه زمن موسى، وتشير

(١) - (انظر قاموس الكتاب المقدس، ص (٦٤).

المهنة المذكورة في الكتابة إلى أن المذكور كان مهتما بالبناء مما يدعو إلى التفكير بالمقارنة التي يمكن إجراؤها بين الأمر الذي أصدره "فرعون" في القرآن وبين هذا التحديد في الكتاب».

وهذا الاسم لهامان المصري أشير إليه في لوح أثري في متحف هوف في فينا وفي مجموعة من النقوش كشفت لنا أن هامان كان رئيس عمال محجر البناء، وقد كشف عنه كنت كتشن (K.A. Kitchen) في كتابه (Pharaoh Triumphant the life and times of Ramesses II)، وترجمه إلى العربية أحمد زهير أمين بعنوان "رمسيس الثاني، فرعون المجد والانتصار"، وفيه يتحدث كتشن نقلا عن المكتشفات المصرية عن الشاب em inet Amen ابن (ون نفر) كبير كهنة آمون.

Amen أو (هامن) كان صديقا مقربا للأمير الذي سيصبح بعد برهة الملك الفرعوني رمسيس الثاني، ويتحدث بإسهاب عنه وعن عائلته، وعن المناصب التي تقلدها وأقرباؤه في البلاط الملكي، فقد رقاها رمسيس الثاني إلى قائد المركبات الملكية قبل أن يصبح رسوله ثم مديرا لمشاريعه ومسؤولا عن قطاع الصناعة في بلاط الملك.

وهكذا فإن القرآن يثبت مرة بعد مرة أنه كلام الله العليم الذي أطلع نبيه ﷺ على أخبار الغيب الحاضرة والمستقبل {تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين} [هود: ٤٩]. (١)

## المطلب الخامس عشر : هل يؤمن اليهود برسالة المسيح عليه السلام؟

قالوا: أخطأ القرآن حين نسب إلى اليهود القول بأن المسيح رسول الله، وهم يكفرون به، وذلك في قوله تعالى: {وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما\* وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله} [النساء: ١٥٦ - ١٥٧].

الجواب: من المتيقن عندنا أن اليهود كفروا بالمسيح عليه السلام، واتهموه وأمه بأشنع القبائح، وهو ما حكته الآية الكريمة عنهم حين وصفتهم بالكفر {وبكفرهم}، والمقصود كفرهم بالمسيح كما هو واضح من سياق التالفة لها: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا} [النساء: ١٥٩].

(١) - تم الرد على هذه الشبهة سابقا وانظر تنزيه القرآن للسقار

وأما وصفهم للمسيح بأنه رسول الله فجاء منهم على سبيل التهكم والسخرية منه، أو على معنى مقدر (قتلنا المسيح الذي يزعم أنه رسول الله)، وهو أسلوب في الإضمار معلوم عند أرباب البلاغة، ورد مرارا في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: {وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون (٦) لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين} [الحجر: ٦ - ٧]، فكفار قريش يصفون النبي ﷺ بالجنون، ولا يؤمنون بأن القرآن (ذكر)، ولا يصدقون بنزوله على النبي ﷺ، وقولهم: {نزل عليه الذكر} خرج مخرج السخرية منه، أو بمعنى: (يا أيها الذي يزعم أنه نزل عليه الذكر).

ومثله ما حكاه الله عز وجل عن وصف اليهود للقرآن في قوله تعالى: {وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون} [آل عمران: ٧٢]، فوصفهم للقرآن بأنه {أنزل}، وللصحابة بأنهم {الذين آمنوا} خرج مخرج السخرية من القرآن والمؤمنين، أو على سبيل حكاية قولهم، بمعنى: (آمنوا بالقرآن الذي يزعمون هؤلآء الإيمان به، وأنه منزل من عند الله).

ومثله أيضا ما حكاه الله تعالى من قول كفار قوم شعيب عليه السلام {قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنك لأنت الحليم الرشيد} [هود: ٨٧]، أي (أنت الذي تزعم أنك الحليم الرشيد).

ومثله كذلك خرج مخرج السخرية والاستصغار للمشرك حين يدخل النار قول الله تعالى: {ذق إنك أنت العزيز الكريم (٤٩) إن هذا ما كنتم به تمتمون} [الدخان: ٤ - ٥٠]، أي (كنت تزعم أنك العزيز الكريم).

فمن عرف ما عرف العرب لم ينكر ما سكتوا عنه، فإن القرآن نزل بلسانهم، ووفق طرائقهم في البيان والتعبير، ومنها التهكم والحكاية. (١)

## المطلب السادس عشر : هل الجبال تحفظ أوتاد تحفظ توازن الأرض

(وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) [النحل: ١٥]

وقال في الكشف : ( وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا ) أي : أرسيناها بالجبال كما يرس البيت بالأوتاد . وفي البحر المحيط ( وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا ) أي : ثبتنا الأرض بالجبال كما يثبت البيت بالأوتاد وقال

(١) - راجع تنزيه القرآن للسفار .

الشوكاني: ( وَالجِبَالُ أوتَادًا ) الأوتاد : جمع وتد أي جعلنا الجبال أوتاداً للأرض لتسكن ولا تتحرك كما يرس البيت بالأوتاد<sup>١</sup>.

في المزمور ٧٥: ٢ [أنا وزنت أعمدتها] وفي مز ١٠٤: ٥ [المؤسس الأرض على قواعد فلا تنزعزع إلى الدهر والأبد]

أما في علم الجيولوجيا أن الله جعل الجبال لحفظ الأرض؛ وذلك مثل الفقاعات تشاهد كالقبة على سطح المياه وتدور مع المياه وهي مثبتة في جميع أطرافها، وأن الجبال آخر مراحل تكوين الأرض في بدء الخليقة. وللدكتور زغلول النجار كتاب مستقل عن الجبال ، الجبال تثبت القشرة الأرضية على الحمم المتحركة وطبقة السيام فلولا الجبال لكانت القشرة الأرضية بألواحها كبقع الزيت على الماء تتمايع وتتمازج وتنفصل وتتحرك وهذا قول الله تعالى {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} [النحل ١٥] .

قام العلماء R. CARBONELL, A. PÉREZ-ESTAÚN, J. GALLART, J. DIAZ, S. KASHUBIN, J. MECHIE, R. STADTLANDER, A. SCHULZE, J. H. KNAPP, A. MOROZOV بدراسة عام ١٩٩٦ حول جذور الجبال، وتركزت الدراسة في جبال الألب في أوروبا، ووجدوا أن هذه الجبال تمتد عميقاً في الأرض لعشرات الكيلومترات (٤٠-٥٠ كيلو متر) وفي بحث آخر تم من خلاله إثبات وجود الجذور للجبال، لاحظت أن العلماء PEDREIRA D. ; PULGAR J. A. ; GALLART J. ; DIAZ J يستخدمون كلمة WEDGE<sup>(١)</sup> وهي تعني (وتد) فقد استخدموا هذه الكلمة وهم لم يقرأوا القرآن، لماذا؟ الجواب لأنهم وجدوا أوتاداً حقيقية للجبال، ولذلك وضعوا هذه الكلمة في بحثهم، ولكنهم نسوا أن القرآن سبقهم إلى ذلك بأربعة عشر قرناً!

## المطلب السابع عشر : القرآن يتناقض مع العلم

إنه جاء في القرآن أن الله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن { [الطلاق: ١٢]}. فكيف يقول عن أرضنا وهي واحدة من ملايين الكواكب . إنه يوجد سبعة مثلها؟ وفي

(١) - الزمخشري في الكشاف (٤ / ٦٨٥) و أبو حيان في البحر (١٠ / ٣٤٨) والشوكاني في فتح القدير (٥ / ٤٣٩) .  
(١) CRUSTAL ROOT BENEATH THE URALS: WIDE-ANGLE SEISMIC EVIDENCE, WWW.SCIENCEMAG.ORG  
SEISMIC EVIDENCE OF ALPINE CRUSTAL THICKENING AND WEDGING FROM THE WESTERN PYRENEES TO THE CANTABRIAN MOUNTAINS, WWW. CAT.INIST.FR

القرآن: (أن السماء سقفاً محفوظاً) ، وأن الله يمسكها لئلا تقع. فكيف يقول عن الفضاء غير المتناهي: إنه سقف قابل للسقوط؟ وفي القرآن أن الله زين السماء الدنيا بمصابيح. فكيف يقول عن ملايين الكواكب التي تسبح في هذا الفضاء غير المتناهي إنها مصابيح؟ الرد على الشبهة: هذا السؤال مكون من ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: هو أنه ليس في العالم سبعة أرضين. فكيف يقول عن الأرض: إنها سبعة كما أن السموات سبعة؟ وقول المؤلف إن الأرض سبعة؛ أخذه من بعض مفسري القرآن الكريم. وهو يعلم أن المفسرين مجتهدون، ويصييون ويخطئون. والرد عليه في هذا الجزء من السؤال هو: أن نص الآية هو: {الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً} [الطلاق: ١٢].

إنه أتى ب (مِنْ) التي تفيد التبعض؛ لينفي العدد في الأرض. وليثبت المثلية في قدرته. فيكون المعنى: أنا خلقت سبع سموات بقدرتي، وخلقت من الأرض مثل ما خلقت أنا السماء بالقدرة. ولهذا المعنى علل بقوله: (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير). وبيان التبعض في الأرض: هو أن السماء محكمة، وأن الأرض غير محكمة. وهى غير محكمة لحدوث الزلازل فيها، وللنقص من أطرافها. وقد عبّر عن التبعض في موضع آخر فقال: {أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها} [الأنبياء: ٤٤]. والنقص من الأطراف يدل على أن الباقي من الأرض ممسوك بقدرة الله، كما يمسك السماء كلها.

والجزء الثاني: هو أن السماء سقف قابل للسقوط. والرد عليه في هذا الجزء من السؤال هو: أن كل لغة فيها الحقيقة وفيها المجاز. والتعبير على المجاز. فإن السماء شبه سقف البيت، والمنايع للسقف من السقوط على الحقيقة هو الأعمدة، وعلى المجاز هو الله؛ لأن كل شيء بقدرته. ولذلك نظير في التوراة وفي الإنجيل: " بالكسل يهبط السقف ". وفي ترجمة أخرى: " من جراء الكسل ينهار السقف. وبتراحي اليدين يسقط البيت " [جامعة ١٠: ١٨] يريد أن يقول: إن الكسل يؤدي إلى الفقر، والفقر يؤدي إلى خراب البيوت. وعبر عن الخراب بانحيار السقف. والسقف لا ينهار بالكسل، وإنما بهد الأعمدة التي تحمله. وفي سفر الرؤية: " فسقط من السماء كوكب " [رؤ ٨: ١٠] كيف يسقط كوكب من السماء بغير إرادة الله؟

وفى سفر الرؤية: " ونجوم السماء سقطت " (رؤ ٦: ١٣) ، ويقول عيسى عليه السلام: إن العصفور لا يقع إلى الأرض إلا بإرادة الله: " أما يباع عصفوران بفلس واحد. ومع ذلك لا يقع واحد منهما إلى الأرض خفية عن أيكم " [متى ١٠: ٢٩] . وفى الرسالة إلى العبرانيين: " حقاً ما أرهب الوقوع فى يدى الله الحى؟ " [عب ١٠: ٣١] .

والجزء الثالث: وهو أنه كيف يقول عن الكواكب إنها مصاييح؟ والمؤلف دل بقوله هذا على إنكار الواقع والمشاهد فى الحياة الدنيا، ودل أيضاً بقوله هذا على جهله بالتوراة وبالإنجيل. ففي سفر الرؤية: " كوكب عظيم مثقد كمصباح " [رؤ ٨: ١٠] ، " وأمام العرش سبعة مصاييح " [رؤ ٤: ٥] ، وجاء المصباح على المجاز فى قول صاحب الأمثال: " الوصية مصباح والشريعة نور " [أم ٦: ٢٣] .<sup>(١)</sup>

### المطلب الثامن عشر : كيف يكون العلم كفرًا؟

يعترض على قوله: {إنما النسئ زيادة فى الكفر} [التوبة: ٣٧] أن النسئ الذى فى السنة القبطية من الحساب الفلكى.. فكيف يكون العلم كفرًا؟ الرد على الشبهة:

أن النسئ فى الآية هو ما كان يفعله المشركون من تبديل الأشهر الحرم مكان الأشهر الحلال ليستحلوا بذلك القتال فيها، ولا علاقة له بالأيام التى تضبط السنة القبطية للزراعة، ومن هنا يتبين مدى محاولة التلبس والتدليس الذى يضحك منها العارفون مع حزنهم أن يصل الترصد ضد كلام الله سبحانه والعمل على أن لا يصل إلى الخلق باعتباره . الكلمة الأخيرة للعالمين . إلى هذا الحد الرخيص من التلاعب بالألفاظ والمصطلحات.<sup>(٢)</sup>

### المطلب التاسع عشر : ريّ مصر بالغيث!

إن أرض مصر تُروى بالنيل، ولا تروى بالمطر. وفى القرآن: {ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون} [يوسف: ٤٩] . وهذا يدل على غوثهم بالمطر. فكيف ينسب خصب مصر للغيث والمطر؟ الرد على الشبهة: هنا كلمتان: ١- (يغاث) ، ٢- (يعصرون) .

(١) -حقائق الاسلام فى مقابل شبهات المشككين ، شبهة رقم ٦٨

(٢) - المصدر السابق ، شبهة رقم ٦٩

وكلمة الغوث على الحقيقة تدل على نزول ماء من السماء. وكلمة العصر على الحقيقة تدل على عصير العنب. لأن الشائع بين الناس في العصر هو العنب. والمؤلف يوجه النقد على المعنى الحقيقي في نزول المطر، ولم يوجه النقد لعصير العنب. وكلمة الغيث جاءت على الحقيقة مثل: " فامتنع الغيث ولم يكن مطر " [إرمياء ٣: ٣] ، وجاءت على المجاز مثل: " لأعرف أن أغيث المعبي " [إشعيا ٥٠: ٤] . أما على المجاز فالشبهة منتفية. وأما على الحقيقة فهذا هو غرض المعترض وهو مغرض في ذلك ، وذلك لأن الأمر كله خارج على المؤلف. وبيان خروجه على المؤلف: أن المدة خمس عشرة سنة. سبع شداد يأكلن سبعا سمائا أو: سبع سمان يأكلهن سبع عجاف. والسنة الأخيرة يأتي فيها الخير قليلاً. والمناسب لقللة الخير؛ نزول المطر. وقلة المياه تكفى لرى العنب والفواكه في أماكن زراعته، وتكفى لإنبات قمح يكون بذره بذرا للسنوات الآتية التي سيكثر فيها ماء النيل. وهذا أمر غير مستبعد في العقل. فكيف يكون شبهة؟

أما عن العصر. فإنه يكون على الحقيقة مثل: " فأخذت العنب وعصرته في كأس فرعون، وأعطيت الكأس في يد فروع " [تكوين ٤٠: ١١] ، ويكون على المجاز مثل: " فألقاه إلى معصرة غضب " [رؤية ١٤: ١٩] .

وإذا ثبت وجود العصر، وليس لماء النيل وجود. فكيف حيي النبات وعاش؟ وفي السنوات السبع العجاف كانت سنابل القمح تخرج من الأرض خروجاً هزياً. فكيف خرجت وهي هزيلة والنيل لا يروى الأراضي؟

لا بد من القول بوجود مصدر للمياه غير النيل. إما آبار عيون، وإما مطر. ففي حلم فرعون: " وهو ذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد سمينة وحسنة. ثم هو ذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية نابثة وراءها " [تكوين ٤١: ٥-٦] ، وكرر الكلام وقال فيه: " نابثة وراءها " [تك ٤١: ٢٣] كيف تكون نابثة وليس لماء النيل من سواقي؟<sup>(١)</sup>

## المطلب العشرون : الرعد ملك من الملائكة

<sup>١</sup> - حقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين ، شبهة رقم ٧٠ ، مجموعة من العلماء .

إن في القرآن أن الرعد يسبح الله. وإن في الأحاديث النبوية أن الرعد ملك من ملائكة الله. ونحن نعلم أن الرعد هو الكهرباء الناشئة عن تصادم السحاب فكيف يكون الرعد ملكاً؟ ..... الرد على الشبهة:

إن المؤلف لا ينكر تسبيح الرعد لله؛ وذلك لأن في التوراة أن الرعد يسبح الله. وكل شيء خلقه؛ فإنه يسبحه. وإنما هو ينكر كون الرعد ملكاً. فمن أكد له أن الرعد ملك؟ ليس في القرآن أنه ملك. والأحاديث النبوية تذكر أن للرعد ملكاً؛ وليس أن الرعد ملك، والفرق واضح. ففي التوراة عن التساييح لله: " شعب سوف يُخلق؛ يسبح الرب "؛ يقصد شعب محمد صلى الله عليه وسلم [مزمو ١٠٢ : ١٨] ، وفي سفر الزبور: " تسبحه السموات والأرض والبحار وكل ما يدب فيها " [مز ٦٩ : ٣٤] . وفي سفر الزبور: " سبحوا الرب من السموات، سبحوه في الأعالي، سبحوه يا جميع ملائكته، سبحوه يا كل جنوده، سبحيه يا أيتها الشمس والقمر، سبحيه يا جميع كواكب النور، سبحيه يا سماء السموات، ويا أيتها المياه التي فوق السموات. لتسبح اسم الرب. لأنه أمر فخلقت، وثبتها إلى الدهر والأبد. وضع لها حداً فلن تتعداه.

سبحي الرب من الأرض يا أيتها الثنائين وكل اللحج. النار والبرد. الثلج والضباب. الريح العاصفة كلمته، الجبال وكل الآكام، الشجر المثمر وكل الأرز. الوحوش وكل البهائم، الدبابات والطيور ذوات الأجنحة. ملوك الأرض وكل الشعوب، الرؤساء وكل قضاة الأرض. الأحداث والعداري، أيضاً الشيخوخ مع الفتیان. ليسبحوا اسم الرب؛ لأنه قد تعالى اسمه وحده. مجده فوق الأرض والسموات " [مزمو ١٤٨] .

وفي الأناجيل الأربعة: " يسبحون الله بصوت عظيم " [لوقا ١٩ : ٣٧] ، " وهم يمجدون الله ويسبحونه " [لو ٢ : ٢٠] ، " وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجنود السماوي مسبحين الله وقائلين: المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة " [لو ٢ : ١٣] ، وكان عيسى . عليه السلام . يسبح الله تعالى مع الحواريين. ففي مرقس: " ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون " [مر ١٤ : ٢٦] ، وفي متى: " ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون " [متى ٢٦ : ٣٠] . ومن يسبح الله كيف يكون هو الله أو إله مع الله؟.

وفي القرآن الكريم: {سبح اسم ربك الأعلى} [الأعلى: ١] ، وفي الزبور: " سبحوا اسم الرب. سبحوا يا عبيد الرب " إلى أن قال: " كل ما شاء الرب صنع في السموات وفي الأرض. في البحار وفي كل اللجج. المصعد السحاب من أقاصي الأرض. الصانع بروقا للمطر. المخرج الريح من خزائنه (٢) .. " [مز ١٣٥] . وفي سورة الحجر: (وأرسلنا الرياح لواقح) [آية رقم ٢٢]. (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) آية رقم ٢١. (١)

## المطلب الواحد والعشرون : الوادى طوى

إنه لا يوجد وادى اسمه " طوى " في سيناء. فمن أين جاء به القرآن؟.

الرد على الشبهة:

إنه فهم من قوله تعالى: (إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) (طه ١٢) أن (طوى) اسم للوادي المقدس. وفهمه خاطئ. وذلك لأن الله لما عبر عن السموات بأنها (مطويات بيمينه) (الزمر: ٦٧). يعنى بذلك: أن لا إله غيره يملك من أمر السموات من شيء. عبر عن الأرض بأنها في ملكه وليس لإله آخر فيها من شيء. فالطي في السماء كناية عن القدرة والطي في الأرض كناية عن القدرة. والكناية مناسبة للواد المقدس؛ والمقصود الأرض كلها لئلا يُظن أن التقديس لغيره. وكرر الله المعنى في السموات فقال: (يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب) (الأنبياء: ١٠٤). وشبهه أن تكون الأرض (طوى) أي في قبضته.

وفي الرسالة إلى العبرانيين: " وأنت يا رب في البدء أسست الأرض، والسموات هي عمل يديك. هي تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى، وكرداء تطويها؛ فتتغير، ولكن أنت أنت، وسنوك لن تفتنى " [عب ١: ٢٢.٢٠] فقد عبر عن طيها بطى الرداء. فيكون المعنى (إنك بالوادي المقدس) (الذى سيصير (طوى) بمعنى مطوى كما أن السماء ستكون مطوية بقدرته.

وهنا هو لا يعترض على القرآن بل على التفاسير، وهو جانب آخر من إعجاز القرآن يزيد في إثباته وذلك أن كلام البشر من العلماء والمفسرين قد يختلف ويؤخذ منه ويُرد؛ ولكن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، شيء عجيب حقاً ذلك القرآن الذى

(١) - حقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين ، شبهة رقم ٧١.

يقف أمام هؤلاء جميعاً بكل ذلك الفهم الخاطئ والتصيد المستمر وإذ به يتعالى عليهم ويبقى في عليائه معجزاً للبشر إلى يوم الدين.<sup>(١)</sup>

**المطلب الثاني والعشرون : هل الزيتون يخرج من طور سيناء، وهو يخرج من فلسطين، فكيف ذلك؟ .....** الرد على الشبهة:

أن سيناء من فلسطين وفلسطين والشام هي شمال مصر، وهذا المعنى يوجد في التوراة ففي سفر الزبور: [سيناء في القدس] مز ٦٨ : ١٧ .

ولا تعتمد التقسيمات السياسية الحديثة التي فصلت الديار بعضها عن بعض بل إن مصر في الأصل كانت تمتد إلى هذا الحد، أما تقسيمات سايكس بيكون فلا يمكن تفسير النصوص المقدسة عليها.<sup>(١)</sup>

**المطلب الثالث والعشرون :**

**قرر القرآن أن جبل ((قاف)) يحيط بالأرض كلها**

إنه جاء في القرآن الكريم: (ق. والقرآن المجيد) ونقل من كتاب عرائس المجالس: أن معنى (ق) جبل يقال له جبل قاف. ونقل من كتاب قصص الأنبياء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أعلى قمة في الأرض هي جبل قاف ( . وهذا خطأ؛ لأن العلم يبين أن أعلى قمة هيس (إفرست) ، وقالوا: إن الكلمة العبرانية " تاو " ومعناه " الخط " لما سمعها الصحابة لم يعرفوا أن معناها " الخط " بل توهموا أنها سلسلة جبال عظيمة اسمها قاف. فكيف يعتبر بعض القرآن ما نسميه الأفق . وهو خط وهمي . جبلاً حقيقياً؟ الرد على الشبهة:

إن كلام مؤلف عرائس المجالس ليس حجة على صحة القرآن، وإن الأحاديث الموضوعية ليست حجة على صحة القرآن. ولم يجمع المسلمون على معنى (ق) فإن لهم في المعنى آراء كثيرة. منها أن (ق) حرف من حروف الهجاء مثل الألف والياء والتاء.. إلخ. فاعتراض المؤلف على القرآن ليس في موضعه<sup>(٢)</sup>.. .. وهذه خرافة مصدرها كتاب اليهود!

(١) - حقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين ، شبهة رقم ٧٢ .

(١) - حقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين ، شبهة رقم ٧٣ .

(٢) - حقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين، شبهة رقم ٧٤ .

الذي يتحدث عن جبل قاف الخرافي ، أما القرآن فلم يذكر جبالا ولا قمما، والحرف (ق) أحد الحروف الكثيرة التي بدئت بها سور من القرآن مثل: ص، ن، حم، الر. . وهكذا. ولكن الصيغة المادية البحتة التي تركتها التوراة المزيفة في ذهن القوم، وجهت ذهنهم هذا الاتجاه المادي البحت، وإذا كانت هذه خرافة منشؤها كتاب يهودي، فكيف يؤاخذ بها القرآن؟! إن كتب اليهود هي كتب المسيحيين، فليوجه القوم اللوم إلى أنفسهم، أما أن يكونوا هكذا جاهلين، ثم يحملون جهلهم على القرآن، فهذا ما لا يقبله غير عقولهم). (١)

### المطلب الرابع والعشرون :

كيف تزعمون أن محمدا (اصطفاه الله للرسالة وهيئه، مع وصفه له بالضلال ، فهو كقومه كان وثنيا، {ووجدك ضالا فهدى} [الضحى:٧]؟) (١)  
-الجواب:

١- إن العرب كانت إذا وجدت شجرة منفردة في فلاة من الأرض لا شجر معها سموها ضالة، فتهتدي بها على الطريق، فقال الله تعالى لنبيه: (ووجدك ضالا فهدى ) أي وجدك لا أحد على دينك فهديت بك الخلق (٢)، ومن هذا قول: (الحكمة ضالة المؤمن) . أي أن الضلال هنا المقصود به الحقيقة اللغوية لا الشرعية، إذ لم يكن في ذلك الوقت شرع، وبعض المعاني اللغوية معنى جميل كما رأيت.

٢-وقيل: إنه من قولك: ضللت الطريق. أي لم تعرفه ، ومنه قولهم: ضالة الإبل والغنم. يعني التي لم تهتد لقومها، فالنبي ﷺ كان موحدا عارفا بالله بفطرته وعقله، ولكنه لم يعرف كيف يعبد؛ لأنه لم ينزل عليه شرع، فهو ضال بهذا المعنى، أي لم يعرف طريق العبادة الصحيحة.

قال الراغب: (الضلال ترك الطريق المستقيم؛ عمدا كان أو سهوا، قليلا كان أو كثيرا، ويصح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأ ما، ولذلك نسب إلى الأنبياء، وإلى الكفار، وإن كان بين الضلالين بون بعيد، ألا ترى أنه قال في النبي: {ووجدك ضالا

(١) - الدكتور عبد الجليل شلبي ، "رد مفتريات على الإسلام" ص: ١٤٢ . جواب على رسالة الشبهات للمجلس القبطي في الإسكندرية .

(١) - رد مفتريات على الإسلام، لشلبي، ص: ٣٨، عن رسالة المجلس الملي القبطي الأرثوذكس بالإسكندرية التي رد عليها في الكتاب المذكور ، و دائرة المعارف البريطانية (ص: ٢٢) .

(٢) - إلي ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي (ص: ٢٩٣) ، دار الجليل، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧ .

{فهدى} [الضحى:٧] ، أي غير مهتد لما سبق إليك من النبوة، وقال في يعقوب: {قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم} [يوسف:٩٥] ، وقال أولاده: {إن أبانا لفي ضلال مبين} [يوسف:٨] إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه، وكذلك {قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين} [يوسف:٣٠] ، وقال عن موسى عليه السلام: {قال فعلتها إذا وأنا من الضالين} [الشعراء:٢٠] تنبيه أن ذلك منه سهو، وقوله: (أن تضل إحداهما ... ) [البقرة:٢٨٢] ، أي تنسى وذلك من النسيان الموضوع على الإنسان، والضللال من وجه آخر ضربان؛ ضلال في العلوم النظرية ،كالضللال في معرفة الله ووحدانيته ،ومعرفة النبوة ونحوهما، المشار إليهما بقوله: {ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا} [النساء:١٣٦] ، وضلال في العلوم العملية ،كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات(١) ، وهذا النوع يعذر فيه الإنسان إذا لم يبلغه، ألا ترى أن زيد بن عمرو بن نفيل (أحد العشرة المبشرين بالجنة) دخل الجنة مع أنه لم يعرف كيف يعبد الله تعالى، فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر (: أن النبي (لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح ، قبل أن ينزل على النبي الوحي، فقدمت إلى النبي ( سفرة فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبجون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض ، ثم تذبجونها على غير اسم الله. إنكارا لذلك وإعظاما له) (٢).

وأخرج البخاري أيضا عن ابن عمر (: أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالما من اليهود فسأله عن دينهم، فقال: إني لعلي أن أدين دينكم فأخبرني؟ فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله. قال زيد: ما أفر إلا من غضب ، الله ولا أحمل من غضب الله شيئا أبدا، وأنى أستطيعه فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا، قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله، فخرج زيد فلقي عالما من النصارى فذكر مثله فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله. قال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبدا، وأنى أستطيع، فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن

(١) - انظر لسان العرب (٣٩١/١١) ، المفردات (ص:٥١٠)

(٢) - أخرجه البخاري: (كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، رقم:٣٦١٤) .

يكون حنيفا. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام، خرج، فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم.

وقال الليث: كتب إلي هشام، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره إلى الكعبة، يقول: يا معاشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيري. وكان يجيي الموءودة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها أنا أكفيكها مئونها فيأخذها فإذا ترعرعت، قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مئونها (١) ، وأخرج الإمام أحمد ، كان رسول الله ﷺ بمكة هو وزيد بن حارثة فمر بهما زيد بن عمرو بن نفيل، فدعواه إلى سفرة لهما، فقال: يا ابن أخي إني لا آكل مما ذبح على النصب. قال: فما رأي النبي (بعد ذلك أكل شيئا مما ذبح على النصب. قال: قلت: يا رسول الله إن أبي كان كما قد رأيت وبلغك ، ولو أدركك لآمن بك واتبعتك، فأستغفر له: قال «نعم» فاستغفر له؛ فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده). (٢)

فزيد بن عمرو مع جهله بطريق العبادة، إلا أن فطرته دلته على وجود الله، وعقله هداه إلى توحيد الله، فكان يعبد الله على حسب اجتهاده، فهو مع ضلاله عن طريق العبادة الصحيحة، إلا أنه كان معذورا لذلك أدخله الجنة، ومن هذا الباب معنى قوله تعالى: (ووجدك ضالا فهدى). أي ضالا عن طريق العبادة الصحيحة فذلك عليها له وإن كان عارفا بالله موحدا له.

٣- ثم إننا نلزمهم بأمر وهو: هل هم يقولون هذا أيضا في موسى عندما قال عن نفسه، {فعلتها إذا وأنا من الضالين} [الشعراء: ٢٠] .

٤- ثم إننا لو تنزلنا لهم وسلمنا لهم بالمعنى الذي يريدون، فإن هذا لا يضره؛ فهو معذور بعدم العلم فهو إذ لم يضل عن علم بل ضل بغير علم ، وهذا لا حرج عليه ولا مؤاخذاة فيه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما وجوب كونه ) قبل أن يبعث نبيا لم يخطئ أو لا يذنب فليس في النبوة ما يستلزم هذا). (٣)

(١) - أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمرو، برقم: ٣٦١٦.

(٢) - أخرجه الإمام أحمد في المسند (رقم: ١٦٥١) وإسناده حسن. ، وذكر ابن حجر في الإصابة أن الواقدي والفاكهي أخرجا بإسنادهما عن عامر بن ربيعة في حديث طويل ، وفيه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «قد رأيت في الجنة يسحب ذبولا» (٢) الإصابة (٢/٦١٦) .

(٣) - منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة والقدرية، لأحمد بن عبد الحلیم بن تيمية (٢/٣٩٦) ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

ولكن الحرج كل الحرج فيمن يعرف العلم والهدى ثم يتركه ، كما هو حال اليهود والنصارى الذين يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم. (١)

**المطلب الخامس والعشرون : كيف سحر النبي ﷺ مع أن الله تعالى يذكر كلام الكفار، ووصفهم النبي بالمسحور في مقام الدم في قول الله على ألسنتهم: {إن تتبعون إلا رجلا مسحورا} [الفرقان: ٨]**

-الجواب:

هذا الشبهة تردد كثيرا، وللأسف يرددها كثيرا من المعاصرين من العلمانيين، ومن أصحاب المدرسة العقلية، وممن يعلم صلاحه ويظهر حبه للدين (١)

-الجواب:

أولا: لا بد - أولا - أن نعرف أن حديث سحر النبي ﷺ ثابت في الصحيحين، وقد تقدم نقاش هذه الشبهة ونعيدها بأسلوب الدكتور شلبي : قال ابن القيم: وهو حديث ثابت عند أهل العلم بالحديث لا يختلفون في صحته ، وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيحه، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة ، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله وأيامه من المتكلمين (٢) ، ونص الحديث عن عائشة قالت: (سحر النبي حتى إنه لينحيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله - وفي رواية: وأنه يأتي أهله ولا يأتي - حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه، ثم قال: «أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟» ، قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم -اليهودي من بني زريق- قال: فيما ذا قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان قال: فذهب النبي (في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال: "والله لكأن ماء ها نقاعة الحناء، ولكأن

(١) - دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ، عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ص ٣٣٥ وما بعدها

(٢) - منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، للرومي، (ص:٣٤٧)

(٢) - (التفسير القيم لابن القيم (ص:٥٦٦) .)

نخلها رءوس الشياطين» . قلت: يا رسول الله أفأخرجته قال: «لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثور على الناس منه شراً» . وأمر بها فدفنت<sup>(١)</sup>.

فظاهر من الحديث أن السحر كان في الأمور الدنيوية فهو يخيل إليه أنه أتى أهله ولكنه لم يفعل ويخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله يقول الشيخ رشيد رضا أن هذا كان خاصاً فقط في إتيانه أهله، وأنه معنى قول عائشة: كان يخيل إليه أنه يأتي الشيء ولا يأتيه. كناية عن الجماع<sup>٢</sup>، وأما الأمور الشرعية والوحي، فإنه محفوظ من الخطأ فيها، كما ثبت في النصوص الكثيرة، كقوله تعالى: {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى} [النجم: ٣-٤] . وعن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: أكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بأصبعه إلى فيه فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق»<sup>(١)</sup>.

قال المازري: (أنكر المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل. وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعه من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم، وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء، قال المازري: وهذا كله مردود لأن الدليل قد قام على صدق النبي (فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شهادات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل، وأما ما يتعلق ببعض الأمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها، فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأعراض، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين، قال: وقد قال بعض الناس: إن المراد بالحديث أنه كان يخيل إليه أنه وطئ زوجته ولم يكن وطأهن، وهذا كثيراً ما يقع تخيله للإنسان في المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة. قلت والقائل ابن حجر: وهذا قد ورد صريحاً في رواية ابن عيينة في الباب الذي يلي هذا ولفظه " حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن " . وفي رواية الحميدي " أنه يأتي أهله ولا يأتيهم " .

(١) - متفق عليه (بخاري: كتاب الطب، باب السحر، رقم: ٥٤٣٣، ومسلم: كتاب السلام، باب السحر، رقم: ٢١٨٩) .

(٢) - كما جاء في تفسيره في الرواية الثانية. (انظر تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن، لمحمد رشيد رضا ص: ١٢٧) .

(١) - أخرجه أبو داود (كتاب العلم، باب في كتاب العلم، رقم: ٣٦٤٦) والإمام أحمد في المسند (رقم: ٦٤٧٤) والدارمي (المقدمة، باب من رخص في كتابة

العلم، رقم: ٤٨٤)، وهو صحيح؛ انظر: صحيح سنن أبي داود للألباني (٦٩٥/٢) رقم: ٣٠٩٩. وغير ذلك من النصوص المتكاثرة

قلت: ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد " فقالت أخت لبيد بن الأعصم إن يكن نبيا فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله ".

قلت: فوقع الشق الأول ( يعني أنه أخبر. ) كما في هذا الحديث الصحيح. وقد قال بعض العلماء: لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك، وإنما يكون من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت، فلا يبقى على هذا للملحد حجة. وقال عياض: ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به. وقال المهلب: صون النبي (من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده، فقد مضى في الصحيح أن شيطانا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه، فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصا على ما يتعلق بالتبليغ بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر، بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين) (١).

ومثل هذا قوله تعالى عن موسى { قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى } [طه:٦٦] ، فسحر النبي ﷺ مثل سحر موسى (وهو أن يخيل إليه الشيء، فمن أنكر الحديث ماذا يقول عن هذه الآية ؟

ونزيد من الأمر توضحا فنقول السحر الذي أراده المشركون غير السحر الذي حصل للنبي ﷺ فهم أرادوا المسحور يعني الذي يصل إلى حد الجنون والافتراء، وقول ما لا يعقل ودخول الجن في المسحور، وهذا لا شك أنه باطل في حق النبي ﷺ ، وأما سحر النبي ﷺ فهو من نوع التخيل الذي يحصل لأي إنسان يقظة ومناما، وهذا لا يضر في مقام النبوة.

**المطلب السادس والعشرون : كيف يسحر النبي ﷺ مع أن الشياطين لا تسلط على عباد الله الصالحين ، كما قال تعالى: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين} الحجر:٤٢ (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٩٩) إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) النحل:٩٩-١٠٠ ، فسحر النبي دليل أنه من الغاويين وأنه من الذين يتولون الشيطان ؟.**

الجواب:

(١) - ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٣٧/١٠) .

السحر أنواع<sup>١</sup>: ١- سحر بالأدوية. ٢- سحر لا حقيقة له بل هو خيال أو خفة يد  
٣- سحر بالاستعانة بالشياطين.

إذن فليس كل أنواع السحر تسلط من الشياطين على المسحور، وذهب بعض العلماء  
إلى أن سحر النبي ﷺ من نوع الأدوية؛ قال ابن حجر: واستدل ابن القصار على أن الذي  
أصابه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث: «فأما أنا فقد شفاني الله». وفي  
الاستدلال بذلك نظر، لكن يؤيد المدعى أن في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في  
الدلائل " فكان يدور ولا يدري ما وجعه " وفي حديث ابن عباس عند ابن سعد: مرض  
النبي (وأخذ عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان. الحديث).<sup>١</sup>

ولو سلمنا أنه من النوع الشيطاني، فليس كل تعرض من الشيطان للإنسان معناه أنه  
ليس من عباد الله، وفرق كبير بين التعرض والمحاوطة وبين التسلط، ويؤيد ذلك ما أخرجه  
مسلم عن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في  
جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم»<sup>(٢)</sup>، فكل صالح يتعرض له الشيطان، بل هذه  
وظيفته في الحياة، وهو أقسم على إغواء بني آدم. ولو سلمنا أن هذا من التسلط فإنه لفترة  
محدودة، ثم بعد ذلك يذهب الله تعالى، ويرجع المسلم إلى حاله الأولى؛

فهذا آدم عليه السلام أغواه الشيطان حتى وقع في أكل الشجرة، وهذا موسى قتل  
نفسا بغير نفس فقال: {هذا من عمل الشيطان} [القصص: ١٥] ولا يقول أحد أن هذا  
من التسلط بمعنى التحكم والإغواء والتضليل، بل يبقى آدم وموسى من خير أنبياء الله ورسله  
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

**المطلب السابع والعشرون** : (كيف يذكر في القرآن أن الله أمر الملائكة  
بالسجود لآدم - يعني من مثل قوله تعالى: {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا}  
[البقرة: ٣٤] - مع أن هذا الدين اشتهر بالتشدد في إنكار الشرك وتكفير كل ساجد  
لغير الله).<sup>(٣)</sup>

(١) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (١٠/٢٣٩).

(١) - فتح الباري (١٠/٢٣٨).

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: ٢٨١٢.

(٣) - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، للعقاد (ص ٢٧٦)، المكتبة العصرية، بيروت.

الجواب:

السجود نوعان؛ سجود تحية وإكرام، وسجود عبادة وإعظام، فسجود العبادة لا يجوز في جميع الملل وعند جميع الرسل، بل لا يسجد الإنسان إلا لله وحده وأما سجود التحية فهذا كان جائزا في شرع من قبلنا، كما حصل ليوسف عندما خر له أبواه وأخوته سجدا، فلم ينكر عليهم، ومن هذا الباب سجود الملائكة لآدم، وأما في شرعنا فقد نسخ سجود التحية، درأ للفتنة وسدا لأبواب الشرك وطرائقه. قال القرطبي -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: {ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا ...} [يوسف: ١٠٠] : (وقد نسخ الله ذلك كله في شرعنا، وجعل الكلام بدلا عن الانحناء. وأجمع المفسرون أن ذلك السجود على أي وجه كان، وإنما كان تحية لا عبادة، قال قتادة: هذه كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة)، على أن كثيرا من العلماء يقولون: إن السجود هنا المقصود به المعنى اللغوي للسجود، وهو عموم الانحناء والميل والاحترام، ولا يلزم منه أن يخر على الأرض (١).

### المطلب الثامن والعشرون : الأرض ثابتة لا تتحرك:

في سورة لقمان: (وألقى في الأرض رواسي أن تُميد بكم). وجاء هذا في سورة أخرى. . وقال (رجال المجلس المملّي القبطي): إن العلم يثبت أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة فكيف يقول القرآن إنها راسية وثابتة (٢)؟

الجواب: معنى تميد تضطرب وتزلزل، ولا يراد بالميدان مجرد حركة متزنة، والمصدر الثلاثي (فعالن) يأتي لإفادة هذا المعنى، مثل ميدان وغليان وثوران وجولان. . وهكذا، والآية تذكر أن الله ثبت الأرض حتى يستطيع البشر أن يستقروا عليها في نومهم، ويزرعوا ويرعوا ماشيتهم، ولو كانت مضطربة ما استطاع الناس أن يطمئنوا عليها وأن يعملوا هذه الأعمال. نحن ننام في الطائرة وفي القطار وفي السفينة، فإذا اضطرب واحد منها استيقظنا وشعرنا بالتعب، وقد نطلب من السائق أن يعمل شيئا يسكنها لتثبت، ولا يعني تثبيته أنه يقف ولا يتحرك، بل أن ينقطع اضطرابه، وسيدكر القوم بعد معترضين على القرآن أنه ذكر (وكل في

(١) - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٧٤/٩)، ومن وسائل الغزو الفكري، لأستاذنا الدكتور نبيل غنام (ص: ٥٨٩). والمرجع السابق للعقاد.

(٢) - رد مفتريات على الإسلام (ص: ١٣٠).

فلك (يسبحون) ، و (كل) كلمة تشمل الشمس وتوابعها من القمر والأرض والكواكب الأخرى، فالقرآن إذن يقرر حركة كل هذه الكواكب (١).

### المطلب التاسع والعشرون : الكواكب في حجم الحجارة:

جاء في القرآن: {ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين { (الملك: ٥) ، وجاء أيضا: {ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين} [الحجر: ١٦-١٨] ، وقال رجال المجلس: إن القرآن جعل النجوم والكواكب في حجم الحجارة، ترمي بها الملائكة الشياطين، والعلم الحديث يثبت أن كل كوكب عالم ضخم!؟

والذي في الآية أن هناك أجساما نارية تصيب الشياطين، ولم يذكر أن الشيطان يسقط عليه نجم أو أن الملائكة ترميه به، والعلم الحديث، ورواد الفضاء يتحدثون عن النيازك التي ترى في الفضاء الواسع مذنبات مضيئة، ومنها الناري الذي ينطفئ ويتفتت في سيره، وبعضها يصل إلى الأرض، وهي تشبه المقذوفات البركانية، والذين درسوا جغرافية فلكية يعرفون هذا، فهذه المقذوفات قطع تنفصل من الكواكب وتتحرك في الفضاء، خصوصا إذا كان النجم أو الكوكب قريبا من الأرض، والله تعالى يصيب بها من يشاء ويحفظ بها من يشاء، وقد تكون قطعاً باردة ولكنها مضيئة كالقمر. أما سمع نوايح العصر أصحاب تيموثاوس أن الذين نزلوا على سطح القمر رأوا هناك جهات ساكنة نارها، وأخرى ملتهبة؟ وأنهم رأوا الأرض مشعة كما نرى نحن القمر؟ وأن الفضاء مليء بقطع نارية ساجدة، ومنها ما يصل إلى الأرض؟ (١)

### المطلب الثلاثون : الفضاء سطح أملس قابل للسقوط وكذلك الأرض:

ذلك لأنه جاء في القرآن {الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن} [الطلاق: ١٢] ، وجاء: {والله الذي جعل لكم الأرض بساطا} [نوح: ١٩] ، وجاء: {يأيتها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون} [البقرة: ٢١] ، {الذي جعل لكم الأرض فراشا} [البقرة: ٢٢] ، وجاء هذا ومثله في آيات أخرى، وخطؤه في نظر رجال المجلس أن الأرض كوكب واحد وليس سبعة، وكذلك السماء!

(١) - المصدر السابق (ص ١٣٠)

(١) - (رد مفتريات على الإسلام (ص: ١٣٢) .) عن رسالة المجلس الملي القبطي الأرثوذكس بالإسكندرية

والآية الأولى جاءت في ختام سورة الطلاق، وهي تلفت الأنظار إلى قدرة الله تعالى البالغة: {الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما}.

آية عجيبة رهيبة تبين ضآلة الإنسان في هذا الكون العظيم، ويقف غير واحد من الكتاب مذهولا أمام التعبير، وأمام مدلوله، وأمام هذا الإعجاز القرآني.

ما هذه السماوات؟ وما هذه الأرضين؟ كل ينظر من زاوية خاصة، وكل يجد في الآية ما يبهره، قد تكون السماء التي توصل علمنا إليها بكل ما فيها من كواكب ونجوم وأفلاك إحدى سموات سبع، والكرة الأرضية التي نعيش عليها هي أيضا كذلك! إن علم الفلك الحديث يؤيد هذا، ويذكر أن المجموعة الشمسية التي يتعلق بها علمنا هذا ليست إلا واحدة من مجموعات أخرى لا يعلمها إلا الله الذي خلقها.

فهذا إعجاز قرآني؛ إذ لم يكن محمد يدرس فلكا ولا يعرف شيئا عن هذه المستكشفات الحديثة.

وفي اللغة العربية يذكر العدد لإرادة التكثر، ويعبرون عنه بأنه عدد لا مفهوم له، وهذا كما تقول لصديقك: زرتك ألف مرة ولم تزرنني. فأنت لا تريد ألفا بعدده، وإنما تريد زرتك مرات كثيرة، فإذا حملنا العدد في الآية هذا المحمل، فالمعنى أن الله خلق سموات كثيرة وأرضين كثيرة، وهذا حق وواضح.

وقد يكون المراد بالسبع الأرضين أنواعا مختلفة من تربة الأرض، ويسمى كل نوع أرضا، وهذا وهذا كما تقول: أصبح فلان ثريا يملك أراضي كثيرة، والأرض أنواع بحسب تربتها وما بكل تربة من عناصر تكونت منها، بعضها رملي وبعضها جيرى، وبعضها معادن حديدية وبالأخرى عناصر نحاسية وهكذا، كما قال تعالى: {ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود} [فاطر: ٢٧].

وقد يراد من أنواع الأرض ما تصلح لإنباته، فأرض بها غابات وأرض بها زهور، وثالثة قاحلة لا تنبت شيئا. وآية سورة البقرة: {الذي جعل لكم الأرض فراشا} [البقرة: ٢٢]. . . ليست الوحيدة التي تذكر هذا في القرآن، بل هناك آيات أيضا أخرى تذكر هذا، ومعنى (فراشا): أي مبسوطة تحت أقدامنا، منبسطة كالفراش، نام عليها ونمشي ونزرع،

ونستقر أيضا أنعامنا ومساكننا، ولو جعلها الله سبحانه وتعالى كثيرة التعاريج شديدة التحذب، ما استطعنا أن نستريح عليه، ولا أن نجري كل هذه الأعمال، فالآية تذكر نعمة من نعم الله علينا، وليس في هذا ما يفيد أن الأرض قابلة للسقوط!

وأما الآية التي في سورة الأنبياء، فقد جاءت ضمن آيات غاية في الروعة والإعجاز العلمي الفلكي، ولها يعجب الكثيرون كيف قرر القرآن هذه الحقائق منذ ذلك الزمن السحيق. فاقراً قوله تعالى: ﴿أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس وكل في فلك يسبحون﴾ [الأنبياء: ٣٠-٣٣]. كانت السماوات العديدة والأرض جزءا واحدا، ففتقها الخالق وفصل بعضها عن بعض: تبارك الله، وصدق نبيه الكريم! ما كان ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى!!

في العصر الوسيط عصر الإطلام العقلي، والركود العلمي يقرر القرآن الكريم بحق أحدث النظريات العلمية، التي لم يهتد إليها العلم الحديث إلا من زمن قريب!

هذه الكواكب كلها بما فيها الأرض كانت قطعاً نارية، انفصلت من الشمس أثناء دورانها الأبدي الجبار، فتناثرت في الفضاء الذي لا يعلم مداه إلا الله، واستغرقت ملايين الأعوام وبلايينها حتى بردت قشرتها الخارجية، وشق الله بها الأنهار والبحار، وأنزل عليها ماء الأمطار، فدبت بها بعد ملايين السنين أيضا صور الحياة المختلفة من النباتات الدنيئة والطحالب، ثم الحيوانات المختلفة، منها ما انقرض ومنها ما بقي، هكذا جعل الله من الماء كل شيء حي، كل شيء من النباتات والطيور والديدان والحشرات والأفاعي والوحوش والأناسي، كلها من الماء وتقوم حياتها عليه.

هذا إبداع الله وخلقه، قدر سبحانه وهدي، ولم يأت شيء من أعماله بطريق المصادفة. أما التوراة فتقول: (في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الأرض ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه).

هكذا بدأ وأنشأ الله السماوات والأرض جميعا دفعة واحدة، ولم يذكر شيء عن الماء. تعبير ساذج وتفكير وثني، لا يفهم إلا الشيء المتجسد؛ أين كان الله إن كانت روحه ترف

وتحوم حول الماء؟ أكان بلا روح، أم هو الذي تجسد فصار هذا الحيز الضئيل كالحمامة؟ خلق الكون كله وهو جزء صغير منه. (وقال الله: ليكن نور. فكان نور، ورأى الله النور أنه حسن) !

لم يكن يعرف أنه سيكون حسنا، ولكن لما ظهر له أعجبه. عمل من طريق الصدفة البحتة، وتجربة نجحت وجاءت بشيء جميل. أهذه هي البلاغة؟! لا فصاحة تعبيرية ولا حقيقة علمية.

ونقرأ بقية هذه البداية فنجد: أن الله فصل بين النور والظلمة، وسمى النور نهارا والظلمة ليلا، وقال لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد، ولتظهر اليابسة. ودعا اليابسة أرضا.

وهكذا يمضي سفر التكوين مضطربا في الكلمات القليلة التي بدأ بها. في البداية خلق السماوات والأرض وكانت الأرض خربة، وبعد ذلك خلق وسط الماء شيئا جامدا أسماه أرضا، وسمى بعضا منه سماء. وهل يؤيد هذا علم أو يتسع له عقل؟ خلق السماوات والأرض، ثم خلق شيئا سماه أرضا وسماء!

كانت الفكرة القديمة أن العالم كله ماء، وأن الأرض طافية فوق الماء كحبة العنب، وهو تفكير نشأ عن نظر محدود. وسفر التكوين وبقية الكتاب المقدس \_أو الذي يسمى الكتاب المقدس \_ من وضع بشري متأخر.

ومع اضطراب التعبير، وسقامة الأسلوب، ومخالفة المعنى لحقائق العلم يعجب تيموثاوس التقي الذكي به ويعيب القرآن. {أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون} [سورة الأنبياء: ٣٠] .  
{وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون} [سورة الأنبياء: ٣٢] . .

والسماء هي كل شيء نراه فوقنا، وفهم تيموثاوس أن السماء لا تكون إلا بمعنى الفضاء، وهو جهل فاضح، لقد كان العرب يقولون لمحمد ﷺ أسقط السماء علينا كسفا؛ أي قطعاً، فهل كانوا يعنون الفضاء؟

ونحن ننظر إلى الأعلى ليلاً ونهاراً فنرى الكواكب السابحة، لا نستطيع نحن ولا نستطيع الجن والإنس أن نغير من نظامها شيئاً، أو تعدل فيه أدنى تعديل؟ كما أننا لا نستطيع حتى الوصول إليه، لقد كان من أعاجيب العلم أن وصل الناس إلى أرض القمر، والقمر تابع للأرض وكوكب ضئيل! فأين الجهد البشري من هذه الكواكب البعيدة الجبارة؟ وأين هي؟ وما مدى العلم بها؟ صدق الله {وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً} [الاسراء: ٣٠]. (١)

## المطلب الحادي والثلاثون :

قال ميلر<sup>(٢)</sup>: (من الذائع المشهور أن النتائج التي وصل إليها العلم الحديث عن أصول العلم، تخالف كل المخالفة ما هو مقرر في الكتاب المقدس، وفي القرآن من أن الله خلق العالم في ستة أيام، صحيح أن القرآن يقرر أن يوماً عند الله كألف سنة مما يعد الإنسان ولكن هذا لا يحل المعضلة؛ فإن فترة الزمان المتطاولة التي مر بها الكون في وجوده، لا يمكن أن تضغط في ستة آلاف أو ستة ملايين سنة)

الجواب: - تم الرد عليها سابقاً بتوسع وهذا رد آخر

(أ- الآيات التي أشار إليها ميلر بروز تقرر أن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، لكنها لا تعرض لعمر الكون المخلوق منذ خلقه الله تعالى حتى يومنا هذا، لكن ميلر بروز في كلامه السابق يخلط بين الأمرين، مشيراً إلى (معضلة) لا وجود لها، حيث يتكلم عن (فترة الزمان المتطاولة التي مر بها الكون في وجوده، والتي لا يمكن أن تضغط في ستة آلاف أو ستة ملايين سنة) ، فمال الآيات القرآنية التي يشير إليها وعمر الكون؟!)

إنها تقرر فحسب الزمن الذي خلق الله تعالى فيه الكون، دون أن تعرض لما بعد الخلق من الزمن الذي مر على الكون المخلوق حتى يومنا هذا.

فالتناقض الذي يتكلم عنه هذا المستشرق إنما جاء نتيجة لخلطه بين الأمرين، وتحميل الآيات القرآنية غير ما تحمله من معنى. وذلك أمر غاية في الوضوح لكل من يراجع نصوص

(١) - رد مفتريات على الإسلام" (ص: ١٣٢-١٣٦) د.عبد الجليل شليبي .

(٢) - وهذه طعون علمية أخرى من كلام المستشرقين، فيما ذكره الأستاذ ميلر بروز (رئيس قسم لغات الشرق الأدنى وآدابه، وأستاذ الفقه الديني الإنجيلي في جامعة ييل) في بحث له بعنوان: (مقترحات في موضوع العلاقة بين الدين والعلم في الإسلام) ، وقد أجاب عليها الأستاذ الدكتور بلتاجي على النحو التالي: ( المدخل إلى علم التفسير، لأستاذنا الدكتور بلتاجي (ص: ٢٠٣) .

الآيات المشار إليها ثم يراجع كلام المستشرق عنها) (فكل زعم بمحاولة التشكيك في الله تعالى: خلق السماوات والأرض في ستة أيام زعم باطل بدءاً، يستوي في بطلانه مع دعوى الكفار القدماء، بأن الملائكة - الذين لم يشهدوا خلقهم أو يحيطوا بهم علماً - إناث، وقد رد الله تعالى عليهم بقوله: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سنكتب شهادتهم ويسألون).

ب- إن ميلر بروز - أو غيره - لا يستطيع أن يعرض بشيء من التكذيب لما قررته هذه الآيات، من أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش؛ لأن فعل الخلق وزمانه سبقا الوجود البشري، فلا يستطيع أحد إطلاقاً أن يزعم أنه شهد - بأي وسيلة - أو رصد كيفية خلق السماوات والأرض وزمانه، وعلم البشر المادي - بكافة فروعها - نشأ بعد أن تم الخلق، وليس هناك أمامه سبيل ما لمعرفة تفصيلات خلق السماوات والأرض وما بينهما - من حيث الزمان - إلا ما أخبر به الوحي الصادق عن الله تعالى في هذه الآيات، وفيما يتصل بها من أحاديث نبوية صحت روايتها عن النبي ﷺ، ولا يملك الإنسان - في علمه البشري وسيلة أخرى يسترجع بها كيفية الخلق أو زمانه ليقبس عليها ما ورد في الوحي، ومن هنا لا يستطيع العلم البشري بحال أن يصل في هذه القضية إلى شيء يستند عليه في تكذيب ما ورد في الوحي؛ لأن الوحي يحكي هنا عن أمر (غيبى) لم يشهد البشر ولا يصل إليه علمهم المادي بحال، كما قال تعالى: ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ [سورة الكهف: ٣٠].

أما ما يشير إليه ميلر بروز من (النتائج التي وصل إليها العلم الحديث عن أصول العالم) فليس في هذه النتائج - وهي محض فروض في ذاتها - ما يعرض لشيء عن مقدار الزمن الذي خلق الله فيه السماوات والأرض، وإن كان فيها تقديرات فرضية لعمر الكون المادي، وتلك قضية أخرى كما سبق أن قررنا).<sup>(١)</sup>

**المطلب الثاني والثلاثون : قال ميلر: (الإنسان نفسه لم يخلقه الله دفعة واحدة منفصلاً عن خلق الحيوان، ولكنه جاء نتيجة لتطور طويل من الأشكال الدنيا للحياة، فكيف إذن نتغلب على هذا الإشكال).<sup>(٢)</sup>**

(١) - المدخل إلى علم التفسير، للبلتاجي ص: ٢٠٧. مرجع سابق

(٢) - السابق، ص: ٢٠٣، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ص ٣٨٦ وما بعدها

(ج) أما ما يشير إليه ميلر بروز من نظرية النشوء والانتقاء لداروين في قوله: "إن الإنسان نفسه لم يخلقه الله في دفعة واحدة منفصلا عن خلق الحيوان، ولكنه جاء لتطویر طويل من الأشكال الدنيا للحياة). فإنما يشير في نظرية لم تكن في وقت من الأوقات حقيقة علمية قطعية يمكن أن تقاس عليها النصوص الدينية، فهي لم تزد في وقت ما. منذ قيل بها. عن أن تكون مجرد فرض لم يقم عليه أبدا دليل قاطع، أو قريب من القطع واليقين، ومنذ أعلنها داروين وجد لها معارضون من رجال العلم التجريبي؛ لأنه لم يقم أبدا دليل محسوس على صحتها، وإنما هي فرض عقلي فسر به داروين بعض الظواهر والمشاهدات، لكن لم يرصد أحد من المؤمنين بها إطلاقا تطورا ماديا يقطع بصحتها، بل على العكس من ذلك فقد طالعنا وكالات الأنباء في أكتوبر ١٩٧٤م (شوال ١٣٩٤هـ) أن أعضاء بعثة الآثار الفرنسية البريطانية، التي تقوم بسلسلة من الحفائر في إثيوبيا قد اكتشفوا بقايا هيكل عظمي لإنسان، يرجع تاريخها إلى حوالي أربعة ملايين سنة، وقال أعضاء البعثة إن هذا الكشف سيغير تماما النظريات السابقة المعروفة عن أصل الإنسان (جريدة الأخبار القاهرية في ٢٨/١٠/١٩٧٤ ص ١).

ومما لاشك فيه أن أول ما يغيره هذا الكشف نظرية داروين، فهل يستقيم بعد هذا أن يطعن إنسان في صدق الوحي القرآني في الخلق، مستندا إلى استنتاج فرضي لعالم طبيعي، لم يثبتته هو أو غيره بصورة قاطعة، بل وجدت اكتشافات تطعن في صحته؟ ومن هنا لا تصلح هذه النظرية. على أي نحو. لتكون مقياسا تقاس عليه نصوص القرآن الكريم في الخلق. ومنهجنا في كافة النظريات البعيدة عن وصف اليقين، هو أننا ننزه القرآن ابتداء عن أن يقال في تأويله شيء يتصل بمحض الفروض والاستنتاجات القابلة للتغيير، بل الإلغاء أصلا.

وبهذا يتبين أن كلام ميلر بروز وأمثاله عن (خلق الإنسان في تطور طويل من الأشكال الدنيا). كقضية مسلم قطعا بصحتها. شنشنة كاذبة تعرفها من هؤلاء وهي تقوم على جعل (الظنون والتصورات) حقائق قاطعة مسلما بصحتها، وينبغي ألا يخدع هذا المنهج القائم على التعمية والتجهيل بحقائق الأمور أحدا من الباحثين الذين يحترمون عقولهم). (١)

**المطلب الثالث والثلاثون :** في قوله تعالى: {حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا} الكهف: ٨٦ . يقول خلف الله: (بان للعقل الإسلامي أن مسألة غروب الشمس في عين حمئة، لا يستقيم وما يعرف من حقائق هذا الكون) (١).

-الجواب: تم الرد سابقا وهذا آخر !.

لا يصح الأخذ بالألفاظ المحتملة وادعاء أنها تعارض العلم، فالتعبير القرآني المحكم المعجز يقول (وجدها تغرب) ولم يقل إنها تغرب؛ حتى يكون هذا تعبيرا عن الحقيقة الكونية المطلقة (٢) .

قال ابن كثير: قوله: (وجدها تغرب في عين حمئة) (أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله، يراها كأنها تغرب فيه، وهي لا تفارق الفلك الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه) . (٣) وقال القرطبي: قال القفال: قال بعض العلماء: ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغربا ومشرقا، ووصل إلى جرمها ومسها؛ لأنها تدور مع السماء حول الأرض، من غير أن تلتصق بالأرض، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافا مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة، كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض؛ ولهذا قال: "وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا" ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم) . فالدعاء أن هذه الآية تعارض العلم لا شك أنه ادعاء باطل.

(١) - الفن القصصي (ص/٣٤) . محمد خلف الله ، مرجع سابق .

(٢) - مدخل إلى علم التفسير (ص: ٢٣٣) .

(٣) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٣/٣) ، جامع أحكام القرآن للقرطبي (١١/٥٠)

المبحث السادس

التناقضات المزعومة في القرآن الكريم ، زعم تناقض بعض الآيات مع بعض .

تكلم العلماء قديما على هذا النوع من الطعون، وجمعوا ما قيل في ذلك، ورتبوا على حسب ترتيب سور المصحف وأجابوا على كل ما قيل في ذلك بل وعلى ما لم يقل مما يظن أن فيه إشكالا أو تناقضا، ومن هذه الكتب المؤلفة في هذا الفن :

١- "كتاب تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة الدينوري ، وهو أقدم كتاب وصل إلينا.

٢- "كتاب المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير" له أيضا .

٣- "أضواء على متشابهات القرآن"، لخليل ياسين ، في مجلدين.

٤- "باهر القرآن في معاني مشكل القرآن" لبيان الحق النيسابوري ، في أربعة مجلدات.

٥- "وضح البرهان في مشكلات القرآن" له أيضا ، في مجلدين.

٦- "تفسير آيات أشكلت" لابن تيمية ، في جزأين.

٨- "دفع إيهام الاضطراب"، لمحمد الأمين الشنقيطي.

٩- "مشكلات القرآن"، لمحمد أنور شاه الكشميري .

١٠- "الروض الريان في أسئلة القرآن"، لشرف الدين بن ريان .

إن التناقض الداخلي للنص شرط لا غنى عنه في الكتاب حين ينسب إلى كاتب حصيف، وهو من باب أولى شرط في الكتاب حين ينسب إلى الله عز وجل؛ لذا يستحيل أن يوجد التناقض في كلام الله {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} (النساء: ٨٢). وما ذكره البعض عن تناقضات مزعومة في القرآن لا يعدو أن يكون سوء فهم منهم لآياته أو جهلا بلغة العرب ومساقات كلامها، وهذا بين لمن تبصر هذه المواضع التي استشكلوها:

### المطلب الأول: هل أقسم الله بمكة أم لم يقسم؟

قالوا: تناقض القرآن في مسألة قسم الله بمكة، فهو أقسم بها في قوله: {وهذا البلد الأمين} (التين: ٣)، وفي موضع آخر ينكر هذا القسم بمكة، فيقول: {لا أقسم بهذا البلد} (البلد: ١).

والجواب: لقد أقسم الله بالبلد الأمين (مكة) كما في آية سورة التين.

وما فهمه المعترضون من آية سورة البلد خطأ قادمهم إليه جهلهم بلغة العرب وطرائقها في البيان، ففي قوله: { لا أقسم } . (لا) ليست (لا) النافية التي تعني نفي القسم، بل هي (لا) الصلة، ويسمى بعضها بعض النحويين (لا) الزائدة، فهي زائدة نحوياً، وإن كانت غير زائدة بلاغياً، لأنها تفيد التأكيد (١). قال الزجاج: "لا اختلاف بين الناس أن معنى قوله تعالى: { لا أقسم بيوم القيامة } وأشكاله في القرآن معناه: أقسم" . (٢)

والعرب ما زالت تستخدمها في كلامها من القديم، فهي كقولنا: لا أوصيك بفلان، أي لا أحتاج إلى وصاتك به، فهي نوع من التأكيد على الوصاة، وليست طلباً للإهمال. ومن طريف الأخبار أن رجلاً سأل أبا العباس بن سريج عن هاتين الآيتين، فقال ابن سريج: أي الأمرين أحب إليك؟ أجيبك ثم أقطعك، أو أقطعك ثم أجيبك؟ فقال الرجل: بل اقطعني ثم أجبني.

فقال: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال، وبين ظهري قوم كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزاً وعليه مطعناً، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به، وأسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجهلت، فلم ينكروا منه ما أنكرت . إن العرب قد تدخل (لا) في أثناء كلامها وتلغي معناها، وأنشد فيه أبياتا . (٣) ومثله كثير في أشعار العرب (٤)، ومنه قول النابغة:

فلا وحق الذي مسحت كعبته ... وما هريق على الأنصاب من جسد  
أي: فوحق الذي.

وقول الآخر: تذكرت ليلي فاعترتني صباة ... وكاد صميم القلب لا يتصدع  
أي: يتصدع.

ومثله قول الشاعر: فلا والله لا يلقي لما بي ... ولا لما بهم أبدا دواء  
أي: فوالله.

ومثله قول طرفة: فلا وأبيك ابنة العامري ... لا يدعي القوم أني أفر

(١) - (كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (٨/ ٣٤٩) الناشر: دار ومكتبة الهلال ، والأصول في النحو، ابن السراج البغدادي (٢/ ٢٥٩). الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت ، المحقق: عبد الحسين الفتلي .

(٢) - (تاج العروس، المرتضى الزبيدي (٤٠/ ٤٧٠)، وانظر: لسان العرب، ابن منظور (١٥/ ٣٦٤).

(٣) - (البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ٥٤)، وانظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ص (٣٢٩).

(٤) - (تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (٢٤٤ - ٢٤٦)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠/ ٥٩)، ودفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، الشنقيطي، ص (٢٦٩ - ٢٧١). الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، توزيع: مكتبة الخراز - جدة الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

أي: وأبيك.

وهذا الأسلوب في القسم يفيد تعظيم المقسم به، كما في سورة البلد، وكما في قوله تعالى: {فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم} [الواقعة: ٧٥ - ٧٧]، وكقوله: {لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة} [القيامة: ١ - ٢]. وقد وردت (لا) الصلة في مواضع كثيرة في القرآن الذي نزل بلغة العرب، ومنه قوله: {لكيلا تحزنوا على ما فاتكم} [آل عمران: ١٥٣]، أي (لتحزنوا)، وقوله: {ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن} [طه: ٩٢ - ٩٣]، أي (أن تتبعن)، وقوله: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم} [النساء: ٦٥]، أي: (فوربك)، وقوله: {لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله} [الحديد: ٢٩]، أي: (ليعلم أهل الكتاب). وقد ورد في سياق قصة آدم إثبات (لا) الصلة في موضع، وحذفها في آخر، لجواز الوجهين وتكامل معنيهما، فأما إثباتها ففي قوله تعالى: {ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك} [الأعراف: ١٢]، وقد حذف في قوله: {ما منعك أن تسجد} (ص: ٧٥)، والمعنى فيهما واحد، وهو: ما الذي منعك أن تسجد لآدم؟. (١)

### المطلب الثاني : كم عدد الملائكة الذين نزلوا يوم بدر؟

قالوا: اختلفت الآيات في عدد الملائكة النازلين في غزوة بدر، ففي سورة الأنفال أنهم ألف: {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أي ممدكم بألف من الملائكة مردفين} [الأنفال: ٩]، وفي سورة آل عمران أنهم ثلاثة آلاف {إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين} [آل عمران: ١٢٤]، وفي الآية التي بعدها أصبحوا خمسة آلاف {بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين} [آل عمران: ١٢٥].

والجواب: أما الخمسة الآلاف فجاء ذكرها في تعزية المسلمين في هزيمتهم في غزوة أحد، فامتن الله على الصحابة بذكر مدد ملائكة بدر، وذكر لهم أن المشركين لو عادوا إليهم فإن الله سيمدهم بخمسة آلاف من الملائكة إذا صبروا على ما فيهم من الجراحات وثبتوا لقتالهم {بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة

(١) - تنزيه القرآن للسقار ص ٢٣٥ مرجع سابق .

مُسومين} [آل عمران: ١٢٤]، لكن الله منّ على المسلمين بعد أن أظهروا الثبات وتجهزوا للقتال، فصرف عنهم المشركين، فلم يعودوا لقتالهم، ولم تنزل الملائكة في أحد لفوات الشرط {ويأتوكم من فورهم}.

وقال بعض أهل العلم: بل كان هذا الوعد في بدر حين بلغ المسلمين أن كرز بن جابر الفهري يمد المشركين، فشق عليهم، فأنزل الله: {ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين} [آل عمران: ١٢٥]، قال الشعبي: فبلغت كرز الهزيمة فلم يمد المشركين، ولم يمد الله المسلمين بالخمسة آلاف (١)، فهذا خبر الخمسة آلاف.

والحق أن الله أنزل من الملائكة يوم بدر ثلاثة آلاف، كما قال النبي ﷺ لأصحابه قبل المعركة: {إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين} [آل عمران: ١٢٤]، وقد نزل هؤلاء الملائكة بالترادف ألفا بعد ألف، كما قال الله: {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين} [الأنفال: ٩]، فقوله: {مردفين} تعني: ردهم غيرهم ويتبعهم ألوف آخر مثلهم، فالترادف هو التتابع، والرادف: المتأخر، والمردف: المتقدم الذي أردف غيره (٢).

### المطلب الثالث : أيهما خلق أولاً، السماوات أم الأرض؟

قالوا: تناقض القرآن حين تحدث عن ترتيب وجود المخلوقات، فتارة يجعل الأرض مخلوقة قبل السماء {هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم} [البقرة: ٢٩]، وأكد هذا في سورة فصلت: {قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم} [فصلت: ٩ - ١٢]، فهذه الآيات تجعل خلق الأرض قبل خلق السماوات، بدليل قوله {ثم استوى إلى السماء} في الموضعين.

(١) - (جامع البيان، الطبري (٣/ ٤٢٢) مرجع سابق.

(٢) - (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ٥٣٢)، والبحر المحيط، ابن حبان (٨/ ٣٠٧ - ٣٠٨)، ومفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص (١٩٣).

وتارة يجعل القرآن خلق السماء قبل خلق الأرض {أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها  
رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها  
ماءها ومرعاهما والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم} [النازعات: ٢٧ - ٣٣] (١).  
وفي الجواب: عن هذه الشبهة وجوه ثلاثة:

الأول: وهو الذي مال إليه جمهور المفسرين في القدم، ويقوم على أن مادة الأرض  
خلقت في اليومين الأولين، ثم خلقت السماوات في اليومين الثالث والرابع، ثم دحيت الأرض  
وجهزت لتصلح لاستقرار حياة الإنسان في اليومين الأخيرين.

وهذا الوجه أخرجه البخاري معلقا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه أن رجلا  
استشكل مسألة ترتيب الخلق بين السماوات والأرض، فسأله عنها؛ فأجابه ابن عباس:  
(وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين،  
ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجبال والآكام وما  
بينهما في يومين آخرين) (٢). وشهرة هذا الوجه عند المفسرين تغني عن تفصيله.

الثاني: وهو الذي ذكره بعض المتأخرين من أهل العلم، وهو ما يترجح لي، وأجمله  
بالقول:

السماوات والأرض خلقتا معا في اليومين الأولين، ثم تكامل خلق الأرض وإعدادها للإنسان  
في الأربعة الأخيرة من الأيام الستة، وتفصيله: الله خلق السموات والأرض معا مجتمعين  
{أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما} [الأنبياء: ٣٠]، والرتق  
ضد الفتق، أي كانتا منضمتين، بعضهما إلى بعض، ثم فتقهما الله، فحدث ما يسمى عند  
علماء الجيولوجيا والفلك بالانفجار الكبير. وقد وضحت هذا المعنى الآيات القرآنية كما في  
قوله تعالى عن يوم القيامة: {يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق

(١) - قيل المضي في جواب هذه الشبهة أود الهمس في آذان مثري هذه الأبطولة وأضربهم، وأقول بأن لغة العرب أوسع بكثير من فهمهم الكلية، فقول العرب  
(بعد هذا) أو (بعد ذلك) لا يفيد بالضرورة التراخي والترتيب الزمني، بل قد تأتي بمعنى (إضافة إلى ذلك)، وهو تأويل ذكره بعض المفسرين لقوله تعالى: {والأرض بعد  
ذلك دحاها} (النازعات: ٣٠)، أي إضافة إلى خلقه السماوات فإنه دحى الأرض.

وهذا المعنى ل (بعد) مشهور عند العرب، وقد تكرر في القرآن في مواضع، منها قوله: {هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم} (القلم: ١٣)، أي  
هو ملحق في قومه وليس منهم؛ إضافة إلى اتصافه بتلك الصفات الذميمة، ومن المعلوم أن كونه دعيا في قومه متقدم في التاريخ على اتصافه بهذه الصفات، فهو  
كذلك من قبل. ومثله قوله: {فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير} (التحریم: ٤)، أي أن الله يتولى النبي ﷺ وجبريل والمؤمنون،  
وينضاف إليهم تأييد الملائكة. (للسقار، عن تنزيه القرآن)

(٢) - باب تفسير القرآن في صحيح البخاري.

نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين} [الأنبياء: ١٠٤]، فالخلق يعود إلى حالته الأولى، فيطوى من جديد {وجمع الشمس والقمر} [القيامة: ٩]

وأما كون الخلق للسموات والأرض في يومين فهو لقول الله عن السموات: {فقضاهن سبع سماوات في يومين}، وعن الأرض: {خلق الأرض في يومين}، فهذان هما اليومان الأولان، ثم دحيت الأرض واكتمل إعدادها لصالح معيشة الإنسان عليها في أربعة أيام أخرى {وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين}.

وقد يشكل على البعض - ممن قل علمه بلغة العرب ودلالات الألفاظ فيها- أن آيات سورة فصلت تحدثت عن خلق الأرض في يومين، ثم تحدثت عما خلق الله فيها في أربعة أيام، ثم قال الله بعد ذكر هذا وذا: {ثم استوى إلى السماء وهي دخان}، فاعتقدوا أن {ثم} تفيد التأخر والتراخي، ومثله فهموه من قوله تعالى: {هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات} [البقرة: ٢٩].

وهكذا ينحصر الإشكال في دلالة كلمة (ثم) على التراخي والترتيب.

لكن أهل البلاغة يعرفون أن (ثم) لا تفيد بالضرورة الترتيب الوجودي الذي نعرفه في المتبادر إلى الذهن، بل لها دلالة أخرى، وهو ما تسميه العرب (الترتيب الذكري).

ولبيان هذا النوع من الدلالة لـ (ثم) نقرأ قول الشاعر:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ... ثم قد ساد قبل ذلك جده. (١)

والمعنى: اذكروا خبر من ساد، ثم اذكروا خبر من ساد أبوه، ثم اذكروا خبر من ساد جده. وليس المعنى أن المرء يسود ثم يسود أبوه ثم يسود جده، بل العكس هو الصحيح، فالمرء يسود بعد سؤدد جده وأبيه. ويشهد لصحة هذا الفهم قول الشاعر: (ثم ساد قبل ذلك)، فـ (ثم) للترتيب الذكري، لا الوجودي.

ومثله قول طرفة بن العبد وهو يصف راحلته:

جنوح دفاق عندل ثم أفرعت ... لها كتفاها في معالي مصعد

(١) - (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢١٣/١) مرجع سابق، ومعني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، ص (١٥٩) الناشر: دار الفكر - دمشق الطبعة: السادسة، ١٩٨٥، د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك (١/ ٢١١). الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

فإنه ذكر جملة من محاسنها، ثم نبه على وصف آخر أهم في صفات عنقها، وهو طول قامتها (ثم أفرغت)، ولا يقصد أن قامتها طالت بعد اتصافها بهذه الصفات (١).

وهذه الدلالة ل (ثم) موجودة في القرآن الكريم في مواضع، منها قوله تعالى: {الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون} [السجدة: ٧ - ٩]، ومن المعلوم أن التسوية تكون قبل إنجاب النسل، فهذا لا يخفى، ومع ذلك قال القرآن: {جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه} ف (ثم) هنا للترتيب الذكري؛ لا الوجودي، والمعنى: ثم اذكر كيف سواه الله.

ونحو هذا ما جاء في سياق وصايا الله لنبيه محمد ﷺ: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم} وفي آخرها يقول: {ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب} [الأنعام: ١٥٣ - ١٥٤]، ومن المعلوم أن موسى كان قبل وصية الله لنبينا - صلى الله عليه وسلم -، لكن الترتيب الوجودي غير مراد في قوله: {ثم آتينا موسى}.

ومثله أمره تبارك وتعالى للمؤمنين بالإفاضة من عرفات بعد حديثه عن المشعر الحرام {فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين} [البقرة: ١٩٨]، ثم عادت الآية التي بعدها للحديث عن مسألة الإفاضة من عرفات ووجوب مخالفة المشركين فيها، وصدرت الآية ب (ثم)، فقال الله: {ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم} [البقرة: ١٩٩]، ومن المعلوم أن الوقوف بعرفات سابق على الوقوف بالمشعر الحرام (مزدلفة).

ومثله قول الله تعالى: {ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم} [التكاثر: ٧ - ٨]، والسؤال يكون يوم القيامة قبل رؤية الجحيم، وأمثال هذا الاستخدام ل (ثم) كثير في القرآن (٢).

وإذا تبين ما تفيده (ثم) عند العرب، فلنقرأ الآيات مع أبي حيان الأندلسي وفق هذا المفهوم: " (ثم) لترتيب الأخبار لا لترتيب الزمان والمهلة، كأنه قال: فالذي أخبركم أنه خلق الأرض وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، ثم أخبركم أنه استوى إلى

(١) - (التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٣٧٦ - ٣٧٧). ناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

(٢) - (دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عزيمة (٢/ ١١٦ - ١١٨) تصدير: محمود محمد شاکر الناشر: دار الحديث، القاهرة.

السماء، فلا تعرض في الآية لترتيب .. فصار كقوله: {ثم كان من الذين آمنوا} [البلد: ١٧] بعد قوله: {فلا اقتحم العقبة} (البلد: ١١)، ومن ترتيب الإخبار {ثم آتينا موسى الكتاب} (الأنعام: ١٥٤) بعد قوله: {قل تعالوا أتل} [الأنعام: ١٥١].

ويدل على أنه المقصود؛ الإخبار بوقوع هذه الأشياء من غير ترتيب زمني قوله في الرعد: {الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها} [الرعد: ٢] الآية، ثم قال بعد: {وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا} [الرعد: ٣] الآية. وظاهر الآية التي نحن فيها جعل الرواسي، وتقدير الأقوات قبل الاستواء إلى السماء وخلقها، ولكن المقصود في الآيتين الإخبار بصدور ذلك منه تعالى من غير تعرض لترتيب زمني". (١).

وهكذا يستبين معنى آيات سورة فصلت التي قد ورد فيها الإشكال، فقد بدأ القرآن بالحديث عن خلق الأرض، لأنها القريب المباشر للإنسان، ثم انتقل للحديث عن البعيد، وهو السموات، من غير أن يكون ذلك مقتضيا خلق الأرض قبل السماء.

وهكذا، فهذان الوجهان المذكوران عند العلماء في القديم والجديد، قد أشار ابن جزري في تفسيره إلى صحتهما بقوله: "الجواب من وجهين: أحدهما: أن الأرض خلقت قبل السماء، ودحيت بعد ذلك، فلا تعارض، والآخر: تكون (ثم) لترتيب الأخبار". (٢).

الوجه الثالث: أن الخلق على نوعين: خلق إيجاد، وخلق تقدير، فأما خلق الإيجاد فهو الخلق المعلوم، وأما خلق التقدير فكما في قول زهير:

ولأنت تفري ما خلقت وبع... ض القوم يخلق ثم لا يفري

وضرب الرازي لهذه الحلقة مثلا بقول الله: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون} [آل عمران: ٥٩]، إذ "لا يقال للشيء الذي وجد: كن، بل الخلق عبارة عن التقدير، وهو في حقه تعالى؛ حكمه أن سيوجد، وقضاؤه بذلك بمعنى خلق الأرض في يومين، وقضاؤه بحدوث كذا، أي مدة كذا، لا يقتضي حدوثه ذلك في الحال، فلا يلزم تقديم إحداث الأرض على إحداث السماء" (٣).

(١) - (البحر المحيط، أبو حيان (٩/ ٢٩٢). الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ المحقق: صديقي محمد جميل .

(٢) - (التسهيل في علوم التنزيل، ابن جزري (١/ ٤٣) الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الطبعة: الأولى -

١٤١٦ هـ ، وانظر الجواهر الحسان، التعالي (١/ ٤٢) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ط ١٤١٨/١، والمحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٢٢٣).

(٣) - (التفسير الكبير، الرازي (٢٧/ ٥٤٩). الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ط ١٤٢٠/٣

فهذه أوجه ثلاثة من تدبرها استبان له المعنى، وعلم براءة القرآن من الاختلاف والتناقض، وعلم سعة لغة العرب وجهل أعاجم العرب المتحدثين بالسوء عن القرآن العظيم.

### المطلب الرابع : أحوال الناس في يوم القيامة

قالوا: تناقض القرآن وهو يقص أحوال الناس في يوم القيامة، فتارة يقول: إنهم لا ينطقون: { هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون } [المرسلات: ٣٥ - ٣٦]، وتارة يذكر أنهم ينطقون ويعتذرون: { والله ربنا ما كنا مشركين } [الأنعام: ٢٣]، وأنهم يقولون: { ما كنا نعمل من سوء } [النحل: ٢٨].

والجواب: أن يوم القيامة يوم طويل { كان مقداره خمسين ألف سنة } [المعارج: ٤]، وفيه مواقف متباينة، لكل منها ما يخصه من الأحكام والأحوال، ففيه حذر وترقب، وفرج وبشارة، وفيه حزن وهلاك، وأمن وأمان، والناس يتنقلون بين هذه المواقف، بل لربما تنقل المرء فيه من حال إلى حال، ففي حديث عائشة أنها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك؟»، قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا: عند الميزان حتى يعلم: أيخف ميزانه أم يثقل؟ وعند الكتاب حين يقال: { هاؤم اقرؤوا كتابيه }؛ حتى يعلم أين يقع كتابه، أفي يمينه أم في شماله؟ أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط: إذا وضع بين ظهري جهنم» (١)، فهذا لا يتعارض مع قوله: { لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه } [عبس: ٣٧]، فهذا الذهول لا يستغرق يوم القيامة، بل هو متعلق ببعض مواقفه، وهو لكل بحسب عمله وتقواه.

وهكذا فما يذكر من اختلاف الأحوال لاختلاف المواقف، ولطول ذلك اليوم وعظم شأنه عبر القرآن عن كل واحد منها بكلمة { يوم } أو { يومئذ }، من غير أن تعني استغراق الفعل لكل ذلك اليوم الطويل.

ويدل لذلك قول الله تعالى: { فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة } [عبس: ٣٣ - ٤٢]، فذكرت الآيات في نفس السياق حالين للمؤمنين (الخوف ثم الفرح) وحالين للكافرين

(١) - (أخرجه أبو داود ح (٤٧٥٥)، وأحمد ح (٢٤١٧٥)، واللفظ لأبي داود.)

(الخوف والكآبة)، وكل هذه الأحوال في يوم القيامة، فالإشارة إلى حدوثها في يوم القيامة لا يعني دوام الحال الواحد واستغراقه لكل ذلك اليوم الطويل، فقوله: {لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه} [عبس: ٣٧]، لا يستوعب كل يوم القيامة؛ لوجود أوقات يأمن فيها المرء على نفسه، حين يعلم صلاح مآله ونجاته من النار، كما قال ﷺ في الحديث السالف: «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا»، مما يعني أن في غيرها من المواطن يتذكر المرء أحبابه وخالانه، لأمنه فيها من العذاب.

وكذلك قوله: {وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي} [الفجر: ٢٣ - ٢٤]، ومن المعلوم أن مجيء النار وتذكر الإنسان لا يستغرق كل يوم القيامة، بل يكون في جزء منه.<sup>(١)</sup>

### المطلب الخامس : هل يتساءل الناس يوم القيامة؟

قالوا: يخبر القرآن عن أهل النار أنهم يوم القيامة يتساءلون: {وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون} [الصفافات: ٢٧]، بينما يخبر في سورة (المؤمنون) أنهم لا يتساءلون: {فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} [المؤمنون: ١٠١]، وهذا - بحسب زعمهم - من التناقض الصريح الذي يمنع نسبة القرآن إلى الله العليم. وفي الجواب ذكر العلماء وجهين صحيحين:

الأول: وهو ما ذكرناه في الإشكال السابق، ويتلخص في أنهم عند النفخة وقيام الأشهاد واضطراب الخلائق لا يتساءلون لهول المطلاع {فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} [المؤمنون: ١٠١]، فهذا الوقت عصيب، وهو وقت فزع وخوف {ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين} [النمل: ٨٧]، مثله في قوله تعالى: {يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد} [الحج: ١ - ٢]، ثم يفيق العباد من هول المطلاع فيكون بعد ذلك التلاوم والتساؤل.

الثاني: أن القرآن نزل بلسان العرب، موافقا لما عهدوه في أساليبهم وطرائقهم في البيان،

والعرب تعتبر الفعل الذي لا فائدة منه كالعدم، ولأجل هذا سمي القرآن المنافقين: {صم بكم عمي فهم لا يرجعون} [البقرة: ١٨]، وهم في الحقيقة يسمعون وينطقون ويصرون {وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون} [الأحقاف: ٢٩]، لكنهم صم عن سماع الحق، وعمي عن رؤيته، وبكم عن النطق به {لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون} [الأعراف: ١٧٩]، وبمثل هذا نقول: إن النظر مع عدم الإفادة منه هو كعدم النظر حكما، فصاحبه أعمى، وإن كان يرى ما يراه ذو العينين.

ومثل هذا قال الله تعالى: {إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم} [آل عمران: ٧٧]، فليس المقصود منه نفي نظر الله إليهم، فالله لا يغيب عنه أحد، وليس المقصود أنه تبارك وتعالى لن يكلمهم، فكلامه لهم ثابت في عشرات الآيات التي تحكي عن توبيخ الله للمشركين وتقريعه لهم، لكن المقصود أنه لا يكلمهم كلاما ينفعهم، لا يكلمهم بما فيه رحمة لهم، ولا ينظر إليهم نظرة تفيدهم وتنجيهم من عذابهم وخوفهم، فلما لم يكن لها فائدة كانت بمنزلة العدم.

ومثله قول الله تعالى عن الكافر: {إن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى} [طه: ٧٤]، أي لا يحيى فيها حياة طيبة هانئة، وإلا فهو - على الحقيقة - حي فيها لا يموت أبدا. ومثله كذلك قول النبي ﷺ لمن صلى على الحقيقة؛ غير أنه أساء في صلاته: «ارجع فصل؛ فإنك لم تصل»، فصلاته في حكم العدم لعدم إقامته ركوعها وسجودها (متفق عليه). ومثله قوله تعالى وهو يصف حال الناس في كربات يوم القيامة: {فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} [المؤمنون: ١٠١]، فليس معناه أنهم تنقطع الأنساب بينهم، فلا يكون الابن ابنا لأبيه، فإن القرآن أثبت النسب بين الناس في يوم القيامة ونفى الانتفاع به {يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه} [عبس: ٣٤ - ٣٧]، فلما كان النسب لا ينفع يومئذ قال الله: {فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} [المؤمنون: ١٠١]، أي لا ينفعهم النسب حينذاك، كما

لا ينفعهم التساؤل (١) وإلا فإن التساؤل بينهم من غير منفعة واقع، وقد ذكره القرآن في غير آية {وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم إنا كنا غاوين فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون} [الصفافات: ٢٧ - ٣٣]، لكنه تساؤل التلاوم الذي لا فائدة فيه ولا نفع، فوجوده وعدمه بالنسبة لهم سواء، لذا قال الله: {فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون}.

قال الشنقيطي: "المراد بنفي الأنساب انقطاع فوائدها وآثارها التي كانت مترتبة عليها في الدنيا؛ من العواطف والنفع والصلوات والتفاخر بالآباء، لا نفي حقيقتها". (٢)

### المطلب السادس : هل يسأل الله عن الذنوب أم لا يسأل؟

قالوا: تناقض القرآن في مسألة السؤال عن ذنوب المجرمين، فنفاه في قوله: {ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون} [القصص: ٧٨]، وقوله: {فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان} (الرحمن: ٣٩)، وأثبتته في مواضع أخرى فذكر أنه يسألهم: {فلنساءلن الذين أرسل إليهم ولنساءلن المرسلين} [الأعراف: ٦] فهذه الآية تدل على سؤال الجميع يوم القيامة، ومثلها قوله تعالى: {فوربك لنساءلنهم أجمعين عما كانوا يعملون} [الحجر: ٩٢ - ٩٣].

وفي الجواب نقول: السؤال على أنواع، فبعضه للاستفسار والتعلم، وبعضه للتقريع والتوبيخ، وبين هذا وهذا بون شاسع، فالأول منتف في حق الله تعالى علام الغيوب، فهو لن يسأل أحدا عن ذنبه سؤال تعرف واستخبار، بل يعاقب الله تعالى العبد بما عرف من ذنوبه ومعاصيه {يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد} [المجادلة: ٦] ، كما صنع مع قارون والجبارة من قبلهم؛ حين فجأهم بيأسه وإهلاكه {أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون} [القصص: ٧٨]، فالله لا يسأل المجرمين ولا يستفسر منهم عن ذنوبهم حين يريد عقوبتهم.

وكذلك فإن الملائكة حين تنزل بالعذاب فإنها لا تسأل المجرمين ولا تسأل عنهم، لأنها

(١) - (نكت الانتصار لنقل القرآن، الباقلائي، ص (٢٠١)).

(٢) - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي، ص (١٦٨). وتنزيه القرآن للسقار ص ٢٤٦ مراجع سابقة .

تعرفهم بسيماهم { فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف  
المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام } [الرحمن: ٣٩ - ٤١].

قال الربيع بن أنس: " قوله: { ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون } : لا يسألون عن  
إحصائها، يقول: هاتوا فينبوها لنا، ولكن أعطوها في كتب فلم يشكوا الظلم يومئذ، ولكن  
شكوا الإحصاء " (١).

وقال الحلبي: " لا يسألون سؤال التعرف لتمييز المؤمن عن الكافر، أي إن الملائكة لا  
تحتاج أن تسأل أحدا يوم القيامة، فتقول: ما كان ذنبك، وما كنت تصنع في الدنيا حتى  
يتبين له بإخباره عن نفسه أنه كان مؤمنا أو كافرا، لكن المؤمنين يكونون ناضري الوجوه  
مشروحي الصدور، والمشركين يكونون سود الوجوه زرقا مكروبين، فهم إذا كلفوا سوق  
المجرمين إلى النار، وتمييزهم في الموقف عن المؤمنين كفتهم مناظرهم عن تعرف ذنوبهم " .  
وأما سؤال الحساب والتوبيخ والتفريع فهذا نوع آخر من السؤال، يسأله الله تبارك وتعالى  
المجرمين، بل ويسأل الأنبياء ليقرع المجرمين ويقيم عليهم الشهود { فلنساءل الذين أرسل إليهم  
ولنساءل المرسلين } [الأعراف: ٦].

وقد ذكر القرآن في مواضع عديدة صورا من هذه الأسئلة التفريعية التوبيخية التي  
سيسألها الله للمجرمين على سبيل التوبيخ، كما في قوله: { وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا  
تناصرون } [الصافات: ٢٥] ، وكقوله: { أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون } [الطور: ١٥] ،  
وكقوله: { ألم يأتكم رسل منكم } (الأنعام: ١٣٠)، وكقوله: { ألم يأتكم نذير } (الملك:  
٨)، فهذا كله مثبت معلوم. (٢)

## المطلب السابع : ألف سنة أم خمسون ألف سنة؟

قالوا: تناقض القرآن في حديثه عن طول يوم القيامة، فذكر في موضع أنه ألف سنة  
{ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون }  
[السجدة: ٥] ، وذكر في آخر أنه خمسون ألف سنة { تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان  
مقداره خمسين ألف سنة } [المعارج: ٤].

(١) - (أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٣٠١٢).

(٢) - (شعب الإيمان، البيهقي (٢/ ٥٠).

(٣) - تنزيه القرآن للسقار ص ٢٤٩ .

والجواب: إن القارئ للآيتين يدرك أن التباين بينهما مرده اختلاف موضوعهما، فالخمسون ألف سنة هي مقدار يوم القيامة، فقد نصت عليه الآيات بعدها {إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل} [المعارج: ٧ - ٨]، وقد أكد النبي ﷺ هذا الطول ليوم القيامة، وهو يحكي عن عذاب تارك الزكاة: «كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؛ حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار» (١).

وأما الألف سنة فلا علاقة لها بيوم القيامة، وإنما وردت في سياق الحديث عن مدة نزول الأمر من الله ثم عروجه إليه (٢)، وهو منطوق الآية وصريحها، لأن الله يقول: {يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون} [السجدة: ٥]. ومصادقه في قول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إن ارتفاعها كما بين السماء والأرض، وإن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمسمائة سنة»، فنزول الأمر {يدبر الأمر من السماء إلى الأرض} في خمسمائة عام، ومثلها في صعوده {ثم يعرج إليه}، فهذه الألف سنة.

قال ابن عباس: "المعنى ينفذ الله ما قضاه من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا مقداره لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، فالألف ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء (٣). بقي لنا أن نهمس في آذان أصحاب هذه الشبهة، فنقول: الحديث في مسألة الزمن نسبي، فحين نتحدث عن أعمار البشر فإننا نتحدث عن أيام وسنين أرضية؛ لأن البشر يعيشون على الأرض، ولكن لو فرضنا أن مخلوقا يعيش على القمر فإن حساب سني عمره يكون بالسنين القمرية لا الأرضية، فيختلف عمره القمري عن الأرضي باختلاف السنين القمرية عن الأرضية.

وهكذا يكون الحال حين نبتعد أكثر، فننتحدث عن عروج الملائكة في السماوات أو نزولهم فيها، فأيامهم ليست أياما أرضية، ولا قمرية، ولا شمسية، والألف منها باعتبار قد

(١) - أخرجه مسلم ح (٩٨٧).

(٢) - نكت الانتصار لنقل القرآن، الباقلائي، ص (١٦٤).

(٣) - التسهيل لعلوم التنزيل، ابن حزيء (١٢٩ / ٣).

يعدل الألفين أو العشرة باعتباريات أخرى، فيكون الإخبار عن هذا كله صحيحا رغم اختلاف الأرقام.<sup>(١)</sup>

## المطلب الثامن : هل تتبدل كلمات الله؟

قالوا: اختلف القرآن في مسألة تبديل كلام الله، فحين يكون المقصود فيه التوراة والإنجيل فإن المسلمين يقولون بوقوع التبديل والتحريف محتجين بقول القرآن: {فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون} [البقرة: ٧٩]، في حين أن آيات أخرى تذكر أن كلمات الله لا تتبدل {لا تبدل لكلمات الله} [يونس: ٦٤]، وكذا قوله: {ولا مبدل لكلمات الله} [الأنعام: ٣٤]، وكذا قوله: {لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم} [الأنعام: ١١٥]؛ إذ لا يقوى البشر على ذلك {واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته} [الكهف: ٢٧]. وتساءلوا: كيف يقدر البشر على تحريف كتاب الله، ورأوا أن قول القرآن ومعتقد المسلمين في ذلك يحط من قدر الله العظيم الذي لا يعجزه حفظ كتبه وصيانتها عن عبث البشر وزياداتهم ونقصهم!!

والجواب: لقد كان القرآن الكريم صريحا في تشنيعه على أهل الكتاب تحريفهم لكتبهم، وتلاعبهم بها زيادة ونقصا {وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون} [آل عمران: ٧٨].

والحق أن الله على كل شيء قدير، ولو تعلقت مشيئته بحفظ كتبه لحفظها؛ ولما استطاع تحريفها إنس ولا جان، وأيضا لو أراد عز وجل حفظ أنبيائه من القتل والاضطهاد؛ لفعل، لكنه سبحانه وتعالى لم يشأ ذلك، فتعرض السفهاء لأنبيائه بالقتل والتنكيل، وكتبه بالتبديل والتحريف، فمسألة تحريف كتب الله مطابقة لمسألة قتل الأنبياء، فكما أقدر الله عتاة بني إسرائيل على قتل أنبيائه؛ فإنه أقدرهم على تحريف كتبه، من غير ضعف منه تبارك وتعالى، فهو فعال لما يريد.

وأما اللبس الذي ذكره في مسألة تبديل كلام الله فقد وقع لاجتزائهم النصوص

وإخراجها لها من مساقها، وتحويلها وتحريف معناها لتدل على غير ما تحدثت عنه، فالقرآن - كما أسلفت - صريح في وقوع التحريف في كتبهم، وليس هذا موضع بسطه<sup>(١)</sup>.

وفي مقابله ذكر القرآن نوعين من كلمات الله لا تتبدل:

الأول: القرآن، وهو وإن كان من جنس ما نزل على أهل الكتاب؛ إلا أن الله خصه بالحفظ دون سائر كتبه {واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته} [الكهف: ٢٧]، فالكلام الذي لا يبدل هو {ما أوحى إليك}، أي القرآن الذي قال الله عنه: {وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد} [فصلت: ٤١ - ٤٢].

وأما قول الله تعالى: {وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمت ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم} [الأنعام: ١١٤ - ١١٥]، فقد اختلف العلماء في المراد بـ {لا مبدل لكلماته} فقال بعضهم: هو القرآن، وقال بعضهم: المقصود نواميسه الكونية، والسياق محتمل للمعنيين، وكلا الأمرين لا يبدله أحد، ولا يقدر على تغييره.

وقد جمع بين المعنيين أبو جعفر الطبري بقوله: "يقول تعالى ذكره: وكملت {كلمة ربك}، يعني القرآن.. {لا مبدل لكلماته}، يقول: لا مغير لما أخبر في كتبه أنه كائن من وقوعه في حينه وأجله الذي أخبر الله أنه واقع فيه، وذلك نظير قوله جل ثناؤه: {يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل} [الفتح: ١٥]، فكانت إرادتهم تبديل كلام الله، مسألتهم نبي الله أن يتركهم يحضرون الحرب معه".<sup>(٢)</sup>

الثاني: موعود الله وقضاؤه، فالله لا يخلف الميعاد، ولا يقوى أحد على تغيير قضائه وموعوده تبارك وتعالى، وذلك قوله تعالى: {ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين} [الأنعام: ٣٤]، فما لا يتبدل هو موعود الله لأنبيائه بالنصر، ومثله في موعود الله للمؤمنين بالجنة {الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات

(١) - (انظر "هل العهد القديم كلمة الله؟" و"هل العهد الجديد كلمة الله؟"، وكلاهما للدكتور منقذ السقار، ففيهما ما يبين هذه المسألة لكل باحث عن الحق مدعن له.

(٢) - (جامع البيان، الطبري (١٢/٦٢).

الله ذلك هو الفوز العظيم} [يونس: ٦٣ - ٦٤]، فالحديث في الآيات المانعة من تبديل كلام الله يتعلق بالقرآن أو بموعود الله لعباده، ولا يتحدث عن الكتاب المقدس الذي توعد الله محرفيه ومبدليه بالويل والثبور: {فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون} [البقرة: ٧٩].<sup>(١)</sup>

## المطلب التاسع : عروبة القرآن مع عجمة بعض كلماته

قالوا: تناقض القرآن في قوله بأنه نزل {بلسان عربي مبين} [الشعراء: ١٩٥]، في حين أنا نجد فيه كلمات أعجمية كأسماء بعض الأعلام (إبراهيم، إسماعيل، إسحاق)، أو أسماء بعض الأشياء مستعارة من لغات أخرى كالسريانية والعبرية والنبطية، وأوصلوها إلى ما يقرب من أربعين كلمة، منها (القرآن - سكيئة - زكاة - سرادق - الحور - مشكاة - إستبرق - السبت - زنجبيل - سجيل).

والجواب:

نزل القرآن بلسان عربي مبين، لذا لا يوجد في سطر من سطوره جملة واحدة غير عربية، ولا يوجد جملة واحدة مركبة بما يخالف أساليب العرب وطرائقها في البيان. إن وجود كلمات فرنسية متفرقة في كتاب مكتوب بالإنجليزية، لن تجعل الكتاب فرنسيا، ولن تشكك في إنجليزية الكتاب ولا الكاتب، وبخاصة حين تكون هذه الكلمات أسماء لأعاجم، فهذه الكلمات تنقل كما هي من لغة إلى أخرى من غير ترجمة معانيها.

ثم إن كثيرا من هذه الكلمات - التي استعجموها - عربية في جذورها واشتقاقاتها، وجهل البعض بها لقلة استخدامها أو غيره لا يعني أعجميتها، ومن ذلك كلمة (قرآن - سكيئة - حور)، فكلمة (قرآن) ليست من الكلمة العبرية (؟؟؟؟) قارا، ولا من السريانية (قرا)، بل هي من الجذر العربي (قرأ)، وهذا التشابه في جذور كلمات اللغات السامية كبير ومعروف عند علماء اللغات، وصوره أكثر من أن تحصى في اللغات السامية، وبسببه أخطأ

(١) - تنزيه القرآن للسقار ص ٢٥٢

البعض في نسبة بعض الكلمات العربية الأصيلة إلى لغات أخرى<sup>١</sup>.  
ولو ضربنا لذلك مثلاً بكلمة (قرآن)، فإننا نقول بأنها مشتقة عربية على وزن (فعلان)  
من (قرأ، قرآن)، ومثل هذا الاشتقاق كثير في لغة العرب (رحمن - فرقان - رضوان - حيوان  
- حيران - غضبان).  
وكلمة (قرآن) مصدر آخر من الفعل (قرأ)، وهو يختلف في معناه عن المصدر (قراءة)،  
كما يفترق (رحمن عن رحيم، وفرقان عن فرق، ورضوان عن رضا، وحيوان عن حياة، وحيران  
عن حائر)، فالمصدر (فعلان) يفيد معنى زائداً، فالقراءة في أي كتاب هي صورة للقراءة، أما  
القرآن فهو حقيقة القراءة، وكذلك (الحياة) تدل على أي صورة من صور الحياة، بينما  
(الحيوان) تدل على الحياة الحقيقية، لذلك قال الله عن الآخرة: ﴿وإن الدار الآخرة لهي  
الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وكذلك الفرق بين الرضى والرضوان، وبين  
الفرق والفرقان<sup>٢</sup>.

لكن العرب أيضاً استخدمت كلمات وفدت إلى العربية من لغات أخرى، وهي في  
غالبها تتعلق بمسميات وافدة على العرب، فاستوردها العرب في رحلاتهم إلى الشام وفارس  
مع أسمائها كـ (سندس، إستبرق، زنجبيل)، فأصبحت عربية بالتعريب واستخدام العرب لها،  
ويشبه هذا استخدامنا اليوم لبعض الكلمات المتعلقة بمصنوعات وفدت إلينا من الغرب، كـ  
(التلفزيون، الفيديو، الراديو).

واستعمال العرب ثم القرآن لأمثال هذه الكلمات لن يقلل من عروبة القرآن، فعروبة  
أساليبه وفصاحته كلماته لم ينكرهما حتى عرب الجاهلية، وهم من هم في الفصاحة والجزالة،  
وكذلك في الحرص على الوقوف على زلل في القرآن أو خطأ.

---

(١) - القرآن ولغة السريان، أحمد محمد علي الجمل، (كتاب إلكتروني)، وقد بين الدكتور الجمل أمثلة لهذا التشابه، ومنه لفظة (الخور)، فتدور معانيها في العربية  
والعبرية والسريانية على البيضاء والصفاء، لكنها كلمة عربية أصيلة استخدمها العرب، ووردت في أشعارهم، ومن ذلك قول عمرو بن قميئة:  
لها عين حوراء في روضة ... وتقرؤ مع النبت أرطى طولاً  
وقول خليفة بن بشير:

حتى أضاء سراج دونه حجل ... حور العيون ملاح طرفها ساجي

(٢) - صيغ النسب في اللغتين العربية والسريانية، د. أحمد الجمل، مجلة كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، العدد ٣٢ لسنة ٢٠٠١م، ص (٢٤٢-٢٤٤)، نقلاً  
عن كتاب القرآن ولغة السريان، أحمد محمد علي الجمل.

من شبهات هذا العصر طعون وردت ل د. عبد الجليل شلبي على شكل رسالتين تطعنان في القرآن؛ الأولى رسالة في ست ورقات منسوبة إلى المجلس القبطي بالإسكندرية، والرسالة الثانية جاءت بالبريد من استراليا في إحدى وعشرين صفحة، وموقعه باسم: المدعون العامون في محكمة الحقيقة ورد عليهما في كتاب "رد مفتريات على الإسلام"، و أيضا مجموعة من أسئلة (توني بولدروجوفاك) وتشكيكاته حول القرآن الكريم والنبى العظيم، وردت للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق فردّ عليها على موقعه سأقوم بعضهما تباعا، و هذه أهم ما ورد في كتاب "رد مفتريات" وبعضها ورد في المطالب السابقة وتم الرد عليه

### المطلب العاشر :

في سورة يونس: {إذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي ... [يونس: ١٥]، وفي سورة النحل: {وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق} [النحل: ١٠١] ففي الآية الأولى طلب منه التبديل فرفض ، والآية الثانية تم التبديل. (١) ... والجواب ٢ :

أن التبديل في الآية الأولى كان بطلب من الكفار لرسوله (أن يأتي بقرآن جديد أو يبدل هذا القرآن ورسول الله ﷺ يقول لا أستطيع، فذلك كلام الله ينسخ منه سبحانه ما يشاء ويثبت ما يشاء، وأنا أتبع ما يوحى إلي نسخا أو إثباتا.

والآية الثانية تذكر أن الله سبحانه إذا نسخ حكما بحكم قال الكفار لمحمد: أنت مفتر في هذا القرآن؛ لأنك غيرت حكما قررته من قبل، ثم تقرر الآية التالية أن ذلك من الله تعالى، نزله الله بواسطة جبريل روح القدس، ومحمد لا يغير. فأى تناقض بين الآيتين! كلتاها تثبت أن القرآن من عند الله، وأن محمدا (لا يستطيع أن يغير منه شيئا.

### المطلب الحادي عشر :

(١) - (ص: ٣٧) . من كتاب رد مفتريات للدكتور عبد الجليل شلبي رد مفتريات على الإسلام، لعبد الجليل شلبي، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢،

(٢) - المرجع السابق (ص ٦٧)

الآية ١٠٦ من سورة البقرة تناقض الآية ٢٧ من سورة الكهف، والآية في سورة البقرة هي: {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها} [البقرة: ١٠٦] والآية في سورة الكهف: {واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته..} [الكهف: ٢٧]. فالآية الثانية تخبر أن كلمات الله لا تبدل، والأولى تخبر أنها تنسخ وتنسى، والنسخ نوع تبديل (١) الجواب :

الآية الأولى تتحدث عن نسخ الأحكام وتغيير حكم بآخر، وهذا أمر لا بد منه في حال أمة جاهلية نقلها الإسلام تدريجيا إلى حال جديدة متكاملة، والآية الثانية تذكر أنه لا أحد غير الله يستطيع أن يبدل كلماته، أو يرد حكما أنزله سبحانه، والطاعنون لم يفهموا النص فظنوه تناقضا، وكلتا الآيتين توضح أن الله وحده يحو ما يشاء ويثبت، تماما كالأية السابقة .

والتبديل يطلق على تبديل الأحكام، وهذا سائغ، ويطلق على تبديل الأخبار، وهذا الذي لا يمكن في القرآن، فكل آية لها مورد ، فالنسخ والتبديل يكونان في الأحكام لا الأخبار.

## المطلب الثاني عشر :

الآية ٩ من سورة الحجر تناقض الآية ٣٩ من سورة الرعد وآية الحجر هي: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [الحجر: ٩] ، وآية الرعد هي: {يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب..} [الرعد: ٣٩] ، يعني كيف يجتمع الحفظ مع المحو ، الجواب (٢) :

آية الحجر تصف القرآن أنه تنزيل من الله تعالى، وأن الله حافظه من الزوال والتحريف، وصدق الله وصدق قرآنه، فالمسلمون بعد أربعة عشر قرنا يقرأون القرآن غضا طريا صريحا صحيحا كما أنزله الله تعالى، وكما قرأه محمد ﷺ على أصحابه، فأين كتاب موسى وأين وصاياه، وأين إنجيل عيسى؟ هذه كتب لم يحفظها الله تعالى فذهبت مع الأيام، والقرآن لم

(١) - المرجع السابق السؤال : (ص:٣٧) . الجواب (ص ٦٨)

(٢) - المرجع السابق السؤال (ص ٣٧) .؟ الجواب (ص ٦٨)

يضع منه شيء ولن يضيع. وأما آية الرعد تذكر أن الله يمحو أحكاما ويثبت أخرى، ويمحو مقادير ويثبت غيرها، أفي هذا تضارب؟

آية الرعد ليست في القرآن، بل المراد منها الصحف التي بيد الملائكة التي فيها مقادير الخلق، فإن الله تعالى يغيرها حسب مشيئته وحكمته، واختلف العلماء في ذلك ولكن كل الخلاف دائر في باب القدر ، ولو سلمنا أن آية الرعد في القرآن، فإن المقصود بالحو والإثبات هو في وقت حياة النبي ﷺ ، وأما بعد اكتمال القرآن وموت النبي ﷺ ، فإن الله يحفظ القرآن ويصونه.

ومراجعة بسيطة لفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير (١)، ترى أنه ذكر فيه ثلاثة عشر قولاً، ليس فيها قول أن المقصود به محو القرآن.

### المطلب الثالث عشر: آية السجدة: {يدبر الأمر من السماء إلى

الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون} [السجدة: ٤] ،

وآية المعارج : {تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة} [المعارج: ٤] ،

يعني أن ألف سنة في الآية تناقض خمسين ألف سنة في الآية الأخرى (٢) ..... الجواب :

إن الآية تصف يوم القيامة بالطول، وأنه في طوله يعدل ألف سنة مما يعدل الناس، ولا يراد منها إفادة التكثير، كما تقول لصاحبك كتبت لك خمسين خطاباً، وترددت على بيتك عشرين مرة، واللغويون يقولون دائماً: العدد لا مفهوم له.

فإذا وصفت الآية الثانية هذا اليوم بأن مقداره خمسين ألف سنة فلا تناقض لأن كلا منهما تصفه بالطول، وقيل: وهذا اليوم يختلف مع الناس باختلاف مواقفهم وما يعانیه كل منهم، فقد يطول اليوم على شخص لشدة مشقته، ويقصر على آخر لعدم المشقة.

قلت: إن الآيتين ليستا على مورد واحد، بل الأولى تتحدث عن أمر لا تتحدث عنه الأخرى ، فالآية الأولى تتحدث عن مدة يوم معراج الأوامر ومدته ألف سنة ، والثانية تتحدث عن يوم القيامة ومدته خمسين ألف سنة، كما هو ظاهر من السياق:

(١) - للإمام الشوكاني (١٩/٣) .

(٢) - رد مفتریات ، السؤال (ص ٣٧) . الجواب (٦٩)

{ سأل سائل بعذاب واقع (\*) للكافرين ليس له دافع (\*) من الله ذي المعارج (\*)  
 تعرج الملائكة والروح إليه، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (\*) فاصبر صبرا جميلا (\*)  
 إنهم يرونه بعيدا (\*) ونراه قريبا (\*) يوم تكون السماء كالمهل (\*) وتكون الجبال كالعهن (\*)  
 ولا يسأل حميم حميما { [المعارج: ١-١٠]،

وهو القول الراجح فقد ذكر ابن كثير أربعة أقوال في المراد من اليوم ومال إلى أن المراد به يوم القيامة (١) ، وهو الراجح بدليل ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ : «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ... » (٢). وقد ذكر العلماء أجوبة كثيرة وغالبها وجيه، وقد سئل ابن عباس عن هذه الآية وأجاب عنها (٣)، ومع هذا لا زال هذا الإشكال يكرر إلى يومنا هذا.

### المطلب الرابع عشر :

سورة البلد جاء فيها: { لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد } [البلد: ١-٢] ،  
 وسورة التين فيها: { والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين } [التين: ١-٣]  
 ؛ فكيف قال: لا أقسم بهذا البلد ثم أقسم به (٤) ؟.

الجواب:

فهم القوم - وهم كما يدل أسلوبهم وكتابتهم علماء جدا في اللغة - أن (لا) في (لا أقسم) نافية، وهذا جهل بلغة العرب، وإنما تأتي لا في القسم توكيدا وهذا شائع في اللغة، كما في قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم..) أي أقسم بربك أنهم كذلك، وكما قال النابغة :

فلا وحق الذي مسحت كعبته ..... وما هريق على الأنصاب من جسد

وقول الآخر: فلا والله لا يلقي لمابي ..... ولا لما بهم أبدا دواء

(١) - تفسير ابن كثير (٢٢١/٨ - ٢٢٤) .

(٢) - مسلم (كتاب الزكاة، باب ثم مانع الزكاة، رقم: ٩٨٧) .

(٣) - (تفسير ابن كثير ، المصدر السابق) . دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري

وقول طرفه: فلا وأبيك ابنة العامري ..... لا يدعي القوم أني أفر

وقال علماء اللغة: إن هذا القسم يفيد تعظيم المقسوم به، كما في سورة البلد، وكما في قوله تعالى: {فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسّم لو تعلمون عظيم أنه لقرآن كريم} [الواقعة: ٧٥-٧٧] ، وكقوله: {لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة} [القيامة: ١-٢] ، فهذه كلها أقسام وليس هذا من دقائق اللغة وإنما هو من أولياتها ولكن القوم لا يعلمون.

وإذا اعتبرت (لا) نافية والجملة خبرية فهي مقيدة؛ أي لا أقسم به وأنت حل به، ولكن أقسم به وأنت غير حل به، فلا تناقض أيضا.

### المطلب الخامس عشر :

قوله تعالى: {قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون} [الزمر: ٤٤] ، مع قوله: {مالكم من دونه من ولي ولا شفيع، أفلا تتذكرون} [السجدة: ٤] وقوله: {يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه} [يونس: ٣] .

هذه الآيات متناقضة في رأي تيموثاوس (١) :

الآيات الثلاث تذكر أن الله وحده هو المتصرف في خلقه، ولا يشفع عنده إلا من أذن له، لله وحده الشفاعة، لا شفيع من دونه ولا بغير إذنه.. فأبي تناقض بين هذه الآيات؟ أليست الشفاعة في هذا كله لله وحده؟ أفلا تتذكرون؟.

نفى الله تعالى الشفاعة الشركية التي يعتقدونها المشركون في معبوداتهم، وأثبتها له وحده ، ولن يأذن له فيها، فهو سبحانه ينفىها في حال ويثبتها في حال آخر.

### المطلب السادس عشر :

في سورة الواقعة جاء مرة: {ثلة من الأولين وقليل من الآخرين} [الواقعة: ١٣-١٤] ، ثم جاء مرة أخرى {ثلة من الأولين وثلة من الآخرين} [الواقعة: ٣٩-٤٠] .

فهذا تناقض عند تيموثاوس ومجلسه (١) : الرد: والآية الأولى تتحدث عن السابقين المقربين، والثانية تتحدث عن أصحاب اليمين ... استفيقوا أيها الناقدون.

(١) - رد مفتريات د. عبد الجليل شليبي (ص ٣٧) . الجواب (ص ٧١)

(١) - رد مفتريات السؤال (ص ٣٧) . الجواب (ص ٧١)

## المطلب السابع عشر :

[الحجر: آية ٨٥]: {وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل إن ربك هو الخلاق العليم...}، تناقض ب [التوبة: ٧٣] {يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم}. ووجه التناقض فيما يرى القوم أن الآية الأولى أمرت بالصفح، والثانية أمرت بالغلظة .  
الجواب (١):

سورة الحجر مكية، وفي مكة لم يكن أذن بالقتال، والله تعالى يقول في آية الحجر أنه لم يخلق هذا الكون عبثا يفسد فيه من يفسد ويصلح من يصلح، بل الله جامع الناس بعد ذلك وجاز كلا بما فعل، فلا تحزن يا محمد لمخالفة القوم إياك ومعارضتهم دعوتك، وغدا تقوم الساعة فيجزون بسوئهم وتجزى بإحسانك، فأعرض عنهم حتى يأتي أمر الله. وسورة التوبة مدنية، وتسمى الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين، قد نزلت في حج أبي بكر بالناس، وكان الجهاد قد شرع قبل ذلك، ويسمى هذا العام عام الوفود؛ إذ أخذت قبائل العرب تتوافد على المدينة يدخلون في دين الله أفواجا، ولم يبق بعد مسوغ لبقاء الكفار الذين يعبدون من دون الله أوثانا، ولا لبقاء المنافقين الذين يفشون أسرار المسلمين ويخدعونهم، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، فيجب جهادهم لقطع قوم عن الكفر وآخرين عن النفاق، كي يعيش الناس في جو نظيف، خال من فساد العقيدة وفساد الأخلاق!  
فأين التناقض؟

الناس جميعا يفعلون هذا، يقول قائد الفرقة لجيشه: لا تضربوا. وبعد مدة يقول: اضربوا. ويقول المهندس الزراعي لفلاحيه: لا تزرعوا الآن. بعد شهر يقول: ازرعوا، وكل حكمة. كما أن الآية الأولى المقصود بها حال الدعوة، والثانية حال الجهاد، فاختلف مورد كل آية، كما أن الوالد في حال نجاح ابنه يفرح ويحسن إليه بهدية، وفي حال رسوبه يغضب ويعاقبه، ولا يقال: إن هذا الوالد متناقض؛ لأنه مرة يفرح ومرة يغضب، وفرحه في مجال وغضبه في مجال آخر.

**المطلب الثامن عشر :** في [الأعراف : ٣٧]: (حتى إذا أدركوا فيها جميعا قالت أحرهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا ) ، وفي [الأعراف: ١٧] يقول الشيطان لله تعالى: (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ) ؛ هذا تناقض عظيم جدا عندهم، كبراء القوم أضلوهم، والشيطان قال إنه يضلهم. فمن الذي يضل هل هو الشيطان أم الكبراء ؟.

الجواب (١):

وهل من التناقض أن يضل الشخص من كثيرين؟ وأنتم أعضاء المجلس الملي، وجماعة المدعين أضلكم الشيطان، وأضلكم رؤسائكم وأضلتكم أنفسكم، وأضلكم جهلكم، وأضلكم كتابكم، ولا تناقض في شيء من هذا.

### **المطلب التاسع عشر :**

الآية [٢٧٥: البقرة] وهي: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل البيع وحرم الربا ). والآية [٢٩: التوبة] وهي: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ) ، هاتان الآيتان متناقضتان فيما يرى تيموثاوس ومجلسه، يقصدون أن الجزية مثل الربا .

الجواب (٢):

ويبدو أنهم أرادوا تكثير عدد الآيات؛ لأنهم ذكروا سورة والتين وسورة والبلد مرتين تكثير للعدد! وهل الجزية ربا؟ هذا فهمهم ولا يفهمه سواهم.

شتان بينهما؛ فالربا لا يجوز أبدا سواء مع المسلم أو الكافر، وأما الجزية فهي ضريبة تجعل على الكفار مقابل حمايتهم . في ديار المسلمين، أو إبقائهم في الأرض التي يفتحها المسلمون مقابل هذا المال، ويراعى فيها سعة القوم وفقرهم، ولا يجوز فيها التضييق عليهم.

(١) - السابق (٣٧) . الجواب (٧٢)

(٢) - السابق (٣٧) . الجواب (٧٣)

**المطلب العشرون :** الآية ٦٥ من سورة الأنفال ، وهي ، ( يا أيها النبي حرض المؤمنين علي القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وأن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ) تناقص الآية ٤٨ من سورة الأحزاب ، وهي (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل علي الله وكفي بالله وكيفا ) فرعموا أن هناك تضاربا بين الآيتين؛ إذ الآية الأولى تطلب من النبي ﷺ تحريض المؤمنين وحثهم علي القتال ، بل والتجملد لقتالهم فإن العشرين الصابرين منهم يقتلون مائتين ، والمائة الصابرة يقتلون ألفا من الذين كفروا ، بينما الآية الثانية تطلب من النبي ﷺ ألا يطيع الكافرين والمنافقين ، وأن يدع أذاهم لا يقابلهم مثله ويكفيه التوكل علي الله ، فهو حسبه وكفي بالله وكيفا ، فكيف يأمره في الأولى لتحريض علي قتالهم بهذا الجملد ، ويأمره في الثانية بترك أذاهم ، فظنوا هذا تناقضا ، فطاروا به فرحا ، واتخذوه حجرا يقذفون به كتاب الله .

الجواب (١) :

ليس هناك أي تضارب ، فالكافرون والمنافقون كانوا يؤذون رسول الله ﷺ بألسنتهم وباختلاق أقوال عليه ، فأمره الله بأن يدع أذاهم له ، فهو سبحانه وتعالى يتولى رد كيدهم في نحرهم ، ودحض افتراءاتهم علي رسوله ، فكفي بالله وكيفا ، فأمره في آية الأحزاب أن لا يقابل اللسان باللسان ، بينما أمره في شأن الكفار المحاربين أن يحرض المؤمنين علي قتالهم ، والتجملد لهم ، فأمره الله سبحانه في آية الأنفال بمقابلة السنان باللسان، فالحكمة تقتضي وضع السيف في موضعه واللين في موضعه ، فلا تعارض إذن بين الآيتين. وحتى مع التسليم بأن الأمر في سورة الأنفال يقابل الأمر في سورة الأحزاب ، فإن هذا يناسب التدرج في تشريع القتال ، علي حسب ما تقتضيه كل مرحلة من مراحل الدعوة من قوة وضعف، فلا تناقض.

**المطلب الحادي والعشرون :** لآية ٢٠ من سورة آل عمران وهي: (فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم، فإن أسلموا

فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ) ، تناقض الآية ٨٩ من سورة النساء وهي: (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ) . **ووجه التناقض** - فيما يرون - أن الآية الأولى ذكرت أنه ليس على الرسول إلا البلاغ، والآية الثانية أمرته بقتال المنافقين وجهادهم، وبهذا نجد هؤلاء المساكين يدورون في حلقة مفرغة، يعيدون ما قالوا ثم يكررونه .

الجواب (١) :

الآية الأولى - ومثلها كثير جدا - تقول لرسول الله ﷺ : إنك لست مطالب بخلق الهداية في نفوسهم، ولكن الله يهدي من يشاء، وإنما عليك أن تبلغ رسالة الله، فمن آمن بها وأسلم فقد اهتدى، ومن تولى فحسابه على الله، وحسبك أنك بلغت الرسالة، ولست مكلفا بخلق الهداية.

والآية الثانية تتحدث عن المنافقين وموقفهم يشبه موقف (المدعين) والمجلس المليء المزعوم يتمنون أن يكفر المسلمين ككفرهم، وقد نهى المسلمون أن يتخذوا منهم أصدقاء حتى يهاجروا في سبيل الله، ولا تعني الهجرة في هذا المقام الانتقال من مكة إلى المدينة؛ إذ السورة مدنية والمنافقين كانوا بالمدينة، ولكن المراد بالهجرة طاعة الله تعالى وترك المحرمات، وهذا من معاني الهجرة، ومن معانيها أيضا الجهاد، وكان جماعة من المنافقين بقيادة عبد الله بن أبي رجعوا قبل المعركة يوم أحد.

والقرآن ينهى المسلمين عن اتخاذهم أصدقاء؛ لأن ذلك تكريم لهم وإطلاع لهم على أسرار المسلمين، ادعوا للإسلام وأعرضوا عن الدفاع عنه، وعاونوا أعداءه.

وليس في هذا خلق هداية في أنفسهم، وإنما التخلص منهم ومن شرورهم، والناس في كل أمة وفي كل عصر يقتلون الخونة.

فهل هذا تناقض؟ .

ثم إن البلاغ أنواع، فبلاغ الكلمة وبلاغ المال وبلاغ الجهاد، فالجهاد إنما شرع لتبليغ دعوة الله إلى مشارق الأرض ومغاربها، حتى يصل الإسلام إلى جميع نواح المعمورة.

## المطلب الثاني والعشرون :

الآية ١٠٨ من سورة الأنعام تناقض الآية ٤ من سورة محمد: وآية الأنعام هي (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) .. (وآية سورة محمد هي: (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثختموهم فشدوا الوثاق، فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضكم ببعض، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم، سيهديهم ويصلح بالهم) . ولعل وجه التناقض فيما يرون أن الآية الأولى نعت المسلمين عن سب الأصنام التي يعبدونها المشركين، والآية الثانية حثتهم على الجهاد . الجواب (١):

القوم واهمون ومتحاملون؛ فالآية الأولى مكية سنّت للمسلمين أدبا حلقيا، فنهتهم عن شتم الأصنام وهم يعلمون أنها لا تضر ولا تنفع، ولكن لو سبّوها لسب الكفار الإله الخالق سبحانه عدوانا وجهلا؛ لأنهم لم يعرفوه ولم يعرفوا صفاته، هذا أدب أخلاقي رفيع، وها نحن نجري عليه، فالجماعة (المدعون) والمجلس الملي يسبون ويشتمون ويقذفون النبي الكريم بأشنع الألفاظ، ونحن نلتزم المنطق ونغضي عن شتائمهم، هذا لعلمنا أن الشتائم لا جدوى من ورائها، وأن الشتام يحط دائما من قدر نفسه، ولا ينال من قدر من شتمه شيئا.

والآية الرابعة من سورة محمد تبين جانبا من تعاليم الحرب، فتعلم المسلمون أنهم إذا قابلوا الكفار في المعركة فعليهم أن يوقعوا بهم الضرب، فإذا أثخنوهم قتالا وهزموهم كان لهم بعد ذلك أن يمنوا على من يستحق المن، وأن يأخذوا الفدية ممن يستحق أن يفدى. فليس في الآية إباحة لسب الأصنام، والآيتان قبيحتين مختلفين لكل حكمها على ما قدمنا.

ظن هؤلاء الجهال أنه طالما جاء النهي في سورة الأنعام عن سب أصنام الكفار، فمن باب أولى يجب الكف عن قتالهم؛ إذ القتال وضرب الرقاب أعظم من السب، ولو كانت لهم عقول لأدركوا علة النهي عن سب أصنام الكفار في نفس الآية، وهي أن سب آلهتهم يفضي إلي حمل المشركين على سب الله تعالى، وهم أجهل الناس بقدر الله، وليس للنهي في الآية أي علاقة بمراجعة مشاعر المشركين، ولكن لضالة عقولهم وسوء طويتهم نظروا إلي صدر الآية فقط وتركوا باقيها، فزعموا أن في القرآن آية تنهي عن سب أصنام المشركين

(١) - المرجع السابق (٣٧) .! الجواب (٧٥)

لحفظ مشاعرهم ، وآية أخرى تأمر بضرب رقابهم ، ومن خلال هذا الزعم رموا القرآن بالتناقض ، فسبحان الله أين عقول القوم؟ !

**المطلب الثالث والعشرون :** الآية ١٢٧ من سورة النحل، وهي: (وأصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون.. ) تناقض الآية: {والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله} [الشورى: ٣٩ - ٤٠] . يعني أن الآية الأولى تأمر بالصبر على الذي يصيبه من الناس، والآية الثانية تأمر بالانتصار من الذي يصيبه . الجواب (١) :

الآية الأولى مسبوقه بقوله تعالى: (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر.. ) . وكان رسول الله ﷺ أراد أن يمثل بعدد من المشركين، جزاء ما مثلوا بعمه حمزة في يوم أحد، فنهته الآية أن يزيد عما فعل بعمه، وبينت أن العفو أفضل. وآيات الشورى تصف المؤمنين بأنهم إذا بغى عليهم أحد انتصروا لأنفسهم، وبينت كما بينت الآية الأولى أن جزاء السيئة يكون بقصاص مماثل، وأن من عفا وأصلح فإن الله تعالى يثيبه.

فالآيتان في مجرى واحد، كلتاها تفضل العفو وتقيد العقوبة بالمماثلة!

ولا يتأتى للمسلمين أن ويغى عليهم ويقفوا مكتوفي الأيدي، بل عليهم أن ينتصروا لأنفسهم ممن بغى عليهم، ولكنهم مع هذا الانتصار لا يظلمون، فما أروعه أدبا وأسماء سلوكا. وأنت تجد في الأناجيل أن المسيح يقول لتلاميذه: أحسنوا إلى أعدائكم وباركوا لاعنيكم. ومع هذا تجده يقول لليهود: يا أولاد الأفاعي، ترون القذاة في أعين الناس ولا ترون الخشبة في أعينكم!

وليس في هذا الكلام بركة ولا إحسان، وإنما هو توبيخ وزجر، فلم لم يباركهم ويحسن إليهم؟. ثم نجد الذي يقول: أحسنوا إلى أعدائكم. والذي يقول: ما جئت لأنقض الناموس. يقول أيضا: لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاما على الأرض، ما جئت لألقي سلاما بل سيفا، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها والكنة (زوجة الابن) ضد حماها.

والعهد القديم والعهد الجديد كلاهما مليء بالمناقضات والخرافات، وهي رسائل وكتب

من صناعة قوم انتحلوا صفة القداسة، ومثل هذا لا يوازن به كلام القرآن المحكم؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصدق الله: {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} [النساء: ٨٢] ولكن يتدبره من يفهمه، (إنما يذكر أولو الألباب) (١) .

### الطائفة الثانية: كتابات (توني بولدروجوفاك)

وهذه رسالة أخرى وزعت على المراكز الإسلامية في أمريكا، موقعة باسم (توني بولدروجوفاك) ، وأجاب عنها الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق (وفي موقع الشيخ عبد الرحمن على الإنترنت (salafy.net) نسخة كاملة من هذه الرسالة) ؛ كما يلي:

### المطلب الرابع والعشرون : السؤال أو الاعتراض الأول:

يقول السائل: كيف يمكن اعتبار القرآن قد أوحى إلى محمد، وفي نفس الوقت نجد أن محمدا (هو المتكلم في آيات عديدة كما في سورة الفاتحة الآيات من ٥، ٧ - وهي: (إياك نعبد وإياك نستعين أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ، وفي سورة البقرة الآيات ٢ الآيات ١٠٥، ١١٧، ١٦٣ ، وهي: {ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم} [البقرة: ١٠٥] ، {بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون} [البقرة: ١١٧] ، (والحكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم (١٦٣) ) [البقرة: ١٦٣] . وكما في سورة ٣ الآية (الله لا إله إلا هو الحي القيوم (٢) ، وفي سورة رقم ٤٠ الآية ٦٥ (هو الحي لا إله إلا هو فادعوه (، والسورة رقم ٤٣ الآيتان ٨٨، ٨٩؟.

والجواب (٢) :

(١) - انتهت إلى هنا الرسائلتان اللتان تطعنان في القرآن؛ الأولى رسالة في ست ورقات منسوبة إلى المجلس القبطي بالإسكندرية، والرسالة الثانية جاءت بالبريد من استراليا في إحدى وعشرين صفحة، وموقعه باسم: المدعون العامون في محكمة الحقيقة، ورد عليهما عبد الجليل شلبي في كتاب (رد مفتريات على الإسلام) ، (ص: ٦٧-٧٧)

(٢) - انظر معرفة تأويل المتشابه، د. عبد الله أبو السعود (ص: ٩٣) . دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠، وتفسير ابن كثير (١٨٥/٣) .

إن السائل لا يعرف أساليب اللغة العربية، ولا طرائق البلغاء في الكلام، ولا منهجهم في البيان، ومعلوم أن القرآن نزل بلغة العرب، وقد تحدى الله الأولين والآخرين أن يأتوا بسورة من مثله؛ بلاغة وفصاحة، وبيانا وحلاوة، وبناء معجزا يستحيل الإتيان بكلام مثله في الحلاوة والبيان.

ومن أساليب العرب في البيان أن يتحدث المتكلم عن نفسه تارة بضمير المتكلم، وتارة بضمير الغائب، كأن يقول المتكلم: فعلت كذا وكذا، وذهبت، وأمرك يا فلان أن تفعل كذا، وتارة يقول عن نفسه أيضا: إن فلانا -يعني نفسه- يأمركم بكذا وكذا. وينهاكم عن كذا، ويجب منكم أن تفعلوا كذا. كأن يقول أمير أو ملك لشعبه وقومه وهو المتكلم: إن الأمير يطلب منكم كذا وكذا. وهو يشير بذلك أن أمره لهم من واقع أنه أمير أو ملك، وهذا أبلغ وأكمل من أن يقول لهم: إني الملك وأمركم بكذا وكذا. فقوله: إن الملك يأمركم. أكثر بلاغة من قوله: إني الملك وأمركم. وقد جاء القرآن بهذا النوع من البيان، كما في الآيات التي اعترض بها السائل فظن أن هذا لا يمكن أن يكون من كلام الله سبحانه وتعالى، نحو قوله تعالى في سورة البقرة: (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ) ، وقوله في سورة آل عمران: (ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق ) فظن هذا الذي لا يعرف العربية أن الله لا يمكن أن يتكلم عن نفسه بصيغة الغائب، وأنه كان لا بد وأن يقول: (نزلت عليك يا محمد الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه..). ونحو ذلك وهذا جهل بأساليب اللغة العربية، وموقعها في البيان والبلاغة، ولا شك أن خطاب الله هنا وكلامه عن نفسه بصيغة الغائب، أبلغ من لو قال سبحانه: ألم، أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم نزلت عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الآيات.

وعلى كل حال فهذا أسلوب من أساليب البلاغة في اللغة، والظن أن هذا يطعن في القرآن، وأنه ليس من عند الله، وإنما من عند الرسول ظن تافه ساذج في منتهى الركاكة والجهل، وأما الالتفات<sup>1</sup> في الخطاب من الحضور إلى الغيبة والعكس، كأن يخاطب المخاطب بضميره فيقول: إنك فعلت كذا وكذا، ثم تخاطبه تارة أخرى بضمير الغائب، فتقول له: فعل فلان كذا وكذا وأنت تعنيه. فهذا كذلك أسلوب من أساليب البلاغة: كقوله تعالى: {عبسى

(<sup>1</sup>) - انظر المعجم المفصل في علوم البلاغة، د. أحمد عكاوي (ص: ٢٠٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

وتولى أن جاءه الأعمى { ولا شك أن النبي هو المقصود، ثم حول الله الخطاب إليه قائلاً:  
{وما يدريك لعله يتزكى أو يذكر فتتنفعه الذكرى ... } [عبس: ١-٤] .

وأما أن القرآن كتاب تعليم وتوجيه، فقد جاء ليعلم المسلمين ماذا يقولون في صلاتهم،  
وبماذا يدعون ربهم، فقد أنزل الله سورة (الفاحة) لتكون دعاء وصلاة للمسلمين يتلونها في كل  
ركعة، وفيها: { الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين } وهذا كلام الله عن  
نفسه سبحانه، يصف نفسه بهذه الصفات الجليلة العظيمة، ثم يعلم المسلمين أن يقولوا في  
صلاتهم ودعائهم هذا { إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين  
أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين } . فهذه السورة تعليم وتوجيه من الرب  
سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين؛ ليصلوا ويدعوا بها في كل ركعة من ركعات صلاتهم، وفي هذه  
السورة من البلاغة والإعجاز والمعاني ما لا تسعه هذه الرسالة الموجزة، ولو أن عالماً بالعربية  
تدبرها كفته إعجازاً وشهادة أن هذا القرآن منزل من الله سبحانه وتعالى وليس من كلام  
بشر.

والخلاصة من هذا السؤال أن صاحبه إنما أتى به من كونه لا يعلم العربية ولا أساليب البيان  
والفصاحة، وما أظن إلا أن معظم اللغات تعرف هذا اللون من التعبير، والذي يسمى بـ  
(الالتفات) أي التحول من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، لمقاصد كثيرة؛  
كتخفيف العتاب، أو توجيه النظر إلى البعيد، أو استحضار المشهد، أو التعظيم، أو  
التحقير، ونحو ذلك من مقاصد البلاغ.

وكذلك قوله سبحانه وتعالى في سورة (غافر: ٦٥) : { هو الحي لا إله إلا هو فادعوه  
مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين } فهو خطاب لله سبحانه وتعالى عن نفسه بصيغة  
الغائب، وهو تعريف للعباد بذاته العلية جل وعلا، وقد قدمنا أن هذا أسلوب من أساليب  
العربية في الخطاب.

ومثل هذا أيضاً ما اعترض به هذا الجاهل باللغة، وهو قوله تعالى في سورة  
[الزخرف: ٨٧، ٨٨، ٨٩] : { ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وقيله يا  
رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون } . فإن هذا جميعه  
من حديث الرب جل وعلا عن نفسه، وعن رسوله، وأن محمداً (كان إذا سأل المشركين عن

خالق السماوات والأرض، يعترفون أنه الله سبحانه وتعالى، فعجب الله نبيه من حال هؤلاء المشركين، الذين يعتقدون بأن الله خالق السماوات والأرض ثم لا يفرّدونه وحده بالعبادة، ولا يؤمنون بقدرته على إحيائهم بعد موتهم، ثم ذكر الله توجع رسوله محمد ﷺ وشكاته من قومه ، {وقيله} أي وهذا قول الرسول لربه (يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) وعندئذ يأتيه الجواب وهو بمكة {فاصفح عنهم وقل سلام} أي لا تعلن حرباً عليهم الآن {فسوف يعلمون} ما يكون مآلهم في الدنيا من القتل بأيدي المؤمنين، ومآلهم في الآخرة من الخلود في النار أبد الأبد.

وهذا الجاهل باللغة يظن أن قوله تعالى: {وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون} الآية، أن هذا من كلام محمد، وإذن فالقرآن لا يمكن أن يكون من كلام الله، ومثل هذا السخف لا يحتاج إلى رد، ولكن ماذا نفعل إذا كان هذا هو مستوى هؤلاء من العلم؟ ومع ذلك يعارضون القرآن، ويشككون في رسالة الإسلام.<sup>(١)</sup>

## المطلب الخامس والعشرون :

### السؤال الثاني ونصه كما يلي:

في سورة [يونس: ٣]: ذكر بها أن خلق السماوات والأرض تم في ستة أيام، وفي السورة [فصلت: ٩- ١٢] ذكر بها أن خلق الأرض تم في يومين، وخلق الله الأنهار والغابات... إلخ في الأرض (بعد خلقها) في أربعة أيام، وأنه قد خلق السماوات في يومين، فالسورة فيما زعموا- تتناقض مع السورة ٤١ حيث إن ناتج جمع (٢+٤=٨ أيام).

الجواب<sup>(٢)</sup>: هذا السؤال يتعلق بقوله تعالى:

{قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم

(١) - دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ص ٣٠٧

(٢) - تم سابقا الإجابة على هذا الأشكال و انظر: درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، للإمام الخطيب الإسكافي (ص: ٢٨٤) ، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٢، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لأبي يحيى الأنصاري (ص: ٥٠٤)، بيروت، دار القرآن الكريم، الطبعة الأولى ١٩٨٣، والرد على ابن النغريلة اليهودي لابن حزم (ص: ٥٣)، والانتصارات الإسلامية للطوفي (١/٥٠٤).

استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فسواهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها.. { [فصلت ٩-١٢] .

نعم يجمع هذه الأيام دون فهم وعلم يكون المجموع ثمانية، وقد ذكر الله في مواضع كثيرة من القرآن أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام وما ظنه السائل تناقضا فليس بتناقض؛ فإن الأربعة أيام الأولى هي حصيلة جمع اثنين واثنين؛ فقد خلق الله الأرض خلقا أوليا في يومين، ثم جعل فيها الرواسي وهي الجبال ووضع فيها بركتها من الماء، والزرع، وما دخره فيها من الأرزاق في يومين آخرين، فكانت أربعة أيام، فقول الله سبحانه وتعالى: (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ) ، هذه الأيام الأربعة هي حصيلة اليومين الأولين ويومين آخرين، فيكون المجموع أربعة، وليست هذه الأربعة هي أربعة أيام مستقلة أخرى زيادة على اليومين الأولين.. ومن هنا جاء الخطأ عند السائل، ثم إن الله خلق السماوات في يومين، فيكون المجموع ستة أيام يجمع أربعة واثنين ولا تناقض في القرآن بأي وجه من الوجوه ثم إن القرآن لو كان مفتريا كما يدعي السائل- فإن محمدا ( لم يكن ليجهل مثلا أن اثنين وأربعة واثنين تساوي ثمانية، وأنه قال في مكان آخر من القرآن إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام فهل يتصور عاقل أن من يقدم على تزييف رسالة بهذا الحجم، وكتاب بهذه الصورة يمكن أن يخطئ مثل هذا الخطأ، الذي لا يخطئه طفل في السنة الأولى الابتدائية؟! لاشك أن من ظن أن الرسول ﷺ افترى هذا القرآن العظيم، ثم وقع في مثل هذا الخطأ المزعوم، فهو من أخط الناس عقلا وفهما. والحال أن السائل لا يفهم لغة العرب، وأن عربيا فصيحيا يمكن أن يقول: زرت أمريكا فتحولت في ولاية جورجيا في يومين، وأنهيت جولتي في ولاية فلوريدا في أربعة أيام ثم عدت إلى لندن لا شك أن هذا لم يمكث في أمريكا إلا أربعة أيام فقط وليس ستة أيام؛ لأنه قوله: في يومين في أربعة أيام. يعني يومين في جورجيا ويومين في فلوريدا. فقوله تعالى: (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام .) أي بزيادة يومين عن اليومين الأولين) (١).

**المطلب السادس والعشرون : السؤال الثالث من الرسالة : هو السورة ٢١ : الآية**

**٧٦ ذكر بها أن نوحا وأهل بيته قد نجوا من الفيضان يعني قوله تعالى: {ونوحا إذ**

(١) - وقد ذكر هذا الطعن ابن النغيلة اليهودي ورد عليه ابن حزم بنحوه (الرد على ابن النغيلة اليهودي (ص: ٥٢) .)

نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم} [الأنبياء: ٧٦] ، ولكن  
السورة ١١: الآيتان ٤٢-٤٣ ذكر بهما أن أحد أولاد نوح قد غرق؟ يعني قوله سبحانه:  
{وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن  
مع الكافرين قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من  
رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين} [هود: ٤٢-٤٣]

الجواب (١) : إن الاستثناء أسلوب معروف في لغة العرب، فيذكر المتكلم المستثنى منه  
على وجه العموم، ثم يخرج منهم من أراد إخراجهم. ويمكن أن يأتي الاستثناء منفصلاً، ويمكن  
أن يأتي متصلاً، وفي سورة الأنبياء قال الله تعالى عن نوح: (ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا  
له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ) وقد بين سبحانه وتعالى المراد بأهله في آيات أخرى،  
وهو من آمن منهم فقط، حيث أخبر سبحانه وتعالى في سورة هود أنه قال لنوح: {أحمل  
فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل} .  
فقد أمره الله سبحانه وتعالى أن يحمل أهله معه إلا من سبق القول من الله بهلاكهم، وقد  
كان قد سبق في علم الله أن يهلك ابنه مع الهالكين؛ لأنه لم يكن مؤمناً، ولم يكتب الله  
لأحد النجاة مع نوح إلا أهل الإيمان فقط، وابنه لم يكن مؤمناً، وبالتالي فلا تناقض بين قوله  
تعالى في سورة الأنبياء أنه نجى نوحاً وأهله، وبين ما جاء في سورة هود أنه أغرق ابن نوح؛  
لأن ابن نوح لم يكن من أهله، كما قال تعالى لنوح لما سأله عن ابنه: {يا نوح إنه ليس من  
أهلك} . وبالتالي فلا تناقض بحمد الله في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا  
من خلفه.

## المطلب السابع والعشرون :

السؤال الرابع هو: هناك أخطاء نحوية في القرآن، فيوجد به جمل غير  
متكاملة، ولا تفهم تماماً بدون إدخال بعض الكلمات الأخرى عليها (٢: ٥) ،  
(١٦٠: ٧-١٦١ .. إلخ) ، -يعني قوله سبحانه: {أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم  
المفلحون} [البقرة: ٥] ، {وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه  
قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشرهم

(١) - انظر: معرفة تأويل المشابه، د. عبد الله أبو السعود (ص: ٧٩)، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠، وتفسير ابن كثير (١٨٥/٣)

وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} [١٦٠] {وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين} [الأعراف: ١٦٠-١٦١] ، إن ترتيب السور بالقرآن غير متصل تاريخيا أو منطقيا، فلا تشعر بوقت أو مكان. هناك شك في موضوعية تكامل القرآن؛ لأننا نجد أن أناثا وأماكن غير محددة وأحداثا وضعت معا في رؤية واحدة، وكأنهم جميعا كانوا يعيشون معا في نفس الزمان. وهذا يسبب مشاكل عديدة، واختلاط الأمر لكل من يحاول فهم القرآن كقطعة أدبية، لإعادة بناء حياة وتعاليم محمد بوسيلة مرتبة، فلا بد للفرد أن يقفز من سورة إلى أخرى في القرآن كله، ويترك الفرد بإحساس عدم التكامل وعدم الرضا؛ لأنه لم يحصل على القصة الكاملة، وهذا مضاد تماما للإنجيل الذي كتب فيما يزيد عن عدة آلاف السنين بما يزيد عن ٤٠ مؤلفا مختلفا.

الجواب (١) : إن صياغة هذا السؤال على هذا النحو يدل على أن كاتبه إما أنه لا يدرك شيئا من اللغات، عربية كانت أم غير عربية، أو أنه يعترض لمجرد الاعتراض، وتفصيل ذلك على هذا النحو:

(أ) الآية الخامسة من سورة البقرة وهي قوله تعالى: (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) يشير الله بقوله: (أولئك) على المذكورين قبل ذلك وهم المتقون الذين يؤمنون بالغيب، ويقومون الصلاة، وينفقون مما رزقهم الله، ويؤمنون بالقرآن، والكتب التي نزلت على الرسل قبل القرآن، ويؤمنون بالآخرة، وهؤلاء المذكورون قد عبر الله عنهم بـ (أولئك) وهي اسم إشارة للبعيد تعظيما لشأنهم ورفعاً لمنزلتهم (على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) ويبدو أن السائل ظن أن إشارة الله لهؤلاء المذكورين (بأولئك) - وهي صيغة إشارة للبعيد - أن هذا خطأ نحوي؛ إذ يعبر عن القريب بالبعيد، ولم يفهم أن هذا أسلوب بلاغي من أساليب العرب، وهي تعبيرهم بالإشارة بالبعيد للتعظيم والتهويل أحيانا، وللتقليل والتحقير أحيانا حسب السياق، ومرامي الكلام، وهنا عبر الله عن هؤلاء المتقين، الذين يتصفون بهذه الصفات بصيغة البعيد، وهي {أولئك} رفعاً لشأنهم وإعلاءً لمنزلتهم، ولا شك أن هذا أمر

(١) - انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي (ص: ٥٠) . وحقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين مجموعة من كبار العلماء نشر وزارة الاوقاف المصرية .

عظيم؛ لأن فيه إشارة ورفعة لهؤلاء المذكورين. ب) وأما قوله تعالى في سورة الأعراف: {وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما، وأوحينا إلى موسى إذ استسقاها قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشر عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} [الأعراف: ١٦] واعتراض السائل هو كيف يقول تعالى: {كلوا من طيبات ما رزقناكم} ، ويتكلم بصيغة الخطاب وهو قبل ذلك قد تكلم عن بني إسرائيل بصيغة الغائب، وأنه سبحانه قطعهم اثنتي عشرة أسباطا، وأنه قال لموسى كذا وكذا ومرة أخرى لا يفهم السائل أسلوب العربية، ولا بلاغة الخطاب، ويظن أن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب خلل في الأسلوب، وخطأ نحوي!! وهذا يدل على أنه لا يعرف نحو، ولا بلاغة، ولا يدرك معنى للفصاحة ولا البيان. فهذه الآية في منتهى الإعجاز والبلاغة؛ فإن الله تحدث فيها عن بني إسرائيل وما صنع لهم من الخير والإحسان، وأنه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى، وبدلا من أن يقول: وقلت لهم: كلوا من طيبات ما رزقناكم.

أو وقال لهم موسى: إن الله يقول لكم: {كلوا من طيبات ما رزقناكم} فإن الله حذف هذا وانتقل رأسا إلى القول دون ذكر القائل؛ لأن القائل معروف من السياق، وهو الرب تبارك وتعالى، ولا يمكن أن يفهم أن القائل هو غير الرب جل وعلا، لأن القول هو {كلوا من طيبات ما رزقناكم} فمن سيقول هذا القول إلا الله؟ ومعلوم أن حذف ما يعلم جائز، بل ذكر المعلوم ضرورة حشو وزيادة لا داعي لها، والقرآن ينزه عن الحشو والزيادة. ويفهم كل من يعلم العربية أن قوله تعالى: {وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم} أن معنى ذلك وأنزلنا عليهم المن والسلوى وقلنا لهم: {كلوا من طيبات ما رزقناكم} فحذف {وقلنا لهم} ، أو {أمرنا موسى أن يقول لهم} لأن هذه زيادة لا داعي لها في السياق لأنها معلومة!!

ج) وأما قول السائل: إن ترتيب السور غير متصل تاريخيا أو منطقيا؛ حيث لا يفهم القارئ الوقت ولا المكان. فهذا كذلك من قصور علمه وفهمه، وبعده عن إدراك الإعجاز القرآني في ترتيب المصحف، والوحدة الموضوعية في السورة، وهذا باب عظيم لا تسعه العجالة للرد على هذه الشبهات السخيفة. وقد كتب في هذا مجلدات ومجلدات قديما

وحدثنا، وأحيل السائل على كتاب مختصر حديث، وهو كتاب "النبأ العظيم" للشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله، وأظنه مترجماً إلى الإنجليزية. وهنا في هذه الآية من سورة الأعراف لا يسجل الله الأحداث التي وقعت لبني إسرائيل من حيث كونها تاريخاً وإنما يذكر إنعامه عليهم، ويسجل مخازيهم، ونكثهم لعهودهم وكفرانهم لنعمة الله سبحانه وتعالى. فهذه الأحداث التي وقعت لبني إسرائيل وإن كانت متباعدة في الزمان، ولكنها ذكرت مجتمعة في الآية لتذكركم بنعم الله على آبائهم، ثم جحودهم ونكرانهم.

(د) وأما قول السائل (توني بولدروجوفاك) : إن الإنجيل أفضل من القرآن من حيث الوحدة الموضوعية، والترتيب الزمني، وتسلسل الأحداث، فإن هذا مما يدل حقيقة وللأسف على تدني عقل السائل، وعدم تمييزه بين الكتاب المعجز المتناهي في البلاغة والعصمة والإحكام، وبين كتاب لم يسلم من التحريف والتبديل والتناقض، وهو أشبه بمذكرات يوميها كتبها تلاميذ أو تلاميذ تلاميذ المسيح عليه السلام من الذاكرة، معبرين فيها عن تصور شخصي لهم، وتفسير شخصي للأحداث التي نقلت أو رآها بعضهم، وقد اختلفوا في هذا النقل اختلافاً كبيراً، وجاءت عباراتهم في كثير من الأحيان ركيكة متهاككة. ولا شك الإنجيل الحقيقي لم يكن كذلك، وإنما أتكلم عن الأناجيل الموجودة الآن بين أيدي النصارى، وهي مختلفة فيما بينها. ولا شك أن القرآن الكريم لم ينزل قط على طريقة الأناجيل المحرفة، التي لا تعدو أن تكون - كما ذكرنا - مذكرات ويوميات لحياة السيد المسيح عليه السلام، فيها كثير من الاختلاف والتناقض والتضاد، ومن ذلك ما ذكرناه آنفاً، ومنها كذلك نسبة المسيح إلى عنصرية بغیضة تارة، كالزعم أنه قال: إن خبز البنين لا يجوز أن يعطى للكلاب. وذلك عندما استغاثت به امرأة كنعانية أن يشفي ابنتها.

وقوله في مقام آخر: لا كرامة لنبي في بلده وتفضيله الأجناس الأخرى على بني إسرائيل، وكذلك قوله: (لم أبعث إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة وقوله في مقام آخر: اذهبوا واركزوا بالإنجيل في العالم أجمع!! فتارة يدعي أنه مبعوث لنبي إسرائيل وتارة للعالم أجمع،

وكذلك قوله بوجوب التزام الشريعة كلها، ثم الادعاء أنه نسخ الشريعة كلها، وأباح للحواريين أن يأكلوا كل النجاسات والخبائث، وأن كل ما يدب على الأرض حلال لهم..

وهذا التناقض كثير في الإنجيل. وليس في الإنجيل قط ما يدل على أن الله تعالى أوحى شيئا، أو شرع شيئا، أو تكلم بنفسه كلاما مباشرا، بل هو رواية عن أعمال المسيح، أو خبر عن المسيح أنه يقول: قال: أبي كذا أو كذا. وليس في الإنجيل ما يدل على أن الله هو الذي يتكلم أو يخاطب عباده.

ومعلوم أن القرآن غير هذا تماما، فليس القرآن مذكرات ويوميات كتبها النبي ﷺ، أو كتبها الصحابة عن حياة النبي ﷺ، وإنما القرآن هو كلام الله المعجز الذي ليس للنبي فيه إلا التبليغ فقط {قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي} [يونس: ١٥]. ولا مجال بتاتا للمقارنة بين القرآن الكريم الكتاب العظيم الذي نزل تبياناً لكل شيء، فجمع الدين كله أصولاً وفروعاً، عقيدة وشرعية، وأخلاقاً وأمثالا ووعظاً، وبين الأنجيل المحرفة المتناقضة التي لم تزد على كونها يوميات للسيد المسيح عليه السلام، يظهر فيها لكل ذي بصيرة التناقض والتزيد والتقول على الله بغير علم. (١)

## المطلب الثامن والعشرون :

السؤال الخامس هو: هناك وجهات نظر متضاربة في ادعاء محمد النبوة؛ فالسورة (٥٣: الآية ١٠) يعني قوله: (فأوحى إلى عبده ما أوحى (١٠) النجم: ١٠، ذكر بها أن الله نفسه أوحى إلى محمد. والسورة (١٦: ١٠٢)، والسورة (٢٦: الآيات من ١٩٢ : ١٩٤) ، يعني قوله: {قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين} [النحل: ١٠٢] ونحوها من الآيات-ذكر بها أن "روح القدس" نزلت إلى محمد، والسورة (١٥: الآية ٨) وهي قوله: {ما نزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين} [الحجر: ٨] ذكر بها أن الملائكة، وهم أكثر من واحد نزلوا إلى محمد والسورة (٢: ٩٧) يعني قوله: {قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين} [البقرة: ٩٧] ؛ ذكر بها أن الملاك جبريل واحد فقط، لم يذكر في القرآن ولا في الأنجيل ما يقول أن "روح القدس" هي جبريل.

الجواب: قوله سبحانه وتعالى في سورة [النجم: ٣-٩] عن رسوله محمد ﷺ {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق

١ - دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ص ٣١٨

الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى } . فهذا وصف لجبريل الروح القدس الأمين، الذي نزل على محمد ﷺ بجراء، وجاءه بالوحي من ربه، ولقد رآه رسول الله ﷺ على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح مرتين: واحدة في مكة في بدء الوحي، وثانية عندما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء، كما جاء ذلك في حديث السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في الصحيحين، وجبريل المذكور ، في سورة [النجم: ٣-٩] ، هو نفسه الذي ذكره الله في سورة [النحل: ١٠٢] ، حيث يقول سبحانه وتعالى: {قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين} ، فقد سماه الله روحا؛ لأنه ينزل بما يحيي موات القلوب، وهو وحي الله إلى رسله، ووصفه بروح (القدس) أي المقدس المنزه عن الكذب أو الغش، فهو الذي قدسه الله ورفعته، وأعلى من شأنه عليه السلام. وأما ما ذكره الله في سورة [الحجر: ٦-٨] ، فإن الله لم يذكر فيها أن الملائكة نزلوا على النبي ﷺ بالوحي ، كما فهم هذا الجاهل حيث يقول: ذكر فيها أن الملائكة ، وهم أكثر من واحد نزلوا على محمد. وإنما الآيات هكذا {وقالوا (أي الكفار) يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون، لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين} فرد الله مقالة هؤلاء الكفار، الذين استعجلوا نزول الملائكة بالعذاب عليهم، وهو ما هددهم الله به إن أصروا على التكذيب، فقال تعالى: {ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين} أي إن الله لا ينزل الملائكة إلا بالحق، وإنهم إذا نزلوا نزلوا بالعذاب عليهم، فمعنى ذلك أنهم غير مهملين، والحال أن الله أمهلهم ليقيم الحجة عليهم، ولم يشأ سبحانه وتعالى أن يعجل العقوبة الماحية المستأصلة، لهم كما حدث للأمم السابقة، بل شاء الله أن يعاقبهم بالعقوبات التي لا تستأصلهم، فقد أنزل الملائكة في بدر وغيرها من معارك الرسول خزيا للكفار، ونصرا للرسول والمؤمنين.

وأما الآية ٩٧ من سورة البقرة فهي نص صريح في أن جبريل عليه السلام هو الذي أنزل القرآن على رسول الله ﷺ ، قال تعالى: {قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين} وهذا رد على اليهود الذين كرهوا جبريل، وأنه ينزل بحركهم وهلاكهم ، فأخبرهم الله أن هذا الملاك هو ملاك الرب، وأنه هو الذي أنزل القرآن على قلب محمد ﷺ ، وقد وصف الله جبريل في القرآن بأنه روح القدس؛

أي الروح المقدسة، كما قال سبحانه وتعالى: {قل نزله روح القدس من ربك بالحق}. وقد قدمنا معنى روح القدس .

## المطلب التاسع والعشرون :

السؤال السادس هو: هناك آراء متضاربة في كيفية خلق الإنسان؛ فالسورة: [الفرقان: ٥٤]، {وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا} يذكر بها أن الإنسان خلق من ماء، وسورة [يس: ٧٧] وهي قوله {أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين} ؛ ذكر بها أنه خلق من نطفة، وسورة [ص: ٧١] : {إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ؛ ذكر بها أنه خلق من طين ، على الرغم من أن سجلات الحفريات لا تساند نظرية التطور.

والجواب (١) : أن الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه الكريم- الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه- أنه بدأ خلق الإنسان بخلق أبي البشر آدم الذي خلقه من التراب، الذي أصبح طينا يعجنه بالماء، ثم حمأ مسنونا، أي طينا مخمرا، ثم سواه الله بأن خلقه بيديه سبحانه، ثم أصبح آدم وهو في صورته الطينية صلصالا كالفخار، وهو الطين إذا يبس وجف، ثم نفخ الله فيه الروح فأصبح بشرا حيا، ثم أمر الملائكة بالسجود له بعد أن أصبح كذلك ، ثم خلق الله من أحد أضلاعه زوجته حواء- كما جاء ذلك في الحديث النبوي - فهي أنثى مخلوقة من عظام زوجها. والله يخلق ما يشاء مما يشاء كيف يشاء، ثم لما عصى آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله أن يأكل منها، أهبطه الله إلى الأرض ، ثم جعل الله تناسل آدم من اجتماع ماء الرجل وماء المرأة، والعرب تسمي المني الذي يقذفه الرجل في رحم الأنثى ماء، وسماه الله في القرآن {ماء مهينا} . وكل ذلك موجود في القرآن الكريم. وهذا المسكين ظن أن هذه آراء متعارضة، وظن أن كل ذلك آراء متعارضة، ولم يفهم أن خلق آدم لم يكن كخلق حواء فأدم خلق من الطين، وحواء خلقت من ضلع آدم، وأن كل إنسان خلق من أنثى وذكر من ماء مهين، وأن عيسى عليه السلام خلق من أنثى بلا ذكر، كما قال سبحانه وتعالى عن عيسى: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون} [آل عمران:] .

(١) - (معرفة تأويل المتشابه، د. عبد الله أبو السعود (ص: ٨٨) . وتم الرد مفصلا على هذه الشبهة بدلائل أخرى في مكان آخر فلتنظر .

وكان تنوع خلق البشر على هذه الصور؛ ليبين الله لعباده قدرته الكاملة، فهو يخلق ما يشاء مما يشاء كيف يشاء، وقد خلق الإنسان الأول آدم من طين من غير أنثى أو ذكر، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من اجتماع الذكر والأنثى، فسبحان من له القدرة الكاملة، والمشيمة النافذة، وهذا كله يدل على الخلق المستقل للإنسان، وأنه لا ينتمي إلى حيوانات هذه الأرض، فالتطور - إن كان حقا - فهو إنما يكون في حيوانات وأحياء هذه الأرض فقط، وأما الإنسان فإنه خلق خلقا مستقلا في السماء، وإن كان الله قد خلقه من طين هذه الأرض، وهذا هو الذي يؤيده العلم والنظر في الكون .

**الطائفة الثالثة :** محاضرة عن تناقض القرآن ألقاها نصراني ، ولم يذكر اسمه ولا مكان إلقائها وسجلت على شريط صوتي وكتب عليه: (تهادوا تحابوا) (الدال على الخير كفاعله) (الكلمة الطيبة صدقة) تلبسا على عوام المسلمين حتى يروج بينهم، ولم يذكر فيه اسمه ولا مكان إلقائها، وذكر فيه سبعة عشر شبهة، ومعظمها ذكرت سابقا، وابتعادا عن التكرار فسأذكر ما لم يقله أصحاب الرسائل السابقة:

**المطلب الثلاثون :** الشبهة الأولى: قال: مرة يقول محمد إن الجنة لليهود والنصارى والصابئين والمسلمين، ومرة يقول للمسلمين فقط: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين<sup>(١)</sup> من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} [البقرة: ٦٢] ، ويقول: {ومن يبتغ غير الإسلام ديننا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} [آل عمران: ٨٥] .  
-الجواب<sup>(٢)</sup>:

إن آية البقرة تتكلم عن اليهود والنصارى والصابئين قبل بعثة النبي ﷺ ، فكل من آمن بنبيه وأطاعه فله الجنة، وأما بعد بعثة النبي ﷺ فقد نسخت شريعته الشرائع ونسخ دينه الأديان، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فهذا معنى الآية الأخرى، ويؤيد ذلك ما أخرجه

(١) - الصابئون كما قال (وهب بن منبه: الذي يعرف الله وحده وليست له شريعة يعمل بها ولم يحدث كفرا. وقال عبد الله بن وهب: قال عبد الرحمن بن زيد الصابئون أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون: لا إله إلا الله. وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله، قال: ولم يؤمنوا برسول ، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: هؤلاء الصابئون. يشبهوهم بهم يعني في قولهم: لا إله إلا الله) (تفسير ابن كثير (١٠٤/١) ورححه الإمام ابن كثير -رحمه الله-.

(٢) - راجع الرد على النصراني في مطاعن على القرآن، لمحمد عبد المنعم (ص: ٤٦) ، دار الشاطبي، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

(ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قال سلمان رضي الله عنه: سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت، معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم فنزلت {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر} الآية وقال السدي {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا} الآية نزلت في أصحاب سلمان الفارسي، بينا هو يحدث النبي ﷺ إذ ذكر أصحابه فأخبره خبرهم ، فقال: كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك، ويشهدون أنك ستبعث نبيا. فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبي الله (: «يا سلمان من أهل النار» فاشتد ذلك على سلمان ، فأنزل الله هذه الآية ،فكان إيمان اليهود أنه من تمسك بالتوراة، وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى فلما جاء عيسى، كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها، ولم يتبع عيسى كان هالكا، وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم، وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منه حتى جاء محمد ﷺ فمن لم يتبع محمدا (منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل، كان هالكا.

قال ابن كثير: هذا لا ينافي ما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر} - قال: فأنزل الله بعد ذلك: {ومن يتبع غير الإسلام دين فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} فإن هذا الذي قاله ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملا، إلا ما كان موافقا لشريعة محمد ﷺ بعد أن بعثه به، فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه، فهو على هدى وسبيل ونجاة؛ فاليهود أتباع موسى عليه السلام والذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم، فلما بعث عيسى (وجب على بني إسرائيل اتباعه والانقياد له ،فأصحابه وأهل دينه هم النصارى، فلما بعث الله محمدا خاتما للنبيين، ورسولا إلى بني آدم على الإطلاق ،وجب عليهم تصديقه فيما أخبر ،وطاعته فيما أمر والانكفاف عما عنه زجر وهؤلاء هم المؤمنون حقا)(<sup>١</sup>) ، ومن النصوص الصريحة في هذا الباب حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»(<sup>٢</sup>).

(<sup>١</sup>) - (ابن كثير (١٠٣/١) بتصرف.

(<sup>٢</sup>) - (مسلم رقم ١٥٣)

**المطلب الحادي والثلاثون :** قال: مرة نهى عن الفحشاء ومرة أمر بها، تناقض

فظيع جدا، قال في الأعراف: {وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون} [الأعراف: ٢٨] ، وقال في الإسراء: {وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ...} [الإسراء: ١٦] .  
الجواب: من عدة أوجه:

١- الأمر يطلق في الشرع ويراد به الأمر الشرعي، والأمر الكوني، والفرق بينهما، أن الأمر الشرعي لا يكون إلا فيما يجب سبحانه لكنه لا يلزم أن يتحقق، فالله تعالى يأمر بتطبيق شرعه، وهو يجب ذلك، لكن الكثير من الدول لم تفعل، والأمر الكوني يكون فيما يجب وما لا يجب، ولكنه لازم الوقوع؛ فالشيطان مخلوق بأمر الله، لكن الله تعالى لا يجبه، فالله لا يأمر بالفحشاء شرعا، لكنها تقع كونا، فإنه لا يقع شيء في هذا الكون إلا بأمر الله ومشيئته، ومن هذا الباب معنى آية الإسراء، فإذا قضى الله على قرية بالهلاك ، فإنما كان هذا لانتشار الفسق والفحشاء والفجور فيها.

٢- ولو سلمنا أن المراد هو الأمر الشرعي، فيكون هناك محذوف، والتقدير، أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها، يعني فخرجوا عن طاعة الله.

٣- القراءة الأخرى تبين معنى آخر وهي (أمرنا) أي جعلناهم أمراء، فأضلوا قومهم.

٤- أمر في اللغة تأتي بمعنى كثر وظهر عن عبد الله بن مسعود قال: كنا نقول للحي إذا كثروا في الجاهلية أمر بنو فلان(١) ، ومنه حديث أبي سفيان الطويل مع هرقل وفيه قال أبو سفيان: (لقد أمر أمر ابن أبي كبشة؛ إنه يخافه ملك بني الأصفر) .

إذن معنى الآية أن كثرة المترفين الفاسقين في بلد وظهورهم نذير عذاب.

قال ابن كثير: (اختلف القراء في قراءة قوله (أمرنا) فالمشهور قراءة التخفيف واختلف المفسرون في معناها؛ فقيل: معناه أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمرا قدريا، كقوله تعالى: {أتاها أمرنا ليلا أو نهارا} لأن الله لا يأمر بالفحشاء ، وقيل: معناه أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة. رواه ابن جريج عن ابن عباس وقاله سعيد بن جبير أيضا،

وقال ابن جرير: يحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء. قلت: إنما يجيء هذا على قراءة من قرأ (أمرنا مترفيها) قال علي بن طلحة: عن ابن عباس قوله: (أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) (يقول: سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكهم الله بالعذاب، وهو قوله: } وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها { الآية. وكذا قال أبو العالية، ومجاهد، والربيع بن أنس. وقال العوفي عن ابن عباس: { وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها } يقول: أكثرنا عددهم. وكذا قال عكرمة، والحسن، والضحاك، وقتادة وعن مالك عن الزهري { أمرنا مترفيها } (أكثرنا) (١).

**المطلب الثاني والثلاثون : قال النصراني في الشريط المسجل: (مرة ينهى عن النفاق ومرات أخرى يقر النفاق) ، فنهى عن النفاق في سورة النساء يقول: { بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩) } [النساء: ١٣٨-١٣٩] ، وأقر النفاق في النحل بقوله: { من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم } [النحل: ١٠٦] ، يعني في تصريح لكل إنسان أن يكذب إذا وقع في الأسر أو في أي مأزق، هذه نزلت في عمار بن ياسر الذي اعترف بالأصنام وكفر بالله وبمحمد، وقال: إن الذي ينكر الله وينافق الكافرين، وهو تحت الإكراه محلل له وليس عليه أي ذنب أو عقوبة، حاشا لله أن ينكر الإنسان إيمانه تحت الضغظ والإكراه) أهـ.**

-الجواب:

الذي يظهر أن هذا النصراني يريد الاعتراض مجرد الاعتراض والطعن، وإلا فالآيتان مختلفتان تماما كل واحدة منهما تتكلم عن أمر مستقل؛ فالآية الأولى تتكلم عن النفاق، وهو إبطان الكفر وإظهار الإسلام، والآية الثانية تتكلم عن المكره على الكفر، أي إبطان الإسلام وإظهار الكفر، وشتان بين المعنيين، فإبطان الكفر وإظهار الإيمان لا يجوز في ملة من الملل؛ لأنه كذب وتزوير وغش وهذا كله محرم عقلا، وأما إبطان الإيمان وإظهار الكفر في حال الإكراه الملجئ، من باب الحفظ على نفس المسلم، فهذا من محاسن شريعة الإسلام، ولا

(١) - (ابن كثير (٣٢/٣) . وهذه الشبهة تم الرد عليها في مكانين منفصلين بتفصيل أكبر في هذا الكتاب فلتنظر .

أدري هل يزعم هو أن دين النصارى لا يجوز فيه إظهار الكفر للضرورة؟ قال تعالى: {وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون} [البقرة: ١١٣] . والذي نراه الآن هو أن النصارى تؤيد اليهود تأييدا كاملا وتبرئهم من دم المسيح، بل وغيروا اسم كتابهم ليوافق اسم كتاب اليهود فسموا الإنجيل العهد الجديد، والتوراة العهد القديم، فهم - بالجملة- يظهرون لهم التأييد، ويبطنون لهم البغض، ويرون أنهم ليسوا على شيء.

**المطلب الثالث والثلاثون :** وقال: مرة حرم الخمر في الدنيا ومرة حلل الخمر في الآخرة، قال في المائدة: {يأياها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون} [المائدة: ٩٠] ، وقال في المطففين: {يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون} [المطففين: ٢٦، ٢٥] . -الجواب:

١- أحوال الآخرة تختلف عن أحوال الدنيا، فقد يجوز هناك ما يحرم هنا، ثم إن في الآخرة لا يوجد تكاليف، بل تسقط كل التكاليف، بل هي نعيم أبدي.

٢- خمر الآخرة تختلف عن خمر الدنيا، فهي خالية من المنغصات والآفات التي في خمر الدنيا، فقال تعالى: {بأكواب وأباريق وكأس من معين (١٨) لا يصدعون عنها ولا ينزفون} [الواقعة: ١٨، ١٩] ، وقال: {وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون (٢٢) يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم} [الطور: ٢٢، ٢٣] وقال: { ... وأنهار من خمر لذة للشاربين ... } .

فخمر الدنيا:

١- طعمه غير لذيذ ٢- وتحدث لمن شربها الصداع ٣- وتذهب بعقله ٤- ويكثر عندها اللغو واللغظ، بل لا تحلو إلا بكثرة اللغو ٥- وتوقع الإنسان في الآثام العظام من دخول تحت اللعنة وارتكاب للمحظورات، فلا يمتنع عن شيء منها، وكيف يمتنع وهو لا عقل له.

فهذه خمسة منغصات لخمير الدنيا نفاها الله عن خمير الآخرة، فالطعم لذة للشاربين، وهم لا يصدعون عنها ولا ينزفون؛ أي لا تذهب عقولهم ولا لغو عندها ولا أثم فيها. وقال تعالى: {يطاف عليهم بكأس من معين (٤٥) بيضاء لذة للشاربين (٤٦) لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون} [الصفات: ٤٥-٤٧] ، وهذا الكأس من خمير الجنة، والمعين: الجاري الكثير، (١) ولون هذه الخمر بيضاء أي حسنة المنظر، وهي ذات (لذة) ، والغول صداع في الرأس وقيل وجع في البطن وهي ليس فيها هذا ولا هذا، (ينزفون) أي لا يسكرون منها ، فلا تذهب عقولهم، وتبقى لذتها.

لذلك من أثر خمير الدنيا على خمير الآخرة، فحري أن يحرمه، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من شرب الخمر في الدنيا، لم يشرها في الآخرة إلا أن يتوب» (متفق عليه) .

**المطلب الرابع والثلاثون : وقال: مرة يقول فرعون نجا، ومرة يقول فرعون غرق:**

قال في يونس: {فاليوم ننحيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون} [يونس: ٩٢] ، وقال في الإسراء: {فأراد أن يستفزه من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا} [الإسراء: ١٠٣]

-الجواب:

وهذا ليس تناقضا كما هو واضح، بل فرعون مات غرقا، لكن الله تعالى أخرج جثته للناس لتكون لهم آية، وهذا مما لا يتوقع المرء أن يقع فيه أي لبس، ولكن هو الهوى الذي يلقي صاحبه في الهاوي، ولا بأس أن ننقل بعض النقول عن السلف حتى يطمأن القلب: قال ابن عباس وغيره من السلف: إن بعض بني إسرائيل شكوا في موت فرعون، فأمر الله تعالى البحر أن يلقى بجسده سويا بلا روح، وعليه درعه المعروفة على نجوة من الأرض - وهو المكان المرتفع- ليتحققوا موته وهلاكه؛ ولهذا قال تعالى {فاليوم ننحيك} أي نرفعك على نشز من الأرض {ببدنك} قال مجاهد: بجسدك. وقال الحسن: بجسم لا روح فيه. وقال عبد الله بن شداد: سويا صحيحا؛ أي لم يتمزق ليتحققوه ويعرفوه. وقال أبو صخر: بدرعك. وكل هذه الأقوال لا منافاة بينها كما تقدم والله أعلم، وقوله: {لتكون لمن خلفك آية} أي لتكون لبني إسرائيل دليلا على موتك وهلاكك وأن الله هو القادر الذي ناصية كل دابة

(١) - (التسهيل لابن جزئ (٢/٢٣٥)) مرجع سابق ، تم الرد في مكان آخر على هذه الشبهة بشكل آخر .

بيده، وأنه لا يقوم لغضبه شيء) (١).

**المطلب الخامس والثلاثون :** وقال: مرة يقول: إن الأرض خلقت قبل السماء. ومرات يقول: إن السماء خلقت قبل الأرض؛ قال في البقرة: {هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم} [البقرة: ٢٩] ، وقال في النازعات: {أنتم أشد خلقا أم السماء بناها (\*) رفع سمكها فسواها (\*) وأغطش ليلها وأخرج ضحاها (\*) والأرض بعد ذلك دحائها (\*) أخرج منها ماءها ومرعها { [النازعات: ٢٧-٣٠] .  
الجواب:

هناك فرق بين الخلق والدحي، فخلق الأرض كان قبل السماء، ثم خلقت السماء، ثم دحيت الأرض، والدحي - على رأي ابن عباس وجماعة من السلف - هو إخراج الماء والمرعى، يعني أن الله تعالى خلق الأرض ككوكب، ثم خلق السماء وبقيت الأجرام، فلما انتهى من ذلك، بدأ يهيئ الأرض لأن تكون دار حياة للناس، فجعل فيها الماء والطعام (المرعى) (٢)، ومثل هذا كمثل رجل بنى بيتا من دورين ، فبنى الدور الأول ثم بنى الثاني، ثم رجع إلى الأول ليكمل مرافقه ويمدد أسلاك الكهرباء فيه ، وغير ذلك من مستلزمات العيش، فهو بنى الدور الأول، ثم الدور الثاني ، ثم رجع للأول ليهيئه للسكنى. وهذا الاعتراض عرض على بعض الصحابة ، كابن عباس وغيره ، وأجاب عنه ، وذكره ابن النغيلة اليهودي ، ورد عليه ابن حزم في القرن الرابع (٣).

### المطلب السادس والثلاثون :

وقال: في سورة يونس: {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين} [يونس: ٩٤] .  
إذن محمد كان شاكاً في الوحي الذي كان يأتيه وكان مرتاباً، وهذه دعوة له أن يرجع إلى الكتاب المقدس.

الجواب: ولا زالت سلسلة الجهل باللغة مستمرة، ويوضح ذلك ما يلي:

(١) - (ابن كثير (٤٣١/٢) ، تم الرد على هذه الشبهة في مكان آخر فلننظر .

(٢) - (فتح القدير للشوكاني (٣٧٤/٥) .

(٣) - (انظر كتاب الرد على ابن النغيلة اليهودي، لابن حزم (ص: ٥١) ، ومع هذا لا زال يردد إلى الآن.

١- أسلوب الشرط من أساليب اللغة العربية، وله أدوات كثيرة منها (إن) (١) وهي حرف وجود لوجود، فمثلا لو قلت لك: إن كنت في البيت اتصل بي، أو إن كان عندك كتاب الألفية لابن مالك فأعطني، فهذا الأسلوب لا يستلزم أني في البيت أو أن الكتاب عندي. فكذا هنا، لا يستلزم من هذا الأسلوب أن الرسول ﷺ شك، كما فهم النصراني، لذلك ورد عن النبي ﷺ أنه قال «لا أشك ولا أسأل» .

٢- وقيل: إن هذا الخطاب للأمة، كما ورد في مواضع من القرآن ، كقوله: {يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ... } [الطلاق: ١] وغيره كثير. (٢)

٣- وذهب ابن حزم إلى أن (إن) هنا بمعنى (ما) أي: فما كنت في شك مما أنزلنا إليك، كقوله تعالى: {إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون} [الأعراف: ١٨٨] وقوله: {إن نحن إلا بشر مثلكم} [إبراهيم: ١١] ، قال: (لأن من المحال العظيم الذي لا يتمثل في فهم من له مسكة، أن يكون إنسان يدعو إلى دين يقاتل عليه، وينازع فيه أهل الأرض، ويدين به أهل البلاد العظيمة، ثم يقول لهم: إني في شك مما أقاتلكم عليه أيها المخالفون، ولست على يقين مما أدعوكم إليه وأحققه لكم أيها التابعون، إلى مثل هذا السخف الذي لا يتصور إلا في دماغ هذا المجنون الجاهل (ابن النغيلة)) (٣).

ثم إن معنى الآية: أن من أدلة صدق نبوتك يا محمد أن أهل الكتاب يعرفون ذلك، فاسألهم حتى يطمأن قلبك. وليس معناها ترك دينك واتبع أهل الكتاب كما زعم النصراني. إلى غير ذلك من الطعون الباردة الساذجة، التي يوردها المغرضون، وما هي إلا كبيت العنكبوت، أو كالزبد الذي يعلو على الماء ثم يموت. (٤)

(١) - (مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام (٢٩/١)) و (فتح القدير للشوكاني (٤٨٩/٢))

(٢) - (فتح القدير (٤٨٧/٢))

(٣) - (الرد على ابن النغيلة اليهودي (ص: ٦٠))

(٤) - (الكتاب: دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ص ٣٣١)

## الخاتمة

١ - هذه الأباطيل والطعون المثارة عن القرآن تشهد -بضعفها - لهذا القرآن أنه كتاب الله الذي أعجز الطاعنين مع حرصهم على الكيد وتصيد النقائص فيه. وأنها تكشف عن جهل فاضح لقائلها بلغة العرب ومعاني النصوص القرآنية، ولعلها تكشف أيضا عن تدليس وتلبيس ومجانبة للموضوعية العلمية. وهم لو أنصفوا لعلموا براءة القرآن من أباطيلهم، ولو أعادوا النظر في كتبهم لوجدوها تطفح برزايا ثابتة واضحة من جنس ما ادعوه زورا على القرآن الكريم، وكان الأولى بهم أن يعتذروا للقرآن بما اعتذروا فيه لكتبهم. كما أنها قديمة ما فتئ المستشرقون يرددونها بجهل أو خبث، وأن هذه الهجمة الجديدة ما هي إلا صدى للهجمة الاستشراقية وهي صدى للجدل النصراني الإسلامي القديم ونفس الشبهات تعاد بأسلوب جدي معاصر. إنهم يرددون الطاعنون يرددون الطعونات ويتناقلوها ، ويتواصون بها ، ويأخذها الرجل ، عن الآخر ثم يعيد صياغتها مرة أخرى ، معرضين عن أجوبة العلماء عليها ، وضارين بعرض الحائط تنفيذ العلماء لها، وهذه علامة أهل الأهواء، وصدق الله إذ يقول: { ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك. } [فصلت: ٤٣] (١).

٢ - لا يألو أعداء الله جهدا في الطعن في هذا الدين، واستخدام كل الطرق لتنفير الناس منه، ولو كان في غاية من الخسة ، والدناءة، كما فعل لبيد بن الأعصم عندما سحر النبي ﷺ . ومن المفارقات العجيبة أن يكون هؤلاء المتطفلون على ديننا ، الطاعنون في كتاب ربنا، مرجعا لكثير من الكتاب الإسلاميين، وكأن الأمة الإسلامية عقت، ولا يشهر بها إلا نخبة الظلام. كما يجب التنبه والحذر من الأشخاص الذين يثني عليهم الطاعنون، فإنهم لا يفعلون ذلك إلا لمعرفة بقرب طريقتهم من طريقتهم، وليروجوا أسماءهم على البسطاء فيستمعوا لهم ويأخذوا

(١) - منقذ السقار تنزيه القرآن ص (٣٠١) وعبد المحسن المطيري دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ص (٣٩٧)

عنهم.

٣- أكثر المستشرقين ليس فيهم من الاعتدال شيء ولا من الإنصاف، وخطه الغرب في إشغال الشرق بنفسه والتسبب في تضعع أحواله الثقافية وغيرها يجب ألا تجعل الباحثين في موقف الدفاع فحسب بل عليهم أن يشنوا الغارة على الغرب في عقائده الزائفة ومدنيته الجائرة وسياساته الاستعمارية المتسلطة ومفاهيمه الأخلاقية المنحرفة ، ودعم المستشرقين المسلمين الصالحين ماديا ومعنويا وتنشيط نشر كتبهم وعقد مؤتمرات تخصهم وتخص حركتهم الفكرية (١).

٤- بعد انتشار موضوع الإعجاز العلمي في القرآن في كافة مواضيع الحياة والكون والإنسان ظهر نوع من الطعون الجديدة في هذا العصر وهي تعارض القرآن مع العلوم التجريبية والعلمية الحديثة، بغيا من عند أنفسهم ، لم يظهر هذا النوع إلا في هذا الزمن، بعد الاكتشافات العصرية الجديدة. انصح وارجوا من لديه خبرة علمية وقرآنية أن يتتبع تلك الشبهات في مواقع وكتب الإخوة النصارى والملحدون وتجميعها ثم أن يكر عليها نقضا علميا متساوقا مع منطوق ومفهوم القرآن .

٥- الطاعنون العلمانيون، لم يكن طعنهم في القرآن مباشرا، وأما المستشرقون فقد كانوا يطعنون طعنا مباشرا في القرآن؛ لأنهم يعلمون خطورته في إذكاء روح التحدي في الأمة، وأما تلاميذهم من العلمانيين فقد كانوا أكثر ذكاء في الطعن ، فهم يعلمون مكانة القرآن في نفوس المسلمين ، ومدى إتقانه وإحكامه ، فالطعن فيه مزلة مدحضة مسقطه للسمعة من أول الأمر، لذلك فقد كانت طعونهم تحوم حول الحمى.

٦- إن جهل المسلمين بلغة العرب اليوم، وجهلهم بعلوم القرآن وتفسيره سبب رئيس لتحول هذه الأباطيل إلى شبهات تشتبه على عوام المسلمين، فالواجب على المسلم أن يتحصن من هذه الشبهات بمعرفة دينه والإلمام بعلومه إذا لم يقدر على

(١) - وحي الله حقائقه وخصائصه ، د.حسن العتر ص ٢٢٥ ط ١ . بتصرف .

التمكن منها. وليعلم أن قوة الإيمان سبب في دفع الشبهة، وأن مرض القلب وضعف الإيمان سبب في استحكامها، وقد قال ابن القيم: "القلب إذا كان فيه مرض آذاه أدنى شيء من الشبهة أو الشهوة، حيث لا يقوى على دفعهما إذا وردا عليه، والقلب الصحيح القوي يطرقه أضعاف ذلك، وهو يدفعه بقوته وصحته، وبالجملة فإذا حصل للمريض مثل سبب مرضه زاد مرضه وضعفت قوته وترامى إلى التلف؛ ما لم يتدارك ذلك بأن يحصل له ما يقوى قوته ويزيل مرضه" (١). والواجب على المسلم إذا لم ينل من العلم ما يحصنه من الشبهات أن يفارق مجالسها وأن لا يصغي إلى قائلها، فالاستماع إليهم مع قلة البضاعة وضعف اليقين سبب في استحكام الشبهة واضطراب الجنان لها، والوقوع في براثن الشيطان وموارد الهلاك.

٧- التوصية بتحقيق كتاب الرازي في التفسير "مفاتيح الغيب"، والرد على جميع ما يورده من الطعون، لأنه يورد الطعون بقوة ويجيب عليها - في الغالب - بضعف (٢) ، أو كما قيل: يورد الطعن بنقد ويجيب بنسيئة، ثم يطبع كتاب "مفاتيح الغيب" طبعة جديدة مع وضع جميع هذه الردود في الحاشية عند كل تطعن، كما هو الحال في تفسير الزمخشري (الكشاف) حيث طبع مع رد ابن المنير الإسكندراني.

٨- وأخيرا نقول لمن حاول الطعن في كتاب الله ، أو في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، أو في شيء من دين الله: اعلم أنك بفعلك هذا قد جنيت على نفسك ، وأوديت بها إلى مهاوي الردى ، واعلم أن "هذا الدين متين" (٣) "ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه" (٤) ، فأشفق على نفسك

يا ناطح الجبل الأشم برأسه ... أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

(١) - ابن القيم ، إغاثة اللهفان (١ / ١٨). الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .

(٢) - انظر المدخل إلى علم التفسير، أ. د. بلتاجي (ص: ٢٢٢) مرجع سابق .

(٣) - أخرجه الإمام أحمد في المسند عن أنس (٢٧٣١٨) حسنه الألباني

(٤) - أخرجه البخاري عن أبي هريرة (كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم: ٣٩)

وإنما مثل هؤلاء الطاعنين كوعل غره قرناه، فرأى ذات يوم صخرة ضخمة راسية  
شامخة ، فأراد أن يريها قوة قرنيه فنطحها بكل ما عنده من قوة ، فتحطم قرناه  
وتفتتا، وأما الصخرة فما أحست من ذلك بشيء ،  
قال الشاعر: كناطح صخرة يوما ليوهنها ..... فلم يضرها وأوهى رأسه الوعل  
فالإسلام كالبحر الخضم ، لا يضره من ألقى فيه بحجارة محاولا إيذاءه  
وما يضر البحر أمسى راسيا ..... إذا رمى إليه صبي بحجر  
وهكذا الدين دائما يخرج منتصرا، جعلنا الله - تعالى- من أنصاره، وحسبنا الله  
ونعم الوكيل. (١)

---

(١) - دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ، عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت -  
لبنان ص ٣٩٩-٤٠١

## فهرس المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: تفاسير القرآن وعلومه المنشورة على المكتبة الشاملة مراجع أساسية لهذه الدراسة .

ثانياً: كتب السنة ودواوينها وتفسيرها المنشورة على المكتبة الشاملة مراجع أساسية لهذه الدراسة

ثانياً: كتب العهد القديم والجديد وتفسيره وقواميسه .

ثالثاً: كتب عامة:-

- ١- "أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحين في الإسلام": عبد الرحمن الجزيري. (الطبعة الأولى (١٣٥٣هـ-١٩٣٤م)).
- ٢- "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن": محمد الأمين بن محمد المختار. (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان) الطبعة: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
- ٣- "إظهار الحق": رحمت الله بن خليل الهندي. (تحقيق عمر الدسوقي). (المكتبة العصرية في بيروت)
- ٤- "إعجاز القرآن العلمي": محمود مهدي الاستانبولي. (الطبعة الثانية مكتبة السوادى للتوزيع - جدة)
- ٥- "الإنجيل والصليب": عبد الأحد دواود. (تعريب مسلم عراقي) (القاهرة، ١٣٥٠هـ).
- ٦- "بماذا يؤمن المسيحيون": جورجيا هاركنس (ترجمة إسحاق مسعد القاهرة). (دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية) .
- ٧- "تأويل مشكل القرآن": عبد الله بن مسلم ابن قتيبة. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، المحقق: إبراهيم شمس الدين ، بدون تاريخ طبع .
- ٨- "تفسير انجيل متى": مجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس: (مكتبة النيل المسيحية)
- ٩- "تفسير القرآن العظيم": إسماعيل بن كثير القرشي. (المحقق: سامي بن محمد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، ٨ أجزاء)
- ١٠- "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان": عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م) .
- ١١- "جامع البيان عن تأويل آي القرآن": محمد بن جرير الطبري. (الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، المحقق: أحمد محمد شاكر) .
- ١٢- "جامع الدروس العربية": مصطفى الغلاييني. (الطبعة الثامنة عشرة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .

١٣- "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح": أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تیمیة. (تحقیق وتعلیق د. علي بن حسين ناصر ود. عبد العزيز العسكر ود. حمدان الحمدان. الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م).

١٤- "ديوان امرئ القيس": دار بيروت للطباعة والنشر (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).

١٥- "الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله: أحمد بن محمد بن حنبل. قام بتصحيحه والتعليق عليه: إسماعيل الأنصاري، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والأفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

١٦- "رسالة راهب فرنسا للمسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها: دراسة وتحقيق: د. محمد عبد الله الشرقاوي. طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

١٧- "رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي يدعوه إلى الإسلام ورسالة عبد المسيح إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية. طبع مصر عام (١٨٩٥م).

١٨- "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني": محمود الألوسي. (المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ).

١٩- "السيرة النبوية": عبد الملك بن هشام الحميري. (تحقيق مصطفى السقا وآخرون مؤسسة علوم القرآن.

٢٠- "شرح المعلقات العشر": الحسين بن أحمد الزوزني. (طبعة عام ١٩٨٣م) دار مكتبة الحياة. بيروت.

٢١- "الصاحبي": أحمد بن فارس. (تحقيق السيد أحمد صقر) (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢٢- "صحيح أبي عبد الله البخاري": محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري. تحقيق وتعليق: محمد النواوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد خفاجي. - ثلاثة مجلدات، تسعة أجزاء. الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م). الناشران: مكتبة النهضة الحديثة مكة، ومكتبة الرياض الحديثة - الرياض.

٢٣- "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية": محمد طاهر التنير - بيروت - ١٣٣٠هـ.

٢٤- "فتح الباري بشرح صحيح البخاري": أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز وآخرون دار المعرفة "بيروت".

٢٥- "القاموس الموجز للكتاب المقدس": حنا الله جرجس ووهيب مالك طبع مكتبة كنيسة الأخوة - مصر - عام ١٩٨٣م.

٢٦- "القرآن والمبشرون" الطبعة الثانية: محمد عزة دروزة (١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م).

٢٧- "المسيحية" أحمد شلبي ط (٧) القاهرة مكتبة النهضة المصرية (١٩٨٣م).

- ٢٨- "معالم حضارات الشرق الأدنى القديم" محمد عصفور، لبنان دار النهضة ١٩٨١م.
- ٢٩- "مغني اللبيب عن كتب الأعراب": عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.
- ٣٠- "المفضليات": المفضل بن محمد الضبي: تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة السابقة، دار المعارف "مصر".
- ٣١- "من معجزات النبي ﷺ" عبد العزيز السلطان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- ٣٢- "النحو الوافي" عباس حسن، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر.
- ٣٣- "نزول عيسى بن مريم آخر الزمان": جلال الدين السيوطي: دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا. ط (١) دار الكتب العلمية بيروت.
- ٣٤- "نصرانية عيسى عليه السلام ونصرانية بولس" دراسة مقارنة من خلال أسفار العهد الجديد: علي عتيق الحربي بحث ماجستير عام ١٤٠٧هـ.
- ٣٥- إبراهيم الجبهان، ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض ١٤٠٤هـ.
- ٣٦- إبراهيم خليل أحمد، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، مكتبة الوعي العربي، القاهرة ١٩٦٤م.
- ٣٧- إبراهيم موسى هندراوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣م.
- ٣٨- أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي، لندن ١٤١١هـ.
- ٣٩- إدوارد سعيد، الاستشراق، ص ٣٠٠، بترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت ط٢: ١٩٨٤م.
- ٤٠- ارنست رينان، ابن رشد والرشدية، عادل زعيتر، القاهرة ١٩٥٧م.
- ٤١- إسماعيل سالم عبد العالم، المستشرقون والقرآن، سلسلة دعوة الحق. عن رابطة العالم الإسلامي، العدد ١٠٤، مكة المكرمة ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م.
- ٤٢- أعراب عبد الحميد، دائرة المعارف الإسلامية، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي الرياض (٢٢. ٢٥ رجب ١٤٢٠هـ، ٣١ أكتوبر. ٣ نوفمبر ١٩٩٩م).
- ٤٣- أ. ل شاتيله، الغارة على العالم الإسلامي، نشر محب الدين الخطيب. بيروت، د. ت.
- ٤٤- أنيس فريجة، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران. بترجمة إبراهيم مطر. بيروت ١٩٥٧م.
- ٤٥- بابا دو بولس، تاريخ كنيسة أنطاكية، منشورات النور، بيروت ١٩٨٤م.
- ٤٦- البيجوري، تحفة المرید في شرح جوهرة التوحيد، دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٨٣م.

- ٤٧ - التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي (الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلورادو التبشيري) ، دون بيانات.
- ٤٨ - توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية.
- ٤٩ - ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطبعة المدني، مصر، بدون ترقيم.
- ٥٠ - تيودور أبو قرّة، ميمر في وجود الخالق والدين القويم، بتحقيق: اغناطيوس ديك. بيروت ١٩٨٢م.
- ٥١ - جلال العالم، دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، مكتبة الصحابة جدة. مكتبة التابعين، القاهرة. ١٩٩٤م.
- ٥٢ - جواد علي، يوحنا الدمشقي، مجلة الرسالة (مصر) ، (عدد ٦١٠) ، والعدد (٦١٢) ربيع الآخر ١٣٦٤هـ. مارس ١٩٤٥م.
- ٥٣ - جورج عطية، الجدل الديني المسيحي . الإسلامي في العصر الأموي وأثره في نشوء علم الكلام، كتاب المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام . جامعة اليرموك. عمّان ١٩٨٩م.
- ٥٤ - جوستاف لوبون، حضارة العرب، بترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٦٩م.
- ٥٥ - جولد تسهر، مذاهب التفسير الإسلامي، بترجمة عبد الحلیم النجار، القاهرة ١٩٥٥م.
- العقيدة والشريعة في الإسلام، بترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة ١٩٤٨م.
- ٥٦ - جيمس فريزر، الفلكلور في العهد القديم، بترجمة نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.
- ٥٧ - حسن حنفي، نماذج من الفلسفة المسيحية، الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٨٨م.
- ٥٨ - حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي للقرآن، مكتبة الإيمان، ط١، مصر ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.
- ٥٩ - حسين علي محمد، القرآن ونظرية الفن، القاهرة ١٤١٣هـ. ١٩٩٢م.
- ٦٠ - دانييل ساهاس، جدل يوحنا الدمشقي مع الإسلام، مجلة الاجتهاد بيروت، عدد (٢٨) السنة السابعة (١٤١٦هـ. ١٩٩٥م) .
- ٦١ - رشا الصباح، الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى، مجلة عالم الفكر، عدد (٣) المجلد الخامس عشر. وزارة الإعلام، الكويت.
- ٦٢ - رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية، سلسلة عالم المعرفة العدد (١٠٢) . وزارة الإعلام بالكويت.
- ٦٣ - رشيد رضا، الوحي المحمدي، المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٩١هـ. ١٩٧١م.
- ٦٤ - روم لاندو، الإسلام والعرب، بترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م.

- ٦٥ - زينون كاسيدوفسكي، الحقيقة والأسطورة في التوراة، الأجدية للنشر. دمشق ١٩٩٠م.
- ٦٦ - سعد العتيبي، نفوذ اليهود في عهد المغول الإيلخانيين، مجلة الدرعية (عدد ٦، ٧) ربيع الآخر. رجب ١٤٢٠هـ / أغسطس، نوفمبر ١٩٩٩م المملكة العربية السعودية.
- ٦٧ - سعد بن منصور بن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، نشرة موسى برلمان، مطبوعات جامعة كاليفورنيا ١٩٦٧م.
- ٦٨ - سعيد عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٣م.
- ٦٩ - سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م. في ظلال القرآن، دار الشروق. القاهرة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- ٧٠ - عبد الجواد المحص، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، الدار المصرية. الاسكندرية ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م.
- ٧١ - أدب القصة في القرآن الكريم، الدار المصرية بالاسكندرية ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م.
- ٧٢ - عبد الحميد مذكور، الترجمة والحوار مع الآخر، كتاب المؤتمر الدولي الأول للفلسفة الإسلامية ((الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة)) المنعقد بدار العلوم. القاهرة ١٩٩٦م.
- ٧٣ - عبد الراضى محمد عبد المحسن، أسس فلسفة الأخلاق الإسلامية، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، السنة السادسة. عدد ٦، القاهرة ١٤١٨هـ. ١٩٩٧م.
- ٧٤ - عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، دار الجليل، ط ١، بترجمة كمال جاد الله. القاهرة ١٩٩٧م.
- ٧٥ - موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط ٢، بيروت ١٩٨٩م.
- ٧٦ - عبد الرحمن حبنكة الميداني أجنحة المكر الثلاثة، دار العلم، دمشق، ط ٥، ١٤٠٧هـ. ١٩٨٦م.
- ٧٧ - عبد العزيز العسكر، التنصير ومحاولاته في الخليج العربي، العبيكان، ط ١، الرياض ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م.
- ٧٨ - عبد اللطيف الطيباوى، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، الترجمة العربية الملحق بكتاب الفكر الإسلامي الحديث. د. محمد البهي. مكتبة وهبة، ط ٨، ١٩٧٥م.
- ٧٩ - ابن العسال، الصحاح في جواب النصائح، القاهرة سنة ١٦٤٣ قبطية.
- ٨٠ - علي النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م.
- ٨١ - التنصير، ١٩٩٣م بدون بيانات.
- ٨٢ - علي جريشة. محمد الزبيق، أساليب الغزو الفكرى، ط ٢، دار الاعتصام. مصر.
- ٨٣ - عمر الأشقر، عالم الملائكة، دار النفائس. الأردن ١٩٩٥م.

- ٨٤ - عمر رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دار طيبة. الرياض ١٤١٣ هـ. ١٩٩٢ م.
- ٨٥ - فروخ. الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، المكتبة العصرية. بيروت ١٩٨٦ م.
- ٨٦ - ابن الفوطى، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، بتحقيق مصطفى جواد، بغداد ١٩٣٢ م.
- ٨٧ - فريد مصطفى سليمان، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٤ هـ. ١٩٩٣ م.
- ٨٩ - قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي. الرياض ١٤٠٣ هـ. ١٩٨٣ م.
- ٩٠ - كارل ساغان، الكون، سلسلة عالم المعرفة (١٧٨)، وزارة الإعلام بالكويت.
- ٩١ - ابن كثير، البداية والنهاية، دار هجر. القاهرة ١٤١٧ هـ. ١٩٩٧ م.
- ٩٢ - لويس شيخو، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، طبع الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٤٢ م.
- ٩٣ - مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى، طبع الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٠٦ م.
- ٩٤ - لويس غردييه. جورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني، دار العلم للملايين، ط ١، بيروت ١٩٦٧ م.
- ٩٥ - مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، بترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر. دمشق ١٤٠٢ هـ. ١٩٨١ م.
- ٩٦ - محمد أبو فراخ، تراجم القرآن الأجنبية في الميزان، مجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية. العدد الرابع (عام ١٤٠٢ هـ. ١٤٠٣ هـ).
- ٩٧ - محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧ م.
- ٩٨ - محمد البهي، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، الإدارة العامة للثقافة. مطبعة الأزهر. القاهرة، د. ت.
- ٩٩ - محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ط ٥، دار المعارف. القاهرة.
- ١٠٠ - محمد خليفة حسن، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، دار عين للبحوث والدراسات. القاهرة ١٩٩٧ م.
- ١٠١ - محمد السماك، مقدمة إلى الحوار الإسلامي. المسيحي، دار النفائس، بيروت ١٤١٨ هـ. ١٩٩٨ م.
- ١٠٢ - محمد الشرقاوى، الاستشراق، مطبعة المدينة. القاهرة. د. ت.
- ١٠٣ - محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة، ط ٢، بيروت ١٤٠٣ هـ. ١٩٨٣ م.

- ١٠٤ - محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، دار القلم، الكويت ١٣٩١هـ. ١٩٧١م.
- ١٠٥ - محمد عبد الواحد عسيري، صورة الإسلام والمسلمين في قاموس الأديان، بحث مقدم إلى ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي المنعقدة في الرياض (٢٢. ٢٥ رجب ١٤٢٠هـ / ٣١ أكتوبر ٢٠٠٣م نوفمبر ١٩٩٩م).
- ١٠٦ - محمد عثمان بن صالح، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة ١٤١٠هـ. ١٩٨٩م.
- ١٠٧ - محمد عمارة، استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، مركز دراسات العالم الإسلامي. مالطة، ط١، ١٩٩٢م.
- ١٠٨ - محمد فتحي عبد الهادي، المصادر المرجعية عن الإسلام والمسلمين، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي.
- ١٠٩ - محمد الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، ص ٤٦٤. ٣٦٥، دار الفكر العربي. القاهرة ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م.
- ١١٠ - محمود العابدي، مخطوطات البحر الميت، دائرة الثقافة والفنون. عمان ١٩٦٧م.
- ١١١ - موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دار المعارف. لبنان ١٩٧٧م.
- ١١٢ - نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، ط٤، مصر.
- ١١٣ - يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، بترجمة عمر العالم، ط١، دار قتيبة، دمشق. بيروت ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م.
- ١١٤ - الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م
- ١١٥ - الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر أحمد ابن الباذش الأنصاري (ت ٥٤٠هـ)، تحقيق: عبد المجيد قطامش، ط١، مطابع جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ.
- ١١٦ - الإسلام وحقوق المرأة، مجموعة باحثين، بإشراف د. جعفر عبد السلام، ط١، رابطة الجامعات الإسلامية، ١٤٢٥هـ.
- ١١٧ - أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين، محمد شوقي عبد الرحمن الجزيري، ط١، دار الإرشاد، ١٤٠٦هـ.
- ١١٨ - تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري (ت ٣١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر.
- ١١٩ - تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبه النميري (ت ٢٦٢هـ)، تحقيق: فهم محمد شلتوت، [بدون معلومات نشر].

- ١٢٠- تأويل مشكل القرآن، محمد بن عبد الله ابن قتيبة (ت ٢٧٠هـ) تحقيق: السيد صقر، ط ٢، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ.
- ١٢١- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.
- ١٢٢- وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، نقض مزاعم المستشرقين، أ.د. حسن ضياء الدين العتر، دار المكتبي ط ١/١٩٩٩.
- ١٢٣- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية الحديثة، د. موريس بوكاي معرب ط. مصر وط. بيروت تعريب د. خالد حسن.
- ١٢٤- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: أحمد شاکر، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- ١٢٥- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ١٢٦- جمع القران، في مراحل التاريخة من العصر النبوي إلى العصر الحديث، محمد شرعي أبو زيد، كتاب إلكتروني.
- ١٢٧- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.
- ١٢٨- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي، ط ١، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ.
- ١٢٩- رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم، محمد جمعة عبد الله، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- ١٣٠- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
- ١٣١- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، دار إحياء الكتب العربية.
- ١٣٢- سنن أبي داود، أبو داود سليمان الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، دار الحديث، ١٣٩١هـ.
- ١٣٣- سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط ٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ.
- ١٣٤- حقائق حول القرآن في مواجهة شبهات المشككين، د. محمود حمدي زقزوق، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
- ١٣٥- شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، ط ١، عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٤هـ.

- ١٣٦- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- ١٣٧- صحيح ابن حبان، أبو حاتم البستي، (ت ٣٥٤هـ) ترتيب: علاء الدين بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وحسين أسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ١٣٨- صحيح ابن خزيمة، محمد بن خزيمة (ت ٣١١هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.
- ١٣٩- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، في تحقيقه لكتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ط ٢، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.
- ١٤٠- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، ترقيم: محمد فؤاد الباقي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٥هـ.
- ١٤١- الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري، عبد المحسن بن زين المطيري (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية العلوم - جامعة القاهرة).
- ١٤٢- عمدة القاري، بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار الفكر.
- ١٤٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٢، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ.
- ١٤٤- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ.
- ١٤٥- قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، طبع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٢هـ.
- ١٤٦- القرآن الكريم في مواقع الإنترنت العربية دراسة تحليلية نقدية، عبد الرحيم الشريف (رسالة دكتوراه)، كتاب إلكتروني.
- ١٤٧- القرآن الكريم والكتاب المقدس، أيهما كلمة الله؟ أحمد ديدات.
- ١٤٨- القرآن والمبشرون، محمد عزت دروزة، ط ٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ١٤٩- لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، ط ١، دار صادر، بيروت.
- ١٥٠- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد.
- ١٥١- لماذا أسلم صديقي، إبراهيم خليل أحمد، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
- ١٥٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ١٥٣- المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبة، ط ٢، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

- ١٥٤ - فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩)، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨ هـ.
- ١٥٥ - قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، طبع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٢ هـ.
- ١٥٦ - القرآن الكريم في مواقع الإنترنت العربية دراسة تحليلية نقدية، عبد الرحيم الشريف (رسالة دكتوراه)، كتاب إلكتروني.
- ١٥٧ - القرآن الكريم والكتاب المقدس، أيهما كلمة الله؟ أحمد ديدات.
- ١٥٨ - القرآن والمبشرون، محمد عزت دروزة، ط ٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩ هـ.
- ١٥٩ - لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١ هـ)، ط ١، دار صادر، بيروت.
- ١٦٠ - لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد.
- ١٦١ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ.
- ١٦٢ - المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبه، ط ٢، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ.
- ١٦٣ - الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.
- ١٦٤ - محاسن التأويل - تفسير القاسمي - محمد جمال الدين القاسمي - دار الفكر ط ٢ - ١٩٧٨
- ١٦٥ - أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم د. الحسين جرنو محمود جلو - مؤسسة الرسالة ط ١ - ١٩٩٤
- ١٦٦ - إعجاز القرآن الكريم د. فضل حسن عباس - دار الفرقان ط ٤ - ٢٠٠١
- ١٦٧ - إعجاز القرآن - منشورات جامعة القدس.
- ١٦٨ - إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الربّانيّ د. صلاح الخالدي - دار عمّار ط ٢ - ٢٠٠٤
- ١٦٩ - إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة د. منير سلطان - منشأة المعارض - ١٩٧٧
- ١٧٠ - إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة - د. مصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربيّ ط ٩ - ١٩٧٣.
- ١٧١ - إعجاز القرآن - الإعجاز في دراسات السابقين - د. عبد الكريم الخطيب - دار المعرفة ط ٢ - ١٩٧٥.
- ١٧٢ - الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية د. محمد أحمد أبو موسى - مكتبة وهبة ط ١ - ١٩٨٤
- ١٧٣ - الإعجاز البيانيّ للقرآن ومسائل ابن الأزرق د. عائشة عبد الرحمن - دار المعارف - ط ٢
- ١٧٤ - الإعجاز العلمي في الإسلام - محمد كامل عبد الصمد - الدار المصريّة اللبنانيّة - ط ٢ - ١٩٩٣

- ١٧٥ - الإعجاز القرآني - وجوهه وأسراره - د. عبد الغني محمد سعيد بركة - مكتبة وهبة ط ١ - ١٩٨٩
- ١٧٦ - الإعجاز النحوي في القرآن الكريم د. فححي عبد الفتاح - مكتبة القدّاح ط ١ - ١٩٨٩
- ١٧٧ - البيان في إعجاز القرآن د. صلاح الخالدي - دار عمّار ط ٣ - ١٩٩٣
- ١٨٨ - الظاهرة القرآنية - مالك بن نبي - دار الفكر - بيروت ١٩٨٠
- ١٨٩ - القرآن أنواره وآثاره وأوصافه - محمد محمود الصوّاف - مؤسسة الرسالة ط ٥ - ١٩٨٧
- ١٩٠ - القرآن يقوم العقل والنفس واللسان - خلف محمد الحسيني - دار نهضة مصر للطباعة.
- ١٩١ - المعجزة الخالدة - حسن ضياء الدين عتر - ط ٢ - ١٩٨٩
- ١٩٢ - المعجزة الكبرى - القرآن - محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي
- ١٩٣ - المعجزة القرآنية - الإعجاز العلمي - د. محمد حسن هيثو - مؤسسة الرسالة ط ٣ - ١٩٩٨
- ١٩٤ - المفتي في أبواب العدل والتوحيد - القاضي عبد الجبار - دار الكتاب ط ١ - ١٩٦٠
- ١٩٥ - الموسوعة القرآنية الميسرة - إبراهيم الأبياري - مؤسسة سجلّ العرب ١٩٩٤
- ١٩٦ - النبأ العظيم - د. محمد عبد الله درّاز - دار القلم - ط ٢ - ١٩٧٠
- ١٩٧ - بالقرآن أسلم هؤلاء - عبد العزيز هاشم الغزولي - دار القلم ط ١ - ٢٠٠١
- ١٩٨ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - تحقيق محمد خلف الله أحمد - دار المعارف ط ٤
- ١٩٩ - دراسات في علوم القرآن - د. فهد عبد الرحمن الرومي - ط ٤ - ٢٠٠٣
- ٢٠٠ - فكرة إعجاز القرآن - نعيم الحمصي - مؤسسة الرسالة - ط ٢ - ١٩٨٠
- ٢٠١ - كيف نحيا بالقرآن - نبيه زكريا عبد ربه - دار الحرمين - ط ١ - ١٩٨٣
- ٢٠٢ - مباحث في إعجاز القرآن - د. مصطفى مسلم - دار المسلم - ١٩٩٦
- ٢٠٣ - من أوجه إعجاز القرآن الكريم - د. نبيل محمد آل إسماعيل - دار ابن حزم ط ١ - ٢٠٠٢
- ٢٠٤ - من دلائل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - د. موسى الخطيب - المكتبة المصرية - ط ١ - ٢٠٠٤
- ٢٠٦ - نظرات في القرآن - محمد الغزالي - دار الكتب المصرية - ط ٥
- ٢٠٧ - هذا القرآن - د. صلاح الخالدي - دار المنار - ط ١ - ١٩٩٣
- ٢٠٨ - أثر الإيمان في شخصية الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة - عبد الله عبد الرحمن جربوع - مكتبة أضواء السلف - ط ١ - ٢٠٠٠
- ٢٠٩ - البيان والتبيين - الجاحظ - دار الجليل.
- ٢١٠ - الترغيب والترهيب - المنذري - دار إحياء التراث العربي.
- ٢١١ - التصوير الفني في القرآن - سيّد قطب - دار الشروق.

- ٢١٢- التعريفات - الجرجاني - مكتبة لبنان - ١٩٧٨
- ٢١٣- سير أعلام النبلاء - محمد بن أحمد الذهبي - مؤسسة الرباط ط ١ - ١٩٨٣
- ٢١٤ - لسان العرب ابن منظور - دار صاد بيروت.
- ٢١٥- مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الأصفهاني - دار القلم - دمشق ١٩٩٢

هنالك مراجع ومصادر أخرى ذكرت خلال الدراسة من مجلات وقواميس وكتب نصرانية ويهودية عليها توثيق نشرها وتاريخه .وهنالك مصادر ذكرت بالهوامش لطبعات غير الطبعة المعتمدة في المصادر لأخذ العلم .

لمراسلة الكاتب على العنوان التالي :

ن و ه م خ ه ن ن ن ن ق ن ا ق ق د ز ن خ س ي ي ي ل م ج ن ك ه ه ص

[m.s.tartus@gmail.com](mailto:m.s.tartus@gmail.com)

موبايل ٩٨٨٢٨٩٨٩٢/٠٠٩٦٣